شعراؤنا

شرح ديوان أبي تمام

الخطيب التبريزي

قدم له ووضع هوامشه وفهارسه
راجي الأسمر

الجزء الثاني

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ ١٩٩٤م

دار الكتاب العربي

الطابق الثامن - بناية بنك بيبلوس - فردان - تلفون : ٨٦١١٧٨/٨٠٠٨١١/٨٦٢٩٠٥
تلفاكس : ٤٧٨١٤٣١ (١٢١٢) تلكس : ٤٠١٣٩ LE كتاب برقيا : الكتاب . ص.ب : ٥٧٦٩-١١ بيروت . لبنان

شرح

ديوان أبي تمام



قافية اللّام

١١١

وقال يمدَحُ المعتصمَ باللّه [.من البسيط] :

١ فَحْـوَاكَ عَيْنٌ على نَجْـوَاكَ يـا مَـذِلُ حَتَّـامَ لَا يَتَقضَّى قَـوْلُـكَ الخَـطِلُ!؟

٢ وإنَّ أَسْمَـجَ مَنْ تَشْكُـو إليْـهِ هَـوىً مَنْ كـانَ أحسنَ شيءٍ عِنْـدَهُ العَـذَلُ

٣ مـا أقبلَتْ أَوْجُـهُ الـلَّذَّاتِ سَـافِـرَةً مُـذْ أدبَـرتْ بـاللِّوَى أَيَّـامُنـا الأُوَلُ

٤ إنْ شِئْتَ أَلَّا تَـرَى صَبْـراً لِمُصْـطَبَـرٍ فـانظُرْ على أيِّ حـالٍ أصبحَ الـطَّلَلُ

٥ كـأنَّـمـا جَـادَ مَـغْـنـاهُ، فَـغَـيَّـرَه دُمُـوعُنـا، يـومَ بـانُـوا، وَهْيَ تَنْهَمِـلُ

٦ ولَـوْ تَـرَاهُـمْ وإيَّـانـا ومَـوْقِـفَـنـا في مَـأْتَمِ البيْنِ لاستهـلالنـا زَجَـلُ

٧ مِنْ حُـرْقَـة أطْلَقَتْهـا فُـرْقَـةٌ أَسـرَتْ قَلْبـاً ومِنْ غَـزَلٍ في نَحْـرِهِ عَـذَلُ

---

(١) (ع) « فَحْوَاكَ »: مِن قولهم عَرفْتُ ذلك في فَحْوى كلامِه، أي في معناه، وقيل إن « الفَحْوَى » يُمَدُّ ويُقصر، والاشتقاقُ يُوجب أنها من « الفَحَا » وهي الأبزار. « والمَذِل » الذي لا يكتم سِرّه، ويجوز أن يُروَى « الخَطِلَ » بفتح الطاء وكسرها، وهو المضطرِب.

(٢) أي أقبحُ مَن شكوتَ إليه عِشْقَك عاذِلٌ قد أُولع بِعَذْلِكَ، فشِكايتُك إليه لا تَنْجع.

(٣) [اللّوى: منقطع الرمل، وهنا اسم موضع].

(٤) أي إن شئتَ أن تَرَى وتعلمَ قِلّة صَبْري على ما أحدثَتْه الفُرْقةُ، فانظر حال الطَّلَلْ.

(٦) أصل « المأتَم » النِّساء يجتمعن في فَرَح أو حُزْن، والمراد هنا معنى الحُزْن. « والاستِهْلال » رفعُ الصوتِ، يقال استَهلَّ الصَّبيُّ إذا بَكى عند ولادته، ومنه إهلالُ الحج، وهو رفع الصوتِ بالتلبية.

(٧) أي لو رأيتَنا ونحن نبكي لاستهلالنا زَجَل من حُرقةٍ أطلقَتْها فُرْقةٌ ذهبت بقلبي، ومن عشقٍ في نحره لَومٌ يقاتله ويحاربه.

٨ وقَدْ طَوَى الشَّوْقَ في أَحشائنا بَقَرٌ عِينٌ طَوَتْهُنَّ في أَحشائِها الكِلَلُ
٩ فرَغْنَ لِلسِّحْرِ حَتَّى ظَلَّ كُلُّ شَجٍ حَرَّان في بعْضِه عنْ بعْضِه شُغُلُ
١٠ يُخْزِي رُكَامَ النَّقَا ما في مآزِرِها ويَفْضَحُ الكُحْلَ في أَجْفانِها الكَحَلُ
١١ تَكادُ تَنتقِلُ الأَرواحُ لَو تُرِكَتْ مِنَ الْجُسُومِ إليها حَيْثُ تَنْتَقِلُ
١٢ طُلَّتْ دِماءٌ هُرِيقَتْ عِندهُنَّ كَما طُلَّتْ دِماءُ هَدَايا مَكَّةَ الهَمَلُ
١٣ هَانَتْ على كُلِّ شيءٍ فَهْوَ يَسْفِكُها حتَّى المنازِلُ والأَحْدَاجُ والإِبِلُ
١٤ بالقائِمِ الثَّامِنِ المُسْتَخْلَفِ اطَّأَدَتْ قَواعِدُ المُلْكِ مُمْتَدّاً لَها الطِّوَلُ

---

(٩) «فَرَغْن للسِّحْر» أي قَصَدْنَ له، من قوله عزّ وجلّ: «سَنَفْرُغ لكم أيُّها الثَّقَلان» أي قصدنَ للسِّحْر، فسَحَرنَ كلَّ عاشقٍ أورثْن قلبَه شُغُلًا من الحُزْن أذهَلَه عن سائر أعضائه.

(١٠) أي أعْجَازُها أعظمُ مِن نَقَا الرمل، وسَوَادُ عُيونها أشدُّ من سواد الكُحْل.

(١١) أي يَعجب الناظرون منها فتَحارُ فيها الأبصارُ حتى تكاد أرواحُهم تخرج من عيونهم لِشدَّة النظر وتحيّرهم فيها.

(١٢) أي إذا نظروا إلى الإبل وقد ركبها الجواري وعليها الهَوَادجُ قَتلَهم ذلك

(١٣) (ص): يقول: هانت الدُّموعُ فكلُّ شيء يصحبها [الحدْج: مركب للنساء كالإبل].

(١٤) (ع) ينبغي أن يكون اشتقاق «اطّأَدَتْ» من «الطّوْد»، بُني على (افتعَلَتْ) من ذلك، فقيل: «اطّادَتْ» ثم هُمِزت للضرورة، لأنّ تاء (الافتعال) إذا كان قَبْلَها طاءٌ قُلِبت إليها، وليس في كلامهم «الطّأْدُ» بالهمز، وإنما قالوا وَطَدَ، ولو بُني (افتَعَل) من وَطَدَ لقيل «اتّطَدَ»، وقالوا طادٍ في معكوس واطدٍ، قال القُطَاميّ:

ما اعتادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِيْنَ مُعْتَادِ ولا تَقَضَّى بَواقِي دَيْنِها الطّادِي

ولو بُني (افتعل) من الطادِي لقيل اطَّدَى، ويجوز أن يكون الطائيُّ سمع «اطّأَدَ» في شعرٍ قديم فاستعمله. «والطِّوَل» الحَبْل. يريد أن تلك الدولةَ طويلةُ المُكْث ويجوز أن يعني «بالطِّوَل» ما تَطاوَلَ من الدّهر لأنّ بيت القطاميّ ينشد بالكسر والضم ★ وإن بَلِيتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّوَلُ ★ والمعنيان راجعان إلى شيءٍ واحد لأن إرخاء الطِّوَل للدولة مُؤدٍّ إلى طُول المدّة. وقال» المرزوقيّ: الرواية الصحيحة «اتّطَدَتْ» وهو (افْتعَل) مِن وَطَدَ فأبدلَ من الواو تاءً ثم أدغمها في تاء (افتَعَل) كقولهم اتَّقى واتّزَنَ، ورَدّ الرواية الأُخرى.

١٥	بِيُمْنِ «مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ» لا أَوَدٌ	بالمُلْكِ مُذْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ ولا خَلَلُ
١٦	يَهْنِي الرَّعِيَّةَ أَنَّ اللَّهَ مُقْتَدِراً	أعطاهُمُ بأَبي إسحَاقَ ما سَأَلُوا
١٧	لَوْ كَانَ في عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلُ	لَكَانَ في وَعْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلُ
١٨	تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَه	حتَّى ظَنَنْتُ قَوافِيهِ سَتَقْتَتِلُ
١٩	لَوْلاَ قَبُولِيَ نُصْحَ العَزْمِ مُرْتَحِلاً	لَرَاكَضَاني إليهِ الرَّحْلُ والجَمَلُ
٢٠	لَهُ رِيَاضُ نَدىً لم يُكْبِ زَهْرَتَها	خُلْفٌ ولَمْ تَتَبَخْتَرْ بيْنَها العِلَلُ
٢١	مدى العُفَاةِ فَلَمْ تَحْلُلْ بِهِ قَدَمٌ	إلاَّ تَرَحَّلَ عنْها العَثْرُ والزَّلَلُ
٢٢	ما إنْ يُبَالي إذا حَلَّى خَلائِقَهُ	بِجُودِه أَيَّ قُطرَيْهِ حَوَى العَطَلُ
٢٣	كأَنَّ أَمْوَالَهُ والبَذْلُ يَمْحقُها	نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذِيرُ أَوْ نَفَلُ

---

(١٥) [الأود: الخلل والاعوجاج].

(١٦) (ع) خَفَّف الهمزةَ في «يَهْنِي» على لغة من قال هَنَاكَ في الماضي، ونصب (مُقْتَدِرًا) على الحال والعاملُ فيها أعطى، وإن رفع «مُقْتَدر» فجائز، ويتمُّ الكلام عنده، ثم يكون بقيَّةُ البيتِ صفة «المقتدر» ويمكن أن يكون جملةً لا تتعلق «بِمُقْتَدر» لأن الكلام قد استغنى في النصف الأول.

(١٧) أي لو كان في الغائب بَدَلٌ من الحاضر أو يقوم مقامَه لكان وَعْدُه كافياً مُغْنياً عن الإعطاء لِعلْمنا أنه مُنْجَز.

(١٨) أي انثالت عليَّ القوافي حِرْصًا من كل قافيةٍ أن تُحبَّر فيه، وسَكَّنَ الياءَ في «قَوَافِيه» ضرورةً.

(١٩) يقول: لولا أني قبلتُ ما مَثَّله لي عَزْمي مِن الرِّفق في السَّيْر وتَرْكِ الإيغال فيه لما يُورِث الانقطاعَ بالمسافر، لأسرع بي الجملُ والرحْلُ حرصًا على البلاغ إليه. (ع) وأظهَر علامة التثنية في الفِعل المتقدم كما قال:

أَلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا   أَوْلَى فأَوْلَى لَكَ ذا واقِيَهْ

«ورَاكَضَاني» حَمَله على قولهم ركَضَ الفرسُ، وبعضُ الناسِ يقول إنما «الفَرَس» مركوض، وليس هذا القولُ بشيء؛ لأنَّ كلَّ مَن ضرب برجله الأرضَ أو غيرَها فهو راكِض، قال الراجز:

قد سَبَقَ الجيَادَ وهو رَابِضُ
فكيفَ لا يَسْبِقُ وهْوَ رَاكِضُ

(٢١) [العفاة: طالبو المعروف].

(٢٢) [العطل: الخلوّ من المال].

٢٤ شَرِسْتَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قانَيْتَ ذَاكَ بِذَا فأَنتَ لا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ والجَبَلُ
٢٥ يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً مِنْ راحَتَيْكَ دَرَى ما الصَّابُ والعَسَلُ

---

(٢٤) « الشَّرَاسة » ضد اللِّين ، « وقانَيْت » خلطتَ ، « والمُقَاناة » المخالطة ، قال الشاعر :

قَانَى لـه ، بالصَّيْفِ مـاءٌ بـاردٌ ونَصِـيٌّ نـاعجـةٍ ومَحْـضٌ مُنْقَـعُ

(٢٥) (ع) هذا البيت قد حُذِف منه حرفُ النَّفْي، لأنّ المعنى معنى القَسَم ، كأنَّه قال: واللهِ لا أدري مَنْ لم يذق جُرَعًا مِن راحتيك ، فحذفَ حرف النفي لأن المعنى دالٌّ عليه ، كما تقول واللهِ أفعلُ أبداً : أي لا أفعل ، قال النابغة :

فقَـالـتْ يميـنَ اللهِ أفعـلُ إنَّنـي رأيتُـك مَسْحـوراً يَمِينُـك فـاجـرهْ

والمعروف حَذْف « لا » في جواب القسم دونَ « ما » ، ولا يمتنع في القياس أن يُجمع بينهما في الحَذْف لأنهما حرفا نفيٍ فتُحمل إحداهما على الأخرى، أي مَنْ لم يَذُقْ مِن بأسك وجُودِك جُرَعًا لم تتحقق عنده مرارةُ الحنظل ولا حلاوةُ العَسَل.

قال بعضُ مَنْ يَرُدُّ على أبي تمام: إنه حذفَ عُمْدَةَ الكلام وأخَلّ بالنظم، وإنما أراد: يَدِي لمن شاء رَهْنٌ إن كانَ منْ لم يَذُقْ جُرَعًا من راحتيك دَرَى الفرقَ بين الصَّابِ والعسل، فحذف «إن كان مَن» وأفسَد الترتيب. قال المرزوقيّ: اعلمْ أنّ اللفظ قد يكون قاصراً عن المعنى وقد يكون زائداً عليه، وهذا البيت يتأتّى فيه التقديرُ على غير ما قَدَّره هذا العائب، فيَتأتّى أنْ تُقدِّر: يَدِي رَهْنٌ لمن شاءَ إن دَرَى ما الصابُ والعسلُ غيرَ ذائقٍ جُرَعاً مِنْ راحتيك، فيكون «لم يَذُقْ»، في تقدير الحال، وحَذف «إن» لِمَا كان في الكلام من دلالة الشرط والجزاء، ألاَ ترى أن المعنى: إن دَرَى مَن لم يذق جُرَعاً من راحتيك الفِرقَ بين هذين الشيئين، فيَدي له رَهْنٌ، فهذه طريقة، ويتأتّى أن تقدّر: يَدِي رَهْنٌ لمن شاءَ غيرَ ذائقٍ جُرعاً مِن راحتيك دَارياً ما الصابُ والعسلُ، يريد يدي له رهنٌ وهاتان حالتاه، وهذا كما يقول الإنسانُ: لزيدٍ من مالي ألفٌ راكباً هذا الفرسَ وصائداً به والمعنى إن ركبَه وصادَ، والحالُ قد يَتَبيَّن منه معنى الشرطِ، على هذا قولهم: هذا تمراً أطيبُ منه بُسْراً ، والمعنى هذا إذا كان تمراً أطيبُ منه إذا كان بُسْراً. وإذا كان الأمرُ على هذا فقد سَلِمَ أبو تمام من العيب ولزم الذَّمُّ عائبَه.

ولِقائل أن يقول لِلْمُنكر على أبي تمام: زعمتَ أنّ اللفظ قاصرٌ عن المعنى بما حُذِف من عُمْدته مُختلٌ، وإنما هو زائد عليه، لكنك أسأتَ في التقدير وزدتَ ما لا حاجة إليه، وذلك أنه أراد: يدي رهنٌ لمن لم يذق جُرَعاً من راحتيك دَارياً ما الصابُ والعسلُ، أي إن دَرَى ذلك فيدي له رَهْن، وإذا كان الأمر على هذا، فقوله «شاء» فَضْلةٌ، و«مَن» على هذه التقديرات نكرةٌ، والمعنى يدي لإنسانٍ هذه صفتُه رَهْنٌ، وهم يقولون مررتُ بِمَنْ ظريفٍ أي بإنسانٍ ظريف، ومررتُ بما =

٢٦	صَلَّى الإلَـهُ على العَبَّاسِ وانبجَسَتْ	على ثَـرىً حَلَّهُ الـوَكَّـافَـةُ الهُـطُلُ
٢٧	ذَاكَ الـذي كَـانَ لَـوْ أَنَّ الأنـامَ لَـهُ	نَسلٌ لَمَـا رَاضَهُـمْ جُبْـنٌ ولا بَخَـلُ
٢٨	أَبُـو النُّجُـومِ التي مـا ضَنَّ ثَـاقِبُهـا	أَنْ لم يَكُنْ بُـرْجـهُ ثَـوْرٌ ولا حَمَـلُ
٢٩	مِنْ كـلِّ مُشْتَهَـرٍ في كـلِّ مُعْتَـرَكٍ	لم يُعـرَفِ المُشْتَـرِي فيـهِ ولا زُحَـلُ
٣٠	يَـحْمِـيـهِ لألاؤُهُ أو لَـوْذَعِـيَّـتُـهُ	مِنْ أَنْ يُـذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّن الـرَّجُـلُ

= كريمٍ أي بشيءٍ كريم، فاعْلَمْه.

(٢٦) (ع) ويروى «العَرَّاصَةُ» وهي سَحائب فيها بَرْق عَرَّاص وهو الشديد الاضطراب، ويروى «الوَدَّاقة». و«الهُطُل» جمع هَطُول، و«الوَكَّاف» من المطر الذي يَدُوم إلاّ أنه ليس بشديد كالوَبْل.

(٢٧) (ع) أي لو كان الناسُ كلُّهم نَسْلَةَ ما كان فيهم بخيلٌ ولا جبان، واستعار «الرِّياضَة» للجبن والبخل لأنهما يُذلاّن مَن كانا فيه كما يذِلُّ الرائضُ الصَعْبَة.

(٢٨) (ع) يقول: بنو العباس نُجومٌ في الشرف والاشتهار، ما ضَرَّ ثاقِبَها أي مُضِيئَها أنه نجمٌ أرضيٌّ لا يحلُّ ببروج السماء وهي الاثنا عَشَرَ بُرْجاً، أوّلُهما الحَمَلُ وآخِرُهما الحُوت، وخَصَّ الحملَ والثور لأجل القافية والوزن، وحَسُنَ أن يُنكّر لأنّ الثور يقع على أشياء منها ثَوْرُ البُروج، وكذلك الحَملُ.

(٢٩) (ع) مَن روى «مُشْتَهَر» على ما لم يُسمَّ فاعِلُه فهو مَقِيس على قولهم فلان مشهور وقد شُهر في الناس، كما يقال كُتِبَ الكِتابُ واكْتُتِبَ، وقُضِبَ الغُصْنُ واقتُضِبَ. ومَنْ رَوَى «مُشْتَهِر» بالكسر جعل الفعلَ للرجل، قال ابن أحمر:

قَـد بَكَـرَتْ عـاذِلَتـي غُـدْوَةً ... تـزعـمُ أنّـي بـالصِّبَـا مُشْتَهِـرْ

يُنشَد هذا البيت بالكسر، والفتحُ في «مُشْتَهر» أقيسُ، يقول: هؤلاء القوم يُعرفون في مواطنَ لا يُعرف فيها المُشْتَرِي ولا زُحَل وهما عظيمان في الكواكب ★، و«زُحَل» اسم معدول مثل عُمَر، حَقه ألاّ ينصرفَ في المعرفة، وقد حُكِي ذلك عن المبرّد، وقلّما يُذكَر زُحَل في الشعر القديم، وقد رَوَوا قولَ الكُميْتِ:

★ كأنّه الكوكبُ المرّيخُ أو زُحَلُ ★

والكُميت إسلاميٌّ متأخر.

(٣٠) (ع) «اللّألاء» النُّور، والرواية «تحميه» بالتأنيث، والقياسُ يُوجب أنه «لألاء» مثل زَلْزَالٍ مِن لألأ الشيءُ وتَلألأ، وإذا قيل إنه مثل الزِّلْزال فما يمتنع من كسر أوّله مثل القِلْقال والسِّلْسال مَصْدر قَلْقَلَ وسَلْسَلَ وذلك مُطّرِد في هذا الباب، وإذا قيل إنّ «اللألاء» مُؤَنّثة وَجَبَ أن يكون اشتقاقُها مِن =

٣١	وَمَشْهَـدٍ بينَ حُـكْمِ الـذُّلِّ مُنْقَـطِعٌ	صَـالِيهِ أو بِحبـالِ المَـوتِ متَّصِـلُ
٣٢	ضَنْكٍ إذا خَرِسَتْ أبطَالُـه نَـطقَتْ	فِيـه الصَّـوارِمُ والْخَـطِّيـةُ الـذُّبُـلُ
٣٣	لا يَـطمَعُ المَـرْءُ أَنْ يَجْتَـابَ غَمْـرَتَـهُ	بالقَوْلِ مَـا لَمْ يَكُنْ جِسْراً لـه العمَلُ
٣٤	جَلَّيْتَ والمَـوْتُ مُبْـدٍ حُـرَّ صَفْحتِـهِ	وقَـدْ تَفَـرْعَنَ في أوصـالِـهِ الأَجَـلُ
٣٥	أَبحْتَ أوْعَـارَه بـالضَّـرْبِ وَهْـوَ حِمىً	للحَـرْبِ يَثْبُتُ فيـهِ الـرَّوْعُ والـوَهَـلُ
٣٦	آلُ الـنَّبِـيِّ إذا مـا ظُلْمَـةٌ طَـرَقَـتْ	كـانُـوا لَنـا سُـرُجـاً أنتُمْ لَهـا شُعَـلُ
٣٧	يَـسْتَعـذِبُـونَ مَنَـايَـاهُـمْ كـأَنَّهُـمُ	لا يَيْـأَسُـونَ مِنَ الـدُّنيـا إذا قُتِـلوا

= اللّآل كما قال:

دُرَّةٌ مِـنْ عَقـائِـلِ البحـرِ مِيـزَتْ ... لـم تَنَلْهـا مَثـاقِـبُ اللّآلِ

فكأنّها مبنيّة مِن اللّآل ثم زِيدت الألفُ التي للتأنيث وبعدها الهمزة. وقولهم «اللّآل» كلمة شاذة، واشتقاق اللؤلؤ مثل اشتقاق اللألاء، وقد ادَّعى قوم أنّ الهمزة الآخرة في «لؤلؤ» زائدة، وإنما حملهم على ذلك قولهم لأال. و«للَّوْذعية» مأخوذة من اللّوذَعيّ وهو الحديد القلب، والمعنى حَلَّتْه اللوذعيّة، وكذلك يفعلون بالمنسوب كله، يقولون فلان مكيّ تبين فيه المكيَّةُ ونحو ذلك. والمعنى أنّ الرجل إذا نُظر إليه عُلم أيُّ الناس هو ومَن أبوه، لأنّ نورَ وجهه وذكاءه يُخبران بنسبه ويدلاّن عليه.

(٣١) (ع) يجوز في «مُنقطع» الرفع والخفض، فالخفضُ على أنه وصف للمشهد إذا كان الضمير قد رجع إليه في قوله (صاليه)، والرفعُ على أن يجعل خبراً «لصاليه» قُدِّم عليه. و«صاليه» هو الذي يَصْلي حَرَّه ويصبر عليه، يقال صَلِيَه وصَلِيَ به، قال الشاعر:

لـم أكـنْ مِـنْ جُنـاتِهـا علـم الله ... وإنّـي بحـرهـا اليـومَ صَـالِـي

وإذا خُفِض «منقطع» «فمتصل» يرتفع على تقدير قوله أو هو بحبال الموت متصلُ.

(٣٢) [الصوارم: السيوف القاطعة. الخطِّيَّة: الرماح المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ في البحرين. ذُبُل: دقيقة].

(٣٣) [يجتاب: يجتاز. الغمرة: غبار المعركة].

(٣٤) (ع) «صَفْحة» الموتِ جانبه، يقال أبدَى له صفحتَه إذا أمكنَه من نفسه. «وتفرعَن» كلمة ليست بالعربية المحضة، وذلك أنهم لمّا كانوا يسمون الجبابرة الفراعنة تشبيهاً بفرعون موسى حُمِلت الكلمة على ذلك فقيل تفرعن أي صار كأنه من الفراعنة، واستعار الطائيّ ذلك للأجل.

(٣٥) [الضمير في أوعاره يعود على «المشهد». الروع: الخوف. الوهل: الرعب].

٣٨ قَوْمٌ إذَا وعدوا أَوْ أَوْعَدُوا غَمرُوا صِدْقاً ذَوائِبَ مَا قَالُوا بما فَعلُوا

٣٩ أُسْدُ العَرِينِ إذا ما الرَّوْعُ صَبَّحَها أو صَبَّحتْهُ، ولكِنْ غابُها الأَسَلُ

٤٠ تَناوَلُ الفَوْتَ أَيْدِي المَوْتِ قادِرَةً إذَا تَناوَلَ سَيْفاً مِنهُم بَطَلُ

٤١ لِيَسْقَمِ الدَّهْرُ أَوْ تصْحِحْ مَوَدَّتُهُ فاليَوْمَ أَوَّلَ يَوْمٍ صَحَّ لي أَمَلُ

٤٢ أَدْنَيْتُ رَحْلي إلى مُدْنٍ مَكارِمَهُ إليّ يَهتَبِلُ اللّذْ حَيْثُ أَهْتَبِلُ

٤٣ يَحميهِ حَزْمٌ لِحَزْمِ البُخْلِ مُهْتَضِمٌ جُوداً وعِرْضٌ لِعِرْضِ المَالِ مُبْتَذِلُ

٤٤ فِكْرٌ، إذَا رَاضَهُ رَاضَ الأُمورَ بِهِ رَأْيٌ تَفَنَّنَ فيهِ الرَّيْثُ والعَجَلُ

٤٥ قَدْ جَاءَ مِنْ وَصفِكَ التَّفْسِيرُ مُعْتَذِراً بالعَجْزِ، إنْ لم يُغْنِنِي اللَّهُ والجُمَلُ

٤٦ لقد لَبِسْتَ أَمِيرَ المؤمنينَ بِها حَلْياً نِظَامَاهُ بَيْتٌ سَارَ أَو مثَلُ

٤٧ غَرِيبةٌ تُؤْنِسُ الآدَابُ وَحْشَتَها فَمَا تَحُلُّ على قَوْمٍ، فتَرْتَحِلُ

---

(٣٨) ويُروى «إذا وعدوا أو واعدوا»، ويروى «مَذَانب».

(٣٩) [الأسل: الرماح].

(٤٠) أي يقوى الموت بهم ويدرك ما فات من الموت بسيوفهم. وقال الخارزنجي: يقول إذا أخذ الشجاع منهم سيفاً أخذت أيدي الموت الفوت، مثلاً، على أن الفائت لا ينال.

(٤٢) (ع) يجوز «مُدْنِي مكارِمِه» على الإضافة، و«مُدْنٍ مكارمَه» بالتنوين، وإذا أضيفت فهو نكرة؛ لأنّ إضافته غيرُ محضةٍ. و«يهتبل» يغتنم، و«اللّذْ» بسكون الذال لغة في «الذي»، وقد جاءت في «الذي» لغات أجودها «الذي» بإثبات الياء، وحُكي «اللّذِ» بكسر الذال وبسكونها، وحكى (اللّذِيُّ) بتشديد الياء، وهذا نحو من قولهم إذا كانت لي إليه حاجةٌ فكأنّها له إليّ.

(٤٣) ويروى «يَحْمِيه جِذْمٌ» وهو الأصل.

(٤٥) أي قد جاء وصفي لمساعيك مُعتذراً معترفاً بالتقصير أنه لم يبلغ غايتها إذا لم يغنني الله بالجُمل دون التفصيل.

(٤٧) الصوابُ نَصْب اللاّم، أي هي وَحْشيّة المعاني فلا يُبِين غموضَها إلاّ الآدابُ البارعةُ والافهامُ الثاقبة.

وقال يمدحه [من الطويل] :

١ أَجَلْ أَيُّها الرَّبْعُ الَّذي خَفَّ آهِلُهْ ... لَقَدْ أَدرَكَتْ فيكَ النَّوَى ما تُحاوِلُهْ!

٢ وَقَفْتُ وَأَحشَائي مَنَازِلُ لِلأَسَى ... بِهِ، وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنازِلُهْ

٣ أُسَائِلُكُمْ ما بَالُهُ حَكَمَ البِلَى ... عليهِ، وإلَّا فاتركُوني أُسَائِلُهْ

٤ لَقَد أحسَنَ الدَّمْعُ المُحَامَاةَ، بَعْدَما ... أَسَاءَ الأَسَى إِذْ جَاوَرَ القَلْبَ دَاخِلُهْ

٥ دَعا شَوْقُهُ يا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً ... فلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهْ

٦ بِيَوْمٍ تُريكَ المَوْتَ في صُورَةِ النَّوَى ... أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وأَوائِلُهْ

٧ وقَفْنَا عَلَى جَمْرِ الوَدَاعِ، عَشِيَّةً ... ولا قَلْبَ، إلَّا وهْوَ تَغْلِي مَرَاجِلُهْ

---

(١) (ع) هذا لا يمكن أن يكون إلاّ على كلامٍ متقدّم، لأنّ «أجَل» في معنى نعم، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلاّ وقد سبقَها كلامٌ من غيرك، فكأنّه ادّعى أنّ الرّبع كلّمه وشكا إليه فقال له: أجَلْ أيّها الربع! و«خَفَّ آهِلُه» أي ارتحل مَن كان فيه، يقال خَفَّ القومُ إذا ارتحلوا، و«الآهِل» يعني به القَطِينَ والخليطَ أخرجه على لفظ الواحد، يقال أهِل الرجلُ، فهو آهِل إذا كان ذا أهلٍ.

(٣) [ع] إذا رُوِي على هذا الوجه فالمعنى صحيح بيِّن: أي أُسائلكم عن خبره، فإن كنتم جاهلين بذلك فاتركوني أُسائله، أي لا تلوموني على الوقوف والإطالة. وقوله «أُسائله» موضوع موضعَ الحال، ولو أنه في غير النظم لجاز جَزْمه، وقد كان الناسُ يروُون هذا البيت «أُسائلهُ ما باله» وتكون الهاء عائدة على الربع، ويتكلمون في المراد بذلك. وأنشده بعضهم «أَسائِلَهُ» على النداء، وإنْ صَحّ أنّ الطائي قال «أسايلُه» بالهاء، فله معنى صحيح يُستحسن على مذهب الطائيّ، ويكون «أسائِلُه» في أول البيت من السؤال، وأسايلُه» في آخر البيت من السّيْل، أي يَسِيلُ دمعي ويسيل مطرُه.

(٤) إحسانه أنه جَرَى فَروَّح عن القلب.

(٥) [ق] يجوز أن يكون أراد «بناصر الشوق» الحزنَ لأنه يَضرم نارَه ويثير ما كمَن منه ويَهيج ساكنه، فيكون المعنى أنّ الشوقَ دعا مالَه واستغاث به، وهو الحزن، فأجابَه ما عليه، وكان خاذِلَه، وهو البكاءُ.

٨	وفي الكِلَّةِ الصَّفْرَاءِ جُؤْذَرُ رَمْلَةٍ	غَـدَا مُسْتَقِـلاً والفِـرَاقُ مُعَـادِلُـهْ
٩	تَيقَّنْتُ أَنَّ البيْـنَ أَوَّلُ فَـاتِـكٍ	بـهِ مُـذْ رَأَيْتُ الهَجْـرَ، وَهْـوَ يُغَـازِلُـهْ
١٠	يُـعَنِّفُنِي أنْ ضِقْتُ ذَرْعـاً بنَـأْيِـهِ	ويَجْـزَعُ أَن ضـاقَتْ عليـه خَـلاخِلُهْ!
١١	أَتـتْـكَ أَمِيـرَ المؤْمـنينَ وقَـدْ أتى	عليهـا المَلا أدْمـاثُـهُ وجَـرَاوِلُـهْ
١٢	وصَلنَ السُّرَى بالوَخْد في كلِّ صَحْصَحٍ	وبـالسُّهْد المَـوْصُولِ والنَّـوْمُ خَـاذِلُـهْ
١٣	رَوَاحِلُنـا قَـدْ بَـزَّنـا الهَمُّ أمـرَهَـا	إلـى أَنْ حَسِبْنـا أَنَّهُـنَّ رَوَاحِـلُهْ
١٤	إذَا خـلَعَ اللَّيْـلُ النَّهـارَ رَأَيْتَـهـا	بإرقالهـا مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ تُقَـابِلُـهْ
١٥	إلى قُـطُبِ الـدُّنْيـا الَّـذي لَـوْ بفَضْلِه	مَـدَحْتُ بَنِي الـدُّنيـا كَفَتْهُمْ فَضَـائِلُهْ

(٨) قال الآمدي: ومما يسأل عنه من معانيه قوله ـ وأنشد هذا البيت ـ وقال: فيقال إذا غدا مستقلاً وعادله الفراق فقد استقل معه، وإذا مضى الفراق بمضيه فقد بقي الوصال عند محبه، إذ كان ذهاب أحد هذين الضدين إنما هو بوجود الآخر، فما الذي يكنه حينئذ إذا عدم الفراق؟ الجواب أنه لم يذهب إلى هذا المعنى لكنه ذهب إلى أن مثل الفراق شخصاً يقصده في محبوبه ويغلبه عليه فلهذا قال «والفراق معادله» كأنه جعله والياً عليه، ألا تراه قال في موضع آخر:

أتـرى الفـراق يظـن أنـي غـافـل   عنـه وقـد لمسـت يـداه لميسـا؟!

فهذه السبيل سلك، وهي من استعاراته الرديئة، وقد أصلحه بعضهم فقال: «والفؤاد معادله» وذلك باطل.

(١١) قال «أتتك» فأضمر قبل الذِّكْر، وهو يريد الإبل، لأن الغرض معروف عند السامع، يقولون أقبلتْ وجاءَتْ وهم يريدون الخيل والسَّحابة ونحو ذلك. و«المَلا» المُتَّسَع من الأرض، ويجوز أن يكون اشتقاقه من مَلاَ يَمْلُو إذا عَدا عدواً شديداً. و«أدماثه» جمع دَمْثٍ وهو المكان السهل، ومنه قولهم في المثل:

★ دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قبلَ الليلِ مُضْطَجَعا ★

ويروى «قبل النوم» أي سَهِّلْ و«الجَرَاوِل» الحجارة، ويقال للمواضع التي تكثر حجارتُها جَرَاوِل.

(١٤) [ص-] يقول: تَجِدُّ في السير إذا أقبل الليل كأنّها تقابله لأنّ سير النهار أحبُّ إليها «وتقابله» بالباء يدلُّ على أن سير الليل أحبُّ إليها بجدِّها في الإرقال.

(١٥) قال الآمدي: في قوله: «إلى قطب الدنيا الذي هو بفضله...» هذا تفضيل في غاية الاستقصاء والجودة والصحة، ولا يقال مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء لقوله: «مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله».

١٦ مَنِ البأْسُ والمَعْرُوفُ والجُودُ والتُّقى عِيَالٌ عليهِ رِزْقُهُنَّ شَمَائِلُهْ

١٧ جَلا ظُلُماتِ الظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أُمَّة أَضَاءَ لهَا مِنْ كَوْكَبِ الْحَقِّ آفِلُهْ

١٨ ولاذَتْ بِحقْويْهِ الخِلافَةُ والتقَتْ على خِدْرِها أرمَاحُهُ ومَنَاصِلُهْ

١٩ أَتَتْهُ مُغذّاً قَدْ أتاهَا كأنّها، ولا شَكَّ، كانت قَبْلَ ذَاكَ تُرَاسِلُهْ

٢٠ بمُعْتَصِمٍ باللَّهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ عُرَى الدِّين والتفَّتْ عليها وَسَائِلُهْ

٢١ رَعَى اللَّهُ فيهِ للرَّعِيَّةِ رأفَةً تُزَايِلُه الدُّنْيَا ولَيْسَتْ تُزَايِلُهْ

٢٢ فأَضْحَوْا، وَقَدْ فاضَتْ إليهِ قُلُوبُهمْ ورحمَتُه فيهِمْ تَفِيضُ ونَائِلُهْ

٢٣ وَقامَ، فقَامَ العَدْلُ في كُلِّ بَلْدَةٍ خَطِيباً وأَضْحَى المُلْكُ قَدْ شَقَّ بازِلُهْ

٢٤ وجَرَّدَ سَيْفَ الحقِّ حتَّى كأنَّهُ مِنَ السَّلِّ مُودٍ غِمْدُهُ وحَمائِلُهْ

٢٥ رَضِينا على رَغْمِ اللَّيالي بِحُكْمِهِ وهَلْ دَافِعٌ أمراً وذُو العَرْشِ قائِلُهْ!

٢٦ لَقَدْ حَانَ مَنْ يُهْدي سُوَيْدَاءَ قَلْبهِ لِحَدِّ سِنَانٍ في يَدِ اللَّهِ عامِلُهْ

٢٧ وكَمْ نَاكِثٍ لِلعَهْدِ قَدْ نَكَثَتْ بِهِ أَمَانِيهِ واستَخْذَى لِحَقِّكَ باطِلُهْ

٢٨ فأمكَنْتَهُ مِنْ رُمَّةِ العَفْوِ رَأْفَةً ومَغْفِرةً إذْ أَمكَنَتْكَ مَقَاتِلُهْ

٢٩ وحَاطَ لَهُ الإقْرَارُ بالذَّنْبِ رُوحَه وجُثْمانَه إذْ لَمْ تَحُطْهُ قَبَائِلُهْ

٣٠ إذا مارِقٌ بالغَدْرِ حَاوَلَ غَدْرَةً فذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَئِيمَ حَلائِلُهْ

٣١ فإنْ باشَرَ الإصحَارَ فالبِيضُ والقَنا قِرَاهُ وأَحوَاضُ المَنَايَا مَناهِلُهْ

---

(١٦) (ص) يقول: شمائله كأنَّها تَرزقُ هذه الأشياءَ.

(٢٣) [ع] «شقَّ بازِلُه» كلمة مستعارة من صفة البعير، يقال شَقَّ بازِلُه إذا ظهر نابُه، فالنَّابُ بازِلٌ، والبعيرُ بازلٌ.

(٢٧) (ع) أصل «استخذا» الهمز، يقال استخذأتُ له إذا ذللتَ، والتخفيف في هذا وما يجري مجراه جائز.

(٢٨) [ع] قوله «مِنْ رُمَّة العفو» أي من الحبل الذي يُقتاد به، وأصل «الرُّمَّة» الحَبل البالي إلاَّ أنهم استعملوه في معنى الرَّسَن وصار مستعاراً كالمثل، يقال أخذ الشيءَ بِرمَّته إذا استقصاه.

(٣١) «الإصحار» البروز إلى الصحراء، «باشره» حضره، أي وإن خرج إلى الصحراء هرباً منك جعلت قراه ـ كقرى الضيف ـ السيف والرمح...

٣٢ وإنْ يَبْنِ حِيطَاناً عليْه، فإنّما أولئِكَ عُقّالاتُهُ لا مَعَاقِلُهْ
٣٣ وإلّا فأعْلِمْهُ بأنك ساخِطٌ ودَعْهُ فإنّ الْخَوْفَ لا شَكَّ قاتِلُهْ
٣٤ بِيُمْنِ أبي إسحاقَ طالَتْ يَدُ العُلَى وقامَتْ قَناةُ الدِّينِ واشتدَّ كاهِلُهْ
٣٥ هُوَ اليَمُّ مِنْ أيِّ النَّواحي أتيتَهُ فلُجَّتُه المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ
٣٦ تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أنَّه ثَنَاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أنامِلُهْ
٣٧ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ في كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجادَ بِهَا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهْ
٣٨ عَطاءٌ لو اسْطاعَ الّذي يسْتَمِيحُهُ لأصبحَ مِنْ بَيْنِ الوَرَى وَهْوَ عَاذِلُهْ
٣٩ إذا آمِلٌ سَاماهُ قَرْطَسَ في المُنَى مَوَاهِبُهُ حتَّى يُؤَمِّلَ آمِلُهْ
٤٠ لُهىً تَسْتَثيرُ القَلْبَ لَوْلا اتّصالُها بِحُسْنِ دِفاعِ اللّهِ وُسْوِسَ سَائِلُهْ
٤١ إمامَ الهُدَى وابنَ الهُدَى أيُّ فَرْحَةٍ تَعجَّلَها فِيكَ القَرِيضُ وقَائِلُهْ!
٤٢ رَجاؤكَ للباغِي الغِنَى عاجِلُ الغِنَى وأوَّلُ يَوْمٍ مِنْ لِقَائِكَ آجِلُهْ

---

(٣٢) [ع] «العُقّالات» جمع عُقّال، وهو داءٌ يعرض للخيل، كأنّ الفرسَ في أوّل جريه يُعقَل عن الجري ثم يزول عنه ذلك، ومنه قيل لبعض فحول الخيل ذو العُقّال، قال الشاعر:

وتَرَى جِيادَ الخيلِ حولَ بيوتنا مِن نَسْلِ أعوجَ أو لِذي العُقّالِ

و«المعَاقل» جمع مَعقِل، وأصلُ ذلك في الجبل، يقال قد عَقَلَ الوعلُ إذا حَصَلَ في موضعٍ عالٍ لا يُوصل إليه فيه، ثم قيل لكل حصنٍ مَعْقِل، ثم كثر ذلك حتى قيل فلان مَعْقِلي أي الذي امتنعُ به، وكذلك سيف فلان مَعقِلُه أي يقوم له مَقامَ المَعْقِل.

(٣٩) [وقال المرزوقي: أي يغني آمله ويصدق أمانيه حتى يبلغ به حداً يرجى له نواله ويعلق الأمل به].

(٤٠) أراد قوله تعالى ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾، أي لولا حسن دفاع الله عن سائله لتحير من كثرة ما يجد من عطائه. وفي نسخة: «لهي تستفز القلب» وفيها «وسوس حامله» وقال ذكر لأنه ذهب إلى اللفظ.

(٤٢) أي إذا رزق باغي الغني رجاءك فقد رزق عاجل مناه وآجلها. أول يوم يلقاك فيه، يعني أن رجاءه إياك أول مناه وآخرها...

113

وقال يمدَحُ مُحَمَّد بن عبد الملك الزيَّات [من الكامل] :

١ بِمُحَمَّدٍ صَارَ الزَّمانُ مُحمَّداً عِنْدي وأعتَبَ بَعْدَ سَوءِ فِعَالِهِ

٢ بمُروَّق الأخلاق لَوْ عَاشَرْتَهُ لَرَأَيْتَ نُجْحَكَ مِنْ جميعِ خِصالِهِ

٣ مَنْ وَدَّني بِلسَانِهِ وبِقَلْبِهِ وأَنَالَني بِيَمِينِهِ وشِمَالِهِ

٤ أَبداً يُفِيدُ غَرائباً مِنْ ظَرْفِهِ ورَغائباً مِنْ جُودِهِ ونَوالِهِ

٥ وسَأَلْتَ عَنْ أَمْرِي، فسَلْ عَنْ أَمْرِهِ دُوني فَحَالي قِطْعَةٌ مِنْ حَالِهِ

٦ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ بَذْلِهِ لَشَهِدْتَ لي بِوِراثَةٍ أَوْ شِرْكَةٍ في مَالِهِ

114

وقال يَمدح الحَسنَ بنَ وَهْب ، ووجّه بها إليه من المَوْصِل [من الكامل] :

١ لَيْسَ الوقُوفُ بِكُفْءِ شَوْقِكَ، فانزلِ تَبْلُلْ غَلِيلاً بالدُّموعِ فَتُبْلِلِ

٢ فلَعَلَّ عَبْرَةَ ساعةٍ أَذْرَيْتَها تَشْفِيكَ مِنْ إرباب وَجْدٍ مُحْوِلِ

---

(١) [أعتب : أزال العتب] .

(٢) أي كأنَّ أخلاقه قد رُوِّقَتْ أي صُفِّيتْ كما يُرَوَّق الشرابُ.

(٣) هذه أجود الروايتين لأن معناها بيِّن ولفظها مستقيم، ومن روى « وأمالني » بالميم فلها وجه، لأنه يقال مُلْتُ الرجلَ وأَمَلته إذا أعطيتَه المال.

(٥) [أي قرّبني حتى بات يصيبني ما يُصيبه] .

(٦) [يقول: يعطيني من ماله كأنّ لي حصة إرث أو شركة فيه] .

(١) [ع] يقول: شوقُك يعظم أن يكون وقوفُك كُفُواً له، فانزلْ بمطيّتك في هذا الربع لأنه يستحق أن يُنزل فيه. و« تُبْلِل » مِن أبَلَّ المريضُ إذا بَرَأ، يُقال بَلَّ وأبلَّ، فإن قِيل « تَبْلُلِ » بفتح التاء فحسَنٌ لأنه يُحمل على بَلَّ.

(٢) يقول: لعلَّ بكاءَك ساعةً في الدّار تشفيك من إربابِ شوقٍ قد مَرَّ له حَوْل، و« الإرباب » من قولك أرَبَّ بالشيء إذا لَزِمه.

٣ ولقَـدْ سلَوْتَ لَـوَ آنَّ داراً لَـم تَلُحْ　　وحَلُمْتَ لَـوْ أَنَّ الهَـوَى لَمْ يَجْهَـلِ
٤ ولَـطَالَـمـا أَمْسَـى فُـؤَادُكَ مَـنْـزِلاً　　ومَـحـلَّةً لِـظِبـاء ذَاكَ الـمَـنْـزِلِ
٥ إذْ فيهِ مِثْلُ المُطْفلِ الـظَّمْأى الحَشَـا　　رَعَتِ الخَـريفَ وما القَتُـولُ بِمُطْفِـلِ
٦ إنّي امـرؤٌ أَسِمُ الصَّبـابَـةَ وَسْمَهـا　　فتَغَـزُّلي، أَبَـداً، بِغيْـرِ المُـغْـزِلِ
٧ عَـالي الهَـوَى مِمَّـا تُعَـذِّبُ مُهْجَتي　　أَرْوِيَـةُ الشَّعَـفِ الّتـي لَـمْ تُسْهِـلِ
٨ شَـاكي الجَوَانِـحِ مِنْ جَوَانِـحِ ظَـالِمٍ　　شَاكِي السِّلاحِ على المُحِبِّ الأعـزَلِ
٩ تُرْدِي ولَـمْ تُبْلِغْـكَ آخِـرَ سُخْـطِهَـا　　والسُّمُّ يَـقتـلُ وهُـوَ غَـيْـرُ مُثَـمَّـلِ

---

(٣) قال: ولطالما «آسى فؤادك منزلاً» أي لطالما كان أسوة له في أن كان مركباً ومحلاً لظبائه، أي الأحباب الذين كانوا يحلونه، لأن قلبي لم يكن يخلو منهم لشدة وجده وتعلقه بهم، وكان محلاً لهم كما أن المنزل كان محلاً لهم.

(٥) [ع] «المُطْفِل» الوحشيَّة التي معها ولدها، وأراد «بالظمأى الحَشا»: الخَمِيصَة البطن إذْ ليست بمنتفخة القُرْبين، فالمعنى أنّ هذه الموصوفة كأنّها وحشيةٌ مُطْفِل وليست هي بذات طفلٍ لأنّ المرأة إذا لم تَلِدْ كان أفضلَ لها في النعت. و«القَتُول» في هذا الموضع يجوز أن يكون اسم المرأة، ويجوز أن يكون صفةً لها.

(٦) [ع] يقول: إني أضع الصبابَة في موضعها فلا أُحبُّ إلاّ مَن يستحق ذلك، ولا أتغزَّلُ إلاّ بامرأةٍ لا ولَدَ لها، وكنى «بالمُغْزِل» ـ وهي التي معها غَزالُها ـ عن ذات الطفل من الإنس.

(٧) أي أسمو بِهواي إلى المواضع المُنِيفة، ولا أرضى أن أجعله في المواطن المنخفضة، كأنّه يَدَّعي أنه يَعْلَق وَجْدُه بذوات الشرف والعِزّ، وكَنى عن مُراده بالأَرويّة لأنها تكون في شَعافِ الجبال أي رُؤوسها، وطَلَبُ الأَرويّةِ أَشَقُّ مِن طَلَبِ ظبية السَّهْل.
[ع] وبعضُهم يروي «مما تُرَقِّص هامتي» أي تلعب بعقلي حتى تُرقِّص مني الهَامَة، وهذه الرواية أشبه بمذهب الطائيّ لأنه يُؤثر الاستعارة.

(٩) [ع] إذا رويتَ «تَرْدَى» فهو خطابٌ للسامع، والمعنى تَهْلِك، ومن رَوى «تُرْدِي» بالضم فالمعنى تُهْلِك، ويجعله إخباراً عن المرأة، وسُمٌّ «مُثَمَّل» أي قد عُمِل وتُرِكَ حتى يجود، يقال ثَمَّلَه تثميلاً، ويقال سَمٌّ ثَمِيل، يقول: هذه المرأة تقتل بقليل سُخْطها كما أنَّ السم قد يجوز أن يقتل وإن لم يبلغ الغاية في إحكامه.

١٠	قَدْ أثقَبَ الحسَنُ بنُ وهبٍ في النَّدَى	نَـاراً جَلَتْ إنْسـانَ عَيْنِ الـمُجْتَلِي
١١	مَـأْدُومَـةً لِلْمُجْتَـدي مَـوْسُـومَـةً	لِلْمُهْتَـدي مَـظلومـةً لِلْمُـصْـطَلِي
١٢	مـا أَنْـتَ حيـنَ تَعُـدُّ نـاراً مِثْلَهَـا	إلَّا كـتَـالـي سُـورَةٍ لَـمْ تُـنْـزَلِ
١٣	قَـطَعَـتْ إليَّ الـزَّابيَيْـنِ هِبَـاتُـهُ	إلثَـاثَ مـأْمُـورِ السَّحَـابِ المسْبِـلِ
١٤	مِـنْ مِنَّـةٍ مَشْـهُـورَةٍ وصَـنيـعَـةٍ	بِـكْـرٍ وإحْسَـانٍ أغَـرَّ مُـحَـجَّـلِ
١٥	ولَـقَـدْ رَأيْـتُ ومـا رَأيْـتُ كَـوَارِدٍ	والـخِمْسُ بَـيْنَ لَـهَـاتِـهِ والمَـنْهَـلِ
١٦	ولَقَـدْ سَمِعْتَ فَهَـلْ سَمِعْتَ بِمُـوطنٍ	أرضَ العراقِ يُضيفُ مَن بالمَوْصِلِ ؟
١٧	لِلّـــه أيَّـــامٌ خَطَبنـــا لِينَهــا	فـي ظِلِّـه بـالخَنـدرِيس السَّلْسَـلِ

---

(١٠) و(١١)[ع] أثقَبَ النارَ إذا أضاءَها، يقال ثَقَبَتْ هي وأثقبَها غيرُها. و« مأدومة » أي كأنّها خُلِط بها الأدم. والمعنى أنّ الأضيافَ يُقْرَوْن عندها فُيؤدَم لهم الطعامُ. و« موسومة » تعرف وتُميِّز، و« مظلومة للمُصطلى »: كلُّ هذه أمثالٌ واستعاراتٌ وإن لم يكن ثَمَّ نار، وهذا يحتمل وجوهاً كثيرة: منها أنه يظلم مالَه للسائل فيعطيه منه أكثرَ ممّا يجب، وبقيّة الوُجوهِ تجري هذا المَجرى، كأنّه جعل النَّارَ تُذَلَّل للمُصطَلى فكأنها تُظلم بذلك، أو يأخذُ منها قَبَساً فيَنقصُها به وهو نفعٌ له وإدفاء.

(١٢) [أي ليست هي للاصطلاء وإنما هي للغناء ولو كانت للاصطلاء لكانت في البيوت، « والظلم » وضع الشيء في غير موضعه].

(١٣) [ع] « الزّابيان » اسمٌ يقع على موضعين مُتصلين أو متقاربين، كما يقال أبانان والشُّعْبتان، وأصلُ « الزّبْي » الحَمْل. « الإلثاث » مِنْ قولهم ألَثّ السَّحابُ إذا دَامَ مَطرُه. و« مأمور السحاب » يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون أمره اللهُ بالمطر، من الأمر، والآخر أن يكون من قولهم مُهْرَة مأمورة أي كثيرة الولد مُبَاركة.

(١٤) [محجّل: معلّم، وأصله في الخيل].

(١٥) أصلُ « الخِمْس » في أظماء الإبل، فاستعارَه هاهنا لنفسه، يقول: قد سمعتُ بالأشياء فما سمعتُ بإنسان يَرِدُ والمَنْهلُ ـ الموضع الذي يَنْهَل منه أي يَشرب ـ بينه وبين لهاته خمس، وقد فَسَّرَ ذلك في البيت الثاني وهو قوله: (ولقد سَمِعْتَ).

(١٦) يقول: ما رأيتُ أعجبَ من واردِ الماء بينه وبين ورْده الخِمْسُ وهو يشربه على بُعْده؛ وإنما أرادَ أنه أنفذَ إليه بِرّاً من بلده وبينهما مَسِيرةُ أيّام.

١٨ بمُدامَةٍ نَغَمُ السَّماعِ خَفيرُها لا خَيْرَ في المَعْلُولِ غيرَ مُعَلَّلِ
١٩ يَعْشَى عليها، وَهْوَ يَجْلُو مُقْلَتَي بَازٍ ويَغْفَلُ، وهْوَ غيرُ مُغَفَّلِ
٢٠ لا طائِشٌ تَهْفُو خلائقُهُ ولا خَشِنُ الوَقارِ كأنَّهُ في مَحْفِلِ
٢١ فَكِهٌ يُجِمُّ الجِدَّ، أحياناً، وقَدْ يُنْضَى ويُهْزَلُ عَيْشُ مَنْ لم يَهْزِلِ
٢٢ قَيْدُ الكَلامِ لِسانُه حِصْنٌ إذا أضحَى اللسَانُ اللَّغْبُ مِثْلَ المَقْتَلِ

---

(١٨) [ع] جَعلَ نَغَمَ السَّماعِ كالخفير لِلْمُدامة، و«المعلول» الذي يُعَلُّ بالشراب أي يسقى مرةً بعد مرة، و«المُعَلَّل» كلُّ من علِّل بشيءٍ من الأشياء، يقال للرجل علِّلنا أي غنِّنا [ص] أي لا خيرَ فيمن يُعَلُّ بالرَّاح ولا يُعلَّل بالغناء. والجيِّد أن يقال لا خيرَ في الشراب الذي يُعَلُّ به صاحبُه ما لم يكن مُعَلّلاً بالغناء، والتقديرُ لا خيرَ في المعلول به غيرَ مُعلَّلٍ بالغناء.

(١٩) [ع] «يَعْشَى» يعني المعلول، يقول: يضعف بصرُه، أي لا يَرَى عيْبَ نديمه وهو أشدُّ بصراً من بازٍ، وهم يصفون البازيَ والصقر والعقاب بحدّة النظر قال الشاعر:

كأنّي أشهلُ العينين طاوٍ على علياءَ شبَّهَ فاستحالا

يعني بازياً، وقال آخر:

وإني وهَجْري الإنْس من بعد وَصْلِهِمْ وتَرْكيَ خِلاًّ كنتُ ما إن أزايلُهْ
لَكالصَّقْرِ جَلَّى بعد ما صاد قينةً قَديراً ومَشْوِياً عَبِيطاً خَرَادِلُهْ

يقول: هذا الشارب يَغْفُل إذا شرب وهو غير مُغفَّل في الحقيقة، وأصل «العَشَا» ألاَّ يبصر بالليل شيئاً، ثم استعير ذلك في قِلَّة البصيرة ونحوها.

(٢٠) أي ولا هو صُلْب لا ينبسط من أجله نُدَماؤه.

(٢١) «يُجِمُّ الجِدّ» استعارَه من إجمام الفرَسِ وهو أن يُترك من الرُّكوب، اي أنه يَذَر الجِدَّ أحياناً، وهذا كما جاءَ في الحديث: «أريحوا القُلوبَ تَعِ الذِّكْرَ» ويقال هَزَلَ الرجلُ مِن الْهَزل الذي هو ضد الجِدّ، فهو يَهْزِل بكسر الزَّاي، والمعنى أن الإنسان إذا حَمَلَ أمرَه على الجِدّ لقي شِدَّة من العيش تُنضيه، لأنَّ الإنسان يمَلّ لزُومَ الطريقة الواحدة.

(٢٢) [ع] استعار «اللَّغْب» من السِّهام وهو الضعيف الريش فجعله للسان، وجعل الممدوحَ قَيْدَ الكلام أي أنه يُقيّده، كما يقال فلان قَيْدُ مائةٍ أي إذا أُسِرَ أُخِذ في فِدائه مائةٌ من الإبل، وهذا الفرس قَيدُ الأوابد أي إذا طُرِدت عليه فكأنها مُقَيَّدة، أي لسان هذا الرجل كأنه يُحصِّن الأجَلَ إذا كان لسانُ غيره كالمَقْتَل، أي يُخشى منهُ القتل. ومَنْ رَوَى «الْمُقْفَل» فله وجه صحيح إلاَّ أنَّ «المَقْتل» أشبه بصدر البيت.

٢٣ أذُنٌ صَفُـوحٌ ليسَ يَفتَـحُ سَـمْعَـهـا لِـدَنِـيَّـةٍ وأنـامـلٌ لَـمْ تُـقْـفَـلِ
٢٤ لا ذُو الحُقُـودِ اللُّقَّـحِ الـلاَّتي تَـرى كَشْحَ الصَّديقِ ولا العِدَاتِ الْحُيَّـلِ
٢٥ نَـفْـسِـي فِـدَاءُ أَبي عَـليٍّ، إنَّـه صُبْـحُ المؤَمِّـلِ كَـوْكَبُ المُتَـأَمِّـلِ
٢٦ قَـدْ كُنْتَ لِلْمُتَمَـوِّهِ المُكْـدِي أخـاً مِثْـلاً فـأوجَفَ بي مـعَ المُتمـوِّلِ

---

(٢٣) و(٢٤) [ع] «صَفُوحٌ» يحتمل أن يكون مِن صَفَح عن الذنب، ويجوز أن يكون من قولهم صَفَحَ إذا مالَ بصفحته، كما قال كثيِّر:

صَفُـوحـاً فمـا تلقـاكَ إلاّ بخيلـةً فمـن مَـلَّ منهـا ذلـك الوَصْـل مَلَّـتِ

والأصلُ في المعنيين واحد. «وسَمُّ الأُذُن» ثَقْبُهَا الذي يُسْمَع به، ولمَّا ذكَر الفتح في أول البيت استعار الإقفال للأنامل؛ وهذا يدلّ على أن قافية البيت الأول «المَقْتَل» وأنّ «المَقْفَل» تصحيف واستعار «اللِّقَاح» لِلحقْد كما يُستعار للحرب وغيرها. ويجوز «اللاتي» و«اللائي»، و«تَرِي» من وَرِيْتُه إذا أصبتَه، وهو داءٌ في الجوف، قال الراجز:

قد ادلَغَفَّتْ وهْيَ لا تَرَاني
إلى البيوت مِشية السَّكرانِ
وحُبُّها في الصدرِ قد وَرَاني

و«الكَشْح» الخاصرة، وقولهم العدوّ الكاشح: هو الذي يُضمر العداوة في كَشْحِهِ، وقيل هو مِن كَشَحَ إذا وَلاَّه خاصرته، كما يقال نَكَبَ عنه إذا ولاَّه مَنْكِبَه. وقيل «الكاشح» من قولهم كَشَحَ القومُ إذا افترقوا، ومن الأمثال القديمة: «جَرْيُ المذَكِّي كَشَحَتْ عنه الحُمر». [ع] و«الحُيَّل» جمع حائل، وهي التي لم تَحْمِل، و«الحُوَّل» بالواو أجودُ لأنه من ذَوات الواو فتظهر في جمعه، كما يقال صائمٌ وصُوَّم وقائم وقُوَّم، وقد قُلِبت إلى الياء، استثقالاً للتشديد مع الواو، كما قالوا صُيَّم في جمع صائم ونُيَّم في جمع نائم، وهما من الصَّوْم والنَّوْم.

(٢٦) [ع] «المتَموِّه» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من التمويه الذي هو إظهار شيءٍ في الباطن غيرُه، وإنما يُراد بذلك التَّحمل والتَّنفُّق، أي كنتُ أُموّه نفسي فأتموَّه، أي أُظهر أنّي غنيّ وأنا مُكْدٍ. والآخَر: أن يكون من قولك تَموَّهتُ أيْ طلبتُ الماءَ بالحَفْر ونحوه، وهذا الوجه أشبهُ من الأول. و«المُكْدِي» الذي قد بلغ كُدْيَةً من الأرض وهي صَفَاة غليظة. و«أوجَف» من الوَجيف وهو ضرب من السير؛ و«المُتَموِّل» صاحب المال.

٢٧ أكْـرِمْ بِنِـعْـمَـتِـه عـليَّ ونِـعْـمَـتِـي	مِنها على عَـافٍ جَـدَايَ ومُـرْمِـلِ
٢٨ تـاللَّهِ مـا أحْلَـى مَـرَاشِفَهـا علـى	حَنَـكٍ وأجمَلَهـا على مُـتَجَـمِّـلِ
٢٩ لَمْ يَقْـرِنِي بِشْـرَ البخِيـلِ يُغِيـرُ في	أَملي، ولم يَشْمَـخْ بـأَنْفِ المُفْضِـلِ
٣٠ وغَـدَا فـلَمْ يُـطْلِلْ عَـليَّ بـطَـرْفِـهِ	شَـوَساً وذُو المعـروفِ يَنظُرُ مِنْ عَـلِ
٣١ مُـتَـقَـيِّـلاً وَهْـبـاً وتِـلْـكَ خـلائِـقُ	فَضْفَـاضَـةٌ شَـطَطٌ على المُتَقَيِّـلِ
٣٢ وابنُ الكَـريـم مُـطَالَبٌ بـقَـديمِـه	غَلِقٌ وصَـافِـي العَيْش لابـن الزُّمَّـلِ
٣٣ والْحَمْـدُ شَهْـدٌ لا تـرى مُشْتَـارَهُ	يَـجْنِيـهِ إلَّا مِنْ نَـقِيـعِ الْحَنْظَـلِ
٣٤ غُـلٌّ لِـحَـامِله ويَـحْسَبُـه الـذي	لَمْ يُـوهِ عَـاتِقَـهُ خَفِيـفَ المَحْمَـلِ

(٢٧) «المُرْمِل» الذي يَلجأُ إليّ ويقصدني [ع] و«المُرْمِل» القليل الزّاد والمال وأصلُ ذلك أنه قد فنِيَ ما عنده فلم يبق له إلاّ الرَّمْل، كما أنَّ المُدْقِع الذي قد لَصِق بالدَّقْعاء [ع] ومَن روى «عافي جدَايَ» على إضافة «العافي» فلا يجوز أن يَرْوِي إلاّ «مُرْمِلي» بالياء إذ حُمِل ذلك على ما يُعرف من مذهب الطائيّ، فإنْ نُوِّن «عَافٍ» ساغَ أن يُروى «ومُرْمِلِ» بغير ياء، هذا الذي تحكم به صناعةُ النظم.

(٢٩) كأنّه يَنتهِبُ الأملَ فيذهبُ به. بِشْرُ البخيلِ لا فائدة فيه غيرُ الطَّمع.

(٣٠) [ع] «يُطْلل» مِن أطَلَّ على الشيء إذا أشرف عليه، وقد شَرَحَ أوّل البيت بآخره لأنّ قوله «وذو المعروف ينظر من عَلِ» كالبيان للجملة الأولى.

(٣١) [ع] يقال «تَقَيَّلَ» أباه إذا أشبهه. و«فَضْفاضَة» أي واسعة، و«شَطَط» أي ذات جَوْز. و«المُتَقَيِّل» في آخر البيتِ ليس للممدوح، وإنما يريد أنّ خلائق والدِه واسعةٌ تُشِطُّ على مَن تَقَيَّلَهَا مِنْ غير ولدِه، فأمّا ولدُهُ فهي غير شاقّة عليه لأنه فُطِر عليها. وقد يجوز أن يعني به الممدوح لأنّ كلامه بعد ذلك قد دَلَّ عليه، فيكون مثل قول زهير:

هـو الجـوادُ فـإنْ يَلْحَـقْ بشـأوهمـا	علـى تكـاليفـهِ فمِثْلُـه لَحِقـا
أو يَسبِقاهُ علـى مـا كـانَ مِـنْ مَهَـلٍ	فمِثْلُ مـا قَـدَّمـا مِـن صـالـحٍ سَبَقـا

(٣٢) [ع] «الزُّمَّل» الضعيف، وهذا البيت يُقوّي كون «المُتقيِّل» في البيت الذي قبله للممدوح، والمعنى الأول آكَدُ في المدح لأنه في الثاني يجعل الولدَ في مشقّةٍ من اتّباع أخلاق أبيه.

(٣٣) هذا نحو قوله:

لا تَحْسِـب المجـدَ تمـراً أنـت آكِلـهُ	لـن تُـدْرِكَ المجدَ حتـى تعلـقَ الصَّبِـرا

(٣٤) أي اكتسابه صَعْب ثقيل على حامله، ومَن لم يُجرّبه يقدّره خفيفاً

٣٥ هَلْ تَشْكُرَن لكَ المُروءَةُ أَنْ جَلَتْ ... كَفَّاكَ دَاثِرَها جِلاءَ المُنْصُلِ!

٣٦ لَوْلاَكَ كانَتْ ثُلْمَةً لم تَنْسَدِدْ، ... أبداً، وكانَتْ عِدَّةً لم تَكْمُلِ

٣٧ فمَتى أُرَوِّي مِنْ لِقَائِكَ هِمَّتي ... ويُفيقُ قَوْلي مِنْ سِوَاكَ ومِقْوَلي؟!

٣٨ وتهُبُّ لي بِعَجَاجِ مَوْكِبكَ الصَّبَا ... إنَّ السَّماحَةَ تحت ذَاكَ القَسْطَلِ

٣٩ بالرَّاقصَاتِ كأنَّها رَسَلُ القَطَا ... والمُقْرَباتِ بهِنَّ مِثْلُ الأفْكَلِ

٤٠ مِنْ نَجْلِ كلِّ تَليدةٍ أعراقُهُ ... طِرْفٍ مُعَمٍّ في السَّوابِقِ مُخْوَلِ

٤١ كالأجدَلِ الغِطْرِيفِ لاحَ لِعَيْنِهِ ... خُزَزٌ وأنتَ عليهِ مِثْلُ الأَجْدَلِ

٤٢ يَرْدِي بأَرْوَعَ يَغْتَدِي ويَرُوحُ مِنْ ... زُوّارِه وضُيوفِهِ في جَحْفَلِ

٤٣ حَتَّى تَقَرَّ عُيونُنا وقُلوبُنا ... بالماجدِ المستَقْبلِ المُسْتَقْبَلِ

---

(٣٥) [ع]: «كفَّاكَ نُقْبَتَها جِلاءَ الصَّيْقلِ»، «النُّقْبة» اللون، وقِيل جِلدة الوجه، وكلاهما مستعار للمروءة لأنها لا لون لها ولا جلدة وجه، وعلى هذا المعنى قول الراجز:

هل عندَ النُّقْبةِ الحَيِيَّهْ
لَوِيَّةٌ تَشْفِي مِنَ البليَّهْ

فسَّروا «النُّقبة» ها هنا الوجه وجعلوا «الحيِيّة» صفةً للنقبة، ولا يمتنع أن تكون «النُّقْبة» الموضع الذي تنظر منه المرأةُ المُنْتَقِبة؛ «والنُّقبة» أيضاً شيء كالسراويل له حُجْزَة وأسفَله كالثوب، قال جِرَان العَوْد:

عليكَ بِرَبّاتِ النُّمُور فإنّني ... رأيتُ لِقاء الموتِ في النُّقَبِ الصُّفْرِ

يقول: عليك بالإماء.

(٣٧) ويُروى «هامتي»، يقول: متى أملأُ عيني من لقائك وأشفي غُلّة شوقي.

(٣٩) [ع] «الراقصات» الإبل، والرقص ضربٌ من سيرها وقد كثر في كلامهم القَسَم بالراقصات إلى منى. «والأفكل» الرِّعْدة.

(٤١) «الغِطْريف» الظريف المُتيقِّظ، «والخُزَز» ذَكَر الأرانب والأنثى عِكْرِشَة [ع] «والأَجْدَل» الصقر، يُشَبَّه به الفَرَسُ والإنسانُ، وهو يُستعمل مرةً اسماً ومرةً وصفاً، فإذا استُعمل اسماً صُرِف في النكرة وإذا استعمل وصفاً لم يُصرف.

(٤٣) [ع] «المُسْتَقْبَل» يحتمل أن يكون من استقبال الغائب ومن استقبال العُمْر، وأيّهما شئتَ جعلته الأوّل. واستعار «تَقَرّ» للقلوب، وإنما هو للعيون، وهذا أيسرُ من أن يُضمَر فِعْلٌ للقلوب غير «تَقَرّ» المستعملة في الأعينُ.

٤٤ بِمُحَمَّدٍ ومُكَفَّرٍ ومُحَسَّدٍ ومُسَوَّدٍ ومُمَدَّحٍ ومُعَذَّلِ
٤٥ بِحَديقةِ الأدَبِ الّتي قَدْ حُصِّنَتْ باللُّبِ إنَّ العَقْلَ أحْرَزُ مَعْقِلِ
٤٦ بِسِرَاجِ كُلِّ مُلِمَّةٍ في لَوْنِها كَلَفٌ ومَعْلَمِ كُلِّ أرضٍ مَجْهَلِ
٤٧ فانهَضْ وإنْ خِلْتَ الشِّتاءَ مُصَمِّماً حَزْنَ الخليقةِ جامِحاً في المِسْحَلِ
٤٨ فَلَدَيْكَ آلاتٌ جَنُوبٌ كُلُّها فاحْطِمْ بأصْلَبِهِنَّ صُلْبَ الشَّمْأَلِ
٤٩ عامٌ وشَهْرٌ مُقبلانِ كِلاهما ما استْجمعا إلّا لحظٍّ مُقْبِلِ
٥٠ والوَقْتُ بَسّامٌ يُخَبِّرُ أنّهُ مِنْ خَيْرِ عُضْوٍ في الزَّمانِ ومَفْصِلِ

---

(٤٤) [ع] قوله «بِمُحَمَّدٍ» بدل من قوله «بالمستقبَل» ثم عطفَ بعضَ الصفة على بعض كما قال تعالى «وسَيِّداً وحَصُوراً ونبيًّا من الصالحين». «والمُكَفَّر» يحتمل أن يكون من كُفْر النّعماء أي إنه تُكْفَر نَعمُه وهو لا يمتنع من الإحسان إلى الكافر، ولا يبعد أن يكون قوله «ومُكَفَّر» من كفرتُ الشيءَ إذا سترتَه، أي إن الناسَ يجتمعون حوله حتى يَكْفُره بعضُهم عن بعض، ويجوز أن يكون من قولهم كَفَر الذِّميُّ إذا وضعَ يديه على صدره وهو يريد التعظيم للرئيس والخُضوع له، كما قال:

فإذا سمعتَ بحربِ قيسٍ بعدَها فضعوا السلاحَ وكفِّروا تكفيرَا

(٤٧) أصل «التَّصْميم» أن يُصيب السيفُ غيرَ مَفْصِل فيقطع، وإنما أُخِذ من صميم الشيء وهو خالُصه وأشدُّه، ومن ذلك قالوا للشدَّةِ صمَّة، ثم قيل لكل جادٍّ في أمر مُصَمِّم، قال المازنيّ:

إذا هَمَّ ألقَى بين عَيْنيه عَزْمَه وصَمَّمَ تصميمَ السُّرَيجيّ ذِي الأثْرِ

[ص] «والمِسْحَل» جانب حديدة اللجام، وهذا مستعار للشتاء وأصله للفرس كما قال جرير:

غَمْرَ البديهةِ جامِحاً في المِسْحَلِ

(٤٨) [ع] قد تَردَّد في شعر الطائيّ وشعر غيره حَمْدُ الجنوب لأنها تجيء بالمطر، ويَذمُّون الشَّمال لأنها تَهُبُّ في الشتاء ويكون معها بَرْد.

(٤٩) أي مَن سافَر في هذا الوقت حَمِدَ عاقبةَ سفرِه.

وقال يمدحُ مالِكَ بن طَوْق [من البسيط] :

١ قُلْ لابنِ طَوْقٍ رَحى سَعْدٍ إذَا خَبطَتْ نَـوائِبُ الـدَّهْـرِ أَعْـلاهـا وأسفَلَهـا
٢ أُصبَحْتَ حـاتِمَهـا جُـوداً وأَحنَفَهـا حِلْمـاً وكيِّسَهـا عِـلْمـاً ودَغفَـلهـا
٣ مـالي أَرَى الْحُجْـرَةَ الفَيْحـاءَ مُقْفَلَةً عنِّي وقَـدْ طَالَمـا استَفْتَحتُ مُقْفَلَهـا!
٤ كـأنَّهـا جَنَّـةُ الفِـرْدَوس مُعْـرِضَـةً ولَـيْسَ لـي عمـلٌ زَاكٍ فـأَدخُـلَهـا

---

(١) «أرحاء العرب» شُبِّهوا بأرحاء الطحن، وهم قبائل تكون لكل قبيلة منهم أرض تحلّها وتحميها ومياه تردها، تستدير بتلك البلاد ولا تظعن عنها في شتاء ولا صيف؛ «والأرحاء» فيما ذكر أبو عُبيدة ستّ؛ اثنتان في مُضَر وهما كِنانة بن خزيمة، وتميم بن مُر، واثنتان في ربيعة وهما بكر بن وائل، وعبد القيس بن أفصى، واثنتان في اليمن وهما طيء بن أُدَد، وكلب بن وَبْرَةَ. وأراد الطائيّ «برحَى سعد» أن هذا الممدوحِ عماد لقومه يُطيفون به، وأومأ إلى أنه كأحَدِ هذه الأرحاء المتقدّم ذكرها في عظم الشأن وحماية البلاد، ومن ذلك قيل رَحَى العربِ أي مُعظمُها وموضعُ مجالها. وقد يجوز أن يكون الأصل في هذا أن «الرَّحى» أرض مرتفعة مستديرة، فشُبِّهت القبيلةِ بها كما شُبِّهت بالجبل والهَضْب، قال الشاعر

إذا مـا القُـفُّ ذو الرَّحْبَيْـن أبـدَى زَخَـارفَـه وأفـرخَـتِ الوكُـورُ

القفّ: ما ارتفع وغلظ من الارض.

(٢) «حاتم الطائيّ» مشهور، «والأحنف بن قيس» بن سعد بن زيد مَنَاة، والمعروف في النَّسابين زيد بن الكيّس ودَغْفَل، ويجوز أن يكون الطائيّ استغنى بالكَيِّس وهو أبوه عن ذِكْره، لأنّ المشهور هو زيد، قال الشاعر:

فمـا ابـنُ الكيِّس النَّسـابُ منكـم ولا أنتـم هنـاكَ بِـدغْفَلينـا

وهذين الرجلين عني القطاميّ بقوله:

أحـاديـثُ مِـنْ عَـادٍ وجـرهُـمَ جمَّـةٌ يُثَـوِّرهـا العِضَّـانِ زَيْـدٌ ودَغْفَـل

فإن كان الطائيّ أراد زيد بن الكيّس فاستغنى بالأب فهو كما قال أوس:

فهـل لكـمُ فيهـا إلـيّ فـإنّنـي بَصِيرٌ بمـا أعيـي النّطـاسـيَّ حِـذْيمـا

أراد ابن حِذَيم فيما ذكر الرواة. (ح): «النَّمر بن تَولب» كان يُسمّى الكيّس لحلمه.

(٣) [الفيحاء الواسعة].

وقال يمدح أبا الوليد بن أحمد بن دُوَاد الإياديّ [من الكامل] :

١	بَـوَّأْتُ رَحْلي في المَـرَادِ المبْقِـلِ	فَـرتَعْتُ في إثْـرِ الغَمَـامِ المُسْبِـلِ
٢	مَـنْ مُـبْلِغٌ أَفْنَـاءَ يَـعْـرُبَ كُـلَّهَـا	أَنِّي ابْتَنَيْتُ الْجَـارَ قَبْـلَ المَنْـزِلِ
٣	وأَخَذْتُ بالـطِّوَلِ الـذي لم يَنصَرِمْ	ثِنْيَـاهُ والعَقْـدِ الذي لَـمْ يُحْلَـلِ
٤	هَتَـكَ الـظَّلامَ أبـو الـوليـدِ بغُـرَّةٍ	فتحتْ لنا بَـابَ الـرَّجـاءِ المُقْفَـلِ
٥	بِـأَتَـمَّ مِـنْ قَمَـرِ السَّمـاءِ وإن بَـدا	بَـدْراً وأحسنَ في العيُـونِ وأجمَـلِ
٦	وأجَـلَّ مِـنْ قُسٍّ إذَا استَنْـطَقْـتَـهُ	رَأيـاً وألْـطَفَ في الأُمُـورِ وأَجْـزَلِ
٧	شَـرْخٌ مِنَ الشَّـرَف المُنِيفِ يَـهُـزُّه	هَـزَّ الصَّفيحَـةِ شَـرْخُ عُمْـرٍ مُقْبِـلِ
٨	فـاسلَمْ لِجِـدَّةِ سُؤْدُدٍ مُسْتَـقْبَـلِ	أُنُـفٍ وبُـرْدِ شَبيبَـةٍ مُسْتَـقْبَـلِ
٩	كَـمْ أَدَّتِ الأَيَّـامُ مِنْ حَـدَثٍ كَـفَتْ	أَيَّـامُـهُ حَـدَثَ الـزَّمـانِ المُعْضِـلِ
١٠	لِلمَحْـلِ يَكْشِـفُـهُ ولم يَـبْعَـلْ بِـهِ	والـثِّقْـلُ يَـحْمِـلُه وليس بِـمُـثْـقَـلِ
١١	والْخَـطْبُ أَمَّتْ مِنْـكَ أُمَّ دِمـاغِـهِ	بـالقُلْبِ الماضي الجَنـانِ الحُـوَّلِ

(٢) [ع] جعل الجار يُبتنَى كما تُبتنى الدّار، وهذا مجانس لقوله تعالى «ومكروا وَمَكَرَ اللهُ» لأنه جعل جزاءَهم على المكر مكراً، وكذلك الجارُ لمّا كان حالاً إلى جانب الدّار، جازَ أن يُستعار له ما هو لها في الحقيقة، وذلك مثل قولهم للرجل إذا رَأوْه يَخيط ثوبه وقد انهدَمَ له بيتٌ: خياطةُ بيتك أوجبُ من خياطة ثوبك، والبيتُ لم تجرِ العادةُ باستعمال الخياطة فيه، ومثل هذا كثير، يُستعار ما هو للشيء المُقارِب غيرَه فيُنقَل إلى ما قارَبَه، ويُقوّي قوله «ابتنيتُ الجارَ» أن الابتناء تثبيتٌ وإحكام، أي أوثقتُ أمري مع الجار وارتَدْتُ أفضلَ مَن أقدِرُ عليه.

(٣) [ع] «الطِّوَل» الحَبْل، و«ثِنْياه» طَرَفاه، والعربُ تكني عن العقدة والعَهْد بالحَبْل.

(٥) [يفضّله على البدر في الجمال].

(٦) [يقول إنّه أبلغ من قسّ بن ساعدة].

(٧) [الشرخ: الأصل، والثانية: الأول. المنيف: العالي].

(١٠) [يقال: بعل بأمره بعلاً إذا برم، فلم يدرِ كيف يصنع].

(١١) [ع] «أَمَّتْ» يحتمل وجهين يرجعان إلى معنًى واحد: أحدهما أن يكون «أَمَّت» من قولهم الأمّ =

١٢ ومَقامةٍ نَبْلُ الكَلامِ سِلاحُها ... لِلقَوْلِ فيها غَمْرَةٌ لا تَنْجَلي

١٣ قَوْلٌ تَظَلُّ مُتُونُهُ مُنْهلَّةً ... سَمَّيْنِ بينَ مُقَشَّبٍ ومُثَمَّلِ

١٤ فَرَّجْتَ ظُلْمَتَها بِخُطْبَةِ فَيْصَلٍ ... مَثَلٌ لَها في الرَّوْعِ طَعْنَةُ فَيْصَلِ

١٥ جُمِعَتْ لَنا فِرَقُ الأماني منكمُ ... بأَبَرَّ مِنْ رُوحِ الحيَاةِ وأوصَلِ

١٦ فَصَنِيعَةٌ في يَوْمها وصَنِيعَةٌ ... قَدْ أحوَلَتْ وصَنِيعَةٌ لم تُحْوِلِ

١٧ كالمُزْنِ مِنْ مَاضِي الرَّبابِ ومُقْبِلٍ ... مُتَنَظَّرٍ ومُخَيِّمٍ مُتَهَلِّلِ

١٨ لي حُرْمَةٌ والتْ عليَّ سِجَالَكُمْ ... والمَاءُ رِزْقُ جِمَامِه للأوَّلِ

١٩ إنْ يَعْجَبِ الأقْوَامُ أنِّي عِندكُمْ ... مِنْ دُون ذِي رَحِمٍ بها مُتَوَسِّلِ

٢٠ فَبَنُو أُمَيَّةِ الفَرَزْدَقُ صِنْوُهُمْ ... نَسَباً وكَانَ وِدَادهُم في الأخْطَلِ

= الذي هو القَصْد، والآخر أن يكون من الشجّة الآمَّة التي تبلغ أُمَّ الدِّماغ مِن العظام.

(١٢) [ع] «المَقامَة» المجلس والمحْفِل الذي يُقام فيه بالخطبة والكلام الذي يُراد به مصلحة القوم، لمشورةٍ في حرب أو حَمْل دياتٍ أو نحو ذلك، وربما قيل «المَقَامة» العشيرة، والمُراد أنهم إذا اجتمعوا قام فيهم القائم فتكلَّم فيما يُريد، فصاروا كالمَوْضع للقيام.

(١٣) «المقشَّب» مِن السَّمِّ يُجْمَع من أخْلاطٍ شتَّى، يقال نَسْرٌ مُقَشَّب إذا أُلقِيَ له ذلك الفَنُّ من السِّمام، ونَسْر قَشِيب أيضاً.

(١٤) [ع] يجوز «مِثْلٌ لها» والمعنى أنه يقولُ كلمةً تفصل بين القوم، فكأنّها طعنةُ فَيْصلٍ، وهي التي يُطعن بها رئيس القومِ في الحرب فتؤدِّي إلى قتله، فيكون ذلك سبَب انهزامهم، ولا تُغادر لهم تلك الطعنة بقيَّةً ولا ثَباتاً في الموقف.

(٢٠) أراد أنَّ بني أميَّة من مضر، وتميمُ بن مُرٍّ من مضر أيضاً والفرزدقُ منهم، وكنانة من خُزَيمة وتميم بن مُرّ يجمعهم خِنْدف وهي ليلى بنة حُلوان بن عمران بن إلحافِ بن قضَاعة، فجعل الطائيّ الفرزدقَ صِنْواً لبني أميَّة أي أخاً، كما يقال للرجل يا أخا مضر، أي أنه واحدٌ منهم وإن كان النسبُ مُتباعِداً، وإذا حُمِل الأمرُ على ذلك فبنو آدم كلهم أخوة! و«الأخطل» من ربيعة، فأراد الطائيّ أنّ بني أميَّة كانوا يُقرّبون الأخطلَ والفرزدقُ أقربُ إليهم في النّسَب. يقول: فأنا من طَيِّءٍ وأنتم من إياد بن نزار، وقد مِلْتُ عن قومي إليكم، وآثرتموني على غيري من الشعراء، فكان مَثَلي معكم مَثَلَ الأخطل مع بني أميَّة، لأنهم قرَّبوه وهو من ربيعة وتركوا الشاعر المُضَرِيّ [ع] وفي بعض النسخ «وبنو أمية والفرزدق» بواو، وفي آخر البيتِ «ووِدادهم للأخطلِ» وذلك رديء لأنه يفتقر إلى أن يجعل إحدى الواوين زائدة، ويجب أن يكون الطائيّ قال «فبنو أميَّةِ الفرزدقُ» =

وقال في عِلَّة أحمد بن أبي دُوَاد [من البسيط] :

١ لا نَالَكَ العَثْرُ مِنْ دَهْرٍ ولا زَلَلُ ... ولا يَكُنْ لِلعُلا في فَقْدِكَ الثُّكَلُ

٢ لا تَعْتَلِلْ إنَّما بالمَكْرُمَاتِ إذا ... أنتَ اعتلَلْتَ تُرَى الأوجَاعُ والعِلَلُ

٣ تَضاءَلَ الجُودُ مُذْ مُدَّتْ إليكَ يَدُ ... مِنْ بَعْضِ أيدي الضَّنَى واستأسَدَ البَخَلُ

٤ لم يَبْقَ في صَدْرِ رَاجِي حَاجَةٍ أَمَلُ ... إلّا وقَدْ ذَابَ سُقْماً ذلكَ الأمَلُ

٥ بَيْنا كذلِكَ والدُّنْيا على خَطَرٍ ... والعُرْفُ فِيكَ إلى الرَّحْمنِ يَبْتَهِلُ

٦ وأَعْيُنُ الخَلْقِ تُعطِي فوقَ ما سُئِلَت ... عليكَ والصَّبْرُ يُعْطي دُونَ ما يُسَلُ

٧ حَبا بكَ اللّهُ مَن لَوْلاكَ لانبعَثَتْ ... فيهِ اللَّيالي ومنها الوَخْدُ والرَّمَلُ

٨ سُقْمٌ أُتِيحَ لَهُ بُرْءٌ فَذَعْذَعَهُ ... والرُّمْحُ يَنآدُ حِيناً ثُمَّ يَعْتَدِلُ

٩ وحَالَ لَوْنٌ فرَدَّ اللّهُ نَضْرَتَهُ ... والنَّجْمُ يَخمدُ شيئاً ثُمَّ يَشْتَعِلُ

= بالتنوين وحذف الواو.

(٣) [ع] «استأسَد» أي عظم شأنه فصار كالأسد، ويجوز أن يكون من قولهم استأسَد النبتُ إذا اتصل بعضه ببعض.

(٦) [ع] أي أنَّ الناس يبكون من شدَّة جزعهم فتجود أعيُنهم بأكثر مما يُطلَب منها، والصبرُ يُسأل فلا يُعطِي إلاّ قليلاً نَزْراً.

(٧) [ع] أجود الكلام أن يقال لولا أنت لانبعثت فيه الليالي، أراد خطوبَ الليالي وَرَزَاياها التي كانت تَفتَنُّ في أذاه كما تَفتنُّ الإبلُ في سيرها فتخِدُ وتُرْقِل.

(٨) عاب الآمدي هذا التمثيل على أبي تمام كما جاء في ظ، قال: لأن الرمح لا ينآد من عيب فيه ولا علة تعرض له فيجعله مثالاً للسقم، بل إنما ينآد من لينه، واللين هو المحمود فيه، فإذا لم يك فيه لين فقد يبس وجف وصار حطباً. والعذر له يتوجه أن يكون أراد بقوله «ينآد حيناً» أي يكون معوجاً وقتاً فيثقف فيعتدل، ألا ترى إلى قوله في موضع آخر: ما في متنه أود: أي اعوجاج.

(٩) قال الآمدي: وهذا مما يسأل عنه فيقال أي نجم رآه خمد ثم اشتعل؟ فإنما النجم يستره بخار أو هبوة فإذا انجلت أضاء.

١٠ أجْـرُ أَتَـاكَ ولَمْ تَعْمَـلْ لَـه وبَـلاً   فِكْـرُ المُقيم على تَـوْحِيـدِه عَمَـلُ

118

وقال يمدح أبا بِشْرٍ عَبد الحميد بن غالب [من الكامل] :

١ أَمَّـا أَبـو بِشْـرٍ فَقَـدْ أَضحَى الـوَرَى   كَـلًّا عـلى نَـفَـحـاتِـه ونَـوَالِـهِ

٢ فَـمتَى تُلِمَّ بِـهِ تَـؤُبْ مُـسْتَيـقِنـاً   أَنْ لَـيْس أَوْلَى مِـنْ سِـوَاهُ بِـمالِـهِ

٣ كَـرَمٌ يَـزِيـدُ على الكـرام وتَحْتَـهُ   أدبٌ يـفُـكُّ الـقَـلْبَ مِـنْ أغْـلَالِـهِ

٤ أُبْـلِيـتُ مِـنْـهُ مَـوَدَّةً عَـبْـدِيَّـةً   رَاشَـتْ نبَـالـي كُـلَّهَـا بِـنِـبـالِـهِ

٥ حتَّى لَـو انَّـكَ تَـسْتَشِفُّ ضَـمِيـرَه   لَـرَأيتَنِـي في الـصَّـدْرِ مِنْ آمـالِـهِ

٦ أَوَ مـا رَأيْـتَ الـوَرْدَ أَتْحـفَـنَـا بِـهِ   إتْحَـافَ مَنْ خَـطَرَ الصَّـدِيقُ بِبَالِـهِ؟

٧ وَرْداً كـتَـوْرِيـدِ الـخُـدُودِ تَـلَوَّنَـتْ   خَجَـلًا وأَبيضَ في بَيـاضِ فَعَـالِـهِ

٨ والـقَهْـوَةُ الـصَّهْـبَـاءُ ظَلَّتْ تُـسْتَقَى   مِـنْ طَيِّـبـاتِ الـمُـجْتَـنَى وحَـلالِـهِ

٩ مَشْمُـولَـةً تُغْنِـي المُـقِـلَّ، وإنَّـمـا   ذَاكَ الغِنَـى التَّـزْيـيـدُ في إقـلالِـهِ

---

(١٠) قال: إن ما أصابك من وعك الحمى بعد توحيدك لمن أفضل الأعمال التي يؤجر عليها صاحبها...

(١) ويروى «أضحى النّدى»: أيْ كلَّ جودٍ دون جوده.

(٢) أي ليس أحداً أولى بالمال منه لوضعه إياه في موضعه. ثم قال ابن المستوفى: هذا على أن يجعل «من سواه» اسم «ليس» و«أولى» خبرها، ويكون «من» موصولة، ويكون قد حذف المبتدأ من صلتها، كأنه قال: من هو سواه، ويجوز أن يكون «من نكرة، أي ليس رجل سواه أولى بماله، ويعمل في الباء فعل دل عليه «أولى».

(٤) أي أعطيت منه مودة كمودة السيد لعبده وشفقته عليه.

(٨) [أي التي تستسقي من الخوابي].

(٩) [ع] إذا وُصِفت الخمر فقيل مشمولة أُريد بها أنها طيّبة الرائحة، وقيل بل يُراد أنّ لها عَصْفَةً، وقيل أصل ذلك أن الماء إذا أصابته الشمال قيل شُمِل وبَرَدَ لذلك وطاب، فاستُعِيرَ لمّا كثُرَ للخمر وإن لم يكن ثَمَّ شَمال. وقوله «تُغْنِي المُقِلَّ»: هو كما قال الآخر:

وإذا سكـرتُ فـإنّنـي   ربُّ الخـورنـق والسَّـديـر=

١٠ ومُلَحَّباً لاقَى المَنِيَّةَ خاسِراً ... والمَوْتُ أحمرُ واقِفاً بِحيالِهِ
١١ فكَبا كَما يَكْبُو الكَمِيُّ تَصَرَّفَت ... أيَّامُه وانبَتَّ مِنْ أبطالِهِ
١٢ فأتَى وقَدْ عَرَّتْهُ مُرْهفَةُ المُدَى ... مِنْ رُوحِهِ جَمْعاً ومِنْ سِرْبالِهِ
١٣ لَوْ كانَ يُهْدَى لامِرئٍ ما لا يُرَى ... يُهْدَى لِعُظْم فِراقِهِ وذِيَالِهِ
١٤ لَرَدَدْتُ تُحفَتَهُ عليهِ وإنْ عَلَتْ ... عَنْ ذاكَ واستَهْدَيتُ بعضَ خِصَالِهِ

119

وقال لأبي دُلَف [من الكامل] :

١ عجَبٌ لَعَمْرِي أنَّ وَجْهَكَ مُعرِضٌ ... عنِّي، وأنتَ بِوَجْهِ نَفْعِكَ مقبِلُ
٢ بِرٌّ بَدَأْتَ بِهِ ودارٌ بابُها ... لِلخَلْقِ مَفْتُوحٌ ووَجْهُكَ مُقْفَلُ
٣ أوَلا تَرَى أنَّ الطَّلاقَةَ جُنَّةٌ ... مِنْ سُوءِ ما تَجني الظُّنُونُ ومَعْقِلُ؟

= أي إن الخمر تُوهم الفقير أنه غنيّ وهي تزيد في فقره وإقلاله.

(١٠) [ع] «مُلَحَّباً» أي مصروعاً. كان هذا الممدوح أهدَى إلى الطائيّ شراباً وكَبْشاً من ضأن أو حَمَلاً فكنَى «بالملحَّب» عنه، واختلف الناسُ في قولهم «الموت الأحمر» وأحسنُ ما يقال في ذلك أنه يُراد به القَتْل لِحُمْرة الدمّ، ورُوي عن الأصمعيّ أنه قال إنما قِيل الموتُ الأحمر لأنَّ الحُمْرة من ألوان الأسْود، وقال بعضهم إنما أرادوا أنَّ نَظَر الإنسان يعرض له أن يرى الدنيا حمراء، وذلك لأمرٍ يُدركه كالصفراء والسوداء. ويجوز رفع «الموت» ونصبه، يريد أنه ذبح فلاقى الموت أحمرَ، ثم سُلخَ فَعَرَّتْه المُدَى من جلده.

(١١) [ع]: «مِنْ جِلْده طَوْراً ومِنْ أوصالِه» يريد أنه قُطِعت أعضاؤه وأُخرجت العظامُ منها وهي التي تصل بعض الجسد ببعضه: وإن رويت «ومن أفضاله» فهو جمع فَضْل، أي أُخِذ ما الحاجة إليه وتُركت الفُضولُ التي لا خير فيها.

(١٤) أي لو كان يهدى لامرىء ما لا يتهيأ إهداؤه لعظم فراقه إذا زال عن صاحبه لرددت تحفته وسألته أن يهدي لي بعض خصاله المحمودة ولكن لا سبيل إلى ذلك.

(١) [يقول إني أعجب من إعراضك عني، وأنت تصلني بالعطاء].

(٣) [الجُنَّة: الدرع، ما يُتوقّى به. المعقل: الحصن].

٤	حَلْيُ الصَّنِيعـةِ أَنْ يكـونَ لِـرَبِّـهـا	لَفْظٌ يُـحَسِّنُـهـا وطَـرْفٌ قُـلْقُـلُ
٥	ومَـوَدَّةٌ مَـطْوِيَّـةٌ مَـنْشُـورَةٌ	فـيـهـا إلـى إنـجـاحِـهـا مُتَعَلَّـلُ
٦	إنْ تُعْطِ وَجْهَـاً كـاسِفـاً مِنْ تَحتِـه	كَـرَمٌ وحِـلْمٌ خَـلِيقَـةٍ لا تُـجْـهَـلُ
٧	فَـلَرُبَّ سَـارِيَـةٍ علـيكَ مَـطِيـرَةٍ	قَـدْ جـادَ عـارِضُـهـا ومـا يَتَـهَلَّلُ

120

وقـال لإسحاقَ بن أبي رِبْعِيٍّ كـاتبِ أبي دُلَفَ ، وسألـه أن يشفع لـه إليه [من الكامل] :

١	إنَّ الأَمِـيـرَ بَـلاكَ فـي أَحْـوَالِـهِ	فـرآكَ أهـزَعَـهُ غَـدَاةَ نِـضَـالِـهِ
٢	آسَيْتَـهُ في المَكْـرُمـاتِ ولم تَـزَلْ	رُكْنـاً لِمَنْ هَـو مُمْسِـكٌ بِحبـالِـهِ
٤	فمَتى النُّهُوضُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إنْ جَنَتْ	بـالغَيْبِ كَفُّكَ لي ثِمـارَ فِعَـالِـهِ!
٥	فلَقِيتُ بيـنَ يَـدَيْـكَ حُلْوَ عَـطائِـهِ	وَلـقِـيـتَ بـيـنَ يَـدَيَّ مُـرَّ سُـؤَالِـهِ
٦	وإذا آمْـرُؤٌ أسـدَى إليـكَ صَنِيعـةً	مِنْ جَـاهِـهِ فكـأَنَّـهـا مِنْ مَـالِـهِ

---

(٤) [ع] «وطَرْف قُلقُل» أي طرف يَتردّد إلى المُسَلِّم ويُكرِّر فيه، وأصل «القُلقُل» الكثير الحركة، ولم يُستعر ذلك من قبل الطائيّ.

(٧) [ع] أي وما يَضحك بالبرق، يقال تَهلَّل السحابُ، فأمّا استَهلَّ فمعناه شِدّة الوقع وظهورُ صوتِه.

(١) «الأهزع» آخر سهم يبقى في الكنانة [ع] وأكثر ما يُستعمل في النفي مع التنكير، يقال ما بالكِنانة أهزع، وقد جاء به النَّمِرُ بن تَوْلبٍ غيرَ منفيّ فقال:

فـأخـرَجَ مِـنْ نَبْلـهِ أهْـزَعـاً ... فَشَـكَّ نَـواهِقَـه والفَمـا

وقد أخرجه الطائيّ إلى الإيجاب، وأراد التعريف بالإضافة.

121

وقال يمدح ويسألُ كِتاباً بسلامَته [من الكامل] :

١ يـا عِـصْمَتي ومُـعَـوَّلي وثِـمَـالـي … بَـلْ يـا جَنُـوبي غَضَّـةً وشَمـالي

٢ بَـلْ لَأْمَتِي أَلْقَى بِهَـا حَـدَّ الـوَغَى … بَـلْ كَـوْكَبِي أَسْـرِي بِـهِ وهِـلَالي

٣ شَكَلَتْ رَجَاءَ أَخِيكَ فُـرقَتُكَ التي … قَـدْ أَمسَكَـتْ بِمُخنَّقِ الآمـالِ

٤ فـوجَـدْتُـهـا في هِـمَّتِي ورَأَيْتُـهـا … في مَـطْلَبي وعَـرَفْتُهـا في مَـالي

٥ وغَـدَوْتُ تَخطُوني العيُـونُ ضُـؤُولَـةً … مِنْ بَعْـدِ أُبَّهَـةٍ لـديـكَ وخَـالِ

٦ مِنْ شِـدَّةِ الشَّوْقِ التي قَـدْ أَفْرَطَتْ … فكَـأَنَّهـا في العيْنِ شِـدَّةُ حـالـي

٧ فـاجْـلُ القَـذَى عَن مُقْلَتَيَّ بِأَسْـطُرٍ … يَكشِفْنَ مِـنْ كُـرُبَـاتِ بَـالٍ بَـالي

٨ سُـودُ يُبيِّضْنَ الـوُجُـوهَ بِمُصْـطَفَى … تِـلْكَ النَّـوادِرِ مِـنـكَ والأَمـثَـالِ

٩ واحْثُـثْ أَنَـامِلَـكَ السَّـوابِغَ بَيْنَهـا … حتَّى تَجُـولَ هُنَـاكَ كُـلَّ مَـجَـالِ

١٠ مـا زِلْـنَ أظْـآرَ البَـلاغَـةِ كـلِّهـا … وحَـوَاضِـنَ الإِحْسَـانِ والإِجـمَـالِ

---

(١) (ع) قد تردَّد في شعره ذكرُ الجَنُوب على معنى الحمد، وذِكْرُ الشمالِ على معنى الذَّم، وإنما يُريد هاهنا أنك جنوبي التي يأتيني منها الخير، وشمالي التي تُعينني على عدوِّي.

(٢) «اللّأمَة»: الدِّرْع.

(٣) «المُخنَّق» الموضع الذي يُخنق مِن الحَلق، يقول: قَيَّدتْ فرقتُك رجائي لمَّا فارقتني بعد أن كان مُطْلقاً.

(٤) أي قد أثّرتْ فُرقتك وأوهنَتْ كلَّ أُموري، والضمير عائد إلى الفرْقة.

(٥) «الأبَّهة» من قولك ما أَبَهْتُ له، أي ما فَطَنْتُ، (ع) فإذا قيل فلان ذو أُبَّهة فإنما يُراد أنَّ العيون تُرفع إليه لعِظَم قدره وشأنه، و«الخال» الخُيَلاء، أي صرتُ ذليلاً بعد فُرقتك لا يُنظر إليّ ولا يُعرف قَدْري؛ هذا وجه، ويجوز أن يكون معناه أنه أنضاه الشوق لفرقته حتى صغُر في النظر.

(٩) [السوابغ: هنا الكريمة].

(١٠) (ع) «أظآر» جمع ظِئْر، فيجوز أن يعنى أنّ البلاغة تُرضعها، فيكون على معنى أنهن أظآر البلاغة؛ ويحتمل أن يجعلهن يُرضعن البلغاءَ، فيكون المعنى على «مِن» كأنه أراد أظآراً من البلاغة.

١١ فِي بَطْنِ قِرْطاسٍ رَخِيصٍ ضُمِّنَتْ أَحشَاؤه دُرَرَ الكلامِ الغَالِي
١٢ إنِّي أَعُدُّكَ مَعْقِلاً ما مِثْلُهُ كَهْفٌ ولا جَبَلٌ مِنَ الأجبالِ
١٣ وأَرَى كِتَابَكَ بالسَّلامَةِ مُغْنِياً عَن كُتْبِ غيرِكَ باللُّهَى والمَالِ

122

وقال يمدح عبدالحميد بن غالب ، ويسأله إتمامَ حاجةٍ ابتدأ بها [من الوافر] :

١ أَبَا بِشْرٍ قَدِ استَفتَحتَ باباً وقَدْ أتممْتَهُ إلَّا قَلِيلا
٢ فأَصبَحَ وهْوَ جبّارٌ وَعهْدِي بهِ مُذْ أَشهُرٍ يُدْعَى فسِيلا
٣ فلا أدري مَنِ الأعْلى فِعَالاً ومَنْ يَبْني العُلى عَرْضاً وطُولا؟
٤ أَمُعْطِيَّ الجَزِيلَ بِلا امتنانٍ بهِ، أمْ مَنْ أفَدْتُ بهِ الجَزِيلا!
٥ رَأَيْتُكَ تَعْرُكُ الْحَاجاتِ حتَّى تُعِيدَ بِذاكَ أصعَبَها ذَلُولا
٦ وتُصْرِخُ مَنْ دَعَاكَ إلى المَعالي بيا عَبْدَ الحميدِ ويا بَجِيلا
٧ هوَ الشُّكْرُ الجَسِيمُ على الأعادِي إذا شُكْرُ الرِّجالِ غَدَا ضَئِيلا
٨ فإنَّكَ لَوْ تَرَى المَعْرُوفَ وَجْهاً إذاً لَرَأَيْتَهُ حَسَناً جَمِيلا

---

(١٣) [اللُّهى : الأعطيات] .

(١) ويروى « استفتحتَ أمراً » .

(٢) « الجبَّار » من النخل ما فات اليَد ، قال الشاعر :

أبعدَ عِطيَّتي مائةً تِباعاً مِنَ الجبَّار زيَّنَها الهراءُ

و« الفسيل » صغار النخل ، قال :

باتَ يُروِّي أُصُولَ الفَسِيلِ فعاشَ الفَسِيلُ وماتَ الرَّجُلْ

(٦) (ع) يُكنى « بالبجيل » عن الشيخ : السيِّد والرجل الضخم الشأن، ومن ذلك قولُ الناس بَجَّلْتُه ، أي عَظَّمتُه ، ويقال بجيل وبَجَال.

وقال يمدح نُوحَ بن عَمْرو السَّكسكيَّ [من الكامل] :

١	يَوْمَ الفِرَاق لَقَدْ خُلقتَ طَوِيلا	لَمْ تُبْقِ لي جَلَداً ولا مَعقُولا
٢	لَوْ حارَ مُرتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يُرِدْ	إلَّا الفِراقَ على النُّفوسِ دَليلا
٣	قالوا الرَّحِيلُ فمَا شَككْتُ بأنَّها	نَفْسِي عن آلدُّنيا تُريد رَحِيلا
٤	الصَّبْرُ أجْمَلُ غَيْرَ أن تَلَدُّداً	في الحُبِّ أحرَى أنْ يكونَ جَمِيلا
٥	أتظُنُّني أجِدُ السَّبيلَ إلى العَزَا	وَجَدَ الحِمَامُ إذاً إليَّ سَبيلا!
٦	رَدُّ الجَمُوحِ الصَّعْبِ أسْهَلُ مَطْلباً	مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أصَابَ مَسيلا
٧	ذَكَرَتْكُمُ الأنْواءُ ذِكْرِيَ بعضَكُمْ	فَبكَتْ عليكمْ بُكْرَةً وأصِيلا
٨	وبنَفسيَ القَمَرُ الذي بمُحَجَّر	أمسَى مَصُوناً لِلنَّوَى مَبْذُولا
٩	إنِّي تأمَّلْتُ النَّوى فوجَدتُها	سَيْفاً عَليَّ معَ الهَوَى مسْلُولا
١٠	لا تأخذيني بالزَّمان، فلَيْسَ لي	تَبعاً ولَسْتُ على الزَّمانِ كَفِيلا
١١	مَنْ زَاحفَ الأيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَها	غَيْرَ القَناعةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولا
١٢	مَنْ كانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وهُمُومِهِ	رَوْضَ الأماني لَمْ يَزَلْ مَهْزُولا

---

(٢) [أي : إنّ الفراق يدلّ طالب المنيّة إلى غايته].

(٤) [التلدّد في الحبّ: التوقّف فيه].

(٥) [الحِمام: الموت].

(٨) [محجّر: اسم موضع. النوى: البعد والفراق].

(١١) المعروف في « عَبأ » الهمز، وتخفيفه جائز، قال الشاعر:

عبأت لَهُ رُمْحاً طويلاً وآلةً ... كأنْ قَبَسٌ يُعْلَى بهِ حينَ يُشْرَعُ

(١٢) [ع] هذا البيت ذكره أبو عليٍّ الفارسيّ في كتابه المعروف « بالعَضُدِيّ » وإنما ذكره على سبيل التمثيل، لا أنه يُستشهد به، وجعل في « كان » ضميراً وما بعدها ابتداء وخبر، وإن أُخليتْ من الضمير فجائز ثمّ أنت مُخَيَّرٌ في الاسمين، أيّهما شئتَ جعلته الخبر والآخر اسماً « لكان ». وقد أنكِر ذلك على أبي عليّ لأنّ طبقته لم تجرِ عادتُهم بذلك.

١٣	لَــوْ جَــازَ سُلْطَانُ القُنُــوعِ وحُكْمُــهُ	في الْخَلْقِ مــا كــانَ القَلِيــلُ قَلِيــلا
١٤	الـــرِّزْقَ لا تَـــكْـمَــدْ عليـــهِ فــإنَّــهُ	يَــأْتـي ولَــمْ تَـبْـعَــثْ إليــهِ رَسُــولا
١٥	لِــلَّهِ دَرُّكِ أَيُّ مَـــعْـــبَـــرِ قَـــفْــرَةٍ	لا يُــوحِشُ ابنَ البَيْضَــةِ الإجْـفِيــلا
١٦	بِنْتُ الفَضَــاءِ متَى تَخِذْ بِــك لا تَــدَعْ	في الصَّــدْرِ منكَ على الفَـلاةِ غليــلا
١٧	أَوَ مــا تَــراهــا، مــا تَــرَاهــا، هِــزَّةً	تَشْــأَى العُيُــونَ تَعَجْــرُفــاً وذَمِيــلا!
١٨	لَــوْ كــانَ كلَّفَهــا عُـبَيْــدٌ حــاجَــةً	يَــوْمــاً لأُنْسِيَ شَــدْقَمــاً وجَــدِيــلا

---

(١٣) [ع] استعمل «القُنوع» في معنى القناعة، وذلك جائز، وأكثر ما يستعمل «القُنوع» في معنى السؤال.

(١٤) «الرِّزْق» بالنصب أجود، ألا تَرى أنّ قولك زيداً لا تَضربْه أحسن من زيدٌ بالرفع، لعلّة ليس هذا موضع ذكرها.

(١٥) (ع) خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعةٍ إلى الخروج، يقول: لله دَرُّكِ يا ناقة، أيُّ مَعْبرِ قفرةٍ أنت! أي تُعبَر عليك القفرةُ ولا يُوحِش هذا المعبرُ ابنَ البيضة أي الظليم، و«الإجفيل» الكثير الإجفال.
(العبديّ): «لا تُوحِش» يعني القَفْرة.

(١٦) [ع] يعني الناقة أي أنّها مُعَاوِدةٌ للسّير في الفضاء من الأرض على مذهب قولهم ابنُ قَفْرٍ وابنُ لَيْلٍ، وهو كثير في كلامهم. يقول: هذه الناقة كأنّها بِنْتُ فضاءٍ متى تَخذْ بكَ تَشْفِ صَدْرَك. وهذه كلها استعارات.

(١٧) [ع] هذا لفظ يصحُّ على مذاهب الشعراء والمبالغة في الأوصاف، ويجوز أن تكون «تَرَى» ها هنا مِن رُؤْية العين ومن رُؤْية القلب، فإن جُعلتْ «تَرى» في الموضعين من رؤية العين، فالمعنى: أوَ ما ترى هذه الناقة في حالك التي أنت فيها غيرَ مرئيّةٍ فيما يُستقبل؟ وهذا كلام صحيح كما تقول للرجل أراكَ في هذه الساعة لا أراكَ في غدٍ مُعطياً شيئاً. وإذ جعلتها من رؤية القلب فهو أصحُّ في المعنى، وكذلك إن جعلتَ الأولى من رؤية القلب والثانية من رؤية العين، أو جعلت الأولى من رؤية العين والثانية من رؤية القلب، وكأنهما إذا جُعلتا من رؤية العين يدخل على الكلام شيء من الفساد في بعض التأويلات، لأنه قد أثبت الرؤية ثم نفاها من بعدُ. ويروى «تَشأَى العُيونَ أوَالِقاً» و«تَشأَى النواظرَ أوْلَقاً» و«الأوْلَق» الجُنون، ومَن روى «تَشْأَى العُيونَ أوْلَقاً» صار في البيت زحاف يُكره، وهو الذي يُسمّى الوَقْص.

(١٨) [ع] هذا البيت يُختلف في روايته، وكان الناس ينشدون في أوّل الأمر «لَزَنّى شَدْقماً وجَديلا» فاستضعفوا هذه الكلمة لأنها عامّية فغُيِّرت بغيرها، فبعضهم يقول «لَعنَّفَ شدقماً وجديلاً» يأخذه =

١٩ بـالسَّكْسكيِّ المَـاتِعيِّ تَـمَتَّعَتْ هِمَمٌ ثَنَتْ طَـرْفَ الـزَّمـان كَـلِيـلا
٢٠ لا تَدْعُوَنْ نُوحَ بـن عَمْـروٍ دَعْـوَةً لِـلْخَـطْبِ إلَّا أنْ يـكـونَ جَـلـيـلا
٢١ يَقِظٌ إذا مـا المُشْكـلاتُ عَـرَوْنَـهُ أَلْـفَـيْـنَـهُ الـمُـتَـبـسِّـمَ الـبُـهْـلُولا
٢٢ مـا زَالَ يُـبْـرِمُـهُـنَّ حـتَّـى إنَّـهُ لَيُقـالُ، مـا خَـلَقَ الإلَـهُ سَحِيـلا
٢٣ ثَبْتُ المَقـامِ يـرَى القَبيلَةَ واحِـداً ويُـرَى فيحسَبُـه القَبيـلُ قبِيـلا
٢٤ كَمْ وَقْعَـةٍ لـكَ في المكَـارِمِ فَخْمَـةٍ غـادَرْتَ فِيهـا مـا مَلكْـتَ فَتِيلا
٢٥ أوطـأْتَ أرضَ البُخْـلِ فيهـا غـارَةً تَـركَتْ حُـزونَ الْحـادثَـات سُهُـولا
٢٦ فَـرَأَيْتَ أكثـرَ مـا حَبَـوْتَ مِنَ اللُّهَى نَـزْراً وأصغَـرَ مـا شُكِـرْتَ جَـزِيـلا
٢٧ لَمْ يَتْرُكْ في المَجْدِ مَنْ جَعَـلَ النَّدَى في مـالِـه لِـلْمُـعـتَـفِـيـنَ وَكِـيـلا
٢٨ أولَيسَ عمْرٌو بَثَّ في الناسِ النَّـدَى حتَّى اشتَهَيْنـا أن نُصِيـبَ بَخِيـلا؟
٢٩ أُشـدُدْ يَدَيْك بحَبْـلِ نـوحٍ مُعْصِماً تَلْقَـاه حَبْـلاً بـالنَّـدَى مَـوْصُـولا
٣٠ ذَاكَ الَّـذي إنْ كَـانَ خِلَّكَ لم تَقُـلْ يـا لَـيْـتَـنِـي لَـمْ أتَّـخِـذْه خَـلـيـلا

= مِن التّعنيف، ومنهم من يقول «لانسى شدقماً وجديلا»، وفي بعض النسخ «لَرَثّى شدقماً وجديلاً» وكلُّ هذه المعاني صحيحة، ومعنى «الترثية» يصحّ إذا اعتُقِد أنّ «عُبَيْداً» وهو الرّاعي الشاعر، لو كَلّفَ هذه الناقة حاجةً لرأى من غَنَائها في السّيْر ما يُوجب عليه أن يَرْثِيَ شدقماً وجديلاً، لأنها تُنسَب إليهما.

(١٩) «ماتع»: من كِندة.

(٢٣) [ع] يُوصَف الرجلُ «بثَبْت المقام» يريدون أنه تثبت قدَمُه إذا زَلّتْ أقدامُ الرجال، وكذلك قالوا إنه لثَبْت الغَدَر. و«القبيلة» عندهم من أبٍ واحد، و«القَبِيل» الجماعة من الناس، ويجوز أن يكونوا من آباء مُتفرّقين، وإذا جُعل الكلام على الاستعارة جاز أن يُوضع كلٌّ واحدٍ منهما في موضع الآخر.

124

وقال يمدح أبا المُسْتَهِل محمَّدَ بن شَقيق الطائي [من الطويل] :

١ تَحمَّـلَ عنـه الصَّبْـرُ يَـومَ تَحَـمَّلُوا ... وعَـادَتْ صَبَاهُ في الصِّبَا وَهْيَ شَمْأَلُ

٢ بيَوْمٍ كَطُول الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِـهِ ... ووَجْـدِيَ مِنْ هـذا وهَـذَاكَ أَطْـوَلُ

٣ تـولّـوا فـولَّتْ لَـوْعَتِي تَحْشُد الأَسَى ... عليَّ وجَـاءَتْ عَبْـرَتي وَهْيَ تَهْمُـلُ

٤ بَـذَلْتُ لَهُمْ مَكْنُونَ دمْعي، فـإِنْ وَنى ... فَشَـوْقِي عـلى أَلَّا يَجفَّ مُـوَكَّـلُ

٥ ألا بَكَـرَتْ مَعْـذُورَةً حينَ تَـعْـذُلُ ... تُعَـرِّفُني م ِالْعِيش مـا لَسْتُ أَجْهَـلُ

٦ أَأَتبَـعُ ضَنْـكَ الأَمْـرِ، والأَمْـرُ مُـدْبِـرٌ ... وأُدْفَـعُ في صَـدْرِ الغِنَى وَهْـوَ مُقْبِـلُ

٧ مُحَمَّـدُ يَـا بنَ المُسْتَـهِـلِّ تَهلَّلَتْ ... عليـكَ سَمَـاءٌ مِـنْ ثَنَـائِـيَ تَهْـطُلُ

٨ وكَمْ مَشْهَدٍ أَشهدْتَهُ الْجُودَ، فـانقَضَى ... ومَجْـدُكَ يُسْتَحيَـا ومَـالُـكَ يُقْتَـلُ

٩ بَلَوْنَـاكَ أَمَّا كَعْبُ عِـرْضِكَ في العُلَى ... فَعَـالٍ ولكنْ خَدُّ مَـالِـكَ أَسْفَـلُ

١٠ تَحمَّلْتَ ما لَوْ حُمِّلَ الدَّهْـرُ شَطْـرَهُ ... لَفَكَّـرَ دَهْـراً أَيُّ عِبْـأَيْـهِ أَثْقَـلُ

١١ أَبُـوكَ شَقِيقٌ لم يَـزِلْ وَهْـوَ لِلنَّـدَى ... شَقِيقٌ ولِلملْهُـوفِ حِـرْزٌ ومَعْـقِـلُ

١٢ أَفَـادَ مِنَ العَلْيـا كُنُـوزاً لَـوَ انَّهـا ... صَـوامِتُ مـالٍ مـا دَرَى أَينَ تُجعَـلُ

---

(١) قال الآمدي: جاء « بالشمال » ها هنا لأنها تفرق السحاب وتبدده، كما أن الجنوب تؤلفه وتجمعه فقال « وعادت صباه » وكان الأجود له لو قال « وعادت جنوبه »، وإنما أراد التجنيس بالصبا والصبى، إلا أن الصبا أيضاً ريح تحمد في هذه الحال، فأرادت أنها عادت شمالاً أي مفرقة.

(٢) [ع] لمّا جعل للدهر طُولاً وصَلَه بالعَرْض على معنى الاستعارة، ولا حقيقة بأن يُوصَف الدهر بذلك، وإنما هو طويل لا غير، فأمّا العَرْض فإنما هو على الأماكن وما جَرَى مجراها، فأمّا الدهرُ فطويلٌ ما عُلم أنّ أحداً قبل الطائيّ وصَفَه بالعَرْض، ولكنه لمّا تَقدَّم ذِكْر الطولِ استجاز أن يجيء بضده.

(٦) دفْعُهُ في صَدْر الغِنَى: تَرْكُه قَصْدَ الممدوح.

(١٠) أي أنّ الدهر الذي تحمَّل أثقال الخلق لا يقدر على النُّهوض بشطر ما حُمِّلتَ، فلو جُمِع ما استقللتَ به من الأثقال، ثم جُعل نصفين، فقيل للدهر احتمل أيهما شئتَ لبقي الدهرُ متفكراً أيَّ النصفين أثقلُ، فيتركه ويَعمدُ إلى الأخف.

١٣ فَحَسْبُ امْرِىءٍ أَنْتَ امرُؤٌ آخِرٌ لَهُ ... وحَسْبُكَ فَخْراً أَنَّهُ لَكَ أَوَّلُ
١٤ وهَلْ لِلقَرِيضِ الغَضِّ أَوْ مَنْ يَحُوكُه ... على أَحَدٍ إلَّا عليكَ مُعَوَّلُ!
١٥ لِيَهْنِ امرأً أَثْنَى عليكَ بأَنَّه ... يَقُولُ وإنْ أَربَى فلا يَتَقَوَّلُ
١٦ سَهُلْنَ عليكَ ٱلْمكْرماتُ فَوَصْفُها ... علينا إذا ما استَجمعتْ فيكَ أَسهَلُ
١٧ رَأيتُكَ للسَّفْرِ المُطَرَّدِ غَايَةً ... يَؤُمُّونَها حتَّى كأَنَّكَ مَنْهَلُ
١٨ سَأَلتُكَ أَلَّا تَسْأَلَ اللَّهَ حاجَةً ... سِوَى عَفْوِه مد دُمْتَ تُرْجَى وتُسْأَلُ
١٩ وإيَّاكَ لا إيَّايَ أَمدَحُ مِثْلَمَا ... عليكَ يَقِيناً لا عليَّ المُعَوَّلُ
٢٠ ولَسْتَ تَرَى أَنَّ العُلى لكَ عندما ... تَقُولُ ولكنَّ العُلَى حينَ تَفْعَلُ
٢١ ولا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ منكَ سَجيَّةٌ ... ولكنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي المُعَجَّلُ

125

وقال يمدح الحسنَ بن رَجاء [من الكامل] :

١ كُفِّي وغَاكِ، فإنَّني لكِ قَالي ... لَيْسَتْ هَوَادِي عَزْمَتي بِتَوَالي
٢ أَنا ذُو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهَالَةٌ ... فأَنا المُقيمُ قِيَامَةَ العُذَّالِ
٣ عَطَفَتْ مَلامَتَها على ابن مُلِمَّةٍ ... كالسَّيْفِ جأْبِ الصَّبْرِ شَخْتِ الآلِ

---

(١٩) « يقيناً » نصب على الحال وهو مؤكّد للخبر كما تقول هذا زيدٌ حقًّا. وتلخيص الكلام: مثلما عليك المعوّل يقيناً وحقًّا لا عليّ [ق] يقول: مدحي فيك لا في نفسي كما أنّ مُعَوّلي عليكَ حقًّا لا على نفسي، فإذا كان المعوّل عليك والمدح فيك فلا تُماطِلْ بمعروفك لئلا ينقطع الثناء عنك، ويدل على هذا ما بعد وهو: (البيت التالي).

(١) [وغاكِ: صوتك. قالي. كاره. الهوادي: المتقدّمة. يقول مخاطباً من تعذله، خفِّفي من عذلك فلن تستطيعي ردعي عمّا عزمتُ عليه].

(٢) أي أنا الذي لا أُطيع العُذّال وأُقيم قِيامتهم.

(٣) يقول: رَدَّتْ عليّ عزيمتي وأمرتني بغيرها بعد ما قاسيت الشدائد وبُليتُ بالنوازل، فاستحكم صبري ودَقَّ جسمي لِمُعاناة الأثقال. و« الجَأب » الغليظ، وأكثرُ ما يُستعمل ذلك في حمير الوحش، يقال =

٤ عَادَتْ لَهُ أيَّامُهُ مُسْوَدَّةً حَتَّى تَوهَّمَ أنَّهُنَّ لَيَالي

٥ لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكَانِ العَالي

٦ وتَنَظَّرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنُصُّهَا مُحْيِي القَرِيضِ إلى مُمِيتِ المَالِ

٧ لَمَّا بلَغْنا سَاحَةَ الْحَسَنِ انقضَى عَنَّا تَعَجْرُفُ دولَةِ الإمْحَالِ

٨ بَسَطَ الرَّجاءَ لنا بِرَغْمِ نَوَائِبٍ كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الآمَالِ

٩ أغْلَى عَذَارَى الشِّعْرِ إنَّ مُهُورَها عِنْدَ الكَرِيمِ وإنْ رَخُصْن غَوالي

١٠ تَرِدُ الظُّنُونُ بهِ على تَصْدِيقِها ويُحَكِّمُ الآمالَ في الأمْوَالِ

١١ أضحَى سَمِيُّ أبِيكَ فيكَ مُصَدَّقاً بأجَلِّ فائِدَةٍ وأيمَنِ فَالِ

١٢ ورَأيْتَني فَسَألْتَ نَفسكَ سَيْبَهَا لي ثُمَّ جُدْتَ وما انتظرتَ سُؤَالي

١٣ كالغَيْثِ لَيْسَ لَهُ، أُريدَ غَمَامُهُ أو لَمْ يُرَدْ، بُدٌّ مِنَ التَّهْطَالِ

= حمار جَأْب وأتان جَابة، وربما استعملوا ذلك في الرجال فقالوا رجل جَأْب، قال الشاعر في وصف أرويّة:

فما جَأْبَةٌ عَفْراءُ تَعلو بِعُفْرِها ذُرَا الهَضَبَاتِ الشمِّ مِنْ وَطَدَانِ

فأمّا قولهم للظبية جَأْبة المِدْرَى، وجَأْبة القَرْن، فقيل إنما وُصِفت بذلك لأنّ قرنها أوّلَ ما ينبت يبدو منه شيءٌ غليظ هو أصلُه، ثم يستدقّ حتى ينتهي إلى طَرَفه، وقيل وُصِفت بذلك لأنّ قرنها حديد فكأنه يجوب الأشياء أي يخرقها، فهو على القول الأول مهموز في الأصل، وعلى القول الثاني لا يجوز همزه.

(٤) [خ] يقول: صارت حالاتُ سُروره حالات هُموم غيرِه، فكأنّ أيّامه لَيَالٍ.

(٩) جعل قصائد الشعر عَذَارى وعَطَاءه مُهورَها. ويُروى «إذا رخُصنَ».

(١٠) (ص) أي مَن ظَنَّ به ظَنًّا من الخير ورَدَ به ظَنُّه على ما أمَّلَه عنده.

(١١) [ع] المعنى أنّ هذه القصيدة مدح بها الحسن بن رجاء فلذلك قال «أضحى سَمِيُّ أبيك فيك مُصدَّقاً» و«الفأل» أصلُه الهمز، ولا يجوز أن يُهمز ها هنا، وأكثر ما يُستعمل في الخير، وربما استُعمِل في الشرِّ كالمستعار.

وقال يمدحُ المعتَصم والأفشين [من الطويل] :

١ غدَا المُلْكُ مَعْمُورَ الْحَرَا والمَنازِل ... مُنَوَّرَ وحْفِ الرَّوْضِ عَذْبَ المَناهِلِ

٢ بمُعْتَصِمٍ باللَّهِ أَصْبَحَ مَلْجَأً ... ومُعْتَصَماً حِرْزاً لِكُلِّ مُوَائِلِ

٣ لقَدْ ألبسَ اللّهُ الإمامَ فَضَائِلاً ... وتَابَعَ فيها باللُّهَى والفَوَاضِلِ

٤ فأَضحَتْ عَطايَاهُ نَوازِعَ شُرَّداً ... تُسَائِلُ في الآفاق عَنْ كُلِّ سَائِلِ

٥ مَواهِبُ جُدْنَ الأَرْضَ حتَّى كأَنَّما ... أخذْنَ بآداب السَّحابِ الهَوَاطِلِ

٦ إذَا كانَ فَخْراً لِلْمُمَدَّحِ وَصْفُه ... بيَوْمِ عِقَابٍ أَوْ نَدًى مِنْهُ هَامِلِ

٧ فَكَمْ لَحْظَةٍ أَهْدَيْتَها لابن نَكْبَةٍ ... فأصبَحَ مِنها ذَا عِقَابٍ ونَائِلِ

٨ شَهِدْتُ أَمِيرَ المؤمنينَ شهَادَةً ... كَثِيرٌ ذَوُو تَصْدِيقها في المحافِلِ

٩ لَقد لَبِس الأَفْشِينُ قَسْطَلَةَ الوَغَى ... مِحَشّاً بنَصْلِ السَّيفِ غَيْرَ مُوَاكِلِ

١٠ وسَارَتْ بهِ بَيْنَ القَنابِلِ والقَنا ... عَزائِمُ كانَتْ كالقَنا والقَنَابِلِ

---

(١) [خ] « العَرَا » و« الحَرَا » الساحة ، و« الوَحْف » المُلتَفّ من النبات .

(٢) [الموائل : الملتجىء] .

(٣) « ألبسَه » أي خَصّه بالفضائل، أي الجود والبأس والتُّقَى . و« اللُّهى » العطايا .

(٤) « نَوَازِع » من قولهم ناقَةٌ نَازِع ، وكذلك الجمل ، أي أنها تحنُّ إلى العافين ، فتسير إليهم .

(٥) يقول عطاياه مواهب تجود العفاة والمحاويج فتخصبهم فكأنها تأدبت بآداب السحاب المواطر وتخلقت بأخلاقها .

(٧) يقول: إذا فخر الممدوح بأن يُوصف بأنه يُعاقِب يوماً أعداءَه في الحرب ، ويجود يوماً على أوليائه بندًى هامل ، فكم من فقيرٍ نظرتَ إليه نظرةَ رأفةٍ فأغنيتَه حتى صار ممّن يُعاقب عدوَّه ويُنيلُ وليَّه .

(٨) أي شهدتُ بأنّ صاحبك الأَفشين باشر الحرب بنفسه .

(٩) [ع] أنَّثَ « القَسْطل » وهو الغُبار ، كما يقال عثيرة في العَثْير ، وعَجاجَة في العَجَاج ، ويجوز أن يكون « القَسْطل » جمعاً لقسطلة كما يقال جَنْدل وجَنْدلة ، أي دخل في غُبار الحرب وهو كمِحَشِّ النار في نُفُوذه واصطلائه نار الحرب ؛ و« المُوَاكِل » الذي يَكِل أمرَه إلى غيره .

(١٠) [قنابل] جمع قَنبلة ، وهي القطعة من الخيل .

١١	وجَــرَّدَ مِـنْ آرائِــهِ حيـنَ أُضــرِمَــتْ	به الْحَرْبُ حـدّاً مِثْلَ حَـدِّ المَنَاصِـلِ
١٢	رأى بـابَـكُ مِنْه التي لا شَـوَى لهــا	فَتُرْجَى سِوَى نَزْعِ الشَّوَى والمَفَاصِلِ
١٣	تَــرَاه إلـى الـهَـيْـجــاء أَوَّلَ رَاكِــبٍ	وتحتَ صَبيــرِ المَــوْتِ أَوَّلَ نَــازِلِ
١٤	تَسـرْبلَ سِـرْبَـالاً مِنَ الصَّبْـرِ وارتَـدَى	عليه بعَضْبٍ في الكَـرِيهـةِ قَـاصِـلِ
١٥	وقَـدْ ظُلِّلَتْ عِقْبـانُ أعــلامِـهِ ضُحًى	بعِقْبــان طَيْـرٍ في الــدِّمـاءِ نَــوَاهِـلِ
١٦	أقـامَتْ مـع الــرَّايـاتِ حتَّى كـأَنَّهـا	مِنَ الجيْش إلَّا أنَّهــا لَـمْ تُقـاتِــلِ
١٧	فَـلمَّــا رَآهُ الـخُــرَّمِـيُّــونَ والـقَـنَــا	بِــوَبْـلٍ أَعــالِيـهِ مُغِيثَ الأَسَــافِـلِ
١٨	رأوْا مِنْـه لَيْثاً فـابـذَعَـرَّتْ حُمَـاتُهُمْ	وقَـدْ حَكَمَتْ فيـهِ حُمــاةُ العَـوَامِــلِ
١٩	عَشِيَّــةَ صَــدَّ البَـابَكِـيُّ عَن الـقَـنَـا	صُدُودَ المُقَالِي لا صُـدُودَ المُجَامِـلِ

(١٢) «لا شَوَى لها»: أي لا إخطاء، يقول: رأى من عزائمه ما لا يُخطىء مقَاتله، [ويروى] لا شَوَى لها «سِوَى سَلْمِ ضَيْمٍ أو صفيحة قاتل»، أي سوى أن يُلْقِي بيده إلى السَّلْم على ذُلِّهِ وهوانه، أو تعرض عليه صفائحُ السُّيوف.

(١٣) «الصَّبِير» سحاب فوقه سحاب. (ع): «الصبير» سحاب فيه سواد وبياض، وربما قيل هو السحاب الأبيض، وقال بعضهم هو المتراكب، كأنه صُبِّر بعضه على بعض أي حُبِس، وجمعه صُبُر.

(١٥) شَبّه البُنُود بالعِقْبان وجعل عِقْبانَ الطيرِ آلِفَةً لها، لما اعتادت من أكل لحوم الأعداء ووُرُودِ دمائهم.

(١٧) أي ما يُثيره السِّنانُ من الدم يُرَوِّي أسفلَ الرُّمح.

(١٨) [ع] «ابذَعرّت» افترقت، «وحُمَاتهم» جمع حَامٍ، أي الذي يحميهم و«حُمَاة العوامل» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون جمع حامٍ مثل الأوّل كأنَّه جعل العوامل تحمي، والآخر أن يكون جمع حُمَة، يُرَاد بها السَّمُّ وسَوْرَتُه، وهذا أشبه بمذهب الطائيّ من الوجه الأول، والوقف في هذا القول على التاء، لأنها مثل تاء ثُبَات، والوقف في الوجه الأول على الهاء، لأنها مثل قُضَاة، إلاّ على رأي مَن قال رَحْمَتْ ونِعْمَتْ في الوقْف على رحْمة ونِعْمة.

(١٩) [ع] إن كان أراد «بالبابَكِيّ» صاحِباً من أصحاب بابَك فلا كلام فيه، وإن كان أراد بابك نفسَه فمثل ذلك قليل إلاّ أنه جائز كأنه نَسَبه إلى اسمه، وهذا في النُّعوت موجود، فأمّا في الأسماء الأعلام فقليل، ولا يمتنع في القياس أن يقال هذا الفرزدقيُّ والجريريُّ، يُراد هذا الذي يُسمّى الفرزدق أو جريراً، فيُنسب إلى اسمه، وقد حكوا في شعر الصَّلَتان: «أنا الصَّلَتانيُّ» وهو من طريقة القياس جائز لا خُلْف فيه، فأما قولهم القُطاميُّ للصقر، فهو من باب أحْمَرِيٌّ لأحمر، وبحزجِيٌّ =

٢٠ تَحَـدَّرَ مِنْ لِهْبَيْـهِ يَـرْجُـو غَنِيمـةً ... بسَـاحَـةِ لا الـوَاني ولا المُتَخَـاذِلِ

٢١ فكـانَ كشَـاةِ الـرَّمْـلِ قَيَّضَـهُ الـرَّدَى ... لِقَـانِصـهِ مِنْ قَبْـلِ نَصْبِ الْحَبَـائِـلِ

٢٢ وفي سَنَـةٍ قَدْ أنفـدَ الـدَّهْـرُ عُـظْمَهـا ... فلَمْ يُـرْجَ مِنْهـا مُفْـرَجُ دُونَ قَـابـلِ

٢٣ فكـانَتْ كَنابٍ شَـارفِ السنِّ طَـرَّقتْ ... بسَقْبٍ وكـانَتْ في مَخِيلَةِ حَـائِـلِ

= لِلبَحْزج، وقد حُكي قَطَامٌ غيرَ منسوب، قال الشاعر:

مـا هـاجَ شـوقَـك مِـنْ بُكـاء حمـامـةٍ ... تـدعـو علـى فَنَـنِ الغُصُـون حمَـامَـا

فقـدَتْ أبـا فَـرْخيـن صـادفَ طـائـراً ... ذا مِخْلَبيـن مِـن الصُّقُـور قَطَـامَـا؟

وقال الراجز:

يَصُكُّهُـنَّ جـانِبـاً فجـانِبـا

صَكَّ القَطَـامِـيِّ القَطَا القَـوارِبَـا

وهذا في النكرات كثير.

(٢٠) [ع]: «اللِّهْب» طريق ضَيِّق في الجبل★ وقيل هو ما استقبَلَك مِن حائطه، [خ] أي انحدر من الموضع الذي تحصَّن به رجاء أن ينال من الافشين وأصحابه.

(٢١) أراد «بشاة الرمل» البقرة الوحشيّة، ويقال للثور الوحشيّ شَاةٌ أيضاً، وإذا ذكرت العرب في التشبيب الشاة ولم تُبَيِّن، فإنما يريدون الكنايةَ عن المرأة.

(٢٢) يقول: كان ذلك الفتح في سنة قد تَصرّم أكثرُ شُهورِها ولم يُطمع منها في مُفْرَج، أي ما يُفْرَج به، وكان التقدير أن يكون ذلك في العام القابل. (ع): هذا كلام محمول على الاستعارة وقد وقع فيه اختلاف، فالذي ينشد «عَظْمها» بفتح العين قد لزم مذهب الطائيّ في العارية لأنه جعل للسنة عَظْماً، وقد يمكن أن يكون «العَظْم» ها هنا عَظْمَ من تشمله السنة، فهذا لا استعارة فيه. ومَن روى «مُفْرَخ» فهو يحتمل أن يكون مِن فَرْخ الطائر، لأن الطير لا تُفْرخ حتى تشبع، والكسر يُرَاد به الطائر الذي يُفرخ، والفتح يعني به الولد، ولو رويت «مُفْرَج» مِن فرجتُ الأمرَ أو «مُفْرِج» من الفَرَج لجاز.

(٢٣) يقول: مَثَل هذه السنةِ ومَثَل النِّعْمةِ التي جاءت فيها مَثَل النَّاب وهي المُسِنَّة من الإبل، «وشارف السِّن» أي كبيره، و«طَرَّقَتْ» الأمُّ بالولد إذا ضاق مَخْرجه، وكذلك القَطَاةُ بالبيضة. قال الجَعْدِيُّ:

زَفيـرُ المُتِـمِّ بـالمُشَيَّـاء طَـرَّقَـتْ ... بكـاهِلِـه فمـا يَـرِيـمُ المَلاَقِيـا

يقول: كانت هذه السنة كالنَّاب الشارف التي قد يُئِس مِن حَمْلها والانتفاع بلبَنها ووَلدِها فيَسَّر اللهُ لها ذلك بلُطْفه.

٢٤ وعَاذَ بـإطـرَافِ المَعَـاقـلِ مُعْصِمـاً ... وأُنْسِيَ أَنَّ اللَّهَ فـوقَ المعَـاقِـلِ
٢٥ فـوَلّى ومـا أبقَى الـرَّدَى مِنْ حُمَـاتِـه ... لـه غَيْـرَ أَسـآرِ الـرِّمَـاحِ الـذَّوَابِـلِ
٢٦ أَمَـا وأبـيــهِ وهْــوَ مَـنْ لا أَبَـا لَــهُ ... يُعَــدُّ لقَـدْ أَمْسَى مُضيءَ المَقَـاتِـلِ
٢٧ فُتُــوحُ أميـرِ الـمُؤْمِنيـنَ تَفَـتَّحَـتْ ... لَهُنَّ أَزَاهيــرُ الــرُّبَـا والخَمَـائـلِ
٢٨ وعَـادَاتُ نَصْـرٍ لَمْ تَـزَلْ تَسْتَعِيـدُهـا ... عِصَـابَـةُ حَقٍّ في عِصَـابَـةِ بَـاطِـلِ
٢٩ ومـا هُـوَ إلاّ الـوحْيُ أَوْ حَـدُّ مُرْهَفٍ ... تُميلُ ظُبَـاهُ أخـدَعَـيْ كُـلِّ مَـائِـلِ
٣٠ فهَـذا دَواءُ الــدَّاءِ مِن كُــلِّ عَـالِمٍ ... وهَـذا دَواءُ الـدَّاءِ مِن كُـلِّ جَـاهِـلِ
٣١ فيا أَيُّها النُّــوَّامُ عَـنْ رَيِّـق الهُـدَى ... وقَـدْ جَـادكُمْ مِنْ دِيمَـةٍ بَعْـدَ وَابِــلِ
٣٢ هُـوَ الْحَقُّ إنْ تَسْتَيقِـظُوا فيــهِ تَغْنَمُـوا ... وإنْ تَغْفُلُوا، فـالسَّيْفُ لَيْسَ بغـافِـلِ!

---

(٢٥) [ع]: «أسآر الرِّماح» بقاياها، والمعنى: أنّ أصحابَه طُعِنوا بالرِّماح فهلكوا وقد أَسأَرَتْ الرماحُ منهم شيئاً قليلاً.

(٢٦) [ع]: أقسم بأبي المنهزم على معنى الهُزْء والعكس، لأنَّ أصل هذا القسم إنما هو لمـن يُكـرم أبـوه. وقوله «مُضِيء المَقَاتل»: الوجه أن يُحمل على مذهب الطائيّ ويُجعل من المستعار كما قال في موضع آخر: «لما غَدَا مُظْلِمَ الأحشاء» أي أنه ظهَرَتْ مَقَاتِلُه فهي مُضيئةٌ لمن يطلبها لا تُشْكِل على المُلْتمس، وإن حُمِل على قول الأنصاري★ لها نَفَذٌ لولا الشَّعَاعُ أَضَاءها★ فله وجه، يُريد أنّ هذا المذكور كأنّه بهذه الوَقْعة قد طُعِنَ طَعْنَةً في المَقْتل تُضيء لِسَعَتها على نحو ما ذهب إليه قيس بن الخطيم في قوله:

يَرَى قائمٌ مِنْ دُونِها ما وَرَاءها

(٢٧) [ع]: جَمَع زَهَراً على أزهار، ثم جَمَع أزهاراً على أزاهير★، كما قالوا أنعَام وأناعيم، وأسطار وأساطير.

(٢٨) و(٢٩) أي عاداتٌ من النصر والتأييد عَوّدها اللهُ عصابةَ الحق وهم المسلمون؛ «والوَحْي» أراد به القرآن: أي فالإيمانُ بالقرآن والعملُ بما فيه دواءُ كلِّ عالم، والسيفُ دواءُ كلِّ جاهل، وقد فَسّره بقوله: (البيت التالي).

(٣١) [ع]: «الرَّيِّق» مُستعار من رَيِّق السَّحاب وهو أَوَّلُه، و«الدِّيمة مَطَر ليس بشديد يدوم يوماً وليلةً★، وهو من ذَوات الواو في الأصل، إلاّ أنهم ألفوا الياء حتى قالوا دَيَّمَ المطرُ، وقالوا كَثِيب مُدَيَّم إذا سَقَتْه الدِّيمةُ، وحُكي دَامَ المطر يَديم، فيجوز أن يكون له أَصل في الياء.

وقال في أبي سَعيد مُحَمَّد بن يوسف يمدحه حين خرج من عمُوريَّةَ إلى مكَّة [من البسيط]:

١ مَـا لي بعَـادِيَـةِ الأيَّـامِ مِنْ قِبَـلِ ... لَمْ يَثْنِ كَيْـدَ النَّوى كَيـدِي ولا حِيَلي
٢ لا شـيءَ إلاَّ أبـاتَـتْـهُ علـى وَجَـلٍ ... ولَمْ تَبِتْ قَطُّ مِنْ شَـيءٍ على وَجَـلِ
٣ قَـدْ قَلْقَلَ الـدَّمْـعَ دَهْـرٌ مِنْ خَـلائِقِـه ... طـولُ الفِـرَاقِ ولا طُـولٌ مِنَ الأَجَـلِ
٤ سَلْنِي عَن الدِّين والدُّنْيَا أُجِبْكَ، وعَنْ ... أبي سَعيـدٍ وفقْـدِيـهِ فَـلا تَـسَـلِ
٥ مَنْ كَـانَ حَلْيَ الأمَـاني قَبْـلَ ظَعْنَتِه ... فَصِـرْتُ مُـذْ سَـارَ ذَا أُمْنِيَّـةٍ عُطُـلِ
٦ نَأْيُ النَّدَى لا تَنَائـي خُلَّـةٍ وَهَـوىً ... والفَجْعُ بالمَجْدِ غيرُ الفَجْـعِ بالغَـزَلِ
٧ لَئِنْ غَـدَا شَاحِباً تَخْدِي القِـلاصُ بهِ ... لَقَدْ تَخلَّفْتُ عَنْـهُ شَـاحِبَ الأَمَـلِ
٨ مُلْقَى الرَّجاءِ ومُلْقَى الـرَّحْل في نَفَرٍ ... الجُـودُ عِنْـدَهُـمُ قَـوْلٌ بلاَ عَمَـلِ
٩ أَضحَـوْا بمُسْتَنِّ سَيْلِ الـذَّمّ وارتَفَعَتْ ... أموالُهمْ في هِضَاب المَطلِ والعِلَلِ
١٠ مِنْ كُلِّ أظْمَى الثَّرَى والأرْضُ قَدْ نَهِلَتْ ... ومُقْشَعِرِّ الرُّبَـا والشَّمْسُ في الحَملِ!

---

(٣) ويروى «قد شَرَّدَ الدمعَ» [ص] يقول: من خلائق الدهر الفراق لا طولُ العُمْر.

(٤) أي فإني لا أُحِير جواباً.

(٦) أي نأيهُ نأيٌ للندى والمجد.

(٨) قطع همزة الوصل في أول النصف الثاني وقد ذكر ذلك سيبويه وأنشد قول لبيد:

أو مُـذْهَـبٌ جُـدَدٌ علـى ألـواحِـه ... اَلنـاطِـقُ المبـرورُ والمختـومُ

وهذا يَدلُّ على أنّ انقضاء النصف الأول موضع وقفٍ عندهم، فلذلك استجازوا فيه قطع الموصول كما قال:

لا نَسَـبَ اليـومَ ولا خُلَّـةً ... اِتسـعَ الخَـرْقُ علـى الرَّاقِـعِ

(٩) أي أموالُهم بحيثُ لا ينالها السائلون مُتَحصِّنة.

(١٠) أصل «الظَّمأ» في العطش أن يكون مهموزاً فخفّفه ها هنا، واستعار «الثَّرَى» للإنسان، وذلك مَثَل ضربَه في قِلَّة الخير وفَقْد المعروف، ويقال أرض مُقشعِرّة: إذا وُصِفت بأنها غبراء مُمْحِلة؛ لأن المُقْشَعِرَّ مِن شأنه أن يتغيّر عن حاله الحَسَنة، قال الشاعر: =

١١ وأخرَسِ الجودِ تَلْقَى الـدَّهْرَ سَائلَه   كـأنَّــهُ واقِـفٌ مِنْــه عـلى طَـلَلٍ !
١٢ قَـدْ كـانَ وَعْـدُكَ لي بَحْـراً فَصيَّـرني   يَوْمُ الزِّماعِ إلى الضَّحْضَاحِ والوشَلِ
١٣ وبَـيَّـنَ الـلَّهُ هـذا مِـنْ بـريَّـتِـه   في قَوْلِه «خُلِقَ الإنسـانُ مِنْ عَجَلِ»
١٤ للَّهِ وَخْـدُ المَهَـارِي أيَّ مَكْـرُمَـةٍ   هَـزَّت وأيَّ غَمـامٍ قَلقَلَتْ خَضِـلِ !
١٥ خَيْـرُ الأخِـلَّاءِ خَيْـرُ الأرْضِ هِمَّتُـهُ   وأفْضَـلُ الرَّكْبِ يَقْـرُو أفضَلَ السُّبُـلِ
١٦ حُـطَّتْ إلى عُمْـدَةِ الإسْـلامِ أرْحُلُه   والشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْساً على الأُصُلِ
١٧ مُـلَبِّيـاً طـالَمـا لَبَّـى مُنـادِيَـهُ   إلى الـوَغَى غَيْـرَ رِعْـدِيـدٍ ولا وَكَـلِ

= وأصبـــحَ بطـــنُ مَكّـــةَ مُقشعـــرّاً   كـــأنَّ الأرضَ ليسَ بهـــا هِشَـــامُ

وقوله «والشمسُ في الحَمَلِ» أي هذا المذموم مُقشعر الرُّبا في وقت الربيع وذلك أوان حُسْنِ الزمان ونَضَارتِهِ، لأن الشمس إذا حَلّت برأس الحَمَل فقد انصرم فصلُ الشتاء ودخل فصلُ الربيع وتزيّنت الأرضُ بالزَّهَر والنبات.

(١١) أي لا يُجيب سائله.

(١٢) و(١٣)أي قد كان وعدك إيّاي للعطاء الجزيل بحراً فاستعجلتُ حتى لم أصل إلى كل ما قدّرتُه، وحرمني حظّي العَجِل. واختلف المفسّرون في قوله تعالى «خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَل» فقال قوم هي على القَلْب، كأنّه قال خُلِقتْ العَجَلةُ من الإنسان، وقال بعضهم إنما المعنى أنه يكثر العجلةَ فهو مائل في جانبها فكأنه خُلِقَ منها، ومَثَلُ ذلك يتردَّد في الكلام، تقول للصبيّ الذي يحبّ اللعب ويُكثره: ما أنت إلا مخلوقٌ مِن لَعب، وادَّعى قومٌ أن «مِنْ» ها هنا بمعنى الباء كأنّه قال خُلِقَ الإنسانُ بِعَجَلٍ، وقال بعض أهل النَّحَل «العَجَل» ها هنا: الطِّينُ، وهذا ممّا يجوز أن يكون مُفْترىً على العَرَب، وبيت الطائيّ يُحمل على الوجوه المتقدّمة ولا يحسن أن يُحمل على هذا الوجه، وقد صنعوا بيتاً واستشهدوا به، وهو قول القائل:

والنَّبْـعُ فـي الصخـرةِ الصَّمَّـاء مَنْبِتُـه   والنَّخْـلُ يَنْبُـتُ بيـنَ المـاء والعَجَـلِ

(١٦) [ع] «عُمْدَة الإسلام»: يجوز أنْ يعني به الكعبة أو مكة★، وقوله «والشمسُ قد نَفَضَتْ وَرساً على الأُصُلِ» أي دَنَتْ للمغيب فاصفرَّتْ، وهذا مِثْل قولِ الراجز:

مِـنْ غُـدْوَةٍ حتـى كـأنَّ الشَّمْسَـا
في الأُفُـقِ الغـربـيِّ تُكْسَـى الوَرسَـا

(١٧) «مُلَبّياً» يقول لَبّيك اللّهمَّ لبّيك، وعند سيبويه أنّ «لَبّيك» مُثنّاة ومعناه إلبابٌ بطاعتك بعدَ إلباب؛ وقد ذهب غيرُه إلى أن الياء ليست للتثنية وإنما انقلبت عن الألف كما فُعِل بها في «إليك»=

١٨ وَمُحْرِماً أَحْرمَت أرْضُ العِراق لَهُ | مِنَ النَّدَى واكتَسَتْ ثَوْباً مِنَ البَخَلِ
١٩ وسافِكاً لِدماء البُدْنِ قدْ سُفِكَتْ | بهِ دماءُ ذَوِي الإلْحادِ والنِّحَلِ
٢٠ ورامِياً جمَراتِ الحَجِّ في سَنَةٍ | رَمَى بها جَمراتِ اليَوْمِ ذِي الشُّعَلِ
٢١ يرْدِي ويُرْقِلُ نحوَ المَرْوَتَيْن كَما | يَرْدِي ويُرقِلُ نحوَ الفارِس البَطَلِ
٢٢ تُقَبِّلُ الرُّكْنَ رُكْنَ البيْت نافِلَةً | وظَهْرُ كَفِّكَ مَعْمورٌ من القُبَلِ
٢٣ لَمّا تَركْتَ بيُوت الكُفْر خاوِيةً | بالغَزوِ آثَرْتَ بيتَ اللّهِ بالقَفَلِ
٢٤ والحَجُّ والغَزوُ مَقْرُونانِ في قَرَنٍ | فاذهَبْ فأنتَ زُعَافُ الْخَيْلِ والإِبلِ
٢٥ نَفْسِي فِدَاؤُكَ إنْ كَانَتْ فِدَاءَكَ مِنْ | صَرْفِ الْحَوادِثِ والأيَّامِ والدِّوَلِ
٢٦ لا مُلْبِسٌ مالَهُ مِنْ دُونِ سَائِلِه | سِتْراً ولا ناصِبُ المَعْرُوفِ للعَذَلِ
٢٧ لا شَمْسُهُ جَمْرةٌ تُشْوَى الوُجُوهُ بِها | يَوْماً ولا ظِلُّهُ عَنَّا بمُنْتَقِلِ
٢٨ تَحولُ أمْوالُه عَنْ عَهْدِها أبداً | ولَمْ يَزُلْ قَطُّ عن عَهْدٍ ولَمْ يَحُلِ
٢٩ سَارِي الهُمُومِ طَمُوحُ العَزْمِ صَادِقُه | كأنَّ آراءَهُ تَنحطُّ مِنْ جَبَلِ
٣٠ أبقَى على جَوْلَةِ الأيَّامِ مِنْ كَتَفَيْ | رَضْوَى وأسْيَرُ في الآفاقِ مِنْ مَثَلِ

= «وعليك» «والرِّعْديد» الجبان «والوكَل» الذي يَكِل أمرَه إلى غيره، ويقال وَكِلَ ووَكَلَ.

(١٩) أي يَسفِكُ دماء البُدْن تَقَرُّباً إلى الله كما يُقَرِّب إليه بسفك دماء الكُفّار في الغزوات.

(٢٠) [خ] أي رَمَى جمرات الحج كما رَمَى في نُحور الكُفّار يومَ الحرب جمراتِ النِّيران وشُعَلَها بالنفَّاطات، أي جمع في هذه السنة بين الحج والغزو. ويجوز أن يريد أنه رَمَى عن نفسه بما أقام في حِجَّته من المناسك ورَمْي الجمار، نار يوم القيامة وجمراتها.

(٢١) [الردي والإرقال: ضربان من ضروب سير الإبل].

(٢٤) [ع] «الزُّعَاف» السَّمُّ القاتل، يعني أنك تُهلك الخيلَ في الغزو، وتُهلك الإبلَ في الحج.

(٢٥) [ع] المعنى: أني أبذُلُ نفسي في فدائك إنْ كانت تبلغ في قَدْرها أن تَفديَكْ، كما يقول الرجلُ مالي يذهب في قضاء دَيْنك إن كان يبلغ أن يَقضيَ دَيْنَك، أي أخاف أن يُقصّر عن ذلك.

(٢٧) [خ] يقول: لا يأتيك أذاه فيبلغ إليك إنْ كنت وَلِيَّه، ولا ينطوي عنك نَفْعُه وخيرُه.

(٢٩) [خ] يقول: لا تُقيم هُمومُه عنده ولكن يُوجِّهها لوجوهها، وآراؤه ثاقبةٌ في الأمور مسرعةٌ، كأنّما تنحط من جبل.

(٣٠) [ع]: «مِنْ كَتَدَيْ» استعار «الكَتَدَ» من الرجل «لِرضوَى» ومدحه بالشيء وضدِه، فجَعله أثبتَ=

٣١ نَبَّهْتَ نَبْهَانَ بَعْدَ النَّوْم وانسكَبتْ ... بكَ الحياةُ على الأحياءِ مِنْ ثُعَلِ
٣٢ كَمْ قَدْ دَعَتْ لكَ بالإخلاص مِنْ مَرَةٍ ... فيهمْ وفَدَّاكَ بالآباء مِنْ رَجُلِ
٣٣ إنْ حَنَّ نَجْدٌ وأهْلُوهُ إليكَ فقَدْ ... مَررْتَ فيهِ مُرُورَ العَارِض الهَطِلِ
٣٤ وأيُّ أرْضٍ بهِ لَمْ تُكْسَ زَهْرَتَها ... وأيُّ وَادٍ بهِ ظَمْآنُ لَمْ يَسِلِ ؟!

= مِن أكتاد رَضْوَى وأسيرَ من المثل في الأرض، فيجوز أن يعني الأمثالَ مِن الشعر، والأمثالَ السائرة من غير المنظوم، لأن الصِّنفين يجوبان البلاد ويكثران على ألسن الناس، كقولهم: (الصيفَ ضيَّعتِ اللبن)، (وأَطِرِّ فإنّكِ ناعِلَة)، و(ذَهب الخَبَرُ مع عمرو بن حُمَمة) فهذا من غير الموزون. فأمّا المقيَّد بالزِّنة فمثل قوله★ ستُبدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهِلاً★ ونحوه، وهذان الخبران يختصّان مِن السِّير بما لا يختصٌ به سواهما إذْ كان المثل من المنثور وغيره يتمثَّله المقيمُ والمسافر والرجلُ والمرأة والعبد والحُر ويستعمله البَرُّ والفاجر، وعالِمٌ من القوم وجاهل، قال ابن مُقْبل وذكر أن الأمثال تجوب البلاد:

ظَنِّي بهم كَعَسَى وهم بِتَنُوفةٍ ... يَتنازعُونَ جَوائِبَ الأمثالِ

(٣١) أي نَوَّهتَ باسم نَبهان [ع] هذا البيت فيه رفْع الممدوح وغضٌّ مِن قَوْمه لأنه جعلهم من قبل أن يكون فيهم مِثْلَ النِّيام، والنوم لا يُذكر إلا في حال الذّم أو ما قاربَه من الشَّيم، يقال نام الثوبُ إذا بَلِيَ، ونامَ الربعُ إذا دَرَسَ، وإذا عُنِّف الرجلُ على الغفلة قيل كأنّه نائم، قال الشاعر:

أبلغْ بني كاهلٍ عنّي مُغَلْغَلَةً ... أنَّ الذي فَعلُوه فِعْلُ نُوَّام

«والأحياء» جمع حيٍّ من العرب، ولا يمكن أن يُجعل جمع الحيّ الذي هو ضد الميّت لأن السيّد إذا تُنوهِي في وصفه ادّعى له أنه قد أحيا سالفَ قومِه بما يفعله من عظيم المكارم★ كقول الشاعر:

أحيَا جِسَاساً فلمّا حان مَصْرَعُه ... خَلّى جِسَاساً لأقوامٍ سَيُحيونَهْ

(٣٢) إذا عَدِمَتِ «المرأةُ» الألفَ واللام فالأحسنُ أن يلزمها ألفُ الوصلِ فيقال هذه امرأة، ولم يحفل الطائيّ بذلك إذْ كان سائغاً في الكلام، ولو أراد تغييره حتى يقول (مِنِ امرأةٍ) لكان ذلك يسيراً سهلاً. وحال «المَرْء» كحال «المرأة» في تعاقب الهمز وعلامة التعريف، قال الراجز:

تَقولُ عِرْسي وَهْي لي في عَوْمَرَهْ ... بئسَ امْرءًا وإنني بئسَ المَرَهْ!

فهذا خَفَّف الهمزة مع الألف واللام. وقال آخر:

ولستُ أرَى مَرْءًا تَطُول حَيَاتُه ... فتُبْقِي له الأيامُ خالاً ولا عَمّا

فحذف همزة الوصل مع غير الألف واللام.

(٣٣) أي إن حنّوا إليكَ فلا عَجَب، لأنك قد أحسنتَ إليهم.

٣٥ مــا زَالَ للصَّـارخِ المُعْلي عِقِيـرتَـه غَوْثٌ مِنَ الغَوْثِ تحتَ الحَادِثِ الْجَلَلِ
٣٦ مِنْ كُـلِّ أبيضَ يَـجلُو مِـنــهُ سَـائِلُهُ خَــدّاً أسِيـلاً بــهِ خَـدٌّ مِنَ الأَسَــلِ

128

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيَّات ويُعاتِبُه [من الطويل]:

١ لَـهَــانَ عَلينــا أَنْ نَقُــولَ وتَـفْـعَــلا ونَـذكُرَ بعضَ الفَضْـلِ عنكَ وتُفْضِـلا
٢ أَبــا جَعْفَـرٍ أَجْـرَيْتَ في كـل تَلْعَــةٍ لَنـا جَعْفـراً مِنْ فَيْض كفَّيْـكَ سَلْسَـلا
٣ فكَمْ قَـدْ أثـرنـا مِنْ نَـوالِـكَ مَعْـدِنــاً وكَم قَـدْ بَنَيْنـا في ظِـلالِـكَ مَعْقِــلا!
٤ رجَعْتَ المنَى خُضْـراً تَثَنَّى غُصُـونُهـا عَلَيْنــا وأطلَقْتَ الــرَّجــاءَ المُكَبَّــلا
٥ ومــا يَلْحَظُ العَـافي جَـدَاكَ مؤمِّــلاً سِــوَى لَحْـظَة حَتَّى يؤوبَ مُـؤَمِّــلا
٦ لقدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي امتِـداداً ولم أكُنْ بَهِيمـاً ولا أرضَى مِنَ الأرضِ مجْهَلا

(٣٥) [ع] هذا من قولهم رفع عَقِيرتَه بالغناء، ووضع «المُعْلي» مكان الرافع، «والصَّارِخ» يكون المُغيث والمستغيث، فهو ها هنا الفَزِع المُسْتَنصِرُ يعني أنه يرفع عقيرتَه في دُعاء الغَوْث فيغيثونه. (المرزوقي): لم يَزَلْ لِلمُسْتغيث الرافعِ صوته غِياثٌ وحِرْز تحت الحوادث مِنَ الغَوْث، وهي قبيلةٌ مِنْ طيّ.

(٣٦) [ع] يصفون الكريم بالبياض لأنه من ألوان الأحرار، والسَّوَاد من ألوان العَبِيد. وقوله «به خَدٌّ من الأسَل» أي شَقٌّ من الطَّعْن، يقال خَدَدْتُ الأرضَ إذا شَقَقْتها، وقوله «يَجْلُو منه سائلُه» أي أنّه إذا سألَه تهلَّل وجهُه وكأنه يجلوه بذلك، إنْ شئتَ مِنْ جلاء الصَّدَأ، وإن شئتَ من جِلاء العروس.

(١) أي لقد هان علينا، كما قال★ لَنَاموا فمـا إنْ مِنْ حديثٍ ولا صَالِ ★ أي لقد هان علينا أن نُسألَ بالقولِ وتُعطي أنت بالفعل، ونمدحك ببعض ما فيك من الفضائل، وتكافئنا بالافضال علينا.

(٢) «الجعفر» النهر الكثير الماء، «والسَّلْسَل» السهل المَسَاغ.

(٤) «المُكبَّل» المُقيَّد، مأخوذ من الكَبْل، وقيل هو الكِبْل بكسر الكاف وعلى ذلك ينشد قول الشاعر:

ولمّـا اتّقـى القَيْــنُ العــراقــيُّ بــاستـهِ فَـرغـتُ إلـى القَيْـنِ المُقيَّـد فـي الكِبْــلِ

(٦) [ع]: «الأوضاح» جمع وَضَحَ وهو البياض، يقال هذا فرس به أوضاح، وهذا كالمثل المضروب لما يملكه من المال، أو لِما يبلغه من الرُّتب والجاه، يقول: لمّا أكرمتني زدتَ في شرفي

٧ ولكنْ أيادٍ صَادَفَتْني جِسَامُهَا أغرٌّ فأوفَتْ بي أغَرَّ مُحَجَّلا
٨ إذَا أحسَنَ الأقوامُ أنْ يَتَطاولُوا بلا نِعمَةٍ أحسنْتَ أن تَتَطَوَّلا
٩ تَعَظَّمْتَ عَنْ ذَاكَ التَّعظُّمِ مِنْهُمُ وأوْصَاكَ نُبْلُ القَدْرِ ألاّ تَنَبَّلا
١٠ تَبيتُ بَعِيداً أنْ تُوجِّهَ حِيلَةً على نَشَبِ السُّلطان أو تَتَأَوَّلا
١١ إذا ما أصابُوا غِرَّةً فتموَّلوا بها رَاحَ بَيْتُ المال منك مُمَوَّلا
١٢ هَزَرْتَ أمِيرَ المؤمنينَ مُحَمَّداً فكانَ رُدينيّاً وأبيضَ مُنْصُلا
١٣ فمَا إنْ تُبَالي أنْ تُجَهِّزَ رَأْيَهُ إلى ناكِثٍ ألاّ تُجَهِّزَ جَحفَلا
١٤ تَرَى شَخْصَه وَسْطَ الخِلافةِ هَضْبَةً وخُطْبَتَه دُونَ الخِلافَةِ فَيْصَلا
١٥ وأنَّكَ إذْ ألبَسْتَه العِزَّ مُنْعِماً وسَرْبَلْتَهُ تلك الجَلالَة مُفْضِلا
١٦ لَتقْضي به حقَّ الرَّعيَّةِ آخِراً وتَقْضي بهِ حَقَّ الخِلافةِ أوَّلا

= وقَدْري ★ ، وهذا المعنى مِثْل قولهم بيّضَ فلانٌ وجهي إذا فعل به فعلاً حسناً ، ومن أبيات المعاني:

أرَى بنيَّ قد ابيضَّتْ وُجوهُهُم واسوَدَّ وجهيَ إنَّ الدَّهر ذو غِيَر!

فسَّروه على أنه أراد « بابيضاض أوجههم » أنهم وُلد لهم أولاد ذُكُور ، و« باسوداد وجهه » أنه وُلدت له أُنثى . [ع]: وقوله: « ولم أكن بهيماً » لمّا ذكر الأوضاح التي تكون في الخيل دَعَاه ذلك إلى أن يذكر « البَهيم » وهو الذي ليس به وَضَح ولا يُخالط لونَه لونُ غيره، يقول: رَفعتني بين الناس وشهرتني ★ لأنهم يصفون الفرس إذا كان أبلق بالشُّهْرَة وإنما ذلك لكثرة أوضاحه، إلاّ أنهم يحمَدون البُلْق كحَمْدهم المحجَّلة ، وقد بَيَّن معناه البيتُ الذي بعْده فزعم أنَّ الممدوح وجَدَه أغرَّ فزادَه حُجُولاً . وذِكر العرب للأغرّ المُحجَّل كثير حتى إنهم قالوا يوم أغرّ مُحَجَّل أي يوم مشهور في الزمن.

(٨) [ع]: التفاعل يَقَعُ مِن الانسان إذا أظهرَ شيئاً لَيْسَ من خُلُقه ولا غريزته، يقال تَكارَم الإنسانُ إذا فعل فعلاً يُوهم أنه كريم، وكذلك قوله « تَطَاوَلَ » أي أظهر أنه من أهل الطَّوْل أي الفضل، وقد يجوز أن يكون « التطاول » ها هنا التكبُّر، ويقال تَطَوَّل الرجلُ بالعارفة إذا تَفضّل بها أي أتى « بالطَّوْل » واستعملَه ، كما يُقال تَكلّم إذا أتى بالكلام، وتَعَمَّمَ إذا لبس العمامة، وأحسنَ من قولك هو يُحسن العلم والأدب، أي يعرفه.

(١٠) [خ]: أي أنت بعيدٌ عن أن تحتالَ على مال السلطان بحيلة لتذهب به، أو تتأول فيه بوجه عن التأويل لتجره إلى نفسك.

(١٢) [الردينيّ: الرمح المنسوب إلى ردينة. المنصُل: السيف].

١٧ فَمَا هَضْبَتَا رَضْوَى ولا رُكْنُ مُعْنِقٍ ولا الطَّوْدُ مِنْ قدْسٍ ولا أنْفُ يَذْبُلا

١٨ بأثْقَلَ مِنْهُ وَطْأَةً حينَ يَغْتَدِي فَيُلْقي وَرَاءَ المُلْكِ نَحْراً وكَلْكَلا

١٩ منيعُ نَوَاحِي السِّرِّ فيهِ ، حَصِينُها إذَا صَارَتِ النَّجْوَى المُذَالَةُ محفِلا

٢٠ تَرَى الحَادِثَ المُسْتَعْجِمَ الخَطْبِ مُعْجَماً لَدَيْهِ ومَشْكُولاً إذا كَانَ مُشْكَلا

٢١ وجَدْنَاكَ أنْدَى مِنْ رِجَالٍ أنَامِلاً وأحسَنَ في الحاجات وَجْهاً وأجْمَلا

٢٢ تُضِيءُ إذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ وبَعْضُهم يَرَى المَوتَ أنْ يَنهَلَّ أوْ يَتَهلَّلا

٢٣ وَواللَّهِ مَا آتِيكَ إلاَّ فَرِيضَةً وآتِي جَمِيعَ النَّاس إلَّا تَنَفُّلا

٢٤ وليسَ امرؤٌ في الناس كنتَ سلاحَهُ عشِيَّةَ يلْقَى الْحَادثاتِ بأعْزَلا

٢٥ يَرَى دِرْعَهُ حَصْدَاءَ والسَّيْفَ قاضِياً وزُجَّيْهِ مسْمُومَيْن والسَّوْطَ مِغْوَلا

---

(١٧) هذه أسماء بلاد، فأمّا «رَضْوَى» فمؤنّثة في اللفظ تأنيثَ غَضْبَى وسَكْرَى، «ومُعْنِق» اسم مُذكّر، والأسماء كلُّها على التذكير إلاّ أن تظهر علامةٌ تدلُّ على غيره، «وقُدْس» مؤنّثة لا علامة فيها، وإنما حُكِم عليها بذلك لأنَّ العرب تُؤنثها وتترك صرْفها قال الشاعر:

كالمَضْرحِيّ غَدا فأصبَح واقعاً في قُدْس عندَ مَجَاثم الأوعال

وقال قوم قُدْس الشيءِ أعلاه. «ويَذْبُل» جبل سُمِّي بالفعل المضارع من ذَبَل الشيءُ يذبل، وهو في الأماكن مِثل قولهم يَشْكُر في الأنيس.

(١٨) أي يوم يُزاحَمُ على المُلْك.

(١٩) [خ] «المُذَالة» المُهانة، أي هو كَتُوم من الأسرار، لا يبوح بها إذا أفشى غيرُه وصارت عنده علانيةً.

(٢٢) «الانهلال» الانصباب، «والتَّهلُّل» الاستبشار.

(٢٣) [ع] في هذا الكلام حَذْف، وقد جاء بمثله في غير هذا المَوْضع، وتمام اللفظ أن يكون: «وما أتى جميع الناس» أو «ولا آتى جميع الناس»، وحَذْف مثل هذا قليل؛ لأنَّ الجملة الأولى قد حال بينها وبين الجملة الثانية حرفُ الاستثناء وما بعده، والكلام محمول على «ما»، ولو أنَّ «لا» موضوعة موضعها لكان ذلك أسوغَ، لأنّ العرب كثر في ألفاظهم حذفُ «لا» في القَسَم كقولهم واللهِ أدخلُ المدينة إلاّ راكباً.

(٢٥) [ع] «الحَصْداء» المُحكمة النَّسْج، وهي مأخوذة من أحصدتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فَتْله، وجعل للرمح زُجَّيْن لمكان الزُّج والسِّنان، وهو من باب قولهم العُمَرَان والقمَران، ولكن الفرقُ بينهما أكثر، و«المِغْوَل» حديدة تكون في طَرَف عصاً يُسَاق بها، فجعلها ها هنا للسوط، والمعروف في=

٢٦ سـأَقْطَعُ أمـطاءَ المـطَايـا بـرِحْلَةٍ	إلى البَلَدِ الغَـربيِّ هَجْـراً ومُـوصِـلا
٢٧ إلى الـرَّحِم الـدُّنيا التي قَـدْ أَجَفَّهـا	عُقُـوقِي عَسَى أَسْبَـابُهـا أن تَبَلَّلا !
٢٨ قَـبيـلٌ وأهـلٌ لَـمْ أُلاقِ مَشُـوقَـهُـمْ	لـوشْـكِ النَّـوَى إلاَّ فُـوَاقـاً كـلا وَلا
٢٩ كـأنَّهـمْ كـانُـوا لـخفَّـةِ وَقْـفَـتي	مَعَـارِفَ لي أو مَنْـزلاً كـانَ مَنْـزلا
٣٠ ولَوْ شِيتُ لَمَّا التَـاثَ بِـرِّي عليهـم	ولَمْ يَـكُ إجمـالاً لَكَـانَ تَجَـمُّـلا
٣١ فـلَمْ أجـدِ الأخـلاقَ إلاَّ تَـخَـلُّقـاً	ولـم أجـدِ الأفضـالَ إلاَّ تَـفَـضُّـلا
٣٢ وأصْـرِفُ وَجْهِي عَنْ بـلادٍ غَـدَا بهـا	لِسَـانيَ مَـشْكُـولاً وقَـلْبيَ مُـقْفَـلا

= السِّياط أن تكون مفتولة من قِدٍّ أو غيره، وقد تُسمَّى المِقْرَعَة سَوْطـاً وإنْ كان فيها عُود، لأن طَرَفها يكون مفتولاً، واشتقاق «المِغْوَل» مِن غَالَ يَغُول، وهذا البيت ينشد على وجهين:

أخـرجـتُ منهـا سِلْقـةً مَـأزُولـةً	جَـرْداءَ يَبْـرُقُ نـابُهـا كـالمِغْـوَلِ

ويروى «كالمِعْوَلِ»

(٢٦) «الهَجْر» الهاجرة وهو نِصْف النهار في شِدَّة الحَرّ، قال الشاعر:

إذا قلـتُ إنـي آيـبٌ أهـلَ منـزل	وضعـتُ علـى الظهـرِ الوليَّـة بـالهَجْـرِ

«ومُوصِلاً»: من قولهم جئتُه بالأصيل أي آخرَ النهار، يُقال آصَلْنا أي صِرنا في ذلك الوقت، كما يقال أظهرنا أي صِرنا في الظهيرة. و«الأمطاء» جمع مَطاً وهو الظَّهْر.

(٢٧) أي عسى أصِلُها بالرجوع إليها.

(٢٨) [ع] يقال كان ذلك كلا ولا أي وشِيكاً عَجِلاً، والمعنى أن الإنسان إذا نَهَى غَيْرَه يَكرّر «لا» مثل أن يقول له اذهبْ إلى موضع كذا فيقول لإرادة المبالغة «لالا» فيجيء الحرفان متصلين لا تفاوت بينهما فجعلوه مثلاً في السرعة قال جرير:

يَكـونُ نُـزُول القـوم فيهـا كلا ولا	غِشاشـاً ولا يُـدْنـونَ رَحْلاً إلـى رَحْـلِ

وقد أفرد ذو الرّمة «كَلاَ» فقال:

أصَـابَ خَصـاصَـةً فَبـدا كَلِيلاً	كَلاَ وانغَـلَّ سـائِـرُهُ انغِلاَلا

(٢٩) [ص] يريد أو منزلاً نزلته وهو من منازل الطُّرق التي لا يلبث الناسُ بها إلاّ يسيراً للرَّاحة، ثم يرحلون، فكأنَّهم معارفي لا ذَوُو قَرَابتـي.

(٣٠) يقول: لو شئتُ بعدما لم أقدر على الإحسان إليهم أن أتجمّل فأُقيمَ فيهم قليلاً لفعلتُ. و«التَاثَ» تَعَسَّرَ.

(٣١) [ح] يقول: مَن لم يتكلّف الأخلاق الحسنة لم تتمّ له، ومَن لم يتكلّف الفضيلةَ لم يَصِرْ فاضِلاً.

(٣٢) أي جَفاني أهلُ هذه البلاد فصرتُ كذا، و«اصرِفُ» معطوف على قوله «سأقطعُ».

٣٣ وجَدَّ بها قَومٌ سِوَايَ، فصَادفُوا — بهـا الصُّنْعَ أعشَى والزَّمانَ مُغَفَّلا
٣٤ كلابُ أغارَتْ في فَريسةِ ضَيْغَمٍ — طُرُوقاً وهامُ أُطْعِمَتْ صَيْدَ أجْدَلا
٣٥ وإنَّ صَريحَ الرَّأْيِ والْحَزْمِ لامرئٍ — إذا بَلَغَتْهُ الشَّمسُ أنْ يَتَحوَّلا
٣٦ وإلَّا تَكُنْ تِلْكَ الأمَانيُّ غَضَّةً — تَرِفُّ فحَسْبي أنْ تُصادفَ ذُبَّلا
٣٧ فلَيْسَ الذي قَاسَى المَطَالِبَ غُدْوَةً — هَبيداً كَمَنْ قاسَى المَطالِبَ حَنْظَلا
٣٨ لَئِن هِمَمي أوجَدْنَني في تَقَلُّبي — مآلاً، لقد أفقَدْنَني مِنكَ مَوْئِلا
٣٩ وإنْ رُمْتُ أمْراً مُدْبِرَ الوَجْهِ إنَّني — سأتْرُكُ حَظّاً في فِنائِكَ مُقبِلا
٤٠ وإنْ كنتُ أخطو ساحةَ المَحْلِ إنَّني — لأترُكُ رَوْضاً مِنْ جَدَاكَ وجَدْولا
٤١ كذلكَ لا يُلْقِي المُسَافِرُ رَحْلَه — إلى مَنْقَلٍ حتَّى يُخلِّفَ مَنْقَلا

---

(٣٣) [ع] يقال جَدَّ الرجلُ إذا صار ذا جدٍّ أي حَظٍّ وعَظَمةٍ، وفي الحديث «كان الرجلُ منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ في أعْيُننا» أي عَظُمَ. وقالوا مَجْدُود أي محظوظ، فهذا يُوجب أن يُقال «جُدَّ» فهو مجدود. وقوله «بها الصُّنْعَ أعشَى» اي قد ضعفَ بَصرُه فأخطأ في حُلُوله عند هؤلاء القوم لأنَّ الضعيفَ البصرِ لا يتصوَّر الأشياءَ على ما هي عليه وقوله «والزَّمان مُغفَّلا» لأنه أعطى غيرَ مستحقِّه.

(٣٤) أي كأنَّهم أخذوا ما أنا أولى بأخذه.

(٣٥) [ق] أي إذا بلغتْه الشمسُ وقد استغنَى عنها أو خاف التأذِّي بها أن يتحوّل.

(٣٦) «تَرِفُّ» تهتز، يقول: إلاَّ تكن الأماني التي أتمناها غَضَّةً ويئستُ أن أراها طَرِيَّةً فإنِّي راضٍ أن أرَاها ذَابلةً بعد أن آمَنَ يُبْسَها.

(٣٧) «الهَبِيد» حَبُّ الحنظل، وهو إذا عُولج وأُغلي ثم بُدِّد ماؤه أمكن أن يؤكل، وهم إلى اليوم يستعملونه في تهامة والحجاز وتلك الناحية، وإنما يفتقرون إليه إذا فُقِدت الأطعمةُ، وقد كان أهلُ السَّعة يُعيِّرون الفقراءَ أَكْلَه، قال قيس بن الخطيم:

أكنتمْ تحسِبونَ قتالَ قَوْمي — كأكلكُم الغَفَايا والهَبيدا؟!

[ع] ومعنى البيت الذي قصده الطائيّ أنَّ بعض الشر أهونُ من بعض، فالذي يأكل الهَبيد أقلُّ مَشَقَّةً من الذي يمارس الحنظلَ لأنه في تلك الحال لا يُوصَلُ إلى أكله. والهبيد وإن كان مذموماً فقد يُنتفع به.

(٣٨) [خ] أي إن أوجدنني بانتقالي إلى وطني مَرْجعاً، لقد أعدمنني منك مَلْجأً كنتُ التجيءُ إليه.

(٣٩) يقول: إن ارتحلتُ عن هذه البلدة ففرحتُ بمفارقتها لما قاسيتُ بها لقد بقيتْ لي أحزانٌ لِما أفقده من الأُنْس بك والإصابةِ من فضلك، وهذا تفسيرُ قولُه (الأبيات التالية).

٤٢ ولا صاحبُ التَّطوافِ يَعْمُرُ مَنْهَلًا وَرَبْعاً إذا لم يُخْلِ رَبْعاً ومَنهلا

٤٣ ومَنْ ذَا يُدَانِي أوْ يُنائي وهَلْ فَتًى يَحُلُّ عُرَى التَّرحالِ أَوْ يَترحَّلا !

٤٤ فمُرْني بأمْرٍ أحوَذِيٍّ فإنَّني رَأَيْتُ العِدَا أثْروا وأصبحتُ مُرْمِلا

٤٥ فَسِيَّانِ عِنْدي صَادَفُوا لي مَطْعَماً أُعَابُ بِهِ أو صَادَفُوا لي مَقْتَلا

٤٦ ووالله لا أنفَكُّ أُهْدِي شَوارداً إلَيْكَ يُحمَّلْنَ الثَّناءَ المُنخَّلا

٤٧ تَخَالُ بِهِ بُرْداً عليكَ مُحَبَّراً وتَحْسَبُهُ عِقْداً عليكَ مُفَصَّلا

٤٨ أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى وأطيبَ نَفْحَةً مِن المِسْكِ مفتوقاً وأيْسرَ محملا

٤٩ أخفَّ على قلبٍ وأثقلَ قيمةً وأقْصرَ في سَمْعِ الجَليسِ وأطْوَلا

٥٠ ويُزْهَى له قَوْمٌ ولَمْ يُمْدَحوا بِهِ إذَا مَثَّلَ الرَّاوي بِهِ أَوْ تَمثَّلا

---

(٤٣) يقول: هل تَرى أحداً يطول مُقامه في الدعة والراحة إلاّ بعد أن يطول سَفَره [ق] «يُنَائِي» نُصب «بِأن» مُضمرةً بين الفعل و«أو»، وكذلك «يترحل»، إلاّ أنه سَكَّن الياء من «يُنَائي»، و«أو» فيها بدلٌ من «إلاّ»، كأنه قال: إلاّ أن يُنائِيَ، وإلاّ أن يَترحَّلَ، فيقول: مَن هذا الذي يمكنه أن يُلقِي عصا الترحال وتَستقِرُّ به النَّوَى إلاّ أن يَبعُد أولاً في طلب المعيشة ويَكُدُّ نفسَه في ارتياد الغِنى؟ وهل يقدر الفتى أن يحُلَّ عُرَا الترحال ويضعَ الأحلاس عن الرِّكاب، إلاّ بعد أن يترحَّلَ زماناً؟ ومثله قوله في أخرى:

★ أرى العَفْوَ لا يُمْتَاحُ إلاّ مِنَ الجَهْدِ ★

(٤٤) [ع] «أمرٌ أحْوَذِيٌّ» أي سريع، وإنما يُوصَف بذلك الرجل فاستعاره لِفعْله، يقول: إني لا أرضى لنفسي أن أرَى عِدَايَ مُثْرين وأنا مُرْمِلٌ أي مُقِلٌّ.

(٤٥) [ع] «سيَّان»: أي مِثْلان، وفي الكلام حَذْف، كانّه قال سِيّان عندي أنْ صادفوا لي مَطْعَماً أُعابُ به أو قَتْلي، أي إنهم إذا علموا بمكان فقري فكأنهم قد صادفوا قَتْلي بذلك، وجاء بـ«أو» في هذا اللفظ وهو بالواو أشبه لأن «أو» ها هنا كالإباحة وليست للشّك، وهو نحو من قول الهُذليّ:

وكان مِثْلَيْن ألاّ يَسْرَحوا نَعَماً أو يَسْرَحوه بِهِ واغبَرَّتِ السُّوح

كأنه قال أن سَرَحُوا وأن لم يسرحوا فذلك سَوَاء.

(٤٨) [خ] «أيسر مَحْملاً» لأنّ القليل منه يكفي صاحبَه فلا يَثْقُل عليه حَمْلُهُ...

(٤٩) [خ] يقول: هذا الثناء أخفُّ على رُوح الإنسان من كل خفيف★، وأثقل قيمةً من كل ثقيل، وهو أقصرُ في السَّمْع من كل قصير يعني لفظه، وأطول معانيَ وبقاءً على الدهرِ من كل طويلٍ بَقاؤه.

(٥٠) أي يعتريهم الزهو. والمعنى: إذا انتصب الرّاوي في مجلس مُنْشِداً له كلَّه أو متمثّلاً ببعضه، =

٥١ على أنَّ إفْــرَاطَ الحَيَــاءِ استَمــالنِي إليــك ولَمَ أعدِلْ بعــرْضِيَ مَعْـدِلا
٥٢ فثَقَّلْتُ بــالتَّخفيفِ عنــكَ وبَعضُهــمْ يُخفِّفُ في الحـاجـاتِ حتَّى يُثَقِّـلا !

129

وقال أيضاً يمدحه [من الطويل] :

١ مَتَى أنتَ عَنْ ذُهليَّــةِ الحَـيّ ذَاهِــلُ وَقَلْبُــكَ مِنها مُــدَّةَ الـدَّهْــر آهِـلُ!
٢ تُـطِلُّ الطُّلُولُ الـدَّمْعَ في كُـلِّ مَوْقِفٍ وَتَمْثُـلُ بـالصَّبْـرِ الـدِّيَــارُ المَـوَاثِـلُ

= « والماثل » القائم المنتصب فأمّا « مَثْل » بالتشديد فلا يحسن ها هنا بدلالة أنّ التمثيل إنما يكون من فعل القائل للشعر لا الراوي لي.

(٥١) أي إفراط الحياء أحوجني إلى طُول المُقام عليك، وتأخّر قضاءُ حاجتي لأني لـو ألححـت وكشفـتُ قناعَ الحياءِ لظفرتُ بما أردت، ولكني أكرمت عِرْضي بلزوم الحياء وصيانة النفس عن الالحـاح (ص): « استمالني إليهم » عادَ بالخطاب إلى القوم الذين قدّمهم عليه، وذكر أنّ خُروجه إلى أهله حَياءً لطول غيبته وأنّ عِرْضه كان يُذَال بتقديم مَن لا يجب تقديمه عليه.

(٥٢) أي ثقلتُ أمري بتخفيفي عنك في سؤالك واقتضائك ولم أُصرِّحْ به، فكنتَ تقضي حاجتي في أوَّل أمري.

(١) [ع] « ذُهْلِيّة الحَيّ » يجوز أن يكون نَكِرةً، فيكون المعنى: متى أنت عن امرأةٍ ذُهْلِيّ حَيُّها، كما تقول متى أنت عن حَسَنةِ الوجهِ ذَاهِل، أي عن امرأةٍ حَسَنٍ وَجْهُها، ويجوز أن تكون « ذُهْلِيّة ». مُعرَّفة بالإضافة فلا يكون الغرض كالأول، وتكون « الذُّهْلية » في هذا الوجه ليست في النَّسبِ من الحيّ، وهو في الوجه المتقدّم من حيٍّ كلّهم ذَهْليّ. (المرزوقي): يَسْتَبْعِدُ سُلُوَّه عن هذه المرأة فقال على طريق الإنكار: متى تسلو عنها وصَدْرك أبداً آهِلٌ منها؟ و« آهِل » يجوز أن يكون على طريق النِّسبة، أرادَ وصَدْرُك منها ذُو أهل أي هو أبداً معمور بحبّها مأهولٌ مِن ذِكْرها، كما يقال عيش ناصِب وماءٌ دافِق، ويجوز أن يكون أراد: وصَدْرُك طولَ الدّهرِ آلِفٌ لها ومِن أجلها. قال الخليل: يُقال لكل شيءٍ ألِفَ شيئاً هو آهِل، أي صار أهْلِيًّا، ولذلك يقال ما ألِفَ الناسُ من الدَّوابّ أهْلِيٌّ.

(٢) أي لا تُغْنِي من بكاء [ع] و« مَثَلَ » من الأضداد، يقال مَثَلَ إذا ظَهَر وانتصَبَ، وَمَثَلَ إذا زَالَ =

٣ دَوارِسُ لَمْ يَجْفُ الـرَّبيـعُ رُبُـوعَهـا ... ولا مَـرَّ في أغفَـالِهـا وهْـوَ غَـافِـلُ
٤ فَقَـدْ سَحبَتْ فيهـا السَّحـائِبُ ذَيْلَهـا ... وقَـدْ أُخمِلَتْ بالنَّـوْر فيهـا الْخَمَـائِـلُ
٥ تَعفَّيْـنَ مِـنْ زَادِ العُفَـاةِ إذَا انتحـى ... على الحيِّ صَرْفُ الأَزْمَةِ المُتَماحِـلُ
٦ لَهُمْ سَلَـفٌ سُمْـرُ العَـوالي وَسَـامِـرٌ ... وفيهـم جَمـالٌ لا يَغيـضُ وَجَـامِـلُ
٧ لَـيـالِيَ أضـلَلتَ العَـزَاءَ وجَـوَّلَتْ ... بـعَقْـلِكَ آرَامُ الْخُـدُور الـعَـقَـائِـلُ

= واندرَسَ. وقوله «وتَمثُلُ بالصَّبْر» من المُثُول الذي هو يليه، و«المَوَاثِل» يحتمل الوجهين المتضادين إذا لم يتبعه البيتُ الذي يليه، وفيما بعده دليلٌ على أنه أراد معنى الدُّروس. (المرزوقيّ): «تَمثُل بالصبر» أي تُعاقِبُهُ حتى تَعلَه مُثْلةً، و«المَوَاثِل» جمع ماثلةٍ وهو مِن الأضداد، يكون الدَّارِسَ ويكون الباقي المنتصب، فإذا فَسَّرته على الدَّارِس، فالمعنى أنّ العاشق إذا وقَفَ بها فوجدها دراسةً اشتَدَّ جَزَعُه وعِيلَ صَبْرُهُ فكأنّ الدِّيار مَثَلَتْ به وبصبره. فإذا حمَلَتْه على أنه البواقي المنتصبة تصير الدِّيار كأنّها دَرَسَ بَعضُها وبقي البعضُ، ويكون المعنى: أنها بآثارها الباقية وعلاماتها المُنتصبة تُذكِّر العُهودَ وتجدّد الأحزان، ولو كانت كلُّها دارسةً خليقةٌ بألاّ تُعرف فيستريحُ العاشِقُ، ويكون على هذا مثل قوله [ابن أحمر]:

ألاَ ليـتَ المنَـازلَ قـد بَلينـا ... فلا يَـرْمِيـنَ عَـنْ شُـزُنٍ حَـزِينـا

(٣) [ص] أي لم يَمُرَّ الرَّبيعُ بهذه الطُّلُول، وهو غافِلٌ عن سُقْياها.

(٤) [ع] أراد «بالخمائل» ها هنا الأرَضين السَّهْلة، واتّفَقَ له أنّ «الخمائل» تقع على ما أُخمِلَ من القُطُفِ ونحوها أي جُعل له خَمْل فقال: «وقد أُخمِلتْ بالنّوْر» أي جُعل لها كالخَمْل، وهي خمائل تُشبّه بالقطيف الذي هو مُخمَّل ممّا يُنْسَج، ويمكن أن يُحمل قوله «وقد أُخمِلتْ» على قولهم خَمَل الرجلُ إذا أُخفِي ذِكْرُهُ أي إنّ النَّوْرَ قد ستَرَها وأخفاها بكثرته.

(٥) [ع] «الأزْمَة» السنة الشديدة، و«المُتَماحِل» الطويل، وليس هو من المَحْل الذي هو جَدْب لأنهم لم يستعملوا هذا اللفظ في المَحْل ولأنّ الغالب على هذا البناء أن يكون لمتظاهرٍ بشيءٍ ليس من أهله كالمتغافل والمتكارم. يقول خَلَتْ هذه الدِّيارُ من معروفِ أهلها ونائِلهم الذي كان العُفَاةُ ينالونه في السنة الماحلة.

(٦) «السَّلَف» القوم المُتقدِّمون، والعرب إلى اليوم إذا أرادت الرحيلَ عن المنزل رَكِبت الرجالُ الخيل، وتَقدَّمت الظُّعن فيقال لأولئك الفُرسان السَّلَف والسُّلاَّف. و«السَّامر» القوم الذين يَتحدّثون بالليل في القمر، وقِيل إنّ السَّمَر ظِلُّ القمر، ثم كَثُر حتّى سُميَ الحديث في الليل سَمَراً.

(٧) [جوّلتْ: طافت. الأرام: النساء. العقائل: جمع العقيلة، وهي المرأة المحصَّنة].

٨ مِنَ الهِيفِ لَوْ أَنَّ الخَلاخِلَ صُيِّرَتْ لهَا وُشُماً جَالَتْ عليها الخَلاخِلُ
٩ مَهَا الوَحْشِ إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قَنَا الخطِّ إلاَّ أَنَّ تِلْكَ ذَوابِلُ
١٠ هَوًى كانَ خلْساً إنَّ مِنْ أحسنِ الهَوَى هَوًى جُلْتَ في أفنائِهِ، وَهْوَ خامِلُ
١١ أَبَا جَعْفَرٍ إنَّ الجَهالَةَ أُمُّها وَلُودٌ وأُمُّ العِلْمِ جَدَّاءُ حائِلُ
١٢ أَرَى الحَشوَ والدَّهْمَاءَ أضحَوْا كأَنَّهمْ شُعُوبٌ تَلاقَتْ دُونَنَا وقَبَائِلُ
١٣ غَدَوْا وكأنَّ الجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ أَبٌ وَذَوُو الآدَابِ فيهِمْ نَوَاقِلُ
١٤ فَكُنْ هَضْبَةً نَأْوِي إليها وحَرَّةً يُعَرِّدُ عَنْهَا الأعوَجِيُّ المَنَاقِلُ

---

(٨) [ق] الذي قَصَده أبو تمام بكلامه معنيان: أحدهما غَلِظُ السّاقين فتكون الخلاخيل من الاتساع بمقدار غِلظهما، والثاني دِقّة الخَصْر حتى لو جُعل الخَلْخال في موضع الوِشَاح لجَالَ عليه؟ وقد أبطلَ قولَ الرّادّ عليه.

(٩) قال الصولي: يقول هن كبقر الوحش في تهاديهن وحسن عيونهن، وهن كقنا الخط في القد، إلا أن القنا ذوابل وهن طراء، وقيل للقنا ذوابل لأنها تلين عند الطعن فلا تنكسر.

(١٠) (المرزوقي):
«هَوَىً كان خَلْساً إنَّ مِنْ أَبْرَدِ الهَوَى هَوًى خُلْتَ في أفيَائِهِ وهُوَ جائِلُ»
يقول: هذا الهَوَى كان خَلْساً لم يَحْصُلْ على طُول صُحْبة ودوام تأمُّلٍ وعن مُغالبةٍ إلى أن استحكم، ولكن تَمكَّن لأوّل وهلةٍ اختِلاساً. «إنَّ مِن أبْرَدِ الهَوَى» أي أثبتِ الهوى، يقال بَرَدَ حَقّي عليه أي ثَبَتَ، ويجوز أن يكون معناه أعْذَبِ الهَوَى، وأعذبُه ما لا يُفارقك بل تدور في ظِلاله، ويدور هو معك. وبعضهم روَى «إنَّ مِنْ أبرَح الهَوَى» أي من أشدّه، ويُرْوَى «في أفيائه وهو خامل» والمعنى لا يُؤبَه له، ولا يُعْلَم به، وعلى هذا يكون معنى «أبْرَد» أعذب لا غير.

(١١) [ع] «جَدَّاء» صغيرة الثَّدْي، و«حائل» ليست ذَاتَ حَمْل. أي إنْ العلم أهلُه قليل، وكأنَّ أمَّه بهذه الصفة.

(١٢) [ع] «الحَشْو» العامّة، و«الدَّهْماء» مُعْظمهم، أي قد كَثَروا. والمُراد «بالحَشْو» من لا خيرَ فيه ولا عنده عقل يميّز به شيئاً من شيء، و«الدَّهْماء» جماعة الخَلْق، يقال في المثل: ما أدرى أيَّ الدهماء هو، أيْ أيُّ الناسِ، و«الشُّعُوب» جمع شَعْب، وهو القبيلة العظيمة.

(١٣) [ع] «نَوَاقل» جمع ناقِلة، يُقال بنو فلان ناقِلةٌ في بني فلان أي خَلَّوا قومَهم وانتقلوا إليهم. (نسخة العبديّ): «الناقِل» ولَد الولد، و«الناقلة» في الأصل شِبْه الزيادة يَلحق بالصميم ولا يُحتاج إليه.

(١٤) [ع] يقول لهذا الممدوح: كُنْ هَضْبةً نَأْوى إليها من العدوّ، وحَرَّةً، وهي الأرض التي تَلْبَسُها =

١٥ فـإنَّ الفَتَى في كُـل ضَـرْبٍ مُنَـاسِبٌ مَنَاسِـبَ رُوحـانِيّـةً مَـنْ يُشَـاكِـلُ
١٦ ولَمْ تَنْـظِمِ العِقْـدَ الكَعَـابُ لِـزينَـةٍ كَمَا تَنظِمُ الشَّمْلَ الشَّتِيتَ الشَّمـائِـلُ
١٧ وأَنتَ شِهَـابٌ في المُلمّـاتِ ثَـاقِبٌ وسَيْفٌ إذا مـا هـزَّكَ الْحَقُّ قَـاصِـلُ
١٨ مِن البيضِ لَمْ تَنضُ الأَكُفُّ كـنَصْـلِهِ ولا حمَلَتْ مِثْـلاً إليـهِ الـحمَـائِـلُ
١٩ مُـؤَرِّثُ نـارٍ والإمَـامُ يَـشُـبُّـهـا وقَـائِـلُ فَصْـلٍ والْخَليفَـةُ فـاعِـلُ
٢٠ وإنَّـكَ إنْ صَـدَّ الـزَّمـانُ بـوَجْهِـهِ لَـطَلْقٌ ومِنْ دُونِ الْخَليفَـةِ بـاسِـلُ
٢١ لَئِن نقِمُـوا حُـوشِيَّـةً فيـكَ دُونَهـا لقَـدْ عَلِمُـوا عَنْ أيِّ عِلقٍ تُنَـاضِـلُ

= حِجارةٌ سُودُ، و«يُعَرِّد» أي يَحيد ويَفِرُّ. و«الأعوجيُّ» منسوب إلى أعْوَج، و«المُنَاقِل» الذي يحسن نَقْلَ قوائمه إذا وَقَعَ في أرضٍ ذاتِ حجارةٍ وهو النَّقَال، قال جرير:

مِـنْ كُـلِّ مُشْتَـرفٍ وإنْ بَعُـدَ المَـدَى ضَـرِمَ الرِّفـاقِ مُنَـاقِـلِ الأجْـرَالِ

أي أنه إذا وَقَع في الأجرال وهي الحجارة نَاقَل [ع] و«الحَرَّةُ» تُوصف بأنها يُعتصم بها لأنّ المشي فيها يصعب، قال اليشكريّ:

ليسَ يُنْجـي مُـوائِلاً مِـنْ حِـذارٍ رأسُ طَـوْدٍ وحَـرَّةٌ رَجْلاءُ

فوصفها بالصعوبة، وكذلك قال النابغة يُخاطب الغَسّانيّ:

وإنْ غَضِبـتَ فـإنـي غيـرُ مُنفَلِـتٍ مِنِّـي لَصَـافِ فجنبـا حَـرَّةِ النّـارِ

وفي نسخة العَبْديّ: أي كُنْ هضبةً لا يَرُومها الجهلُ ولا يرقاها وإن كان عالياً، لأنه ليس من شَكْلك لأنك عالم والعلم يُضاد الجهل.

(١٦) أي كما تُؤلّف الأخلاقُ بين أهلها وإن كانوا مختلفين في الهيئات والمناظر.

(١٨) «إليه» أي «له»، وحُروف الخفض يقوم بعضها مقام البعض.

(١٩) أي يفعَله الخليفة، و«مُؤرِّث» مُوقِد.

(٢٠) أي أنت مُتهَلِلٌ للعُفَاة عند كُلُوحِ وَجْه الزّمان، ولكنك عَبُوس لمن رَامَ الخِلافَة بخلافٍ.

(٢١) «الحُوشيَّة» الجفاء والتَّبادِي، وقيل الحُوشيّة النِّفار، و«دُونها» أي دون الخلافة. (ع): الرواية «حُوشِيّة» من قولهم إبل حُوش أي مُتبرِّزة لا تَريع إلى الإنس، أي فيكَ لِحياطة الخلافة والمملكة نِفارٌ ودِفاع يظن الجاهلُ أنه خُلُق ذميم. ومَن روى «حَشْوِيّة» فهو من قولهم فلان حَشويّ أي يأخذ بأخلاق الحَشو من الناس وهم الذين لا يُعتَدُّ بهم، وهذه الكلمة مُولَّدة، ويجب أن تكون الرواية الصحيحة «حُوشِيَّة» لا غير.

٢٢ هِيَ الشيءُ، مَوْلِي المَرْءِ قِرْنٌ مُبَاينٌ لَـهُ وابْنُـه فيهـا عَـدُوٌّ مُقَـاتِـلُ
٢٣ إذا فَضَلَت عنْ رَأْيِ غَيْـرِكَ أصبحَت ورأيُـكَ عَنْ جِهَـاتِهـا السِّتِّ فـاضِـلُ
٢٤ وخـطْبٍ جليـلٍ دُونَهـا قـد شَغَلْتَـهُ وفي دُونِـهِ شُغْـلٌ لِغيـركَ شَـاغِـلُ
٢٥ رَدَدْتَ السَّنَا في شَمْسِـهِ بَعْـدَ كُلفَـةٍ كـأنَّ انتصَـافَ اليَـوْمِ فيهـا أَصـائِـلُ
٢٦ تَرَى كُلَّ نَقْصٍ تَارِكَ العِرْضِ والتُّقى كَمَـالاً إِذَا المُلْكُ اعتَدَى وهْـوَ كامِـلُ
٢٧ جَمَعْتَ عُـرَى أعمَـالِهـا بَعْـدَ فُـرْقَـةٍ إلَيْـكَ كمـا ضَمَّ الأنـابِيبَ عـامِـلُ
٢٨ فـأضحَتْ وقَدْ ضُمَّتْ إليـكَ ولَمْ تَزَلْ تُضَمُّ إلى الْجَيْشِ الكَثِيفِ القَنَـابِـلُ
٢٩ ومـا بَـرِحَتْ صُـوْراً إليـكَ نَـوازِعـاً أَعِنَّتُهـا مُـذْ رَاسَلَتْـكَ الـرَّسَـائِـلُ
٣٠ لَـكَ القَلَمُ الأعْلَى الـذي بِشَبَـاتِـه تُصَـابُ مِنَ الأمْرِ الكُلَى والمَفَـاصِـلُ

---

(٢٢) أي الخلافة شيء جليل يُعادِي فيه القريبُ قريبَه والابنُ أباه. (المرزوقيّ): أي هو المُلْك، ومَوْلى المرء» أيّ ابنُ عمّه ونسيبه يصير أجنبيًّا يُصارم فيه ويُهاجر، والابنُ يعود فيه عدوًّا مُعانِداً يُقاتل له ويُدافع عنه، وهذا كما يُقال المُلْك عَقيم.

(٢٣) [ق]: يقول: إذا زَادَت الخلافةُ عن رأي غيرك فلم يستقلّ بها ولم ينهض فيها وفي سياستها أصبَحتْ ورأيك قد أحاطَ بها وبجوانبها السِّتة التي هي اليمين والشمال والخَلْف والقُدّام والأعلى والأسفل، بل فضـل عنها وزاد عليها، [ع]: وإن رويتَ «عن جِهاتِها السِّت» فهي جمع جِهَة وفي البيت زحاف، يحتمل مثله، وإنْ رويت «عن جَمَّاتِها السِّت» فهو سالم من الزِّحاف وفيه مبالغة لأنه قد جعل كلَّ جهةٍ منها جَمَّةً أي كثيرة.

(٢٤) «دُونها» أي دون الخِلافة، ولو كان غيرك لأعجَزَه وانقطعَ دُونه.

(٢٥) أي رددتَ النُّورَ في شمس الخلافة بعدما كانت اسودَّتْ أو هَمَّتْ باسوداد.

(٢٦) أي تَرَى كلَّ نَقْصٍ في مالِك إذا سَلِمَ دِينُك وعِرْضُك كَمَالاً معْ كمال المُلْك.

(٢٧) أي ضممت ما انتشرَ مِن أُمور المُلْك.

(٢٨) معناه: أنَّ الجيوش تُضَمّ إلى قائدٍ ضابط يَسُوسها.

(٢٩) [ع]: «صُوْراً» أي مائلةً، وهي جمع أَصْوَر وصَوْراء، وإنما يعني «بالصُّور» ها هنا الرسائل، وهي في آخر البيتِ مرفوعة بـ (بَرِحَتْ) كأنه قال وما بَرِحَتْ الرسائلُ صُوْراً إليك.

(٣٠) [ع]: جعل «الكُلَى» و«المفَاصِل» مَثَلاً لحقائق الأشياء، وأصلُ ذلك أنّ الضاربَ إذا أصابَ المَفْصِلَ بلغَ ما يُريد من المضروب، وأنَّ الرّاميَ إذا أصابَ كُلْيَة القَنَص فقد أثبتَه. «والشَّبَاة» الحدّ.

٣١ لَـهُ الخَلَـواتُ اللاّءِ لَـولا نجيُّهـا ... لما احتفلَتْ للمُلْكِ تلك المحـافِـلُ
٣٢ لُعـابُ الأفـاعي القَـاتِلاتِ لُعـابُهُ ... وأرْيُ الْجَنَى اشتَـارَتْـهُ أَيْـدٍ عـواسِـلُ
٣٣ لَـهُ ريقَـةٌ طَـلٌّ ولـكـنَّ وقْـعَـهـا ... بـآثـارِهِ في الشَّـرْقِ والغَـرْبِ وَابِـلُ
٣٤ فصِيـحٌ إذَا استنْـطَقْتَـهُ وَهْـوَ رَاكِبٌ ... وأعْجَمُ إنْ خَـاطَبْتَـهُ وهْـوَ راجـلُ
٣٥ إذَا ما امتَطَى الخَمْسَ اللِّطَاف وأُفْرِغَتْ ... عليـهِ شِعـابُ الفِكْـرِ وهْيَ حـوافِـلُ
٣٦ أَطـاعَتْـهُ أطـرافُ القَنـا وتَقَـوَّضَتْ ... لِنَجْـواه تَقْـوِيضَ الخِيَـامِ الجحَـافِـلُ
٣٧ إذَا استَغْـزَرَ الـذِّهْنَ الـذَّكِيَّ وأقبلتْ ... أعـاليهِ في القِـرطَـاسِ وهْيَ أسـافِـلُ
٣٨ وقَـدْ رَفَـدَتْـه الْخَنْصـران وشَـدَّدتْ ... ثَـلاثَ نَـواحيـهِ الثَّلاث الأَنَـامِـلُ
٣٩ رأيْتَ جليـلاً شـأْنُـهُ وهْـو مُـرْهفٌ ... ضَنًى وسَميناً خَـطْبُـهُ وهْـو نـاحِـلُ
٤٠ أرى ابـنَ أبي مـرْوَانَ أَمَّـا عـطاؤُهُ ... فَـطَامٍ وأمَّـا حُكْمُـه فَـهْـوَ عَـادِلُ

---

(٣١) أي لولا سِرُّ هذه الأقلام لما انتظم أمرُ المُلْك.

(٣٢) [ع]: «الجَنَى» اسمٌ عام يَقع على كلِّ ما اجتُني؟ فجائزٌ أن يُسمّى «الأرْيُ» جَنًى لأنه يُجْنَى من مواضع النحل، ولِعموم الجَنَى في اللفظ حَسُنَتْ إضافة الأرْي إليه لأن بعض الشيء يُضاف إلى كلّه، ولمَّا كان الأرْيُ يُستعمل في المَطر وما لَصِقَ بالقِدْر قَوَّى ذلك إضافَته في هذا الموضع. «واشتَارَتْه» في موضع نَصْب على الحال، كأنه قال: وأرْيِ الجَنَى مُشتارةً له أيْدٍ عَوَاسل، «والعَوَاسل»: التي تأخذ العَسَل.

(٣٣) رِيقُ القلم يَسيرٌ كالقَطْر، ولكنّ آثارَه في الشرق والغرب كالوابل.

(٣٥) [ع]: «امتطَى» أي ركبَ، «والخَمْس اللِّطاف» يعني البنان، ويجوز «أَفرغَتْ» بفتح الهمزة على أن تجعل «الشِّعاب» هي الفاعلة، «والشِّعاب» جمع شُعْبة وهي المَسِيل الواسع في الجبل أيضاً، ومعناها قريب من معنى الشِّعْب، وربما جمعوا فُعْلَة على فِعَال، كما قالوا نُقْرة ونِقَار وجُفْرة وجِفَار. «والحَوَافِل» جمع حَافِل، وهو الذي حَفَل بالسيل إذا جاء بالكثير منه. وإنْ رويتَ: «أُفرغَتْ» على ما لم يُسَمَّ فاعله فلا يمتنع ذلك، ولكن الفتح أجود.

(٣٦) ويُروى «أطرافُ القَنا».

(٣٧) [ص] «أعالي الأقلام» رؤوسها، فإذا كَتبتْ انحطّت الرُّؤوس فصارت أسافِلَ.

(٣٨) [ع] يعني الخِنْصر والتي يَليها، وهذا نحو قولهم القَمَران، «ورَفَدَتْه» أعانَتْه.

(٤٠) [ص]: يعني الممدوح، أي يَعْدِل في حُكمه ويزيد بَذْلُه على العَدْل.

٤١ هُوَ المرْءُ لا الشُّورَى استبدَّتْ برأيِهِ ... ولا قبضَتْ مِنْ رَاحَتيْه العواذِلُ

٤٢ مُعرَّسُ حَقٍّ مالُهُ ولَرُبَّما ... تَحيَّفَ مِنْه الخَطْبُ والْخَطْبُ باطِلُ

٤٣ لَقَاحٌ، فَلمْ تَخْدِجْهُ بالضَّيْم مِنَّة ... ولا نَالَ أنْفاً مِنْهُ بالذُّلِّ نائِلُ

٤٤ ترى حَبْلَهُ غرْثَانَ مِنْ كلِّ غَدْرةٍ ... إِذَا نُصِبَتْ تَحْتَ الحِبَال الْحَبَائِلُ

٤٥ فَتًى لا يرى أَنَّ الفَرِيصَةَ مقتَلٌ ... ولكنْ يرى أنَّ العُيُوبَ المَقَاتِلُ

٤٦ ولا غُمَرٌ قَدْ رَقَّصَ الْخفضُ قلْبَهُ ... ولا طَارِفٌ في نِعْمَةِ اللَّهِ جَاهِلُ

٤٧ أَبا جَعْفَرٍ إنَّ الْخليفةَ إنْ يَكُنْ ... لِوُرَّادِنا بحْراً فإِنَّكَ ساحِلُ

٤٨ وما رَاغِبٌ أسرَى إليكَ بِرَاغِبٍ ... ولا سَائلٌ أَمَّ الْخَليفَةَ سَائِلُ

٤٩ تقطَّعتِ الأَسْبَابُ إنْ لَمْ تُغِرْ لَها ... قُوًى ويصلْها مِنْ يمينكَ وَاصِلُ

٥٠ سِوَى مطْلَب يُنْضِي الرَّجاءَ بطُولِه ... وتُخلِقُ إخلاقَ الجُفُون الوسائِلُ

---

(٤٢) أي ربما أخذَ منه الخَطْبُ الذي ليس له حقٌّ فيه.

(٤٣) [ع]. الأجود «فلم تَحدِجْه» بالحاء من الحِدْج وهو مَرْكب من مَرَاكب النِّساء، ويكون قوله «لَقَاح» مِن قولهم حَيٌّ لَقَاح إذا لم يدينوا للملك ولم يُصبهم سِبَاءٌ في الجاهلية، وهذا أشبه بالمدح من أن يُروى بالخاء، ويُؤخَذَ مِن خِداج المولود، ويكون «اللَّقاح» من لقحت الأنثى لَقَاحاً.

(٤٤) [ع]: «إذا نُصِبَتْ لِلغَادِرِين الحَبَائِلُ»، استعار «الغَرْثان» للحبل «والغَرْثان» الجائع الذي قد خَلاَ جَوْفُه من الطَّعام، أي إنَّ حَبْله لا غدرَ فيه، وذلك مِثل قولهم امرأةٌ غَرْثَى الوِشاح. ومَن أنشد «عُرْيَان» فهو جدير بالتصحيف لأنَّ «الغَرْث» أحسنُ في الاستعارة ها هنا من «العُرْى» ولأن «عُرْيَاناً» يجب أن يُصرف إذا كان لا مانعَ له من الصَّرْف.

(٤٦) قال الآمدي: أي ليس بغمر قد أبطره الخفض أي الرفاهية فذلك معنى «رقص»، أي لا ينزو قلبه بطراً...

(٤٧) أي إنْ يكنْ خليفَة اللهِ في عِبَاده فإنّك وزيرُه وسائسُ أُمورِ رَعِيَّته.

(٤٨) أي ليس سؤالُك وسؤالُ الخليفةِ يَشِينُ مَن طَلَبه، ولا هو طَمَع، بل هو زَيْن.

(٤٩) أي تقطَّعت أسبابي، مثل قوله تعالى: «وإنَّ الجَنَّةَ هي المَأْوَى» أي مَأْواه، ثم جاء بالألف واللام على حَدِّ الحَسَنِ الوجه، ويُقال أغرتُ الحبل، إذا أحكمت فَتْلَه.

(٥٠) أي مَطْلَبُ غيرك يَنْضِي الرجاءَ ويُخْلِق الوسائل إخْلاقَ الجُفُونِ السُّيوف. يقول: تَقَطَّعَتِ الأسبابُ من معروف الخليفة، وإن لم تَصِلْها، فلم يَبْقَ عنده مَطْلب إلاّ مَطْلَبٌ يَطُول علينا الوصولُ إليه.

٥١ وقَدْ تأْلَفُ العيْنُ الدُّجى وهْوَ قَيْدُها	ويُرجى شِفاءُ السَّمِّ والسَّمُّ قاتِلُ
٥٢ ولي هِمَّةٌ تمضي العُصُورُ وإنَّها	كَعَهْدِك مِنْ أيَّامِ وعْدِكَ حامِلُ
٥٣ سِنُونَ قَطعْناهُنَّ حتَّى كأنَّما	قَطَعْنا لِقُرْبِ العَهْدِ مِنْها مراحِلُ
٥٤ وإنَّ جَزيلاتِ الصَّنائِعِ لامْرِئٍ	إذا ما اللَّيالي ناكَرَتْهُ مَعاقِلُ
٥٥ وإنَّ المَعالي يَسْتَرِمُّ بِناؤُها	وشيكاً كَما قَدْ تسْتَرِمُّ المَنازِلُ
٥٦ ولَوْ حارَدَتْ شَوْلٌ عذَرْتُ لِقاحَها	ولَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ والضَّرْعُ حافِلُ

---

(٥١) أي تَنام وتَستقِرُّ فيه وتَلَذُّه وإنْ كان مانعاً لها من التَّصرف، لأن مُقاساةَ الليلِ لا بدَّ منها، كأنه يقول: إن قطعتَ عطاءك احتجتُ إلى لقاء هؤلاء الذين لا يُلْقَوْن إلاّ عند الضرورة، ويُشبهه قول المتنبي:

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أنْ يَرَى عدوًّا لَه ما مِنْ صَداقتِه بُدُّ

(المرزوقيّ): المَرْذُول من الأُمور والمَفْضُول من الأسباب قد يَعلق الرجاءُ بهما إذا مَسَّتِ الحاجةُ إليهما ودَعَت الضرورةُ نحوهما، كما أن العينَ الرَّمِدَةَ تنتفع بالظلْمة وإن كانت قَيْداً لِشُعاعها، والسَّمُّ كلُحومِ الحيَّاتِ وما أَشْبَهها يُتَداوى به وإن كان قاتلاً في نفسه.

(٥٢) [ص]: أي كأنها حامِلٌ من وَعْدك تَرْقُب وَضْعَ النُّجْح.

(٥٥) [ع]: هذا ترغيب للممدوح في شَفْع يَدٍ بيدٍ، ووَصْلِ معروفٍ بمعروف. يقول: لا تَزْهَدْ في كثير الصنائع فإن المعاليَ إذا لم تُتعهد بالإحسان، ويُتبَع بعضُها ببعض. «تَسْتَرِمّ» أي تَخْلُق وتصير رِمَماً، «كما تَسْتَرِمُّ المَنازِلُ». «ويَسْتَرِم» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون في معنى صار كذلك، كما يُقال استنسرَ البُغاثُ أي صار كالنَّسْر، والآخر أن يكون في معنى طالبِ الشيءِ، فيكون قوله «يَسْتَرِمُّ بِناؤها» أي يَطْلُب أن يُرَمَّ أي يُصْلَح، كما يقال استعطَاني فلان أي طَلَب عطائي واستفهمني أي طلبَ إفهامي.

(٥٦) (المرزوقي): يقول: دَامَ مَطْلك وتراخَى بِذلك مع استمرار طُول الأملِ فيك، ولو كان ذاكَ لإضافةٍ وإعوازٍ لعذرتُك، ولكن تحرمني والنّعمةُ سابغةٌ والغِنَى مُمكن، و«المُحَارَدة» قِلَّة اللّبَن، و«الشولُ» النُّوق القليلات الألبان، والواحدة شائلة، و«الحَافِل» المُمتلىء.

* * *

فلمّا قرأ هذه القصيدةَ استحيى مِن جفَائه فاحتَجّ بأنّه مَدَحَ غيرَه مِمَّن هو دُونَه، وأنه لو اقتصرَ عليه لأعطاه، وأنَّ إكثار مَدحِه الناس زهّده فيه، فقال ووَقَّعَ بها إليه:

رأيْتُكَ سَمْحَ البَيْعِ سَهْلاً وإنّما يُغَالِي إذا ما ضَنَّ بالشيء بائعُهْ =

٥٧ منحتُكَهـا تَشْفِي الجَوَى، وهْـوَ لاعِجٌ   وتبْعَثُ أشجـان الفَتَى، وهْـوَ ذَاهِـلُ
٥٨ تَـرُدُّ قَـوَافيهـا إِذَا هِـيَ أُرسلَـتْ   هـوامِـلَ مَجْدِ القَـوْمِ وهْيَ هَـوَامِـلُ
٥٩ فـكَـيْـفَ إِذَا حَـلَّيْـتَـهـا بـحُـلِيِّـهـا   تَكُونُ وهَذا حُسْنُها وَهْيَ عَـاطِـلُ؟
٦٠ أكـابـرَنـا عـطْفـاً عَلَيْنـا فـإنَّنـا   بنـا ظَمَـأٌ مُـرْدٍ وأنتُـمْ مَنَـاهِـلُ

= فـأمّـا الذي هَـانَـتْ بضَـائـعُ بَيْعِـه   فيُـوشِـكُ ان تَبْقَـى عليـه بَضَـائعُـهْ
هُـوَ المـاءُ إنْ أجمَمْتَـهُ طـابَ وِرْدُهُ   ويفسِـدُ مِنْـه أن تُبـاحَ شَـرَائعُـهْ
فقالَ أبو تمّام وكتبها إليه:
أبَـا جَعفرٍ إن كنتُ أصبحتُ شـاعِـراً   أُسَاهِـلُ فـي بَيْعـي لـه مَـن أُبـايِعُـهْ
فقـدْ كنـتَ قَبْلـي شاعِـراً تـاجـراً بـهِ   تُسَاهِـلُ مَـنْ عـادَتْ عليـكَ مَنـافِعُـهْ
فصِـرْتَ وَزيـراً والوِزَارةُ مَكْـرَعٌ   يَغَـصُّ بـهِ بَعـدَ اللَّـذَاذَةِ كـارِعُـهْ
وكَـمْ مِـنْ وزيـر قَـدْ رَأَيْنـا مُسَلَّـطٍ   فَعـادَتْ وَقَـدْ سُـدَّت عليـهِ مَطـالِعُـهْ
وللهِ قَـوْسٌ لا تَطِيشُ سِهـامُهـا   وللهِ سَيْـفٌ ليسَ تَنبُـو مَقـاطِعُـهْ!
(٥٧) قال الصولي: من حسنها تشفي الجوى وهو لاعج من حب أو حزن، وتبعث أشجان من سلا وترك.
(٥٨) قال الصولي: يقول تجمع هذه القوافي وإن كانت مهملة، المجد المتفرق والمدح.

وقال يَمدح المعتصمَ ويَذكر فَتْحَ الْخُرّميّة [من الكامل] :

١	آلــتْ أُمُــورُ الــشِّــرْكِ شَــرَّ مــآلِ	وأَقَــرَّ بَــعْــدَ تَــخَــمُّطٍ وصِــيَــالِ
٢	غَضِب الْخَلِيفَــةُ للخِــلافَــةِ غَضْبَــةً	رَخُصَتْ لها المُهجَاتُ وهْيَ غَوالي
٣	لَمَّــا آنْتَضِى جَهْلَ السُّيوفِ لِبَابَكٍ	أغمـدْنَ عَنْـهُ جُهَــالَــةَ الجُهَّــال
٤	فلأَذْرَبيجَــانَ اخْتيــالٌ بعــدَمَــا	كــانَــتْ مُعَــرَّسَ عَبْــرَةٍ وَنَكَــال
٥	سَمُجَتْ ونَبَّهَنــا على اسْتِسْمَــاجِهــا	مَــا حَــوْلَهــا مِنْ نَـضْــرَةٍ وجمَــالِ
٦	وكَــذَاكَ لم تُفْرِطْ كــآبَةُ عَــاطِــلٍ	حَتَّى يُجَــاوِرَهــا الــزَّمــانُ بحَــالي
٧	أطـلَقْـتَهــا مِـنْ كَـيْـدِهِ وكـأنَّـمـا	كــانـت بــهِ معْـقُــولَــةً بعـقَــالِ
٨	خُــرُقٌ مِـن الأَيَّــامِ مَــدَّ بضَبْعِــه	صُــعُــداً وأعــطَاهُ بـغَــيــر سُــؤَالِ
٩	خــافَ العَزيـزُ بــهِ الــذَّلِيــلَ وغُــودِرَتْ	نَبَعَــاتُ نَـجْــدٍ سُــجَّــداً لـلضَّــالِ
١٠	قــدْ أُتـرِعَتْ مِنْــه الجَــوانِــحُ رَهْبَةً	بَــطَلَتْ لــدَيْـهــا سَــوْرَةُ الأبــطَالِ
١١	لَــوْ لَمْ يُــزَاحِفْـهُـمْ لَــزَاحَـفهُـمْ لَــهُ	مــا في صُــدُورِهِمُ مِـنَ الأوجَــالِ
١٢	بَحْــرٌ مِنَ الــمكْــرُوهِ عَــبَّ عُبَــابُــه	ولـقَــدْ بــدَا وَشَــلاً مِـن الأوشَــالِ
١٣	جَفَّتْ بــهِ النِّعَــمُ النَّــواعِــمُ وانثَـنـتْ	سُــرُجُ الهُــدَى فيــهِ بـغَيْــرِ ذُبَــالِ
١٤	وأَبَــاحَ نَصْــلَ السَّيْفِ كُــلَّ مُــرَشَّــحٍ	لَــمْ يَحْـمَــرِرْ دَمُــهُ مِـنَ الأطـفَــالِ

(١) « الزِّيال » مصدر زَالَ، « والصِّيال » مصدر صَالَ، ويُقال تَخمَّطَ الفحلُ إذا هاجَ وصال.

(٨) يعني تَغيُّرَ الزَّمانِ وانقلابه، « ومَدَّ بِضَبْعه » أي نَوَّه به، ولم يكن هذا من الزَّمان على قَصْد صحيح.

(٩) « النَّبع » من أصلب الشجر، « والضَّال » بضده.

(١٠) يقول: كانت قُلُوبُ المسلمين مرعوبةً منه رُعْباً يغلب سَطوَةَ الأبطال.

(١٣) أي جَفَّتْ به النِّعمُ وضَعُفَ الإسلام، وانمحت مَعَالمه، وطُفِيء نُورُ الحق، ويقال نِعمةٌ ناعِمة كما يقال تامَّة.

(١٤) (ق): « وأباح نَصْلَ السَّيْف » أي لنصل السيف، يعني بابك الخُرّميّ، « كلَّ مرشّح » أي قد ابتدأ شَبابُه، « لم يَحْمَرِرْ دَمُه » لِطُفولته. أي أباحَ نَصْلَ السيفِ كلَّ من هذه سبيله، و« كلَّ مُمهّدٍ » أي صَبِيٍّ في المهد لم يتغير دَمُه مِن الصُفْرة إلى الحُمْرَة.

١٥ مـا حَلَّ في الـدُّنْيا فُـواقَ بَكيَّـةٍ	حتَّى دَعـاهُ السَّيْفُ بـالتَّـرْحَـالِ
١٦ رُعْبـاً أَراهُ أَنَّـه لَـمْ يَـقْـتُـلِ الآ	سَـادَ مَـنْ أبقَـى عـلى الأشبـالِ
١٧ لَوْ عَـايَـنَ الدَّجَّـالُ بَعْـضَ فَعَـالِـه	لانـهَـلَّ دَمْـعُ الأَعْـوَرِ الـدجَّـالِ
١٨ أعْـطَى أَميـرُ المُـؤْمِنين سُيُـوفَـهُ	فيـهِ الـرِّضَـا وحُكـومَـةَ المُقْتَـالِ
١٩ مُسْتَيْقِنـاً أَنْ سَـوْف يَمْحُـو قَتْلُه	مـا كـانَ مِـنْ سَهْـوٍ ومـنْ إغفَـالِ
٢٠ مِثْـلُ الصَّـلاةِ إذا أُقيمَتْ أصلَحـت	مـا قَبْلَهـا مِـنْ سَـائـرِ الأعمَـالِ
٢١ فَـرمـاهُ بـالأفْشينِ بـالنَّجمِ الـذي	صدَعَ الدُّجى صَدْعَ الرِّداءِ البَالي
٢٢ لاقـاهُ بـالكَـاوِي العَنِيـفِ بـدَائِـه	لـمَّـا رَآهُ لَـمْ يُـفِـقْ بـالـطَّالـي
٢٣ يـا يَـوْمَ أَرْشَقَ كُنْتَ رشْقَ مَنِيَّـةٍ	لـلْخُـرَّمِـيَّـةِ صَـائِـبِ الآجَـالِ

---

(١٥) (ع): يقول: هذا الطفل لم تَطُل إقامَتُه في الدُّنيا. و« البَكيَّة » القليلة اللبن، حتى قُتِل فكأنّ السَّيفَ دَعَاه للترحال.

(١٦) يقول: مَضَى مرعوباً رُعْباً نَبَّهه على أنه مَن أصابَ رجلاً فنَالَ منه أوقَتَله، ووراءه مَن يطلب بثأره من أوليائه، فكأنّه لم يقتله ولم يَنَلْ منه.

(١٧) أي لو عاين الدَّجالُ ما هو عليه من الفساد والتضليل، لهالَه ذلك وأبكاه.

(١٨) « فيه » أي في بَابَك، « والمُقْتال » المُحْتكم، يقال اقتالَ عليهم إذا قال أُريد أن تفعلوا وأن تفعلوا كأنّه يحتكم عليهم في القول.

(١٩) أي تَيَقّن أنّه إنْ قَتَله مَحا اللهُ عنه كل سَهْو.

(٢١) جاء بالباء في قوله « بالنجم » لأنه جَعَله واقعاً مَوْقع البدل، وإذا كان المبْدَل منه مخفوضاً، جاز أن يجيءَ البَدَلُ وقد حُذِف منه حرفُ الخفض ويحتمل أن يُعاد معه، فممَّا حُذف قوله « يسألونك عنِ الشهر الحرامِ قتالٍ فيه » فلم يُعِدْ حرفَ الخَفْض مع « القتال »، ومما أُعِيد فيه الخافضُ قوله تعالى « قال الملأُ الذين استكبروا مِن قَوْمه للذين استُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ منهم »، أعادَ اللام مع « مَنْ » وهما بدلٌ من قوله (للذين استُضعِفُوا).

(٢٢) يقول إنَّ أمير المؤمنين دَاوَى بابَك بالطِّلاء كما يُدَاوى الأجربُ، فلمّا أعيَا دَاوُه الطّالينَ رَمَاه بالأفشين، فكان مثل الكاوي الذي يحسم الداء، والكَيُّ آخرُ ما يُدَاوَى به، ولذلك قالوا في المثل « آخر الدواء الكيُّ » فيجوز ان يكون « لاقَاه » فيه ضميرٌ يعود على « أمير المؤمنين »، ويحتمل أن يخلو من ذلك، ويكون الضميرُ عائداً على « الأفشين »: أي عَرَضَ عليه الصُّلْح فلمّا لم يقبل قَتَله.

(٢٣) [أرشق: جبل بنواحي موقان].

٢٤ أَسْرىٰ بنُو الإسلامِ فيه وأَدْلَجُوا بِقُلوبِ أُسْدٍ في صُدُورِ رِجَالِ

٢٥ قَدْ شَمَّروا عَن سُوقِهِمْ في سَاعةٍ أَمَرَتْ إزَارَ الْحَرْبِ بالإسبَالِ

٢٦ وكذَاكَ ما تَنْجَرُّ أذيالُ الوَغى إلَّا غَدَاةَ تَشَمُّرِ الأذيَالِ

٢٧ لَمَّا رآهُمْ بَابَكُ دُونَ المُنَى هَجَرَ الغَوايَةَ بعدَ طُولِ وِصَالِ

٢٨ تَخِذَ الفِرَارَ أخاً وأَيقَنَ أنَّهُ صِرِّيُّ عَزْمٍ مِنْ أبي سَمَّالِ

٢٩ قَدْ كانَ حزْنُ الخَطْبِ في أَحْزَانِه فَدَعَاهُ دَاعي الْحَيْنِ للإسهَالِ

٣٠ لَبِستْ لَهُ خُدَعُ الحُروبِ زَخَارِفاً فَرَّقْنَ بينَ الهَضْبِ والأوعالِ

٣١ وَوَرَدْنَ مُوقَاناً عليهِ شَوَازِباً شُعْثاً بشُعْثٍ كالقَطَا الأرسَالِ

٣٢ يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ سُمْرُ القَنَا بإهابِهِ أَوْلَى مِنَ السِّرْبَالِ

---

(٢٤) [أسروا : ساروا ليلاً ، وكذلك أدلجوا].

(٢٥) (المرزوقيّ): المعنى: اشتدّوا وتَخفَّفوا مُتَشمِّرين في وقتٍ يُوجب للحرب أن تَجُرَّ أذيالَها خُيَلاءً وكِبْراً ، لأنّ الحربَ نختال إذا اجتهد أبناؤها وأبلَوْا فيها. وردَّ قول الذي قال أراد جَدُّوا بالتشمير عن سُوقهم، وهذا مَثَل في ساعةٍ يجب أن تُسبل الدُّروع خوفاً من الضرب والطعن.

(٢٦) يقول: إنما تُحوج الحربُ إلى تشمير الأذيال في الوقت الذي تَشتدّ فيه وتَعُمُّ أهلَها بالخوف.

(٢٧) أي دون ما كانت نفسه تُمنِّيه ، فعلمَ أنه في باطل.

(٢٨) هذا البيت مَبْنيٌّ على حكاية حُكِيت عن أبي سَمَّال الأسديّ، أنه ضَلّتْ ناقتُه فقال: أيْمُنُكَ إنْ لم تَرُدَّها عليّ لاعبدتَك ، فوجدَها وقد نَشِب حبلُها في شجرةٍ فقال: علِمَ ربّي أنها مني إصْرِي! ويقال أُصِرِّي وصِرِّي، وهذه ألفاظ مختلفة، وقد روى بعضهم اِصْرِي، على أنه أمرٌ من صَرَى يَصْرِي إذا قطعَ، واللفظ الذي جاء به الطائيّ منسوبٌ فكأنّه فِعْلِيٌّ مِن أصَرَّ على الشيء إذا عزمَ عليه ولَزِمَه. وإن شئتَ كانت الهاء في «أنّه» عائدة على «الفِرَار»، وإن شئتَ جعلتَها عائدةً على الفعل الذي فَعَله هازمُ بابك، «فأبو سَمَّال» في القول الأول يكون واقعاً على بابَك، وهو في القول الثاني يريد به بَابَكُ مَن هَزَمه.

(٢٩) يقول: كان صعبَ المَرام حين كان في الجبل مُتحصِّناً ، فلمّا بَغَى دعاه حَيْنُه إلى أن انحدرَ إلى السَّهْل.

(٣٠) يقول: إنّ هذا المتولّي حربَه خَدَعَه حتى أسهلَ، فكأنَّ زخارفَ الخُدَع فَرّقَتْ بين الهَضْب والأوعال، لأنّ بابَك وأصحابَه كانوا يَحلُّون بالجبال، فلما قُضِي هلاكُهم فارقوا المعاقل التي كانت تمنعهم من القتل، والأوعال تُوصَف بلزوم الجبال.

(٣١) الجماعات التي بعضها في إثر بعض.

(٣٢) [أي من كثرة حمله للرماح صارتْ أولى به من ثيابه].

٣٣	خَلَطَ الشَّجاعَةَ بالْحَيَاءِ فأصبحَا	كالْحُسْنِ شِيبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلالِ
٣٤	فَنَجَا ولَوْ يَثْقَفْنَهُ لَتَرَكْنَه	بالقَاعِ غَيْرَ مُوَصَّلِ الأوصَالِ
٣٥	وانصَاعَ عَنْ مُوقَانَ وَهْيَ لِجُندِهِ	وَلَهُ أَبٌ بَرٌّ وأُمٌّ عِيَالِ
٣٦	كَم أرضَعَتْهُ الرِّسْلَ لَوْ أَنَّ القَنَا	تَرَكَ الرِّضَاعَ لَهُ بغَيْرِ فِصَالِ!
٣٧	هيْهَاتَ رُوِّعَ رُوعُهُ بفَوارِسٍ	في الحرْبِ لا كُشُفٍ ولا أميَالِ
٣٨	جعَلُوا القَنَا الدَّرجَاتِ للكَذجَاتِ ذا	تِ الغِيلِ والحَرجَاتِ والأدحَالِ
٣٩	فَأُولَاكَ هُمْ قَدْ أصبَحُوا وشُرُوبُهُمْ	يَتَنَادَمُون كُؤُوسَ سُوءِ الحَالِ
٤٠	ما طَالَ بَغْيٌ قطُّ إلاَّ غادَرَتْ	غُلَوَاؤُهُ الأعمَارَ غَيْرَ طِوَالِ
٤١	وبِهَضْبَتَيْ أَبَرْشَتَوِيمَ ودَرْوَذٍ	لَقِحَتْ لَقَاحَ النَّصْرِ بَعْدَ حِيَالِ

---

(٣٣) أي فهو في جَمْعه بينهما كالحَسْناء التي شِيب حسنُها بالغُنْج.

(٣٥) «انصاعَ» ذهبَ في شِقٍّ، أي هرب بعد أن كانت مُوقان مُتكفِّلةً به وبأصحابه.

(٣٦) «الرِّسْل» اللبن، وإنما استعار «الرِّسْل» لما كان يطِيب منها من المنافع والمال ولا رِسْلَ هناك.

(٣٧) جمع أمْيَل: مِيل، ثم يجمع مِيل أميالاً، وفي رواية (ع) «لا كُشُفٍ ولا أعْزَالِ». «الرُّوع» الخَلَد والنَّفس، وفي الحديث: (إن رُوح القُدُس نَفَثَ في رُوعي أنّ نَفْساً لن تموتَ حتى تستكملَ رِزْقَها، فاتّقُوا الله وأجمِلُوا في الطلب). «وأعزَال» جمع، وواحدُه غير مُستعمَل، لأنّ المعروف رجل أعزل إذا كان لا سلاحَ معه، وقد قالوا في جمع أعزل عُزْل وأعازل، فامَّا «عُزْل» فجمع الصفة، وأمّا «أعازل» فجمع الأسماء. وكأنّ «الأعزل» جمع بُنِي واحدُه على فَعِلٍ أو فَعُلٍ أو نحو ذلك، ثم يُجمع على أفعال.

(٣٨) «الكَذَجات» جمع الكَذَج، وليست هذه الكلمة بعربية، وإنما ذكرها الطائيّ لأنّ بَابَك اتفق له أن يكون نازلاً في هذا الموضع. «والغِيل»: الشجر الملتفّ «والحرَجَات» جمع حَرَجة وهي شجر مُلتفّ يكون مقدار ميل أو نحوه، قال الراجز:

صَادَفَ حَيًّا كالحِرَاجِ نَعَمُهْ
يكون أقْصَى شكِّهِ مُحْرَنْجَمُهْ

«والحِرَاج» جمع حَرَجَة، «والأدحال» جمع دَحْل، ويجوز أن يعني به كلَّ موضعٍ ضَيِّق، وأصلُه شِقٌّ في الأرض يضيق أعلاه ويتسع أسفلُه، وربما نبت في أسفله نبات.

(٤١) أي نُصِرَ المسلمون بعد يأسهم منه. [الحيال: عدم اللقاح].

٤٢ يَـوْمٌ أضَـاءَ بِـه الـزَّمـانُ وفَتَّحَتْ ... فيـهِ الأَسِنَّـةُ زَهْـرَةَ الآمـالِ

٤٣ لَـوْلا الـظَّلامُ وقُـلَّةٌ عَـلِقُـوا بـهـا ... بـاتَـت رِقَـابُهُـمُ بِغَـيـر قِـلالِ

٤٤ فَلْيَشـكُـروا جُنْـحَ الـظَّلامِ وَدَرْوَذاً ... فَـهُـمُ لِـدَرْوَذَ والـظَّلامِ مَـوَالـي

٤٥ وَسَرَوْا بقَارِعَـةِ البَيَاتِ فَزُحْزِحُـوا ... بقـراعِ لا صَلِـفٍ ولا مُخْتَـالِ

٤٦ مَهَـرَ البَيَـاتَ الصَّبْـرَ في مُتَعَـطِّفٍ ... الـصَّبْـرُ وَالٍ فيـهِ فَـوْقَ الـوَالـي

٤٧ مـا كـانَ ذاكَ الهَـوْلُ أَجْمَعُ عِنْـدَه ... مَـعَ عَـزْمِـهِ إلَّا طُـرُوقَ خَـيَـالِ

٤٨ وَعَشِيَّـةُ التَّـلِّ الَّـذي نَعشَ الهُـدَى ... أُصُـلٌ لـهَـا فَـخْـمٌ مِـن الآصَـالِ

٤٩ نَـزَلَـتْ مَلائِكَـةُ السَّمـاءِ عليْهِـمُ ... لَـمَّـا تَـدَاعى المسلمـونَ نَـزَالِ

٥٠ لم يُكْسَ شَـخْصٌ فَيْئَـهُ حتَّى رَمى ... وَقْـتُ الـزَّوال نَعِيـمَـهـمْ بـزَوَالِ

٥١ بَـرِزَتْ بهِمْ هَفَـواتُ عِلْجهِمُ وقَـدْ ... يُـرْدِي الجِمَـالَ تَعَسُّفُ الْجَمَّـالِ

٥٢ فكـأنَّمـا احتَـالَتْ عَـلَيْـه نَفْسُـه ... إذْ لـم تَـنَـلْهُ حيـلَةُ المُـحْـتَـالِ

٥٣ فـالـبَـذُّ أغـبَـرُ دَارِسُ الأطـلالِ ... لِـيَـدِ الـرَّدَى أُكُـلٌ مِـنَ الآكـالِ

٥٤ ألـوَتْ بـهِ، يَـوْمَ الخَمِيس، كَتَائِبٌ ... أرسَـلْنَـه مَـثَـلاً مِـنَ الأمـثَـالِ

٥٥ مَحْـوٌ مِنَ البيضِ الرِّقـاق أَصابَـهُ ... فـعَـفَـاهُ لا مَـحْـوٌ مِـنَ الأَحـوالِ

٥٦ ريـحَـانِ مِنْ صَبْـرٍ ونَصْـرٍ أبْلَيَـا ... رَبْعَيـهِ لا ريـحـا صَبـاً وشَـمَـالِ

٥٧ لَفحتْ سَمُـومُ المَشْـرَفيَّـةِ وَسْـطَهُ ... وَهَـجـاً وكُـنَّ سَـوابِـغَ الأظـلالِ

---

(٤٢) يقول هذا يوم أنار به الإسلام.

(٤٣) «قِلال» جمع قُلّة، وهي أعلى الرأس، أي لولا أنهم التجئوا إلى رأس الجبل لكان ما ذَكَره.

(٥٠) «لم يُكْسَ شَخصٌ فَيْئَه» إنما هو من قَوْل الفقهاء في العِبارة عن وقت الصلاة: إذ صارَ ظِلُّ كل شخصٍ مثْله، فجَعَلَ ذلك كُسْوَةً له، والظِّل «والْفَيْء» قد يجوز أن يُستعار كلٌّ واحدٍ منهما للآخر، وإن كان الفرق بينهما معروفاً من أنّ الفيْء ما نسخَ الشمس.

(٥١) يقول: كأنّه أعانَ على نفسه بسوء تدبيره. بَيَّنه البيتُ الذي بعده.

(٥٢) [ق] يقول: كان بَابَك وقومُه قد تَحصّنوا وتَمنّعوا عن طُلاَّبهم بملاذٍ عزيز، إلا أنه هَفَا في تدبيره، فأبرزهم ممّا كان يُحرزهم، وحطَّهم لمّا مَنَّته نفسهُ عن معقلهم، حتى ظُفِرَ بهم وبه، فكأنّ نفسه احتالت عليه وأسلمته، بعد أن كانت لا تتناوله حيلةُ مُحتال.

(٥٤) أي أباحت كتائبُ المسلمين حريمَ البَذّ وخَرّبته، فصار يُضرب به المثل في الخراب.

٥٨ كَمْ صَارِمٍ عَضْبٍ أنافَ على فَتىً ... مِنهمْ لِأعْباءِ الوَغَى حَمَّالِ
٥٩ سَبقَ المَشيبَ إليْهِ حتَّى ابتزَّهُ ... وطَنُ النُّهَى مِنْ مَفرِقٍ وقَذالِ
٦٠ كُرَّامَةٍ وَسطَ المَنيَّةِ وَحْدَها ... لُوَّامَةِ الأعْمامِ والأخْوَالِ
٦١ قَاسَى حيَاةَ الكَلْبِ إلاَّ أنَّهُ ... قَدْ ماتَ صَبْراً مِيتَةَ الرِّئْبالِ
٦٢ أُبْنا بكلِّ خَريدَةٍ قد أنْجزَتْ ... فيها عِدَاتُ الدَّهْرِ بَعْدَ مِطَالِ
٦٣ خَاضَت مَحَاسِنَها مَخَاوفُ غَادَرتْ ... ماءَ الصبَا والحُسْنِ غَيرَ زُلَالِ
٦٤ أُعْجِلْنَ عَنْ شَدِّ الإزَارِ ورُبَّما ... عُوِّدْنَ أنْ يَمْشِينَ غيرَ عِجَالِ
٦٥ مُسْتَرْدَفاتٍ فَوْقَ جُرْدٍ أُوقِرَتْ ... أكْفَالُهَا مِنْ رُجَّحِ الأكْفَالِ
٦٦ بُدِّلْنَ طُولَ إذالَةٍ بِصِيَانَةٍ ... وكُسُورَ خِيمٍ مِنْ كُسُورِ حِجَالِ
٦٧ وَنَجا ابنُ خائِنَةِ البُعُولَةِ لَوْ نَجا ... بِمُهَفْهَفِ الكَشْحَيْنِ والآطَالِ
٦٨ خَلَّى الأحِبَّةَ سَالِماً لا نَاسِياً ... عُذْرُ النَّسيِّ خِلافُ عُذْرِ السَّالي

---

(٥٩) يقول: هذا الصارمُ سَبَقَ إلى هذا الفتى الشَّيْبَ، فسلَبَه رأسَه وأمَّ دِماغِه، الذي هو وطَنُ العقل.

(٦٠) يقول: هذا الفتى من أصحاب بَابَك عند المنيَّة كريم، لأنه حَسَنُ الصبر شُجاع، وهو في غير ذلك لئيم.

(٦١) حياة الكلب في الذِّلة، إلا أنه لمّا حَارَبَ أبلَى.

(٦٢) أي سَبَيْنا كلَّ خريدة.

(٦٣) [ص] يقول كثرةُ الخوف ذهبت بماء وجهها وألبسْته صُفرةً وتغيُّراً!

(٦٤) أي كُنَّ قد عُوِّدن الرِّفق والتأنِّي.

(٦٥) [المستردفات: اللواتي أردفن وراء الفرسان. الجرد: الخيول الخالية من الشعر. أوقرت: أثقلت. الكفل: المؤخرة، رجّح الأكفال: مكتنزات المؤخّرة].

(٦٦) «الكسور» جمع كسْر وهو جانب البيتِ. والمعنى أن النّساء سُبِينَ فحصَلن في جوانب الخِيام، أي بُدِّلت هذه الجواري المَسْبيَّة من طُول صِيانتهنّ ابتذالاً، ومن حِجالهنَّ وكِلَلِهنَّ جَوانبَ أخبية.

(٦٧) «خائنة البُعُولة» كناية عن الزِّنا؛ يقول: هَرَبَ بَابَكَ ابن الزانية وقوله «لو نَجا» أي وإن هرب فإنه يُلْحَق ولو بعد حين. وأراد «بِمُهَفْهَف الكَشْحَيْنِ» فرَساً ضامِراً «والكَشْح» مثل الإِطْل ولكن اللفظ اختلف، فاستُحْسِنَ تكريرُه.

(٦٨) «النَّسِيُّ» ها هنا في معنى النَّاسِي، وفَعِيل يجيء كثيراً في معنى فاعل، إلاَّ أنه أشدُّ مبالغةً، يقال عالم وعليم، وحازم وحزيم.

٦٩ هَتَكتْ عَجاجَتَه القنَا عَنْ وَامِقٍ ... أهـدَى الطِّعَانُ له خَليقَة قَالِ

٧٠ إنَّ الـرِّمـاحَ إذا غُـرِسْـنَ بمشْهَـدٍ ... فـجَنَـى العَـوالـي في ذَراهُ مَعَـالِ

٧١ لَمَّـا قَضَـى رَمَضَـانُ مِنْـهُ قَضَـاءَهُ ... شَـالَـتْ بـهِ الأيَّـامُ فـي شَوَّالِ

٧٢ مـا زَالَ مَغْلُولَ الـعَـزيمـةِ سَـادِراً ... حَتَّـى غَـدَا فـي القَيْـدِ والأَغْلاَلِ

٧٣ مُسْتَسْلِماً للبَـأْسِ طَـوْقـاً مِـنْ دَمٍ ... لمّـا اسْتَبـانَ فَظَـاظَـةَ الخَلْخَـالِ

٧٤ مـا نِيلَ حتَّى طـارَ مِنْ خَـوْفِ الـرَّدَى ... كُـلَّ المَـطارِ وجـالَ كُـلَّ مَجَـالِ

٧٥ والنَّحْـرُ أصْلَحُ للشُّـرُودِ، ومـا شَفَى ... منـه كنحْـرٍ بَعْـدَ طُـول كَلالِ

٧٦ لاقَـى الحِمَـامَ بِسُـرَّ مـن رَآءَ التـي ... شَهِدَتْ لِمَصْـرَعِـه بصِـدْق الفَالِ

٧٧ قُـطِعَـتْ بـهِ أسْبَـابُـه لَـمَّـا رَمَـى ... بـالـطَّرْفِ بـينَ الفِيـلِ والـفَيَّـالِ

٧٨ أهْـدَى لِمَتْنِ الْجِـذْعِ مَتْنَيْـهِ كَـذا ... مَنْ عَـافَ مَتْنَ الأسمَـرِ العَسَّـالِ

٧٩ لا كَعْبَ أسفَـلُ مَـوْضِعـاً مِنْ كَعْبِه ... مـعَ أنَّـهُ عَـنْ كـلِّ كَعْـبٍ عَـالِ

٨٠ سَـامٍ كـأنَّ العِـزَّ يَجْـذِبُ ضَبْعَـهُ ... وسُـمُـوُّهُ مِـنْ ذِلَّـةٍ وسَـفَـالِ

٨١ مُـتـفَـرِّغٌ أبـداً ولـيسَ بـفـارِغٍ ... مَـنْ لا سَبيـلَ لَـهُ إلى الأشغـالِ

٨٢ فـاسلَمْ أمِيـرَ المـؤمنيـنَ لأُمَّـةٍ ... أبـدَلْتَهـا الإمـرَاعَ بـالإمحَـالِ

---

(٦٩) أي شَقَّتِ الرِّماحُ غُبارَه عن مُحبٍّ لأصحابه تركهم تَرْكَ المُبْغِض لمّا خاف على نفسه. و« خليقة » وخُلُق واحد.

(٧٠) أي يُستفاد بطعن الرِّماح المعالي.

(٧١) يقول: كان ما كان من الإيقاع به في رمضان ثمَّ لمّا دخل شوَّال خَفّت به الأيّامُ فذَهبتْ به كلَّ مذهب.

(٧٢) [السادر: الماضي في ضلاله. الأغلال: القيود].

(٧٣) يقول: لمّا رأى الخلخال قيداً من حديد علم أنَّ الطَّوْق يكون من دم فاستسلم.

(٧٥) يقول: إذا كان البعيرُ شروداً فَنَحره أصلحُ من اقتنائه، ولا سيّما إذا كان قد كَلَّ وتَعِبَ بكثرة التّرداد، فكذلك هذا، قَتْلُه أصلح للمسلمين، والشّفاء كلُّ الشفاء لهم فيه أنّه أُسِر بَعد طُول التردّد في الهرب والكَلال.

(٧٦) يقول: شهِدَ اسمُها بأن يُسَرَّ مَن رآها، لأن المسلمين سُرُّوا بها.

(٨١) أي لا يستحقُّ أن يُسمّى باسم الفارغ.

٨٣ أمسَى بِكَ الإسلامُ بَدْراً بَعْدَ مَا مُحِقَتْ بَشَاشَتُه مُحَاقَ هِلالِ
٨٤ أكملْتَ مِنْه بَعْدَ نَقصٍ كلَّ ما نَقَصَتْهُ أيدِي الكُفْرِ بَعْدَ كَمَالِ
٨٥ أَلْبَستَهُ أَيَّامَكَ الغُرَّ التي أَيَّامُ غَيركَ عِنْدَهُنَّ لَيَالي
٨٦ وعَزَائماً في الرَّوْعِ مُعتَصِمِيَّةً مَيْمُونَةَ الإدبَارِ والإقبَالِ
٨٧ فتَعَمُّقُ الوزَراءِ يَطْفُو فَوْقَها طَفْوَ القَذَى وتَعَقُّبُ العُذَّالِ
٨٨ والسَّيْفُ ما لَمْ يُلفَ فيهِ صَيْقَلٌ مِنْ طَبْعِهِ لمْ يَنتَفِعْ بِصِقَالِ

131

وقال يمدح أبا سَعيد ، ويَحُثُّ على برِّ ابنه يوسفَ بنِ محمد [من الطويل] :

١ جُعِلْتُ فِدَاكَ أنتَ مَنْ لا نَدُلُّهُ على الْحَزْمِ في التَّدْبيرِ بَلْ نَسْتَدِلُّهُ
٢ وليسَ امرؤٌ يَهْدِيكَ غيرَ مُذَكِّرٍ إلى كَرَمٍ إلاَّ امرُؤٌ ضَلَّ ضُلُّهُ
٣ ولكنَّنا مِنْ يُوسُفَ بنِ مُحَمَّدٍ على أمَلٍ كالفَجْرِ لاحَ مُطِلُّهُ
٤ هِلالٌ لَنا قَدْ كادَ يَخْمُدُ ضَوؤُهُ وكُنَّا نَرَاهُ البَدْرَ إذ نَستَهِلُّهُ
٥ هُوَ السَّيْفُ عَضباً قَدْ أرَثَّت جُفُونُهُ وَضُيِّعَ حَتَّى كُلُّ شيءٍ يَفُلُّهُ
٦ فَصُنْهُ، فإنَّا نَرْتَجي في غِرَاره شِفَاءً مِنَ الأعْدَاءِ يومَ تَسُلُّهُ
٧ لَهُ خُلُقٌ رَحْبٌ ونَفْسٌ رَأيْتُها إذَا رزَحَتْ نَفْسُ اللئيمِ تُقِلُّهُ

(٨٧) أي أبطلت قولَ العُذّال وذَوي الشَّفَقَة من الأقرباء ، إنك مُخْطِئٌ في مصيرك إلى مقاتلتهم.

(٨٨) يقول: إذا لم يكن في السيف جَودةُ حديد تحتمل الصّقال لم يُنتفع بصقاله، وكذلك هذه الغزوة لو لم يكن فيها جودة تدبيرك، لم يُنتفع فيها بتدبير الوزراء.

(٢) يقال ضَلَّ ضُلُّ الرجلِ ، وضَلَّ ضَلالُه، إذا بُولغ في وصفه بالضَّلال، وهو كقولهم جُنَّ جُنُونه وجاعَ جُوعُه، ومن باب قولهم شَيْبٌ شائب ومَوت مائت.

(٤) [يقرن ابن الممدوح بالهلال الذي كاد يخبو بعد أن كان يتألّق كالبدر].

(٥) [العضب: القاطع. أرث: أضعف. الجفون: جمع الجفن وهو غمد السيف. يفلّه: نثلمه].

(٧) [يقول إن له من شرف النفس ما يُقيل اللّئام من عثرتهم].

٨	فَفِيمَ ولِمْ صَيَّـرْتَ سمْعَـكَ ضَيْعَـةً	وَوَقْفاً علـى السَّـاعِي بِـهِ يسْتغِلّهُ
٩	قَـرَارةُ عَـدْلٍ سَيْـلُ كُـلِّ ثَنِيَّـةٍ	إلَيْـهَـا وشِـعْبُ كُـلِّ زَوْرٍ يَـحُـلُّهُ
١٠	لِـذَلِـكَ ذَا المَـوْلى المُهَـانُ يُهِينُـه	فيحْظَى وذَا العَبْدُ الـذَّليل يُـذِلُّـهُ
١١	أَتَغْـدُو بـهِ في الْحَـرْب قَبْـلَ اتِّغَـارهِ	وفي الْخَطْبِ قد أعيَا الأُولى مُصْمَئِلّهُ
١٢	وتَعقِـدُه حتَّى إذَا استَحْصَـدَتْ لـهُ	مَـرائِـرُه أنـشَـأْتَ بَـعْـدُ تَـحُـلُّهُ!
١٣	هُـوَ النَّفَـلُ الْحُلْوُ الـذي إنْ شَكَـرْتَـهُ	فَقَـدْ ذَابَ في أقصَى لهَـاتِـكَ حَلُّهُ
١٤	وَفَـيْءٌ فَـوَقِّـرْهُ وإنِّـي لَـوَاثِـقٌ	بـأَنْ لا يَـرَاكَ الـلَّهُ مِـمَّـنْ يَـغُـلُّهُ
١٥	فَلَوْ كـانَ فَرْعـاً مِنْ فُرُوعِـكَ لم يكنْ	لـنَـا مـنـهـمُ إلَّا ذَرَاهُ وظِـلُّهُ
١٦	فـكيـفَ وإنْ لَمْ يَـرْزُقِ الـلَّهُ إخـوَةً	لَـهُ، فَهْـوَ بعـدَ اليـومِ فَـرْعُـكَ كُلُّهُ؟

(٨) [يعاتبه لإصغائه إلى الواشين به].

(١٠) (ص) يقول: مواليك مَواليه وأمرك معقودٌ به، فلذلك يُحسد ويُبَعَّد عنك.

(١١) [اتّغر: من «اثَّغَرَ» قُلبت الثاء تاءً، واتغر الغلام: نبت ثغره. الخطب: المصيبة. مصمئلّة: شديدة].

(١٢) [المرائر: العقد].

(١٣) النفل: نبتة طيبة الرائحة].

(١٥) و(١٦) يقول لو كان الولدُ فرعاً مِن فروعك، أي أولادك، لم يكن لنا منهم، أي من إخوتِه، إلاّ ذَرَى هذا المذكور وظلُّه، أي كنا نختاره عليهم، فكيف ومالَكَ ولدٌ غيرُه، إلاّ أنْ يرزقَ الله إخوةً؟ وهذا حَثٌّ للمخاطب على إكرام ولده، وأنّه لا بقيَّةَ له غيرُه.

132

وقال يخاطبه وقد رَدَّه عن حاجة [من الوافر] :

١ شَهِدْتُ لقَدْ لَبِسْتَ أَبا سَعِيدٍ ... خَلائِقَ تَبْهَرُ الشَّرَفَ الطُّوَالا

٢ أُتَعْتِعُ في الحَوائج إن خِفافاً ... غَدَوْتُ بها عليكَ وإنْ ثِقالا

٣ أَحِينَ رَفَعْتَ مِنْ شأْوِي وعادَتْ ... حُوَيْلي مِنْ نَدَى كَفَّيْكَ حالا؟!

٤ بِفَضْلِكَ صِرْتُ أكثَرَهُمْ عَطاءً ... وقَبْلَكَ كنتُ أكثَرَهُمْ سُؤَالا

٥ فلا يَكْدُرْ قَلِيبُكَ لي، فإنِّي ... أَمُدُّ إليكَ أسبَاباً طِوَالا

---

(٢) أصل « التَّعتعةِ » التَرَدُّد والتَّوَقف عن الإبانة، وقد استُعملت « التعتعة » في عَدْو الخيل، يُراد أنها تَوقّفُ في العدْو، فإذا رُويت « أُتَعْتَعُ » بفتح التاء الثانية فالمعنى أُرَدُّ ولا أُمَكَّنُ ممَّا أطلب، وإذا كسرت التاء الثانية فالمعنى أنّي إذا رُمْتُ الكلامَ في الحاجة تَعْتَعتُ، لأني لا أتَبَسَّطُ في الطلب وأخاف أن أُردَّ.

(٣) [الشّأو : الهمَّة. حويلي : تصغير « حالة، كناية عن فقره].

قافية الميم

133

وقال يمدح المأمون [من الكامل]:

١	دمنٌ ألَمَّ بها فقالَ سَلامُ	كَمْ حَلَّ عقْدَةَ صَبْرِهِ الإلْمَامُ ؟
٢	نُحِرَتْ رِكَابُ القَوْمِ حتَّى يَغْبُرُوا	رَجْلَى، لقَدْ عَنُفُوا عليَّ ولامُوا
٣	عَشِقُوا، ولا رُزِقُوا، أيُعذَلُ عاشِقٌ	رُزِقَتْ هَوَاهُ مَعَالِمٌ وخِيَامُ؟!
٤	وَقَفُوا عليَّ اللَّوْمَ حتَّى خَيَّلُوا	أنَّ الوُقُوفَ على الدِّيَارِ حَرَامُ!
٥	ما مَرَّ يَوْمٌ واحِدٌ إلَّا وفي	أحشَائِهِ لِمَحلَّتَيْكِ غَمَامُ
٦	حَتَّى تُعَمَّمَ صُلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا	مِنْ نَوْرِهِ وتَأزَّرُ الأهْضَامُ

---

(١) [الدِّمن: جمع الدمنة، آثار الديار].

(٢) «يَغْبُروا رَجْلَى- يَبقَوا رَجْلى، جَمْع راجل مِثْل هالِك وهَلْكَى.

(ع): دَعا عليْهم بأن تُنحر رِكابُهم حتى يَغبُروا. وإن شئتَ جَعلتَ «رَجْلَى» جمع رَجْلان فلم تُنوِّن، وكذلك ينشده الناس، يقال رَجْلان ورَجْلَى، كما يقال سَكْران وسَكْرى، قال الشاعر:

عليَّ إذا لاقيتُ لَيْلَى وأهلَها أنَ آزْدَارَ بيتَ اللهِ رَجْلانَ حافِيا!

ولو نُوِّنَتْ فجُعِلَتْ جمعَ راجل ورَجْل مثلَ صاحِبٍ وصحْب ذلك حَسَناً. وإنما دَعا عليهم بنحر ركابهم ليتلبّثُوا في الدّيار، فيقضيَ وطرَه من التَّسليم، ويكون نحرُها جَزاءً لهم على لوْمِهِمْ إيّاه.

(٥) (ق) يريد المَشْيَ والمَصيف والمَبْدَى والمَحْضَر ★ دعا لِلدّيار فقال: لا مَرّ يومٌ إلاّ وفي أحشائه... الهاءُ راجعةٌ إلى اليوم، ثم قال: (البيت التالي)

(٦) أي لا زالت الغمام تَسْقِيكِ حتى يصير النّباتُ كالعمائم على الرُّبَى الصُّلْع التي لا نباتَ بها، و«تأزَّرُ» أي يكون لها كإزار، و«الأهضام» جمع هِضْم وهو المطمئن من الأرض.

٧ وَلَقَدْ أَرَاكِ ، فَهَلْ أَرَاكِ بِغِبْطَةٍ والعَيْشُ غَضٌّ والزَّمانُ غُلامُ ؟!
٨ أعوَامَ وَصْلٍ كانَ يُنْسِي طُولَها ذكْرُ النَّوَى ، فكأنَّها أيَّامُ
٩ ثُمَّ انْبَرَتْ أيَّامُ هَجْرٍ أردَفَتْ بِجَوًى أَسىً ، فكأنَّها أعْوَامُ
١٠ ثُمَّ انقضَتْ تلكَ السُّنُونُ وأهلُها فكأنَّها وكأنَّهُمْ أحلامُ
١١ أتَصَعْصَعت عَبَراتُ عَيْنِكَ أن دَعَتْ وَرقَاءُ حِينَ تَصَعْصَعَ الإظلامُ ؟!
١٢ لا تَنشِجَنَّ لَها فإنَّ بُكَاءَها ضَحِكٌ ، وإنَّ بُكَاءَكَ استِغْرَامُ
١٣ هُنَّ الْحَمَامُ فإن كَسَرْتَ عِيَافَةً مِنْ حَائِهِنَّ فإنَّهُنَّ حِمَامُ
١٤ اللَّهُ أكْبَرُ جَاءَ أكبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَحَيَّرَتْ في كُنْهِهِ الأوهَامُ
١٥ مَنْ لا يُحِيطُ الوَاصِفُونَ بِقَدْرِهِ حتَّى يَقُولوا قَدْرُه إلْهَامُ
١٦ مَنْ شَرَّدَ الإعدَامَ عَنْ أوطانِه بالبَذْلِ حتَّى استُطْرِفَ الإعدَامُ
١٧ وتَكَفَّلَ الأيتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حتَّى وَدِدْنَا أنَّنا أيْتَامُ
١٨ مُسْتَسْلِمٌ للَّهِ ، سَائِسُ أُمَّةٍ لِذَوِي تَجَهْضُمِها لَهُ استِسْلَامُ
١٩ يَتجَنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُها فكَأنَّما حَسَنَاتُه آثامُ

---

(٧) (ق) معناه أنه يتصرَّف على إرادتنا تصرّف الغُلام، ويجوز أن يكون أراد أنّ الزمان مُقْتَبل طَرِيّ.

(٨) «أعوامَ» منصوب «بغَضّ» وما في «غُلام» من معنى الفعل والأجود ان يكون منصوباً «بهل أراكِ» أيتها الديارُ بغبطةٍ وغفلةٍ من الزَّمان عنَّا أعوامَ...!

(١١) تَصَعْصَعت: تَفَرَّقت، ويقال صَعْصَع مالَه إذا فَرَّقه، وربما قيل الصَّعْصَعَة الاضطراب، وهما يتقاربان.

(١٢) «النَّشيج» تَرْداد البكاء في الصَّدْر.

(١٣) (المرزوقيّ) يُحذّره الفكرَ في شَجًى فيحمله ذاكَ على البكاء، فقال إنَّ بكاءها ضَحِكٌ، أي ما يُعتقد في صوتها من أنه بكاء هو طَرَبٌ وفَرح، وبكاؤها إذا تكلَّفته هو غَرَام وهلاك، فانْتَهِ واحذَرْ، ثم بَيَّنَ ذلك وفسَّر، بقوله «هُنَّ الحَمَام» أي اسمُه الذي هو الحَمَام ليس فيه ما يُكره، فإن أخذتَ تَزْجُر أدَّاك الزجرُ والعِيافَةُ إلى الحِمَام الذي هو اسم المَوْت، فكذلك صوتُها.

(١٤) «الكُنْه» الغاية، وقيل المِقدار، وقيل المعنى، ويروى «فتعثَّرت».

(١٨) «التَّجَهْضُم» مِن قولك تَجَهضَم على القوم إذ صَالَ وتَكبَّر، وكذلك تجهضمَ الفحلُ على الإبل. (ص) و«التَّجهضمُ» أخْذُ الشيء بِبَغْيٍ، وبه سُمّي الأسدُ جَهْضَماً.

٢٠ يـأَيُّهـا المَلِكُ الهُـمَـامُ وعَـدْلُـه   مَـلِكٌ عليـه في القَضَـاءِ هُـمَـامُ
٢١ مَـا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ يُشْـرِقُ وَجْـهُـه   في الأرضِ مُـذْ نِيطَتْ بـكَ الأحكامُ
٢٢ أَسَـرَتْ لـكَ الآفَـاقَ عَـزْمَـةُ هِمَّـةٍ   جُبِلَتْ عـلى أنَّ الـمَسِيـرَ مُـقَـامُ
٢٣ إلَّا تَـكُنْ أرواحُـهـا لـكَ سُخِّـرَتْ   فـالعَزْمُ طَـوْعُ يَـدَيْـكَ والإِجـذَامُ
٢٤ الشَّـرْقُ غَـرْبٌ حِين تَلْحَظ قَصْـدَه   ومَـخَـالِفُ اليَـمَنِ الـقَصِـيِّ شَـآمُ
٢٥ بـالشَّـدقَمِيَّـاتِ العِتَـاقِ كـأنَّما   أشبـاحُهَـا بَيْـنَ الإِكـامِ إكـامُ
٢٦ والأعـوَجيَّـات الجيَـادِ كـأنَّـهـا   تَهْـوي وقَـدْ وَنَتِ الـرِّيـاحُ سَمَـامُ
٢٧ لَـمَّـا رَأيتَ الـدِّيـنَ يَخـفِقُ قـلبُـه   والـكُـفْـرُ فـيـهِ تَـغَـطْرُسٌ وعُـرَامُ
٢٨ أورَيْتَ زَنْـدَ عَـزَائِمٍ تحتَ الـدُّجَى   أسـرَجْـنَ فِـكْـرَكَ والـبِـلادُ ظَـلامُ
٢٩ فَنهضْتَ تَسْحَبُ ذَيْـلَ جَيْشٍ سَـاقَـهُ   حُـسْـنُ الـيَـقِـيـن وقَـادَهُ الإقـدَامُ
٣٠ مُـثْعَـنْجـرٍ لَـجِبٍ تَـرَى سُـلَّافَـهُ   ولَـهُـمْ بـمُـنْـخَـرِقِ الفَـضَـاءِ زِحَـامُ

---

(٢٢) (ق) يقول: هِمَّتُك جعلتْ في إسَارِكَ آفاقَ الأرضِ ومَن فيها، فأنت تَسُوسهم برأيك وهي مجبولة على المُقَام، أي أنت مقيم غير سائر، ويجوز أن يكون أراد أنها لا تُبالي بالسير، فالسير عندها بمنزلة الإقامة، وهذا أجود، لأنَّ الأبيات التي بعدها تُؤكّده وتدلّ عليه.

(٢٣) (ق) يقُول: إنْ لم تكن كسليمان الذي سُخِّرت له الرياح، فقد جُعل العزمُ والإسراع في السير مُسخَّرين لك تبلغ بهما ما أردت. و«الإجذام» الإسراع في السير.

(٢٤) إذا رُويت على هذا النظم «فَمخَالف اليَمينَ» مثلُ مَخاليفه، واحدها مِخْلاف، وهي مثلُ الرَّساتيق، والغرض في هذا المعنى: ما شئتَ من الأُمور تَيسَّر لك، وقرُبَ شأنُه عليك، فاليمن وإن كان قَصِيًّا كأنّه الشامُ. وقد تَردَّد مجيء «الشآم» في شعر الطائيّ على «فَعال» وقد جاء ذلك في الشعر القديم إلاَّ أنه شاذّ.

(٢٥) [الشّدقميّات: إبل منسوبة إلى فحل يدعى شدقم].

(٢٦) «السَّمام» ضرب من الطير خِفَاف، إذا وصفوا الإبل بالسُّرعة شبَّهوها بها. [الأعوجيّات: إبل منسوبة إلى فحلٍ يدعى أعوج].

(٢٨) (ق) يقول: أعملت فِكْرك، وأخرجتَ نار عَزْمك بليل، كما يُقال هذا أمر دُبِّر بليل، والمعنى أنك بَيّتَ الرأي. وقوله و«البِلادُ ظلامُ» أي قد استولى عليها ظُلْمة الظُّلْم، وظُلْمةُ الكُفْر.

(٣٠) «مُثْعَنْجِر»: استعارة من السيَّل والمطر، يقال اثعنْجر السَّيْلُ والمطرُ إذا جاء بكثرة. و«السُّلاَّف» =

٣١ مَلأ المَلا عُصَباً فكادَ بأنْ يُرَى لا خَلْفَ فيهِ ولا لَهُ قُدَّامُ
٣٢ بِسَوَاهِمٍ لُحُقِ الأياطِلِ شُزَّبٍ تَعلِيقُها الإسراجُ والإلجَامُ
٣٣ ومُقَاتلينَ إذا انْتَمَوْا لم يُخزِهِمْ في نَصْرِكَ الأخوَالُ والأعمَامُ
٣٤ سَفَعَ الذُّؤوبُ وُجُوهَهُمْ فكأنَّهُمْ وأبُوهُمُ سَامٌ أبُوهُمْ حَامُ
٣٥ تَخِذُوا الْحَديدَ مِنَ الحديدِ مَعَاقِلاً سُكَّانُها الأرواحُ والأجسَامُ
٣٦ مُسْتَرسِلينَ إلى الْحُتُوفِ، كأنَّما بينَ الْحُتُوفِ وبَيْنَهمْ أرحامُ
٣٧ آسَادُ مَوْت مُخْدِراتٌ مَا لَها إلَّا الصَّوارمَ والقَنَا آجَامُ
٣٨ حتَّى نَقَضْتَ الرُّومَ مِنْك بوَقْعةٍ شَنعاءَ لَيْسَ لِنَقْضِها إبْرَامُ
٣٩ في مَعْرَكٍ أمَّا الحِمَامُ فمُفطِرٌ في هَبْوَتَيْهِ والكُماةُ صِيَامُ
٤٠ والضَّرْبُ يُقْعِدُ قَرْمَ كلِّ كَتِيبَةٍ شَرِسَ الضَّريبةِ والْحُتُوفُ قِيامُ
٤١ فَفَصَمْتَ عُرْوَةَ جَمْعهم فيه وقَدْ جَعَلَتْ تَفَصَّمُ عَنْ عُرَاها الهَامُ
٤٢ ألقَوْا دِلَاءً في بُحُوركَ أسلَمَتْ تَرعَاتِها الأكرَابُ والأوذَامُ

= الذين يتقدَّمون الجيش، فإن جُعِل جمع سالفٍ فهو مثل الشُّهّاد والغُيّاب، وإن جُعِل اسماً واحداً فهو مثل «القُدَّام»، وإذا جُعِل اسماً واحداً فالوجه أن يُروى «وله».

(٣١) يقول: جَيْشُه مِلْءُ المَلَأ، حتى إذا اجتمعوا فيه ووقفوا لا يكون لهم خَلْف في الصحراء ولا قُدّام★ والشعراء يجترئون على إدخال الباء الخافضة إذا كان بعدها «أن» فيقولون ظننتُ بأن أقومَ وحسبتُ بأن أفعلَ، قال الشاعر:

ظَنَنْتُمْ بأنْ يَخفَى الذي قد صَنَعْتُمُ وفينا نبيٌّ عنده الوَحْيُ وَاضِعُهْ

(٣٢) «السَّوَاهم» المُتَغيِّراتُ الوُجُوه، و«لُحُق» جمع لَحُوق، و«الأياطل» جمع أيْطَل، وهو الكَشْح، و«التَّعليق» أقامَه ها هنا مقامَ الاسم، وهو من قولهم عَلَّق على الفرس قَضيمه، وهذا كقول الآخر:

قادَ الجِيادَ مِن البلقاءِ ما طُعِمت في سيرها طُعْمَ يوم غيرَ تأوِيب

(٣٤) (ق) يقول أثَّر السَّفَرُ فيهم وغيَّرَ ألوانَهم، فكأنهم وهم مِن ولد البِيضان مِن ولد السُّودان، و«سام» هو أبو البيض» و«حام» أبو السُّود.

(٣٥) (ص) أي جعلوا سيوفهم مَعاقِلَ مِن سُيُوف غيرهم.

(٣٩) صيام «لاَ يتفرَّغون إلى الأكل والشُّرب والحِمَام يلتهم الأرواح.

(٤٢) حَوْضٌ تَرَع وحِياضٌ تَرَع أي مملوءة. يقول: كادُوك برأيٍ خانَهم كما خانت هذه الدّلاءَ المملوءَة

٤٣ ما كانَ للإشْرَاكِ فَوْزَةُ مَشْهَدٍ ... واللَّهُ فيهِ وأنتَ والإسلامُ

٤٤ لمَّا رَأَيْتَهُمُ تُساقُ مُلوكُهمْ ... حِزَقاً إليكَ كأنَّهُمْ أنعامُ

٤٥ جَرْحَى إلى جَرْحَى كأنَّ جُلودَهُمْ ... يُطلى بها الشَّيَّانُ والعُلَّامُ

٤٦ مُتَساقِطي وَرَقِ الثِّيابِ كأنَّهُمْ ... دانُوا فأُحدِثَ فِيهِم الإحرامُ

٤٧ أكرَمْتَ سيفَكَ غَرْبَه وذُبابَهُ ... عنهمْ وحُقَّ لِسَيْفِكَ الإكرامُ

٤٨ فَرَدَدْتَ حَدَّ المَوْتِ وهْوَ مُرَكَّبٌ ... في حَدِّهِ فارتَدَّ وهْوَ زُؤامُ

٤٩ أيقَظتَ هاجِعَهمْ وهَلْ يُغْنِيهُمُ ... سَهَرُ النَّواظِرِ والعُقُولِ نيامُ؟

٥٠ جَحَدَتْكَ مِنهمْ ألْسُنٌ لَجلاجَةٌ ... أقرَرْنَ أنَّكَ في القُلُوبِ إمَامُ

٥١ إسْلَمْ أميرَ المُؤْمنينَ لأُمَّةٍ ... نَتَجَتْ رَجاءَكَ والرَّجاءُ عُقَامُ

٥٢ إنَّ المكارِمَ للخليفةِ لَمْ تَزَلْ ... واللَّهُ يَعْلَمُ ذاكَ والأقوامُ

٥٣ كُتِبَتْ لَهُ ولأوْليهِ وراثَةً ... في اللَّوْحِ حتَّى جَفَّتِ الأقلامُ

= أوذامُها وأكرَابُها (ص) و«الوَذَم» سَيْر من جِلْد أو خيطٍ أو ليفٍ يُدخَل في العُرْوة ثم يُدخَل في ثُقْبِ رأسِ العَرْقُوة؛ «والكَرَب» خيط يُفتل ويُشَدّ بوَسَط العَرْقُوتين.

(٤٥) (ص): «الشَّيَّان»: دَمُ الأخوين، والعُلاّم» الحِنّاء، وفيه قَلْب، أراد تُطلى بالشَّيان والعُلاّم.

(٤٦) خُلْقان الثِّياب يقال لها الوَرَق، أي ليس عليهم إلاّ ما يستر عوراتهم.

(٤٨) «زُؤام» موت سريع، يُوصف الموت بهذه الصفَة ولا يستعملونها في غيره.

(٥١) يقال عَقِيم وعُقَام كما يقال طويل وطُوال، وتُفتح العين فيقال عَقَام، كما يقال صحيح وصَحَاح.

(٥٣) هذا مثل قد جرى على ألسنتهم، يقولون قد جَفَّ القلمُ بكذا وكذا، كما يقولون قد قُضِي الأمرُ، وأصل ذلك أنّ القلم إذا كُتِبَ به فلا بُدَّ أن يُبَلّ بالمِدَاد، فإذا فُرِغ من الحاجة إليه فلا ريب أنه يجف، قال ابن قيس الرُّقيات:

إنَّ الفَنِيقَ الذي أبُوهُ أبو الـ ... ـعاصِ عليه الوَقَارُ والحُجُبُ

خَلِيفةُ اللهِ في رَعِيّتِهِ ... جَفَّتْ بِذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ

وقال آخر:

حتَّى إذا قامَ أبو جَبْرٍ لهمْ

ولم يَقُمْ لإبلٍ ولا غَنَمْ

إلاّ كِتاباً منه قد جَفَّ القلَمْ

٥٤ مُتَـوَطِّئُو عَقِبَيْـكَ في طَلَبِ العُـلاَ والـمَجْـدُ ثُمَّتَ تَـسْتَـوي الأقْـدَامُ

134

وقال يمدح بني عبد الكريم الطائِيِّين [من الوافر]:

١ أَرَامـةُ كُـنـتِ مَـأْلَـفَ كُـلِّ رِيـمٍ لـو اسْتَمْتَعْتِ بـالأُنْسِ القَـدِيمِ

٢ أَدَارَ الـبُؤْسِ حَـسَّـنَـكِ الـتَّـصَابـي إليَّ فَـصِـرْتِ جَنَّـاتِ الـنَّـعِـيـمِ

٣ لَئِـنْ أصبحتِ مَـيْـدَانَ الـسَّـوافِـي لـقَـدْ أصبحتِ مَـيْـدَانَ الـهُـمُـومِ

٤ ومِـمَّـا ضَـرَّمَ الـبُـرَحَـاءَ أَنِّـي شَكَـوْتُ فما شَكَـوْتُ إلى رَحِيمِ

٥ أظُـنُّ الـدَّمْـعَ في خَـدِّي سَيَبْقَى رُسُـوماً مِنْ بُكَـائِي في الـرُّسُـومِ

٦ ولَيْـلٍ بِـتُّ أَكلَـؤُهُ كـأنّـي سَليمٌ أوْ سَـهِـرْتُ على سَـليمِ

٧ أُرَاعِـي مِـنْ كَـواكـبِـهِ هِـجَـانـاً سَـوَامـاً مـا تَـريـعُ إلى المُسِيمِ

٨ فـأُقْسِمُ لَـوْ سَـأَلْتِ دُجَـاهُ عَنِّي لـقَـدْ أنبـاكِ عَـنْ وَجْـدٍ عَـظِيمِ

= (ق): وقول الطائيّ «حتى جَفَّت الأقلامُ» أي حتى فُرِغ من الأمر، وسَبَق ما سَبَق، وإنما قال الأقلام والقلم واحد لأنه جمعه على مَوَاقعه، كما تُجمع الشمسُ على مَطَالعها، وإنْ شئت قلت لنيابته في الجَري عن أقلامٍ كثيرة.

(٥٤) (ق) يقول: أنت المُقدّم في طلب العُلَى، وعَشِيرتُك يقتدون بك ويطئون عَقِبيك، ثم يتقارب التفاضلُ بين الناس، ويجوز أن يكون المعنى: أنت السابق في طلب المجد والعُلى فيما بين عشيرتك، ثم تستوي أقدامهم مع قدمك لأن التفاضل بينك وبينهم في طَلَب العُلَى حاصل.

(١) «رَامَة» اسم موضع، ويجوز ضَمُّ التاء وفَتْحُها، فالضمُّ على أصل النداء، والفتح على الإقحام وإرادة الترخيم كما قال:

كِليني لهم يا أُميمةَ ناصِبِ:

(٣) «السَوَافي» جمع سَافِية، وهي الريح التي تَسْفِي التُّراب.

(٧) «الهِجَان» البِيض، «وتَرِيع» ترجع، «والمُسِيم» الذي يُرسل السَّوام في الرَّعْي، وهذا مثل قول عَدِيّ:

وكـأنّ النجـومَ لمّـا استَقلّـتْ فـوق رأسـي نُـوقٌ حَـدَاهـنَّ حـادي

(٨) هكذا يُروى على توحيد «الدُّجَى»، والمعروف أنها جمع دُجْيَة، ولكنّ المُحْدَثين يستعملونها في =

٩ أَنَخْنَا في دِيَارِ بَني حَبيبٍ بَنَاتِ السَّيْرِ تحتَ بني العَزيمِ
١٠ وما إنْ زَالَ في جَرْمِ ابنِ عَمْرٍو كَريمٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الكَريمِ
١١ يَكَادُ نَدَاهُ يتركُهُ عَديماً إذَا هَطَلَتْ يَدَاه على عَديمِ
١٢ تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ المَعَالي فتَحْسِبُه يُدَافِعُ عَنْ حَريمِ
١٣ غريمٌ لِلمُلِمِّ بهِ وحَاشَى نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَة الغَريمِ
١٤ سفِيهُ الرُّمحِ جاهلُهُ إذا ما بدا فضلُ السَّفيهِ على الحليمِ
١٥ إذا ما قيلَ أُرعِفتِ العوالي فليس المرعفاتُ سوى الكلومِ
١٦ إذَا ما الضربُ حَشَّ الْحَرْبَ أبدى أغَرَّ الرَّأْي في الْخَطْبِ البَهيمِ
١٧ تُثَفَّى الْحَرْبُ مِنْهُ حينَ تَغْلي مَرَاجلُها بشَيْطَانٍ رَجيمِ

= معنى الواحد، وذلك جائز يُحمَل على معنى الجنس، كما قال: مثل الفراخ نُتِفَتْ حَوَاصِلُه فأما القياس فهو الجمع، فلو قال «لقد أنبَتْكِ» لخرج إلى الوجه الذي تستعمله العرب؛ ويجوز أن يكون الطائي قاله كذَلِك، قال الراعي:

فجاءَتْ إلينا والدُّجى مُرجَحِنَّةٌ رَغُوثُ شتاءٍ قد تَقَوَّبَ عُودُها

(١٥) يجوز «مُرْعِفَات» بكسر العين أي إنَّ الرِّماح تُرعِفُها الكُلُوم، لأنها يُغَطيها الدمُ، ثم يقطر من الأسنّة. وإن رويتَ «المُرعَفات» بفتح العين فهو وجه حسَن، أي أنَّ الرماح تُرْعَف والدَّمُ في الحقيقة إنما يخرج من الكُلُوم، فكأنَّ العَوَالي ليست بالرَّاعِفةِ، وهذا كما تقول ما ظلمني فلان، وإنما ظلمني مَن مكّنه مِن ظُلمي.

(١٦) يقال «حَشَّ» الحَطَبَ والجمر، إذا جَمَعَهُ ليُوقِدَ أو يُنضج قِدْراً، وكذلك حَشَّ الشيءَ بالشيءِ إذا طَلَاه به، قال عنترة:

وكأنَّ رُبّاً أو كُحَيلاً مُعْقَداً حَشَّ الوَقُودُ به جَوَانِبَ قُمقُمِ

ويقولون حَشَّ فلانٌ رَحْلي بناقةٍ، أي وَهَبها لي، فكأنّه قَوَّى رَحْلي بذلك.

(١٧) «تُثَفَّى» مِن الأثافي، يقال ثَفَّيتُ القِدْرَ وأثفيتُها، وقولهم ثَفَّيتُ على قول مَن جعَلَ وَزْن أُثْفيَّة أُفْعُولة، ومَن قال أثْفَتُ فوزن «أُثفِيَّةٍ» عنده «فُعْلِيَّة»، ويجوز «تُثَفَّى الحربُ» على ما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ ولا يمتنع أن يُروى «تُثَفِّي الحربُ»، فتجعل «الحربُ» فاعلة؛ وإن شئتَ نصبتَ «المَرَاجِلَ» «بتُثَفِّي»، وإن شئت تركتَها مرفوعةً «بِتَغْلي» لأنه أقربُ الفِعْلَيْن إليها، وهاتان الروايتان أولى بصنعة الطائيّ، من رواية من رَوَى تَصَلَّى الحربُ منه».

١٨	فـإن شَهِدَ المَقَـامَـةَ يَـوْمَ فَصْـلٍ	رَأيْـتَ نَـظِيـرَ لُقْمَـانِ الْحَـكِيـمِ
١٩	إذا نَـزَلَ الـنَّـزيـعُ بِـهِـمْ قَـرَوْهُ	ريـاضَ الـرِّيـفِ مِنْ أُنُـفٍ جَميـمِ
٢٠	فَلَوْ شَـاهَـدْتَـهُـمْ والـزَّائِـريـهِـمْ	لَمـا مِـزْتَ البَعِيـدَ مِـنَ الْحَمِيـمِ
٢١	أُولئِـكَ قَـدْ هُـدُوا في كُـلِّ مَجْـدٍ	إلـى نَهْـجِ الـصِّـرَاطِ المُـسْـتَقِيـمِ
٢٢	أَحلَّهُمُ الـنَّـدَى سِطَـةَ المعـالـي	إذا نَـزَلَ البَخِيـلُ علـى التُّخُـومِ
٢٣	فُـرُوعٌ لا تَـرِفُّ عـلـيـكَ إلَّا	شَـهِـدْتَ لَهـا عـلى طِيـبِ الأرومِ
٢٤	وفي شَـرَفِ الْحَـدِيثِ دَلِيـلُ صِـدْقٍ	لِـمُخْتَبِـرٍ عـلى الشَّـرَفِ القَـدِيمِ
٢٥	لهـم غُـرَرٌ تُخـالُ إذا استنـارَتْ	بـواهـرُهــا ضـرائـرَ للنجـومِ
٢٦	قُـرومٌ للمجيـرِ بهـم أسـودٌ	نَكـالٌ للأسـودِ وللقـرومِ
٢٧	إذا نـزلـوا بمَحْـلٍ روَّضـوهُ	بـآثـارٍ كـآثـارِ الغيـومِ
٢٨	لكـلٍّ مِـن بنـي حَـوَّاءَ عُـذْرٌ	ولا عُـذْرٌ لطـائـيٍّ لئيـمِ
٢٩	أحـقُّ النّـاسِ بـالكـرَمِ امـرؤٌ لـمْ	يَـزلْ يـأوي إلـى أصـلٍ كـريـمِ

---

(١٩) «النَّزيع» مثلُ الغريب، وهو فَعِيل في معنى مفعول، والأُنُف التي لم تُرْعَ قبل ذلك، «والجَمِيم» الذي قد طالَ شيئاً من طُولٍ، فإذا قبضتْ عليه اليد تجمَّم، وقد يُستعمل «الجَميم» في الكثير.

(٢٢) «السِّطَة» في الأصل مصدر وسَط يَسِط سِطَةً، مثل وعَد يَعِدُ عِدَةً، وجعلها ها هنا في معنى الوَسَط، وقد يُفعل ذلك بالمصادر كثيراً، «والتُّخُوم» الحَدّ، معروف.

(٢٣) (جمع) «أرُومَة»، وهو الأصل.

(٢٦) (العبديّ): يجوز عندي أن يكون «مُفْعِل» مكان «مُسْتَفْعِل»، كأنَّه أراد المُسْتجيرَ بهم، كما جاء مُستفعِل بمعنى مُفْعِل، نحو ما يُنشد:

★ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِندَ ذاك مُجيبُ★

(ع): «المُجير» الذي يُجير، فكأنَّ المُجير من أصحابهم أو ضيوفهم أو جيرانهم، إذا أجارَ غيره أعزّه بِعزِّ هؤلاء، فهذا وجه، وتكون الإجارة متصلةً بالباء. ويحتمل معنىً آخر، وهو أن تجعل الباء بمعنى «مِنْ»، وتكون «بهم» في معنى منهم، كما يقال لي بك مَعْقِلٌ حَصِين، أي لي منك، ويكون العامل في «بهم» معنى اللام.

وقال يمدح اسحاق بن إبراهيم [من البسيط] :

١ أصغى إلى البين مُغْتَراً فَلا جَرَما أَنَّ النَّوى أسارَتْ في قَلْبه لَمَما

٢ أصمَّني سِرُّهُمْ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هَلْ كنتَ تَعْرف سِرّاً يورِثُ الصَّمَما؟

---

(١) «أصغَى» أي أمال أُذنَه يستمع، وفي «أصغى» ضمير. والمعنى أصغَى المُحبُّ ونحو ذلك. ولو رفع «مُغْتَرّ» لجاز، ويُجعل الفاعلَ ويُخْلَى «أصغى» مِن الضمير. ولفظ «مغتر» يحتمل أن يكون فاعِلاً ومفعولاً، وكذلك كلُّ «مُفْتَعِل» مِن المُضَاعف، يحتمل أن يُجعل لفاعلٍ ومفعولٍ، فإذا جعلتَ «مُغترّاً» فاعلاً فالمعنى أنه اغتَرَّ بالبين أو بالحُب؛ وإذا جُعِل مفعولاً فالمعنى أنه اغتُرَّ فهو مُغْترّ، فيتَعَدّى إليه الفعل كما قال الشاعر:

أنـاخَ بـه الشَّيبُ أثقالَـهُ ومـا اغتَـرَّه الشيـبُ إلاّ اغتِـرارَا

«ولا جَرَم» كلمة مُؤلَّفة من شيئين: أحدهما «لا» النافية والآخر «جرَم» بمعنى كَسَبَ، وقِيل في معنى حُقَّ، والمعنيان يرجعان إلى شيءٍ واحد، قال الشاعر:

ولقـد طَعَنْـتُ أبـا عُيَيْنَـةَ طَعْنَـةً جَـرمَـتْ فَـزَارَةَ بعـدهـا أنْ يَغضبـوا

قيل «جَرَمتْ» بمعنى حَقَّتْ، وقِيل في معنى كَسَبَت، ودخول «لا» في هذا الموضع مثل دخولها في قوله «لا أُقسمُ بيوم القيامة»، على رأي بعض المفسّرين لأنهم يقولون «لا» نَفْي متعلّق بغير «أقسِمُ» كأنّه جواب لكلامٍ متقدّم وَجبَ أن يُقال فيه «لا» ثم استأنفَ كلاماً آخر، فقال أُقسمُ بيوم القيامة. والناس يضعون «لا جَرَم» في موضع الشماتة واستحقاق المُصَاب للمصيبة، فيقولون كان فلان رجل سَوْءٍ، لا جَرَمَ أنَّ الله أهلكه، وقد اتسعت العربُ في قولهم لا جَرمَ «حتى حذفوا الميم فقالوا: لا جَرَ، وإنما يفعلون ذلك فيما يكثر على ألسنتهم، فيخفّفُونه لكثرة تَردُّده. «وأسارت» أبقَتْ.

(٢) [ق] يعني انّ القوم كانوا يتشاورُون في الارتحال، ويَتناجَوْن به ويتآمرون، وكان أبو تَمّام غافلاً عمّا هم فيه، غيرَ مُخْطرٍ حالَهم بباله، مُغترّاً بما حَصَل له من الوصال، فاتّفقَ أنْ أصغَى إلى شرهم في ذلك ووقَف على نيّتهم في النّوى، فَحدَثَ في عقله عن النَّوى المعزوم عليها خَبَال، وفي أُذنه عن سرّهم المكتوم وكلامهم الخفيّ صَمَم. وقوله «هل كنت تعرف سرّاً يُورث الصَّمَمَا» يريد أنّ هذا على العكس بما جَرَتْ به العادةُ، لأنّ الناس يَخافون الصَّممَ مِن الأصوات الغليظة، والهَدّات الفظيعة التي تجري مَجْرى الصواعق.

٣ نَأَوْا، فَظلَّتْ لِوَشْكِ البَيْنِ مُقْلَتُه   تَنْدَى نَجيعاً وَيَنْدَى جِسْمُهُ سَقَما
٤ أَظَلَّهُ البَيْنُ حتَّى إنَّه رَجُلٌ   لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِه بالبَيْنِ ما عَلِما
٥ أَمَا وقَدْ كَتَمَتْهُنَّ الْخُدُورُ ضُحًى   فأبعَدَ اللَّهُ دَمْعاً بعدَها اكتَتَما!
٦ لمَّا استَحرَّ الوَداعُ المَحضُ وانصرَمَتْ   أواخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كاظِماً وَجِما
٧ رأيتَ أَحسَنَ مَرْئِيٍّ وأقبَحَهُ   مُسْتَجمِعَيْن ليَ: التَّوْدِيعَ والعَنَمَا
٨ فكَادَ شَوْقِيَ يتْلُو الدَّمْعَ مُنسَجِماً   لَوْ كانَ في الأرضِ شَوْقٌ فاضَ فانْسَجَمَا

---

(٤) أي حتى لو نُزِعَتْ رُوحُه من جسده لم يعلم به، شُغْلاً منه بأمر البَيْن.

(٥) أي رَكِبْنَ الرَّواحِلَ ودخَلْنَ الهَوَادج فحَجَبْنَهنّ عن الأبْصار، فأبعَد الله دمعاً لا يَفيض بعد ارتحالهم.

(٦) «الكاظم» الذي يَكْظِمُ غيظَه أي يَسْتُر عليه، وأصل «الكَظْم» التضييق والخَنْق، ويقال أخذَ بِكَظَمِه أي بالموضع الذي يُكْظَمُ منه، وإنما يعنون الحَلْق. «والوَجِم» الذي قد أظهر الحزنَ والكراهة للشيء، وقوله «إلاّ كاظماً» «الكاظم» يقع على الصَّبْر، كأنّه قال إلاّ صَبْراً كاظماً؛ و«وَجَم» على هذا الوجه منصوب بوقوع الفعل عليه، والذي عَمِلَ فيه اسمُ الفاعل وهو «كاظِم» فهو أوْجَه وأصحُّ، ولا ينبغي أن يُعدَل عنه. وقد يجوز أن يُجعل «كاظِم» صفةً لرجلٍ، ويكون على الاستثناء المنقطع، ويُحمل اللفظ على المعنى، كأنه قال إلا رجلاً كاظماً، لأنّ صدر البيتِ قد دَلّ على المُراد، فإنه يؤدي معنى قوله: لم يترك البَيْنُ صابراً إلاّ كاظِماً، ويمكن أن يُعتقد حَذْفُ المضاف، كأنه قال وانصرَمَتْ أواخرُ الصبرِ إلاّ صبرَ كاظمٍ وَجِم. وإنْ جعلتَ «وَجِماً» للصبر فجائز، أي صَبْراً يُكْظم فيه ويُوجَمُ، كما يقال لَيْلٌ نائم.

(٧) أراد «بالعَنَم» البَنَان المخضوب، لأنه يُشبَّه بالعَنَم وهو نَبْت أحمر، وهذا على حَذْف آلة التشبيه، ولأجل هذه العِلّة استجاز بعضُ أهل اللغة أن يضع أشياءَ في غير موضعها، حتى أُنكر عليه ذلك ونُسِب إلى التقوُّل، مِثْل أن يقول «العَنْم» الأصابع المخضوبَة، لأنها قد وُضِعت في موضع العَنَم على التشبيه. وكذلك قول النابغة:

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أيكَةٍ   بَرَداً أُسِفَّ لِثَاتُهُ بالإثْمِدِ

فَجَعلَ الثَّغرَ بَرداً على حَذْف الآلة.

(٨) أي كاد شوقي الذي في نفسي يخرج منها مع خروج الدمع، ويجوز أن يكون المُراد أنّ الشوق لطُفَ فكادَ يَسيل للطافته.

٩ صُبَّ الفِـرَاقُ علينـا صُبَّ مِنْ كَثبٍ ... عليهِ إسحـاقُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ مُنْتَقِمَـا
١٠ سَيْفُ الإمـامِ الـذي سَمَّتْـهُ هِمَّتُـه ... لمَّـا تَخـرَّمَ أهـلَ الكُفْر مُخْتَـرِمَـا
١١ إنَّ الخليفـةَ لمَّـا صَـالَ كنتَ لـه ... خَليفَـةَ المَـوْتِ فيمَنْ جـارَ أو ظَلَمَا
١٢ قَـرَّت بقُـرَّانَ عيْنُ الـدِّين وانشَتَـرتْ ... بـالأشْتَرَيْنِ عُيُـونُ الشِّرْكِ فـاصطُلِمَا
١٣ ويَـوْم خيْـزَجَ والألْبَـابُ طـائِـرَةٌ ... لَـوْ لَم تكُنْ ناصِرَ الإسلام مـا سَلِمَا
١٤ أضْحَكْتَ منهمْ ضِبَاعَ القَاعِ ضَاحِيَةً ... بَعْـدَ العُبُـوسِ وأبكيتَ العُيُـونَ دَمـا
١٥ بكُـلِّ صَعْبِ الـذُّرَا مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظٍ ... إنْ حَـلَّ مُتَّئِـداً أَوْ سَـارَ مُعْتَـزِمَـا
١٦ بَـادِي المُحَيَّا لِأطْـرَافِ الرِّمَاحِ فما ... يُـرَى بغَيْـرِ الـدَّمِ المعبـوطِ مُلْتَثِمـا
١٧ يُضْحِي على المجْد مَأْمُوناً إذا اشْتَجرَتْ ... سُمْـرُ القَنَـا وعلـى الأرواحِ مُتَّهَمَـا
١٨ قَـدْ قَلَّصَت شَفَتـاهُ مِـنْ حفيظَتِـهِ ... فخِيلَ مِـنْ شِـدَّة التَّعْبيسِ مُبْتَسِمَـا
١٩ لم يطغَ قومٌ وان كـانـوا ذوي رحـم ... إلاَّ رَأَى السَّيفَ أدْنَـى مِنْهُـمُ رَحِمَـا

---

(٩) هذا دُعَاءٌ على الفراق.

(١٠) «المُخْتَرِم» المستأصل للشيء.

(١٢) [الشّتر: انقلاب جفن العين وتشنّجه].

(١٣) «خَيْزج»: موضع [ق] ويُروى «ثانِيَ الإسلام». وقوله «ثاني الإسلام» يجوز أن يكون مِن ثنيته عن كذا أي صرفتُه. والمعنى لو لم يكن دافِعَ الإسلام وصارِفَه، أي الدَّافعَ عنه وصارِفَ الكفرِ دونَه ما سَلِمَ. ويجوز أن يكون أراد ثاني ناصِرِ الإسلامِ، وهو الخليفة، فحذَفَ المضاف وهو «الناصر» وأقامَ المضاف إليه وهو «الإسلام» مَقامَه.

(١٥) قوله «مِنْ مُصْعَبٍ» أي من بني مُصْعَب، لأنهم رَهْط الممدوح. «ومُصْعَب» هذا من جدود عبدالله بن طاهر، ويدللك على أنه عني «بمصعَب» رجلاً بعينه، قوله «فَخراً بني مُصْعَبٍ» في هذه القصيدة، وهذا كما تقول مررتُ برجلٍ من طيٍّ كريم، مِنْ كُلِّ صَعْبِ الذُّرَا من بني مُصْعَب. يقول: أكثرتَ القَتْل بمعونةِ كلِّ صَعْب جَسُور من ولد مُصْعب، مُتيقظٍ في حالتي حُلُوله ومَسِيره.

(١٧) يقول: يُحافظ على المجد، ويُؤْمَن أنه لا يُضيعه في الحروب بصدق اللقاء.

(١٨) أي قد أبرَزَتْ شَفَتاه أسنانَه من شدة الغضب.

(١٩) أي لم يُجاوز قومٌ مقدارَهم إلاّ قوّمَهم وحَسَمَ عاديتَهم،، ولا يُبالي بِقُرب رَحِمهم منه

٢٠ مَشَتْ قُلُوبُ أُنـاسٍ في صُـدُورِهِمُ ... لَمَّـا تَـراءَوْكَ تَمْشي نَحـوَهُمْ قُـدُمَـا

٢١ أمـطرْتَهُمْ عَـزَمـاتٍ لَـوْ رَمَيْت بهـا ... يـوْمَ الكَريهـةِ رُكنَ الـدَّهْـر لانهـدَمَا

٢٢ إذا هُمُ نَكَصُـوا كـانَتْ لَهُم عُـقُـلاً ... وإنْ هُمُ جَمَحُـوا كـانَتْ لَهُمْ لُجُمَـا

٢٣ حتَّى انتهكتَ بحـدِّ السَّيْفِ أنفُسَـهُم ... جَـزاءَ ما انتَهَكُـوا مِنْ قَبْلِكَ الْحُـرَمَا

٢٤ زالَتْ جبـالُ شَرَوْرَى مِنْ كَتَـائِبِهمْ ... خَـوْفاً ومـا زُلْتَ إقْـدَاماً ولا قَـدَمـا

٢٥ لَمَّا مَخضْتَ الأمَـانِيَّ التي احتَلبُـوا ... عَـادَت هُمُـومـاً وكـانَتْ قَبْلَهُ هِمَمَـا

٢٦ بَـدَّلْتَ أرْؤُسَهُمْ يَـوْمَ الكَـريهَـةِ مِنْ ... قَنَـا الـظُّهُـور قَنـا الْخَـطِّيِّ مُـدَّعَمـا

٢٧ مِنْ كُـلِّ ذِي لِمَّـةٍ غَـطَّتْ ضَفَائِـرُهـا ... صَـدْرَ القَناةِ فقَـدْ كـادَتْ تُـرَى عَلما

٢٨ رَاحَ التَّنَـصُّـلُ مَعْـقُـوداً بـألْسُنِهِـمْ ... لَمَّـا غدَا السَّيفُ في أعنـاقِهِمْ حكمَـا

٢٩ كانُوا على عهْدِ كِسْرَى في الزَّمانِ، ولَنْ ... يسْتَشـرِيَ الْخَطْبُ إلاَّ كُلَّمـا قَـدُمَـا

٣٠ في كـلِّ جَـوْشَنِ دَهْـرٍ مِنْهُـمُ فِئَـةٌ ... تُـرْجَى رحَى فِتْنَة قَـدْ أشجَتِ الأُمَمَـا

٣١ حتَّى إذا أيـنَعـتْ أثـمـارُ مُـدَّتِـهـمْ ... أرسَلَكَ اللّه لـلأعمـارِ مُصْـطَرِمَـا

٣٢ أطَعتَ رَبَّـكَ فيهمْ والخـليفـةَ قـدْ ... أرضيتَـهُ وشَفَيْتَ العُـرْبَ والعَجمَـا

٣٣ تَـرَكْتَهُـمْ سِيـراً لَـوْ أنَّهـا كُتِبَتْ ... لم تُبْقِ في الأرضِ قِرْطاساً ولا قَلَمَا

٣٤ ثُمَّ انْصـرفْتَ ولَمْ تَلبَثْ وقَـدْ لبِثَـتْ ... سَمـاءُ عَـدْلِـكَ فيهمْ تُمْطِرُ النِّعَمَـا

٣٥ لَـوْ كَانَ يَقْـدَمُ جَيْشٌ قَبْـلَ مَبْعِثِهِمْ ... لكـانَ جَيْشُكَ قبـلَ البَعثِ قد قَـدِمَـا

---

(٢٠) أي ارتعدَتْ فرائصُهم، وتَداخَلهم الذُّعْرُ والفَزَع.

(٢٢) أي أحاطت بهم هذه العَزَماتُ، فلا يجدون عنها مَخْلصاً.

(٢٣) «الحُـرَم» التي حَرَّمها الله من المسلمين ما كان محظوراً عليهم.

(٢٥) (العَبْديّ) الهاء في «قَبْله» عندي تعود إلى «المَخْض» الذي دَلّ عليه «مَخَضْتَ». (ع): تمنَّوْا أن ينالوا بك الظفر، فأخلفتَ ظُنونَهم وخَيّبتَ أمانيهم، وصارتْ أمانيهم حُزْناً لهم.

(٢٦) أي جعلتَ رُؤوسَهم على الأسنَّة بعد ما كانت على الأبدان.

(٢٩) و(٣٠) «يَسْتشرِي» أي يعظم، «وجَوْشن» صَدْر، أي يهيجون الشرَّ.

(٣١) [مصطرم: منقطع].

(٣٥) [أي لو عاد جيش لسرعته قبل بعثه، لكان جيشك هذا].

٣٦ سَمّاهمُ البَطَرُ الأُسْدَ الغِضـابَ فلـم ... تَهْجَعْ سيوفُكَ حتّـى صُيِّـروا نَعَمـا
٣٧ ولَّتْ شَيَـاطِينُهُمْ عَنْ حَـدِّ مَلْحَمـةٍ ... كـانَتْ نُجُـومُ القَنَـا فيهـا لَهُمْ رُجُمـا
٣٨ تَـركْتَهُمْ جَـزَراً في يَـوْمِ مَعْـركَـةٍ ... أقمَـرْتَ فيهـا وكـانت فيهمُ ظُلَمَـا
٣٩ قـد بَيَّضَتْ رَخَمُ الهَيْجَا جَمَاجِمَهمْ ... حتَّى لَقَـدْ تَـركَتْهـا تُشْبِهُ الـرَّخَمَا
٤٠ غـادَرْتَ بـالْجبَـلِ الأهـواءَ واحِـدَةً ... والشَّمْـلَ مجْتَمِعـاً والشَّعْبَ ملْتئِمَـا
٤١ جَدَدْتَ غَرْسَ المُنَى مِنْهم بِذِي لَجَبٍ ... أَبقَى بِهِمْ مِنْ أنَـابِيبِ القَنَـا أَجمَـا
٤٢ لَوْ كَانَ في سَاحَةِ الإسلامِ مِنْ حرَمٍ ... ثـانٍ إذاً كنتَ قَـدْ صَيَّـرْتَـه حـرَمَـا
٤٣ تَغـدُو معَ الْحَـرْبِ لِـلأرواحِ مُغْتَنِمـاً ... فـإنْ سُئِلْتَ نَـوَالًا رُحْتَ مُـغْتَـنَمَـا
٤٤ فـالمجْدُ طَـوْعُـكَ مـا تَغْـدُوكَ هِمَّتُـه ... أكنتَ مُهْتَضِمـاً أو كنتَ مُـهْتَـضَمَـا
٤٥ كَمْ نَفْحَـةٍ لـكَ لَمْ يُحْفَظْ تَـذَمُّمُهـا ... لِصَـامِتِ المـالِ لا إلاًّ ولا ذِمَمَـا!

---

(٣٦) يقول: بَطِروا وعَدَوْا على الإسلام وأهلِه عدوةَ الأُسْد الغِضاب.

(٣٧) أي كانوا في تَعرُّضهم للإسلام كالشياطين التي تسترق السمع، وكنت في قَمْعهم كالكواكب تُرجَم بها الشياطين.

(٣٩) [ق] يقول: تَمكّنتِ الرَّخَمُ من جماجم القتْلى فتعرَّقَتْها وعَرَّتها من اللحم، فكأنّها لِظُهور بياض عَظْمِها أشبَهت الرَّخَم. ويجوز أن يكون أراد «برَخَم الهيجا» رجالَ الحرب الذين كشفوا بسيوفهم لُحومَ الجماجم عنها؛ وقيل أراد «برَخَم الهيجا» البَيْض، وأراد أنها من كثرة لُبْسها انحسَر الشَّعَرُ عن رُؤوسهم وابيضّتْ مواضِعُها، فكأنها الرَّخَمُ، وهو مثل قوله:

قــد حَصّــتِ البَيْضَــةُ رأســي فمــا ... أَطْعَــمُ نَــوْمــاً غيــرَ تَهْجَــاع

وليس هذا بجيّدٍ، ولا فيما تَقدَّم وتأخَّر ما يَدُلُّ عليه.

(٤٠) يقول: كفيتَ المسلمين عاديتهم بقتلك إيّاهم واستئصالك لهم، حتى صار الأمرُ واحداً والدينُ دينَ الإسلام، وانقطع الخلاف.

(٤٢) أي لو كان في الإسلام حَرَمٌ غيرُ حَرَم مَكَّةَ، لكان هذا الموضع الذي كانوا يأوون إليه ويَعدُون فيه على المسلمين حَرَماً ثانياً بك.

(٤٤) أي أنت في كِلْتا حالتيك مُبْتَنٍ مجداً أو رِفعةً وكاسبَ مَحمَدةٍ، مُهتَضِماً لمَنْ عادَاك، ومُهْتَضَماً لمنْ وَالاَك، بما يَنالُه مِن عطائك.

(٤٥) [التذمّم: حفظ الذمام، أي العِرض].

٤٦ مَـوَاهِبٌ لَـوْ تَـوَلَّى عَـدَّهـا هَـرِمٌ ... لم يُحْصِها هَـرِمٌ حتَّى يُـرَى هَـرِمَـا
٤٧ فَخْـراً بَنِي مُصْعَبٍ فالمكرُمَـاتُ بكُمْ ... عَـادَتْ رِعَـانـاً وكـانَتْ قَبْلكمْ أكمَـا
٤٨ نَـقُـولُ إنْ قُـلتُـمُ لا لا مُـسَـلَّـمَـةً ... لأمـركُـمْ ونَـعَـمْ إنْ قُـلْتُـمُ نَـعَـمـا
٤٩ مـا منْكُـمُ أحَـدٌ إلاَّ وقَـدْ فُـطِمَتْ ... عنْهُ الأَعادِي بسيما المَجْدِ مُذْ فُطِمَا
٥٠ أبـو الحُسيْن ضِيـاءٌ لامِـعٌ وهُـدًى ... مـا خَـام في مشْهَـدٍ يـومـاً ولا سَئِمـا
٥١ إذَا أَتَـى بَـلَداً أَجـلَتْ خَـلائِـقُـه ... عَنْ أَهْلِهِ الأنكدَيْنِ: الْخَوْفَ والعَـدمَا
٥٢ مَنْ يسْـأَلِ اللَّهَ أَنْ يُبْـقي سـراتَـكُمُ ... فـإنَّمـا سَـالَـهُ أن يُبْقِيَ الكَـرَمَـا
٥٣ قَـدْ قلْتُ لِلنَّـاس إذْ قـامُـوا بشُكْـرِكُمُ ... الآنَ أحسَنْتُمُ أنْ تحـرُسـوا النِّعَمَـا

---

(٤٦) «هَرِم بن سِنَان» الذي مَدَحه زُهَيْر يُضرب به المثل في الجود.

(٤٨) «لا» و«نعم» يُحكيان، وهما ينوبان عن جملتين، يقول لك القائل: أتقوم؟ فتقول: لا، فكأنك قلت: لا أقوم، وكذلك إذا قلتَ نعم، والغالب عليهما ألاّ يدركهما إعراب، وقد أعرب الطائي «نعم» في هذا البيت، وإنما المعروف قول الأعراب كما قال الشاعر:

إنّ لا بعـدَ نَعَـمْ فـاحِشَـةٌ ... فَبِلا فَـابـدأْ إذا خِفْـتَ النَّـدَمْ

وقال آخر:

إذا قلـتَ فـي شـيءٍ نَعَـمْ فـأتِمَّهـا ... فـإنّ نَعَـمْ دَيْـنٌ علـى الحُـرِّ واجِـبُ

ونَصبَ الطائيُّ «نعم» في القافية لأنه أخرجَها مِن بابها، وجعلها مفعولة للقول.

(٤٩) أي لا يَبقَى له عدوٌّ حين يُفْطَم.

(٥٠) [خام: نكص ونكل].

(٥٢) الأجود أن يجزم «يسأل» على الشرط، ويجوز الرفع على أن تجعله إخباراً مُجرَّداً، كما تقول: الذي يسألك مالك فإنَّك تُكرِمُه. وإن همزتَ «يسأل» فإنه أحسن، وإن تخالفت اللغتان، وإن لم تهمزها فجائز، والاختيار الهمز، لأنه أصحُّ للوزن، وقد زاحفَ الطائيُّ في هذه القصيدة مثل هذا الزِّحاف في قوله «أرسلَكَ اللهُ للأعداءِ مُنْتَقِما».

وقال يمدح أحمد بن أبي دُوَاد [من الطويل] :

١ أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَرْوَى الظِّمَاءُ الْحَوَائِمُ وأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُشَتَّتَ نَاظِمُ؟!

٢ لَئِنْ أَرْقَأَ الدَّمْعَ الغَيُورُ وقَدْ جَرَى لَقَدْ رَوِيَتْ مِنْهُ خُدُودٌ نَواعِمُ

٣ لَقَدْ كانَ يَنْسَى عَهْدَ ظَمْيَاءَ باللِّوى ولكن أَمَلَّتْهُ عليه الحَمائِمُ

٤ بَعَثْنَ الهَوَى في قَلْبِ منْ لَيسَ هَائِماً فَقُل في فُؤادٍ رُعْنَهُ وَهْوَ هَائِمُ

---

(١) [يأني : يحين . الحوائم : جمع الحائمة ، وهي الإبل الدائرة حول الماء] .

(٢) و(٣) في النسخ « لئن أرقأَ الدمعَ الغيورُ » « أرقأ » أي سَكَّنه ومَنَعه من السَّيلان، ويروى « لئن أعطشَ الدمعُ العُيون » ورواه المرزوقيّ: « لئن أرقأَ الدمعَ الغيورُ » ، يقول: إن كان الغيورُ كَفَّ عن البكاء فرحاً بما حدثَ بين الأحبّةِ من الفراق، بعد أن كان يُريق دمعَه لشِدَّة تَوَاصلهم عليه، فقد أكثرت النساء من البكاء وأروت خُدودَهن من الدموع، لأنهنّ كلما نَظرنَ إلى الغَيُور وهو فَرِحٌ بالحالة المتجدّدة لهنّ، شامِتٌ بما حَدَثَ من التفرّق بَينهن، ازدَدْنَ جَزَعاً فأذرينَ دَمعاً، كما أنَّ أبا تمام كلما قاربَ أن ينسَى عهدَ صاحبته وحَدَّثَ نفسه بالتسلّي عنها، أملّتِ الحمائمُ ببكائِها عليه ما جَدَّد العُهودَ وَطَرَّى الباليَ من الوَجْد، والتَّشبيهُ تَناوَلَ فِعْلَ الغيور بالنساء، فأجراه مَجْرى فِعْلِ الحمائِم بأبي تمّام. (ع): قوله « لقد كاد ينسى » هي الرواية الكثيرة، ولفظ البيت يحسن أن يُحمل عليها أكثر من حمله على غيرها لأنه قال « ولكنْ أملّته عليه الحمائمُ » فدَلَّ بهذا المقال على أنه قد كان ثمَّةَ مقاربةُ النِّسيان إلاّ أنه لم يَنْسَ. ومَن روى « كما كادَ يَنسى عهدَ ظمياء » فمعناه ما كان ينسى، ثم دخلت اللاّمُ التي تُسمّى لام الابتداء، وإذا أُدخل النفيُ على « كاد » أخرجَها إلى معنى الإيجاب في معظم كلامهم، كقوله تعالى « وما كادوا يفعلون» أي قد فعلوا بعد إبطاء، وكذلك يُقال ما كان فلان يعطينا شيئاً، أي قد أعطانا ولكنه بعد تَعذُّر، فإذا حُمِلتْ على هذا المعنى، ضَعُفَ قوله « ولئن أملّته »، ولها معنى آخر إلاّ انه قليل التردُّد وإنما يكون كاللُّغز لأنّ المعروف سِوَاه، تقول ما كاد يقوم أخوك، اي لم يقم ولم يقارب، وعلى هذا حمل المفسرون الآية « إذا أخرجَ يدَه لم يكد يَرَاها » أي لم يَرَها ولم يكد، ومثل هذا قلّما يُستعمل. « وظَمْياء » اسم امرأة، وهو من قولهم هي ظمياء الشَّفَتين إذا وُصِفَتْ بسمرتها وقِلّة لحمها، وهو من قولهم رمح أظمى، وليس من الظمأ الذي هو العطش، لأن الأنثى من ذلك ظمأى مثل سَكْرَى غير ممدود.

(٤) [رعنه : أخفنه] .

٥ لهـا نَغَمٌ لَيْسَتْ دُمُـوعـاً فـإنْ عَلَتْ مَضَتْ حَيْثُ لا تَمْضي الدُّمُوعُ السَّواجِمُ
٦ أَمَـا وأبيهـا لـوْ رَأَتْني لأيقـنَـتْ بِـطُولِ جـوًى يَنفَضُّ مِنْـهُ الْحَيَـازِمُ
٧ رأَتْ قَسَمـاتٍ قَـدْ تَقسَّم نَضْـرَهـا سُرَى اللَّيْـلِ والإسـآدُ فَهْي سَـوَاهِمُ
٨ وتَلْـويـحَ أجسَـامٍ تَصَـدَّعُ تحتَهـا قُلُوبُ رِيـاحُ الشَّـوْق فيهـا سَمَـائِمُ
٩ يَنَالُ الفَتى مِنْ عَيْشِـهِ وهـوْ جَـاهِـلٌ ويُكْـدِي الفَتَى في دَهْـرِهِ وَهْـوَ عَـالِمُ
١٠ ولَوْ كانَتِ الأرزَاقُ تَجْري على الحِجَا هـلكْنَ إذَنْ مِـنْ جَهْـلِهِنَّ البَـهَـائِـمُ
١١ جَـزَى اللَّهُ كَفّـاً مِلْؤُهـا مِنْ سَعَـادةٍ سعَتْ في هلاكِ المالِ والمالُ نـائـمُ
١٢ فلم يجتمعْ شـرقٌ وغـربٌ لقـاصـدٍ ولا المَجْدُ في كَفِّ امْرِىءٍ والدَّراهِمُ
١٣ ولَمْ أَرَ كـالمَعْـرُوفِ تُـدْعَى حُقُـوقُـه مَغَـارِمَ في الأقـوام وَهْيَ مَغـانِـمُ!
١٤ ولا كـالعُلَى مـا لَمْ يُـرَ الشِّعْـرُ بَيْنها فكـالأرضِ غُفْـلًا ليسَ فِيهـا مَعـالِمُ
١٥ ومَـا هُـوَ إلَّا القـوْلُ يَسْـري فتَغْتَدِي لَـهُ غُـرَرٌ فـي أَوْجُـهٍ ومَـوَاسِـمُ
١٦ يُـرى حِكْمَـةً مـا فيـهِ وهْـوَ فُكَـاهَـةٌ ويُقْضِي بمـا يَقْضِي بهِ، وهْـوَ ظَالِمُ!
١٧ إلى أحمَدَ المحمودِ رَامَتْ بنا السُّرَى نـواعِبُ في عَـرْضِ الفـلا ورَوَاسِمُ

---

(٥) [السواجم: المنهمرات].

(٦) «يَنفضّ» أي يفترق وهو في معنى يرفَضّ، و«الحَيَازم»: أراد الحَيَازيم، فحذف الياءَ، وإنما الواحد حَيْزوم، وحذف هذه الياء في الجمع يَجترىء عليه الشعراءُ كثيراً، كما قالوا «عصافر» و«مَصَابح» في جمع عُصْفور ومِصْباح.

(٧) مِن القَسَامة وهو الحُسْن، وقَسيم مِثل وَسِيم.

(١٢) [ق] أي كما لا يجتمع السيرُ نحو الشرق والغرب في حالة واحدة من سائرٍ واحدٍ، كذلك لا يجتمع الشرفُ والمعالي لرجلٍ مع إمساكه المال، لأنّ المجدُ يُكتسب ببذلِ المال وإتلافِ الرغائب.

(١٥) هذا البيتُ في تفضيلِ الشعر، يقول: إنّ القولَ الحَسَنَ يصير كالغُرَر في وُجُوه الممدوحين، أي يُحسِّنهم ويُزَيِّنهم، وكالمواسم في وُجُوه المذمومين، يُقبّحهم ويَشِينهم، وإنما يعني آثارَ المواسم.

(١٦) [ق] يصف الشِّعْر، أي تُرى الكلمةُ فيه يكون ظاهرُها مَزْحاً فتُوجَدُ في الحقيقة حكمةً، ويقضي الناسُ بما يقضي به الشعرُ وهو ظالم، لأنّ الشاعرَ ربما هَجَا ظُلْماً منه، فيضع من المهجوّ، ويقضي به الناس.

١٨ خَـوَانِفُ يَـظْلِمْنَ الـظَّلِيم إذا عَـدَا وَسِيـجَ أبيـهِ وهْـوَ لِـلبَـرْقِ شَـائِمُ

١٩ نَجَـائِبُ قَـدْ كـانَتْ نَعَـائِمَ مَـرَّةً مِـنَ المَـرِّ أَوْ أُمَّـاتُهُـنَّ نَعَـائِـمُ

٢٠ إلى سَـالِمِ الأخلاقِ مِنْ كُـلِّ عـائِبِ ولَيْسَ لَـهُ مـالٌ على الجُـودِ سَـالِمُ

٢١ جَـديرٌ بـأَنْ لا يُصْبِحَ المَـالُ عِنْدَهُ جَـدِيراً بـأن يَبْقَى وفي الأرض غَـارِمُ

٢٢ ولَـيْسَ بِبَـانٍ لِـلعُـلى خُـلُقُ امـرىءٍ وإنْ جـلَّ إلَّا وهْـوَ لِلمَـالِ هَـادِمُ

٢٣ لَـهُ مِنْ إيَـادٍ قِمَّـةُ المجْـدِ حَيْثُمَـا سَمتْ وَلهـا مِنْـهُ البِنَـا والـدَّعَـائِمُ

٢٤ أُنَـاسٌ إذَا رَاحوا إلى الـرَّوْعِ لم تَرُحْ مُسَـالِمَـةً أَسْـيَـافُهُـمْ والْجَمـاجِمُ

٢٥ بَنُـو كُـلِّ مشْبُـوحِ الـذِّرَاعِ إذَا القَنَـا ثَنَت أَذْرُعَ الأبـطال، وَهْيَ مَعَـاصِمُ

---

(١٨) «خَوَانِف» مِن الخِنَاف وهو ضَرْب من السير، يقال بَعيرٌ خانِفٌ وناقةٌ خانِفَةٌ، وهو أن تعطف اليدَ إلى الجانب الوحشيِّ، قال الأعشى:

أجَـدَّتْ بِـرجليهـا النَّجـاءَ وراجعَـتْ يَـديْهـا خِنـافـاً لَيِّنـاً غيـرَ أجـرَدا

و«الوَسِيج» من سير الإبل والنعام، يقال بعير وسَّاجٌ إذا سارَ الوسيج، وقوله «يظلمْن الظليم»: أي يَجِئْنَ بسيرٍ من سيره، فكأنهنّ يَظْلِمْنَهُ بذلك، والظَّليمُ يُوصف بالسُّرعة إذا أراد أن يُؤْوِي بيضه أو رئاله، إذا شام بَرْقاً أو بَلَّته سَحَابةٌ، قال الشاعر:

مثـلَ الظليـمِ رَأى بَـرْقـاً فـذَكَّـره بَيْضـاً بِمَيْثَـاءَ روَّتْهـا الأهـاضيـبُ

(المرزوقيّ): قوله «وهوَ للبرقِ شَائمُ» هو وصف لأبي الظليم وحَالٌ له، أي يَظْلِمْنَه عَدْوَه أشدَّ ما يكون إذا تَقَيَّلَ أباه، فمشَى مَشيَه في هذه الحالة، وهو إذا شامَ البرقَ فبادر إلى أُدْحِيِّه.

(١٩) جَعلَ الرِّكابَ كأنها مُنتسِبة إلى النَّعام وذلك ضرب من المبالغة، لأن العرب شَبَّهت الإبلَ بالنعام والناقَة بالنعامة، فجعلها الطائيّ نعائم على حَذْف التشبيه ودَعْوى ذلك لهنّ. و«المَرّ» جمع مَرَّة، وقيل به «المَرَّة» مصدر في الأصل، والمصدر يقع على القليل والكثير فإذا دخلت الهاء كان للمرّة الواحدة، كقولك الضرب، يجوز أن تعني به ما قلّ وما كثر، فإذا قلتَ الضربة فهي واحدة.

(٢١) [ق] أي هذا الرجل خليقٌ أن لا يُصبح المالُ عنده خَلِيقاً بالبقاء وفي الأرض رجلٌ غارم، لأنه يُخرجه إليه، ويُعطيه إيّاه.

(٢٥) [ع] أي هم بنو كلِّ رجلٍ عَرِيضِ الذِّراع، وأحسنُ ما يُوجه إليه هذا المعنى أن يُجعل من التورية مثل قوله قد لَقَّبوها جوهرَ الأشياءِ وتكون «المَعَاصِم» (مَفَاعِل) من العِصْمة، إلاَّ أنها جمع مِعْصم اليد، ويكون الكلام قد تَمَّ عند قوله «ثَنَى أذرعَ الأبطال» ثم قال بعد ذلك كالمُلْغِز «وَهْيَ مَعَاصِمُ»، أي والأذرع تَعْصِم مِثلَ المَعَاقل. وقد يجوز أن تجعل «هي» راجعة على «القَنَا»، وعلى =

٢٦ إذَا سَيْفُـهُ أضحَى على الهَامِ حَـاكِماً غَدَا العَفْوُ مِنْهُ وَهْوَ في السَّيْفِ حَاكِمُ

٢٧ أَخَـذْتَ بأعضَـادِ العُرَيْب وقَـدْ خَوتْ عُـيُـونُ كَلِيـلاتٌ وذَلَّـتْ جَمَـاجِـمُ

٢٨ فأضْحَوا لـوِ اسْطَاعـوا لِفَـرْطِ مَحبَّـةٍ لقد عُلِّقتْ خـوفـاً عليـكَ التَّمـائـمُ

٢٩ ولـو علـم الشَّيْخَـانِ أدٌّ ويعـرُبٌ لَسُـرَّت إِذَنْ تِلْكَ العِظَامُ الـرَّمـائمُ

٣٠ تَـلاقَى بكَ الحَيَّـانِ في كـلِّ مَحْفـلٍ جَلِيـلٍ وعَـاشَتْ في ذَراكَ العَمَـاعِمُ

٣١ فما بالُ وَجْـهِ الشعـرِ أغْبَـرَ قـاتمـاً وأنفِ العُلى من عطلـةِ الشّعـرِ راغـمُ

٣٢ تَـدَاركْـهُ إنَّ المَكـرُمَـاتِ أصـابـعٌ وإنَّ حُلَى الأشعـار فـيهـا خَـوَاتِـمُ

٣٣ إذا أنتَ لمْ تحفـظْهُ لَمْ يَـكُ بـدْعَـةً ولا عَـجبـاً أن ضَـيَّعَـتْـهُ الأعَـاجمُ

٣٤ فقَـدْ هَـزَّ عِـطفَيْـهِ القَـريضُ تَـوقُّعـاً لِعَـدْلِكَ مُـذْ صَـارَتْ إليـكَ المَظَالِمُ

٣٥ ولَـوْلا خِـلالٌ سَنَّهـا الشِّعْـرُ مـا دَرَى بُغَـاةُ النَّـدَى مِنْ أينَ تُؤْتَى المَكَـارمُ

= هذا الوجه يحسن إلحاقُ التأنيث في « ثَنَتْ » أي أنّ القنا تعصم.

فأمّا مَن يجعل « المَعَاصم » ها هنا خاصةً للنساء فليس قوله بشيء، لأنّ استعمالَ المِعْصم للرجل كثيرٌ، كقول عنترة ★يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِه والمِعْصَم★ ويجوز أن تُجعَل « القنا » للمعاصم كاليد والبنان المتصل بالزَّنْد، حتى يصل إلى المِعْصَم، وهو موضع السِّوار. وقال المرزوقيّ: أي هم بنو كلِّ رجلٍ عريض الذراع شديدها إذا رَدّت الرماح أذرع الأبطال، وهي كمعاصم النساء في لينها وضعفها وقلة غنائها.

(٢٧) [العريب: تصغير العرب. يقول إنّك نصرت العرب بعد هزيمتهم].

(٢٩) « أدّ » يعني به أَدَّ الذي يذكره النَّسابون في قولهم معدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدد. و « يَعْرُبُ » ابن قحطان. فأمّا أُدّ بن أُدَد فالعرب التي تنتمي إلى اسماعيل بن إبراهيم ترجع كلُّها إليه؛ وأما يَعرُب بن قحطان، فإليه ترجع اليمن. وليس بحسَنٍ أن يُجعل « أدّ » في هذا البيت أبا تميم بن مُرّ بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر، لأن أُدّ بن طابخة لم يكن أباً لكل العرب، ولأنّ القول الأوّل أعمُّ في المَدْح. و « الرَّمائم » البالية.

(٣٠) « العَمَاعِم »: الجماعات، واحدها عَمٌّ.

(٣٢) ويروى: « وإنّ حُلِيَّ الشِّعْرِ ».

(٣٥) [الخلال: جمع الخلّة، وهي الصفة الحسنة. الندى: العطاء].

وقال يمدح مالِك بن طوْق التغلبيّ [من البسيط] :

١ سلِّمْ على الرَّبْعِ مِنْ سلْمَى بذِي سَلَمِ ... عليْهِ وَسْمٌ مِنَ الأَيَّامِ والقِدَمِ

٢ ما دَامَ عَيْشٌ لبِسْنَاهُ بسَاكِنِه ... لَدْناً ولوْ أنَّ عَيشاً دَامَ لَمْ يَدُمِ

٣ يا مَنْزِلاً أَعْنَقَتْ فيهِ الجَنُوبُ على ... رَسْمٍ مُحِيلٍ وشِعْبٍ غير مُلْتَئِمِ

٤ هرمْتَ بَعْدِيَ والرَّبْعُ الذي أفَلَتْ ... مِنهُ بُدُورُك مَعْذُورٌ على الهَرَمِ

٥ عَهْدِي بمَغْنَاكَ حُسَّانَ المعَالِمِ مِنْ ... حُسَّانَةِ الوَرْدِ والبَرْدِيِّ والعَنَمِ

---

(١) « ذو سَلَم » موضع بعينه، مَعْرِفة، قال الشاعر :

عَمَرْتُكِ اللهَ إلاّ ما ذكرتِ لنا ... هل كنتِ جارتَنا أيَّامَ ذي سَلَمِ ؟

ويمكن أن يجعل « ذا سَلَم » في بيت الطائيّ نكرةً، أي بموضع ذي سَلَم، أي فيه الشجر الذي يقال له السَّلَم. « ووَسْمٌ » غيرُ معجمةٍ، أي علامة من الأيّام والقِدَم، وذلك أنه إذا نُظر إليه عُلِم انه قد أتت السُّنون والأحقاب. وقد رُوِي « وَشْم » بالشين، ولا يمتنع ذلك لأنهم قد وصفوا الديار وآثارها فشبَّهوا بالوشُوم.

(٤) يقول: تَغيَّرتَ في قُرْب مُدّةٍ، حتى كأنّك فُورقتَ مُذْ دهرٍ طويلٍ، فهزمتَ في الخراب، والربعُ معذورٌ إذا فارقَه مَنْ لا يَعتاض منه.

(٥) « حُسَّان » مثل حَسَن، إلاّ أنه أشدُّ مبالغةً منه، والأنثى حُسَّانة، وقوله: « من حُسَّانةِ الوَرْد »: أي خدُّها كالورد، « والبَرْدِيّ » أي عِظَامها كالبَرْدِيّ، قال العَجّاج:

★كأنَّما عِظامُها البَرْدِيُّ★

و« العَنَم » بَنانُها الذي قد خُضِب، فصار يُشبه العَنَم. ويحتمل حُسَّانَةُ الوَرْد أن تكون معرفةً ونكرة، فإذا كانت معرفةً فالإضافة على غير انفصال، وإذا كانت نكرة فالاضافة منفصلة في التقدير، كأنّه قال من حُسَّانٍ وَرْدُها وبَرْدِيُّها وعَنَمُها، فهي في الوجه الأول مُضافة إلى ما هي مُشبَّهةٌ به، وليس لها ولا في خلقتها، وهي في الوجه الثاني مُضافة إلى ما هو بعضُها إلاّ أنها إضافة غير مَحْضَةٍ، كما تقول مَررتُ بامرأةٍ حَسَنَةِ الوجه واليد والساق، والمعنى بامرأةٍ حَسَنٍ وَجْهُها ويَدُها وساقُها، وهذه الأشياء من جسدها.

٦ بَيْضَاءُ كان لَها مِنْ غيْرِنا حَرَمٌ ... فلَمْ نَكُن نسْتحِلُّ الصَّيدَ في الْحَرَمِ

٧ كانتْ لنا صَنماً نَحْنو عليهِ، ولمْ ... نَسْجُدْ كَما سَجدَ إلافشينُ لِلصَّنَمِ

٨ زار الْخَيالُ لَها لا بَلْ أزارَكَه ... فِكْرٌ إذا نَامَ فِكرُ الْخَلق لَمْ يَنِمِ

٩ ظَبْيٌ تَقَنَّصْتُهُ لمَّا نَصَبْتُ لَهُ ... في آخِرِ اللَّيْلِ أشراكًا مِنَ الْحُلُمِ

١٠ ثُمَّ اغتَدَى وبنا مِنْ ذكْرِهِ سَقَمٌ ... بَاقٍ، وإن كانَ مشغُولًا عن السَّقَمِ

١١ اليومَ يُسْليك عَنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وعَنْ ... بِلَى الرُّسُومِ بَلاءُ الأَيْنُق الرُّسُمِ

١٢ مِنَ القِلاصِ اللَّواتي في حَقائبِها ... بضَاعَةٌ غيرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الكَلِمِ

١٣ إذَا بلَغنَ أَبا كلثُومٍ اتَّصَلتْ ... تلك المُنى وأَخَذْنَ الحَاجَ مِنْ أَمَمِ

١٤ بَنى بهِ اللهُ في بَدْوٍ وفي حَضَرٍ ... لِوائلٍ سُورَ عِزٍّ غيرَ مُنْهَدِمِ

١٥ رَأَتْهُ في المَهْدِ عَتَّابٌ، فقَالَ لها ... ذَوُو الفِرَاسَةِ: هذا صَفْوَةُ الكَرَمِ

١٦ خُذُوا هَنيئاً مَريئاً يا بَني جُشَمٍ ... مِنْهُ أمانَيْنِ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ عَدَمِ

١٧ فجَاءَ وَالنَّسَبُ الوَضَّاحُ جاءَ بهِ ... كأَنَّهُ بُهْمَةٌ فِيهمْ مِنَ البُهَمِ

---

(٦) أي كان لها زوج فصارت كالظبية في الحَرَم لا يَحِلُّ صيدُها، لأنها متحرِّمةٌ لِسوانا، ولا نَستحِلُّها بمهرٍ ولا مِلْكٍ.

(١١) [الأينق: جمع الناقة. الرسم: التي تترك آثار أقدامها].

(١٢) أصل «الإزجاء» السَّوْق، يقال أزجيتُ الناقةَ إذا سُقْتَها، وفلان يُزْجِي مَطِيَّته ويُزَجِّيها، وكأنَّ ذلك يكون بعد كَلالها وإعيائها، ثم نقل ذلك إلى البضائع فقيل بِضَاعة مُزْجَاة، وهي مِن زَجَا المالُ إذا نَجَزَ وأمكن قبضُه، وجاء في التفسير لقوله تعالى «وجِئنا ببضاعةٍ مُزجاةٍ» أي مُعَجَّلة، وربما قال المُفَسِّرون ليست بالطائلة، وقال بعضهم المُزْجاة المزايفة من الدراهم، وجاء في بعض الحديث أنهم جاءوه بضِرْو وأدَم» «والضرو» البُطْم. و«الإزجاء» التعجيل، وقد يجوز أن يُقال جِئنا ببضاعة مُزجاةٍ أي مُعَجَّلة وهي مع ذلك جيّدة، لأنّ العَجَلة لا تمنع من الجودة، وقد يقول الإنسان جئتُ ببضاعة مُعَجَّلة، أي لم أتَنَوَّقْ في اختيارها وتهذيبها، فيدلُّ بذلك على أنها رديئة، لأن الناس يعتذرون في التقصير عن بلوغ المراضاة بالعَجَلة في الأمر، وإنما أراد الطائيّ أن بضاعته نهاية في الجودة.

(١٣) «أبو كُلثوم» كنية الممدوح، و«الكَلْثَمة» في اللغة: استدارة الوجه، يقال للأسد كُلْثُوم، وللفيل كُلْثوم أيضاً.

١٨ طِعانُ عَمْرو بن كُلْثوم ونَائِلُهُ حَذْوَ السُّيُور التي قُدَّتْ مِنَ الأَدَمِ
١٩ لَوْ كانَ يَمْلِكُ عَمْروٌ مِثلَهُ شَبَهاً مِنْ صُلْبه لَم يَجدْ لِلْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ
٢٠ بنانُه خُلُجٌ تجْرِي وغَيْرَتُه سِتْرٌ مِنَ اللهِ مَمْدُودٌ على الحُرَمِ
٢١ نَالَ الجَزيرَةَ إمحالٌ فقلتُ لَهُمْ شِيمُوا نَدَاهُ إذا ما البَرْقُ لم يُشَمِ
٢٢ فمَا الرَّبيعُ على أُنْسِ البلادِ بهِ أَشَدَّ خُضرَةَ عُودٍ مِنهُ في القُحَمِ
٢٣ ولا أرَى ديمةً أمحَى لمَسْغبةٍ مِنْهُ على أَنَّ ذِكْراً طار لِلدِّيَمِ
٢٤ لِتغلِبٍ سُؤْدَدٌ طابَتْ مَنَابتُه في مُنْتَهى قُلَلٍ مِنْها وفي قِمَمِ
٢٥ مَجْدٌ رَعَى تَلَعاتِ الدَّهْرِ وهْوَ فَتًى حتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الهَرِمِ
٢٦ بَنَاهُ جُودٌ وبَأْسٌ صَادِقٌ ومَتَى تُبْنَ العُلَى بِسِوَى هَذَيْن تَنْهَدِمِ
٢٧ وَقْفٌ على آلِ سَعْدٍ إنَّ أَيْدِيَهُمْ سَمٌّ لِمُسْتَكْبِرٍ شُهْدٌ لِمُؤْتَدِمِ
٢٨ لا جَارُهُمْ لِلرَّزَايَا في جِوَارِهِمِ ولا عُهُودُهُمُ مَذمُومَةَ الذِّمَمِ
٢٩ أصفَوْا مُلُوكَ بَني العبَّاس كلَّهُمُ ذَخِيرةً ذَخَرُوها عَنْ بَنِي الحَكَمِ
٣٠ مَهْلًا بَني مالكٍ لا تَجْلُبُنَّ إلى حَيِّ الأراقِمِ دُؤْلُولَ ابنةِ الرَّقِمِ
٣١ فأيّ حِقْدٍ أَثرْتُمْ مِنْ مَكَامِنِه وأيَّ عَوْصَاءَ جَشَّمْتُمْ بَنِي جُشَمِ
٣٢ لَمْ يَأْلُكُمْ مالِكٌ صَفْحاً ومَغْفِرَةً لَوْ كانَ يَنفُخُ قَيْنُ الحيِّ في فَحَمِ

(٢٢) «في القُحَم»: أي في السنين الشدائد.

(٢٨) [الرزايا: المصائب].

(٣٠) «الرّقِم» من أسماء الداهية، يخاطب بني عمّهم المالكين.

(٣٢) قوله يأْلُكُمْ: أي لم يُقصّر عنكم، وقوله «لو كان يَنفخ قَيْنُ الحيِّ في فَحَم» مَثَل، من قولهم هو ينفخ في فَحَم، إذا كان يعمل أمراً مُنْجَزاً، لأنّ الفَحَم إذا نُفخ فيه أُوقِد، ويقال في ضِدّ ذلك لم يَنفُخْ في فحم، أي لم يطلب الأمر من وجهه، ولا من حَيث يتَيسَّر، قال الأغلب العِجْلِّي:

جاؤا بِزَوْرَيهمْ وجِئْنا بالأَصَمّ
شَيْخٍ لنا مُعَاودٍ ضَرْبَ البُهَمْ
وقاتلوا لو ينفُخُون في فَحَمْ

أي لم ينفعهم القِتالُ ولم يُغْنِ عنهم.

٣٣	لا بـالمُعَـاوِدِ وَلْغـاً فـي دِمَـائكُـمُ	ولا إلى لَحْـمِ خَلْـقٍ مِنْكُـمُ قَـرِمِ
٣٤	أخْـرَجْتُمُـوهُ بِكُـرْهٍ مِـنْ شَجِيَّتِـه	والنَّارُ قد تُنْتَضَى مِنْ نَـاضِـرِ السَّلَـمِ
٣٥	أوطأْتُمُوهُ على جَمْـر العُقُـوق ولَـوْ	لَمْ يُحْرَجِ اللَّيْثُ لَم يَبْرَحْ مِنَ الأَجَـمِ
٣٦	قُـذِعْتُـمُ فمَشَيتُـمْ مِشْيَـةً أممـاً	كذَاكَ يَحْسُنُ مَشْيُ الخَيْل في اللُّجُـمِ
٣٧	إذْ لا مُعَـوَّلَ إلّا كـلُّ مُعْتَـدِلٍ	أصَمَّ يُبْـرِىءُ أقْـوَامـاً مِـن الصَّمَـمِ
٣٨	مِـنَ الرُّدَيْنِيَّـة اللاَّتـي إذا عَسَلَـتْ	تُشِـمُّ بَـوَّ صَغَـار الأَنْـفِ ذَا الشَّمَـمِ
٣٩	إنْ أجرَمَتْ لَمْ تَنصَّلْ مِنْ جَـرائمِهـا	وإنْ أساءَتْ إلى الأقـوامِ لَـمْ تُلَـمِ
٤٠	كانَ الزَّمانُ بِكُـمْ كَلْبـاً فغَـادَرَكُـمْ	بالسَّيْفِ والدَّهْرُ فيكُمْ أَشْهُرُ الحُـرُمِ
٤١	أمِنْ عَمًى نَزَلَ النَّـاسُ الرُّبَـا فنَجَـوْا	وأنتُمْ نَصْبُ سَيْلِ الفِتْنَـةِ العَـرِمِ؟!
٤٢	أم ذَاكَ مِنْ هِمَمٍ جَاشَتْ، فكَمْ ضَعَةٍ	أدَّى إليهَا عُلُوُّ القَـوْمِ فـي الهِمَـمِ!
٤٣	تَنبُـونَ عَنْـهُ وتُعْطُـونَ القِيَـادَ إذَا	كَلْبٌ عَوَىوَسْطَكُمْ مِنْأكْلُبِ العَجَمِ!!

(٣٦) [قذعتم: كففتم].

(٣٨) [ص] « البَوُّ » جِلْد الحُوَار يُحْشَى ثُماماً، وتُعْطَف الناقةُ عليه لِترأمَه وتَدُرَّ عليه. يقول: فمن كان ذا شَمم ـ وهو ارتفاع أرنبة الأنف ـ فإنّ هذه الرّماح تُشِمُّه بَوَّ صَغَاره، أي تذلّه، والمراد « بـالشَّمَـم » الكِبْر.

(٤٠) كانت العرب في الجاهلية تُوقِّر الأشهر الحُرُم، ولا ترى فيها سفكَ الدّمِ ولا الحربَ، وهي أربعة أشهرٍ قد ذُكرت في القرآن، وكانوا يقولون الأشهرُ الحُرُم ثلاثةٌ سَرْدٌ، وواحدٌ فَرْد، يعنون بالواحد رَجَباً، وبالثلاثة ذا القعدة وذا الحِجّة والمُحرَّم. وكانت كَلْب بن وَبْرَة وقبائلُ من العرب لا تُحرِّم هذه الأشهر، فذلك قال الطائيّ: « كان الزمانُ بكمْ كَلْباً »: أي كنتم تستحلّون فيه ما تَستحِلُّه كَلْب مِن إحلال الأشهر الحُرُم، فغادركم هذا الممدوح والدهرُ كلُّه عندكم كهذه الشهور.

(٤١) يقول: الناسُ قد لاذوا من خوف هذا الرجل، فكأنهم حادوا عن طُرُقِ السَّيْل، ونزلوا بالرُّبَا التي يُؤمن فيها السُّيول، ووصفَ السَّيلَ بالعَرِمِ كأنّه يأخذُه من العَرَامة، وإنما « العَرِم » في الحقيقة شيءٌ يُبْنَى، لِيُدفع به السَّيْل، وقالوا هو شِبه المُسَنَّاة، قال الشاعر:

مِـنْ سَبَـأ الحـاضـريـنَ مَـأْرِبَ إذْ يَبْنُـونَ مِـنْ دُون سَيْلـهِ العَـرِمـا

ولو قيل إنه أراد ذِي العَرِمِ، ثُمّ حذفَ المضاف، لساغَ ذلك، لأنّ حَذْفَ المضافِ في بعض المواضع أحسن منه في بعض.

٤٤ قَـدِ انثَنـى بـالمنَـايَـا فـي أَسِنَّتِـهِ — وقَدْ أقَـامَ حَيَـارَاكُـمْ على اللَّقَـمِ !
٤٥ جَذْلانَ مِنْ ظَفَرٍ حَـرَّانَ إنْ رَجَعَـتْ — مَخْضُـوبَـةً مِنكُـمُ أظفَـارُهُ بِـدَمِ
٤٦ ديـنٌ يُكَفْكِـفُ مِنْـهُ كُـلَّ بَـائِقَـةٍ — ورَحْمَةٌ رَفْرَفَتْ مِنْـهُ على الرَّحِـمِ !
٤٧ لـولا مناشـدَةُ القُـربـى لغـادَرَكـم — حصائدَ المرهفَيْنِ : السّيـفِ والقلـمِ
٤٨ لأَصبَحَتْ كالأَثَافِي السُّفْعِ أوجُهُكُـم — سُوداً مِنَ العَارِ لا سُوداً مِـنَ الْحُمَـمِ
٤٩ لا تَجْعَلُوا البَغْـيَ ظَهْـراً إنَّـهُ جَمَـلٌ — مِـنَ القطِيعَـةِ يَـرْعَـى وَادِيَ النِّقَـمِ
٥٠ نَظَرْتُ في السِّيَرِ الأُولى خَلَتْ فـإذا — أَيَّـامُـهُ أكَلَـتْ بـاكُـورَةَ الأُمَــمِ
٥١ أفنَى جَدِيسـاً وَطَسْمـاً كُلَّهـا وسَطَـا — بأَنْجُم الدَّهْـرِ مِـنْ عـادٍ ومِـنْ إرَمِ
٥٢ أَرْدَى كُلَيْبـاً وهَمَّـامـاً وهَـاجَ بـهِ — يَـوْمُ الذَّنَـائِــبِ والتَّحْلاَقِ لِلِّمَــمِ

---

(٤٤) « الحَيَارَى » جمع حَيْران مثل غَيْران وغَيارَى، ومن قال غُيَارَى فَضَمّ، جاز أن يقول حُيارَى بضم الحاء . « واللَّقَم » : الطريق الواضح.

(٤٥) يقول : يُسَرُّ بالظفر إلاَّ أنه يَسُوءُه أن يُقتَل أحدٌ منكم ، لأنكم أهله .

(٤٨) [الأثافي : أحجار القِدْر الثلاثة . السُّفع : السود] .

(٤٩) و(٥٠) و(٥١) « لا تجعلوا البغيَ ظَهْراً » أي لا تحملوا أموركم عليه، كما تحمل على ظهر الجمل، « الباكورة » أوّلُ ما يجيء من الثمرة، تقول: أكلنا باكورة الرُّطب، فأراد الطائيّ أنه نظر في أخبار الناس، فوجد أيّام البَغْي أهلَكَتْ أوائلَ الأُمم، كَطَسْمٍ وجَدِيسَ وغيرهم.

(٥٢) « كُلَيب » : ابن ربيعة بن الحارث بنُ زُهَير بن جُشَم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل. و« يوم الذنائب » يوم كانت فيه وَقْعة بين تغلب وبكرٍ، والذي هاجَ ذلك قَتْلُ كُلَيب. و« الذنائب » ثنايا، بينهما وبين مَكَّة سَبْعُ ليالٍ ، يقال لإحداهن ذاتُ فِرْقَيْن، وإنما قيل لها ذلك لأنها كسَنام الفالِج، قال مُهَلْهِل:

ولــو كُشِـفَ المقـابــرُ عــن كلَيْــبٍ — لَخُبِّــرَ بــالــذنــائــبِ أيُّ زِيـــرِ

و« يومُ تَحلاق اللِّمَم » اليومُ الذي طَعَن فيه الفِنْدُ الزِّمَّانيُّ رجلين فشَكَّهما، كان أحدهما رِدْفاً للآخر، ومَن روى « يومَ الذَّوائب » فله وجه، وهو أن يعني « بالذوائب » يوم حَزّ الذوائب، فيكون في الكلام تكرير، لاختلاف اللفظ، ويجوز أن يعني « بيوم الذوائب » اليومَ الذي أُعفيت فيه الشُّعُورُ من الحلْق.

٥٣ سَقَى شُرَحْبيلَ مِنْ سَمّ الذُّعَافِ على ... أيديكُمُ غَيْرَ رِعْدِيدٍ ولا بَرِمِ
٥٤ بَزَّ التَّحِيَّةَ مِنْ لَخْمٍ فَلا مَلِكٌ ... مُتَوَّجٌ في عَمَاماتٍ ولا عمَمِ
٥٥ يا عَثْرَةً ما وُقِيتُمْ شَرَّ مَصْرَعِها ... وَذَلَّةُ الرَّأْيِ تُنْسِي ذَلَّةَ القَدَمِ
٥٦ حِينَ استَوى المُلْكُ واهْتَزَّتْ مضَارِبُه ... في دَوْلَةِ الأُسْدِ لا في دَوْلَةِ الخَدَمِ
٥٧ أَبناءَ دَلْفاءَ مَهْلاً إنَّ أُمَّكُمُ ... دَافَتْ لكُمْ عَلْقَمَ الأَخْلاقِ والشِّيَمِ
٥٨ طائيَّةٌ لا أَبُوها كانَ مُهْتَضماً ... ولا مَضَى بَعْلُها لَحْماً على وَضَمِ
٥٩ لا تُوقِظُوا الشَّرَّ مِنْ قَوْمٍ فَقَدْ غَنِيَتْ ... ديارُكُمْ وَهْيَ تُدْعَى مَوْطِنَ النِّعَمِ
٦٠ هذا ابنُ خالِكُمُ يُهْدِي نَصِيحَتَهُ ... مَنْ يُتَّهمْ فَهْوَ فيكُمْ غيرُ مُتَّهَمِ!

---

(٥٣) (ع): «سَقَى شَرحبيلاً السَّمُّ الذُّعافَ» و«شُرَحْبِيل» من بني مُرَّة بن ذُهل بن شيبان، قتلته بنو تغلب في حرب البَسُوس وهو غلام مراهق، فذكره الطائيُّ للممدوح، كالذي يجعل قَتْلَه من مفاخر بني تغلب. و«شُرَحبيل»: اسم أعجميّ، وهو غير مصروف، قال الكِنْدِيّ:

وشُرحبيلُ إذْ تَعاوَرَه الرُّمْحُ ... مِنْ بَعْدِ لَذَّةٍ وَشَبابِ

وإنما صَرَفَه الطائيّ للضرورة.

(٥٤) (العَبْدِيّ): قيل «عَمامات» جماعات، والمعروف في أسماء الجماعات عماعِم، وأنشد يعقوبُ في ذلك ★سالَتْ بِنا مِنْ حِمْيَرَ العَماعِمُ★ وقول هذا القائل «العَماماتُ» الجماعات لا أعرفه، فإن كان أبو تمام سَمِعَه فهو صحيح، وإلاّ فلَعلّه تحريف وقعَ في شعره، ولو رُوِي «زُرَافاتٍ» لكان وجهاً، ولكنْ نَتْبعُ الرواية.

(ع): «مِنْ نُمَارَاتٍ ولا عَمَمٍ»، «لَخْم» القبيلةِ التي منها آلُ المنذر، واللخم أصلُه الكثيرُ لحم الوَجْه، وهذا كلُّه إخبار عن البَغْي، ولو كان في ذِكْرِ الدهرِ لكانَ أبلغَ، لأن الدَّهر يُهلِك الباغيَ وغيرَه». ونُمَارَه «وعَمَ» مِنْ لَخم، وجَمَع نُمارةَ لأنه جعلَ كلَّ بطنٍ منها جارياً مجراها.

(٥٧) «دَلْفاء» بالدّال يَدلُّ عليه قولُه دَافَتْ. هؤلاء الذين نسبهم إلى البغي زَعَم أنهم من ولد امرأةٍ من طيّ يُقال لها دَلْفاء، وتَنَصّح إليهم بأنه ابنُ خالهم، وإنما يعني الخُئولَة القديمة كما يقول الرجل من العرب من بني هَاجَر للرجل من القِبْط أنت خالي، يعني ما قَدُمَ من العَهْد. وقوله «دَافت لكم»: من دُفْتُ الدواءَ، أي كأنكم ورثتم ما فيكم في الشراسة عن تلك الأم.

وقال أيضاً حين عُزِل عن الجزيرة [من الكامل] :

١ أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وأُخْرَى تُثجَمُ منها الّتي رُزِقَتْ وأخرى تُحْرَمُ
٢ فإذا تَأمَّلتَ البلادَ رَأَيْتَها تُثْرِي كما تُثري الرجَالُ وتُعْدِمُ
٣ حَظٌّ تَعَاوَرَهُ البقاعُ لِوَقْتِهِ وَادٍ بِهِ صِفْرٌ وَوَادٍ مُفعَمُ!
٤ لَوْلَاهُ لم تَكُنِ النُّبُوَّةُ تَرْتَقي شَرَفَ الْحِجَازِ ولا الرِّسالة تُتْهِمُ
٥ ولِذَاكَ أعرقَتِ الْخِلافَةُ بَعْدَما عَمِرتْ عُصوراً وهْيَ عِلْقٌ مُشْئِمُ
٦ وبِهِ رأَيْنَا كَعْبَةَ اللهِ التي هيَ كوكَبُ الدُّنيا تُحِلُّ وتُحْرِمُ
٧ تلكَ الجَزِيرَةُ مُذْ تَحَمَّلَ مالِكٌ أمسَتْ وبَابُ الغَيْثِ عنها مُبْهَمُ
٨ وعَلَتْ قُرَاها غَبْرَةٌ ولقَدْ تُرَى في ظِلِّهِ وكأنَّما هِيَ أنجُمُ
٩ غَنِيَتْ زَمَاناً جَنَّةً فكأنَّما فُتِحَتْ إليْهَا مُنْذُ سَارَ جَهَنَّمُ
١٠ الجَوُّ أكلَفُ والجَنَابُ لِفَقْدِهِ مَحْلٌ وَذَاكَ الشِّقُّ شِقٌّ مُظْلِمُ

---

(١) « مُصرَّدة » أي يُقطع شِرْبُها ويُقلّل، و« تُثجم » أي يَدُوم عليها المطرُ، وبعض الناس ينشد « تُثْجِمُ » بكسر الجيم، أي يُثجم فيها المطَرُ، والفتح أشبه بصناعة الشعر، إلاّ أنّ المستعمل أَثْجَمَ المطرُ.

(٢) جعل البلادَ تَستغني كما يَستغني الناسُ، وتُعدِم كما يُعدمون، [ص] كأنّه يريد أنّ هذا المعزول تُدَال به المواضعُ، فيَصير به العدلُ حيثُ وَلِيَ.

(٥) يقول: لأجل الحظ الذي تُرزقه الأماكنُ، كانت النبوّةُ بتهامَة والحجاز، ولما قَدّره الله من ذلك، حَلَّ بنو أميّةَ بالشام أيّام دولتهم ومُلكهم، وحلَّ بنو العباس بالعراق، يُقال أعرَقَ الرجلُ إذا أتى العراق، وأشأمَ إذا أتى الشام، وأتبعَ ذلك بقوله: (البيت التالي).

(٦) الهاء في « به » راجعة على المحظ. و« تُحِلُّ وتُحْرِم » يحتمل وجهين: أحدهما أن تريد أنها تجعل الناسَ مُحْرِمين، فكأنها تُحرمهم، أي تجعلهم مُحرمين، ويُحِلُّون من الإحرام، فكأنّها تُحلّهم. والآخر أن يكون قوله « تُحِلُّ وتُحرِمُ »: أنها تُكسى الثِّيابَ، فتكون كالمُحِلِّ الذي يلبس المخيطَ، وتُحْرِم، أي ربما نُزع عنها اللباسُ فصارت كأنّها مُحْرِمة. والوجه الأولّ أجودُ، ولم يُرِدْ سواه.

(١٠) أراد بـ « الشّق » الجانب.

١١ أقوَتْ فلمْ أذكُرْ بها لمَّا خلَتْ ... إلَّا مِنًى لَمَّا تقَضَّى الْمَوْسِمُ

١٢ ولَقَدْ أَرَاها وَهْيَ عِرسٌ كاعِبٌ ... فاليَوْمَ أضحَتْ وهْيَ ثَكلى أَيِّمُ

١٣ إِذْ في دِيَارِ رَبيعَةَ المطَرُ الحَيَا ... وعلى نَصيبينَ الطَّريقُ الأَعْظَمُ

١٤ ذلَّ الحِمَى مُذْ أُوطِئتْ تلْكَ الرُّبَا ... والغَابُ مُذْ أخلاَهُ ذَاكَ الضَّيْغَمُ

١٥ إنَّ القِبَابَ المُسْتَقِلَّةَ بَيْنَها ... مَلكٌ يَطِيبُ بهِ الزَّمان ويكرُمُ

١٦ لا تَألَفُ الفَحْشَاءُ بُرْدَيْهِ ولا ... يَسْري إليْهِ معَ الظَّلَامِ المَأْثَمُ

١٧ مُتَبَذِّلٌ في القومِ وهْوَ مُبَجَّلٌ ... مُتَواضِعٌ في الحَيِّ وهْوَ مُعَظَّمُ

١٨ يَعْلو فيُعْلَمُ أنَّ ذَلِكَ حَقُّهُ ... ويُذيلُ فيهمْ نَفْسَه فيُكَرَّمُ

١٩ مَهْلًا بَني عَمْرِو بن غَنم إنكم ... هَدَفُ الأسِنَّةِ والقنَا يَتحَطَّمُ

٢٠ المَجْدُ أعنَقُ والدِّيَارُ فسيحَةٌ ... والعِزُّ أقعَسُ والعَديدُ عَرَمْرَمُ

٢١ ما مِنْكُمُ إلَّا مُرَدًّى بالحِجَا ... أو مُبْشَرٌ بالأحوَذِيَّةِ مُؤْدَمُ

---

(١٢) [العرس: العروس. الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها. الأيم. المترمّلة].

(١٤) [الضيغم: الأسد].

(١٩) استعار «الهدف» للأسنّة، وإنما يُعرف في السِّهام، وذلك شائع، والمستعار في شِعْره على وجوه كثيرة فيها ما يُعرف ويَبعُد، وهذا مِن أقربها مُتناولاً.

(٢٠) «أعْنَق»: أي طويل، استعاره مِن قولهم رجلٌ أعنَق. و«العِزُّ أقعس» أي ثابتٌ مُتَمكّن، وأصل القَعَس دُخولُ الظهرِ وخُروج الصدر، وإنما يَتقاعسُ الرجلُ إذا أراد أن يَتشدَّد ويجتذِبَ قوةً لنفسه، فكثُرَ ذلك حتى قالوا عِزٌّ أقعس، أي شديد، قال الشاعر:

وما نَفَى عنكَ قَوْمَاً أنتَ خائِفُهمْ ... يوماً كَوقْمِك جُهَّالاً بِجُهَّالِ

فاحدَبْ إذا قَعِسُوا واقْعَسْ إذا حَدِبُوا ... ووَازِنِ الشرّ مثقالاً بِمِثقالِ

وقال آخر:

فإنْ حَدِبُوا فاقْعَسْ وإنْ هُمْ تقاعسُوا ... ليستخرجوا ما خلفَ ظَهْرِكَ فاحدَبِ

ويُقال تَقاعسَ الرجلُ إذا تَباطأ عن الأمرِ، وإن لم يكن ثَمَّ قَعَسٌ في الخِلْقة، فكأنهم أرادوا بالعِزّ الأقعس: الثابتَ البَطِيءَ الزَّوَال.

(٢١) يقال إنه مُبْشَر «مُؤْدَم»: إذا وُصِفَ بالكمال، أي قد جمعَ بينَ البَشَرَةِ وصَلَابَةِ الأدَمَة، وأصلُ ذلك في الأديم، ثم استعير في الناس. و«البَشَرَة» باطنُ الجِلْد في القول الغالب، و«الأدَمَة» ظاهره، =

٢٢	عَمْرَو بن كُلْثُومِ بن مالـكٍ بـن عَتَّـ	ـابِ بـن سَعْـدٍ سَهْمُكُـمْ لا يُسْهَـمُ
٢٣	خُلِقَتْ رَبيعةُ مُذْ لَدُنْ خُلِقَـتْ يَـداً	جُشَـمُ بـنُ بَكْـرٍ كَفُّهـا والمِعْصَـمُ
٢٤	تَغْـزُو فتَغْلِـبُ تَغْلِـبٌ مِثْـلَ اسمهـا	وتَسِيـحُ غَنْـمٌ فـي البلاد فَتَغْنَـمُ
٢٥	وستَذكُـرونَ غَـداً صَنَـائِـعَ مـالِـكٍ	إنْ جَـلَّ خَطْـبٌ أَوْ تُـدُوفِـعَ مَغْـرَمُ
٢٦	فمَنِ النَّقِيُّ مِـنَ العُيُـوب وقَـدْ غـدَا	عَنْ دارِكُمْ ومَـن العَفِيـفُ المُسْلِـمُ؟
٢٧	مـا لـي رَأَيْـتُ تُـرابَكـمْ يَبَسـاً لَـهُ	مـا لِـي أَرَى أطـوادَكُـمْ تَتَهَـدَّمُ؟
٢٨	ما هَـذِهِ القُـرْبَـى التـي لا تُصْطَفَـى	ما هـذِهِ الرَّحِـمُ التـي لا تُـرْحَـمُ؟!
٢٩	حَسَـدُ القَـرَابَـةِ لِلقَـرَابـةِ قَـرْحَـةٌ	أعيَـتْ عَـوَانِـدُهـا وجُـرْحٌ أقْـدَمُ
٣٠	تِلْكُـمْ قُـرَيْشٌ لـم تكُـنْ آرَاؤُهَـا	تَهْفُـو ولا أحلامُهَـا تُتَقَسَّـمُ
٣١	حتَّـى إِذَا بُعِـثَ النَّبِـيُ مُحَمَّـدٌ	فِيهـمْ غَـدَتْ شَحْنَـاؤهُـمْ تَتَضَـرَّمُ
٣٢	عَزَبَـتْ عُقُـولُهـمُ ومـا مِـنْ مَعْشَـرٍ	إلّا وهُـمْ مِنْـهُ أَلَـبُّ وأَحـزَمُ!
٣٣	لمَّـا أقَـامَ الْوَحْـيُ بيـنَ ظُهُـورِهـمْ	ورأَوا رَسُـولَ اللهِ أَحْمَـدَ مِنْهُـمُ
٣٤	ومِنَ الحَـزَامَـةِ لَـوْ تَكُـونُ حَـزَامَـةٌ	أَلّا يُـؤَخَّـرَ مَـنْ بـهِ يُتَقَـدَّمُ
٣٥	إنْ تَذْهبُوا عَـن مـالِـكٍ أو تَجْهَلُـوا	نُعْمَـاهُ فـالـرَّحِـمُ القَـرِيبَـةُ تَعْلَـمُ
٣٦	هيَ تِلْكَ مُشْكَـاةٌ بِكُـمْ لَـوْ تَشْتَكِـي	مَظْلُـومَـةٌ لَـوْ أَنَّهـا تَتَظَلَّـمُ
٣٧	كـانَـتْ لكُـمْ أخلاقُـهُ مَعْسُـولَـةً	فتَـرَكتُمُـوهـا وهْـيَ مِلْـحٌ عَلقَـمُ

= وقال قوم «البَشَرَة» لما ظَهَرَ، وهذان القولان مُتقاربان، لأنه يجوز أن يُستعار أحدُ الاسمين للآخر من أجل المُقاربة.

(٢٢) هو مِن قولك ساهمتُه فَسَهمْتُه، أي ظَفِرتُ به، وكان سهمي أفضَلَ من سَهْمه.

(٢٩) «عَوانِدُ»: جمع عانِد، من قولهم عَنَدَ العِرْقُ إذا سالَ ولم يَرْقَأ.

(٣٢) قال المرزوقي: «إلا وهم منهم» فمن روى هذا فإن الضمير هنا عائد على قريش، والمعنى عزبت عقولهم حسداً والحال أنهم أحزم المعاشر وألب الأقوام، أو العكس أراد فليس معشر إلا وهم من قريش أعقل وأحزم، عندما كان منهم من سوء الاختيار في معاداة النبي ﷺ.

(٣٤) [الحزامة: الحزم].

٣٨ حَتَّى إذا أجنَتْ لكُمْ دَاوَتْكُمُ ... مِنْ دَائِكُمْ إنَّ الثِّقَافَ يُقَوِّمُ
٣٩ فَقَسا لِتَزْدَجِرُوا ومَنْ يَكُ حَازِماً ... فَلْيَقْسُ أحياناً وحيناً يَرْحَمُ
٤ واخافَكُمْ كي تُغْمِدُوا أسيافَكُمْ ... إنَّ الدَّمَ المُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ
٤١ ولقدْ جَهدْتُمْ أن تُزيلُوا عِزَّهُ ... فإذا أَبانٌ قَدْ رَسَا ويَلَمْلَمُ
٤٢ وَطَعَنْتُمُ في مَجْدِهِ فَثَنَتْكُمُ ... زُعْفٌ يُفَلُّ بها السِّنَانُ اللَّهْذَمُ
٤٣ أعزِزْ عليهِ إذا ابتَأَسْتُمْ بَعْدَهُ ... وتُذُكِّرَتْ بالأمْسِ تِلْكَ الأنْعُمُ
٤٤ ووَجدْتُمُ قَيْظَ الأذَى ورَمَيْتُمُ ... بعُيُونكُمْ أينَ الرَّبيعُ المُرْهِمُ
٤٥ ونَدِمْتُمُ ولوِ استَطاعَ على جَوَى ... أحشَائكُمْ لَوَقَاكُمُ أَنْ تَندَمُوا
٤٦ ولَو انَّها مِنْ هَضْبَةٍ تَدْنُو لَهُ ... لَدَنا لَهَا أَوْ كانَ عِرْقٌ يُحْسَمُ
٤٧ ما ذُغْذِغَتْ تلكَ السُّرُوبُ وأصبَحَتْ ... فرْقَيْن في قَرْنَيْن تلكَ الأسهُمُ
٤٨ ولقَدْ عَلِمْتُ لَدُنْ لَجَجْتُمْ أَنَّهُ ... ما بَعْدَ ذَاكَ العُرْسِ إلَّا المأتَمُ
٤٩ عِلْماً طَلَبْتُ رُسُومَهُ فوَجَدْتُها ... في الظَّنِّ، إنَّ الألْمَعِيَّ مُنَجِّمُ
٥٠ ما زلْتُ أعرِفُ وَبْلَهُ مِن عارِضٍ ... لمَّا رَأَيْتُ سَمَاءَهُ تتغَيَّمُ

٥١ يا مَالِ قَدْ عَلِمتْ نِزَارُ كُلُّها ... ما كانَ مِثْلَكَ في الأراقِمِ أَرْقَمُ
٥٢ طَالَتْ يَدِي لَمَّا رَأيتُكَ سالِماً ... وانحَتَّ عَنْ خَدَّيَّ ذَاكَ العِظْلِمُ
٥٣ وشَمِمْتُ تُرْبَ الرَّحْبَةِ العَبِقَ الثَّرَى ... وسَقَى صَدَايَ البَحْرُ فيهَا الْخِضْرِمُ
٥٤ كَمْ حَلَّ في أكنَافِها مِنْ مُعْدِمٍ ... أمسى به يَأْوِي إليهِ المُعْدِمُ

---

(٣٨) «أجَنَتْ»: تَغيّرت، مِن قولهم أجَنَ الماءُ إذا تَغَيّر.

(٤٠) [ص] يقول: قد يجهل الإنسانُ مقدار حياتِهِ، فيحرُسُه ذو رحمه، مِن قولهم تَحرّكَ الدَّمُ، أي حَنَّ القريب.

(٤١) [«أبان» و«يلملم»: جبلان].

(٤٢) [ص] أي كنتم بطعنكم في مجده كطاعنٍ بالرُّمح في دُرُوعٍ تَفُلُّ سِنانَه.

(٤٧) [السروب: جمع السرب، وهو الإبل. القرن: الجعبة. ذغذغت: فرقت].

(٥٢) يقال لما يَبِسَ على الشيء مما إذا حُكَّ ذَهبَ: حَتَّه يَحُتُّه حَتًّا أذهبَه، و«العِظْلم» صِبْغٌ أحمر =

٥٥ وصَنِيعَةٍ لكَ قَدْ كَتَمْتَ جَزيلَها فأبَى تَضَوُّعُها الَّذي لا يُكْتَمُ
٥٦ مَجْدٌ تَلُوحُ فُضُولُهُ وفَضِيلَةٌ لكَ سافِرٌ والحقُّ لا يَتَلَثَّمُ
٥٧ تَتَكَلَّفُ الجُلَّى ومَنْ أضحَى له بَيْتَاكَ في جُشَمٍ فَلا يَتَجَشَّمُ
٥٨ وتَشَرَّفُ العُلْيا وهَلْ بكَ مَذْهَبٌ عنها وأنتَ على المكارم قَيِّمُ ؟!
٥٩ أثنيتُ إذْ كانَ الثَّناءُ حِبالَةً شَرَكاً يُصَادُ به الكريمُ المُنْعِمُ
٦٠ ووَفيتُ إنَّ مِنَ الوفَاء تجارةً وشَكَرْتُ إنَّ الشُّكْرَ حَرْثٌ مُطْعِمُ

139

وقال يمدح الواثقَ ، ويهنئه بالخِلاَفَة، ويرثي المعتصم باللّه [من الكامل] :

١ ما لِلدُّمُوع تَرُومُ كلَّ مَرامِ والجفْنُ ثَاكِلُ هَجْعَةٍ ومَنامِ !
٢ يا حُفْرَةَ المَعْصُومِ تُرْبُكِ مُودَعٌ ماءَ الحَياةِ وقاتِلُ الإعدَامِ
٣ إنَّ الصَّفائح مِنكِ قد نُضِدَتْ على مُلْقَى عِظَامٍ لَوْ عَلِمْتِ عِظَامِ !
٤ فَتَقَ المَدَامِعَ أنَّ لَحْدَكِ حَلَّهُ سَكَنُ الزَّمانِ ومُمْسِكُ الأيَّامِ
٥ ومُصَرِّفُ المُلْكِ الجَمُوحِ كأنَّهُ قَدْ زُمَّ مُصْعَبُهُ لَهُ بزِمَامِ
٦ هَدَمَتْ صُرُوفُ المَوْتِ أرفَعَ حائطٍ ضُرِبَتْ دَعائِمُه على الإسلامِ
٧ دخَلَتْ على مَلِكِ المُلُوك رِواقَهُ وتَشَزَّنَتْ لِمُقَوِّمِ القُوَّامِ
٨ مِفْتاحُ كُلِّ مَدِينَةٍ قَدْ أُبْهِمَتْ غَلَقاً ومُخْلي كُلِّ دارِ مُقَامِ

= يَضْرِبُ إلى السَّواد ، ولذلك قالوا لَيْلٌ عِظْلِمٌ، أي مُتراكِمٌ شديدُ الظلمة .

(٥٧) [الجلَّى : الأمر العظيم: بيتاك: بيت أبيك وبيت أمك] .

(٥٨) [قيِّم : وَصيّ] .

(٦٠) اصل « الحَرْث » : العملُ في الأرض للزراعة ، ثم سُمِّي الكَسْب حَرْثاً ، وكذلك الزرع .

(٥) [المُصعب : الفحل الشديد المراس] .

(٧) « تَشزَّنت » أي تهيّأتْ وتَغضّبت .

(٨) أي الموت لا يُغلَق عليه باب ، وهو مِفتاح كلّ بابٍ مُبْهم ، هكذا ذكرَ الصُّوليّ . والصواب أن يكون وصفاً للمعتصم ، والدليل عليه ما بعده .

٩ وَمُعَرِّفُ الْخُلَفَاءِ أَنَّ حُظُوظَهَا ... في حَيِّزِ الإِسْرَاجِ والإلْجَامِ

١٠ أَخَذَ الخِلافَةَ عَنْ أَسِنَّتِهِ التي ... مَنَعَتْ حِمَى الآبَاءِ والأعمَامِ

١١ فَلِسُورَةِ الأنفَالِ في مِيرَاثِهِ ... آثارُهَا ولِسُورَةِ الأنعَامِ

١٢ مَا دَامَ هارُونُ الخَليفَةَ فالهُدَى ... في غِبْطَةٍ مَوْصُولَةٍ بدَوامِ

١٣ إنَّا رَحَلنا وَاثقين بواثِقٍ ... باللهِ شَمْسِ ضُحًى وَبَدْرِ تَمَامِ

١٤ لِلَّهِ أَيُّ حَيَاةٍ انبعثَتْ لَنَا ... يَوْمَ الخَميسِ وبَعْدَ أيِّ حِمَامِ!

١٥ أودَى بخَيْرِ إمامٍ اضطَرَبَتْ بِهِ ... شُعَبُ الرِّجَالِ وقَامَ خَيْرُ إمامِ

١٦ تِلْكَ الرَّزِيَّةُ لا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا ... والقِسْمُ ليسَ كسَائِرِ الأقسَامِ

١٧ إنْ أصبحتْ هَضَبَاتُ قُدْسَ أصابَهَا ... قَدَرٌ فما زَالَتْ هِضَابُ شَمَامِ

١٨ أو يُفتَقَدْ ذُو النُّون في الهيْجَا فقَدْ ... دَفَعَ الإلَهُ لنَا عَنِ الصَّمصَامِ

١٩ أو جُبَّ مِنَّا غارِبٌ غَدْوَاً فَقَدْ ... رُحْنَا بِأتْمَكِ ذِرْوَةٍ وَسَنَامِ

٢٠ هَلْ غَيْرُ بُؤْسَى سَاعَةٍ أَلبَسْتَهَا ... بِنَدَاكَ مَا لَبِسَتْ مِنَ الإنْعَامِ!

---

(٩) أي يُعرِّفهم أنّ حظّهم في الغَزْو وضَبْط الإسلام.

(١٠) أي بلغ الخلافة هو بنفسه وبآبائه.

(١١) يعني قوله تعالى «واعلموا أنّ ما غنمتم من شيءٍ فإن لله خُمسه ... «الآية»:

(١٦) [الرزيّة: المصيبة. القِسْم: النصيب والحظّ].

(١٨) «ذو النون» سيفٌ كان لعمرو بن مَعْدِي كرِب، وكذلك «الصَّمصام» ورُوى أنه ارتجزَ في بعض الحروب فقال:

أنا أبو ثَوْرٍ وسَيْفي ذُو النُّونْ
أضرِبُهمْ ضَرْبَ غُلامٍ مجنونْ
يالَ زُبَيْدٍ إنهم يَمُوتونْ!

وقد رُوي أنه كان لمالك بن زهير سيفٌ يقال له «ذو النُّون»، كانت عليه صورة سمكةٍ، وكذلك فَسّروا قولَ الشاعر:

فأعْلَمُه مكانَ النُّونِ مِنّي ... وما أُعطِيتُهُ عَرَقَ الخِلالِ

أراد «ذا النُّون»، و«عَرَق الخِلال» مفعول من أجله، ومعناه أنه ما أخذَ به إلاّ غصْباً.

(١٩) «جُبَّ» استؤصِلَ، و«الغارِب» أعلى الظهر، و«أتْمَكُ»: أشرفُ.

(٢٠) يقول: هل أصابنا من فقد الخليفةِ أبيك إلا حُزْنُ ساعةٍ فقدناه فيها، حتى كشفتَ ذلك، بقيامِك =

٢١ نَقْضُ كَرَجْعِ الطَّرْفِ قَدْ أبرمْتَه ... يا ابنَ الخَلائِفِ أَيّما إِبْرَامِ
٢٢ ما إنْ رَأى الأقوامُ شَمْساً قبلَها ... أفَلَتْ فلَمْ تُعْقِبْهُمُ بظَلامِ
٢٣ أكرمْ بيَوْمِهِمُ الذي مُلِّكْتَهُمْ ... في صَدْرِهِ وبِعامِهِمْ مِنْ عامِ
٢٤ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِدْعاً لَقَدْ نَصبُوا له ... سِمَةً يَبينُ بها مِنَ الأعْوَامِ
٢٥ لَغَدَوْا وذَاكَ الحَوْلُ حَوْلُ عِبادَةٍ ... فِيهِمْ وذَاكَ الشَّهْرُ شَهْرُ صِيَامِ
٢٦ لَمَّا دَعَوْتَهُمُ لأَخْذِ عُهُودِهِمْ ... طَارَ السُّرُورُ بِمُعْرِقٍ وشَآمِ
٢٧ فكأنَّ هذا قادِمٌ مِنْ غَيْبَةٍ ... وكأنَّ ذَاكَ مُبَشَّرٌ بِغُلامِ
٢٨ لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا على وَجَنَاتِهِمْ ... وعُيُونِهِمْ فَضْلاً عن الأقْدَامِ
٢٩ قُسِمَتْ أمِيرَ المؤمنين قلُوبُهُمْ ... بَيْنَ المحبَّةِ فِيكَ والإعْظَامِ
٣٠ شُرِحَتْ بِدَوْلَتِكَ الصُّدُورُ وأصبحَتْ ... خُشَّعُ العُيُونِ إليكَ وهْيَ سَوَامِ
٣١ ما أَحسِبُ القَمَرَ المُنيرَ إذا بَدَا ... بَدْراً بأضْوَأَ مِنكَ في الأوهامِ
٣٢ هِيَ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ يُشْرَعُ وَسْطَها ... بابُ السَّلامةِ فادْخُلوا بِسَلامِ
٣٣ والمَرْكَبُ المُنْجي فمَنْ يَعْدِلْ بهِ ... يَرْكَبْ جَمُوحاً غيرَ ذَاتِ لجامِ
٣٤ يَتْبَعْ هَوَاهُ ولاَ لقاحِ لِرَهْطِهِ ... بَسْلٌ وليسَتْ أرضُهُ بِحَرامِ

= مَقامَهُ وسَدِّكَ مَسَدَّه.

(٢٤) أي لو لم يكن بِدْعاً أن يُسَمُّوا العام اسماً غير العام، لَسَمَّوه باسمٍ مُفْرَدٍ على حِياله، يُعرف به من سائر الأعوام، لجلالةِ موقعه، وقيل لَجعلوه عامَ صلاةٍ وصيامٍ، كما يُفعل ذلك عند الآيات، كصلاة الكُسُوف.

(٢٧) أي فرحوا كُلُّهم، حتى هُمْ بينَ مَن هذه صُورتُه أو هذه.

(٣٠) أي أُعقِبوا بالحزن سُروراً، وبضعف المُنَّة قوةً.

(٣٤) قوله «يتبَع هواه» بدلٌ من قوله «يَركبْ جموحاً»، وهذا بدل الفعل من الفعل، وهو مُناسِبٌ لِبَدَل التبيين؟ لأن معنى قوله «يَتبعْ هواه» جائزٌ أن يشتمل عليه قولُه «يَركبْ جموحاً»، ومثل هذه الآية «ومَن يَفعل ذلك يَلقَ أثاماً، يُضَاعَفْ له العذابُ يوم القيامة»، فجعل «يُضَاعَفْ» بدلاً من «يَلْقَ». «اللَّقَاح» القوم الذين لا يَدِينون لِلمَلِك وهم أعزّاء، لم يُصبهم ذُلٌّ في الجاهلية. «وبَسْل» حرام. يقول: مَن يَعْدِلْ عن هذه البَيْعة فإنما هو هوىً تَبِعَهُ، لا ينجو هو ولا مَن تابَعَه عليه من رَهْطه مِن نِقْمته، ولا تَسلم أَرضُه مِن أن يُباح حِماها وَحَرَمُها.

٣٥ وعِبَادَةُ الأهـوَاءِ في تَطْويحِها ... بالدِّين فوقَ عِبَادَةِ الأصنَامِ
٣٦ إنَّ الخِلافَةَ أصبحَتْ حُجُرَاتُها ... ضُرِبَتْ على ضَخْمِ الهُمُومِ هُمَامِ
٣٧ مَلِكٌ يَرَى الدُّنيا بأيْسَرِ لحظةٍ ... ويَرَى التُّقى رَحِماً منَ الأرْحَامِ
٣٨ لا قَدْحَ في عُودِ الإمَامَةِ بعدما ... متَّتْ إليكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامِ
٣٩ هَيْهَاتَ تلكَ قلادةُ اللَّهِ التي ... ما كانَ يَتركُها بغيرِ نظَامِ
٤٠ إرْثُ النَّبِيِّ وجَمْرَةُ المُلْكِ التي ... لمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وضِرَامِ
٤١ مَذْخُورَةٌ أحرَزْتَها بِحُكُومَةٍ ... للَّهِ تَعْلُو أرْؤُسَ الحُكَّامِ
٤٢ لَسْنَا مُريدِي حُجَّةٍ نشفي بِهَا ... مِنْ ريبةٍ سَقَماً مِنَ الأسْقَامِ
٤٣ الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بغيرِ دَلائلٍ ... مِنْ غيرِهِ ابتُغِيَتْ ولا أعلامِ
٤٤ فَأَقِمْ مُخَالِفَنَا بِكلِّ مُقَوَّمٍ ... واحسِمْ مُعَانِدَنا بكلِّ حُسَامِ
٤٥ تَركَتْ أُسُودَ الغَابَتَيْنِ مغارَها ... لَمَّا أتاها وَارِثُ الآجَامِ
٤٦ ألْوَى إذا خاضَ الكَريهَةَ لم يكنْ ... بِمُزَنَّدٍ فيها ولا بِكَهَامِ
٤٧ لَبَّاسُ سَرْدِ الصَّبْرِ مُدَّرِعٌ بِهِ ... في الحادِثِ الجَلَلِ ادِّرَاعَ اللَّامِ
٤٨ والصَّبْرُ بالأرْوَاحِ يُعْرَفُ فَضْلُهُ ... صَبْرُ المُلُوكِ ولَيْسَ بالأجسَامِ
٤٩ لا تُدْهِنُوا في حُكْمِهِ فالبَحْرُ قدْ ... تُرْدي غَوارِبُهُ وليسَ بِطَامِ
٥٠ يا بنَ الكَوَاكِبِ من أئمَّةِ هاشِمٍ ... والرُّجَّحِ الأحسَابِ والأحلامِ
٥١ أهدى اليكَ الشِّعْرَ كُلُّ مُفَهَّهٍ ... خَطِلٍ وسَدَّدَ فِيكَ كُلُّ عَبامِ

---

(٣٦) أي لا يَهتمُّ إلاّ في أمرٍ عظيم.

(٣٨) «لا قَدْحَ» أي لا عيب، أي يُقلِّدها الله الأفضلَ فَالأفضل.

(٤٢) أي لسنا نُريد بما نقوله أن نبيِّن للناس أمراً ارتابوا به، وشكُّوا فيه من أمور هذا الإمام، أو نَصِفُه بصفةٍ قد جَهلوها.

(٤٦) «الألْوَى»: الشديد الجانب في كل شيء. [المزنَّد: البخيل. السيف الكهام: النابي].

(٤٧) [اللاّم: جمع اللأمة، وهي الدرع].

(٤٩) [لا تدهنوا: لا تخدعوا].

(٥١) «المُفَهَّه»: الذي يَحكم بأنّه فَهٌّ أي عَيٌّ، قال الشاعر: =

٥٢ غَـرَضُ المدِيـح تقَـارَبَتْ آفـاقُـه ورَمى فقَـرْطَسَ فيـه غيـرُ الـرَّامي

140

وقال في أبي نصر سُليمان بن نصر ، من إخوانه [من الخفيف]:

١ أَنَـا فـي ذِمَّـةِ الكَـريـمِ سُـلَيْمَـا نَ السَّليمِ الهَـوَى الـرَّئيف الهُمَـامِ

٢ نُـطْتُ هَـمِّي مِـنْـهُ بِـهِـمَّـةِ قَـرْمٍ ثَـقَّـلَتْ وَطْـأتـي عـلى الأيَّـامِ

٣ بِحُسَـامِ الـلِّسَـانِ والـرَّأْيِ أمضَـى حينَ يُنْضَى مِنَ الـجُـرَازِ الْحـسَـامِ

٤ مـاجِـدٌ أفـرَطَـتْ عِنَـايَتُـه حَتْـ ـتَـى تَـوهَّمْـتُ أنَّهـا فـي المَنَـامِ

٥ مـا تَـوجَّهـتُ نحـوَ أُفْـقٍ مِـنَ الآ فَـاقِ إلَّا وجَـدْتُهـا مِـن أمَـامـي

٦ كُـلَّ يـومٍ تَـرَى نَـوَالَ أَبي نَـصْـ ـرٍ لَنَـا عُـرْضَـةً بـأدْنى الـكَـلَامِ

٧ لَمْ أَزَلْ في ذِمَـامِهِ المُعْـظَمِ المُكْـ ـرَمِ حتَّى ظَـنَنْتُـهُ في ذِمَـامِي

٨ يـا سُلَيْمَـانُ تَـرَّفَ الـلَّهُ أرضـاً أنـتَ فِيـهـا بِمُسْتَهِـلٍّ الـغَـمَـامِ

٩ ولَعَمْـرِي لَقَـدْ كُفِيتُ لـكَ الـدَّعْـ ـوَةَ إذْ كـنـتُ شَـاتِـيـاً بـالـشَّـآمِ

١٠ أَنَـا ثَـاوٍ بحِمْصَ في كُـلِّ ضَـرْبٍ مِـنْ ضُـرُوبِ الإكْـثَـارِ والإفـحَـامِ

١١ كُـلُّ فَـدْمٍ أخَـافُ حِـيـنَ أَرَاهُ مُـقْبِـلاً أَن يَـشُـجَّـني بـالـسَّـلامِ

= فلـم تَلْقنـي فَهًّـا ولـم تَلْـقَ حُجَّتـي مُلَجْلَجَـةً أبغـي لهـا مَـن يُقِيمُهـا

« والعَبَامُ » : الثقيلُ الوَخِمُ.

(٥٢) بفضلك صار كلُّ أحدٍ يُحسن المدحَ، وهذا كقوله:

مـا لَقِينـا مِـنْ جُـودِ فَضْـلِ بـن يحيـى صَيَّـرَ النـاسَ كلَّهـم شُعَـراءَ

(٢) [ناط : وصل. القرم: السيّد العظيم].

(٣) [نضا الحسام: شهره. الجراز: القاطع].

(٦) [يقول إنه يبذل العطاء بقليل من الكلام].

(٨) [المستهلّ: المنهمر].

(١١) [الفدم: الغليظ من الرجال].

١٢ رَافِعاً كَفَّهُ لِبِرِّي فلا أَحْـ ـسِبُه جاءَني لغيرِ اللِّطَامِ
١٣ فبحقِّي إلَّا خَصَصْتَ أبا الطَّيِّـ ـيبِ عنِّي بطَيِّبٍ مِن سَلاَمي
١٤ وثَنائي مِن قبلِ هذا ومِن بَعْـ ـدُ وشُكْرِي غَضٌّ لعَبدِ السَّلَامِ

141

وقال يمدح محمد بن حسَّان [من الكامل]:

١ أزَعَمْتَ أنَّ الرَّبْعَ ليسَ يُتَيِّمُ والدَّمْعُ في دِمَنٍ عَفَتْ لا يَسْجُمُ؟!
٢ يا مَوْسِمَ اللَّذَّاتِ غالَتْكَ النَّوَى بَعْدِي فرَبْعُكَ لِلصَّبَابَةِ مَوْسِمُ!
٣ ولَقَدْ أَرَاكَ من الكَواعِب كاسِياً فاليومَ أنتَ مِنَ الكَواعِب مُحرِمُ
٤ لَحَظَتْ بَشَاشَتَكَ الحَوادِثُ لحظَةً ما زلتُ أحْلُمُ أنَّها لا تَسْلَمُ
٥ أينَ التي كانَتْ إذا شاءَتْ جَرَى مِنْ مُقْلَتِي دَمْعٌ يُعَصْفِرُهُ دَمُ؟
٦ بَيْضَاءُ تَسْرِي في الظَّلَامِ فَيَكْتَسي نُوراً وتَسْرُبُ في الضِّيَاءِ فيُظلِمُ
٧ يَسْتَعْذِبُ المقْدَامُ فيها حَتْفَهُ فتَرَاهُ وهْوَ المُسْتَمِيتُ المُعْلَمُ

---

(١٤) يريد به ديك الجنّ.

(٣) «كاسِياً» أي ذَا كِسْوَةٍ، كما يقال تامِر أي ذُو تَمْر وجعل «الكَوَاعِبَ» مِثل الكِسْوَة للربع، لأنه كان يَتجَمَّل بِهنّ، فلما سِرْنَ عنه ألقَى الكِسْوَة، فكأنَّه مُحْرِمٌ لا لِباسَ عليه. ولا يُقال كَسَا الرجلُ إذا صارَ ذَا كِسْوة، كما لا يُقال تَمرَ إذا صارَ ذَا تَمْرٍ، لأن العادة لم تجر بتصريف الفعل من هذا النوع، وقد كان بعضُ المتأخرين يُجيز كَسِيَ الرجلُ بمعنى اكتَسَى، يجيءُ به على (فَعِلَ) كما يقال عَرِيَ في ضد ذلك، وقال قومٌ: هذه الكلمة لم تُستعمل في القديم، وإنما هي مُولّدة.

(٤) يقول: أَخلقَتِ الحَوادِثُ مِن الرِّياح والأمطارِ مَغَانِيَكَ، فذهَبت بَشَاشَتُك.

(٥) أي أينَ حبيبتي التي كانت تُبْكيني دَماً.

(٦) أي كشَفَتْه فجعلتْه مظلماً لشدّةِ نُورها، وهذا كما تقول ضَوْءُ القمر يَبْهَرُ ضوءَ الكواكب.

(٧) «المُستميت» الذي كأنّه يطلب الموتَ، مِن شجاعته وإقدامه، كما تقول استخرجَ الشيءَ إذا طلبَ خُروجَه، واستعلَم الخبرَ إذا طلبَ عِلْمَه. و«المُعْلِم»: الذي يجعل لنفسِه علامةً يُعْلَم بها في الحرب، =

٨ مَقْسُومَةٌ في الحُسْنِ بَلْ هِيَ غَايَةٌ فَالحُسْنُ فيهَا والجَمَالُ مُقَسَّمُ
٩ ملطُومَةٌ بِالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُهَا في الخَلْقِ فهْوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحكَّمُ
١٠ مَذِلَتْ ولَمْ تكْتُمْ جفَاءَكَ تكْتَمُ إنَّ الّذِي يَمِقُ المَذُولَ لمُغْرَمُ
١١ إنْ كانَ وَصْلُكِ آضَ وهْو مُحَرّمٌ مِنْكِ الْغَدَاةَ فَمَا السُّلُوُّ مُحَرَّمُ
١٢ عَزْمٌ يَفُلُّ الجَيْشَ وهْوَ عَرَمْرَمُ ويَرُدُّ ظُفْرَ الشَّوْقِ وهْوَ مُقَلَّمُ
١٣ وفَتًى إذا ظَلَمَ الزَّمانُ فَمَا يُرَى إلاَّ إلى عَزَمَاتِهِ يُتَظَلَّمُ!
١٤ لَوْلاَ ابنُ حَسَّانَ المُرَجَّى لم يكُنْ بالرِّقَّةِ البيْضَاءِ لي مُتَلَوَّمُ
١٥ شَافَهْتُ أسبَابَ الغِنَى بِمُحَمَّدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ بأنَّها تَتَكَلَّمُ
١٦ قَدْ تُيِّمَتْ مِنْهُ القَوَافِي بامرىءٍ ما زَالَ بالمَعْرُوفِ وهْوَ مُتَيَّمُ
١٧ يَحْلو ويَعذُبُ إنْ زَمانٌ نَالَهُ بِغِنًى وتَلْتَاثُ الخُطُوبُ فيكْرُمُ
١٨ تَلْقَاهُ إنْ طَرَقَ الزَّمَانُ بِمَغْرَمٍ شَرِهاً إليهِ كَأَنَّمَا هُوَ مَغْنَمُ
١٩ لا يَحْسِبُ الإقْلاَلَ عُدْماً بَلْ يَرَى أنَّ المُقِلَّ مِنَ المُروءَةِ مُعْدِمُ
٢٠ ما زَالَ وهْوَ إذَا الرِّجالُ تَوَاضَحُوا عندَ المُقَدَّمِ حَيْثُ كانَ يُقَدَّمُ

= وإنما يفعل ذلك الشُّجْعانُ الذين يثقون بنجدتهم وقوّتهم على مِرَاس الأقران.
رواية أبي العلاء «يَسْتَعذِبُ الرِّعديدُ فيها حتْفَه»، و«الرِّعديد» الجبان، والمعنى أنّ الرِّعديدَ يَسْهُل عليه الموتُ في حُبِّ هذه المرأة، حتى يُقْدِمَ على الأمور القاتلة.

(٩) أي خدُّها مُشرَب حُمرةً، فإذا رَمَتْ بطرفها في الخَلْق قَتَلتْ.

(١٠) يقال مَذِلَ بسرِّه إذا أفشاه ولم يحفظه. يقول: إنّ الذي يحبُّ المَذُولَ لَمُعَذَّبٌ مُبتَلًى، لأنه يحبُّ مَن لا يُحِبُّه، وأصل «المَذَل» السخاء، أي أنه يسخو بسرِّه، و«تَكْتَمُ» على مِثال (تَفْعُل) وبعض الناس يقول «تُكْتَمُ» على لفظ الفعل الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه، والقول الأوّل أحسنُ في هذا الموضع، ليكون لفظ الفعل والاسم متساوياً.

(١٢) يقول: أنا أسلو عنك بعزمٍ ماضٍ لا يثنيه شيءٌ عمّا أُريدُه.

(١٥) قوله «حتَّى ظننتُ بأنّها تتكلمُ»: أي قد لاح لي وجه الغِنى.

(٢٠) إذا رُوي «تَوَاضَحوا» بالحاء، فهو من وَضَحَ الشيءُ إذا ظهرَ، أي إذا طلبَ كلٌّ واحدٍ أن يُظهر أنه أرفعُ شَرَفاً من غيره. ومن رَوى «تَوَاضَخوا» بالخاء، فهو نحو التّساجُل، من قولهم في الدّلْو وضُوخ أي قريبٌ من الماء. ويقال تَوَاضَخَ الرجلانِ: إذا فعل كلٌّ واحدٍ منهما مثلَ فِعْل الآخر،=

٢١ يَحتَلُّ في سَعدِ بنِ ضَبَّةَ في ذُرا عَادِيَّةٍ قَدْ كَلَّلتْها الأنْجُمُ

٢٢ قَوْمٌ يَمُجُّ دَماً على أرْمَاحِهِمْ يَوْمَ الوَغَى المُسْتَبْسِلُ المُسْتَلْئِمُ

٢٣ يَعْلُونَ حتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُمْ أنَّ المَنَايَا الْحُمْرَ حَيٌّ مِنْهُمُ

٢٤ لَوْ كَانَ في الدُّنيا قَبيلٌ آخَرٌ بإزَائِهِمْ ما كانَ فِيهِمْ مُصْرِمُ

٢٥ ولأنتَ أوضَحُ فيهِمُ مِنْ غُرَّةٍ شَدَخَتْ وفازَ بهَا الجَوادُ الأدْهَمُ

٢٦ تَجْري على آثارِهِمْ في مَسْلَكٍ ما إنْ لَهُ إلاَّ المَكَارمَ مَعْلَمُ

٢٧ لَمْ يَنْأ عَنِّي مَطْلَبٌ ومُحَمَّدٌ عَوْنٌ عَلَيْهِ أوْ إليهِ سُلَّمُ

٢٨ لم يَذْعَرِ الأيامَ عنكَ كمُرْتَدٍ بالعَقْلِ يَفْهَمُ عَنْ أخِيهِ ويُفْهِمُ

٢٩ مِمَّنْ إذا ما الشِّعْرُ صَافَح سَمْعَه يَوْماً رَأيتَ ضَمِيرَهُ يَتَبَسَّمُ

= وكذلك الأتانُ الوحشيّة تُواضِخُ الحِمارَ أي تجري كجريه. «عند المُقَدَّم» يعني عند الملك الأعظم، ومَن روى ★عند التَّقدُّمِ حيث كان يُقَدَّمُ★ فالمعنى صحيح مفهوم.

(٢١) «سَعْد بن ضَبَّة» بن أُدِّ بن طابِخَة بن إلياسِ بن مُضَر. «وعادِيَّة» قديمة، واصلُ ذلك أنهم كانوا يقولون للشيء القديم عاديّ، أي كأنه مِن صَنْعة عادِ بن إرَم، فيقولون بئر عادِيَّة أي قديمة، وطريق عاديٌ؛ وعني الطائيّ (بالعادِيّ) هنا هَضْبَةً، استعارَها للشرف.

(٢٢) «المُسْتَبْسِلُ» من البَسَالة، «والمُسْتَلْئِم» الذي عليه اللَّأمةُ وهي الدِّرع.

(٢٣) «يَعْلُونَ» مِن قولك عَلاَ قِرْنَه: إذا غَلَبه، وقال قومٌ يقال «علوتُ» من الارتفاع، مُتَعدِّياً وغيرَ مُتعدٍ، «وعَلَيْتُ» من الظفرِ، ولا يُعدُّونه، فيجوز على هذا أن يُرْوَى «يَعْلَون» بفتح اللام. «والمنَايا الحُمْر» يعني بها القَتْل، لأن الدِّماء تجري فيه، وهي مُحمرَّة، وكذلك يجب أن يكون قولهم موتٌ أحمر: إنما يراد به القَتْل، وكان بعض أهل العلم يقول: إنما قيل موت أحمر لأن الحمرة من ألوان الأسد، وهذا ليس بشيء، وعلى هذا فسّروا قول أبي زُبَيْدٍ في صفة الأسد:

إذا عَلِقَتْ قِرْناً خَطَاطِيفُ كَفِّهِ رَأى الموتَ بالعينَيْن أسودَ أحمرَا

وقال قومٌ إنما قيل موت أحمر، لأن بَصَر الميّتِ يتغيَّر فيرى الدُّنيا حمراء، والقولُ المتقدّم هو الصحيح.

(٢٤) و(٢٥) «المُصْرِم» القليل المال. «وشَدَختْ» الغُرَّةُ إذا انتشَرَتْ في الوجه. ويُروَى ★شَدَختْ ولا سِيمَا حَوَاها أدهَمُ★ «وسِيٌّ» تُخفَّف وتُثَقَّل، والتثقيل الأصل، وقوله «حَوَاها أدْهَمُ» يحتمل أن يتأوّله المتأوِّل على أنه طَعْنٌ في قومِ الممدوح، لأنه جعلهم كالأدهم وهو غُرّةٌ فيهم.

142

وقال يمدح أبا سعيدٍ : محمَّدَ بنَ يوسف [من البسيط] .

١	أبـا سعيـدٍ ومـا وَصْفـي بمتَّهَـمٍ	علـى الثَّنـاءِ ولا شُكـري بمختَـرَمِ
٢	لئنْ جَحَدْتُكَ مـا أوليْتَ مِنْ حَسَنٍ	إنّي لَفي اللُّؤْمِ أوْلى مِنْكَ في الكَرَمِ
٣	أنْسَى ابتسامَكَ والألوانُ كاسِفَةٌ	تَبسُّمَ الصُّبْحِ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ
٤	كـذَا أخُوكَ النَّـدَى لَوْ أنَّـهُ بشَـرٌ	لَمْ يُلْفَ طَـرْفَـةَ عَيْنٍ غَيْـرَ مُبْتَسِمِ
٥	رَدَدْتَ رَونَقَ وَجْهي في صَحِيفَتِهِ	رَدَّ الصِّقالِ بماءِ الصَّارِمِ الخَذِمِ
٦	ومـا أُبَـالي وخَيْـرُ القَوْلِ أَصْـدَقُـهُ	حَقَنْتَ لي مَاءَ وجهي أوْ حَقَنْتَ دمي

143

وقال يمدحه وقد غَابَ عنه [من الطويل] :

١	مـتَى كـانَ سَـمْعي خُلْسَـةً لِلَّوَائِمِ	وكيفَ صَغَتْ لِلعَـاذِلَاتِ عَزَائمي؟!
٢	إذَا المَـرْءُ أبقى بينَ رَأْيَيْـهِ ثُلْمَـةً	تُسَـدُّ بتَـعْنِيـفٍ فَلَيْسَ بحَـازمِ

---

(٣) أي لا أنسى، فحذف « لا »، ومثله كثير.

(٥) [الخذم: السريع القطع].

(٦) أراد: « أحقَنْتَ »، فحذفَ حرفَ الاستفهام.

(١) [العاذلات: اللائمات].

(٢) يقول: إذا المرءُ أشركَ في رأيه غيرَه، حتى يُشير عليه برأيٍ آخر، فقد تركَ بينهما ثُلْمةً تحتاج إلى سَدِّها، وهذا ليس من أفعال ذَوِي الحَزْم، بل يجب عليه أن يُصمِّم على رأيه. وقال أبو العلاء: أراد « بِرأْيَيْه » أنه مَرَّةً يقول أفعلُ ومَرّةً يقول لا أفعلُ، فإذا لم يعزم على الأمر ويَصْرِمْه، فكأنّه قد أبقَى ثُلْمَةً يعنّفه عليها اللائمُ. وهذا مِثل قول العرب هو يُؤامِرُ نَفْسَيْه: إذا وقفَ لا يدري ما يصنع، فكأنّه جُعِلَ له نفسان، نفسٌ تأمُره، ونفسٌ تنهاه، قال الشاعر:

ولـم تُـؤامِـرْ نَفْسَيْـكَ مُفْتَكِـراً   فِيهـا وفـي أختِهـا ولـم تَكَـدِ

وقال آخر: =

٣ سَـأُوطِئُ أَهْلَ العَسْكَـرِ الآنَ عَسْكَراً   مِنَ الـذُّلِّ مَحَّـاءً لِتِلْكَ الـمَعَـالِـمِ
٤ فـإنِّي مـا حُـورِفْتُ في طَلَبِ العُلَى   ولكنَّكُم حُـورِفْتُمُ فـي المَكـارِمِ
٥ رُوَيْـداً يَـقِـرُّ الأمْـرُ في مُـسْتَقَـرِّهِ   فَمَـا المَجْـدُ عَمَّـا تَفْعَلُونَ بِنَـائمِ
٦ ومـا لِيَ من ذَنْبٍ إلى الـرِّزْقِ خِلْتُـهُ   سِـوَى أمَـلي إيَّـاكُـمُ لـلعَـظَائِـمِ
٧ بعَيْنِ العُـلى أصْبَحْتُـمُ بيـنَ هَـادِمٍ   دعَـائمهَـا الـطُّولَى وبَـانٍ كَهَـادِمِ
٨ لَعَمْـرُ النَّـوَى لا زلْتُ بَعْـدَ محمَّـدٍ   مُسِحّاً عليْـهِ بـالـدُّمُـوعِ السَّـوَاجمِ
٩ فَتًـى فَيْصَلـيٌّ العَـزْمِ يَعْلَـمُ أنَّـهُ   نَشـا رأيُـهُ بيـنَ السُّيـوفِ الصَّـوارمِ
١٠ إذا سارَ فيـه الظّـنُّ كـان بكـلِّ مـا   يُـؤمَّـلُ مِـنْ جَـدْوَاهُ أوَّلَ قَـادِمِ
١١ أَسَـاءَتْ يَدَاهُ عِشْـرَةَ المَـالِ بـالنَّـدَى   وأحسَنَتَـا فِينـا خِـلافَـةَ حَـاتِمِ

= يـؤَامِـرُ نفْسَيـهِ وفـي الأمـرِ فُسْحَـةٌ   أتَسْتَـرْتِـعُ الذُّؤْبَـانُ أمْ لا يَطُـورُهَـا

(٣) أي يمحو ما قالوا فيَّ مِن الوقيعة، يعني أنهم قالوا هو محروم نَكِدُ الجَدِّ. «العسكر» موضوع اللغة فيه: أنه الجماعة الذين يجتمعون للحرب، قُصِرَ على هذا الوجه، إلاّ أن يَخرج منه على معنى الاستعارة، كما قال الراجز:

هَلْ لكَ في أجرٍ عظيمٍ تُؤْجَرُهْ
تُعِينُ مِسْكِيناً كثيراً عَسْكَرُه!؟

أراد كثيراً عِيالُه. و«العَسْكر»: واقع على شُخُوص الناسِ، وإنما أجازَ الطائيُّ أن يقول «أهلَ العسكرِ» على سبيل الاتساع، أي سأُوطىء أهلَ الموضعِ الذي يَحُلُّه العسكرُ، وإنما حقيقةُ ذلك أن يُقال أهلُ المُعَسكر، وهذا أشبه من أن يُتأوّل، على أنه أراد البلدَ الذي يقال له عَسْكر مُكْرَم.

(٤) أي القناعة أغنَى الغِنَى، بل أنتم المحارَفُون، إذْ حُرِمتمْ المكارمَ بترك الإحسان إليّ.

(٧) و(٨) «بِعَيْن العُلَى» أي بمرأى من العُلَى ومَسْمع، ويروى «مُشِيحاً» و«المُشِيحُ»: الجادّ [السواجم: المنهمرة].

وقال يمدحه وقد قَدِم من مَكَّة [من الخفيف] :

١ إنَّ عَهْداً لَوْ تَعلَمَانِ ذَمِيما ... أنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِي أو تُنِيمَا
٢ كنتُ أرعى البُدُورَ حتَّى إذَا ما ... فارَقُوني أمسَيْتُ أرعَى النُّجُومَا
٣ قَدْ مَرَرْنا بالدَّارِ وهْيَ خَلاءٌ ... وبَكَيْنا طلُولَها والرُّسُومَا
٤ وسَألْنا رُبُوعَها فانصَرَفْنا ... بسَقَامٍ وما سَألْنا حَكيمَا
٥ أصبَحتْ رَوْضَةُ الشَّبَابِ هَشِيماً ... وغَدَتْ ريحُهُ البَليلُ سَمُومَا
٦ شُعْلَةٌ في المَفَارِقِ استَوْدَعَتْني ... في صَمِيمِ الفُؤَادِ ثُكْلاً صَمِيما
٧ تَسْتَثيرُ الهُمُومُ ما اكتَنَّ مِنْها ... صُعُداً وهْيَ تَسْتَثِيرُ الهُمُومَا

(١) يقول: يا صاحبيّ إنّ عهداً منكما ذَميماً إنْ نِمْتُما ولم تسعداني. ويقال: فلان لا يَنَامُ ولا يُنِيمُ إذا كان قَلِقاً لا يَنامُ هو في نفسِه، ولا يَتركُ غيره أن ينامَ، لأنه يُسْهِره بتشكّيه وتَوجّعه، قال الشاعر:

وقد قامَتْ عليه مَها رِماحٍ ... حَواسِرَ لا تَنَامُ ولا تُنِيمُ

(٢) هذا البيت يُروى على وجوه، كلّها فيه فنٌّ من صناعة الشعر، فمَن روى «البدُور» أراد الوُجوه التي تُشبّه بالبُدور، ومَن روى «الخُدور» أراد جمع خِدْر، أي كنتُ أُراعيها قبلَ البَين، فلمّا بانَتْ سَهِرتُ فرَعيْتُ النُّجوم، ويروى «أرعى الخُدود» وهذا يحتمل وجهين: أحدهما من الرعاية التي هي نظرٌ إلى الشيء وكِلاءة له، والآخر أن يكون مستعاراً من رَعْي النبات، كأنّه أراد التقبيل فجعَلَه رَعْياً.

(٥) قد تَردّد ذكرُ «البَليل» من الرِّياح، وهي التي فيها شيءٌ من مطر، وربما قيل هي البادرة، والأوّل أشبه بالاشتقاق. و«السَّمُوم» ريحٌ حارة، وقال قوم «السَّمُوم» بالنهار، وقلّما تكون بالليل، و«الحَرُور» تكون بالليل، وقلّما تكون بالنهار.

(٦) «الشُّعْلة» يحتملُ وجهين: أحدهما أن يكون من شُعْلة النار، والآخر أن يكون من شُعْلة الفَرَس، يقال فَرَسٌ أشْعَل: إذا كان في ذَنَبه بياض، وقال «شُعْلَةٌ في المَفَارِق» فصَنَعَ بذلك، لأن الشّعْلة جَرَتْ عادَتُها بأن تكون في الأذناب، وهي [هنا] في المَفَارق، فهي مُخَالِفَةٌ لتلك. و«صميم» كل شيء: خالصه.

(٧) يقول هذه الشُّعلة من الشَّيْب تستثيرها الهُموم المكتنَّة، لأنّ الناسَ يقولون إنّ الهمّ، والحُزْن وما يلقاه الرجلُ من الشدائد، يُعجِّل الشيبَ، وكذلك قالوا أمرٌ يَشِيب له الوليدُ، أي يَفزع منه، فيتقدّم=

٨	غُـرَّةٌ بُـهـمـةٌ ألا إنَّـمـا كـنْـ	ـتُ أغَـرًّا أيَّـامَ كـنـتُ بـهـيـمَـا
٩	دِقَّـةٌ في الحَيـاةِ تُـدْعَى جَـلالاً	مِـثْـلَمـا سُـمِّـيَ اللَّديـغُ سَلِيمـا
١٠	حَـلَّمَـتْـنِـي زعَـمـتُـمُ وأَرَانِـي	قَبْـلَ هـذا التَّحليمِ كنتُ حَليـمَـا
١١	مَنْ رأى بَـارقـاً سَـرَى صـامِتـيّـاً	جـادَ نجداً سُهُـولَهَـا والحُـزُومَـا؟
١٢	يُـوسُـفِـيّـاً مُـحَـمَّـدِيّـاً حَـفِـيّـاً	بـذَلـيـلِ الثَّـرَى رَؤُوفـاً رَحيـمَـا
١٣	فَـسَـقَـى طـيِّـئـاً وكَـلْبـاً وَدُودَا	نَ وقَـيْـسـاً ووائِـلاً وتَـمِـيـمـا
١٤	لنْ يَنَـالَ العُلَى خُصُـوصـاً مِنَ الفِتْـ	ـيَـانِ مَنْ لم يَكُنْ نَـدَاهُ عُـمُـومَـا
١٥	نَـشَـأَتْ مِـنْ يَـمِـيـنـه نَـفَـحَـاتٌ	مـا عليهـا ألَّا تـكـونَ غُـيُـومَـا
١٦	ألبسَـتْ نَجْـداً الـصَّـنـائـعَ لا شيـ	ـحـاً ولا جَـنْـبـةً ولا قَـيْـصُـومَـا

= شيبُه في غير وقته.

(٨) ويروى «غُرَّةٌ مُرَّة» ويقع في النُّسخ «غُرَّة غُرَّة»، ورواية (ع) «غُرَّة بُهْمَة»، وقالوا «غُرَّة بُهْمَة» على معنى التضاد، أي اسمُها غُرَّة، وهي ضِدٌّ ذلك في الحقيقة. و«البُهْمة» من قولك فَرَسٌ بَهيم، وهو الذي لا يُخالط لونَه غيرُه، كأنّه أُبهِمَ عن الشِّيات، أي أُغلِقَ دونها، مِن أبهمتُ البابَ إذا أغلقته. وجاز أن يجعل نفسَه بَهيماً لأنه أراد الشَّعَر، وأنه أيّام كان أسودَ لم تكن له غُرّة أي شَيْب. وقد يجوز أن يقال فرسٌ بهيمُ الرِّجْل أو اليد إذا كان في قوائمه الثلاث حُجُول، وعلى هذا يُحمل بيت الطائي لأن ابنَ آدمَ يُخالف شعرُه لونَ جسدِه، ولم تجرِ العادةُ بأن يقال رَجُلٌ بهيمٍ، ولكنه مستعار، ومن ذلك قول الأنماريّ:

تَعَـادَى مِـنْ قَـوَائِمِهـا ثلاثٌ   بِتَحْجِيـلٍ وقـائِمَـةٌ بَهيـمْ

فجعل القائمةَ بهيماً، كما جعل الطائيّ تلك الصفةَ للشّعر.

(٩) يقول: المشيب دِقَّة والناسُ يُسمُّونه جَلالاً، فيُجلّون الشيخَ بقولهم، لا بفعلهم.

(١٠) أي زعمتم أنّ شُعلة الشيب قد صَيَّرتني حليماً، وتَمَّ بها عقلي، وأنا أرَى أني قبل هذا كنتُ حليماً كاملاً.

(١١) [الحزوم: جمع الحزم، وهو في الأرض المرتفع الكثير الحجارة].

(١٢) [ص] «ذَلِيل الثَّرَى» المستكين، من قوله «أو مِسْكيناً ذا مَتْرَبَة».

(١٦) يقول: مَوَاهب هذا الممدوح ألبَسْت نجداً، أي أهل نجد، الصنائعَ، ولم تكن كالغُيوث اللاتي تُظهر النباتَ، مثلَ الشيح والجَنْبة والقَيْصوم.

١٧ كَـرُمَـتْ رَاحَـتَـاهُ فـي أَزَمَـاتٍ   كـانَ صَوْبُ الغَمَـامِ فيهـا لَئيمـا

١٨ لا رُزِيْنَـاهُ مـا أَلَـذَّ إذا هُـزَّ   وأنْـدَى كَـفَّـاً وأكـرَمَ خِـيمـا!

١٩ وَجَّـهَ الـعِيسَ وهْـيَ عِيسٌ إلى اللـ   ـهِ فـآلَتْ مِثْـلَ القِسِـيِّ حَـطِيمـا

٢٠ وأحَـقُّ الأقـوامِ أن يَقْضِـيَ الدَّيْـ   ـنَ امـرؤٌ كـان لِلإلـهِ غَـريمَـا

٢١ في طَرِيقٍ قَدْ كـانَ قَبْـلُ شِـرَاكـاً   ثُـمَّ لَمَّـا عَلاهُ صـارَ أديمَـا

٢٢ لَـمْ يُحَـدِّثْ نَـفْسـاً بمكَّـةَ حتَّـى   جـازَتِ الكَهْـفَ خَيلُهُ والـرَّقِيمَـا

٢٣ حَـرَمُ الـدِّيـنِ زَارَهُ بَـعْـدَ أَنْ لَـمْ   يُـبْقِ لـلكُفْـرِ والـضَّلالِ حَـريمَـا

٢٤ حِيـنَ عَفَّـى مَقَـامَ إبليسَ سَـامَـى   بـالـمَـطَايَـا مَـقَـامَ إبـراهـيمـا

---

(١٩) «العيسُ» إبلٌ بِيض يعلو بَياضَها شُقْرَة [ص] ويروى «فآلت مِنَ الهَواجرِ شيما»* و«شيمٌ[وهو الذي به شآمَةٌ أو شامٌ كثير، وإنما يريد أحد أمرين: إمّا أن يعني ما أثّرت فيها الرّحال والأقتابُ من العُقُور والجُلَب، فجَعَلَها كالشّامات، وإمّا أن يعني مواضعَ أجسادها ظهرَ فيها العَرَقُ، فكان مُخالِفاً لِلونها. ومَن روى «شُوماً» فالشُّوم السُّود، قال الهُذَليّ:

مُعْتَّقَـةٌ صِـرْفـاً يَكُـونُ سِبـاءَهـا   جِلادُ المخـاضِ شُـومُهـا وحِضَـارُهـا

وهذا المعنى أشبه من الأوّل، لأنهم يصفون الإبل بأنّ العرق يُجلِّلها، قال الشاعر:

صَبَـغَ الهَـوَاجـر لـونهـا فكـأنّمـا   يجتـابُ فـوقَ جُلُـودِهـا الأمسـاحـا

وقال الراجز:

جَوْناً كأنّ العَرَقَ المَنْتُوجا

ألبَسه القَطْرانَ والمُسُوحا

(٢٠) أي أحقُّ الديونِ بالقضاء دَيْنُ الله؛ والحَجُّ دينُ اللهِ على الناس.

(٢١) يقول: كان طريقُ الحج كالشِّراك، فلمّا ركبه سَوّاه فجعله كالأديم، ووسّعَ الضّيقَ، وقد يُشبّهون الطريقَ بالأديم، قال الشاعر:

ومُعَبَّـدٍ مثـلِ الدِّهَـانِ زجَـرتُ   العيسَ فيـه فكـانَ لِـي العُـذْر

فسّروا «الدِّهان» ها هنا الأديم الأحمر.

(٢٢) «الكهف والرقيم»: موضعان في بلاد الروم، أي لم يَهُمّ بالحج، إلاّ بعد أن فتح في بلاد الرُّوم فتوحاً.

٢٥ حَطَمَ الشِّرْكَ حَطْمَةً ذَكَّرَتْهُ في دُجَى الليل زَمْزَماً والْحَطِيمَا

٢٦ فاضَ فَيْضَ الأتيِّ حتَّى غدَا المَوْ سِمُ مِن فَضْلِ سَيْبِهِ مَوْسُومَا

٢٧ قَدْ بَلَوْنا أَبَا سَعِيدٍ حديثاً وبَلَوْنا أَبَا سعيدٍ قديما

٢٨ ووَرَدْناهُ ساحِلاً وَقَلِيباً ورَعَيْنَاهُ بارضاً وجَميما

٢٩ فَعَلِمْنا أَنْ لَيْسَ إلَّا بِشِقِّ النَّـ ـفْس صَار الكريمُ يُدْعَى كَرِيمَا

٣٠ طَلَبُ المَجْدِ يُورِثُ المَرْءَ خَبْلاً وهُمُوماً تُقَضْقِضُ الحَيْزُومَا

٣١ فتَرَاهُ وهْوَ الْخَلِيُّ شَجِيّاً وتَراهُ وهْوَ الصَّحيحُ سَقِيمَا

٣٢ تَجِدُ المجْدَ في البَرِيَّة مَنْثُو راً وتَلْقَاهُ عِنْدَهُ مَنْظُومَا

٣٣ تَيَّمَتْهُ العُلى فلَيْسَ يَعُدُّ الْـ ـبُؤْسَ بُؤْساً ولا النَّعِيمَ نَعِيمَا

٣٤ وتُؤَامُ النَّدَى يُري الكرَمَ الفا رِدَ في أكْثَرِ المَواطِنِ لُومَا

٣٥ كُلَّما زُرْتُهُ وجَدْتُ لَدَيْهِ نَسَباً ظاعِناً ومجْداً مُقيما

٣٦ أجْدَرُ النَّاس أن يُرَى وهْوَ مَغْبُو نٌ وهَيْهَاتَ أن يُرَى مَظْلُومَا

---

(٢٥) «الحَطِيم»: المُدَارُ بالبيت، وهو الحِجْرُ أيضاً.

(٢٨) ويُروَى «سَائِحاً» و«السَّيْح» الماءُ الجاري الظاهر، و«القَلِيب» البئر، و«البَارِض»: أوّل ما ينبت مِن البُهْمَى، و«الجَمِيم» ما غَطّى الأرضَ من النَّبات، وهذه استعارات، لأنّ الماء السائح ضدّ الماء الذي في القَلِيب، والبارضُ أول ما يظهر من النبات، والجَمِيم أكثر من ذلك، وقيل هو الذي إذا قَبَضتْ عليه اليَدُ صار كالجُمَّة.

(٣٠) «الخَبْلُ» فَسادُ الأعضاء، ثمّ يُستعار ذلك في كل فساد. و«تُقضقِض» الحيزومَ» أي تَكْسِرُه، مِن قولهم قَضْقَضَ الأسدُ الفريسةَ إذا نَفَضَها وحَطَمَ عظامَها، و«الحَيْزوم» الصَّدْر، وقيل ما تحتَه من الجَسَد.

(٣١) يقول: نَرَى طالبَ المجدِ مُتَقَسَّمَ القَلْبِ في طَلَبه مِن وجوه. والاختيارُ «شَجِي» بتخفيف الياء، وقد جاء التشديد، وذلك على وجهين: أحدهما أن يكون مأخوذاً مِن شَجَاه يشجوه إذا أحزنَه وشَاقَه فيكون (فَعيلاً) في معنى (مَفْعُول)، والآخر أن يكون من شَجِيَ يَشْجَى، ثم زِيدَتْ الياءُ فيه، كما يقال سَمْحٌ وسَمِيح وأرِبٌ وأريب.

(٣٣) أي ليس يَعْقِلُ إلاّ ما هو فيه من طَلَب المجد.

(٣٤) [الفارد: المنفردة، المنقطعة عن القطيع].

٣٧ كُلُّ حالٍ تَلْقَاهُ فيها ولكنْ ... لَيْسَ يُلْقى في حالَةٍ مَذْمُومَا

٣٨ وإذا كانَ عارِضُ المَوْتِ سَحّاً ... خَضِلاً بالرَّدَى أجَشَّ هَزِيمَا

٣٩ في ضِرَامٍ مِنَ الوَغَى واشتِعَالٍ ... تَحْسَبُ الجَوَّ مِنْهما مَهْمُوما

٤٠ واكتَسَتْ ضُمَّرُ الجِيَادِ المَذَاكي ... مِنْ لِباسِ الهَيْجَا دَماً وحَمِيمَا

٤١ في مَكَرٍّ تَلُوكُها الحَرْبُ فيهِ ... وهْيَ مُقْوَرَّةٌ تَلُوكُ الشَّكِيمَا

٤٢ قُمْتَ فيها بِحُجَّةِ اللّهِ لَمَّا ... أنْ جَعَلْتَ السُّيُوفَ عنكَ خُصُومَا

٤٣ فَتَحَ اللّه في اللِّوَاء لكَ الخا ... فِقِ يَوْمَ الإثْنِين فتْحاً عظِيما

٤٤ حوَّمَتْه ريحُ الجَنُوبِ ولَنْ يُحْـ ... ـمَدَ صَيْدُ الشَّاهين حتَّى يَحُومَا

٤٥ في عَذَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كان فيها ... ناضِرُ الرَّوضِ للسَّحَاب نَدِيمَا

٤٦ لُبِّنَتْ مُزْنُها فكانتْ رهاماً ... وسَجَتْ ريحُها فكانت نسيما

---

(٣٨) و(٤٢) أي وإذا كان عارضُ الموتِ هذه حالُه، قمتَ فيها بما يُحتَج به عند الله من ضَرْبٍ وطَعْن.

(٤١) [: مقوّرة: ضامرة. الشّكيم: حديدة توضَع في فم الفرس].

(٤٣) قطع ألفَ «الاثنين»، وذلك جائز كما قال الراجز:

لَمّا رأتْ شَيْبَ قَذالي عِيساً
وفَوْقَ ذاكَ لِمّةً خليساً
قَلَتْ وِصَالي واصطفَتْ إبليسَا
وصامَتِ الإثنينِ والخَمِيسَا!

وقال آخر:

يا خالِقَ الإثنينِ والخميسِ
ومُنزِلَ الوَحْيِ على إدريسِ

(٤٤) أي ضَرَبتْه ريحُ الجنوب في انتصابه عليها، وطال ذلك إلى أن ظَفِرَ، وكذلك الشاهينُ والعُقاب لا يكثر صيدهما حتى يُحلِّقا ويدورا في الهواء.

(٤٥) في النسخ «غَذَاةٍ». (ع): «العَذَاة»: أرض طيّبة التراب بعيدة من الماء، ولذلك قالوا أرضٌ عَذِيَة، أي أنها لا تحتاج إلى السَّقْي، لأنها لا تفتقر إلى ذلك، و«مَهْضُوبة» أي قد أصابتها هَضْبَةٌ مِن المطر، أي دُفْعَة منه.

(٤٦) «الرِّهام» أمطار ضِعاف، ويقال أرضٌ مرهومة، وإنما ذكرَ الرِّهامَ لأنّ المطر إذا كَثُرَ واشتدَّ جاز =

٤٧ نِعْمَــةُ الــلَّهِ فيــكَ لا أســأَلُ الــلَّـ ـهَ إليْهَــا نُعْمَى سِــوَى أنْ تَــدُومَــا
٤٨ ولَــوْ أنّي فَعَـلْتُ كُنْـتُ كَـمَـنْ يَسْـ ـأَلُـهُ وهْــو قــائـمٌ أنْ يَــقُــومَــا

145

وقال يمدحه [من الطويل] :

١ عَسَى وَطَـنٌ يَــدْنُــو بِهِـمْ ولَعَـلَّمـا وأَنْ تُـعْتِـبَ الأيَّــامُ فيـهِمْ فَــرُبَّـمـا
٢ لَهُمْ منـزِلٌ قد كـان بالبيضِ كـالمَهَـا فَصِيحُ المَغَـاني ثُمَّ أصبـحَ أعجمَـا
٣ ورَدَّ عُيُــونَ النَّـاظِـريـنَ مُـهَـانَـةً وقـدْ كانَ مِمَّـا يَرْجِـعُ الطَّرْفُ مُكْـرَمَا

= أن يؤدِّيَ إلى غير المصلحة، وكذلك قالوا في المثل، الغيثُ يُصلح ما خبَّل. و« سَجَتْ رِيحُها » أي سَكَنَتْ، ومنه ليلٌ ساجٍ، وبحرٌ سَاجٍ.

(٤٧) « إليها » أي معها، كما قال سبحانه « مَن أنصاري إلى الله » أي مع الله، وهم يَتّسعون في حروف الخفض، فيضعون بعضَها موضع بعضٍ، قال الرَّاعي:

ثَقَــالٌ إذا رَادَ النِّســاءُ خَــرِيــدةٌ صَنَـاعٌ فقــد سَـادَتْ إلــيَّ الغَــوانِيَــا

أي سَادَتْ عندي.

(٤٨) وهو راجع إلى الله جَلّت عظمتُه، يقول: قد أعطانا الله فيك ما نأمُلُ، فلو أني سألتُه أن يُعطيك شيئاً لكنتُ كمن يَسألُه أن يقومَ على عباده، أي يُصلح أُمورَهم وهو قائمٌ قد فعلَ ما يُرَاد منه. ومِن هذا اللفظ أُخِذ « القَيُّوم » أي الذي يَقُوم على العِباد، وليس هو من القِيَام الذي هو ضد القُعُود، لأنّ الله ـ تعالت قدرتُه ـ لا يُوصف بذلك، ولكن أصل الكلمةِ من اللفظ المبتذل بين العامةِ، إلاّ أنّ المجازَ وقعَ فيها، إذا كان المُهْتَمُّ بالشيء يحتاج إلى القيام فيه، ثم قيل للرئيس هذا أمرٌ يلزمك أن تقوم به، أي تُغني وتَكْفي وإن لم يكن ثَمَّ قِيَام، ويقال فلان يقوم بعِيَاله، أي ينهض بشؤونهم وما يحتاجون إليه.

(١) ويروى « تُعْقِبَ الأيامُ »: أي عسى وطنٌ يدنو بهم، فنشتفي بالقُرْب منهم؛ وقوله « فربما » أي فربما دَنَا البعيدُ، وأعتبَ الساخطُ.

(٢) أي كان مُزيَّناً بمن فيه، ثم خَلَتْ فأعجمَتْ على الناظِر فلا يَرى فيها أحداً.

(٣) أي تَغَيَّرَ فصار الطرفُ يُرَدُّ عنهم لسوءِ المنظر، وقد كان في الدهر الأول يَرِدُّ الطرفَ مُكْرَماً، كأنّه يكرمه بما يَرَى فيه من الحُسْن والبَهْجَة والمهابة، ويجب أن يكون (مُفْعَلة) مِن الهَوَان، لأن =

٤ تبدَّلَ غاشِيهِ بريمٍ مُسَلِّمٍ — تَرَدَّى رداءَ الحُسْن طَيْفاً مُسَلِّمَا

٥ ومِنْ وَشْيِ خَدٌّ لم يُنَمْنَمْ فِرِنْدُه — مَعَالِمَ يُذْكِرْنَ الكِتَابَ المُنَمْنما

٦ وبالحلْيِ إنْ قَامَتْ تَرَنَّمَ فَوْقَها — حَماماً إذا لاقى حَمَاماً تَرَنَّما

٧ وبالخَدْلَةِ السَّاقِ المُخَدَّمةِ الشَّوَى — قَلائِصَ يَتْبَعْنَ العبَنَّى المُخَدَّما

٨ سَوَارٍ إذا قاتَلْنَ مُمْتَنِعَ الفَلا — جَعَلْنَ الشِّعَارَيْنِ الجَدِيلَ وشَدْقَما

٩ إلى حَائِطِ الثَّغرِ الذي يُورِدُ القَنا — مِنَ الثُّغْرَةِ الرَّيَّا القَلِيبَ المُهدَّما

= الإهانة ضد الإكرام.

(٤) أي صار عِوَضَ من كان يغشاه.

(٥) أي تَبدَّل رُسُوماً قد نَسخَتها الرياح، فصارت فيها طرائقُ كأنّها كُتُب، و« لم يُنَمْنَمْ » أي لم يُخطّ.

(٧) « الشَّوَى » الأطراف كاليدين والرِّجلين، و« المُخَدَّم » الذي فيه الخَدَمة، وهو الخَلْخال، و« العَبَنى » الجمل الضخم الشديد، و« المُخدَّم » من الإبل الذي قد شُدَّت في أرساغه سُيورٌ إلى نِعَاله، قال الراجز:

فَرُبَّ فَيْنانٍ تَمِيلُ لِمَمُهْ
ذِي غُسَنَاتٍ قد دَعاني أحزِمُهْ
على جُلاَلٍ عَجُزٍ مُخَدَّمُهْ!

أي رُبَّ شابٍ دعاني أن أربِطَه على جملٍ لِلنُّعاسِ الذي أخذَه.

(٨) قد جَرَتِ العادةُ ممّن يُقاتل أن يكون له شِعارٌ يتميَّز به من العدوّ، وهو شيء يدعو به في الحرب، مثل أن يقول يالَ كلابٍ، أو يالَ نُمَير، أو غيرَ ذلك من الكلام الذي يُصطَلح عليه، قال الشاعر في صفة الجيش:

زَجِلُ الأصواتِ حتّى ما بِهِ — لبْسَ شَتَّى خِرَقِ القَوْمِ شِعَارُ

ويقال، فلان ما له شِعارٌ إلاّ كذا: أي يذكره كثيراً كما يذكر المحاربُ شِعارَه لِيُشعر بمكانه أصحابه، وهو مِن شَعَرْتُ أي علمتُ. فكأنّ هذه الرَّواحِلَ قد جعلت شعارَها في قَطْعِ الفلاةِ، أنها تُنْسَب إلى جَدِيل وشَدْقَم، كما يذكر المحاربُ جَدَّه الأكبر وقبيلتَه.

(٩) « ثُغْرَة النحر » المكان الذي كأنّه مَثْغَرٌ فيه، لأنّ التَّراقِيّ حولَه مثل الحائِط، ويعني « بالقليب المُهدَّم » الطعنَة، و« حائط الثغر »: حافِظُه، أي يُورد الرُّمْحَ نَجيعَ الجَوْف.

١٠ بسَابغ مَعْروف الأمير مُحَمَّدٍ حَدَا هَجَمَاتِ المَال مَنْ كانَ مُصْرِما
١١ وحَطَّ النَّدى في الصَّامِتيِّينَ رَحْلَه وكانَ زَمَاناً في عَدِيٍّ بن أخْزَما
١٢ يرَى العَلْقَمَ المَأْدُومَ بالعِزِّ أرْيَةً يمانِيَةً والأريَ بالضَّيْم عَلقَمَا
١٣ إذَا فَرشُوهُ النَّصْفَ ماتتْ شَذَاتُه وإن رتعُوا في ظُلْمِهِ كانَ أظلَما
١٤ لقَدْ أصبحَ الثَّغْرَان في الدِّينِ بَعْدَمَا رَأَوْا سَرعَان الذُّلِّ فَذّاً وتَوْءَمَا
١٥ وكنتَ لِنَاشيهمْ أباً ولِكَهْلِهِمْ أخاً ولِذِي التَّقويس والكَبْرَة آبْنَما
١٦ ومَنْ كان بالبيض الكواعِبِ مُغْرَماً فمَا زلْتَ بالبيض القَواضِبِ مُغْرما
١٧ ومَنْ تَيَّمت سُمْرُ الحِسَان وأُدْمُها فمَا زلْتَ بالسُّمْر العَوالي مُتَيَّمَا

---

(١٠) و(١١) «الهَجَمات» من الإبل: جمع هَجْمة، وهي ما بين السِّتين إلى المائة، و«المُصْرِم» الذي له صِرْمة، وهي مِن بِضْع عشرةَ إلى عشرين، وقد يقال للفقير مُصْرِم وإن لم يكن له إبل. وقوله (حَدَا هجماتِ المال) كنايةٌ عن أنه صار يملك مالاً كثيراً. و«الصَّامِتِيُّون» رهط هذا الممدوح لأنه من بني الصَّامت، و«أخزم» أحد جُدود حاتمٍ الطائيّ. يريد أنّ هذا المعنيّ صار يُضرب به المثلُ في الجود، وإنما كان في قديم الزمان يُضرب بحاتم.

(١٢) «الارْيَة» واحدةُ الأرْى، وهو العَسَل، وقلّما تُستعمل هذه الكلمةُ مُوحَّدةً، و«مَأْدوم» مخلوط، يريد أنّ هذا الممدوح يَحْسِبُ أنّ المرارةَ حلاوةٌ إذا أدَّتْه الى العِزّ. ووصفَ الأرْيَ باليمانية لأنّ النحل تَعْسِلُ في جبال السَّراةِ، وهي باليمن.

(١٤) أي أصبح هذا الممدوح سِدَاداً لهذين الثغرين، بعدما رأوا من الكُفّار عَدْواً عليهم وإذلالاً. و«سَرَعان» كلّ شيءٍ: أوّلُه.

(١٥) قوله (لِذي التقويس) يقال قَوَّسَ الرجلُ إذا انحنَى من الكِبَر، و«الكَبْرَة» بفتح الكاف: في معنى كِبَر السِّن، قال الشاعر:

وكأنّه بازٍ عَلَتْه كَبْرةٌ يَهْدي بشِكَّتِهِ الرَّعِيلَ الأوّلا

يصف رجلاً. ويقال هذا ابنُك وابنُمك، يزيدون الميم، ويَضمُّون النونَ في الرفع، ويفتحونها في النصب، ويكسرونها في الخفض، قال الهُذليّ:

فلا أعرِفَنَّ الشيخَ يُصبِحُ قاعِداً بأوْحدَ لا عَبْدٌ لديه ولا ابنُمُ

وقال الراجز: ولم يَلِجْها حَزَنٌ على ابنمِ: وقال المُتَلَمِّس:

وهَلْ ليَ أُمٌّ غيرُها إنْ تَركتُها أبَى اللهُ إلاّ أن اكونَ لها ابنَمَا!؟

(١٦) [البيض الأولى النساء والثانية السيوف. والكواعب: جمع الكاعبة وهي التي نهد ثديها].

١٨	جَـدَعْتَ لَهُمْ أَنْفَ الضَّـلال بـوقْعَةٍ	تَخَـرَّمتَ في غَمَّائِهـا مَنْ تَخـرَّمَـا
١٩	لَئنْ كـانَ أمسَى في عَقَرْقُسَ أجدَعـا	لَمِنْ قَبْـلُ مـا أمسَى بمَيْمَـذَ أخـرَمَـا
٢٠	ثَـلِمْتَـهُـمُ بـالـمشْـرَفـيِّ وقلَّمـا	تَـثَـلَّمَ عِـزُّ الـقَـوْمِ إلاَّ تَـهَـدَّمـا
٢١	قَـطَعْتَ بَنـانَ الكُفْـرِ مِنهمْ بمَيْمَـذٍ	وأتبَعْتَهـا بـالـرُّومِ كفّـاً ومِعْصَمَـا
٢٢	وكم جَبـلٍ بـالبـذِّ مِنْهُمْ هـدَدْتَـه	وغـاوٍ غـوَى حَلَّمْتَـه لَـوْ تَحَلَّمـا!
٢٣	ومُقْتَبَـلٍ حَلَّتْ سُيُـوفُـكَ رَأْسَـهُ	ثَغـامـاً ولـوْلا وقْعُهـا كـانَ عِـظْلِمَـا

---

(١٨) «تَخَرَّمتَ» و«أخرمتَ» واحدة، أي قطعتَ رأسَه، «وتَخَرَّم» دخلَ في الخُرَّميَّة، يعني بابَكَ وأصحابَه.

(١٩) «أخرَم» مِن خَرْم الأنفِ، وهو أن يزول ما بين المَنْخِرَيْنْ، وقد يُستعمل في الأُذن أيضاً إذا انخرَم ثَقْبُها الذي يُجعل فيه القُرْط، ويُخَصّ به الأنفُ ها هنا، لِتقدُّم ذِكْرِ الجَدْع. و«عَقَرْقُسٍ» على وزن سَفَرْجُل بضم الجيم، وهو اسم موضع أعجمي، وهو يشابه في الوزن قولهم كَنَهْبُل لضربٍ من الشجر، وفيه اختلاف، فقومٌ يجعلون نونَه زَائدة، وقومٌ يجعلونه بِناءً من الأُصُول، وكلا الوجهين يحتمله القياس، ولو أن «عَقَرْقُس» اسمٌ عربيٌّ لم يُحكم على أحَدِ قافَيْه بالزِّيادة في مذهب أصحاب التصريف، كما لم يُحكم على أَحَدِ داليْ «دَرْدَب» وقافَيْ «قَزْقَم» بالزِّيادة، وهو رأيُ المتقدمين، وقد يجوز أن يُدَّعى في «دَرْدَب» أنّ أحدَ دَالَيْه زائدةٌ. و«مَيْمَذ» اسم أعجميّ وليس يُوافِق شيئاً من أسماء العربية لأنّ «المَمَذَ» ليس بمستعملٍ، فيكون من باب كَوْكبٍ، ولا «اليَمَذُ» بمعروفٍ، فيُجعَل من باب (مَفْعَل).

(٢٠) أي قلّما ضُرِبَ إنسانٌ بالسيف إلاَّ تَلِفت نفسُه.

(٢٢) أي وكافرٍ باغٍ طَغَا، فقَوّمتَه بالسيف.

(٢٣) «حَلَّتْ» مِن التّحلية، يُريد أنّ المقتبَل وهو الشابُّ، شَيَّب رأسَه خوفُ سُيوفِه، فصار كالثَّغام، ولولا ذلك لكان عِظْلِماً أي مثل العِظْلم وهو شيء يُصبَغ به، فربما استُعمِل في الحُمْرة، وربما استعمل في السَّواد، ويدلُّ على أنه ها هنا في معنى الأسود، ما حكاه يعقوب بن السّكيت من أنهم يقولون ليل عِظْلم، ووَصْفُهم الليلَة بذلك يدل على أنهم يريدون؛ السَّواد، وأنشد:

وليـلٍ عِظْلـمٍ عَـرَّضـتُ نفسـي   وكنـتُ مُشَيَّعـاً رَحْـبَ الذِّراعِ

فأما قولُ عنترةَ: ★خُضِبَ البنانُ ورأسُه بالعِظْلِم★ فيجوز أن يعني به الأحمر والأسود لأن الدمَ قد يضرب إلى السواد، لا سيّما إذا اجتمع في الجسد. وهذا البيتُ الذي للطائيّ إذا لم يُوصل بما بعده، كان على ما فُسّر، واحتمل أن يُراد «بالعِظْلم» الحُمْرة، لأن شُعور الرُّوم وغيرهم من=

٢٤ فلمَّا أَبت أحكَامَه الشَّيْبَةُ اغتَدَى قَنَاكَ لما قدْ ضيَّعَ الشَّيْبُ مُحكَمَا

٢٥ إذا كُنْت لِلألْوَى الأصَمِّ مُقَوِّماً فأَوْرِدْ وَرِيدَيْهِ الأصمَّ المُقوَّما

٢٦ ولمَّا التقى البشْرَانِ أنقعَ بِشْرُنا لِبِشْرِهِم حَوْضاً مِنَ الصَّبْرِ مُفْعَما

٢٧ وسَاعدَه تحتَ البيَاتِ فَوارسٌ تَخَالُهمُ في فحْمةِ اللَّيلِ أنْجُما

٢٨ وقد نَثَرتْهُمْ رَوْعةٌ ثمَّ أحدَقُوا به مثْلَما أَلَّفْتَ عِقْداً مُنَظَّما

٢٩ بسافِر حُرِّ الوَجْهِ لَوْ رَامَ سوْءَةً لَكانَ بجلبابِ الدُّجَى مُتَلثِّما

٣٠ مَثَلْتَ لهُ تحتَ الظَّلامِ بِصُورَةٍ عَلى البُعْدِ أقنَتْهُ الحَيَاءَ فَصَمَّما

= الأعاجم شُقْر، وكأنه أراد أنه لولا السُّيوفُ لكان شعرهُ كشعر غيره من بني أبيه، لأنهم شُقْر، وقد جاء بعده ببيت في روايته اختلاف، وهو (البيت التالي).

(٢٤) ويُروَى «فلمّا أبَتْ أحكامُه السُّنَةَ اغتَدَى» فهذا يَدلُّ على أنه نحا نحوَ قوله.

بِسُنَّةِ السيفِ والخَطِّيِّ مِن دَمِهِ لا سُنَّةِ الدينِ والإسلامِ مُخْتَضِبِ

(٢٥) إذا عَبَّروا عن «الألوَى» قالوا هو الشديد الخُصومة، وحقيقة «الألْوَى» هي الالتواءُ عن الخُصومة وغيرِها. و«الأَصَمُّ» في أول البيت يُراد به الذي لا يسمع العَذْلَ ولا يُصغي إليه، ولا يعنى به الصَّمَمَ في الأُذن، وهذا على إرادة التشبيه ثم حذف آلَتْ على المجاز، و«الأَصَمُّ» الثاني هو الرُّمْح الذي ليس بأجوف.

(٢٦) «بِشْرٌ» صاحِبُه، و«بشرٌ» صاحِبُ عدوّه.

(٢٧) «البَيَات» أن يُبَيِّتَ القومُ العدوَّ، أي يُوقعوا به ليلاً. و«فَحْمة الليل» تُستعمل بسكون الحاء وحركتها، والأصل الحركة، وكذلك الفَحَم الذي يُوقَد، الأجود فيه تحريك الحاء، ويجوز فيه الإسكان، قال الراجز:

★وقاتلوا لو ينفُخُونَ في فَحَمْ★

وقال آخر:

فِداءٌ أبي للحضرميِّ بن عامرٍ وأمِّي على ساقٍ وما ولدَتْ أُمِّي

تَردَّى رداءَ الحربِ حتّى كأنّما تَلبَّسَ قاراً أو تَلَفَّعَ في فَحْمِ

(٢٨) و(٢٩) شَبّه اجتماعهم إليه بعد النَّفْرة بانتظام الخرز. «بسافِر»، أي كاشف، اي لو كان بِشْرٌ هذا لا يريد المُدافَعةَ عن الإسلام وأهلِه، لَهَرَبَ ولم يُخاطِرْ بنفسِه.

(٣٠) (ق): يَصِفُ هَيْبَتَه في قُلوب أصحابِه وأوليائه، وشدّةَ احتشامهم له، وبَذْلهم الوُسْعَ فيما يُكْسِبهم إحمادَه في حالتَي القُرب والبعد، فيقول: هذا الشجاعُ لمّا اقتحمَ الحربَ وتسلّطت عليه الأوجال =

٣١ كَيُوسُفَ لَمَّا أنْ رَأى أَمْرَ رَبِّهِ وقَدْ هَمَّ أن يَعْروريَ الذَّنْبَ أحْجَمَا

٣٢ وقَدْ قَالَ إمَّا أن أُغَادَرَ بَعْدَها عَظِيماً وإمَّا أن أغادَرَ أعظُمَا

٣٣ ونِعْمَ الصَّرِيخُ المُسْتَجاشُ مُحَمَّدٌ إذا حَنَّ نَوْءٌ لِلمَنايا وأرزَما

٣٤ أشَاحَ بِفِتْيَانِ الصَّباحِ فأكرَهُوا صُدُورَ القَنا الْخَطِّيِّ حتَّى تَحَطَّما

٣٥ هُو افتَرَعَ الفَتحَ الذي سَارَ مُعْرِقاً وأنجَدَ في عُلو البِلادِ وأتْهَمَا

٣٦ لَهُ وقْعةٌ كانتْ سَدىً فأنَرْتَها بأُخْرَى وخَيْرُ النَّصْرِ ما كانَ مُلْحَمَا

٣٧ هُما طَرَفا الدَّهْرِ الذي كان عَهدُنا بأوَّلِهِ غُفْلاً فقد صَارَ مُعْلَما

٣٨ لقَدْ أذكرَانا بأْسَ عَمْرٍو ومُسْهِرٍ ومَا كانَ مِنْ إسْفِنْدِيَاذَ ورُسْتَما

٣٩ رأى الرُّومُ صُبْحاً أنَّها هيَ إذْ رَأَوْا غَداةَ التَقَى الزَّحْفَانِ أنَّهما هُما

= المُقرِّبَةُ في الظنّ إلى الآجال، وجاشَتْ نفسُه بما ضَيّق نفسَه، تَصوَّرَك على البُعْد، وأخطرَك بباله، وتَذكّر حالَه معك لو حَضَرك بعد ما نَكَص في الحرب على عَقِبَيْه، فاحتشم وأبلَى وَردّ نفسَه على ما كَرِهَتْه، وثَبّت جَنانَه، وصَمّم في المقاتلة وجَدّ.

(٣١) «يَعْرَوْرِيَ» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من عَرَوْتُ الأمرَ إذا أتيته، والآخر أن يكون من قولهم اعرَوْرَيتُ الدَّابةَ إذا ركبتَها عُرْياً، إلاّ أن هذه الكلمة وقعَ فيها اتّساعٌ فقالوا أعرورَى المَفازَةَ إذا ركبَها.

(٣٢) أي إمّا أن أَهلِكَ فأكونَ قد أبليتُ العُذْرَ عندك، أو أكونَ عظيما عندك.

(٣٣) محمد هذا هو محمد بن مُعاذ، قائد جليل من قواد الممدوح.

(٣٦) «السّدَى» ضد اللُّحمة، وهذا مستعار من سَدَى الثوب ونِيرِه ولُحْمتِه، والغرضُ معروف، وإنما يُريد إحكامَ الأمرِ، والمبالَغة فيه.

(٣٧) «طَرَفَا الشيءِ» جانِباه، و«الغُفْل» الذي لا علامة فيه.

(٣٨) «عمرو» يعني به عمرو بن مَعْدي كَرِب «ومُسْهر» هو المُسهر بن عمرو من بني الحارث بن كعب، فقَأَ عينَ عامرِ بن الطُّفيل في يوم فَيْفِ الرِّيح، «وإسفندياذ» و«رستم»: فارسان مشهوران من الفُرْس.

(٣٩) «أنّها هي» يعني المنيَّة، وهذا كلام يستعمله العامةُ كثيراً، إذا أشْرَفَ على الرجل منهم أمرٌ قال: هِيَ هِيَ، أي هذه القصة هي المنيّة التي تُنتَظر، قال زهير:

رَأَيتُهم لم يدفعوا بِنُفوسهم مَنِيَّتَهُ لمَّا رأوْا أنّها هِيَا

وقوله «أنّهما هُمَا» المعنى أنّ هذين الرجلين هما الرئيسان المذكوران. ومَجيئُه بالألف قبل الهاء في =

٤٠ هِزَبْرَا غَـريفٍ شَدَّ مِنْ أبهَـريْهِما ومَتْنيهمـا قُرْبُ المُـزَعْفَـرِ مِنْهُمـا
٤١ فـأُعـطِيتَ يَـوْمـاً لَـو تَمَنَّيْتَ مِثْلَه لأعجَـزَ رَيْعَـانَ المُنى والتَّـوهُّـمـا
٤٢ لَحِقْتَهمـا في سَـاعَـةٍ لَوْ تَـأخَّـرَتْ لقَـدْ زَجَـرَ الإسلامُ طـائِـرَ أشْـأما
٤٣ فلَوْ صَحَّ قَوْلُ الجَعْفَـريَّـةِ في الـذي تَنُصُّ مِنَ الإلهَـامِ خِلْنَـاكَ مُـلْهَمـا
٤٤ فـإِنْ يَـكُ نصْـرَانِيّـاً الـنَّهْـرُ آلِسٌ فقَـدْ وَجَـدُوا وَادِي عَقَـرْقُس مُسْلِما
٤٥ بـهِ سُبتُوا في السَّبْتِ بـالبيض والقَنا سُبَـاتـاً ثَـوَوْا مِنـه إلى الْحَشْرِ نُـوَّما
٤٦ فَلَوْ لَمْ يُقَصِّـرْ بـالعَـرُوبَـةِ لَم يَـزَلْ لنَـا عُمْـرَ الأيـامِ عِيـداً ومَـوْسِمـا

= قوله «أنهما هما» رديء في حُكْمِ القافية، لأن العادة جَرَتْ إذا جاءت الألفُ في هذا الموضع، بأن تكون الأبياتُ كلُّها كذلك، إلّا أنّ مثل هذا جائز، وقد تكلّم فيه المتقدّمون.

(٤٠) «الأبْهر» عِرْق في الظهر إذا قُطعَ هَلَكَ صاحِبه، وإذا وُصِفَ الرجل بالشدّة قيل هو شديد الأبهر، كما يقال هو شديد الأخدع، أي لا يغلب [ق] وعني «بالمُزعْفر» الأسد، لأن في لونه صُفرة، قال أبو زُبَيْد الطائيّ★ فهذا وربّ الرّاقصاتِ المزعْفَرُ★ وأراد «بالهِزَبْرين» صاحبين للممدوح، كانا دُفعا في الحرب إلى مضيق، فأنقذهما منه، وأيّدهما الممدوح. «والغَرِيف» الأجمة.

(٤٢) أي لحقتَ بِشْراً ومحمداً في ساعةَ هَمّا بالانهزام. «وطائر أشأم» أي طائر أمرٍ أشأم، فأُقيمت الصفة مقامَ الموصوف. قال زهير:

فَتُنتِـجْ لكـم غِلْمـانَ أشـأمَ كلُّهُـم كـأحْمَـرِ عـادٍ ثـمّ تُـرْضِـعْ فتَفْطِـم

(٤٣) (ع): «الجعفرية» أراد بهم قوماً من الشيعة، يغلون في جعفر بن محمد، فيزعمون أنه يُلْهَم الأشياء فيعلَمها، وكذلك يعتقدون في أئمتهم أنهم يعلمون الغَيْب.

(٤٤) «نهر آلِس» و«وادي عقرقس» موضعان في بلاد الروم، فكأنهم نُصِروا يوم نَهْر آلِسَ، ونُصِرَ المسلمون يوم وادي عَقَرْقُس.

(٤٥) «السُّبَات» ألّا يكتفي الإنسانُ بالنوم، وإذا نُبّه لم تنكشف النَّعْسَة عنه، يقال رجل مَسْبُوت، وإنما يعني «بالسُّبات» ها هنا المَوْت: أي أنهم قُتلوا فناموا إلى يوم الحَشْر.

(٤٦) «العُروبة» يوم الجمعة، تُستعمل بالألف واللام وبحذفهما، فإذا حذفتا «فعَروبةُ» غير مصروفةٍ في المعرفة. يقول: كانت هذه الوقعة في يوم السبت، فلولا أنّا مسلمون نُعظِّم الجمعة، ونجعلها كالعيد، لاتخذنا السبت موسماً وعِيداً إلى الحشر، ولكنا خشينا أن يُقصِّرَ السبتُ بالجمعة. «وعُمرَ الأيام» ينتصب على الظرف.

٤٧ وما ذكر الدَّهْرُ العَبُوسُ بأنَّه　　لَه ابنٌ كيَوْمِ السَّبْتِ إلَّا تبسَّما
٤٨ ولَمْ يَبْقَ في أرضِ البقَّلار طائرٌ　　ولا سَبُعٌ إلَّا وقَدْ بَاتَ مُولِما
٤٩ ولا رَفَعُوا في ذلكَ اليَوْم إِثْلِباً　　ولا حَجَراً إلَّا رأَوْا تَحْتَه دمَا
٥٠ رُمُوا بابن حَرْب سَلَّ فيهمْ سُيُوفَه　　فكانَتْ لنا عُرساً وللشِّرْكِ مَأْتَما
٥١ أفَظُّ بَني حَوَّاءَ قَلْباً عليهمِ　　وَلَمْ يَقْسُ مِنْه القَلْبُ إلَّا لِيُرْحَمَا
٥٢ إذَا أجرَمُوا قَنَّا القَنا مِنْ دِمَائهم　　وَإنْ لَمْ يَجِدْ جُرْمَا عليهم تَجَرَّما
٥٣ هُوَ اللَّيثُ لَيْثُ الغَابِ بَأساً ونَجْدَةً　　وإنْ كانَ أحْيَا مِنْه وَجْهاً وأكرَمَا
٥٤ أشَدُّ ازدِلافاً بينَ دِرْعَينِ مُقْبِلاً　　وأحسَنُ وَجْهاً بينَ بُرْدَيْنِ مُحْرِما
٥٥ جَدِيرٌ إذا ما الْخَطْبُ طَالَ فلَمْ تُنَلْ　　ذُؤَابَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ السَّيْفَ سُلَّما
٥٦ كَريمٌ إذا زُرْنَاهُ لَمْ يقتَصِرْ بنا　　على الكَرمِ المَوْلُودِ أوْ يَتَكَرَّمَا
٥٧ تَجَشَّمَ حَمْلَ الفَادِحَاتِ وقَلَّما　　أُقِيمَتْ صُدُور المَجْد إلَّا تَجَشُّما
٥٨ وكنتُ أخَا الإعدَامِ لَسْنَا لِعَلَّةٍ　　فَكَمْ بكَ بَعْدَ العُدْمِ أغْنَيْتُ مُعْدِما
٥٩ وإِذْ أَنَا مَمْنُونٌ عَليَّ ومُنْعَمٌ　　فأصبَحْتُ مِنْ خَضْرَاءِ نُعْمَاكَ مُنْعِما
٦٠ ومَنْ خَدَمَ الأقوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ　　فإنِّي لَمْ أخدِمْكَ إلَّا لأُخدَمَا!

---

(٤٨) «مُولِماً» من الوليمة، كأنه أراد أنّ عِيد كلِّ واحد مِن هؤلاء دعوةٌ من لحوم هؤلاء.

(٤٩) [الإثلب: التراب والحجارة].

(٥٢) (العبديّ): ليس قولنا «قنّا القَنَا» مِن المُجَانَف وذلك أن أصلَه قَنَّأَ بالهمز، من قولك أحمرُ قانيء، والوجه أن يكون من التجنيس، لأنه لما خفّف الهمزة من «قَنَّأ» صار تجنيساً في اللفظ.

(٥٤) «أشدّ ازدلافاً» أي اقتراباً إلى العدو.

(٥٦) أي لا بدّ له إذا زرناه أن يتكلّف كرماً زائداً، ولا يقتصر على كرمه المطبوع فيه.

(٥٨) يقول كنتُ أنا والإعدام أخوين، «لسنا لعَلّة» أي لِضَرَّة، والأخوان إذا كانا لأبٍ وأُمٍّ كانا أجدَر بمودّةٍ وائتلاف، قال الشاعر:

أي في الولائم أولاداً لواحدة　　وفي الحفيظة أولاداً لِعَلّات!

يقول: فأغنيتَني حتى صرتُ أُنعِمُ على الناس من فضل عطائكَ ومعروفك.

وقال يمدحه ويَستهديه مَرْكوباً [من الكامل] :

١ قُلْ لـلأميـر أبي سَعِيدٍ ذي النَّـدَى والـمَـجْـدِ زَادَ الـلَّـهُ فـي إكــرامِــهِ
٢ يـا وَاهِبَ العِيسِ الهَمُـوس بـرَحْلِهـا والأعـوجـيِّ بسَـرْجِـه ولِجَـامِــهِ
٣ والحـامِـلَ الاقــوامَ فـوقَ سَـلاهِبٍ والحَـاكِـي الـرِّئـبَـالَ في إقـدامِـهِ
٤ والواهِبَ الصَّمصـامـةَ السيفَ الـذي يَجـري زُعافُ المَـوْتِ في إسْطَامِـهِ
٥ أنتَ المُبَـارِي الـريـحَ في نَفَحَـاتهـا والمُسْتَهِيـنُ مـعَ النَّـدى بمَلامِــهِ
٦ فمنَ آينَ أرْهَبُ أنْ يَـرَانـي رَاجــلاً أحَــدٌ ومــا أرجُــو سِـوَى أيَّــامِـهِ
٧ احمِـلْ هَـدَاكَ اللَّهُ رِجْلي يـا بنَ مَنْ جَــادَتْ يَــدَاهُ بنَهْـدِهِ وغلامِــهِ
٨ قُسِمَ الحَيَـاءُ على الأنـامِ جَمِيعِهِمْ فَـذَهَـبْـتَ أنـتَ فَقُـدْتَـهُ بـزمـامِـهِ
٩ وتَـقَسَّـمَ النَّـاسُ الـسَّخَـاء مُـجَـزَّأً وذهَبْـتَ أنـتَ بـرَأْسِـهِ وسَنَـامِــهِ
١٠ وتَــركْتَ لِلنَّاسِ الإهَـابَ ومـا بَقَى مِـنْ فَـرْثِـه وعُــرُوقِــهِ وعِـظَامِــهِ

---

(٢) هذا معنى قد تداوله الشعراءُ في الجاهلية والإسلام، قال النابغة:
يَهَـبُ الجَـوادَ بسـرجِـهِ ولجـامِـهِ والعيسَ تخطِـرُ باليمـانـي الكـامـل
أي الكامل بأداته، يعني الرَّحل اليماني «والهَموس» أراد بها التي لا يُسمع لوطئها صوتٌ إلاّ حَفِيًّا، وهذه الخلة من عادة الإبل، لأن الفَرَسَ وذواتَ الحافرِ يُسمع لوطئها وَقْشٌ لا يُسمع لذوات المَناسِم.
(٣) [السلاهب: جمع السلهب وهو الطويل من الخيل والناس. الرئبال: الأسد].
(٤) (ع): أهل اللغة يقولون سِطام السيفِ حدّه، وقال قوم «السِّطام» الحديد الخالص، ويقولون سَطَمْتُ السِّكينَ والسيفَ وغيرهما إذا حَدَدْته، وقد استعمله الطائيّ على أسطمتُه.
(١٠) [الإهاب: الجلد. الفرث: الأقذار. يقول إنّك أخذت من جمل العطاء أنفس ما فيه، أي الرأس والسنام، وتركت للناس الجلد والأقذار].

147

وقال يمدحه [من البسيط] :

١ أبا سَعِيدٍ تَلاَقَتْ عندك النِّعَمُ فأنت طَوْدٌ لنا مُنْجٍ ومُعْتَصَمُ

٢ لا زَالَ جُودُكَ يَخْشَى البُخْلُ صَوْلَتَه وزَالَ عُودُكَ تَسْقِي رَوْضَه الدِّيَمُ

٣ أشرفْتُ منْكَ على بَحْرِ الغنَى ويَدِي يَجُولُ في مُسْتَواهِا الفَقْرُ والعَدَمُ

٤ فسَوْفَ يُثْبِتُ رُكْنَ المَدْحِ فِيكَ أَخٌ لَوْلا رَجاؤُكَ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ قَدَمُ

٥ أحرَمْتُ دُونَك خَوْفَ النَّائباتِ فمَا شَككتُ إِذْ قُمْتَ دُونِي أنَّكَ الحَرَمُ

148

وقال يمدح ابن شُبانَة : أبا الحسين محمدَ بنَ الهَيْثَم [من الكامل] :

١ نَثَرتْ فَريدَ مَدامِعٍ لَمْ يُنْظَمِ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ

٢ وَصَلَتْ دُمُوعاً بالنَّجيعِ فخَدُّها في مثْلِ حاشِيَةِ الرِّدَاءِ المُعْلَمِ

٣ وَلِهَتْ فأَظْلَمَ كلُّ شَيءٍ دُونَها وأنارَ مِنها كلُّ شَيءٍ مُظْلِمِ

---

(٢) إذا صحّت هذه الرواية فقد حذف « لا » في قوله « وزَالَ عُودُك » لأنه أراد ولا زَال عودك، وحَذْفُها في هذا الموضع قليل، وإنما كثُر في القسم، كما جاء في الآية « تاللهِ تَفتأُ تذكُر يوسُفَ » أي تَفتأُ، ومثلُه كثير، فأما في مثل بيت الطائيّ فحَذْفها مفقود، لأنه يؤدّي إلى اللَّبْس.

(١) « المُغْرَم » العاشق، أي إذا بكى خَفّف عنه.

(٢) أي أسرفَتْ في البكاء حتى سالَ الدمُ من عينها موصولاً بالدمع، فكأنّ الدّمَ الأحمر في صَحْن خدّها الأبيضِ، عَلَم أحمر في حاشيةِ رداءٍ ابيض.

(٣) (ع) يريد أنه لمّا أصابَها الوَلَهُ اشتدَّ عليه ذلك، فأظلمَ كلُّ شيءٍ بينها وبينه، وهذا كلامٌ مستعمل، يقال فلان قال كذا وفعل كذا فاسودّ ما بيني وبينه. وقد يُؤدّي لفظُ الطائيّ معنىً آخر، وهو أنّ الأشياءَ أظلمتْ دونَها، أي غيرها، كما يقال افعلْ كذا بالقوم دون فلانٍ، أي افعلْه بهم غيرَ فلانٍ فلا تفعلْه به، وخُذْ هذا المالَ دون فلانٍ، أي لا تُعْطِه منه شيئاً. وقوله « وأنارَ منها كلُّ شيءٍ =

٤ وكأنَّ عَبْرَتَها عَشِيَّة وَدَّعَتْ مُهْرَاقَةٌ مِنْ ماءِ وَجْهي أوْ دَمِي
٥ ضَعُفَتْ جَوَارِحُ مَنْ أذَاقَتْهُ النَّوَى طَعْمَ الفِراقِ فَذَمَّ طَعْمَ العَلْقَمِ
٦ هيَ مِيتَةٌ إلاَّ سَلامَةَ أهْلِها مِنْ خَلَّتَيْن: مِنَ الثَّرَى والمَاتَمِ
٧ إنْ شِئْتَ أنْ يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كلُّه فأَجِلْهُ في هذا السَّوادِ الأعظَمِ!
٨ ليسَ الصَّديقُ بمَنْ يُعِيرُكَ ظاهِراً مُتَبَسِّماً عَنْ بَاطِنٍ مُتَجَهِّمِ

= مظلِم» أي من حُسْنها تُضيء الأشياءُ المظلمةُ، والدليلُ على أنَّ هذا البيت له صفة ما لَحِقَه من الوَجْد لِوَلَهِ هذه المذكورة، قوله في البيتِ الذي يليه:

(٤) (ق): يقول: لمّا جَزِعَتْ لِفراقي اشتدَّ جزعُها عليّ، وأظلمَ كلُّ شيءٍ في عَيْني سواها، وبان لي وَوَضَحَ مِن مكنون وُدِّها لي ما كان مُغَيَّباً عني ومُظلماً عليّ، ويجوز أن يكون المعنى: ارتاعَتْ لمّا أحسَّتْ بالفراق وتولَّهتْ، فألقَتْ قِناعَها فأظلَم كلُّ شيءٍ دونَها لِسَوادِ شعرها، وأنارَ كلُّ شيءٍ مُظلمٍ مِن بياض وجهها. والأوّلُ أصحُّ وأجودُ.

(٥) (ع): «الجَوَارِح» في الأصل هي الكَوَاسِبُ، يقال فلانٌ جَارِحَةُ أهلِهِ: أي كاسِبُهم، وقيل لليدين والرِّجلين والقَلب والسمع والبصر جوارح، لأنهن يَكْسِبْنَ المآثم ويُتوصَل بهنّ إلى المكاسب في الحياة. وجعل الطائيّ اللسَانَ من الجوارح وهو منها لا ريب، لأنه إذا أخطأ كَسَبَ الإثم، والمنفعةُ به عظيمة في الدّار العاجلة، وبه يكون التَّطعُّمُ. والمعنى: أنّ الذي يَذُوق طعمَ الفِراق ثمَّ يَذُمُّ طعمَ العلقم فقد ضَعُفَتْ جَوارِحُه، لأنه لا يُفرّق بين الأشياء، أي أنّ الفِراقَ أشدُّ مرارةً من العلقم. ويقع في النسخ «ضعفت جَوَانِحُ»، والصواب «جَوَارح»، والتفسيرُ يَدلُّ عليه.

(٦) «هي مِيتَةٌ» يعني مرارةَ الفراق، إلاّ أنّ أهلها يَسْلمون مِن الدَّفْن الذي يُباشرون فيه الثَّرَى، ولا يُقَام عليهم المأتمُ، اي على الأموات.

(٧) يعني «بالسَّوَاد الأعظم»: العالم الآدميّ، وأصلُ «السَّوَاد» الشخص، وهذا نحو قولهم دخل في دَهْماء الناسِ: أي معظمهم لأنّ الدُّهْمَةَ السَّواد، ولذلك قالوا جَنانُ المسلمين أي سَوادُهم، لأن الجَنَان ظُلْمةُ الليل، قال ابن أحمر:

جَنَانُ المسلمينَ اوَدُّ مَسًّا وإنْ جَاوَرْتَ أسْلَمَ أو غِفَارَا

وقال أيضاً:

لو كنتَ بالطَّبَسَيْنِ أو بالإلَةِ أو بَرْ بَعِيصَ مع الجَنَانِ الأسْوَدِ

[ص] يقول: إن شئتَ ألاّ تظنَّ بأحدٍ خيراً فاختَبِرْه، فإنكَ تجده دون ما ظَنَنْتَ من الناس جميعاً.

٩ فلْيُبْلِغِ الفِتْيانَ عنّي مالِكا ... أنّي متى يتثلّموا أتهدّمِ

١٠ ولْتعْلَم الأيّامُ أنّي فُتُّها ... بأبي الحُسَيْنِ مُحمّدِ بن الهَيْثَمِ

١١ بأغرَّ ليْسَ بتَوْأمٍ ويَمينُه ... تَغْدُو وتَطْرُقُ بالنّوال التَّوْأمِ

١٢ قد قُلْتُ لِلمُغْتَرِّ مِنْهُ بصَفْحِهِ ... وأخُو الكَرَى لَوْ لَمْ يَنَمْ لم يَحْلمِ

١٣ لا يُلْحِمَنَّكَهُ تَحَلُّمُهُ فقَدْ ... يُودِي بكَ الوادِي ولَيْسَ بمُفْعَمِ

١٤ حَدَتِ الوُفُودُ إلى الجَزِيرةِ عِيسَها ... مِنْ مُنْجِدٍ بمَحَلِّهِ أوْ مُتْهِمِ

١٥ فكأنَّما لَوْلا المَناسِكُ أشْرِكَتْ ... ساحَاتُها أوْ أوثِرَتْ بالمَوْسِمِ

١٦ وكأنَّهُ مِنْ مَدْحِهِمْ في رَوْضَةٍ ... وكأنَّهُمْ مِنْ سَيْبِهِ في مَقْسَمِ

١٧ كَلِفٌ بِرَبِّ المَجْدِ يَزعُمُ أنَّه ... لَمْ يُبْتَدَأْ عُرْفٌ إذا لم يُتْمَمِ

١٨ نَظَمَتْ لَهُ خَرزَ المَدِيحِ مَكارِمٌ ... يَنْفُثْنَ في عُقَدِ اللِّسانِ المُفْحَمِ

١٩ في قُلِّهِ كُثْرُ السِّماكِ وإنْ غَدا ... هَطِلاً وعَفْوُ يَدَيْهِ جُهْدُ المِرْزَمِ

---

(٩) أي لا أُبالي بهم مع الممدوح.

(١١) قد كَثُرَ تَرَدُّدُ هذا المعنى في شعر العرب، وذلك أنهم يَذمُّون التّوءَمَ من الرِّجال، لأنهم ينسبونه إلى نقصٍ في الخَلْق وضعفٍ في القوّة، يَرَوْنَ أنّ المُتْئِمَ مِن النِّساء قُسِمَ ولدُها اثنين، قال اليَرْبُوعيّ:

فقامَ فَتًى نَشْنَشِيُّ الذِّرا ... عِ ليسَ بِنِكْسٍ ولا تَوءَمِ

فذكَر الطائيّ في صَدْر بيته هذا المعنى، ثم شَفَعه بأنّ يَدَ الممدوح تُتْئِم في العطاء.

(١٢) و(١٣) أي مَن لم يُغْتَرّ لم يُقتَلْ، كما أنَّ مَن لم يَنَمْ لم يَحْلُمْ. وقوله «لا يُلحِمنّكه» أي لا يَجعلنّك حِلْمُه عنك لُحْمةً لسيفه، فإنَّ الحليمَ ربما بَطَشَ مِن غير غضبٍ، كما أن الواديَ قد يُهلك الإنسانَ وليس بملآن.

(١٥) [ص] يقول: لولا المَناسِكُ لكانت مُناخاً لمن سَبَقَ، ولَجُعِلتْ موسِماً.

(١٨) يقول مكارِمُه تُعلِّم العَيِيَّ المديحَ، «ويَنْفُثْنَ»: أي يُصْلحنه ويَرْقِينَه من الفَحَامَة، حتى ينطلقَ ويَستمِرَّ.

(١٩) «في قُلِّه» أي فيما قَلَّ من عطائه. و«السِّماكَ» «والمِرزَم» نجمان يُنسب إليهما المطر. ويروى «كَثْرُ السِّماكَ» مِن قولهم كاثرتُه فكثرتُه، أي كنتُ أكثرَ منه، وإذا رُوي كذلك فينبغي أن يرفع قوله (وعَفْوُ يديه) لأنه يصير مبتدأ، و«العَفْو» ما تَسَهّلَ من الأشياء، فجاء به مُضاداً لقوله (جُهْدُ المِرْزَم). ومَنْ روى «كُثْرُ السِّماكِ» بضم الكاف وسكون الثاء «فالكُثْر» ضد القُلّ، ويجب على=

٢٠ خَـدَمَ العُلى فخَـدَمْنَـه وهْيَ التـي | لا تَخْـدُمُ الأقـوامَ مـا لَمْ تُخْـدَمِ
٢١ وإذا انْـتَـمَـى فـي قُـلَّةٍ مِنْ سُـؤْدَدٍ | قـالَتْ لـه الأُخـرى بَلَغتَ تَقَـدَّمِ
٢٢ مـا ضَـرَّ أَرْوَعَ يَـرْتَـقي فـي هِمَّـةٍ | عَـلْيَـاءَ ألّا يَـرْتَـقـي فـي سُـلَّمِ
٢٣ يَـأبَى لِعِـرْضِـكَ أَنْ يُغَـادِرَ عُـرْضَـةً | مـا حَـوْلَـه مِنْ مـالِـكَ المسْتَلْحَمِ
٢٤ إنَّ التِّـلادَ عـلى نَـفَـاسَـةِ قَـدْرِه | لا يُـرْغِمُ الأَزَمَـاتِ مـا لَمْ يُـرْغَمِ
٢٥ لا يُسْتَطَالُ عَلى الخُطوبِ ولا تُرى | أُكْـرُومَـةٌ نِـصْـفـاً إذا لَـمْ يُـظلَمِ
٢٦ وصَـنِيعَـةٍ لَـكَ ثَيِّـبٍ أهـدَيْـتَـهـا | وهْيَ الكَعَـابُ لِعَـائِـذٍ بِكَ مُصْـرِمِ
٢٧ حَلَّت مَحَـلَّ البكـرِ مِنْ مُعْـطىً وقَـدْ | زُفَّـتْ مِنَ الـمُعْـطي زِفَـافَ الأَيِّـمِ

= صاحب هذه الرواية أن يخفض «عَفْوِ يديْه» لأنه يجعله معطوفاً على قوله «في قُلّهِ» وذلك الذي يُسمَّى العطف على عاملين، لأنه عطف على حرف الجر، وعلى الذي هو مرفوع بالابتداء عند أهل البصرة، وهو قوله «كَثْرُ السِّماك»، وإنْ رفعَ «عَفْوُ» على هذه الرواية فجائزٌ، ولا يُعطف الآخِرُ على الأوّل. ومَن رَوى «كُثُر» بضم الكاف والثاء جازت فيه ثلاثة أوجه: كونهُ في معنى كَثْر بالسكون كما يقال شُغْل وشُغُل، وتصييره جمع كثيرٍ كما يقال كريم وكُرُم وصَديق وصُدُق، والتأوّل فيه أنه جمع كَثُورٍ، من قولهم كَثَرَه فهو كاثِرٌ وكَثُور، على المبالغة، كما يقال ضارِبٌ وضَرُوبٌ وقاتِلٌ وقَتُول.

(٢٢) يقول: ما يَضُرُّ فَتًى ماضياً عَزْمُه إذا كانتْ له هِمَّةٌ سامية إلى معالي الأُمور، ألاّ يرتقي إليها بِسُلّمٍ، أي هِمَّتُه الساميةُ تُغنيه عن السُّلم.

(٢٣) أي تأبى أموالُكَ المعرّضةُ لمن أقبلَ وأدبرَ، لِعرْضك أن يُتعرض للوقيعة فيه، «والعُرضَة» كلُّ شيء جعلَته وقايةً للشيء، وعَرّضتَه للعَوارض تَعْتَرِضُ عليه متى شاءَتْ. «والمُسْتَلْحَمِ»: الصَّرِيعُ الهَالِك.

(٢٤) [ص] «التِّلاد» أصلُ المال. يقول: إذا لم يُرغَم المالُ بإنفاقِه، لم تَتخلّ الأَزَمَاتُ، وهي الشدائد.

(٢٥) أي إنصافُ المكارم ظُلْمُ الأموال.

(٢٦) أي هي بِكرٌ عند هذا اللاجىء إليك، لأنه لم يَرَ مِثْلَها. «والمُصْرِمِ»: القليل المال.

(٢٧) أي هذه الصنيعة سُرَّ بها المُعْطَى كما يُسَرُّ المُعرِّسُ بالبِكْر، «وقد زُفَّتْ من المُعْطِي زِفافَ الأيِّم»: أي أنها يَسيرةٌ عليه كأنّها امرأةٌ قد ماتَ زوجُها فليس يُتَصَعَّبُ في نِكاحها كما يُتصَعَّبُ في نِكاح البِكْر. «والأيِّم»: التي لا زوجَ لها، وقد خُصَّ به ها هنا مَنْ كان لها زوجٌ فماتَ، وذلك جائز، لأن قوله «أيِّم» يجمع الوجهين، ويجوز أن يعني «بزِفافِ الأيِّم» أنّ الممدوح له عادةٌ بإعطاء مثلها، وليست تُنكر مِن أفعاله، وهذا الوجه أمدَحُ من الأوّل.

٢٨ لِيزدْكَ وجْداً بالسَّماحَةِ ما تَرى ... مِنْ كِيمِيَاءِ المَجْدِ تَغْنَ وتَغنَمِ
٢٩ إنَّ الثَّناءَ يَسِيرُ عَرْضاً في الوَرَى ... ومَحَلُّهُ في الطُّولِ فَوقَ الأَنْجُمِ
٣٠ وإذا المَوَاهِبُ أظلَمت أَلبَسْتَها ... بشراً كبَارِقَة الحُسَامِ المِخْذَمِ
٣١ أعطَيْتَ ما لَمْ تُعْطِهِ ولو انقَضَى ... حُسْنُ اللِّقَاءِ حَرَمْتَ ما لم تَحْرِمِ
٣٢ لَقُدِدْتَ مِنْ شِيَمٍ كأَنَّ سُيُورَها ... يُقْدَدْنَ مِنْ شِيَمِ السحاب المُرْزِمِ
٣٣ لَوْ قُلْتُ حُصِّلَ بَعْضُها أَوْ كلُّها ... في حاتِمٍ لَدُعِيتُ دَافِعَ مَغرَمِ
٣٤ شُهِرَتْ فما تَنفكُّ تُوقِعُ باسْمِها ... مِنْ قَبْلِ مَعْنَاها بِعُدْمِ المُعْدِمِ

---

(٢٨) « كِيمياءُ » كلِّ شيءٍ: جَوْهرُهُ. يقول: ازدَدْ مِن السماحة والبَذْلِ لِما تَرَى من تمامٍ، وواظِبْ عليه لتغنمَ ما تُريد منه.

(٢٩) يقول ثناءُ المُثْني يَنْتَشر في الأرض بين الناس، ولكنْ شأْوُه يرفع صاحبَه إلى عنَان السماء.

(٣٠) أي إذا أعطَى المُعْطِي مَوَاهبَ لم يُشَيِّعْها بِبشْرٍ، فإنك تُعطي ووجهُك مُبتسم. [المخذم: القاطع].

(٣١) يقول: إذا أظهرتَ البِشْرَ وحُسْنَ اللقاء لمن تلقاه فكأنك أعطيتَه وإن لم تعطه، لاعتداده بذلك البِشْر، وإذا أعطيتَه ولم تُظهر له البِشْرَ، فكأنّك حرمتَه وإن كنت أعطيته، لِشدّة ذلك عليه. جعلَ المواهبَ مُظلمةً إذا لم يكن في المواهب حُسْنُ بِشْرٍ ولقاء، ثم قال للممدوح « أعطيتَ ما لم تُعْطه » أي أنّ البِشْرَ يحسَبُه السائلُ عطيةً منك وإن كنتَ لم تعطِه شيئاً، وذلك لأنَّ العطيّة إنما تقع عَلَى ما يُملك، وليس البِشْرُ مما يقع عليه المِلك، « ولو انقضى حُسْنُ اللقاء »، اي لو فُقِدَت البشاشةُ كنتَ قد حرمتَ ما لم تَحرِمْ، أي أنك قد أنلتَ السائلَ بِشْرَك فلم تحرمه إيّاه. ورواية المرزوقيّ:

« أعطيتَ مَنْ لم تُعطِه ولو انقضى ... حسنُ اللقاءِ حَرَمْتَ مَنْ لم تَحْرِمِ »

يقول اقتدى الناسُ بكَ في الإعطاء فكأنَّ من أعطاه غيرُك أنت أعطيتَه، إذ كنتَ السببَ فيه والقُدْوة، ولو أمكستَ أنت وتقضَّى بشْرُك واهتزازك للعافين، لأمسكَ الناسُ ائتساءً بك، فكأنك حرمتَ مَن لم تحرمْه في الحقيقة، لكونك سبباً في حرمانه. ويجوز أن يكون المعنى: أغنيتَ مُجتديَك حتى صار يُفْضِلُ مِن عَطيّتك على غيره، فكأنّك أنت المُعْطِي لمن أعطاه، ولو أمسكتَ لبقيَ فقيراً لا يقدر على الإفضال، كأنّك حارِمُ مَن حَرَمه.

(٣٢) و(٣٣) استعار « القدَّ » لِلشيم، وإنما ذلك للأديم ونحوه، وكذلك استعار « السُّيور »، وزعم أنه قال إن شِيَمَ هذا الممدوح حُصِّل كلُّها أو بعضُها في حاتمٍ، لكانَ كالذي دَفَعَ مَغْرماً واجِباً، لأنه لا مَفَرَّ بأنَّ هذا المَعْنِيَّ أعظمُ جُوداً مِن حاتم.

(٣٤) (ع) يقول: اشتهرت هذه الشِّيَمُ فإذا ذُكرتْ في موضع، فكأنما أُوقِعَ بِعُدْمِ المُعْدِمِ، مِنْ وقيعةِ =

٣٥ إنَّ القَصَائِدَ يَمَّمَتكَ شَوَارِداً فتَحَرَّمَتْ بنَداكَ قَبْلَ تحرُّمي
٣٦ ما عَرَّسَتْ حتَّى أتاكَ بفَارِسٍ رَيْعَانُها والغَزْوُ قَبْلَ المَغنَمِ
٣٧ فجَعلتُ قَيِّمَها الضَّمِيرَ ومُكِّنَتْ مِنه فصَارَتْ قَيِّماً لِلقَيِّمِ
٣٨ خُذْها فما زَالَتْ على استقلالِها مَشغُولَةً بمُثَقِّفٍ ومُقَوِّمِ
٣٩ تَذَرُ الفَتِيَّ مِنَ الرَّجاءِ وَرَاءَها وتَرُودُ في كَنَف الرَّجاء القَشعَمِ
٤٠ زَهْرَاءَ أحلَى في الفُؤَادِ مِن المُنَى وألَذُّ مِنْ رِيقِ الأَحبَّةِ في الفَمِ

149

وقال يمدحُ مالِكَ بنَ طَوْق ، ويُعزِّيه عن أخيه القاسمِ بن طوْق [من الطويل] :

١ أمَالِكُ إنَّ الحُزنَ أحلامُ حالِمٍ ومَهْما يَدُمْ فالوَجْدُ ليسَ بدَائِمِ
٢ أمَالِكُ إفرَاطُ الصبابَةِ تَارِكٌ جَنىً واعوجاجاً في قَناةِ المَكَارِمِ
٣ تَأَمَّلْ رُوَيْداً هَلْ تَعُدَّنَّ سَالِماً إلى آدمٍ أَمْ هَلْ تَعُدُّ ابنَ سَالِمٍ ؟

= الحربِ، أي أنه يرتحل إليها فَيَزُولُ عُدْمُه بها قَبل أن يصل إلى المقصود .

(٣٥) أي هذه القصائد قالها وهو بعيدٌ عنه، فبلغته القصائدُ قبله .

(٣٧) «قَيِّمُها» الذي يَقُوم عليها، مِنْ قولك فلان قَيِّم المرأة: أي يقوم بأمرها، والهاء «في قيّمها» راجعة إلى القصائد، يقول: جعلتُ ضميري لها قَيِّماً، أي كان يَقومُ بنظامِها، ثُمَّ مُكِّنَتْ منه، فصَارَتْ كالقيِّم له، فهي تَسُرُّه وتأتيه بالمنافع، كما يأتي بها القيِّمُ لمن يقوم عليه .

(٣٨) «استقلالها» نُهوضُها وارتفاعها. «والمُثَقِّف»: الذي يُقوِّم إنشادَها، أي لم تزل كذلك حتى تَهذّبَتْ.

(٣٩) (ص) أي لا تَلتفِتُ إلى رجاءٍ صغير، إنما تأخُذ في الرّجاء الكبير.

(١) قوله مهما يَدُمْ المعنى: ما يَدُمْ شيءٌ فليس الحزنُ بدائم، وإنما ذكر هذا الوجه لئلا يظنّ السامعُ أنّ في قوله «يَدُمْ» ضميراً يرجع إلى الحُزن.

(٢) «الجَنَا» الانحناء في ابن آدم وشخوص الحيوان، فاستعاره للقناة؟ فيحتمل أن يريد واحدةَ القَنا مِن الرِّماح، ويجوز أن يعني قناةَ الظهر.

٤ مَتى تَرْعَ هذا الموتَ عَيْناً بَصِيرَةً ... تَجِدْ عادِلاً مِنهُ شبيهاً بظالِمِ
٥ وإن تَكُ مَفجُوعاً بأبيضَ لم يَكُنْ ... يَشُدُّ على جَدواهُ عقْدَ التَّمائِمِ
٦ بفارِسِ دُعْمِيٍّ وهَضْبَةِ وائِلٍ ... وكوكبِ عَتَّابٍ وجَمْرة هاشِمِ
٧ شَجَا الريحَ فازدادَتْ حَنيناً لِفَقْدِهِ ... وأحدَثَ شَجْواً في بُكاءِ الحَمائِمِ
٨ فَمِنْ قَبْلِه ما قَدْ أُصِيبَ نَبِيُّنا ... أبو القاسِمِ النُّورُ المُبينُ بقاسِمِ
٩ وقالَ عليٌّ في التَّعازِي لأشعَثٍ ... وخافَ عليْهِ بَعْضَ تلكَ المآثِمِ
١٠ أتَصْبرُ لِلبَلْوَى عَزاءً وحِسْبَةً ... فَتُؤْجَرَ أمْ تَسْلُو سُلُوَّ البَهائِمِ!
١١ وللطُّرَّفاتِ يَوْمَ صِفِّينَ لم يَمُتْ ... خُفَاتاً ولا حُزناً عُدِيُّ بن حاتِمِ

---

(٤) يقول: متى تأملتَ حقَّ التأمُّلِ وجَدتَ منه عادلاً يُشبّه بظالم، وذلك أنه لا يُختَرم إلاّ مَنْ الاخترامُ أصلحُ له وأولى به، عند الحكيم الذي يعلم مصالحَ خلقه، ثم أنت من حيث يخفي عليك وجهُ الحكمةِ، ويغيب عنك طريقُ المصلحة، تعتبر بالحاجة إلى المُختَرم، وبحاله في نفسه من شبيبةٍ أو هَرَمٍ، أو غَناءٍ أو عجزٍ، أو كمالٍ أو نقص، ويُصوَّر ذلك كلُّه، الحقَّ لك في صورةِ الباطل، ويخرج إليك العدلَ في مَعْرِض الجَوْر.

(٥) «التمائم»: جمع تميمة، وهي العَوذة تُجعل في عُنُق الصبيّ تُدفع بها العينُ، والمعنى: يجوز ان يكون أراد أنه لم يأتِ بجَدْواه صغيرةً حقيرةً، كمن تُعلّق عليه التمائم، ويجوز أن يكون أنه لم يُغِبَّ في الإعطاء، فيكون الإغباب كالتميمة تحرس جدواه من الحَسَدة. وقيل أيضاً: معناه أنه لم يكن تعظم جدواه عنده، فيعوّذها بالتمائم، لأن مَن عَظُمَ موقِع شيء منه، ربما عَلّق عليه ما يُحرسه من العيون عنده، كما تُعلّق على الأولاد.

(٦) «دُعميّ» بن جَديلة بن اسد بن ربيعة بن نَزَار. «ووائل» بن قاسط ابن هِنْب بن أفْصى بن دُعْميّ. «وعتّاب» هو عتّاب بن سعد من بني تغلب، منهم عمرو بن كُلثوم الشاعر. «وجمرة هاشم» أي كان في دولة بني العباس، وهم من بني هاشم، كالجمرة، والعرب إذا اشتدّ بأسُ القومِ جعلوهم جمرةً، كما فعلوا ذلك في الحارث ابن كعب وغيرهم.

(٨) ولدتْ خديجة بن خويلد للنبي ﷺ القاسمَ والطاهرَ والطيّبَ وعبدَالله.

(١١) قُتل في صِفّين طريف بن عديّ بن حاتم، وبه كان يكنى، ويجوز أن يكون قُتل معه من طيّ رجال ينسبون إلى طريف بن مالك، وهو من طيّ وقد كان أوقع بهم في الجاهلية، فقال علقمة بن عبَدَة:
أصَبْنَ طريفاً والطريفَ بن مالكٍ ... وكان شفاءً لو أصبْنَ المُلاقِطا =

١٢ خُـلِقْنـا رجَـالاً لـلتَّصبُّـر والأَسَـى ... وتِلْكَ الغَـوَانـي للبُكـا والمـآتِـمِ
١٣ وأيُّ فتًى في النـاس أَحرَضُ مِن فَتًى ... غَدَا في خِفَاراتِ الدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ
١٤ وهَلْ من حَكيمٍ ضَيَّعَ الصَّبرَ بعدَمَا ... رَأى الحُكَمَـاءُ الصَّبْرَ ضَـربَـةَ لازِمِ !
١٥ ولم يَحْمـدُوا مِنْ عـالِمٍ غَيْـر عـامِـلِ ... خَـلافـاً ولا مِنْ عـامـل غيـر عَـالِمِ
١٦ رأَوْا طُـرُقَات العَجْـز عُـوجـاً قَـطيعَـةً ... وأقـطَعُ عَجْـزٍ عِنـدَهم عَجْـزُ حـازمِ
١٧ فـلا بَـرِحَتْ تَسْـطُو رَبيعـةُ مِنكُـمُ ... بـأَرْقَـمَ عَطَّـافٍ وَرَاءَ الأَرَاقِـمِ
١٨ فـأنتَ وصِنـوَاكَ النَّصِيـرانِ إخْـوَةٌ ... خُلِقْتُمْ سَعُـوطـاً لِلأُنُـوفِ الـرَّواغِمِ
١٩ ثَـلاثَـةُ أركـانٍ ومـا انهَـدَّ سُؤْدُدٌ ... إذَا ثَبتَـتْ فيـهِ ثَـلاثُ دعَـائـمِ

150

وقال يمدح إسحاقَ بن إبراهيم [من الكامل] :

١ يـا ربْعُ لَـوْ رَبَعُـوا على ابنِ هُمُـومِ ... مُسْتَسْلِمٍ لِجَـوَى الفِـرَاقِ سَـقِيـمِ
٢ قَدْ كُنْتَ مَعْهُوداً بأَحْسَنِ سَـاكِـنٍ ... مِـنَّـا وأَحْـسَـن دمْـنـةٍ ورُسُـوم
٣ أَيَّـامَ لِـلأَيَّـامِ فـيـكَ غَـضَـارَةٌ ... والـدَّهْـرُ فيَّ وفيـكَ غيْـرُ مُلِيـم
٤ وظِبَـاءُ أُنْسِـكَ لَـمْ تَبَـدَّلْ مِنـهـمُ ... بـظِبـاء وَحْشِـكَ ظـاعِنـاً بِمُقيمِ

= وقال المرزوقيّ «عَنَى بها طريفاً ومُطرّفاً وطَرَفة بن عديّ بن حاتم، قُتلوا يوم صِفِّين، فحسُنَ صبرُه، ولم يظهر جزعَه. «والخُفات» انخفاض الصوت، ويقال صوت خفيت.

(١٣) «أحرض»: من قولهم رجل حَرَضٌ، وهو الذي أضعفه المرض أو الكِبَر، ويقال للرجل الذي لا خير فيه حَرَضٌ وحَرَضة.

(١٧) [الأرقم: هنا الرجل المقدام].

(١٨) [السعوط: الدواء الذي يُدخل في الأنف. الأنوف الرواغم: الأنوف المستعصية].

(٢) [الدمنة والرسوم: آثار الديار].

(٤) [ظباء الأنس: كناية عن النساء الجميلات. الظاعن: الراحل].

٥ مِنْ كـلِّ ريمٍ لَـوْ تَبَـدَّى قَـطَّعَتْ ... ألـحـاظُ مُـقْـلَتِـه فُؤادَ الـرِّيـمِ

٦ أمَّـا الهَوَى فهـوَ العَذابُ فـإنْ جَرَتْ ... فيـهِ النَّـوَى فـأَلِيـمُ كُـلِّ أَلِيـمِ

٧ أمَـرَ الـتَّجـلُّدَ بـالـتَّـلَدُّدِ حُـرْقَـةٌ ... أمَـرَتْ جُمُـودَ دُمُـوعِـهِ بسُجُـومِ

٨ لا والـطُّلُولِ الـدَّارِسَـاتِ أَلِيَّـةً ... مِنْ مُعْـرِقٍ في العَـاشقيـن صَميمِ

٩ مـا حَـاوَلَتْ عَيْني تَـأَخُّـرَ سَـاعـةٍ ... فـالـدَّمْـعُ مُـذْ صَارَ الفِراقُ غـريمي

١٠ لَمْ يَبْـرَحِ البَيْنُ المُشِتُّ جَـوَانِحي ... حتَّى تَـروَّت مِـنْ هَـوًى مَسْمُـومِ

١١ وإلى جَنَـابِ أبي الحُسْينِ تَشَنَّعت ... بِـزِمامِهـا كـالمُصْعَبِ المَخـطُومِ

١٢ جاءَتْكَ في مُعْجٍ خَوَائِفَ في البُـرَى ... وعَـوَارِفٍ بـالـمَعْلَمِ الـمَـأْمُـومِ

١٣ مِـنْ كُـلِّ نـاجِيَـةٍ كـأَنَّ أَدِيـمَهـا ... حِـيصَـتْ ظِهَـارَتُـه بِجلدِ أُطُـومِ

١٤ تُثْني مِـلاطَيْهـا إذَا مـا استُكْـرِهَتْ ... سَـعْـدَانَـةً كـإِدَارَةِ الـفُـرْزُومِ

---

(٥) [الريم الأولى الفتاة الجميلة، والثانية الغزال.].

(٧) (ق) يقول: استولت على هذا العاشق حُرْقَةٌ غَلبتْ صبرَه، وأزالت جَلَده، وأسالت دمعَه، فكأنها أمَرَتْ التجلُّدَ بأن يصير توجعاً وتَحزُّناً، وأمرت إمساكَ دمعِه بأن يصير وُكوفاً وسَيَلاناً.

(٨) يجوز كَسْرُ الراءِ في «مُعْرِق» وفتحها، يقال رجلٌ مُعْرِق في الكرم: إذا كان له آباءٌ كرام، فقد ضربت إليه عُرُوق آبائه، قالت القُرَشِيَّة:

أمُحمّـدٌ ولأنـتَ ضِـنْءُ كـريمـةٍ ... مِـنْ قَـوْمِهـا والفحـلُ فَحـلٌ مُعْـرِقُ

وإن فتحتَ الراءَ فالمعنى أنه جُعِل له عِرْقٌ في الكرم أو غيره.

(١١) ويروى «كالبَازِلِ المَخْطوم». يقال: «تَشَنَّعت» الناقةُ إذا تَرَفَّعتْ في سيرها، ويقال جملٌ بازِلٌ، وناقة بازل، وإذا شبَّهوا الإناث بالفُحول فذلك مبالغة عندهم.

(١٢) «المُعج» جمع مَعُوجٍ وهي التي تَمْعَجُ، أي تسير سَيْراً سهلاً، و«الخوَانف» التي تَخْنِفُ في سيرها. أيْ تَقْلِبُ خِفافَها إلى الجانب الوحشيِّ، وقيل «الخِنَافُ»: أن تعطِفَ رأسَها في السير من النشاط، و«المأمُوم» المقصود. ويجوز أن يعني «بالمَعْلَم» الطريقَ الواضحَ، أو الممدوحَ المعْتَمدَ.

(١٣) «حِيصَتْ» خِيطَتْ. و«الأطوم»: ضَرْبٌ من السّمك، وقيل هي السُّلْحفاة. وقد زعموا أنّ البقرة الوحشية يُقال لها أُطُوم.

(١٤) «الملاطان» رؤوس الكَتِفين، ويُقال إنهما الكَتِفان، ويُقال: هما العَضُدان. والمشهورُ أنّ العضُدين يقال لهما ابنا مِلاطٍ والسَّعْدانة كِرْكِرة البعير. و«الفُرزوم» الخَشَبَة التي يحذو عليها الحذّاء (ق) =

١٥	طَلَبْتُكَ مِنْ نَسْلِ الجَديلِ وشَدْقَمٍ	كُومٍ عقَائلُ مِنْ عَقَائلَ كُومِ
١٦	يَنسَيْنَ أصْوَاتَ الحُدَاةِ ونَبْرهَا	طَرَباً لأَصْوَاتِ الصَّدَى والبُومِ
١٧	فأَصَبْنَ بَحْرَ نَدَاكَ غيرَ مُصَرَّدٍ	وِرْداً وأُمَّ نَدَاكَ غيرَ عَقيمِ
١٨	لَمَّا وَرَدْنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلَّحاً	خَيَّمْنَ ثُمَّ شَرِبْنَ شُرْبَ الهِيمِ
١٩	إنَّ الخَليفَةَ والخَليفَةَ قَبْلَه	وَجَدَاكَ تِرْبَ نَصِيحَةٍ وعَزِيمِ
٢٠	وَجَدَاكَ مَحْمُوداً فلَمَّا يَأْلُوَا	لكَ في مُفَاوضَةٍ ولا تَقْديمِ
٢١	ما زلْتَ مِنْ هذا وذلكَ لابِساً	حُلَلاً مِنَ التَّبْجِيلِ والتَّعْظِيمِ
٢٢	نَفسي فِدَاؤُكَ والجبَالُ وأهلُها	في طِرْمِسَاءَ مِنَ الحُرُوبِ بَهِيمِ
٢٣	بالدَّاذَوَيْهِ وخَيْزَجٍ وذَوَاتِها	عَهْدُ لسَيْفِكِ لَمْ يَكُنْ بِذَمِيمِ
٢٤	بالمُصْعَبيِّينَ الَّذِينَ كأَنَّهُمْ	آسَادُ أغيالٍ وجِنُّ صَرِيمِ
٢٥	مِثْلُ البُدُورِ تُضِيءُ إلاَّ أنَّها	قد قُلْنِسَتْ مِنْ بَيْضِها بِنُجُومِ

= يقول: هي فَتْلاءُ بعيدة الزَّوْر عن المِرْفَق، مُستديرة الكركرة، فكأنّها في استدارتها خشبةُ الحذّاء، ويستحبُّ ذلك، منها، حتى لا يكون ضاغطاً.

(١٥) الكُوم: القطعة من الإبل.

(١٧) [المصرَّد: القليل].

(١٨) السَّيب: العطاء. طلح البعير: أعيا، والطلَّح: العييّات. الهيم: الشديدة الظمأ].

(١٩) [جداك: عطاءك. العزيم: العزم والإرادة].

(٢٢) الواو في قوله «والجبالُ» يجوز أن تكون في معنى إذْ، ويجوز أن تكون عاطفةً على نفسه، و«طرمِسَاء»: ليلة مظلمة.

(٢٣) (ص) يعني وقائعه بالمُحَمِّرة بالجبال، بعد قتل بابَك، وكان قد وَجَّه بستين ألف أُذُن.

(٢٤) «أغيال» جمع غِيلٍ وهو الشجر الملتفُّ، و«صَرِيم» يحتمل وجهين: أحدهما: أن يُعنى به الليل، والثاني أن يكون جمعَ صَرِيمةٍ من الرَّمْل، وهي القطعة العظيمة منه، لأنهم يصفون الرَّمْل بأنّ الجنَّ تَعزِفُ فيه، قال الشاعر:

ورَمْلٍ عَزِيفُ الجِنِّ في عَقِدَاتِه ... هُدُوءاً كَتَضْرَابِ المُغَنِّينَ بالطَّبْلِ

(٢٥) «قُلْنِسَتْ» من القَلَنْسُوَة، ويقال: قَلْنَسْتُه وقَلْسَيْتُه، ولو قيل قَلَّسْتُه بالتشديد لكان وجهاً.

٢٦ وَلَّى بِهَا المَخْذُولُ يَعْذِلُ نَفْسَهُ ... مُتَمَطِّراً في جَيْشِهِ المَهْزُومِ

٢٧ رَامُوا اللُّتَيَّا والَّتي فاعتَاقَهُمْ ... سَيْفُ الإمَام ودَعْوَةُ المَظْلُومِ

٢٨ نَاشَدْتَهُمْ بالَّلهِ يومَ لَقِيتَهُمْ ... والخَيْلُ تحتَ عَجَاجَةٍ كالنِّيمِ

٢٩ وَمَنَحْتَهُمْ عِطْفَيْكَ مِنْ مُتَوَعِّرٍ ... مُتَسَهِّلٍ قاسِي الفُؤَادِ رَحِيمِ

٣٠ حتَّى إذا جَمَحُوا هَتَكْتَ بُيُوتَهُمْ ... بالَّلهِ ثُمَّ الثامِنِ المَعْصُومِ

٣١ فَتَجَرَّدَتْ بيضُ السُّيُوفِ لِهَامِهِمْ ... وَتَجَرَّدَ التَّوْحِيدُ لِلتَّخريمِ

٣٢ غَادَيْتَهُمْ بالمَشْرِقَيْنِ بِوَقْعَةٍ ... صَدَعَتْ صَواعِقُها جِبَالَ الرُّومِ

٣٣ أخرَجْتَهُمْ بَلْ أخرَجَتْهُمْ فِتنَةٌ ... سَلَبَتْهُمُ مِنْ نَضْرَةٍ ونَعِيمِ

٣٤ نُقِلوا مِنَ الْمَاءِ النَّمِيرِ وعِيشَةٍ ... رَغْدٍ إلى الغِسْلِينِ والزَّقُّومِ

٣٥ والْحَرْبُ تَعْلَمُ حينَ تَجْهَلُ غَارَةٌ ... تَغْلي على حَطَبِ القَنَا المَحْطُومِ

٣٦ أنَّ المَنَايا طَوْعُ بَأْسِكَ والوَغى ... مَمْزُوجُ كأْسِكَ مِنْ رَدًى وكُلُومِ

٣٧ والحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَها في مَشهدٍ ... عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بألْفِ حَلِيمِ

---

(٢٦) [المخذول: المهزوم. يعذل: يلوم. متمطرا: مسرعاً في عدوه].

(٢٨) «ناشدَتهم»: من المناشدة، وهي أن يقول كلُّ واحدٍ منهما للآخر: نَشَدْتك الله. و«النِّيم» الفَرْو القصير. وقيل «النِّيم» تكَسُّرُ الرّملِ إذا دَرَجتْ عليه الريحُ، قال ذو الرُّمة:

حتى انجلَى الليلُ عنَّا في ملَمَّعَةٍ ... مِثْلِ الأديمِ لها مِنْ هَبْوةٍ نِيمُ

(ص) - أراد الطائيّ أنَّ الغبارَ نَسَجَ عليها مِثْلَ الفَرْو.

(٣١) [التخريم من الخرّميّة، وهم أصحاب بَابَكْ].

(٣٤) يريد أنهم نُقلوا فانتقلوا ممَّا كانوا فيه من الرّغَد والماءِ العذب إلى النار. فشرابُهم وطعامُهم من الغِسْلين «والزّقُّوم». و«الغِسْلين» كلمة لم تكن تستعملها العرب، وإنما جاءت في القرآن، وقيل: هو ما يسيل من صَديد أهل النار، وقيل بل هو نَبت. و«الزَّقُّوم»: ضربٌ من الشجر.

(٣٧) (ق) «السَّفَه» الخِفَّة، ولذلك يقال للزمّام الكثير الاضطراب زِمامٌ سَفيه، وكما يُوصف بالسَّفَهِ يوصف بالعِيارة، فيقال زِمامٌ عَيَّار، وهو مِنْ عارَ إذا جاءَ وذهَبَ. وأراد «بالمشهد» المعركة. والمعنى: أنّ الحرب احتاجَتْ وركبتْ رأسَها، كما يفعل ذلك الفَرَس الجَمُوحُ في مَشْهدٍ يُعْدَلُ الجاهلُ الواحدُ فيه بألفِ عاقِلٍ، وإنما قال هذا لأن صاحب الحربِ محتاجٌ إلى تَهَوُّر وإقدامٍ وقلّةِ الفِكر في العاقبة، والعاقِلُ بمُجانبتهِ لهذه الأشياء يَستحقُّ الوصْفَ بالعَقْل.

٣٨ فِي سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لُقمَاناً بِهَا ... وَهْوَ الْحَكِيمُ لَصَارَ غيرَ حَكِيمِ

٣٩ جَثَمت طُيُورُ المَوْتِ فِي أَوْكَارِهَا ... فتَركنَ طَيْرَ العَقلِ غيرَ جُثُومِ

٤٠ والسَّيفُ يَحْلِفُ أَنَّكَ السَّيْفُ الذي ... مَا اهتَزَّ إِلَّا اجتَثَّ عرْشَ عَظِيمِ

٤١ مَشَتِ الخُطُوبُ القَهْقَرَى لمَّا رأَتْ ... خَبَبِي إِليكَ مُؤَكِّداً بِرَسِيمِ

٤٢ فَزعَتْ إِلى التَّوديعِ غيرَ لَوَابثٍ ... لَمَّا فَزِعْتُ إِليكَ بالتَّسْلِيمِ

٤٣ والدَّهْرُ أَلأَمُ مَنْ شَرِقْتَ بِلَوْمِهِ ... إِلَّا إِذَا أَشْرَقْتَهُ بكَرِيمِ

٤٤ أَهبَبْتَ لي رِيحَ الرَّجَاءِ فأَقدَمَتْ ... هِمَمِي بِهَا حتَّى استَبَحْنَ هُمُومِي

٤٥ أَيقَظْتَ لِلكَرَمِ الكِرَامَ بِنَاطِقٍ ... لِنَدَاكَ أَظهَرَ كَنزَ كُلِّ قَدِيمِ

٤٦ ولَقَدْ نَكُونُ ولا كَرِيمَ نَنَالُهُ ... حتَّى نَخُوضَ إِلَيهِ أَلْفَ لَئِيمِ

٤٧ فَسَنَنْتَ بالمعروفِ مِنْ أَثَرِ النَّدَى ... سُنَناً شَفَتْ مِنْ دَهْرِنَا المَذمُومِ

٤٨ وَسَمَ الوَرَى بِخَصَاصَةٍ فَوَسَمْتَهُ ... بِسَمَاحَةٍ لَاحَتْ على الخُرْطُومِ

٤٩ جَلَّيْتَ فيهِ بِمُقلَةٍ لَمْ يُقذِهَا ... بُخْلٌ ولم تُسْفَحْ على مَعْدُومِ

٥٠ يَقَعُ انبِسَاطُ الرِّزقِ فِي لَحَظَاتِهَا ... نَسَقاً إِذَا وَقَعَتْ على مَحْرُومِ

٥١ ويَدٍ يَظَلُّ المَالُ يَسْقُطُ كَيْدُهُ ... فِيهَا سُقُوطَ الهَاءِ فِي التَّرْخِيمِ

---

(٣٩) «طُيُور» جمع طير، وطير جمع طائر، وقلَّما يقولون طُيُور، إلا أنه قد جاء، وربما استعملوا الطير في معنى الواحد، قال الشاعر:

بِطَيْرٍ مِن طُيُورِ الغِشِّ يأْوِي ... صُدورَهُمُ فعشَّشَ ثمَّ باضَا

[ق] وأراد «بِطَيْرِ العَقْلِ»: الهامَ، وقيل أرادَ الدِّماغَ.

(٤٠) (ع): «ما اهتزّ إلا احتزّ» و«العُرْش» واحد العُرْشَيْن، ويقال إنهما عَصَبتانِ في العُنُق، وربما قالوا «العُرْش»: مركَّب العُنُق في الكاهل، ولهم في ذلك عباراتٌ متقاربة؛ وبيتُ ذِي الرُّمَّة يُنْشَد على وجهين:

وعَبْدُ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطيرُ حَوْلَهُ ... وقد ثَلَّ عُرْشَيْهِ الحُسامُ المُذَكَّرُ

ويروى «عَرْشَيْهِ». بفتح العين، يُجعل تثنية عَرْشٍ: إذا أُريد به السريرُ.

(٤٥) ويروى «أيقظتَ نُوَّام الكرام». وأراد قديمَ الناسِ الذين كنزوا الكنوز.

(٤٩) (ص) أي ولا بكت على شيءٍ أعطيتَه فَعدِمتَه.

(٥١) «يَدٍ» عطف على مُقلةٍ (ص) «وكَيْدُ المَالِ»: إعجابُه لِصاحبه، حتى لا يُنفقَه.

٥٢ لا يَـأْمَـلُ المَـالُ النَّجـاةَ إذا عَـدَا صَـرْفُ الـزَّمـان مُجَـاءَةً بعَـدِيمِ
٥٣ قُـلْ للخُـطُوب إليـكِ عنّي، إنَّـني جَـارٌ لإسـحـاقَ بـنِ إبـراهـيـمِ

151

وقال يمدح اسحق بن أبي ربعي كاتب إسحق بن إبراهيم المصعَبيّ ويستنجزه موعداً [من الكامل] :

١ لَـوْلا أبـو يَـعْـقـوبَ فـي إبْـرَامِـهِ سَبَبَ العُلى لانـحَـلَّ ثِنْيُ ذِمَـامِـه
٢ لَيْثٌ إذا الحـاجَـاتُ لُـذْنَ بحِقْـوِه فـي كَـرِّهِ منـهـا وفـي إقْـدَامِـه
٣ انْـظرْ إلى الآمـالِ كيفَ رُتُـوعُهـا فـي فِكْـرِه وقـعُـودِهِ وقِـيـامِـه
٤ كَيْفَ الشِّكـايـةُ للزّمـانِ وصَـرْفِـهِ ونَـدَى الأَميـرِ وأنتَ فـي أيَّـامِـه؟
٥ هـذَا سَحَـابٌ أنتَ سُقْتَ غَمَـامَـهُ وعَلَيْـكَ بَعْـدَ اللّهِ فَيْضُ غَمَـامِـه
٦ إنَّ ابتـداءَ العُـرْفِ مَجـدٌ بـاسِقٌ والمَجْـدُ كـلُّ المَجْـدِ في استِتْمـامِـه
٧ هـذا الهِـلالُ يَـرُوقُ أبصَـارَ الـوَرَى حُسْنـاً ولَـيْسَ كَحُسْنِـه لِتَمـامِـه

---

(١) [الذمام : الحرمة].
(٢) [الحقو : الجانب].
(٣) الرتوع : الجلوس والسكن].
(٦) [باسق : سامٍ عالٍ].
(٧) [الورى : الناس].

152

وقال يمدح بني حُمَيد ، ويَخُصُّ أَصْرَمَ بن حُمَيْد [من المنسرح] :

١	بَنِي حُمَيْدٍ اللَّهُ فَضَّلكمْ	أَبْقَى لكُمْ أصْرماً فأَسْعَدكُمْ
٢	أَبقَى لكمْ والداً يَبَرُّكُمُ	أنجدَكمْ في الوَغَى وأَمْجَدَكمْ
٣	فاتَّخِذُوه لِذَاكَ سَيِّدَكُمْ	فَعُرْفُهُ في الأَنامِ سَوَّدَكُمْ
٤	لَوْ كانَ في يَوْمِ بَابَكٍ لكُمُ	لَمْ تَفْقِدُوا في اللِّقَاءِ سَيِّدَكمْ
٥	اللَّه أعطَاكُمُ بِرَأْفَتِهِ	أصرَمَ مَنّاً مِنْهُ لِيَبْلُوكُمْ
٦	ألا اشكُرُوا اللَّهَ ذَا الجَلَالِ فقَدْ	بالصُّنْعِ في أَصْرَمٍ تَغَمَّدكُمْ
٧	ما زَالَ في قَوْمِكُمْ لكُمْ مَلِكٌ	يَرْأَبُ زَلاتِكُمْ وَيَكْلأُكُمْ

153

وقال يمدح عبدَ الحَميد بن غالِب ، والفضلَ بنَ محمد بن منصور ، وإبراهيم بنَ وَهْبٍ الكاتب [من الكامل] :

---

(١) في النُّسخ « بني حُمَيْدِ اللهُ » بالقطع ، وقد حُكي ذلك عن العرب ، أنشد الفرّاء :

مُبارَكٌ هُوَ ومَنْ سَمّاهُ
على اسمكَ اللّهم يا اللهُ

ولولا نُونُ « حُمَيْد » وَكَسْرِ التنوينُ لالتقاء الساكنين لظَهرَ فيه زحافٌ يزعم الخليلُ أنه جائز ، وهو مفقودٌ في الشعر القديم ، ولو زِيْدَتْ الواو قبل اسم « الله » لَسِلمَ مِن الزحاف وقَطْعِ ألفِ الوصل.

(٤) [بابك : هو بابك الخرّميّ أحد أصحاب البدع الدينية الفارسية] .

(٦) فَرّق بين « قد » وبين الفعل الماضي للضرورة ، ونحو منه قول الآخر :

تِهْتُمْ علينا بأنَّ الذئب كَلَّمكُمْ   فقد - لَعمْري - أبوكُم كلَّمَ الذِّيبا

ويجوز « تَعَمّدكم » بالعين : من القصْد ، و« تَغَمّدكم » بالغين معجمةً : أي البسكم النعمةَ به ، فكانت كالغِمْد للسيف.

١ لامَتْهُ لامَ عَشِيرُها وَحَمِيمُها ... مِنْها خَلائقُ قَدْ أَبَنَّ ذَمِيمُها

٢ لَمْ تَدْرِ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ قد خاضَها ... لَيْلاءَ وَهْيَ تَنامُها وتُنِيْمُها

٣ نَكِرَتْ فتىً أذرَى بِنَضْرَةِ وَجْهِهِ ... وبِمائِه نَكَدُ الْخُطُوبِ ولُومُها

٤ لا تُنْكِري هَمِّي فإنِّي زائدِي ... حَزْماً حِضَارُ النَّائباتِ وشُومُها

٥ فَلَقَبْلُ أظهرَ صَقْلُ سَيْفٍ أَثْرَه ... فبذا وَهَذَّبتِ القُلُوبَ هُمُومُها

٦ والحَادِثَاتُ وإنْ أصَابَكَ بُوسُها ... فهُوَ الذي أَنْبَاكَ كيفَ نَعيمُها

٧ أَوَ ما رأيتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ مالِكٍ ... رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ الزَّفِيْرُ رُسُومُها؟

٨ أنْآؤُهَا وطُلُولُها وَنِجَادُها ... وَوِهَادُها وَحَدِيثُها وَقَدِيمُها

٩ تَغْدُو الرِّيَاحُ سَوَافِياً وعَوَافِياً ... فتضِيم مَغْناها وليسَ يضِيمُها

١٠ وكأنَّما ألقى عَصَاهُ بها النَّوَى ... مِنْ شقَّةٍ قَذَفٍ فليْسَ يَرِيمُها

١١ إنِّي كشَفْتُكِ أزمَةً بأَعَزَّةٍ ... غُرٍّ إذَا غمَرَ الأُمُورَ بَهيمُها

١٢ بثلاثةٍ كثلاثةِ الراحِ استَوَى ... لكَ لَوْنها ومَذاقُها وشَمِيمُها

١٣ وثَلاثَةِ الشَّجَرِ الجَنِيِّ تكافأَتْ ... أفنانُها وثِمَارُها وأُرُومُها

١٤ وثَلاثَةِ الدَّلْوِ استُجِيدَ لِمَاتِحٍ ... أعوَادُها ورِشَاؤُها وأديمُها

---

(١) «عَشِيرتها» مُعاشِرُها، و«حَمِيمُها» قَرِيبُها، و«أبَنَّ» بالشيء إذا لَزِمَه و«أبَنَّ» بالدَّار إذا أقامَ بها. ويروى: «قد أبَرَّ».

(٢) «لَيْلاء» مظلمة، وقيل شديدة يقول: لامَتْه على اغترابه، ولم تدرِ كم قاسى في السّفَر مِن العَناء والسَّهر، وهي تنام في دَعةٍ وراحة. دَعَا عليها.

(٣) «نَكِرَتْ» و«أنكرَتْ»: واحد، أي أنكرت شُحُوبَ وجهه، وذَهابَ لونه الحَسَن.

(٤) «الحِضَار»: البيض، و«الشُّوم»: السُّود، أي الخُطوب تزيدني حزماً وتجربة.

(٦) أي الأشياء تُعرف بأضدادها.

(٧) أي لمّا خلَتْ مِن أهلها علّمت البكاءَ، ولولا ارتحالُها لم يكن ذلك.

(٩) أي لا تظلم الرِّياحَ لأنها قد استَوتْ بالأرض، فلا تَمنعُ الرِّيحَ مما تُريد منها.

(١٢) الباء في «بثلاثةٍ» بدل من الباء التي في قوله «بأعزّةٍ»، وفسّر فقال: «بثلاثةٍ» يعني الممدوحين، أي بثلاثة مستوينَ في السُّؤدُد.

١٥ وثَـلاثَـةِ الـقِـدْر اللَّواتـي أشكَـلَت ... أأخيـرُهـا ذُو العِبءِ أَمْ قيْـدُومُهـا
١٦ وإذا عَلُوقُ الحَـاجِ يَـوْمـاً سُكِّنَتْ ... بهـمُ فقَـدْ رَئِمتْـكَ حيـنَ تَـرُومُهـا
١٧ عبدُ الحميدِ لها وللفَضْـلِ الـرُّبَا ... فيهـا ومِثْـلُ السَّيْفِ إبْـراهِيمُـهـا
١٨ جَـازُوا خَـلائِقَ قَـد تيقَّنَـتِ العُـلَى ... كـلَّ الـتَّـيقُّـنِ أنـهُـنَّ نُـجـومُـهـا
١٩ لَـو أَنَّ بـاقِـلاً الـمُفَـهَّـه يَنْبَـري ... في مَـدْحِهَـا سَهُلَتْ عليه حُزُومُهَـا
٢٠ ولَـو انَّ سَحْبَـانَ الـمُفَـوَّهَ يَنْتَحي ... في ذَمِّهـا لَمْ يَـدْر كيفَ يَـذِيمُـهـا
٢١ إنَّـا أتـينـاكُـمْ نـصـونُ مـآربـاً ... يَسْتَصْغِـرُ الحَـدَثَ العـظيمَ عَـظِيمُها
٢٢ بـالعيس قـاسَمْنـا الفَلا أشـلاءَهـا ... والبيـدُ لا يُعْـطى السَّـوَاءَ قَسيمُهـا
٢٣ فَلَنَـا أَمِينُ فُصُـوصِهـا وشُخُـوصِهـا ... ولَهـا وريُّ سَـدِيفِهـا ولحُـومُـهـا

(١٥) «قَيْدُومها»: المُتقدِّم منها. و«الثلاثة القِدْر»: عَنَى بها الأثافِيّ، وأدخل الهاء لأنه ذهبَ بها مذهب الأحجارِ، والحَجَرُ مُذكّر، والعربُ تُفضِّل ثالثَة الأثافي، لأنها عندهم تكون أعظمَهن، وربما كانت قطعةً من جبلٍ أو شيئاً من أكمةٍ فيجعلونها المُعْتَمَدَ في نَصْب القِدْر، ولكن الطائيّ ساوَى بينها، وهو معنى حسن، ومنه قول الفرزدق:

حَـدَرْنـا إليهـا مـن حَضيـضِ عُنَيْـزَةٍ ... ثلاثـاً كـذَوْدِ الهَـاجِـريّ رَوَاسِيـاً

(١٦) استعار «العَلُوق» من الإبل للحاج، يُقال: له ناقة عَلُوق إذا رَئِمت بأنفِها ولم تَدُرَّ، و«رَئِمتْك»: أي عَطَفَتْ عليك وألِفَتْك.

(١٧) أي هم يصلحون لكشف هذه الأزمة.

(١٨) أي نُجومها التي تَتزيَّن بها ويُستضَاء بنورها.

(١٩) و(٢٠) «باقِل» الذي يُضْرب به المثل في العِيّ. و«سَحْبـان»: مـن وائِـل بـاهلـة، وليس مـن وائـل بن قاسط، وكان معهم في فُتوح التُّرك في صَدْر الإسلام. و«المفوَّه» الذي قد وُسِّع عليه في الكلام، فكأن فاهُ اتّسع لذلك.

(٢١) «نَصُون»: نَدَّخر. ويُروى: «نَصُور» أي نَضُمُّ ونَعْطِفُ. وقد ذُكر أنَّ «صَارَ» يصور من الأضداد، يقال: صارَه إذا فرَّقه، وصَارَه إذا جَمعَه.

(٢٢) «أشلاؤها» بقايا لُحُومها، و«السَّواء» النَّصفَة، و«قَسيمُها» الذي يُقَاسِمُها.

(٢٣) «الفُصُوص» جمع فَصّ وهو رَأْسُ المَفْصِل، و«الوَرِيُّ» السَّمين. قال الراجز:

وانهَمَّ هامُومُ السَّديفِ الوَارِي
عن جَزَرٍ منه وجَوْنٍ عارِ

٢٤	أخذَتْ مَحالَتَها السُّهوبُ وَبَدْءَها	فالبُعْدُ يَعْذِرها ونحنُ نَلُومُها
٢٥	صُفُحٌ عن النَّبْآتِ ليسَ يؤودُها	جَرْسُ الدُّجى مُكَّاؤُهَا وَنئيمُها
٢٦	لَيْلِيَّةٌ قَدْ وَقَّرَتْ هَامَاتِها	مِنْ قَبلُ أصداءُ الفَلاةِ وبُومُها
٢٧	مَهْرِيَّةٌ بَلَغَ الكِرَايَةَ رَكْبُها	مِنها وغابَ مُريحُها ومُسيمُها
٢٨	فَعَنيقُها يَعْضِيدُها ووَسيجُهَا	سَعْدَانُهَا وذَميلُها تَنُّومُها
٢٩	مَلَكَ الكلالُ رِقَابَها وأُنوفَها	فنُعُوبُها دِينٌ-لَها وسُعُومُها
٣٠	فكأنَّ مُهْمَلَها مُخَيَّسُ غَيْرِها	وكأنَّما مَخْلُوعُها مَخْطُومُها

(٢٤) إذا صحّ أنّ الرواية «مَحَالتَها» بالحاء، جاز أن يكون بمعنى الحيلة، أي أنها لم تترك لها حِيلةً في السير. ويقال للفَقَارة من فَقَار الظهرِ مَحالة، فإذا حملت على أنها الفَقَارة جُعلت شائعةً في الجنس كما يقال قَفِيز البصرة ودِرهَمُها. و«البَدْء»: النصيب، ويقال لأعضاء الجَزُور أبْدَاء، لأنهم كانوا يجعلونها أنصِباءَ في المَيْسر، وقد يحتمل أن يكون «البَدْء» ها هنا: من بَدأتُ السيرَ. وإن رويت «مَخَالتَها» بالخاء منقوطةً، فهي (مَفْعَلة) من الخُيَلاء، فيكون المعنى كما قال ذو الرُّمة:

وصَلْنا بها الأخماسَ حتى تبدّلَتْ ... من الجهلِ أحلاماً ذَوَاتُ العَجَارِفِ

(٢٥) «النَّبْآت»: جمع نَبْأة وهي الصوت، وربما خُصّ به الصوت الخفيّ. و«الجَرْس» الصوت. و«المُكّاء»: طائر يمكو أن يَصْفِرُ. و«النَّئيم»: يُستعمل في صوت الأسد والبُوم، وقد استعملوه في الحَمام، وأصلُه صوتٌ يخرج من الصدر ليس بشديد، والمُكّاء ليس من عادته أن يصيح بالليل. أي كلَّتْ هذه الإبلُ وذهبَ غَرْبُ نشاطِها، فلا تُفزعها الأصواتُ، ولا تكترثُ لها، بعد أن كانت تفزع من أدنى صوت.

(٢٦) أي هذه الإبلُ قد تعوّدتْ سُرَى الليل، وأنْ تسمعَ فيه صوتَ الصّدى والبُومِ، فهي لا تُرَاع من صوت المُكاء.

(٢٨) «العنيق» و«الوَسِيج» و«الزَّميل»: ضُروبٌ من السَّير، و«اليَعْضيد» و«السَّعْدان» و«التَّنُّوم»: ضُروب من النَّبْت، وإنما جاء «بالتَّنُّوم» للقافية، وليست الإبل موصوفة بِرَعْي التنُّوم، وإنما تُحِبُّ السَّعْدان واليَعْضِيد.

(٢٩) «النُّعُوبُ»: من قولهم نَعَبت النّاقةُ إذا حرّكتْ رأسَها في سيرها، وذلك من النشاط. و«السُّعوم» من السَّعْم، وهو ضَرْب من السّير، وكَوْن الفاء في قوله «فنعُوبُها واواً أحسنُ، وعليه يصحّ المعنى، ولعل الطائيّ قاله كذلك.

(٣٠) «مُهْمَلها» الذي قد أُهمِل من الرُّكوب والعملِ، فوجبَ أن يكون أنشط من غيره. و«المُخَيَّس»: =

154

وقال في حَجَّة أبي بشْر عبدِ الحميد بن غالب ويمدحه [من الوافر] :

١ سَقَتْ رفهاً وظاهِرَةً وغِبّاً ... أَبَا بشْرٍ أهاضِيبُ الغَمَامِ
٢ لَبِسْتُ بهِ الصَّبابَةَ غيرَ أنّي ... سُرِرْتُ بهِ لِزَمْزَمَ والمَقَامِ
٣ غَدَاةَ غَدَتْ بهِ أُجُدٌ حَلاَلٌ ... تَشَذَّرُ تحت غِطْرِيفٍ حَرَامِ
٤ ثَوَتْ لِفِراقِهِ الآدابُ شُعْثاً ... وجَفَّتْ بَعْدَهُ غُدُرُ الكَلاَمِ
٥ أخُو ثِقَةٍ نَأى فبَقِيتُ لمَّا ... نَأى غَرَضاً لإخوان السَّلامِ
٦ ذَوي الهِمَمِ الهَوامِدِ والأكُفِّ الْـ ... ـجَوامِدِ والمُروَّاتِ النِّيَامِ
٧ يَظَلُّ عليكَ أصفحُهُمْ حقُوداً ... لِرُؤْيَا إنْ رَآها في المَنَامِ
٨ ومِنْ شَرِّ المِيَاهِ إذا استُمِيحَتْ ... أوَاجِنُها على طول المُقَامِ

155

وقال في مرض إلياس بن أسد [من البسيط] :

١ إلياسُ كُنْ في ضَمانِ اللّهِ والذِّمَمِ ... ذَا مُهْجَةٍ عَنْ مُلِمَّاتِ النَّوَى حَرَمِ
٢ سَلامَةً لكَ لا تَهْتَاجُ نضْرَتُها ... وَدَعْدَعاً ولَعاً في النَّعْلِ والقَدَمِ

= المُذَلّل. و« المخلوع »: الذي قد خُلِع عنه الخِطامُ والهاء في « مخطومها » لغيرها.

(١) « الرِّفْه »: أنْ تَرِدَ الإبلُ متى شاءت. و« الغِبُّ »: أن تَرِدَ يوماً وتَذَرُ يوماً. « والظاهرة »: أن تَرِدَ في وقت الظهيرة.

(٣) يقال رجل حَرامٌ: أي مُحْرِم، وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث، وجعل الناقةَ حَلالاً لأنها لا تَجتنِبُ ما يجتنبه المُحْرِمُ، ولا تشعر بمكان النُّسْك. « وتشذّر »: ترفع أذنابَها مَرَحاً. [الناقة الأجد: الموثقة الخلق].

(٢) (ص) « تَهتاج » تذوي، يقال هاجَ النَّبْتُ إذا يَبِسَ « وَدَعْدَعاً » « وَلَعاً »: يقالان للعاثِر، يُدْعَى له بهما أن ينتعش★. « وسلامةً لك »: على معنى الدُّعاء، كأنه قال سَلّمك الله، ويجوز نصبها ورفعها، =

٣ اللَّهُ عافاكَ مِنْها عِلَّةً عَرَضاً ... لَمْ تُنْحِ أظفارَها إلّا عَلَى الكَرَمِ
٤ تَكَشَّفَتْ هَبَواتُ الثَّغْرِ مُذْ كشَفَتْ ... آلاءُ رَبِّكَ ما استَشْعَرتَ مِنْ سَقَمِ
٥ فإن يَكُنْ وَصَبٌ عَايَنْتَ سَوْرَتَهُ ... فالوِرْد حِلْفٌ لِلَيْثِ الغَابَةِ الأضِمِ
٦ إنَّ الرِّياحَ إذا ما أعصفَتْ قَصَفتْ ... عَيدانَ نَجْدٍ ولم يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ
٧ بَناتُ نَعْشٍ ونَعْشٌ لا كُسُوفَ لَها ... والشمسُ والبَدْرُ مِنْهُ الدهرَ في الرَّقِمِ
٨ والحَادِثاتُ عَدُوُّ الأكْرَمِينَ فما ... تَعْتَامُ إلاَّ أمرأً يَشْفى مِنَ القَرَمِ
٩ فَلْيَهْنِكَ الأجْرُ والنُّعْمَى التي عَظُمَتْ ... حتَّى جَلَتْ صَدَاً الصَّمصامَةِ الخَذِمِ
١٠ قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بالبَلْوَى وإنْ عَظُمَتْ ... ويَبْتَلي اللَّه بعضَ القَوْم بالنِّعَمِ !

156

وقال يمدح عبد اللّهِ بن طاهر ، ويسأل أبا العَمَيْثل شاعرَ عبد اللّه عن شيءٍ وَقَّعَ له به عَبدُ اللّهِ بن طاهر فَتَأخَّر [من الكامل] :

١ لَيتَ الظِّبَاءَ أبا العَمَيْثَلِ خبَّرَتْ ... خَبَراً يُرَوِّي صَادِياتِ الهَامِ
٢ إنَّ الأمِيرَ إذا الحَوادِثُ أظلَمَت ... نُورُ الزَّمان وحِلْيَةُ الإسلامِ

= والمعنى واحد .

(٥) « الأضِم » : الغضبان. [الوِرد : من أسماء الحمّى].

(٦) يقال : عصفت الرِّيحُ وأعصَفتْ : بمعنىً. « والعَيدان » : جمع عَيْدانة ، وهي النخلة الطويلة ، وربما استعمل ذلك في السِّدْر . « والرَّتم » : ضَرْب من الشجر .

(٧) « الرَّقِم » الدّاهية. يقول لهذا المخاطب : إن نالَتْكَ عِلّةٌ فإنّ الشمس والقمر يُدركهما الكُسوفُ على عظمهما ، ولا تُكسف النجومُ.

(٨) « العدوّ » : كلمة تقع على الواحد والجمع ، إلّا أنهم قالوا : هي عَدوَّة الله ، فأدخلوا الهاء . « وتعتام » تختار ، أي أنها لا ترضى إلا بالرئيس من القوم ، لأن العدوّ لا يقنع أن ينالَ من أتباع مُعَاديه ، ولا يشفيه إلا أن يُصِيبَ العدوَّ في نفسه . وأصل « القَرَم » : شهوة اللحم.

(١) « العَمَيْثَل » في اللغة : الطويل ، وقيل هو الذي يَجُرُّ أثوابَه ، وقالوا هو عَمَيْثَلُ مالٍ : إذا كان حَسَنَ القيامِ عليه ، وبه سُمّي الرجلُ عَمَيْثَلاً .

٣	والــلّهِ مــا يَــدْرِي بــأَيَّــةِ حــالــةٍ	يَــبْــأَى مُــجَــاوِرُهُ عــلـى الأَيَّــامِ
٤	أبمــا يُجَــامِعُــه لَــدَيْــهِ مِنَ الغنَـى	أمْ مــا يُــفــارِقُــه مِــنَ الإعْــدَامِ
٥	وأرَى الصحِيفَــةَ قَــدْ عَلتْهــا فَــتْــرَةٌ	فَتَــرَتْ لها الأرواحُ فــي الأجسامِ
٦	إنَّ الْجِــيَــادَ إذا عَلَتْهــا صنْــعَــةٌ	رَاقَــتْ ذَوي الأَلْــبَــاب والإفــهــامِ
٧	لَــتَــزيَّــدُ الأبصَــارُ فيهــا فُسْحَــةً	وَتَــأمُّــلًا بِــعِــنَــايَــةِ الــقُــوَّامِ
٨	لَــوْلا الأمــيــرُ وأَنَّ حــاكِــمَ رَأْيِــهِ	في الشِّعْــرِ أصبَحَ أعــدَلَ الحُكّامِ
٩	لَثكِلْتُ آمَــالي لَــدَيْــهِ بــأســرهــا	أوْ كــانَ إنشــادِي خَفِــيــرَ كــلامي
١٠	ولخِفْــتُ في تَــفْــرِيقــهِ مــا بيْنَنــا	مــا قِيــلَ في عَمْــروٍ وفي الصَّمْصَامِ

157

وقال في السَّليل بن المُسَيَّب أبي قُدَامة الكِلابيّ [من البسيط].

١	حُبِسْتَ فاحتبسَتْ مِن أجلِكَ الدِّيَـمُ	ولَمْ يَزَلْ نابياً عَـنْ صَحْبِكَ العَـدَمُ

---

(٣) « يَبْأَى » : من البَأو ، وهو الكِبْر .

(٦) (ص) يقول إذا تكلمتَ في أمري كان أروحَ له .

(٨) و(٩) ويُروى: « وأنّ مُحْكَم رأيِهِ » . هذا استبطاءٌ لصِلة الممدوح ، يقول: لولا الأميرُ وعِلْمُه بالشِّعْر وصحّةُ فَهْمِه ، لثكلتُ آمالي بأجمعها ، أو كنتُ قد وَلِيت إنشادَ القصيدة ، فكان إنشادي كالخفير لكلامي ، لأنّ الخَفِير يُؤْمَن به قَطْعُ السبيلِ والأذاة في النفسِ والمال.

(١٠) لمّا تولّى الضربَ به . (غيره) ضَرَبَه مثلاً لنفسه ولشعره لمّا أنفذَه إلى عبدالله ولم ينشده مِنْ فيه . هذا المعنى مبنيّ على خبرٍ يُروى عن عمرو بن معد يكرب؛ وذلك أنه لمّا شُهِرَ مضاءُ سيفهِ بين العربِ ، طلبَه منه بعضُ الملوك فأخذَه ، فيقال إنه ضَربَ به عُنقَ بعيرٍ فلم يصنع شيئاً ، فأحضر الملك عُمرا وأخبرَه خبرَ السيف ، فقال عمرو: أبيتَ اللعن! إني أعطيتُك السيفَ ولم أُعْطِك الساعد ، وأخذ عمرو عموداً من حديد ، فلفَّ عليه رِدَاءَه ، وجاؤوه ببعير ، فوضع العمودَ على عُنقه ثم ضَرَبه بالسيف فقطع العمودَ والعُنُقَ ، فردَّ الملكُ السيفَ . وكان « الصَّمْصامة » صار إلى آل سعيد بـن العاص في الإسلام ، فلم يزل عندهم حتى أخذه من بعض وَلده موسى الملقّب بالهادي .

(١) [الديم : جمع الديمة ، وهي المطر المنهمر في سكون . نبى : أعيى] .

٢ يـا بنَ المُسَيَّب قـولاً غيـرَ مـا كَـذِبِ — لَـوْلاَكَ لَمْ يُدْرَ مـا المَعْروفُ والكَـرَمُ

٣ جَـلَّلْتني نِعَـمـاً جَلَّتْ وأَحْـرِ بِـأَنْ — يَجِـلَّ شُكْـرِيَ إذْ جَلَّتْ ليَ الـنِّعَـمُ

٤ يـا مَنْ إذَا قَعَـدَتْ بِـالقَـوْمِ هِمَّتُهمْ — عنِ اكتِسَـابِ العُلَى قَامَتْ بـهِ الهِمَمُ

٥ رَأَيْتُ عُـودَكَ مِـنْ نَبْـعٍ أُرُومَتُـهُ — مـا فـي جَـوَانِبِـهِ لِيـنٌ ولا وَصَـمُ

٦ أنتَ السَّلِيـلُ فَسُـلَّ السَّيْفَ مُنتصـراً — لِـذِمَّـةِ الشِّعْـرِ إذْ ضَـاعَتْ لَـهُ الـذِّمَمُ

٧ عَلَوْتَ مِنْ مَجْدِ قَيْسٍ في الوَرَى عَلَماً — أَعيـا الوَرَى وعَـلا مَجْـداً بـكَ العَلَمُ

158

وقال يمدحه [من البسيط]:

١ جَادَتْكَ عنِّي عُيُونُ المُـزْنِ والدِّيَـمُ — وَزَالَ عَيْشُـكَ مَـوْصُـولاً بـه النِّعَـمُ

٢ أَصْبَحْتَ لا صَقَبـاً منِي ولا أَممـاً — فـالـصَّبْـرُ لا صَـقَبٌ مِـنِّي ولا أَمَـمُ

٣ وَلَّيْتَ عَنِّي فـدَمْـعُ العَيْنِ مُنْسَجِـمٌ؟ — يَبْكي التَّـلاقي ومـاءُ القَلب مُنْسَجِمُ

٤ إنِّي لَمِنْ أنْ أَرَى حَيّـاً وقـد بَـرِحَتْ — بـكَ النَّوَى يـا شَقِيقَ النَّفْسِ مُحْتَشِمُ

٥ إنْ لَمْ أُقِمْ مَـأْتَـمـاً لِلبَيْن أُشْهِـدُهُ — أهـلَ الـوَفَـاءِ فَـوُدِّي فِيـك مُتَّهَمُ

٦ شِبْهـاكَ في كـلِّ يَـوْمٍ عَـزَّ جـانِبُـه — لَيْثُ العَـرينَـةِ والصَّمْصَـامـة الْخَـذِمُ

---

(٤) [قعدت: تراخت، تكاسلت].

(٥) المعروف «وَصْمٌ» بسكون الصّاد، ويجوز أن يكونَ حرّكهُ للضرورة كما قال رُؤْبَة.

★مُشْتَبَهُ الاعلامِ لَمَّاعُ الخَفَقْ★

والشعراءُ يتهاونون بهذه الأشياء، ولا سِيما إذا لم تكن مشهورةً في الكلام، يعرفها العامُّ كما يعرفها الخاص.

(١) [المزن والدِّيم: الغمائم الممطرة وزال: أراد. لا زال]

(٢) «الصَّقَبُ»: القُرْب، ويقال جارٌ مُصاقِب: أي ملاصِقٌ قَريب، و«الأَمَم»: ما بين القَريب والبَعِيد.

(٥) ويروى: «يشهده» أهل الوفاء».

(٦) [الصمصامة الخذم: السيف القاطع].

٧ ما جَادَ جُودَك إذْ تُعْطي بلا عِدَةٍ   ما يُرْتَجى مِنْكَ لا كَعْبٌ ولا هَرِمُ

159

وقال في عبد العزيز الكاتب حينَ حَجَّ [من المتقارب]:

١ وقائِلَةٍ حَجَّ عبدُ العزيز   فقُلْتُ لهَا حَجَّ غَيْثُ الأنَامِ
٢ لقَدْ حَمَلَ الجَمَلُ المُسْتَقِلُّ   بعبدِ العزيز سِجَالَ الغَمَامِ
٣ مَطَافٌ يَطُوفُ بِبَيْتِ الحَرَامِ   ورُكْنٌ حَوَى رُكْنَه باستِلامِ
٤ مَضَى مُحْرِماً بحَلال الثَّرَاءِ   فأَرْضَى بهِ رَبَّ بَيْتِ الحَرَامِ
٥ أقَامَ طَويلاً بدَار المَقَامِ   فأمرَضَنا مِنْه طُولُ المُقَامِ
٦ وآبَ مُعَرًّى مِنَ السَّيِّئا   تِ يَرْفُلُ في الحَسَنات الجِسَامِ
٧ مَنَاسِكُهُ فيهِ مَقبُولَةٌ   وحَجَّتُه بَرَّةٌ بالتَّمَامِ
٨ وأبقَى مآثِرَ مَحْمُودَةً   مُعَمَّرَةً عُمْرَ رُكْنَيْ شَمَامِ
٩ فدُونَكَ تَهْنِئَةً حُرَّةً   نِظَامَ امْرِىءٍ حَاذِقٍ بالنِّظَامِ

---

(٧) المعنى: ما جاءَ جودَك لا كعبٌ ولا هَرِمٌ، و«كَعْب» مرفوع بـ«جادَ» و«ما يُرتجَى» في موضع نصب بـ«تُعطى».

(٢) قوله «سِجَال الغمام» يحتمل أن يكون جمع سَجْل، وهو الدّلْو المملوءة ماءً، إلاّ أن السَّجْل مُذكَّر، ويجوز أن يكون «سِجَال الغمام» مصدر سَاجَلَ يُسَاجِلُ، أي هذا الحاج يُساجِلُ الغمامَ بجوده. و«المُسْتَقِلّ» الناهض، وإنما هو (مُسْتَفْعِل) من قُلّة الجبل، ثم كثرَ ذلك حتى استُعمل في غير القُلّة، وقيل لكل من نهض بشيء: قد استقلّ به.

(٣) الهاء في «رُكْنِه»: تعود إلى البيت.

(٦) [يرفل: ينعم].

وقال يمدح محمّد بن الهيثم بن شُبانة [من الكامل] :

١ أسْـقَـى طُـلُولَـهُـمُ أَجَشٌّ هَـزِيـمُ ... وغَـدَتْ عليهمْ نَضْرَةٌ ونَعِيمُ

٢ جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ ... ما عَهْدُهَا عندَ الدِّيارِ ذَمِيمُ

٣ سَفِهَ الفِرَاقُ عليكَ يومَ رَحيلهمْ ... وبما أراهُ وهْوَ عنكَ حَليمُ

٤ ظَلَمَتْكَ ظَالِمَةُ البَرىءِ ظَلُومُ ... والظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرةٍ مَذْمُومُ

٥ زَعَمَتْ هَواكَ عَفَا الغَدَاةَ كما عَفَتْ ... مِنْها طُلولٌ باللِّوَى ورُسُومُ

٦ لا والَّذي هُوَ عالِمٌ أنَّ النَّوَى ... صَبِرٌ وأنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ

٧ ما زُلْتُ عَنْ سَنَنِ الوِدَادِ ولا غَدَتْ ... نَفسي على إلْفٍ سِوَاكَ تَحُومُ

٨ لِمُحَمَّدِ بنِ الهَيْثَمِ بنِ شُبَانَةٍ ... مَجْدٌ إلى جَنْبِ السِّماكِ مُقِيمُ

٩ مَلِكٌ إذا نُسِبَ النَّدَى مِنْ مُلْتَقَى ... طَرَفَيْهِ فهْوَ أخٌ لهُ وحَمِيمُ

١٠ كاللَّيْثِ لَيْثِ الغَابِ إلَّا أنَّ ذا ... في الرَّوْعِ بَسَّامٌ وذَاكَ شَتِيمُ

١١ طَحْطَحْتَ بالخَيْلِ الجِبَالَ مِنَ العِدَى ... والكُفْرُ يَقْعُدُ بالْهُدَى ويَقُومُ

١٢ بالسَّفْحِ مِنْ هَمَذانَ إذْ سَفَحَتْ دَماً ... رَوِيَتْ بجُمَّتِه الرِّمَاحُ الهِيمُ

١٣ يَوْمٌ وَسَمْتَ بهِ الزَّمانَ ووَقْعَةٌ ... بَرَدَتْ على الإسلامِ وهْيَ سَمُومُ

١٤ لَمَعَتْ أسِنَّتُه فَهُنَّ معَ الضُّحَى ... شَمْسٌ وهُنَّ معَ الظَّلامِ نُجُومُ

---

(١) يقال «سَقَى» و«أسْقَى» قال قوم هما بمعنىً واحد، وقال آخرون: سَقَاه يَسْقيه، وأسقاه: إذا جعلَ سِقْياً دائماً، وأنشدوا قول لبيد:

سَقَى قَومي بني مجدٍ وأسقَى ... نُمَيْراً والغَطَارِفَ مِنْ هِلالِ

فجمعَ بين اللّغتين. وقال بعضُهم: لا يجمع عربيٌّ فصيحٌ بين لُغَتين في بيتٍ وَاحد. «وَالأجَشُّ» يُوصف به الرَّعْد، كأنَّ به جُشَّة. «وَالهزيم»: يحتمل أن يكون من الصوت، من ذلك قولُهم تَهزَّمَ الأديمُ: إذا تكسَّرَ وتَشَقَّقَ.

(٥) [اللوى: اسم موضع].

(٨) [السّماك: نجم في السماء].

(١١) [طحطحت: فرَّقتَ إهلاكاً].

١٥ نُضِيَتْ سُيُوفُكَ لِلقِرَاعِ فأُغْمِدَتْ — والخُرَّمِيَّةُ كَيْدُهَا مَخْرُومُ
١٦ أبلَيْتَ فيهِ الدينَ يُمْنَ نَقِيبَة — تَرَكَتْ إمامَ الكُفْرِ وهْوَ أمِيمُ
١٧ بَرقتْ بَوارِقُ مِنْ يَمِينكَ غادَرتْ — وَضَحاً بِوَجْهِ الخَطْبِ وهْوَ بَهِيمُ
١٨ ضَرَبَتْ أُنُوفَ المَحْلِ حتَّى أَقلَعَتْ — والعُدْمُ تحتَ غَمَامِهَا مَعْدُومُ
١٩ لِلَّهِ كَفُّ مُحَمَّدٍ وَوِلادُهَا — لِلبَذْلِ إذْ بَعْضُ الأكُفِّ عَقِيمُ
٢٠ مُتَفَجِّرٌ نادَمْتُه فكأنَّني — لِلنَّجمِ أَوْ لِلمِرْزَمَيْنِ نَدِيمُ
٢١ غَيْثٌ حَوَى كَرَمَ الطَّبَائعِ دَهرَهُ — والغَيْثُ يَكْرُمُ مَرَّةً ويَلُومُ
٢٢ ما زَالَ يَهْذِي بالمَوَاهِبِ دَائباً — حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ
٢٣ لِلجُودِ سَهْمٌ في المَكَارِمِ والتُّقَى — ما رَبُّه المُكْدِي ولا المَسْهُومُ
٢٤ وبَيَانُ ذلكَ أنَّ أوَّلَ مَنْ حَبَا — وقَرَى خَلِيلُ اللَّهِ إبرَاهِيمُ
٢٥ أعطَيْتَني دِيَةَ القَتِيلِ وليسَ لي — عَقْلٌ ولا حَقٌّ عليكَ قَدِيمُ
٢٦ إلاَّ نَدًى كالدَّيْنِ حَلَّ قضَاؤُهُ — إنَّ الكَرِيمَ لِمُعْتَفِيهِ غَرِيمُ

---

(٢١) عادةُ العربِ إذا خَفّفوا الهمزةَ في مثل «يَلؤُم» أن يُلقوا الحركةَ على اللام، ويحذفوا الهمزة، فيقولوا «يَلُم» وفي «يَسأَم» يَسَمُ وفي «يَنئمُ» يَنِمُ. وبعضُهم يقول يَلُوم ويَسَامُ ويَنيم الليثُ، وذَلك رديء قليل في كلامهم.

(٢٢) [ص] هذا أحسنُ من قول أبي نواس:

جادَ بالأموالِ حتى — قِيلَ ما هذا صَحِيحُ

ومن قول العنبريّ:

ما كان يُعطى مِثلَها في مِثلِهِ — إلاّ كريمُ الخِيمِ أوْ مَجنونُ

لأنَّ المحمومَ أحسنُ حالاً من المجنون.

(٢٣) يقال سَاهَمَ الرجلُ غيرَه فسَهَمَه: إذا غَلَبه، «وربُّه» صاحبُه، «والمُكْدِي» من قولهم أكدَى إذا افتقَرَ وخُيِّبَ طلبُه.

(٢٥) سَمَّوا «الدِّيَة» عَقلاً لأنهم كانوا يؤدُّونها من الإبل، فَيعْقِلونها عند بيت القتيل، أو بِفناء القوم الذين يقبلون الدية، ثم سُمِّي الشيءُ باسم المصدر، وهذا مجانس لقولهم أخذَ السلطانُ منهم عِقَال عامٍ: أي صدَقته، لأنهم كانوا إذا أخذوا الإبل في الصدقة، احتاج كلُّ واحد منها إلى عِقال.

٢٧ عُـرْفٌ غَـدَا ضَـرْباً نَحِيفـاً عنـدَه شُـكْـرُ الـرِّجَـالِ وإنَّـهُ لَجَسيـمُ

٢٨ أخـفَـيْتَـهُ فـخـفَـيْتُـهُ وطَـوَيْتَـهُ فنَشـرتُـهُ والشَّخصُ مِنْـه عَمِيمُ

٢٩ جُـودٌ مَشَيْتَ بـهِ الضَّـرَاءَ تَـوَاضُعـاً وعَـظُمْتَ عَنْ ذِكْـرَاهُ وهْـوَ عَـظِيمُ

٣٠ النَّـارُ نـارُ الشَّـوْقِ في كَبِـدِ الفَتَى والبيْـنُ يُـوقِـدُه هَـوًى مَسْـمُـومُ

٣١ خَيْـرٌ لَـهُ مِنْ أنْ يُخـامِـرَ صَـدرَهُ وحَشَـاهُ مَعْـرُوفُ امْـرِئٍ مَكْتُـومُ

٣٢ سَـرَقَ الصَّنِيعَـةَ فـاستمَـرَّ بِلَعْنَـةٍ يَـدْعُـو عليـهِ النَّـائِـلُ الـمَظْلُومُ

٣٣ أأُقَنِّـعُ الـمَـعْـرُوفَ وهْـوَ كـأنَّـهُ قَـمَـرُ الـدُّجَى إنِّـي إذنْ لَـلَئيـمُ!

٣٤ مـثْـرٍ مِنَ الـمَـالِ الـذي ملَّكْتَني أعنَـاقَـهُ ومِنَ الـوَفَـاءِ عَـدِيمُ ؟!

٣٥ فـأروحُ في بُـرْدَيْنِ لَمْ يَسْحَبهُمـا قَـبْلِي فَـتًى وهُـمَـا الغِـنَى والـلُّومُ ؟

---

(٢٧) يقال رجل ضَرْبِ إذا كان خفيفَ الجسم، وكذلك قالوا مَطَر ضَرْب إذا كان خَفِيفاً، واستعار «الضَّرْب» لِلعُرف ولم يُستعمَل ذلك قبلَ الطائيّ.

(٢٨) «أخفَى» إذا سَتَر، «وخَفَى» إذا أظهرَ، يقال خَفَاهُ واختفاه، قال الشاعر:

فـإنْ تكتمـوا الداءَ لا نُخْفِـه وإن تبتغـوا الحـربَ لا نَقْعُـدِ

«والعَمِيم: التَّامُ».

(٢٩) «مَشَى له الضَّرَاء: إذا فعلَ فِعْلاً خَفِيًّا، وكذلك دَبَّ له الضَّرَاء. ابنُ السِّكيت: هذه الكلمة في الأضداد. وزعَم أنه يقال مشى الضَّرَاء إذا أظهرَ أمرَه.

قافية النّون

161

قال يمدح الحسنَ وسليمان ابني وَهْبَ [من الطويل]:

١	سَأشكُرُ لابْنَي وَهْبٍ الهِبَةَ التي	هِيَ الوُدُّ صَانَاهُ بِحُسْنِ صِيَانِهِ
٢	عَفَاءٌ عَلى دَهْيَاءَ كَانَا إزاءَها	وَنِكْلٌ لِدَاجي الْخَطْبِ يَعْتَورَانِهِ
٣	تَدَفَّقْتُمَا مِنْ طَلِّ مُزْنٍ ووَبْلِه	وَمِنْ شَرْخِ مَعْرُوفٍ وَمِنْ عُنْفُوَانِهِ
٤	وَهَلْ لي غَدَاةَ السَّبْقِ عُذْرٌ وأنتُما	بحيثُ تَرَى عَيناَيَ يومَ رِهَانِهِ!
٥	رأَيْتُكما مِنْ رَيْبِ دَهْرِيَ هَضْبَةً	وَما زُلْتُمَا لا زِلْتُما مِنْ رِعَانِهِ
٦	فأصبَحَ لي تَحْتَ الجران فَريسَةً	ولَوْلاكما أصبَحْتُ تحتَ جِرَانِهِ

(١) « صِيان » الشيء « وصِوانه » ماصين به، وهو من ذوات الواو، وإنما قلبت ياءً « في صِيان » لانكسارِ ما قبلَها، وكأنَّ « الصِّيانَ » في الحقيقة مصدر سُمّي به الشيءُ، لأن المصادر تنقلب فيها الواوُ ياءً، إذا كان ما قبلها مكسوراً، كقولك ذُدْتُه ذِياداً وقمتُ قياماً، ومن ذلك قولُهم للثور الوحشيّ ذَبُّ الرِّياد وإنما هو مِن رَادَ يَرُودُ. وإذا لم يعتلَّ الفعلُ صَحَّتْ الواوُ في المصدر، كقولك عاودتُه عِواداً ولاوذتُ به لِوَاذاً، فأمّا « الخِوَان » الذي يُؤكل عليه « والحِوَارُ » إذا أُريد به ولدُ الناقة، في لغةَ من كسر الحاء، فإنَّ الواو تثبت فيهنّ مع كَسْرَةِ ما قبلها، لأنهنّ غيرُ جَوَارٍ على فِعْلٍ.

(٢) (ع): « ونُكْلٌ لأمِّ الخَطْبِ » « العَفَاء » يُستعمل في الدُّعاء، يقال عليهم العَفَاءُ، ويُفسَّر على وجهين يتقاربان في المعنى: أحدهما الهلاك ودُروسُ الأثَر، والآخَر الترابُ، وذلك أنه إذا وقع على الأثر عفَاه. « ويعتورانه »: أي يجيئه مرّةً هذا ومرّةً هذا، « والاعتوار » والتعاور: مُشتقَّان مِن العارية، لأنّ أحَد المعتورَيْن يطرق الشيءَ فكأنّه عاريةٌ معه، ثم يَزولُ عنه ويجيئه من بعدَه. ومعنى قوله « عَفَاءٌ على دَهْياء » أي لا تثبت داهية إذا أراد إزالتها. [ص] وكلُّ شيءٍ مُنع من فسادٍ فهو « نِكْل »، وأصلُه القَيْد.

(٤) [ص] الهاء في « رِهانه » للسَّبْق. يقول: لا عُذْرَ لي أن يسبقني أحدٌ وقد تَعلّمتُ منكما، ورأيتُ سَبْقكما في المكارم.

(٥) [ص] أي لا زِلْتما جِبَالاً في الدَّهْر، « والرَّعْن »: أنفُ الجبل.

(٦) [الجران: صدر الناقة].

٧ وَمَلَّكْتُمـاني صَعْبَـةً وَخِشَـاشَهـا وَأمكَنْتُمـا مِـنْ طـامـحٍ وَعِنَـانِـهِ
٨ لَئنْ رُمْتُ أمـراً غِبْتُما عنـدَ بِكْـرِهِ لَقَـدْ سَرَّني فِعْـلاكُما في عَـوَانِـهِ
٩ ومـا خَيْـرُ بَـرْقٍ لاحَ في غيـرِ وَقْتِـهِ ووادٍ غَـدَا مَـلآنَ قَـبـلَ أوَانِـهِ؟!
١٠ تَـلَطَّفْتُمَـا لِلدَّهْـرِ حَتَّى أجَـابَـنِي وَقَدْ أزْمَنَتْ رِجْلِي هَنَاتُ زَمانِـهِ
١١ ومـا زِلْتُمـا مِنْ نَبْعِـه إنْ عُجِمْتُمـا لِضَيمٍ ، وَعِنْدَ الجُودِ مِنْ خَيْـزُرَانِـهِ
١٢ لعمري لقد أصبَحْتُما العُرْفَ صاحباً له مِقْـوَلٌ نُعْمـاكما فـي ضمـانِـهِ
١٣ ويـأْخُـذُ مِنْ أيْـدِيكُمـا وَهَـواكُمـا فَـلا عَجَبٌ أنْ تـأْخُـذَا مِنْ لِسَانِـهِ

162

وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم ، ويذكر إيقاعه بالمُحَمِّرة أصحاب بَابَك ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيه ، فكلُّ مَنْ جاءَ قُتِل وحُزَّت أُذُنه ، حتى وَجَّه إلى المعتصم بستين ألف أُذُن [من الوافر]:

١ خَشُنْتِ عليـهِ أُختَ بَني خُشَيْـنِ وَأنـجَـحَ فيـكِ قَـوْلُ العَـاذِلَيْـنِ
٢ أنـأْيـاً وَاجـتِـنَـابـاً أيَّ صَـبْـرٍ علـى البَلْوَى يُعَـرِّسُ بيـنَ ذَيْـنِ؟!

(٧) جعلَ حاجتَه التي يُريد كالصَّعْبَة من النُّوق ، وجعلَ الممدوحين قد مَكّناه مِنْ « خِشاشها » ، وهو عُودٌ يُجعل في أنف الناقة أو البعير ، وصَيّرَ الحاجة كالطَّامح من الخيل مَكّنه هذانِ الرّجلان من عنانه ، وكـان لا يَقْـدِرُ على ذلـك .

(٩) يقول: أنتما تُعينانني في وقتٍ يَقعُ فيه النُّجْحُ.

(١١) « النَّبْع » : من صُلب الشجر ، والهاء في « نَبْعِهِ » راجعة على الدهر . « والخيزران » ليّن سهل الانعطاف ، والعرَبُ تُسمي كلَّ عُودٍ ليّن خيزراناً وإن لم يكن من هذا المعروف ، قال الشاعر يـذكـر حمامـةً:
هَتُـوفٌ دَعْـت إلْفـاً علـى خَيْـزُرانـةٍ يَكـادُ يُـدَنِّيهـا مـن الأرض لِينُهـا
يقول الطائيّ لِلمُخَاطَبَيْن: أنتما إذا عَجَمَكما العَدوُّ من نَبْع الدَّهْر ، وإن حُمِدتُما اهتزَزْتُما للمعروف ، كأنّكما لِفَرْطِ اللّين مِنَ الخيزران.

(١٣) أي يَأخذُ صِلاتِكما وتُعينانه ، فلا عَجَبَ أن يمدحكما .

(١) و(٢) يقال شيء خَشِنٌ ، وقياسُ اللفظين أن يكون الماضي منهما خَشِنْتِ ، بكسر الشين ، وقد حُكيتْ حروفٌ في الفعل من (أفْعَل) تجيء على (فَعِلَ) و(فَعُلَ) مثل قولهم سَمِرَ وسَمُرَ وخَرِقَ وخَرُقَ وغير ذلك ، فيجوز أن يكون خَشُنَ من هذا الباب. « وبنو خُشَيْن » : قبيلة من اليمن ، وإنما أراد التجنيس =

٣ أَلَمْ يُقْنِعْكِ فيهِ الهَجْرُ حتى ... بَكَلْتِ لِقَلْبِهِ هَجْراً بِبَيْنِ ؟

٤ بِما تَتَرشَّفينَ نِطَافَ وُدِّي ... وَتَبْتَهجينَ عندَ حُلُولِ دَيْني

٥ لَيالي لا تَرَيْنَ الدَّمْعَ تُنْسِي ... شُؤونُكِ غَرْبَه حتَّى تَرَيْني

٦ لإسحقَ بنِ إبراهيمَ كفٌّ ... كَفَتْ عافيه نَوْءَ المِرْزَمَيْنِ

٧ وَنُورا سُؤْدُدٍ وَحِجاً إذا ما ... رَأَيتَهما رَأيتَ الشِّعْرَيَيْنِ

٨ ومَجْدٌ لَمْ يَدَعْهُ الجُودُ حتَّى ... أقامَ مُناوِئاً لِلفَرْقَدَيْنِ

٩ حليفُ نَدًى وَتِربُ عُلاً إذا ما ... هَتَفْتَ بِهِ وَسَيْفُ خَليفَتَيْنِ

١٠ سَلِ الجَبَلَ المُمنَّعَ كيفَ أخنَى ... عليهِ زُخْرُفَا نَكَدٍ وَحَيْنِ

١١ أزلتَ الشَّكَّ عنهمْ يومَ رَانَتْ ... ضَلالَتُهم عليهمْ أيَّ رَيْنِ

١٢ لَقِيتَهُمُ بِحَلَّابِ المَنَايا ... بَعيدِ الرِّزِّ نائي الحَجْرَتَيْنِ

١٣ فما أبقَيْتَ لِلسَّيْفِ اليَماني ... شَجاً فيهمْ ولا الرُّمْحِ الرُّدَيْني

١٤ وَقَائعُ أشرقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ ... إلى خَيْفَيْ مِنًى فالمَوْقِفَيْنِ

= بهذا الاسم، وقيل: خُشَيْن بن لأي بن عُصَيْم بن شَمْخ بن فَزَارة.

(٣) و(٤) [ق]: يُخاطب صاحبته، فيقول على طريق الإنكار والتوبيخ لها: ألم يُرْضِكِ هَجْرُكِ له وقتَ اجتماعكِ معه، وسوءُ عطفكِ عليه حتى خلطتِ بالهجْران بُعْدا، وجمعتِ على قلبه بين الصَّرْم والنَّأْي؟ «بما تترشفين»: الباء من صلة بكلتِ لقلبه، والعربُ تقول هذا بذاك: أي هذا عوضٌ من ذاك. والمعنى فعلتِ هذا عِوَضاً عن امتداد وصالٍ كان بيننا، تَرَشَّفْتِ فيه مِياه ودِّي، وسُرِرْت بِوجوب دَيْني. ويعني «بالدَّيْن» موعداً كانت تَبْذُله له، فإذا جاءَ مَحَلُّه كانت تستبشر، فضلاً عن إنجازه.

(٥) وَيُرْوى «يُنْشِي» بالشين، فمَن رَوَاه بالسِّين فهو من النِّسيان، أو من النَّسيئة: أي التأخير.

(٦) [المرزمان: من نجوم المطر].

(٧) الحجا: العقل. الشعريان: من نجوم المطر.

(٨) الفرقدان: نجمان في السماء.

(١٢) «الرِّزّ»: الصوت، يُقال سمعتُ رِز الرَّعْدِ، ورِزَّ الفَحْل، «والحُجرتان»: النَّاحيتان.

(١٣) و(١٤) خَفَّفَ ياء «الرُّدَينيّ» للضرورة، وذلك في القافية كثير، وهم يحذفون الأُصُول في الفواصل، فما بَالُ الفروع؟ وثَنَّى «الخَيْف» وهو ما ارتفعَ من المسيل، وانحدر عن الجبل، لأنه أراد إقامةَ الوزن، وذلك جائزٌ على معنى الاتساع، وإنما يجيء في الشعر القديم خَيْفُ مِنىً، والخَيْف =

١٥	ثَــوَى بــالمَشْــرِقَيْن لَـهُمْ ضَـجَـاجٌ	أطَـارَ قُلُوبَ أهْـلِ الـمَـغْــرِبَـيْــنِ
١٦	عَـمَمْـتَ الخَـلْقَ بـالنَّعْمَـاءِ حَتَّـى	غَـدَا الـثَّـقَـلانِ مِـنْـهـا مُـثْـقَـلَيْـنِ
١٧	ولَـوْلا سَيْفُـكَ الـمَـاضِي لَـسَمَّـوا	خَـلِيـلَيْ مِـلَّةٍ وَمُـحَـمَّـدَيْـنِ
١٨	وَلَـكن قُـلْتَ والمُـهْجَـاتُ تَـجْـرِي	مَـعَـاذَ الـلَّهِ مِـنْ كَـذِبٍ وَمَـيْـنِ
١٩	مَـحَـوْتَ بهـا وَقَـائـعَ مِـنْ مُـلُوكٍ	وكُـنَّ وقـد مَـلأتَ الـخَـافِـقَـيْـنِ
٢٠	صَبيحَـةَ خَـازِرٍ أنسَتْ ومَـهْـوَى	عُبَيْـدِ اللهِ فِيهـا والحُصَيْـنِ

= مِن مِنًى على التوحيد إلاّ أنَّ التثنية والجمع في مثل هذه الأشياء جائز، كما يقولون مَرّةً عرفة ومرةً عرَفات، وكذلك يقولون أبطح مكة وأبطحاها وأباطحها، وهذا سائغٌ معروف، وكذلك قوله «فَالمَوْقِفَيْنِ» أراد المَوْقِفَ بعرفة، والموقف بالمُزْدَلِفة، أو موقف إبراهيم، أو نحو ذلك من المواضع، ولو لم يكن ثَمَّ إلاّ موقفٌ واحد لجاز أن يُثنَّى ويُجمَع بما حوله أو قَرُبَ منه، أو يُجْعَل المكانُ الواحدُ مَوَاقِفَ كثيرةً، لأن الموقفَ بعرفةَ جائزٌ أن يُسمَّى كلُّ موقفِ إنسانٍ منه مَوْقِفاً. «وجَمْع» اسمٌ لِمِنًى، وقيل هو موضع قَريب منه.

(١٥) [الضجاج: الضجيج].
القول في «المشرِقَيْن» مشهور، لأنهما مَشْرِقُ الصَّيفِ ومشرق الشتاء، وكذلك المغربان، «والضّجَاج» مثل الضجيج.

(١٧) (ق): ويُروى «لَسُمُّوا» على ما لم يُسمَّ فاعلُه، «ولَسَمَّوا» بفتح السِّين، فمَن رَوَى «لَسَمَّوا» بالفتح فالمعنى لولا أثرُ سيفكِ لاتخذ هؤلاء القومُ رُؤساءَهم بمنزلةِ الأنبياءَ تعظيماً، فكانوا يجعلون لإبراهيم خليلِ اللهِ نظيراً فيهم، ولمحمدٍ نبيِّ اللهِ شَبِيهاً عندهم، فيحصل للمِلّة خليلانِ ومُحمَّدان. ويجوز أن يكون معناه ـ وهو الأجود عندي ـ لولا سيفُكَ لجعلوا الدِّينَ دينين والمِلّة ملّتَيْن، وإذا فعلوا ذلك فقد جعلوا محمداً مُحَمَّدَيْن، لأنهم إذا أقاموا صَاحِباً لهم له شريعةٌ يُدعَى إليها، فقد جعلوا الشريعة شريعتين ومحمداً محمديْن، وإن لم يكن اسمُ صاحِبهم محمداً. ومن روى «لَسُمُّوا» بالضم فإنه يريد لولا إبادتُكَ لهم بسيفك لاختلَطوا بالمسلمين، وتَستّروا بالإسلام مُغَيِّرين ومُبَدِّلين، فكانوا يُسمَّوْن خَلِيلَيْ مِلّةٍ وأُمَّةَ محمدين، فحذفَ المصافَ وأقامَ المُضافَ إليه مُقَامَه، ويعني «بالخليلين»: إبراهيم ومحمَّداً، وكذلك «مُحَمَّدَيْن» كما يقال القَمَرَان والعَمْرَان.

(٢٠) «خَازِر» بناحية الموصل، وإنما يعني وَقْعَة إبراهيم بن الأشتر والمختار بن عبيدالله بن زياد، والحُصَيْن بن نُمَير السَّكُوني، فقُتلَ عبيدُاللهِ والحُصَيْن، يقول وقعتك أربَتْ على وقعات مَن كان قَبْلَك، وأنسَتْ حُروبَ المُلُوك المتقدمة، ثم أخذ يُعدِّدها فقال:

٢١ وَفِيْفَ الـرِّيـحِ إذْ دَلَفَتْ مَعَـدٌّ بِـأَجْمَعِـهَـا وَأُسـرَةُ ذِي رُعَيْـنِ
٢٢ وَأَيَّـامَ الـذَّنـائـبِ زَعْـزَعَـتْـهـا وَيَـوْمَ مُـهَلْهِـلٍ والـشَّعْـثَمَـيْنِ
٢٣ وَأَيَّـامِ الـكُـلاَبِ غَـدَاةَ هَـزَّتْ مُـرَارِيَّيْـن فِيهـا مُتْـرَفَيْـنِ
٢٤ أَخٌ تَـرَكَـتْ أَسِنَّتُـه أَخـاه تَلِيلاً لِلجَبِيـنِ ولليَـدَيْـنِ

---

(٢١) «فَيْفُ الرِّيح»: موضعٌ معروف، «والفَيْف»: المُتَّسع من الأرض، كأنهم أرادوا أنَّ الريح تَتَّسع فيه. وقد كانت في فَيْف الرِّيح حُروبٌ، منها ما كان بين ربيعة، والذي عنَى الطائيُّ غير ذلك، إنما يعني حرباً قديمةً كانت بين معد واليمن، «وذورُعَيْن» من حِمْيَر. ويقال جاء القومُ بأجمعِهُم بضم الميم، وهو أفصحُ عندهم من أَجْمَعَهُم بالفتح، لأن «أجمَعَ» مقصورٌ على التوكيد.

(٢٢) [ق]: هذه الأيامُ من حرب البَسُوس، وكانت بين بَكْر وتغلب، بسبب قَتْل كُلَيْب وائل، وإنما سُمِّي بكُليب فيما حُكي لكلبٍ كان له جَعلَ نُبَاحَه وأثَرَ قوائمِهِ سَبَباً فيما يجعله حمًى من البِقَاع، فكان أيَّ مَوْضع سُمع نُبَاحُ كلبِهِ فيه مِن حِماه، يُتَجنَّب ويُتحامى إلاّ بإذنه؛ ثم إنّ جسَّاس بنَ مُرَّة الشيبانيّ قَتل كُليباً بسبب ناقةِ جارٍ له تُسَمَّى بَسُوساً، فلذلك قالت العربُ «أشأمُ من البَسُوس»، وكانت رَعَتْ في حِماه، فرمَى كليبٌ ضَرْعَها، فأحقدَ ذلك جَسَّاساً، فأمهل كُلَيباً إلى أن رَكبَ يوماً في عقب مطر، فتَبعه جَسّاسٌ مع عمرو بن الحارث، وطَعَنَه جَسَّاسٌ وأذرَاه عن ظَهْر فرسه، ونزل عمرو، وكان كليبٌ يطلب ماءً، فقدَّرَ أنّ عمراً يسقيه، فدنا منه، وأجهزَ عليه، فلذلك قيل:

المُسْتَجِيـرُ بعمـرٍو عنـدَ كُـرْبتـهِ كـالمُسْتَجيـرِ مـنَ الرَّمْضـاءِ بـالنَّـارِ

وأما «الشَّعْثَمان» فقيل هما رجلان يقال لأحدهما شَعْثَم وللآخر شَعْثَب، وقيل كان الآخر لَعْثَماً، وهما ابنا معاوية بن ذُهْل، قتلهما مُهلهل في طلب دم كليب، فقال:

فلـو نُبِشَ المقـابـرُ عـن كُلَيْـبٍ فتُخْبِـرَ بـالـذَّنـائـب أيُّ زِيـرِ!
بيـوم الشَّعْثَمَيْـنِ تَقَـرُّ عَيْنـاً وكيـفَ لقـاءُ مَـنْ تحـتَ القُبُـورِ؟

(٢٣) و(٢٤) (المرزوقيّ): هذا يومٌ هَزمتْ ربيعة فيه تميماً، و«الكلاب»: ماءٌ بينَ الكوفة والبصرة، وهذان الأخَوانِ مِن بني آكِل المُرَار، واسمُهما شُرَحْبيل وسَلمَة ابنا الحارث بنِ عمرو آكِلِ المُرَار، ولمّا مات أبوهما تَنازَعا في المُلْك، فصارت بنو تميمٍ والرِّباب وبنو يَرْبُوع وبَكْر بنُ وائلٍ مع شُرَحبيل، وصارت تَغْلِب والنَّمرِ وبَهْراء مع سَلمَة، فالتقوا بالكُلاب، وهو الكُلاب الأوّل، وجعل كلُّ واحدٍ من الأخوين في رأسِ أخيه مائةَ بعيرٍ، فلمّا جَدَّ القتالُ حَمَل أبو حَنَشٍ التَغلبيّ على شُرَحَبيل فقتَله، واحتَزَّ رأسَه، وبعثَ به مع عَسِيفٍ له، إلى أخيه سلمة، فلمّا وضعَ رأسَه بين يديه جَزِعَ وقال: مَنْ قَتلَه؟ فقيل أبو حَنَش، فأنشأ يقول: =

٢٥ ومِنْ سَاتِيدَمَا بَرْوَازَ فَلَّتْ   شَبَا فَخْرٍ فسِيحَ الطَّائِفيْنِ

= ألاَ أبلغْ أبا حَنَشٍ رَسُولاً   فمالكَ لا تَجيء إلى الثَّوَابِ؟!
تَعلّمْ أنّ خيرَ الناسِ مَيْتاً   قَتِيلٌ بينَ أحجارِ الكُلابِ

وقال أبو العلاء: هما كُلابان، الكُلاب الأوّل، والكُلابُ الثاني، فالكُلاب الأوّل هو الذي ذَكَره الطائيّ في هذا البيت، وكان بين المَلِكيْن الكِنديَّين: سَلَمة وشُرَحبيل ابني الحارث، وهما عمّا امرىء القيس بن حُجْر، فقُتل يومئذٍ شُرَحبيل، قَتلَه عُصْمُ بنُ النعمان التغلبيّ، فقال أخوه مَعْد يكرب بنُ الحارث يرثيه:

إنّ جَنْبي عنِ الفِراش لَنَابي   كتجافي الأَسَرِّ فوق الظِّراب
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إليّ فما أطعَمُ   نَوْمي ولا أُسِيغُ شَرَابي
مِنْ شُرَحْبِيلَ إذ تَعاوَره الأرْ   ماح من بعدِ لَذَّةٍ وشَبابِ

وقول الطائيّ «مُرَارِيْنِ»: أرادَ سَلمة وشُرَحْبيل، لأنهما ولَدا آكل المُرَار، وإنما قيل له آكل المُرَار فيما ذكر بعضُ الناسِ، لأنّ مَلِكاً من قُضاعة أغار على حِلّتِه وأخذَ امرأتَه، وكان يقال لها هند الهُنود، فقالت للملك الذي أخذها: كأني بالحارث وقد اتّبعك كأنّه بعيرٌ آكل المُرَار! والإبل إذا رَعتْ المُرَار تَقلّصَتْ مَشَافِرُها، أرادت أنه قد كَلَحَ وقَلصتْ شفتاه. وقال قوم: إنما سمّى آكل المُرَار لأنه كان في غزو فَفنِيَ زَادُه، وزادُ أصحابه، فماتوا، وأكلَ هو المُرَارَ فسَلِمَ. وقيل إنما قيل له آكل المُرَار لأنه كان أجلعَ لا تنضم شفَتَاهُ على أسنانه، فشُبّه بالذي يرعى المُرَار من الإبل، وهذا أشبه ما قيل. وأما «الكُلاب الثاني» فكان بين الحارث ابن كعب، وبين الرِّباب وقومٍ من تميم، وفيه أسرَ عبدُ يغوث بن صَلاءة فقتلته الرِّبابُ صَبْراً، لأنّ سيّدهم النعمانَ بن حسّان قُتِل في ذلك اليوم.

(٢٥) [ق] هذه الوقعةُ لإياس بن قَبيصةَ الطائيّ، بقيصر وأصحابه بساتيدما، وهو جبلٌ يجيء منه نَهر، وهو أصل دِجْلة. وحديثُهما أنّ كِسْرى بن هُرْمُز كان يبعث كلَّ سنةٍ شَهْريارَ الأَصْبَهْبَذ إلى الرُّوم في جيش، فيَنْكِي فيهم، فبعثَه سنةًفأَصابَ فيها خزائنَ الرُّوم، فأنفذَها إلى كسرى، فلما وصلَتْ إليه حسدَه كسرى، وخاف عَلَى مُلْكه منه، فبعث إليه رجلاً ليقتله، فأفشى ذلك الرجلُ سِرَّه إليه، وعرَّفه ما أُنفِذَ فيه نحوه، فبعثَ شهريارُ إلى قيصرَ وعرَّفَه سوءَ خيانة كسرى وغَدْرَه، وحَثَّه على قصدِه، واثقاً بأنه يَخْذُله، وضَمِنَ له ما يحتاج إليه عاجلاً لتجهيز الجيوش. فسار قيصرُ في أربعين ألفاً وخَلَّف شَهْريارَ في أرض الروم بعد أن وَكَّد عليه العهود، فلم يعلم كسرى حتى دَهِمَه جيشُ قيصر، فلمّا رأى ذلك علم أنّ شَهريار دَبَّر عليه ذلك، وكانت جنوده متفرقةً، فاحتال عند ذلك كسرى وعَمَّد إلى قَسٍّ نصرانيّ مُستبصرٍ في دينه، وقال: إني كاتبٌ معك كِتاباً لطيفاً إلى شهريار، فانطلِقْ به إليه، فإنّ قيصر وأصحابَه لا يَتّهمونك، وأعطاه على ذلك ألف دينار، عالماً بأنّ القَسّ يميل إلى قيصر، ويعدل بكتابه إليه ويعرضه عليه، وكتب في الكتاب: «إني كتبتُ هذا وقد دنا =

٢٦	بَـلا فِـيـهـا إيَـاسٌ كُـلَّ لَـدْنٍ	وكُـلَّ مُـصَمـمٍ فـي الـعَـظْم لـيْـنِ
٢٧	وحُجْـراً وامـرأَ القَـيْسِ بنَ حُـجْـرٍ	لَـيـالـي كـاهِـلٍ وبَـنِـي مُـعَـيْـنِ
٢٨	ويَـوْمَ الـبِـشْـر أَنْـسَـتْـهُ وهَـدَّتْ	وقـائـعَ رَاهطٍ وبَـنَـاتِ قَـيْـنِ
٢٩	ويَـومَ المَصْـدِقيَّـةِ حيـنَ سَـامُـوا	أنُـو شَـرْوَانَ خَـطْبـاً غـيـرَ هَـيْـنِ

= قيصر مني، وقد أحسنَ الله إلينا وإليك بصنيعك، وإني فرّقتُ الجيوشَ له من كل جانب، وأنا تاركه حتى يدنو من المدائن، ثم أثبُ عليه بالخيول في كذا، فإذا كان ذلك اليوم فأغِرْ أنت على مَن قِبَلك، فإنه استئصالهم». فحملَ القَسُّ كتابَ كسرى إلى قيصر ودفعَه إليه، وعَرَّفه ما أُعطِي وأُنفِذَ فيه. فلمّا قرأ الكتاب لم يشكّ أنّ الأمر حقٌّ، فرجع منهزماً من غير حربٍ، فاتبَعه كسرى إياسَ بن قبيصة ـ وكان يَتيمَّن به ـ فوضعَ فيهم السلاحَ وقتلهم، ونجا قيصرُ في حواصّ أصحابِه، ولهذا مَلَّكه كسرى على العرب بعد النعمان ابن المنذر.

(٢٧) يعني قَتْل بني أسدٍ حُجْراً، وطَلَبَ امرىءِ القيس بثأره، وقَتْلَه بني كاهل. و«بنو قُعَين»: من بني أسد، واشتقاق قُعَيْن» من القَعْن، ويقال إنه من القَعَم، وهو احدِيدابٌ في مؤخّر الأنف.

(٢٨) «البِشْر»: هذا الموضع المعروف، والبادية تنزله به إلى اليوم، وإنما سُمِّيَ البِشْر باسم رجلٍ كان يكون فيه، يُعرف بِبِشْر بن مالك في الدّهر الأول، وإنما عَنَى الطائيُّ وقعةَ الجحَّاف بن حكيم السُّلَمى ببني تغلب في هذا الموضع، فقتلَ الأطفالَ، وبقر بُطُونَ الحَبَالى، فقال الأخطل:

لقـد أوقـعَ الجحَّـافُ بـالبِشْـرِ وَقْعـةً   إلـى اللهِ منهمـا المُشْتَكـى والمُعـوَّلُ

«ومَرْج رَاهطٍ» ـ و«راهطُ» رجلٌ من قُضَاعة ـ كانت فيه الوقعة بين آلِ مروان وابن الزُّبير، وكانت قيس مع ابن الزبير، وكلب مع آل مَرْوان، وفيه قُتِلَ الضَحَّاكُ بن قيس الفِهْريّ. «ويوم بنـات قَيْن»: يوم أوقَعتْ فيه فزارةُ ومَن ضَامَّها بكلبِ بن وَبْرَة. و«بنات قَيْن»: ثنايا معروفات، وقيل «بنات قَيْن» عُيونٌ لكلبٍ، وسُمِّيت بنات قَيْنَ لأنّ قَيْنَ بني كلبٍ كان إذا جاء ينزل بها، ويقول هنّ بناتي، لأنّ مَن كان يستقي الماءَ منها مِن إمائهم إذا انكسرت لهنّ آلةٌ، دَفَعْنَ إليه ليشعبَها.

(٢٩) (ق) «مَصْدَق» ويُقال «مَزْدَق»: رجل ظهر أيّام قُبَاذ بن فيروز والد أنوشروان، ودعا الناسَ إلى التخرُّم وتَبَاذُل النِّساء والأموال وترك الحَيْلُولةَ بين اللّذات وطالِبيها، فصـدَّقـه قُبـاذُ، ودعـا المنـذرَ بنَ ماءِ السماء اللخمي إلى ذلك، فأبَى فطرَدَه من الحيرة، وكانت عند قُبَاذ أُختٌ له من أجمل النساء فوثب عليها وافتضَّها، ثم اتّفق أن دخل عليه مَزْدَقٌ يوماً وعنده أمُّ أنوشروان، وكان أنوشروان لم يدخل معهم في التَّخرُّم، فأعجبت مَزْدَقاً، فسأل قُبَاذ أن يَهبَها له، فقال دُونَكها، فوثَب أنوشروان إليه فلم يزل يَطلبُ إليه تَرْكها وهو لا يسمح بها حتى قَبَّلَ رِجْلَه، فكانت تلك له =

٣٠ فغَـادَاهمْ هَـرِيـتُ الشِّـدْقِ جَـهْـمٌ ... لَـدَى أشبَـالِـه ذُو لِـبْـدتَـيْـنِ
٣١ فـأضحَـوْا بعـدَ عِـزٍّ واختـيَـالٍ ... وهُـمْ عِـبَـرٌ لأَهْـلِ الـمَـشْـرِقَـيْنِ
٣٢ ولـكِـنْ أذكَـرتْـنـا يـومَ بَـدْرٍ ... ومُشْـتَـجَـرَ الأَسِـنَّـةِ في حُـنَـيْنِ
٣٣ رَدَدْتَ الـدِّيـنَ وهْـوَ قَـرِيـرُ عَـيْـنٍ ... بـهـا والكُـفْـرَ وهْـوَ سَخِينُ عَـيْنِ
٣٤ ألَا إنَّ الـنَّـدَى أضـحَـى أَمِـيـراً ... عـلى مـالِ الأمـيـرِ أبي الْحُـسَيْنِ
٣٥ إذا يَـدُهُ بِـنـائِـلِه اسـتَـهـلَّتْ ... فـوَيْـلٌ لـلـنُّـضَـارِ ولِـلُّـجَـيْـنِ
٣٦ نَـوَالُـكَ رَدَّ حُـسَّـادِي فُـلُولاً ... وأصـلَحَ بـيـنَ أيَّـامي وبَـيْـنِـي
٣٧ فـأصبَـحَ وهْـوَ لي طَـوْقٌ وأمـسَى ... مَـدِيحُـكَ نُقْـلَ أَهْـلِ العَسْكَـرَيْنِ

163

وقال يمدح محمد بن حسَّان الضَّبي [من البسيط] :

١ مـا اليَـوْمُ أوَّلَ تَـوْدِيـعٍ ولا الثَّـاني ... البَيْنُ أكْثَـرُ مِـنْ شَـوْقِي وَأَحْـزَانـي
٢ دَعِ الفِـرَاقَ فـإنَّ الـدَّهْـرَ سَـاعـدَه ... فصَـارَ أمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْـمـاني
٣ خَلِيفَـةُ الْخِضْرِ مَنْ يـرْبَـعْ على وَطَنٍ ... في بَلْدَةٍ فـظُهُـورُ العِيسِ أوطـاني

= في نفسه. فلمّا هلك قباذ وتولّى أنوشروان بعده الأمرَ ردّ المُنْذِرَ إلى الحيرة، فاتفق أن اجتمع بحضرته المنذرُ ومَزْدَقُ، فلما بَصُرَ بهما قال: كنتُ تمنّيتُ أمنيتين وأرجو أنّ الله قد جمعهما لي. فقال مَزْدق: وما هما؟ قال: تمنيتُ أن أملِكَ فأستعمِلَ هذا الشريف -يعني المنذر- وأن أقتلَ هؤلاء الخُرَّمية. فقال مَزْدق: أو تستطيعُ أن تقتل الناسَ كلّهم؟ قال: وأنت ها هنا يا بن الفاعلة؟! واللهِ ما ذهَبت ريحُ نَتْنِ جَوْربك بعدُ من أنفي منذ قَبّلتُ رِجْلَـك! وأمرَ به فصُلِبَ، وأمرَ بقتل الخُرَّميَّة، فهذا ما سِيمَ أنوشروان.

(٣٠) [هريت الشدق: واسع الفم، ويقال للمخطيب من الرجال].

(٣٥) [النضار واللجين: الذهب والفضّة].

(١) الوجه أن تُرفع «أكثر» فتُجعلَ خبراً للمبتدأ الذي هو «البَيْن»، يريد أنّ شوقي وأحزانه كثيرة، وأنّ البينَ أكثرُ منها. وبعض الناس يفتح الرّاء، ويجعله فعلاً ماضياً، ومعنا يصحّ على ذلك، ولكن الأول أجود.

(٣) الوجه أن ترفع «خليفة الخضر» على تقدير قوله أنا خليفة الخضر، لأنّ طائفةً من المسلمين يزعمون =

٤ بالشَّامِ أَهْلي وبَغْدَادُ الهَوَى وأنا   بالرَّقَّتَيْنِ وَبالفُسْطاطِ إخْوَاني
٥ وَما أُظُنُّ النَّوى تَرْضَى بما صَنَعَتْ   حتَّى تُطوِّحَ بي أقصَى خُرَاسَانِ

= أنّ الخضر حيٌّ لم يَمُتْ، وأنّه يَطُوف البلاد، ويدَّعون أنه شربَ من عَيْن الحيوان، وهو يُستعمل على وجهين «الخَضِر» و«الخِضْر». والمعنَى أني أسِيرُ في البلاد على ظهور العيس، وكاني خليفةُ الخِضْر، أي على سَفرٍ طُول الدهر. وإنْ نُصبَ «خليفةَ الخضر» فلا يمتنع، ويحتمل ذلك على وجهين: أحدهما أن يكون نادى نفسَه وحذَفَ حرفَ النداء، أي يا خليفة الخضر، ويكون ذلك مناسباً لمخاطبةِ أحدِهم نفسَه. وكأنّه يخاطب غيره، كما قال النابغة:

دَعاكَ الهَوَى واستجهَلَتْكَ المَنَازِلُ   وكيفَ تَصابِي المرء والشيبُ شامِلُ

وإنما يخاطب نفسَه. والآخر: أن يكون خاطبَ صاحبَه فقال: يا خليفةَ الخضر إني لا أزالُ أبداً على ظُهور العيس، ومَن صَحِبني فهو مثلي. ويجوز خفض «خليفة» على وجهٍ فيه بُعْد، وهو أن يُجعل بدلاً من الياء في «جشماني»، ألا ترى أنّ قائلاً لو قال في الكلام المنثور: «فصار أمْلَكَ مِن روحي بجشماني خليفةِ الخضر»، وهو يعني «بخليفة الخضر» نفسه، لكان ذلك سائغاً، والإبدال من المضمر على ثلاثة أوجه: الأوّل أن يُبدل من ضمير المتكلم. وهو قليل جدًّا، وذلك أنّ القائلَ إذا قال قد أحسنتَ يا رجلُ إليّ... ثم قال زيدٍ، على أن تجعله بدلاً من الياء المتصلة «بإليّ» بعد ذلك، إذْ كان الغرض إنما هو البيان وليس ها هنا بيان شافٍ لأنه لا يُضمر نفسَه إلاّ وقد استغنى المخاطب بمعرفته عن زيادة القول، ولكن يجوز أن يُريد المتكلمُ إذا عَرَفَه السامعُ بشخصه أن يَعرِفَه باسمه، فيذكرَه بعد الضمير ليبينَ للمخاطب. والثاني أن يُبْدَلَ من ضمير المخاطب، مثل أن يقال مررتُ بك عمرٍو، وقد ذهب سعيدُ بن مَسعدة في قوله تعالى «قُل لِمَنْ ما في السمٰوٰت والأرض؛ قُلْ لله، كَتَبَ على نفسه الرحمةَ لَيجمَعَنَّكم إلى يوم القيامة لا رَيْبَ فيه، الذين خَسِروا أنفسَهم فهم لا يؤمنون»: بدلٌ من الكاف والميم في «لَيَجمعنَّكم». والثالث أن يُبْدَلَ من المضمر الغائب، وهو أحسنُ الأوجه فيقال مَررتُ بهِ خالدٍ.

(٤) (ع): «وبغدادِ الهَوَى» وقال: ولا ريبَ في أنه أراد: وببغدادِ الهَوَى، فعطفَ على عاملين، وهما الباءُ في قوله «بالشام» والمبتدأ وهو قوله «أهلي»، لأنَّ التقدير أهلي بالشام وببغداد الهوى، فحذف الباءَ لدلاَلة المعنى عليه. ولو رفعتَ «بغداد» لجاز أن تُجعل مبتدأ. «والرَّقتان»: هذا الموضعُ المعروف، «والرَّقّة» أرض يركبها الماءُ ثم يزول عنها، «والفُسْطاط»: يكنون به اليوم عن مصر، ويقال إنهم في صدر الإسلام أيّامَ فُتِحَتْ مصر ضُرِبت الخيامُ في ذلك الموضع، والخيمة العظيمة يُقال لها فُسطاط، فسمِّيَ الموضع بذلك.

٦ خَلَّفْتُ بـالأُفُقِ الغَـرْبيّ لي سَكَنـاً ... قَـدْ كـانَ عَيْشي بـه حُلْواً بِحُلْوَانِ

٧ غُصْنٌ مِنَ البَـانِ مُهْتَـزٌّ على قَمَـرٍ ... يَهْتَـزُّ مِثْـلَ اهتِـزَازِ الغُصْنِ في البَـانِ

٨ أفنَيْتُ مِنْ بَعْـدِهِ فَيْضَ الدُّمُـوع كمـا ... أفنيْتُ في هَجْـرِهِ صَبْـري وسُلْوَاني

٩ وليسَ يَعْـرِفُ كُنْهَ الـوَصْـلِ صَاحِبُـه ... حـتى يُـغَـادَى بنَـأْي أَوْ بـهِـجْـرَانِ

١٠ إسَـاءَةَ الحَـادِثَـاتِ استَبْـطِني نَفقـاً ... فقَـدْ أَظَلَّكِ إحـسَـانُ ابنِ حَـسَّـانِ

١١ أمسَكْتُ مِنْـهُ بِـوُدٍّ شَـدَّ لي عُقَـداً ... كـأنّمـا الـدَّهْـرُ في كَفِّي بِهـا عَـانِ

١٢ إذَا نَـوَى الـدَّهْـرُ أن يُـودِي بتـالِـدِه ... لَمْ يَسْتَعِـنْ غيـرَ كَـفَّيْـهِ بـأعْـوَانِ

١٣ لَـوْ أَنَّ إجمـاعَنـا في فَضْـلِ سُؤْدُدِهِ ... في الدِّينِ لم يختلِفْ في الأُمَّةِ اثنَـانِ

164

وقال يمدحه [من البسيط] :

١ ألقَتْ على غَـارِبي حَبْلَ امْـرِىءٍ عَانِ ... نَـوًى تُـقلِّبُ دُونـي طَـرْفَ ثُعْبَـانِ

٢ تَـوَاتَـرتْ نَكَبَـاتُ الـدَّهْـرِ تَـرشُقُني ... مِنْ كـلِّ صائبـةٍ عَنْ قَـوْسِ غَضْبَـانِ

٣ مَدَّتْ عِنَانَ رَجائـي فـاستَقَـدْتُ لـهُ ... حتَّى رمَتْ بيَ فِي بَحْرِ ابنِ حَسَّـانِ

٤ بَحْرٌ مِنَ الجودِ يَرمي مَـوْجُـهُ زَبَـداً ... حَبَـابُـهُ فِضَّـةٌ زينَـتْ بِعِقْيَـانِ

٥ لَوْلا ابنُ حَسَّانَ مَاتَ الجُودُ وانتَشَرت ... مَنَـاحِسُ البُخْلِ تَـطْوِي كُلَّ إحسَـانِ

(٦) بالعراق موضع يقال له حُلْوان، وليس هو الذي عناه الطائيّ، وإنما عنى موضعاً آخر في الناحية الغربية. وقد يجوز أن يُتأوّل له في قوله « بحلوان » أنه لم يُرِدْ موضِعاً ولكن أراد العطاء والوِصَالَ، من قولهم حَلَوْتَه: إذا أعطيتَه ورشوتَه كما قال:

فهـل رَاكِـبٌ أحلُـوهُ رَحْلـي ونـاقتـي ... يُبَلِّـغُ عنِّـي الشِّعـرَ إذْ مـات قـائلُـهْ

(١١) [ص] ويروى « عصمتُ منه » و« أعصمتُ منه ».

(١٢) [ص] أي بادَرَ بإعطاء مالِه قبلَ أن يُذْهِبه الدَّهْر.

(١) « الثُّعْبان » : الحيَّة العظيمة، ويقال إنه الذَّكَر خاصَّةً، وإنما قيل له ثُعبان لسرعته، كأنّه شُبِّه بالماء المُنْثَعِب.

(٢) ويروى: « نَكَبَاتُ العُسْر ».

٦ لَمَّـا تـوَاتَـرَتِ الأَيَّـامُ تَعْبَثُ بي — وأسقَـطتْ ريحُهَـا أوراقَ أغصَـاني

٧ وَصَلْتُ كَفَّ مُنًى مِنِّي بكـفِّ غِنًـى — فَـارَقْتُ بينَهُـمـا هَمِّي وأحـزاني

٨ حتَّى لَبسْتُ كُسًى لِليُسْـرِ تنشُـرهـا — على اعتِسَاري يَدٌ لَمْ تَسْـهُ عن شَاني

٩ يَـدٌ مِنَ اليُسر قَـدَّت حُلَّتَيْ عُسُـري — حتَّى مَشَى عُسُرِي في شَخْصِ عُرْيَانِ

١٠ وَصَالَحَتْني اللَّيالي بَعْـدما رَجَحَـتْ — على سُروري غُمومـي أيَّ رُجْحَـان

١١ فاليوم سَـالَمَنـي دَهْـري وذَكَّـرنـي — مِنَ المَـدَائِـح مـا قَـدْ كـانَ أنسَـاني!

١٢ ثُمَّ انتَضتْ لِلعِـدَا الأَيَّـامُ صَـارِمَهـا — واستقبَلْتهـا بـوَجـهٍ غَيْـرِ حُسَّـانِ

١٣ سَـأبعَثُ الـيَـوْمَ آمـالي إلـى مَلَكٍ — يَلقَى المَـدِيـح بقَلْبٍ غَيْـر نَسْيَـانِ

١٤ تَفَـاءَلَتْ مُقْلَتِـي فيـهِ إذا اختَلَجَـتْ — بـالْخَيْـرِ مِنْ فَـوْقهـا أشفَـارُ أجفَـاني

١٥ يـا مَنْ بهِ بَـدُنَتْ مِنْ بعـدِما هَـزُلَتْ — مِنِّي المُنَى وأرَتْني وَجْـهَ خُسْـرَانـي

١٦ كُنْ لي مُجيـراً مِنَ الأَيَّـامِ إنَّ لهـا — يَـداً تُفَحِّصُ عَنْ سِـرِّي وإعْـلاَني

١٧ يـا بنَ الأكـارمِ والمَـرْجُوِّ مِنْ مُضَـر — إذَا الـزَّمـانُ جَـلا عَنْ وَجْـهِ خَـوَّانِ

١٨ إليـكَ سَـاقَتْنِيَ الآمـالُ يَجنُبُهـا — سَحَابُ جُودِكَ مِنْ أَرْضِي وأَوطَـاني!

165

وقالَ لابنِ أبي دُواد وقَدْ شَرِبَ دَواءً [من المنسرح] :

---

(٨) ويروى «للبِشْر تَبْشُرها» بمعنى: تُبَشِّرها.

(٩) ويُروى: «بَزّتْ حُلّتَي».

(١٢) (فُعَّال) مِنْ هذا الجنس إنما يجيء على ما قيل فيه فَعِيلٌ وفُعَال، كما قيل طويلٌ وطُوَال وطُوّال، وعَجِيبٌ وعُجَابٌ وعُجَّاب، وقولهم «حُسَّان» جاء على تقدير قولهم حُسَين وحُسّان وليسا بالمستعملَيْن، وذلك أنهم قالوا حَسُن الشيءُ فهو حَسَنٌ، فاستغنوا بالمصدر عن اسم الفاعل إذْ كانت المصادر قد تكون نُعوتاً، فكأنَّ حَسَناً مصدر حَسُنَ، كما تقول كرُمَ كَرَماً وشَرُف شَرَفاً.

(١٣) (ع) استعمله على (فَعْلان) من نَسِيتُ، ولو كُسِرَت النُّون لم يَبعُد ذلك، وجُعِل من نوع المصادر التي يُنعت بها، وإنما يجيء على حَذْف المضاف، كقولك رجلٌ فِطْر أي ذُو فِطْر، وصَوْمٌ أي ذُو صَوْم.

١ أعـقَبَـكَ الـلَّهُ صِـحَّـةَ الـبَـدَنِ ... مـا هَتَفَ الهَـاتِفَـاتُ فـي الغُـصُنِ
٢ كَيْفَ وجَـدْتَ الـدَّوَاءَ أوجَـدَكَ اللَّـ ... ـهُ شِـفَـاءً بـهِ مَـدَى الـزَّمَـنِ؟
٣ لا نَـزَعَ الـلَّهُ مِـنْـكَ صَـالِـحَـةً ... أَبْلَيْـتَـهـا مِنْ بَـلاَئِـكَ الـحَسَنِ
٤ لا زِلْـتَ تُـزْهَـى بـكُـلِّ عـافِيَـةٍ ... تَـجتَـثُّهـا مِنْ مَـعَـارِضِ الـفِـتَنِ
٥ لَـوْ أنَّ أعـمَـارَنـا تُـطَاوِعُـنـا ... شَـاطَـرَه العُمْـرَ سَـادَةُ اليَمَـنِ
٦ إنَّ بَـقَـاءَ الـجَـوَادِ أحـمـدَ فـي ... أعْـنَـاقِنَـا مِـنَّـةٌ مِنَ الـمِـنَـنِ

166

وقال يمدح الأفْشين [من الكامل] :

١ بَـذَّ الجِلادُ البَـذَّ فهْـوَ دَفِيـنُ ... مـا إنْ بـهِ إلَّا الـوُحُـوشَ قـطينُ
٢ لَمْ يُقْرَ هذا السَّيْفُ هـذا الصبرَ في ... هَـيْـجَـاءَ إلَّا عَـزَّ هـذا الـدِّيـنُ!
٣ قَـدْ كـانَ عُـذْرَةَ مَغْرِبٍ فـافتَضَّها ... بـالسَّيْفِ فَحْـلُ المَشْـرِق الأفشينُ
٤ فأعَـادَهـا تَعْـوِي الثَّعالِبُ وَسْطَهـا ... ولَقَـدْ تُـرَى بـالأمْسِ وَهْيَ عَـرينُ
٥ جَـادَتْ عليها مِنْ جَمَـاجِمِ أهلها ... دِيَـمٌ أمـارَتْـهـا طُـلًى وشُـؤُونُ
٦ كـانَتْ مِنَ الـدَّمِ قبـلَ ذاكَ مَفـازَةً ... غَـوْراً فـأمسَتْ وَهْـيَ منْـهُ مَعِينُ
٧ بَحْـراً مِنَ الهَيْجَـاءِ يَهْفُـو مـا لَـهُ ... إلَّا الـجَنَـاجِنَ والـضُّلُوعَ سَـفِيـنُ
٨ لاقَـاهُـمُ مَلِكٌ حَـبَـاهُ بـالـعُـلى ... جَـرْسٌ وجَـانـا خُـرَّةُ الـمَيْـمُـونُ

---

(١) [الهاتفات : الطيور الغرِّيدة] .

(٤) [تجتثّها : تقطعها] .

(١) « بَذَّ » : أي سَبقَ وغلَبَ . و« القَطِين » : أهلُ الدَّار ، أي غَلَبَ الضِّرابُ هذا المكان ، وهو مَوْضِع بَابَك .

(٢) أي لم يُعْطَ هذا السيفُ صبرَ الضارب به في الحرب ، إلاّ عزَّ الإسلامُ .

(٣) أي كان مُحصَّناً محروساً ففَتَحَه .

(٧) أي كثرةُ الدِّماء ترفع الجُثَثَ والأعضاءَ المُقطَّعة .

(٨) (ع) : « جَرْسٌ وجانا خُرَّة » جَدَّان للأفشين ، فيقول إن المُلْك أتاه مِن أهل مملكته ، و« جانا خُرّة » : =

٩ مَلِكٌ تُضِيءُ المَكْـرُمـاتُ إذا بَـدَا ‏ لِـلمُـلْكِ مِـنْـهُ غُـرَّةٌ وجَـبِـيـنُ
١٠ سَـاسَ الْجُيُوشَ سِياسَةَ ابنِ تَجارِبٍ ‏ رَمَـقَتْـهُ عَـيْنُ الـمُلْكِ وهْـوَ جَنِيـنُ
١١ لانَـتْ مَـهَـزَّتُـه فَـعَـزَّ وإنَّـمـا ‏ يَشْتَـدُّ بَـأْسُ الـرُّمْـحِ حِـينَ يَـلِينُ
١٢ وتَـرَى الكَـرِيمَ يَعِـزُّ حيـنَ يَهُـونُ ‏ وتَـرَى اللئيمَ يَهُـونُ حينَ يَـهُـونُ
١٣ قـادَ المنـايَـا والجُيُـوشَ فـأصبحَتْ ‏ وَلَـهـا بِـأرْشَقَ قَـسْـطَلٌ عُـثْـنُـونُ
١٤ فتـركْتَ أرْشَقَ وهْيَ يُـرْقَى بـاسِمِها ‏ صُمُّ الصَّـفَـا فتَـفِيضُ مِـنْـهُ عُيُـونُ
١٥ لَـوْ تَستـطِيـعُ الحَـجَّ يَـوْمـاً بَلْدَةٌ ‏ حَـجَّتْ إلـيـهـا كَـعْـبَـةٌ وحَـجُـونُ
١٦ لاقَـاكَ بـابَـكُ وهْـوَ يَـزْئِـرُ فـانثَنَى ‏ وزئـيـرُه قَـدْ عـادَ وهْـوَ أنـيـنُ
١٧ لاقَى شَكـائِـمَ مِنْـكَ مُـعْتَـصِمِيَّـةً ‏ أهْـزَلْنَ جَنْبَ الكُـفْـرِ وهْـوَ سَمِينُ
١٨ لَـمَّـا رَأى عَلَمـيْـكَ وَلَّـى هَـارِبـاً ‏ ولِـكُـفْـرِهِ طَـرْفٌ علـيـهِ سَخِـينُ
١٩ وَلَّى وَلَمْ يَـظلِمْ وهَـلْ ظَـلَمَ آمـرؤٌ ‏ حَـثَّ النَّجـاءَ وخَلْفَـهُ الـتِّـنِّـيـنُ!!

= اسمان جُعِلا اسماً واحداً، فإن شئتَ ضممتَ التاءَ في «خُرَّة» إذا وصلتَ، وإن شئتَ نصبتَها، كأنّك أضفتَ الاسمَ الأوّل إلى الثاني.

(١١) أي تَوَاضعَ فعَزَّ، وأعزُّ العزِّ ما كان عن تواضع، وإنما مَثَّلَ العزَّ الذي يكون عن تواضع كاشتداد الرمح وصلابةِ مَتنه إذا لانَ ولم يَقْسُ كلَّ القَسْوِ.

(١٢) أي: الكريمُ إذا تَوَاضَع عزَّ، واللئيمُ إذا تَوَاضعَ هانَ.

(١٣) «القَسْطَل»: الغُبَار. و«العُثْنُون»: المُتَقدِّم، يُقال لِما انحدر من لحية الرّجل عُثْنُون، واشتقاق «العُثْنون» و«العُثَان» من شيءٍ واحد، و«العُثَان» الغُبَار.

(١٤) [ق] يقول: لمّا أحللتَ بأرشقَ عِبْرَةً يعتبرُ بها السَّهْل والجبلُ ونَكالاً، صارَ اسمُها كأنّه رُقيةٌ لو قُرِئَتْ على الصُّمِّ الصّلاد لَتَفجَّرتْ بالمياه.

(١٥) حذف الألفَ واللّامَ من «الكَعْبة» و«الحَجُون»، وقد تَكَرَّرَ مثلُ ذلك في شعره. و«الحَجُون» مقابر مكة. أي تركتَ أرشقَ بعد الكُفّار للمسلمين يأمَن فيها الخائفُ.

(١٧) «الشكائم»: الشدائد، وقد قيل «أهزلتَ».

(١٨) لَمَّـا رأى عَلَمَيْـك وَلَّـى هـارِبـاً ‏ ولِكُفْـرِهِ طَـرْفٌ عليـهِ سَخِيـنُ

(١٩) العامة يُحَدِّثُون عن التِّنِّين أحاديث مُستنكرة، لا سيّما أهلُ المغرب، وبعضهم يقول التِّنِّين حيّةٌ لها سبعة أرؤسٍ وهو قليل التردُّدِ في كلام العرب القديم، وهو (فِعِّيل) من التّنّ، يُقال فلانٌ تِنٌّ =

٢٠ أوقَعْتَ في أَبْرَشْتَوِيمَ وَقَائعاً أضحَكْنَ سِنَّ الدِّينِ وهْوَ حَزِينُ
٢١ أوسَعْتَهمْ ضَرْباً تُهَدُّ بهِ الكُلى وَيَخِفُّ مِنْهُ المَرْءُ وهْوَ رَكِينُ
٢٢ ضَرْباً كأشْدَاقِ المَخَاضِ وتَحْتَهُ طَعْنٌ كأَنَّ وَجَاءَهُ طَاعُونُ
٢٣ بَأْسٌ تُفَلُّ بهِ الصُّفُوفُ وتحتَه رَأْيٌ تُفَلُّ بهِ العُقُولُ رَزِينُ
٢٤ أخْلَى جِلادُكَ صَدْرَه ولقَدْ برى وفُؤَادُه مِنْ نَجْدَةٍ مَسْكُونُ
٢٥ سَجنَتْ تَجَارِبُه فُضُولَ عُرَامِهِ إنَّ التَّجَارِبَ للعُقُولِ سُجُونُ
٢٦ وعَشِيَّةَ التَّلِّ انصَرفْتَ ولِلهُدَى شَوْقٌ إليكَ مُدَاوِرٌ وَحَنِينُ
٢٧ عَبَأَ الكَمِينَ لَهُ فَظَلَّ لِحَينِهِ وكَمِينُه المُخْفَى عليهِ كَمِينُ!
٢٨ يا وَقْعَةً ما كانَ أعتَقَ يَوْمَها إذْ بَعْضُ أَيَّام الزَّمانِ هَجِينُ
٢٩ لَوْ أنَّ هذَا الفَتْحَ شَكٌّ لاشتَفَتْ مِنْهُ القُلُوبُ، فكيفَ وهْوَ يَقِينُ!
٣٠ وأخَذْتَ بابَكَ حائِراً دُونَ المُنَى ومُنَى الضَّلالِ مِيَاهُهُنَّ أُجُونُ
٣١ طَعَنَ التَّلَهُّفُ قَلْبَهُ فَفُؤادُهُ مِنْ غَيْرِ طَعْنَةِ فارسٍ مَطْعُونُ!

= فلانٍ: أي مثلُه، فإنْ صَحَّ أنّ له سبعةَ أرؤسٍ فيُحتمل أن يكون اشتقاقُه من التِّنّ، لأنّ بعضَ رُؤسه يُشبه بعضاً ويُماثله. والأشبه به أنْ يكون اسماً أعجميًّا عُرِّب، وقد قالوا لسمكةٍ بحرية التِّنُّ، وهذه الأسماء القديمة لا يُعلم كيف وَضْعُها في الحقيقة.

(٢٠) أي أضحكنَ سِنَّ دينِ الإسلام بعد حُزْنه، لِغَلَبةِ الكُفْر عليه.

(٢١) أي يخفُّ له قلبُ الشجاع، ويَجِبُ وَجيباً بعدَ صرامته.

(٢٢) يقول: ضَرْبٌ واسعٌ يفتح في الجسد مثلَ أشداقِ المخاض، وهذا نحو ما قال عنترة:

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مُجدَّلاً تمكُو فَريصَتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

و«الوَجَا» و«الوَجَاء» السُّرْعة، وقال كأنّ وَجَاءَه طاعونٌ على سبيل المجاز، لأنّ الطاعون قد يُقيم صاحبُه اليومَ واليومين أو الأكثر، والطعنةُ أشدُّ تَوْجِيَةً منه وأسرع، وقد حُكِي عن الطواعين التي كانت في صدر الإسلام أشياءُ عجيبة، تَدلُّ على أنّ الإنسان كان إذا أصابَه الطاعون لم يُلبِثْه.

(٢٥) أي تقدَّم حيثُ يجب الإقدام، فلمّا تَضَايق مُقْدَمُه كَفَّ.

(٢٨) أي ما أكرمَ هذا اليومَ للفتح الذي فَتَحه اللهُ على المسلمين.

٣٢ ورَجَا بلادَ الرُّومِ فاسْتَعْصَى بهِ أَجَلٌ أَصَمُّ عن النَّجاءِ حَرُونُ

٣٣ هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بأنَّكَ لَوْ ثَوَى بالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عليكَ الصِّينُ

٣٤ ما نَالَ ما قَدْ نَالَ فِرْعَونٌ ولا هامانُ في الدُّنْيا ولا قارُونُ

٣٥ بَلْ كانَ كالضَّحَّاكِ في سَطواتِه بالعالَمِينَ وأنتَ إفْريدُونُ

٣٦ فسَيَشْكُرُ الإسلامُ ما أَوْلَيْتَهُ واللّهُ عنهُ بالوَفاءِ ضَمِينُ

---

(٣٢) أي لمّا أيقنَ بالهلاك قدّرَ أن يلتجيء إلى بلاد الرُّوم، فحرَنَ به أجَلُه، ولم يتقدّر ما أراد لانقضاءِ أمرِه.

(٣٤) أي ما نالَ أحدٌ من المُلْك ما نالَهُ.

(٣٥) (ع): هذا شيءٌ أخذَه الطائيّ من سير الفُرْس، وهي كثيرة الكَذِب، وكذلك جميع الأخبار المنقولة يَعْتَرِضُ عليها المَيْنُ كثيراً، وقد قيل إنّ الضّحاك من وَلَد عَدْنان كانت أمُّه من الجنِ، وهذا اسمٌ عربيّ، وقيل إنه مَلِكٌ كان في مُؤخَّرِ رأسِه حَيَّتان، وإنهما كانتا لا تَقِرّان حتى تُطعَما دِماغَيْ إنسانَيْن، فَغَبَرا على ذلك دهراً طويلاً، يَقْتُل كلَّ يومٍ رجلين ويَستعملُ دماغيهما وكان إفريدون رجلاً صالحاً في ذلك الزمان أو نبيًّا، فأشارَ على مَنْ كان يَلِي ذلك للضحّاك أن يجعلَ مكان دماغ الإنسانين دِماغيْ شاتين، ففعَلَ، فأغنَيا غَنَاءَهما، في أحاديث كثيرة لا يقبلها المعقول. وقال بعضُهم كان الضحّاك مَلِكاً عظيماً، فجاءه إبليسُ فتصَوّرَ له بصورةِ طَبّاخٍ، وجعلَ يصنع له مَطاعِمَ لم يأكل قطُّ مِثْلَها في الطِّيب،فاستولَى على قلبه، حتى كان أخصَّ الأصحابِ عنده، فلمّا تمكّن منه قال: إني أُريد أنْ أسألَ المَلِكَ حاجةً يسيرة، فقال: قُلْ حاجتَك، قال: أُريد أن أُقبّل المَلِكَ في مُؤخّر رأسِه. فإذِنَ له في ذلك، فلمّا قَبّله ظهرَ في جانبي رأسِه من ورائه حَيّتان لا تَهْدآن، وغابَ عنه إبليسُ، فلم يرَ ذلك الطاهي، فلمّا اشتدَّ بالمَلِكِ أَلَمُه جاءَه إبليسُ في صُورة طبيب، فوصَفَ له أن يُطعِم الحيّتين كلّ يوم دِماغَي إنسانين، ففعلَ ذلك المَلِكُ، فسَكَن وَجَعُه، فلمّا طال ذلك على أهل المملكة وشَقّ أمرُه على الرَّعية، قال بعضُ الوزراء: اجعلوا مكانَ هذين الرَّجُلين كَبْشين، ففعلوا ذلك، فأغنَيا غَنَاء الرّجلين، ولم يجترئوا على إعلام الملكِ بذلك، فكانوا يَجيئون كلَّ يومٍ برجلين فيأمرُ بقتلهما، فيبعثون بهما إلى بعض الأماكن القاصية، ويُقيمون العِوَضَ من الضّأن، فاجتمعَ في ذلك المكان خَلْقٌ كثير، وكان بعضُ من حَصَل فيه إفريدون، فلمّا كَثُرَ عددُهم خَرَجَ بهم إلى الضّحاك فقتَله. وهذا في التَّخرُّص مثل ما قبلَه، والذي يجب أن يكون هو أنَّ الضّحّاك كان مَلِكاً ظالِماً والرَّاحةُ منه كانت على يدِ إفريدون.

وقال يَمدحُ الواثق بالله [من الكامل]:

١ وأبي المَنازِلِ إنَّها لَشُجُونُ ... وعلى العُجُومَةِ إنَّها لَتُبِينُ

٢ فاعقِلْ بِنضْوِ الدَّارِ نِضْوَكَ يقْتَسِمْ ... فَرْطَ الصَّبابَةِ مُسْعِدٌ وحَزِينُ

٣ لا تَمْنَعَنِّي وَقْفَةً أشفي بها ... دَاءَ الفِرَاقِ-فإنَّها ماعُونُ

٤ واسقِ الأثافيَ مِنْ شُؤوني رِيَّها ... إنَّ الضَّنينَ بِدَمْعِهِ لضَنِينُ

٥ والنُّؤْيُ أهْمِدَ شَطْرُهُ فكأنَّه ... تحتَ الْحَوادِثِ حاجِبٌ مَقْرُونُ

٦ حُزْنٌ غَدَاةَ الحَزْنِ هاجَ غَليلَه ... في أبْرَقِ الْحَنَّان منكَ حَنِينُ

٧ سِمَةُ الصَّبابَةِ زَفْرَةٌ أوْ عَبْرَةٌ ... مُتَكَفِّلٌ بهما حَشاً وشُؤُونُ

٨ لَوْلا التَّفَجُّعُ لادَّعَى هَضْبُ الحِمى ... وصَفا المُشَقَّرِ أنَّهُ مَحْزُونُ

(١) (ق): أقسم بأبيها وإن كان لا أبَ لها اتساعاً، يقول: إنَّ المنازلَ الخالية عن أهلها لَهُموم، أقسمَ بها تعظيماً لها. «والشُّجُون» جمع شَجَنٍ وهو الحُزْن: أي أنها تُذكِّر العاشقَ العُهودَ، فتُكسبه حزناً، وعلى ما بها من العُجْمة تشكو سُوءَ حال تأثير الزمان فيها، وما ابتُلِيتْ به من تَسلُّط الدُّروس عليها لمفارقة سُكَّانها. وإنما يريد أنَّ الواقفَ عليها باعتباره وتأمُّله يَحصلُ له ذلك، فكأنَّ الدار عَرَّفَتْه وأخبَرتْه.

(٢) «نِضْو الدَّار» رَسْمُها، «ونِضْوُك» راحِلَتُك، أي اعقِلْها حتى يبكي المشتاقُ إلى مَن كان فيها.

(٣) (ق): «الماعون» ما كان سهلاً يسيراً من الأشياء، ويُسمَّى الماءُ ماعوناً، وكذلك العَطاءُ السَّهْل، «والماعون» في الجاهلية: كان اسماً لكل ما يُنتفع به من فأسٍ وقِدْرٍ ودَلْوٍ إلى غيرها، وفي الاسلام: هو اسمٌ لما كان طاعةً وحُسْناً من المنافع، واشتقاقه من «المَعْن»، وهو المعروف، وفُسِّر قولهم «ما له سَعْن ولا مَعْن»، على أنَّ «السَّعْن»: الوَدَك «والمَعْن» المعروف. فيقول: هذه الوَقْفة لي فيها نفع، فتَبرَّعْ بها عليَّ.

(٤) أي مَن ضَنَّ بدمعه مع الشوق الغالِب فهو الغايةُ في البخل.

(٥) «الحوادث»: السحاب والأمطار.

(٦) «أبرق الحنَّان»: موضع معروف، قال النابغة:

لا أعرِفَنْ شيخاً يُجَرُّ بِرِجْلِه ... بينَ الكَثِيبِ وأبْرَقِ الحَنَّانِ

(٨) أي لولا ذلك لادَّعى الهَضْبُ أنه شَجٍ.

٩ سِيرُوا بَنِي الْحَاجَاتِ يُنْجِحْ سَعْيَكُمْ ... غَيْثٌ سَحَابُ الْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ

١٠ فَالْحَادِثَاتُ بِوَبْلِهِ مَصْفُودَةٌ ... والمَحْلُ في شُؤْبُوبِهِ مَسْجُونُ

١١ حَمَلُوا ثَقِيلَ الهَمِّ واستنعى بهم ... سَفَرٌ يَهُدُّ المَتْنَ وهْوَ مَتِينُ

١٢ حتَّى إذَا ألقَوْه عَنْ أكتافِهِمْ ... بالعَزْمِ وهْوَ على النَّجاحِ ضَمِينُ

١٣ وجَدُوا جَنَابَ المُلكِ أخْضَرَ واجتلَوْا ... هارُونَ فيهِ كأنَّهُ هارُونُ

١٤ ألفَوْا أمِيرَ المُؤْمِنينَ وجُودُه ... خَضِلُ الغَمَامِ وظِلُّهُ مَسْكُونُ

١٥ فَغَدوْا وقَدْ وَثِقُوا بِرَأْفَةِ وَاثِقٍ ... بالله طائرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ

١٦ قَرَّتْ به تلكَ العُيُونُ وأشرَقَتْ ... تلكَ الخُدُودُ وإنَّهُنَّ لَجُونُ

١٧ مَلَكُوا خِطَامَ العَيْشِ بالمَلِكِ الذي ... أخلاقُهُ لِلْمَكْرُماتِ حُصُونُ

١٨ مَلِكٌ إذا خاضَ المَسامِعَ ذِكْرُهُ ... خَفَّ الرَّجَاءُ إليهِ وهْوَ رَكِينُ

١٩ لَيْثٌ إذا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... يَعْلُو قَرَا الهَيْجَاءِ وهي زَبُونُ

٢٠ لِحِيَاضِها مُتَوَدِّدٌ ولِخَطْبِها ... مُتَعَمِّدٌ وبِثَدْيِها مَلْبُونُ

٢١ جَعَلَ الْخِلافَةَ فيهِ رَبٌّ قَوْلُه ... سُبْحانَهُ للشَيْءِ «كُنْ فيكُونُ»

٢٢ ولقَدْ رَأَيْناها لَهُ بِقُلُوبِنا ... وظُهُورُ خَطْبٍ دُونَه وبُطُونُ

٢٣ ولِذاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ ... صِدْقٌ وفي بعضِ القُلُوبِ عُيُونُ

---

(١١) و(١٢) «استنعى» أي تقدّمَ. «وألقَوْه»: يعني الهم.

(١٣) «هارون» اسم الواثق، وقوله كأنه «هارون» يعني الرشيد، فيكون هذا مثل قول الراجز:

مَرْوانُ مَرْوانُ أخو اليومِ اليَمِي

أي مَرْوان بن محمد مثل مَرْوان بن الحَكَم. ويجوز أن يكون «هارون» في القافية يُراد به هارون بن عِمْران، والأوّل أشبه.

(١٦) أي قَرّتْ به عيون العُفَاة.

(١٨) (ق): يقول: مَن سمع بمآثر هذا الملك ومناقبه عَلِقَ الرجاءُ به، وهَمّ بقصده في الوقت الذي يتثاقل الرجاءُ عن التَّعلّق بالناس، لِقِلّةِ الكرم وعَدَم الكِرام.

(٢٠) خَفّفَ «الثَّدِيّ»، ويروى «وبثَدْيِها».

(٢٢) أي كنا نُقدّر أنّها تَصيرُ إليه بالمخايل الدَّالّةِ، وبينَه وبينَها مُدّةٌ بعيدة.

(٢٣) من قولهم إنّ المؤمن يَنظُرُ بِنور الله.

٢٤ ولقد عَلِمْنا مُذْ تَرَعْرَعَ أنّه لأَمينِ رَبِّ العالَمينَ أَمينُ
٢٥ يا بنَ الْخَلائِفِ إنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ كَرَمٌ يَذُوبُ المُزْنُ مِنْهُ ولِينُ
٢٦ نُورٌ مِنَ الماضِي عليكَ كأنَّهُ نُورٌ عليهِ مِنَ النَّبِيِّ مُبينُ
٢٧ يَسمُو بكَ السفَّاحُ والمنصورُ والـ ـمَهْدِيُّ والمَعْصُومُ والمَأْمُونُ
٢٨ مَنْ يَعْشُ ضَوْءَ الآل يَعْلَمْ أنَّهمْ مَلأٌ لَدَى مَلَإِ السَّماءِ مَكِينُ
٢٩ فُرسَانُ مَمْلَكةٍ، أُسُودُ خِلافَةٍ ظِلُّ الهُدَى، غابٌ لَها وعَرِينُ
٣٠ قَوْمٌ غَدَا الميراثُ مَضْرُوباً لَهُمْ سُورٌ عليهِ مِنَ القُرانِ حَصينُ
٣١ فِيهمْ سَكِينَةُ رَبِّهمْ وكِتابُهُ وإمامَتاهُ واسْمُهُ المَخْزُونُ
٣٢ وَادٍ مِنَ السُّلْطانِ مُحْمًى لم يَكُنْ لِيَضِيمَ فيهِ المُلْكَ إلاَّ الدِّينُ
٣٣ في دَوْلةٍ بَيْضاءَ هارُونيَّةٍ مُتَكنِّفاها النَّصْرُ والتَّمْكِينُ
٣٤ قَدْ أصبحَ الإسلامُ في سُلْطانِها والهِنْدُ بَعضُ ثُغُورِها والصِّينُ
٣٥ يفدِي أمينَ اللّهِ كلُّ مُنافِقٍ شَنَآنُه بينَ الضُّلُوعِ كَمِينُ
٣٦ مِمَّنْ يَدَاهُ يُسْرَيانِ ولَمْ تَزَلْ فِينا وكِلْتا رَاحَتَيْكَ يَمِينُ
٣٧ تُدْعَى بطَاعَتِكَ الوُحُوشُ فتَرْعَوِي والأُسْدُ في عِرِّيسها فتَدِينُ
٣٨ ما فَوْقَ مَجْدِكَ مرتَقًى مَجْدٍ ولا كُلُّ افتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونُ

---

(٢٤) أي أميرُ المؤمنين يُوصِي به ويُقلِّده.

(٢٦) أي عليكَ نُورٌ من أبيك كأنّه هو استفاده من النبي (ﷺ).

(٢٨) أي هم قومٌ من الملأ الأعلى.

(٣١) (ص): «إمامتاه» النُّبوّة والخِلافة، وقيل عليٌّ والعبَّاس.

(٣٢) يقول: سُلطانهم مُحمًّى اي مَنِيع الجانب، لا يقهره إلاَّ الدِّينُ والعَدْلُ، فإنه ينقاد لِلْعَدْلِ ويَلِين.

(٣٦) يريد أنّ اليمين كاليُسْرى، مِن شُحٍّ وقِلَّةِ عطاءٍ.

(٣٨) (ص) أي قد يكون دونك من هو أكبرُ الناس★ يقول: إنّ غيرَك من الناس تكون له مفاخرُ عظيمة، وإن كانت دون فخرك فليست بدون، بل هي عظيمة تُستكثر. وهذا كما تقول للرجل كم من كريمٍ عظيم الكرم أنت أكرمُ منه، لأنّ العالَم يختلفون في الدّرجات، فيكون الكريمُ موصوفا بالسماحة وهو دون غيره من الأجواد، كما أنّ الخَيْلَ بعضُها أسبقُ من بعضٍ، ولها في ذلك رُتَبٌ ومَنازلُ.

٣٩ جَاءَتْكَ مِنْ نَـظْمِ اللسانِ قِـلادَةٌ   سِـمْـطانِ فيـهـا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُـونُ
٤٠ حُـذِيَتْ حِـذَاءَ الحَضْـرَمِيَّةِ أُرهِفَت   وأَجَـادَهـا التَّخْـصِيـرُ والتَّلْسِيـنُ
٤١ إِنْسِيَّـةٌ وحْشِيَّـةٌ كَـثُـرَتْ بِـهـا   حَـرَكَاتُ أَهْـلِ الأَرْضِ وهْيَ سَكُونُ
٤٢ يَنْبُـوعُها خَضِـلٌ وحَلْيُ قـريضِهـا   حَلْـيُ الهَـدِيِّ وَنَسْجُهَـا مَـوْضُـونُ

---

(٤٠) يعني «بالحَضْرَمِيّة» النِّعال، نَسبَها إلى حَضْرموت. ويقال: نعل مُخَصَّرة إذا كان لها خَصْران، ومُلَسَّنة إذا كانت تَسْتَدِقّ من طَرَفها الذي يَلِي الأصابع، وكانوا يمدحون مَن يلبس مُخَصَّرَ النِّعال، لأنّ السَّادات لا يَخْصِفُون نِعالَهم، ولا يتهاونون بها فتكون كنِعَال العَبِيد والرُّعاة، قال عُتَيبة بن مِرْدَاس:

إلـى مَعْشـرٍ لا يَخْصِفُـون نِعَـالَهـم   ولا يَلبَسُـون السِّبْـتَ مـا لـم يُخَصَّـرِ

وقال تأبّط شرًّا في ضد ذلك:

ونعـلٍ كـأشلاء السُّمَـانَـى نَبَـذْتُهـا   إلـى صاحبٍ حافٍ وقلـتُ لـه انعَـلِ

والفقيرُ منهم والمسافر على قدمه ربما اتخذ نعلاً من جلد جملٍ أو غيره من الحيوان، يُريد أن يُزجِيَ بها وَقتاً. والمعنى أنّ هذه الأبيات يُشبه بعضُها بعضاً، كما أنّ النّعل المحذوّة تُشاكل أختها، فلا تزيد عليها ولا تنقص دونها.

(٤١) قوله «إنسيّة وَحْشِيّة»: يحتمل وجوهاً: منها أنّ القُلوب تأنس بها وتودُّ أن ترويَها. ويجوز أن يعنى «بالإنسية»: أنها من إنشاء الإنس، أو أنها يُؤْنس بها بعضُ الناسِ بعضاً، و«وحشيّة»: أي تَرُود في البلاد، كما تَرودُ الوحوشُ. ويجوز أن يُعْنى أنها لا يمكن أن تُصَاد، وأنها إذا أراد غيرُه أن يأتيَ بمثلها تَعذَّر ذلك عليه، فكأنّها تَستوحشُ منه؛ أو يريد أنها غريبة إذا ورَدتْ على الأسماع كَثُرَ العَجَبُ منها، لما يَرِدُ فيها من حُسْن اللفظ والمعنى، كما قال في موضع آخر:

غَـريبـةٌ تُـؤنسُ الآدابَ وَحْشَتُهـا   فمـا تَحُـلُّ علـى قلـبٍ فَتـرتَحِـلُ

(ق) «كثرت بها حرَكَاتُ أهلِ الأرض»: أي طَرِبوا إذا أُنشدت وخَفُّوا استحساناً لها وعُجْباً بها. ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقلقون ويضطربون حَسَداً فيها، وهي سَكُون: أي كثيرة السُّكون، ويُروى بضم السين، فتكون حينئذ مصدراً وُصِف به.

(٤٢) «اليَنبوع»: النهر الكثير الماء وهو (يَفعُول) من النَّبْع، و«الخَضِل»: الذي قد ابتلّ. ويجوز أن يكون الطائيّ لم يقله على هذا النظم، لأنّ الينبوع لا يحسن أو يُوصف بخَضِلٍ، ولكن لو قال «غَدِق» لكان أشبَه، إذْ كانوا يقولون خَضِلَ ثوبُه: إذا أصابَه قَطْر فبَلّه، وكذلك خَضِلَ الخَدُّ إذا وقعَ عليه الدَّمْع، وقد يحتمل أن يكون لمّا قال «ينبوعها». فاستعار هذه اللفظة أراد أن يُلغز فقال:=

٤٣	أمَّـا الـمَعَـانِي فـهْيَ أبكـارٌ إذا	نُصَّتْ ولـكـنَّ الـقَـوافِيَ عُـونُ
٤٤	أحـذَاكَهـا صَنَـعُ الـلِّسـانِ يَمُـدُّه	جَفْـرٌ إذا نَضَبَ الكـلامُ مَعِينُ
٤٥	ويُسِيءُ بـالإحسَـانِ ظَنّـاً لا كَمَنْ	هُـوَ بـابنِـهِ وبِشعْـرِهِ مَفْـتُونُ
٤٦	يَـرمي بِهِمَّتِـه إلـيـكَ وهَـمُّـه	أمَـلٌ لـهُ أبَـداً عـليـكَ حَرُونُ
٤٧	فَمُنَـاهُ فـي حَيْثُ الأمَـانِي رُتَّـعٌ	ورَجَـاؤُه حَيْثُ الـرَّجَـاءُ كَنـينُ
٤٨	ولعَـلَّ مـا يَـرْجُـوهُ مِمَّـا لَمْ يَكُنْ	بِـكَ عـاجِـلاً أوْ آجِـلاً سَيَكُـونُ

= خَضِل، لأنها لا ينبوع لها في الحقيقة، وإنما يعنى قَلْبَه أو لسانَه. و« الهَدِيّ »: العروس. و« الموضون »: المنسوج نسجاً متقارباً كنسج الدُّروع والسرير المَرْمُول بالذَّهَب.

(٤٣) يقول: المعاني التي آتِي بها أبكارٌ لم يُسبَق إليها، ولكن القوافيَ عُون، يعني جمع عَوَان، وهي التي قد وَلَدَتْ مرّةً، بعد مرّة أي أنّ القوافيَ يشترك فيها الشعراءُ مثل قوله: ★ فَحْوَاكَ عَيْنٌ على نَجْوَاكَ يا مَذِلُ ★ تشترك قوافيها وقوافي قصيدة الأعشى التي أوّلها ★ ودّع هُرَيْرة إنّ الرَّكب مرتَحِلُ ★ ألا تَرَى إلى قوله: « وهل تُطيقُ وَدَاعاً أيّها الرَّجلُ » وإلى قول الطائيّ: « مِنْ أنْ يُذَالَ بِمَنْ أوْ مِمَّن الرجلُ ». و« القوافي » يعنى بها في هذا الموضع: الكلمات التي تُجعل في أواخر الأبيات، وذلك مذهب سعيد بن مَسْعدة، وقد يمكن أن تُجعل القافيةَ هنا حرف الرَّويّ، على مذهب قُطْرب، يقول إنّ القصائد تشترك في أن تكون نونيات أو لاميّات أو نحو ذلك، ولا يَبعدُ أن يعنى « بالقوافي » الأبيات، أي أنّ الشعر قد قيل في السالف مِن الآباد، والناسُ في قوله مشتركون، فأبياته عُونٌ لذلك.

(٤٤) (ع): « صَنَع الضَّمير ». « الجَفْر »: بئر واسعة الفَم، يقول بعضُهم إنها تكون غيرَ مَطْوِيَّةٍ وهي مع ذلك قليلة المَاء، وقد ذكرها ها هنا في معنًى يدلّ على الغَزَارة. و« المَعِين »: الذي يجري على وجه الأرض، وقد كَثُرَ ذلك حتى الناسُ يُسمّون الماءَ الذي يُستقى مِن الآبار مَعِيناً، لأنه ينبع من الأرض فيفرّقون بينه وبين المُخْتَزَن من ماءِ المطر وغيرِه.

(٤٥) أي هو يَستقِلُّ لك الكثير.

(٤٦) أي هو يَقْصُر أملَه عليك، ولا يرجو غيرَك.

(٤٧) أي مصون.

(٤٨) أي يأمُل منكَ شيئاً آخر.

وقال يَمدح سُليمان بن وَهْب، ويَشفع في رجلٍ يُقال له سليمان بن رَزين بنُ أخي دِعبل الخزاعي [من البسيط]:

١	إنَّ الأَمِيرَ حِمَـامُ الْجَـارمِ الْجَـاني	ومُسْتَـرَادُ أَمـاني المُـوثَقِ العَـانـي
٢	إِذَا ثَـوَى جَـارُ قَـوْمٍ فـي بِلادِهِـمِ	فـجَـارُهُ نَـازِلٌ في رَأْسِ غُـمْـدَانِ
٣	كَمْ صَامِتٍ صَامِتِيِّ الضَّرْبِ فُزْتُ بـهِ	مِنْـهُ وحَلْيٍ مِنَ المَعْـروفِ حـلاَّني
٤	يُعْطِـي فيَـكسِبُنِي حَمْـداً بِنـائِله	وتَـالِـدي وافِـرٌ بـاقٍ وقُنْيَـانـي
٥	فـمَـنْ رآنـي مِـنَ الأقـوَامِ كُلِّهِـمِ	فقَـدْ رَأَى مُحْسناً مِن غيـرِ إحسَانِ
٦	جَـاني نَخيـلٍ سِـوَاهُ كـانَ أَلَّفَهـا	غَـرْساً، وسَاكِنُ قَصْرٍ غَيْرُهُ البَاني
٧	هَلْ أَنتَ صَائِنُ عِرْضِي لي ومُقْتَلِتـي	بِمَـاءِ وَجْهِي سَليمـاً مِنْ سُلَيمـان؟

---

(١) [الحمام: الموت. الجارم: المجرِم. المستراد: الملجأ. العاني: الأسير].

(٢) غمدان: اسم جبل مرتفع. يقول: إذا تغافل قوم عن حماية جارهم، فجار الممدوح محصَّن كأنه في رأس غمدان].

(٣) يقول كم مالٍ صامتٍ أعطانيه هذا الصَّامِتيُّ، يعني الممدوح، لأنه منسوب إلى جَدٍّ يقال له صامِت، فكأنّه عَنَى الدّنانير التي تُضرب باسْمِه.

(٤) (ع): هذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يعطيه النائلَ، فيُعطيه الموهوبُ له الناسُ، فيحمدونه بذلك. وقد تَردَّد هذا المعنى في شعره، أي أنّي أُعطى مالَه ولا أُعطي من تالد مالي والذي أقتنيه؛ والآخر: أن يريد أنه يعطيني فأمدحه مديحاً يُستحسن، فأُحمد على تجويد القريض. و«القُنْيان» بضم القاف وكسرها: ما يقتنيه الإنسانُ، قال الهُذَليّ:

لـو كـانَ للـدهـرِ مـالٌ غيـرَ مُتْلِفـه ... لكـانَ للـدهـرِ صَخْـرٌ مـالَ قُنْيـانِ

(ق) وكان سليمان بن أخي دِعْبل زارَ أبا تمّام، فَعرَّضَه لِصلة هذا الممدوح، فيقول: هذا الممدوحُ يُعطيه والحمدُ يَتوفَّر عليّ، لأنه بجاهي يُحسن إليه، ولمكاني يُجدي عليه، فكأنّي أنا المتولّي للإحسان، والمُتكلِّفُ لِلصلة والإفضال، وإن كان مالي موفوراً لم أُخرجْ منه إليه شيئاً.

(٥) هذا البيتُ يُقوّي قول المرزوقيّ.

(٦) (ص) يعني أنَّ هذا الممدوحَ يُسهِّل له الأشياءَ، وبه يصير إليها.

٨ فَتَى فَتَاءٍ وفِتْيَانِيَّةٍ وأخُو نَوائِبٍ ومُلِمَّاتٍ وأزمَانِ

٩ مِسَنٌّ فِكْرٍ إذا كَلَّتْ مَضَارِبُه يَوْماً وصَيْقَلُ ألبَابٍ وأذهَانِ

١٠ ذُو الوُدِّ مِنِّي وَذُو القُرْبى بِمَنْزِلَةٍ وإخوَتي أُسوَةٌ عِنْدي وإخوَاني

١١ لا تُخلِقَنْ خُلُقِي فيهِمْ وقَدْ سَطَعَتْ نَارِي وجدَّدَ مِنْ حَالي الجَديدَانِ

١٢ في دَهرِيَ الأوَّل المَذموم أعرِفُهمْ فالآنَ أُنكِرُهُم في دَهْرِيَ الثَّاني؟!

١٣ لاقَى إذن غَرْسُهمْ أكدَى ثَرًى وجَرَت مِني ظُنُونُهم في شَرِّ مَيدانِ

١٤ عِصَابَةٌ جَاورَتْ آدَابُهمْ أدَبي فهُمْ وإن فُرِّقُوا في الأرضِ جيرَاني

١٥ أرواحُنا في مكانٍ واحدٍ وغدتْ أبدانُنا في شآمٍ أو خُراسانِ

١٦ ورُبَّ نائي المَغَاني رُوحُهُ أبداً لَصِيقُ رُوحِي، وَدَانٍ ليس بالدَّاني

١٧ أفي أخٍ ليَ فَرْدٍ لا قَسِيمَ لَهُ في خَالِصِ الوُدِّ مِنْ سِرِّي وإعلاني

١٨ تُرَدُّ عَنْ بَحْرِكَ المَوْرُودِ رَاجِعَةً بغيرِ حَاجَاتِها دَلْوي وأشْطَاني؟!

١٩ مُسَلَّطٌ حَيْثُ لا سُلطَانَ لي ويَدِي مغلُولَةُ النَّفعِ والسُّلْطانُ سُلطَاني

٢٠ كالنَّارِ بَارِدَةً في عُودِها ولَها إن فارقَتْهُ اشتِعالٌ ليسَ بالوَاني

٢١ ما أنسَ لا أنسَ قَوْلاً قالَهُ رَجلٌ غَضَضتُ في عَقْبه طَرْفي وأجفَاني

٢٢ نَلِ الثُّرَيَّا أو الشِّعْرَى فليسَ فَتًى لَمْ يُغنِ خمْسِينَ إنساناً بإنسَانِ!

وقال يَسأَلُ الحسنَ بنَ وَهْبٍ أَن يكلم أخاهُ سليمان في هذه الحاجة بعينها [من البسيط] :

١ إن شِئْتَ أتبعتَ إحسَاناً بإحسَانِ فكانَ جُودُك مِنْ رَوْحٍ ورَيْحَانِ

---

(١٢) [الدهر الثاني : أيام الثراء بفضل الممدوح].

(١٣) [الأكدى : الأصعب].

(١٨) [الأشطان : حبال الدلو].

(١) [الروح : الرائحة الطيّبة].

٢ فقدْ ـ لَعَمْري ـ فَتقتَ المَاءَ مِنْ حَجَرٍ في هَضْبةٍ وهَصَرْتَ الغُصْنَ للجَاني
٣ فاسْأَلْ سُلَيْمانَنا تَفديهِ أنفُسُنا يا مَنْ سُليمانُه يَرْعَى سُليمانِي!
٤ وحَسْبُه بِكَ إلاّ أنَّ هِمَّتَه أن يقتَنِي مَعَ رَضْوَى طَوْدَ ثهْلانِ
٥ لَوْ كانَ وَصْماً لِرَاجٍ أنْ يكونَ لهُ رُكنانِ ما هُزَّ رُمْحٌ فيهِ نَصْلانِ
٦ ولَمْ يُعَدَّ مِنَ الأبطَالِ لَيْثُ وغًى زُرَّت عليهِ غَداةَ الرَّوْعِ دِرْعانِ

170

وقال في أبي الحسن عليّ بن مُرّ [من البسيط] :

١ أرَاكَ أكبَرْتَ إدْمَاني على الدِّمَنِ وحَمْلِي الشَّوْقَ مِنْ بَادٍ ومُكتَمِنِ
٢ لا تُكثِرَنَّ مَلامي إنْ عَكفتُ على رَبْعِ الحَبيبِ فلَمْ أعكف على وَثَنِ
٣ سَلَوْتُ إنْ كُنْتُ أدري ما تَقُولُ إذَنْ مَجَّتْ مقَالَتها في وَجْهها أُذُني
٤ الحُبُّ أوْلى بِقَلْبي في تَصَرُّفِهِ مِنْ أن يُغادِرَني يَوماً بلا شَجَنِ
٥ حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوى صَرْفَ الأسَى وحَداً بالبَثِّ في دَوْلةِ الإغْرامِ والدَّدَنِ
٦ فمَا وجَدْتُ على الأحشاءِ أوقَدَ مِنْ دَمْعٍ على وَطَنٍ لي في سِوَى وَطَني

---

(٢) [هصرتَ: شددتَ].

(٣) (ص) اسمُ الرجلِ الذي سأل له الحاجة سُليمانُ.

(٥) (ع) استعار «الحَلَب» لصرف النَّوى، وجَعلَ «صرْفَ الأسى» كالمُحْتَلب، و«الدَدَن»: اللَّهوُ والباطل، جاءَ به على أصله، وأكثرُ ما يُستعمل بحذف النُّون، ويُحكم على أنّ الدّالين من الأصل، كما يُحكم عليها في قولك بَدَّ: (المرزوقيّ): «حَلَيْتُ» مأخوذ من الْحُلْوان، وهو أُجرة الكاهِن، ويقال حَلَوْتُ بمعنى رشَوْتُ، فيجوز أن يكون (فَعَلْتُ) منه، وآستعاره ها هنا كما يستعار القِرَى، فيقال قرَيْتُ الهَمَّ كذا، والحُلْوان: الصّداق أيضاً قال الشاعر

★لا نأخذُ الحُلْوانَ مِنْ بَناتِنا★

ويجوز أن يكون «حَلَبْتُ» بالباء: من الحَلَب، وليس بالجيِّد. ويَقِلُّ نظيرُ الدَّدِ والدَّدَنِ في الأسماء.

٧ صَيَّرْتُ لي مِنْ تَبَارِي عَبْرَتي سَكَناً ... مـذْ صِرْتُ فَـرْداً بِـلا إلفٍ ولا سَكَنِ
٨ مَنْ ذا يُعـظِّمُ مِقْـدارَ السُّـرور بِمَنْ ... يَهوَى إِذَا لَمْ يُعظِّمْ مَوْضِع الْحَـزَنِ؟!
٩ العِيسُ والهَمُّ واللَّيْـلُ التَّمـامُ معـاً ... ثَـلاثَـةٌ أبـداً يُـقْـرَنَّ فـي قَـرَنِ
١٠ أقُـولُ للحُـرَّةِ الوَجْنَـاءِ لا تَهِنـي ... فَقَـدْ خُلقْتِ لِغَيْرِ الْحَـوْضِ والعَطَنِ
١١ ما يحسِنُ الدَّهْرُ أَنْ يَسْطُو على رَجُلٍ ... إِذَا تَعلَّـقَ حَبْلًا مِـنْ أبـي حَسَـنِ
١٢ كَمْ حـالَ فَيْضُ نَـدَاهُ يَـوْمَ مُعْضِلَةٍ ... وبَـأْسُـهُ بينَ مَنْ يَـرْجُـوهُ والمِحَنِ!
١٣ كـأنَّني يَـوْمَ جَـرَّدْتُ الـرَّجـاءَ لَـهُ ... عَضْبـاً أخَذْتُ بـهِ سَيْفـاً على الـزَّمنِ
١٤ فَتًى تَـرِيشُ جَنَـاحَ الجُـودِ رَاحَتُـهُ ... حتَّى يُخـالَ بـأنَّ البُخْـلَ لَمْ يَكُنِ
١٥ وتَشْتَرِي نَفسُه المَعْـرُوفَ بـالثَّمَنِ الـ ... ـغَـالي ولَـوْ أنَّهـا كـانَتْ مِنَ الثَّمنِ
١٦ أمـوَالُـه وعِـدَاهُ مِـنْ مَـوَاهِـبِـهِ ... وبَأسه يَـطْلُبونَ الـدَّهْـرَ بـالإِحَنِ
١٧ يُقَشِّـعُ الـفِتَـنَ المُـسْـوَدَّ جَـانِبُـهـا ... ومَـالُـه مِنْ نَـدَاهُ الـدَّهْـرَ في فِتَنِ
١٨ إِذَا بَـدَا لَـكَ مُـرٌّ في كَتَـائِبِـهِـمْ ... لَمْ يُحْجَبِ المَوْتُ عَن رُوحٍ ولا بَدَنِ
١٩ كَمْ في العُلَى لَهُمُ والمَجْدِ مِنْ بِـدَعٍ ... إِذا تُصفِّحَتِ اختِيـرَتْ عـلى السُّنَنِ
٢٠ قَـوْمٌ إِذَا هَـطَلَتْ جُـوداً أكـفُّهُـمُ ... عَلِمْتَ أَنَّ النَّـدَى مُذْ كـانَ في اليَمَنِ

١٧١

وقال يمدحُ أبا سعيد، ويذكُر غمَّه بخروجه [من الكامل] :

١ أفِـدَتْ رِكَـابُ أبي سَعِيـدٍ لِلنَّـوَى ... فَـسَعِـيـدَةٌ بـالـيُـمْـنِ والإيـمـانِ
٢ هـذَا مُـحَمَّـدُ الَّـذي لَـمْ أنتَصِفْ ... إلَّا بـهِ مـنْ نـائِـبـاتِ زَمَـانِـي
٣ هـذا الـذي عَـرفَتْ يَـدَاه سـاحَتي ... مِنْ بَعْـدِ مـا جَهِـلَ البَخيـلُ مَكـانِي
٤ أُنـظُرْ إلـيـهِ كَـمْ يَـسـيـرُ وراءَهُ ... ثِـقْـلٌ مِنَ الـمَعْـرُوفِ والإِحْسَـانِ
٥ لأُوَدِّعَنَّـكَ ثُـمَّ تَـدْمَـعُ مُقْلَتِـي ... إِنَّ الـدُّمُـوعَ هيَ الـوَدَاعُ الثَّـانـي

---

(١) « أفِدَتْ » عَجِلَتْ، ويجوز نصب « سعيدة » على الحال، ورفعُها على تقدير: فهي سعيدةٌ.

(٢) [انتصف: أنال الإنصاف. نائبات الزمان: مصائبه].

٦ وأصُومُ بَعْدَكَ عَنْ سِوَاكَ وأغْتَدِي مُتَقَلِّداً صَوْمَيْنِ في رَمَضَانِ
٧ ولَتعْلَمَنَّ بِأَنَّ ذِكْرَكَ أَوْ تُرَى جَذْلانَ مُنْصَرِفاً نَدِيمُ لِسَاني
٨ أنْسَى خَلائِقَكَ التي ثَمَرَاتُها مُتَنَزَّهُ الآمالِ كُلَّ أَوانِ؟!
٩ في فُرْقَةِ الأَحْبَابِ شُغْلٌ شاغِلٌ والثُّكْلُ صِرْفاً فُرْقَةُ الإخْوَانِ

172

وقال في أبي قدامة أحمد بن زاهر [من البسيط] :

١ أبَا قُدامَةَ قَدْ قَدَّمْتَ لي قَدَماً مِنَ المَكارِمِ صِدْقاً غَيْرَ ما مَيْنِ
٢ ضِقْنا بِدَيْنِكَ فاحتَجْنا إلى الدَّيْنِ مُذْ غِبْتَ عَنَّا بَوجْهٍ سَاطِعِ الزَّيْنِ
٣ وكنتَ عَوْناً إذا دَهْرٌ تَخَوَّنَنا عَيْناً علينا فأنتَ العَوْنُ بالعَيْنِ
٤ إنَّ الجيَادَ على عِلاَّتِها صُبُرٌ ما إنْ تَشَكَّى الوَجا في حَالةِ الأَيْنِ
٥ والنَّصْلُ يَعْمَلُ إخلاصاً بجَوْهَره لا باتِّكالٍ على شَحْذٍ مِنَ القَيْنِ

---

(١) [المين : الكذب].

(٢) أي من كثرة إحسانك لا نسألك.

(٣) رواية أبي العلاء :

« وكنتَ قِدْماً إذا دَهْرٌ تَخَوَّنَنا بالمال عوناً وأنت العَوْنُ بالعَيْن »

« تَخوَّننا » : أي تَنَقّصنا . و« العَيْن » في القافية : يعني به الذّهَب .

(٤) يقول: إنّا كالجِياد من الخيل، نصبرُ على ما نحن فيه ولا نشكوه، كما تصبر الجيادُ المُعْيَية فلا تشتكي ما بها من الأيْن والوَجَا . [الوجا : أن يشتكي البعير باطن خفّه ، والفرس باطن حافره] .

قافية الهاء

173

قال يُهنِّىء السَّليلَ بالعافية مِنْ عِلَّة [من الوافر] :

١ لِيَهْنِـكَ يـا سَليـلُ فقَـدْ هَنَتْني ... بمـا عُـوفيتَ عـافِيـةٌ هَـنيَّـهْ

٢ يَـطُولُ لـكَ البَقَـاءُ قَـريـرَ عَيْنٍ ... وتُصـرَفُ عنـكَ صَـائِلَةُ المَنِيَّـهْ

٣ أرَى الآمـالَ ضـاحِكَـةَ الثَّنَـايـا ... تَبَسَّـمُ عَنْ عَـطايَـاكَ السَّنِيَّـهْ

٥ ونـورُ الشَّمْس مـا طَلعَتْ تُبَـاهي ... بنُـور طُلُوعِ طَلْعَتِـكَ البَهِيَّـهْ

٦ بنَيْتَ بَنِيَّـةً في المَجْـدِ طـالَتْ ... وطُلْتَ بـطُول مَجْـدِكَ في البَنِيَّـهْ

٧ غَنِيتَ ببَـذْل مـالِـكَ في المَعَـالي ... فنَفْسُـكَ مِنْ إفـادَتِـهـا غَنِيَّـهْ

٨ جَنى لي فيـكَ مِنْ ثَمَراتِ مـدْحي ... لِسَـانُ الشُّكْـر أبيَـاتـاً جَنِيَّـهْ

٩ وقَـدْ أهـدَيْتُهـا لـكَ وهْي عنـدي ... عـلى الأيَّـامِ مِنْ أزكَـى هَـدِيَّـهْ

174

وقال يمدح يحيى بن عبد اللّه ، وكتَبها إليهِ مع سَهْمٍ أخيه ليصلَه ، ويَسأله في أمره [من الكامل] :

١ إحـدَى بَني بَكْـر بن عَبْـدِ مَنَـاهِ ... بَيْنَ الـكَثِيـبِ الفـرْدِ فـالأمْـوَاهِ

(١) (ق): لحَّنه بعضُهم في قوله «مَنَاهِ»، وقال اسم الصَّنم «مَنَاةُ». قال: اعلمْ أنَّ هاءَ التأنيثِ وهاءَ الضمير وهاء الوقف، تحمل العربُ بعضَها على بعض لتشابُهِهـا، والأصلُ في التأنيث التاء، بدلالة أنها تكون حرف الإعراب وأنها تثبت في الإضافة إلى المكنّى، وفي التثنية، وأن كثيراً من العرب يقفون عليها بالتاء، فلمّا ثَبَتَتْ تاءً في مُتَصرفاتها، دَلَّ على أنها تكون تاءً في الأصل، وإنما أبدلتْ=

= هاءً في الوقف فَصْلاً بين التاء في الفعل إذا قلت ضربتُ، وبين التاء في الاسم، وكانت هي أولى بالإبدال، لما يَلحقُها من التغيير في اختلاف الحركات عليها، ومن العرب مَن يجعلها في الوَصْل هاءً في الشعر، على ذلك قوله:

★لمّا رأى ألاّ دَعَهْ ولا شِبَعْ★

بالتسكين فيها تشبيهاً بهاء الوقف، وجَعْلُها في الوصل هاءً، على التشبيه بهاء الإضمار، وكما أنَّ بعضهم سَكَّنَ هاءَ الضمير تشبيهاً بهاء الوقف، على ذلك قُرِئَ قوله «ما تَوَلَّى» فسَكّن، وكما أنَّ بعضهم أثبتَ هاءَ الوقف في الوصل تشبيهاً بهاء الضمير، وعلى ذلك قولُه تعالى «فبهداهم اقتَدِه» لأنّ هذه هاء الوقف. وإذا كان الأمرُ على ذلك، فقول ابي تمام «عَبْدَ مَناهِ»، على أنه أجراه في الوصل مجراه في الوقف، فجعله هاءً ثم حركه كما حَرَّك في قوله:

★يا مَرْحَباه بحمارِ عَفْرَا★

وكأنّ أبا تمام أراد أن يُرِي أنه يهتدي لمثل هذه الأشياء التي تَقلّ وتَعزّ.

(ع): اختلف الناسُ في رواية هذا البيت، حَدَّثَ الحسنُ بن علي الرافقيّ المعروف بالخالع، أنه حضر مجلسَ أبي سعيدٍ السيرافيّ، فسأله: كيف تنشد «إحدى بني بكر بن عَبْد مَنَاهِ»؟ فقال الخالعُ «مَناةِ» في اللفظ بالتاء، على غير التصريع. فقال أبو سعيد: مِن ها هُنا أخذتَ؟! يعني أنك أخذت هذه الفوائد من عندنا، وكان الخالعُ يُحدّث هذا الحديث كالمفتخر به. ولذلك مَذْهبٌ ووجه، لأنهم يحملونه على مثل قول الأوّل:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالكِ بنِ زُهَيرِ تَرجو النساءُ عَواقِبَ الأطهارِ؟!

و«مَنَاةُ»: تُمَدّ وتُقصر، وقد قرأ بعضُ القرّاء «ومَناءَةَ الثالثةَ الأُخرى» بالمدّ. وحكى بعضُهم أنّه رأي قول الحارثيّ:

ألا هَلْ أتى التَّيْمَ بنَ عَبْدِ مَناءَةٍ على الشَّنِّ فيما بَيْننا ابنِ تَميم؟

بخط أبي عبيد القاسم بن سلاَّم، على مدّ «مَناءة». وإذا كان السِّيرافي يذهب إلى أنّ البيت غيرُ مُصرَّع، فالمدُّ أولى به من القَصْر، لأنَّ البيتَ يخلص به من النقص. وبعضُ الناس يتعمّد الوقفَ على الهاء في قول الطائيّ «بكر بن عَبْد مَناهْ». ولو قال قائل إنه سمّاهم بني عَبْدِ مَنَاهْ بهاءٍ أصليّة، أخَذه من نَاهَ يَنُوه إذا انتشر ذِكْرُه، لكَان ذلك وجهاً قوياً، وهو أحسنُ ما يُحمل عليه البيتُ، لأنَّ الشعراء يُسمح لهم بتغيير الأسماء إلى ما قاربَها، كقولهم في ثابت ثَبات، وفي جَمْشٍ جَمُوش، والذي بين مَناه ومَناةٍ مُتقارب أكثر من قُرْب «عبدالله» إلى «مَعْبَد» وقد يُغيِّر الإنسانُ اسمَه، ومن كلامهم القديم: مَنْ شاءَ أحدَث اسماً، ولم يكن ذلك حَتْماً. وقوله «إحدَى» فأنّثَ ثم أضافَها إلى مُذكَّرين يحمُل على تغليب المذكّر، وإنما هذا الموضعُ يجب أن يُقال فيه «إحدى بنات» ويقوّى =

٢ ألقِي النَّصِيفَ فأنتِ خاذِلَةُ المهَا ... أُمْنِيَّةُ الْخَالي ولَهْوُ اللاَّهِي
٣ رَيّا تُجَاذِب خَصْرَهَا أردَافُها ... وتَطِيبُ نَكْهَتُهَا على استِنْكَاهِ
٤ عَرَضَتْ لنَا يَوْمَ الحِمَى في خُرَّدٍ ... كالسِّرْب حُوٍّ لِثَاً ولُعس شِفَاهِ
٥ بيضٍ يَجُولُ الْحُسْنُ في وَجَناتها ... والمِلْحُ بينَ نَظَائِرٍ أشبَاهِ
٦ لَمْ تَجتمِعْ أمثَالُها في مَوْطِنٍ ... لَوْلا صِفَاتٌ في كِتَابِ اللّهِ
٧ ومُفَنِّدٍ لَوَّامَةٍ نَهنَهْتُهُ ... عَنْ مُغْلِظٍ لِعَذُولِهِ نَجَّاهِ
٨ ومُؤَيِّهٍ بي كَيْ أُفِيقَ وإنَّني ... لأَصَمُّ عَنْ يَاهٍ وعَنْ يَهْيَاهِ

= التذكير أنّ المرأة تُنسَب إلى آبائها من هؤلاء القوم، والآباءُ مُذكّرون، وليس في جواز ذلك امتراء، ولكنْ يُذكر لأنّ سائلاً قد يجوز أن يسأله عنه، كأنه قال إحدى نساءِ بني زيد مَناة ساكنةٌ بين هذين الموضعين.

(٢) أي ألقي خِمارَكِ، واكتفي بمثاني شعرِك، وجَعَلها خاذلَةَ المَهَا على طَرْح التّشبيه. لا يجوز غير ذلك، لأنها لا مِدْحَةَ لها بأن تكون بقرةً وحشيَّةً، وإنما تُشبهها في بعض الأشياء.

(٣) «النَّكْهَة»: أعلى الحَنَك، ويقال نَكِهَ الرجلُ إذا أخرج نَفَسه من ذلك الموضع، واستنكهه غيرَه: إذا طلبَ منه ذلك وحَمَله عليه. أي هي ريّا الخَلْق، وخَصْرُها دقيق، وكَفَلُها عظيم، فهو يُعانِدُ الخصرَ.

(٤) «اللّثا» جمع لثَةٍ وهي لحم الأسنان، وجاءتْ منقوصةً، وكأنّ المحذوف منها ياء لأنها مأخوذةٌ من لِثا الشجرةِ، وهو شيءٌ كالصمغ يكون فيه، وسُمِّيت اللِّثةُ لِثةً لأنّ اللّثا يكون نَديًّا، واللّثة لا تَعْدَمُ ريقاً، ورُدَّتْ في الجمع إلى الأصل.

(٥) «المِلْح»: الرِّضاع، أي أنهن في سنٍّ واحدةٍ، فبعضُهنَّ قد رَضِع من لبن بعض.

(٦) في النسخ: «البَاه»، وفي بعضها «الله»، والرواية اللام أشبه، لأنه يدَّعي أنّ صفات هؤلاء النساء كصفات الحُور العِين اللّواتي ذُكِرَتْ في القرآن، وإنما عَدَلَ مَن عدلَ أن يروى «الباه» لأنّ اسم الله يُكره في هذه القصيدة، وأما «البَاه» فلغةٌ في البَاءة، وهو النّكاح، ويقال إنّ فيها أربعَ لُغات: البَاءَةُ والبَاهةُ والباءُ والبَاه، وقد وَضَعت الحُكماءُ كُتباً في ذلك، وما علمتُ أن فيها صفات الجمال بخط العبديّ: قوله «لم تجتمع أمثالُها» جوابُ «لولا» قد تَقدَّمَ عليه، وفي كتاب الباه: يّ فَخذُها من حاله، وساقُها مِنْ صِفَتِه، فكأنّه قال تلك التي في كتاب الباه، لم يجتمع لأحدٍ غيرها.

(٧) و(٨): «النَّجْهُ» أسوأُ الرّد، «وأيَّه» بالرجلِ والفرسِ إذا صاحَ به، وأصلُ ذلك أن يقول ياهْ ياهْ، قال الشاعر:

بِيَاهٍ ويَهْيَاهٍ دَعَا بعدَ هَجْعَةٍ ... دُعَاء الرُّوَيْعي ضَلَّ بالليلِ صاحِبُهْ

٩ دَعْني أُقِمْ أَوَدَ الشَّبابِ بِذِكْرِها ... إنَّ السَّفَاهَ بِها لَغَيْرُ سَفَاهِ
١٠ فإذا انقضتْ أيّامُ تَشْييعِ الصِّبا ... أظْهَرْتُ تَوْبَةَ خاشِعٍ أوَّاهِ
١١ ومُعاوِدٍ للبِيدِ لا يَهْفُو بِهِ ... هافٍ ولا يزهَاهُ فيها زاهِ
١٢ مُهْدٍ لألطافِ الثَّناءِ إلى فَتًى ... كالبَدْرِ لا صَلِفٍ ولا تَيَّاهِ
١٣ لأبي الغَريبِ غرائباً مِنْ مَدْحِهِ ... في غيرِ تَعْقيدٍ ولا استِكْراهِ
١٤ مَنْ ماتَ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ فإنّه ... يَحْيا لَدَى يَحْيَى بن عَبْدِ اللَّهِ
١٥ كالسَّيْفِ ليسَ بزُمَّلٍ شِهْذارَةٍ ... يوماً ولا بغُضُبَّةٍ جَبَّاهِ
١٦ ومُهفْهَفِ السَّاقِي قَريبِ جَنَى النَّدَى ... عَفٍّ النَّدِيمِ سَريعِ سَعْيِ الطاهي
١٧ وأَغَرَّ يَلْهُو بالمَكارِمِ والوَغَى ... إنَّ المكَارمَ للكَريمِ مَلاهِ
١٨ يُمسي ويُصْبحُ عِرْضُهُ في صَخْرَةٍ ... دَمَغَتْ شَوَاةَ العائِبِ العَضَّاهِ

---

(٩) أي دعني أتمتع بشبابي، ولا تَسْفَه بها عليّ.

(١٠) و(١١) «الأوّاه»: الكثير التأوّه من الخوف والحُزْن. «ومُعاوِدٍ»: يعني نفسه، وقوله «لا يَهْفُو به»: أي لا يَستَخِفُّه.

(١٤) الرواية الجيدة: «ما ماتَ من كرم الزّمان فإنّه».

(١٥) في الأصل «الشِّهْذارة»: الصَّخابُ لأصحابه. (ع): «الشِّهذارة»: القصير، ومَن روى «مِهْذَارةٍ» فهو من الهَذَيان، أي كثرةِ الكلام. «والغُضُبَّة»: الكثير الغَضَب، و«الجَبَّاه» الذي يَجْبَه الناسَ بالكلام الرّديء.

(١٦) «الطّاهي»: الطبَّاخ، يصفه بسرعة القِرَى، لأنَّ ذلك ممّا يُحمد في الرجل، وإذا وُصفوا بتأخّر الطّعام، فإن ذلك عندهم من التناهي في الذَّم، يقولون قِرَاه عاتِم، أي لا يجيء إلا بعد ما يمضي عنك من الليل، قال الشاعر:

أبالكُمُ أنَّ الجُدُودَ أذِلَّةٌ ... وأنّ القِرَى عن واجِبِ الضَّيْفِ عاتِمُ

(١٧) أي يلهو بالعَطاء ويُفَرّقه في الحقوق وفي الحروب، وهي مكارم.

(١٨) «الشَّوَاة»: جِلْدة الرأس، وتُستعمل في جِلد الجسد كلّه، ولكنْ أكثرُ ما تُستعمل في الهَامة، قال الشاعر:

قالَتْ قُتَيلَةُ مالَهُ ... قد جَلَّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ؟!

«ودَمَغتْ أي بلغت الدّماغ». و«العَضّاه» من قولهم: عَضَهه بشرٍّ، أي رَماه به، ويُقال حَيَّة عاضِهَةٌ إذا كانت قاتلةً، وإنما أُخذ قولهم عَضَهَهُ بِشرٍّ من العِضَاهِ التي لها شَوْكٌ، أي إن هذا القائل يُصيب غيرَه بلسانه، كما تُصيب العِضَاهُ بشوكها.

١٩ قُلْ لِلعِدَاةِ الْحَاسِديهِ على العُلَى ... رَغْمـاً لِآنِفِكُـمُ بَـنِي الأسـتَـاهِ

٢٠ حَسَـدٌ تَمكَّنَ ذُلُّـهُ مِنْ بُغْضِكـمْ ... فـي أعيُـنٍ ومَعَـاطِسٍ وشِـفَـاهِ

٢١ هُـوَ لِـلوَفيِّ الـعَـهْـدِ ظِـلُّ أرَاكَـةٍ ... ولِمُضْمِـرِ الشَّـنَـآنِ شَـوْكُ عِضَـاهِ

٢٢ قَـرْمٌ أقَـرَّ لَـهُ الـرِّجَـالُ بفَـضْلِه ... طَـوْعـاً بـلا قَـهْـرٍ ولا إكْـرَاهِ

٢٣ عَـذُبَ اسمُـه بِفَمِي فَـظَلَّ كَـأَنَّـهُ ... لِلرَّاحِ بـالـمَـاءِ الـقَـرَاحِ مُضَـاهِ

٢٤ لَـوْ أنَّـه نَـبْـتٌ لَـكـانَـتْ دُونَـه ... قُـضُبُ البَشَـامِ اللُّدْنِ لـلأفـوَاهِ

٢٥ كَمْ فَـرْحـةٍ أهـدَى وكَمْ مِنْ تَـرْحَـةٍ ... لِـمُـؤَمِّـلٍ رَاجٍ ولاحٍ نَـاهِ

٢٦ شِمْنَـا نَـدَى يُمْنَـاهُ فـانبَجَسَتْ لنَـا ... بـمـوَاهِبٍ لَـمْ تـنـفـجِـرْ بـمِـيَـاهِ

٢٧ لَمَّـا طَلَبْتُ العَـذْبَ مِنْهـا أصبَحَتْ ... قُـلُبِي بـهـا مَـمْـلُوءَةً ورِدَاهـي

٢٨ لَـوْلا تَـنَـاهي كُـلِّ مَـخْلُوقٍ لـقَـدْ ... خِلْنـا نَـوَالـك لَيْسَ بـالمُتَـنَـاهي

٢٩ مـا زِلْتَ تُمْطِـرُ دِيمَـةً مـعَ وَابِـلٍ ... حتَّى كـأنَّـكَ لـلسَّحَـابِ مُبَـاهي

٣٠ ولقَـدْ وُعِـدْتُ مَـوَاعِـداً فنبَـذْتُهَـا ... خَلْفي ووَعْـدُك مـا يَـزالُ تِجَـاهي

٣١ سَهْمُ ابنُ أوْسٍ في ضَمَـانِك عـالِمٌ ... أنْ لَسْتَ بـالنَّـاسي ولا بـالسَّـاهي

٣٢ أجـزِلْ لَـهُ الحَـظَّيْنِ مِنْـكَ وكُنْ لـهُ ... رُكْـنـاً عـلى الأيَّـامِ لـيسَ بـوَاهِ

٣٣ بـولايَـتَـيْـنِ ولايَـةٍ مَـذْكُـورَةٍ ... مَـشْـهُـورَةٍ ووِلاَيَـةٍ بـالـجَـاهِ

٣٤ هُوَ في الغنَى غَرْسِي وغَرْسُكَ في العُلَى ... أنَّـى انصـرفْـتَ وأنـتَ غَـرْسُ الـلَّهِ

---

(٢٠) أي تمكَّن حسدكم له في أعينكم وأنوفكم، فهو يلوح للناظرين ولا يخفى.

(٢٤) يقول: هذا الممدوح عَذُبَ اسمُه في أفواه الرجال والنساء، فهم يصفونه ويثنون عليه، لأن أفواههم تطيب بذكره، إذا كان يَفضُل البَشَامَ من الشجر في طِيب الرائحة وإزالة الحَبَر عن الثغر، لأن البَشَام يصقل به الثغور، قال جرير:

أتـذكُـر يـومَ تَصْقُـلُ عـارِضَيْهـا ... بِعُـودِ بَشَـامَـةٍ، سُقِـيَ البَشَـامُ!

(٢٧) يعنى «بالرِّدَاه»: جمع رَدْهَة، وهي نُقْرة في صخرَةٍ أو جبل يجتمع فيها ماء السماء.

(٣١) «سَهْم بن أوس»: أخو أبي تمّام، يقول: قد وثق أخي ومَن ورائي ممَّن تَضمَّنْتَه عِنايتي، بأنك لا تسهو عمّا تضمَنُ وتَعِدُ.

(٣٣) ويُروى: «من كُورَةٍ». يقول أجزلْ حظَّي سهم بولايتين تُوليهما إيّاه، فإحدى الولايتين ولاية كُورةٍ تُوليه إيّاها. وولاية أخرى بإيجاهك إيّاه، أي تجعله وجيهاً عندك، ليجلَّ في عُيون الناس، ومَن كان يستصغر قدرَه.

(٣٤) أي أنا غرستُه في الغِنَى، لأني وصلتُه بك.

قافية الياء

175

قال يمدح الحسنَ بن وَهْب [من الوافر] :

١ أَيـا وَيْـلَ الـشَّجيّ مِنَ الْـخَليّ وبَـالِي الـرَّبْـعِ مِنْ إحـدَى بَـلِيّ

٢ ومـا لِـلدَّارِ إلاَّ كُـلُّ سَـمْحٍ بـأَدْمُـعِـهِ وأضـلُعِـهِ سَـخِـيّ

٣ سنَتْ عَبَـراتُـه الأطـلالَ حتّـى نَـزَحْـن غُـرُوبَـهـا نـزْحَ الـرَّكِـيّ

---

(١) (ق) أخذَه من قوله :

خَلا رَبْـعٌ لِمَيَّـةَ بـالغَـرِيّ بَكَيْـتُ بـهِ لهـا إحـدَى بَلِـيّ
ولامَ علـى بُكـائـي فيـه خِلْـوٌ ألاَ وَيْـلَ الشجـيّ مِـنَ الخَلِـيّ

والمعنى ويلٌ للشجيّ مما يُمنَى به الخَلِيّ، ومن الرَّبْع البالي من إحدى نساء بَلِيّ. و«بَلِيّ»: هو حيٌّ من قُضاعة، وإنما قال ذلك لأن الخليّ، يلومه ويُعنِّفه، والربعُ يَشْجوه ويَشُوقه. فإن قيل لمَ شدَّد الياء من «الشجي» والمثل المضروب إنما هو (ويلٌ للشجي من الخَلِيّ) مُخففاً، قلتُ: يجوز أن يكون شَدَّدَ لأنه جعله (فعيلاً) في معنى (مفعول) يقال شجاهُ كذا يشجوه شجْواً فهو مَشْجوٌّ وشَجِيٌّ، ويجوز أن يكون جَعَلَهُ (فعيلاً) بمعنى (فاعل) كأنّه قال شَجِيَ فهو شَجٍ وشَجِيٌّ، كما يقال حَزِنَ فهو حَزِن وحَزِين، ويُحتاج في هذا إلى سماع يؤيّده. (ص) وانشد المبرِّد :

نـامَ الخَلِيُّـونَ عـن لَيْـلِ الشَّجِيِّينـا شـانُ السُّـراةِ سِـوَى شـانِ المُقيمينـا

(٢) مِثْلُه :

ووَراءهــمُ صُعَــداءُ أنفــاسٍ إذا ذُكِـرَ الفِـرَاقُ أقمـنَ عُـوجَ الأضْلُـعِ

يقول: ما للوقوف على ديار الأحبّة إلاّ كلُّ سَمْحٍ بإسالة الدَّمْع وإظهارِ الوَجْد يتَنَفَّسُ الصُّعَداء.

(٣) في الأصل «سَنَتْ عَبَراتِه الأطلال» «وسَنَتْ» بمعنى: استقَتْ. (ع): «سَنَتْ» في معنى سَقَتْ،

٤ سَقى الشَّرَطانِ جِزْعَكِ والثُّرَيّا ثَراكِ بِمُسْبِلٍ خَضِلٍ رَوِيِّ

٥ فكَم لي منْ هَواءٍ فيكِ صَافٍ غَذِيٍّ جَوُّهُ وَهَوًى وَبِيِّ!

٦ ونَاضَرَةِ الصِّباحِينَ اسبَكَرَّتْ طِلاعَ المِرْطِ في الدِّرْعِ اليَدِيِّ

٧ تَشَكَّى الأَيْنَ مِنْ نِصف سَرِيعٍ إذَا قامَتْ ومِنْ نِصْفٍ بَطِيِّ

٨ تُعِيرُكَ مُقْلَةً نَطِفَتْ ولكنْ قُصَارَاها على قَلْبٍ بَرِيِّ

يقال أرض مَسْنِيّة ومَسْنُوّة: إذا سقاها المطرُ، أو سَقَتْها السَّانِيةُ، وهم يعنون «بالسَّانيةِ»: البعيرَ الذي يُستقى عليه، ويريدون بها أيضاً آلة الاستقاء، قال الراجز:

يا مَرْحَباهُ بحمارِ ناجِيَهْ إذا أتى قَرَّبْتُه لِلسَّانِيَهْ

«وغُروبها» جمع غَرْب، وهو جَرَيان الدَّمع، وربما قيل غَرْب العَيْن: عِرْق يكون فيها لا يَرقأ، ولو قيل إنّ غروب العين شُبّهت بغروب الاستقاء، لكانَ ذلك وجهاً. وهذا البيتُ فيه صنعةٌ، لأنه غُروبَ العين تُنزح، وهي موافقةٌ في اللفظ لِغروبِ البئر، وإنما جرت العادةُ بأن تكون الغُروبُ من الدِّلاء هي التي يُنزح بها الماءُ.

(٥) الرواية تختلف في هذا البيت، «والهَوَاء»: ما بين السماء والأرض، وإذا رويت «غَذِيٌّ جَوُّه» فهو كناية عن الطِّيبِ، أي كأنّ جَوَّه يُغذَّى بالنسيم والنَّدى، وإذا رويتَ «غَذِيٌّ جُودُه» فهو راجعٌ إلى نحوٍ من ذلك، لأنه يستعير الجُودَ للهواء. ومَن روى «عَذِيٌّ بالعين غيرَ معجمةٍ، فإنه يأخذه من الأرض العَذِيَّة والعَذَاة وهي الأرض الطيّبة التراب، مع بُعْدٍ من الماء، إلاّ أنَّ التشديد في «العَذِي» و«العَذِية» غير مستعمل، والقياس يُجيزه، لأنَّ (فَعِلاً) (وفَعِيلاً) يشتركان كثيراً، كقولهم سَقِمٌ وسَقِيم، وجَرِجٌ وجَرِيج. ومَن روى «وهَوًى وبِيٌّ» حَملَه على تخفيف الهمز، لأن «الوَبَاء» مهموزٌ، ومَن روى «وهَوًى وفِيٌّ» فهو من الوَفَاء، وإنما يعني هوَى النَّفْس.

(٦) «اسبَكرَّتْ»: تَمَّ شَبَابُها واسترسل، «وطِلاعُ المِرْطِ» أي ملْؤه، يعني مِرْطَ المرأةِ، وجاء في الحديث: «لو أنَّ لي طِلاَعَ الأرضِ ذَهَباً» أي أي مِلْؤُها، «واليَدِيُّ» الواسع، ويروى «البديّ»، وهو البديعُ العجيب.

(٧) [ق] يصف ثِقَلَ رِدْفِها، ودِقّةِ خَصْرِها.

(٨) (ع): «نَطِفَتْ»: من النَّطَف، وأصلُه أنْ تَهْجُمَ الغُدَّةُ على قلب البعير، ثم استُعير «النَّطَفُ» لِلفساد، وإنما يُريد أنّها مريضةُ المُقْلة، وأنَّ قلبَها بَرِيءٌ. (ق): يقول: هذه المرأة تَتصنَّعُ لكَ، وتُظهر أنّها تُحبّك، وتُريك أنها تبكي وَجْداً بك، وإنما أعارتْك عَيْنَها إذ كان غايةَ ذاك وقُصَاراه أنَّ قلبها بَرِيءٌ مِن هَوَاك، خالٍ من حُبّك، كما قال: =

٩ سأشكرُ فَرْجَةَ اللَّبَبِ الرَّخِيِّ ولِينَ أخادعِ الدَّهْرِ الأبِيِّ
١٠ وإنَّ لَدَيَّ للحَسَنِ بنِ وَهْبٍ حِبَاءً مثلَ شُؤْبُوبِ الحَبِيِّ
١١ أقولُ لِعَثْرةِ الأدبِ التي قَدْ أوَتْ مِنْهُ إلى فَيْحٍ دَفِيِّ
١٢ أَمِيلُوا العِيسَ تَنْفَحْ في بُرَاهَا إلى قمرِ النَّدامى والنَّدِيِّ
١٣ فَقَدْ جعلَ الإلهُ لكمْ لِسَاناً عَلِيّاً ذِكْرُهُ بأبِي عَلِيِّ
١٤ أغَرُّ إذا تُمُرِّغَ في نَدَاهُ تَمَرَّغنا على كَرَمٍ وَطِيِّ
١٥ لَعَمْرُ بَني أبي دَيْناً وعَمْري وعَمْرُ أبي وعَمْرُ بَني عَدِيِّ
١٦ لَقَدْ جَلَّى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍ وأصَابَ شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ
١٧ فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبَرِ الجَلِيِّ
١٨ وكَانَ أَغَضَّ في عَيْني وأنْدَى على كَبِدي مِنَ الزَّهرِ الجَنِيِّ

= ★قَلْباً بريئاً يُنَاغِي ناظِراً نَطِفاً★

«ونَطِفتْ»: مَرِضَتْ أو سالت. ويُروى «وتَعْرُك مُقْلَةً»: أي تُغمِضُها، ليخرج الدَّمعُ منها.

(٩) يُقال فَرْجة وفُرْجة، وعلى هذا يُنشد قولُ الشاعر:

ربّما تجزعُ النُّفُوسُ مِنَ الأمْرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

ويقال فلان رَخِيُّ اللَّبَب: إذا كان في سَعَةٍ من أمره، ووصَفَ الدَّهرَ بلين الأخادع، لأنَّ الرّجلَ إذا وُصِف بالإباءِ قيل هو شديد الأخْدَع، وإنما فعلوا ذلك لأنَّ «الأخدع» عِرْق عظيم، فكَنَوْا به عن الذُّل والعِزّ، قال الفرزدق:

وكُنّا إذا الجبّارُ صَعَّرَ خَدَّه ضَرَبناهُ حتَّى تَستقِيمَ الأخادِعُ

(١٠) سحاب مرتفع.

(١١) تصحيح العبدِيّ «لِعثرة الأدب». (ق): ويُروى «إلى ثَبَجٍ دَفِيٍّ»: أي ظَهْرٍ، وليس بشيءٍ. و«الفَيْح» والفَيّاح والأفْيَح: المكان المتّسع، والفَيَح بفتح الياء الاتساع، والمعنى: أوَتْ من الأدب إلى خطرٍ واسعٍ له دِفْءٌ، ويجوز أن يكون أراد «بالفَيْح» الحَرَارة، ومنه الحديث «استعيذوا باللهِ مِن فَيْح جهنم»، والمعنى: أوَتْ منه إلى ضِيق الأيدي وحَرَارةِ سُوءِ الحال، وعلقوا منه بعيشٍ نَكِدٍ★، وقوله لِعَثْرة»: أرادَ لأجل عثرةٍ.

(١٦) «الشاكلة»: الخاصرة، ويقال هي الطِّفطِفة المتدلّية عنها، وإذا أصابَ الرّامي الشاكلةَ، فقد ظَفِرَ بالمُرَاد.

١٩ وأحسنَ مَوْقِعاً مِنّي وعِنْدي ... مِنَ البُشرَى أتَتْ بعدَ النَّعِيِّ

٢٠ وضُمِّنَ صَدْرُهُ ما لمْ تُضَمَّنْ ... صُدُورُ الغانِياتِ مِنَ الحُليِّ

٢١ فكَائِنْ فيهِ مِنْ مَعْنًى خَطِيرٍ ... وكائِنْ فيهِ مِنْ لَفْظٍ بَهِيِّ

٢٢ وَكمْ أفصَحْتَ عَن بِرٍّ جَليلٍ ... بهِ ووَأيْتَ مِنْ وَأيٍ سَنِيِّ

٢٣ كَتَبْتَ بهِ بلا لَفْظ كَريهٍ ... على أذُنٍ ولا خَطٍّ قَمِيِّ

٢٤ فأطلِقْ مِنْ عِقَالي في الأمَاني ... ومِنْ عُقُلِ القَوَافي والمَطِيِّ

٢٥ وفي رمْضَاءَ مِنْ رَمَضَانَ تَغْلي ... بهَامَةِ لا الحَصُورِ ولا التَّقِيِّ

٢٦ فيَا ثَلَج الفُؤادِ وكانَ رضْفاً ... ويا شِبَعي إذا يَمْضِي وَرِيِّي

٢٧ رِسَالَةَ مَنْ تَمَتَّعَ بعدَ حِينٍ ... ومَتَّعَنا مِنَ الأدَب الرَّضِيِّ

٢٨ لَئِنْ غَرَّبْتَها في الأرْضِ بِكْراً ... لَقَدْ جُليتْ على سَمْعٍ كَفِيِّ

٢٩ وإنْ تَكُ منْ هَدَايَاكَ الصَّفَايا ... فَرُبَّ هَدِيَّةٍ لكَ كالهَدِيِّ

٣٠ بَيَانٌ لم تَرِثْهُ تُراثَ دَعْوَى ... ولم تُنْبِطهُ منْ حِسْيٍ بَكِيِّ

٣١ عَشَوْتُ على عِدَاتِكَ فيهِ حتَّى ... خَطَوْتُ بهِ على أمَلٍ مُضِيِّ

٣٢ فنَاهِضْ بي مِنَ الأسفَارِ وَجْهاً ... مَهارِيه ضَوامِرُ كالْحَنِيِّ

٣٣ فلَسْتَ تَرَى أقَلَّ هوًى ونَفْساً ... وألزَمَ لِلدُّنوِّ من الدَّنِيِّ

---

(٢٦) يقال ثَلِجَ الفوادُ يَثْلَجُ: إذا جاءه الخبرُ، فبَرَدَ من حَرِّ ما يكون فيه من شوقٍ أو وَجْد، وكأنّه مأخوذٌ من الثّلج، لأنه بارد. وقوله «وكانَ رضْفاً» الرَّضْف: حجارةٌ رِقاقٌ تُلقى في النّار، فإذا حَميت أخرجتْ منها وطُرِحت في الماء أو في اللبن.

(٢٩) (ق): يعني رسالة أتته من عنده، فسحَ فيها من أمله. يقول: وإن كانت هذه الرسالةُ من هداياك المختارة، فربَّ هديّةٍ لك في حُسْنها كالهَدِيّ أي كالعروس التي تُهدَى، ويجوز أن يكون رُبَّ هديّةٍ لك في عظم موقعها كالبَدَنة التي تُهدَى للبيت. (غيره): يقول: هذا المدح الذي أهديته إليّ خالصٌ لي، وسواه من الأموال لي ولغيري، كما أن الهَدِيّ وهي العروس ليسَ إلاّ لزوجها.

(٣١) [ص] يقول: أظلمتُ على أعدائك بِشعرك الذي أنفذتَه إليّ، وكرهوا إجابتي وفيه لي أمل قويّ.

(٣٣) [ص] هذا مِثْلُ قوله:

وطُولُ مُقَامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لِديباجتيهِ فاغترِبْ تتجدَّدِ

٣٤ نَبَتُّ على خَلائِقَ منك بيضٍ | كما نَبَتَ الحَلِيُّ على الوَلِيِّ
٣٥ فَمِنْ جُودٍ تَدَفَّقَ سَيْلُه لي | على مَطَرٍ ومِنْ جُودٍ أتِيِّ
٣٦ ومِنْ جُودٍ لَهُ حَوْلي صَرِيفٌ | بِنَابَيْهِ ومِنْ عُرْفٍ فتِيِّ
٣٧ ومَحْدُودِ الذَّرِيعَةِ سَاءَهُ ما | تُرَشِّحُ لي مِنَ السَّبَبِ الحَظِيِّ
٣٨ يَدِبُّ إليَّ في شَخْص ضَئيلٍ | ويَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِيِّ
٣٩ ويُتْبِعُ نِعْمتي بِكَ عَيْنَ ضِغْنٍ | كما نَظَرَ اليَتِيمُ إلى الوَصِيِّ
٤٠ رَجَاءَ أَنَّه يُورِي بِزَنْدِي | إلَيكَ وأنه يَفْرِي فَرِيِّي
٤١ وذَاكَ لَهُ إذا العَنْقَاءُ صارَتْ | مُرَبَّبَةً وشَبَّ ابنُ الْخَصِيِّ
٤٢ أَرَى الإخوانَ ما غُيِّبتَ عنهمْ | بِمَسْقَطِ ذلكَ الشَّعْبِ القَصِيِّ

---

(٣٤) « الحَلِيُّ »: هو يَبَس البُهْمَى، فيجوز أن يكون حَمَله على هذا الوجه، ولا يُمنع أن يجعل « الحليُّ » ها هنا في معنى المُحلَّى، أي الروض الذي قد حُلِّي بالزَّهَر. وإن رويت « الخَلِيّ » بالخاء فجائز، يُراد به النبتُ الذي يُخلَى، فأمّا حَمْلُه على الخَلِيّ الذي هو يَبَس البُهْميّ فيجوز على تسمية الشيء في آخر أمره، بما كان عليه في أوّله، فيحسن أن يقال للشيخ: هذا الطفل الذي كان في زمان كذا، وكما تقول للإنسان الذي لا ولاية له: هذا أمير مكة، أي الذي كان فيها أميراً مرّةً من المِرَر.

(٣٦) قوله « حولي صريف بنابيه » دَلّ بهذا الكلام على أنّه عُرْفٌ قديم فشبَّه البازل من الإبل الذي يَصْرِفُ بِنابَيْهِ

(٣٧) [ق] « محدود الذريعة » أراد به دِعْبلاً الشاعرَ، وكان يحسد الطائيّ، « والمحدود »: المحروم.

(٣٩) يعني « بالوصيّ » ها هنا: مَن كان مذموماً من الأوصياء، فهو يظلم اليتيم ويمنعه من حقه، فاليتيم ينظر إليه نظرَ حاقدٍ مغتاظ. وفي الكلام حذف، لأنّ الأوصياء فيهم من يكون خيّراً، فيخلُفُ الأبَ في ولده، وربما زاد عليه في الشفقة والإحسان.

(٤٠) « يُوري بزَنْدي » أي يفعل كما أفعلُ ويكون نُجحه في الأمور كنُجْحي، « ويَفري فَرِيّي » أي يعمل عملي، وأصل الفَرِيّ: قطع الأديم والجِلْدِ، ثم أُستعير لغير ذلك.

(٤١) « العَنْقاء »: يعنى بها التي تقول فيها الناس عَنْقاء مُغْرِب، وهي شيء لا تُعرف حقيقته. يقول: هذا الأمرُ الذي يَرُومه الحاسدُ يتمُّ إذا العنقاء (التي لا تُعرف) صارت مُرَبَّبَةً في أيدي الناس، وصار للخَصيّ ولدٌ، وذلك ما لا يكون أبداً.

٤٣ ومَـــرْدُودٌ صَفَــاؤُهُـــمُ عليهِـــمْ ... كــمَــا رُدَّ الــنِّــكَــاحُ بِــلا وَلِــيٍّ

٤٤ وهُــمْ مــا دُمْتَ كَــوْكَبَهُــمْ وسَــارُوا ... بِــريــحِــكَ فــي غُــدُوٍّ أوْ عَــشِيٍّ

٤٥ فَحِيــنَئِــذٍ خَــلا بــالقَــوْسِ بَــارٍ ... وأفْــرغَــتِ الأداةُ عَــلى الــكَــمِــيِّ

٤٦ وإنَّ لَــهُــمْ لإحــسَــانــاً ولَــكِــنْ ... جَــرَى الــوَادِي فَــطَمَّ على القَــرِيِّ

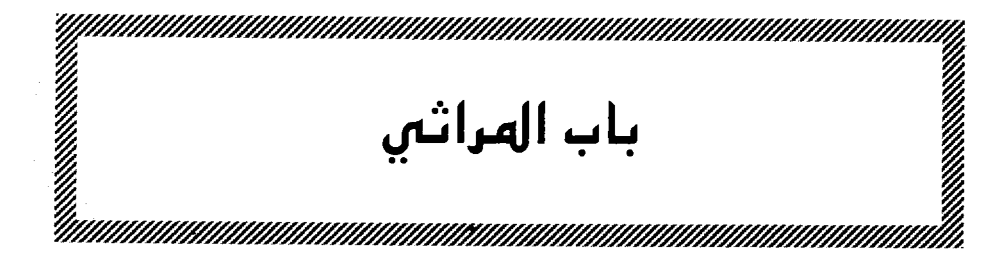
٤٧ وهَــلْ مَنْ جَــاءَ بعــدَ الفَتْحِ يَسْعَى ... كصَــاحِبِ هجــرَتَيْــنِ مــعَ النَّــبِيِّ؟!

---

(٤٥) [الكميّ: لابس السلاح].

(٤٦) « طَمَّ السَّيْلُ » إذا ارتفعَ، « والقَرِيّ »: مَسِيلٌ من الغلظ إلى السهل، وجمعه قُريان.

(٤٧) ويروى « وما من جاءَ » يعني « بالفتح »: فتحَ مكة، وكانت الفضيلة لمن هاجرَ قبلَ أن تُفتح، فلمّا ظهرَ الإسلام لم يكن لمن هاجرَ تلك الفضيلةُ الأولى. « والهجرتان »: تحتمل وجهين: أحدهما أن تكون هجرةَ الصحابةِ إلى الحبشة، لأنهم هاجروا مرّتين، فكانوا في الهجرة الأولَى أحَدَ عَشَرَ رَجلاً وفيهم عثمانُ بن مظعون.



باب المراثي



قافية الهمزة

وقال يَرثي خالد بن يزيد الشيباني [من المتقارب] :

١ نَـعَـاءِ إلـى كُـلِّ حَـيٍّ نَـعَـاءِ فَتَى الـعَـرَبِ احتَـلَّ رَبْـعَ الـفَنَـاءِ

(١) (ع): «فتَى» العَرَب اختطّ ربعَ «الفَنَاءِ». «نَعَاءِ» كلمة في معنى الأمر، وهي مبنيَّة على الكَسر، نَعَاءِ فُلاناً أي انعَوْه فقد هَلَك، قال الكُميت:

نَعَـاءِ جُـذامـاً غيـرَ مـوتٍ ولا قَتْـلِ ولكـنْ فِـراقـاً لِلـدّعـائـمِ والأصْـلِ

وأصل «النَّعْي» رفعُ الصوتِ بالشيء، يقال نَعَى فلانٌ على فلانٍ فِعْلاً قبيحاً إذا أظهرَه عليه، ومن ذَلك نَعِيُّ الميّتِ ونَعْيُه، وأكثرُ ما يقولون جاءَ نَعِيُّ الميِّتِ، قال النابغة:

فعَمَّـا قليـلٍ ثُـمّ جـاءَ نَعِيُّـهُ فبـاتَ نَـدِيُّ القَـوْمِ وهْـوَ يَنُـوحُ

وإذا قال القائلُ نَعاءِ جاز أن يكون أمَر نفسَه أو غَيرَه، وأن يكون الأمرُ لِغيره أوقعُ، لأنك إذا قلتَ حَذَارِ الأسدَ فإنما تُريد أن تُحذِّر غيرَك منه، ولا يَمنع أن يُحمل على أمر النفس وذلك قليل، وجاءَ في التنزيل و«لَنَحْمِلْ خَطَايَاكم»، ونحوٌ منه قولُ الشاعر:

لا أعْـرفَـنْ رَبْـربـاً حُـوراً مَـدَامِعُهـا كـأنَّهـنَّ نِعَـاجٌ حَـوْلَ دُوَّارِ

والهمزة في «نَعَاءِ» مُنقلِبةٌ عن ياء لأنَّه من نعيتُ، قال الشاعر:

إذا جـاوَزْتُمـا سَعَفـاتِ حَجْـرٍ وأوديـةَ اليَمَـامـةِ فـانعَيـانـي

والعامَّةُ يثبتون الياءَ في بيت الطائي كأنهم يعتقدون الإضافة وذلك رديءٌ جدًّا في القياس، لأنَّ قولكَ حَذَارِ وما جرى مجراها لا تُضاف إلاَّ أن تخرجَ عن بابها، لأنها واقعةٌ موقعَ الأمر إذْ كان المفعولُ يقع بعدها، قال الفرزدق: =

٢ أُصِبْنَا جَمِيعاً بِسَهْمِ النضَالِ فهَلاَّ أُصِبْنَا بِسَهْمِ الغِلاَءِ!!

= نَعَاءِ ابنَ لَيْلَى للسماحةِ والنَّدَى وأضيافِ لَيْلٍ مُقفَعِلِّي الأنامِلِ

« وابنَ ليلى » منصوب بـ « نعاءِ » ، وكذلك الهاءُ في قول الراجز :

★ مَنَاعِها من إبلٍ مَنَاعِهَا ★

ومعنى « نَعَاءِ » و« مَنَاعِ » و« حَذَارِ » انْعَ واحَذْر وامنَعْ ، فلا معنى للإضافة فيهن ، ولو كتبَ كاتبٌ « إضرِبْ » وكتب غيرُه مثلهَا فأردتَ أن تُخبر عن ذلك لَأبطلتَ المعنى الأول فقلتَ « إضرِبْك » خيرٌ من « إضرِبْه » ، فكذلك نَعاءِ وحَذَارِ ، إذا أُضِيفتا نُقلتا من بابهما إلى بابٍ آخر ؛ وإنما حملَ بعضَ الناسِ على أن يقولها بالياء إنَّ همزتَها قابلَتْ همزةَ « إلى » فاستقبلَتْها الهمزةُ المكسورةُ فثقلَتا على اللسان ، ففرَّ الناطقُ إلى الياءِ وغرَّه اللفظ بـ « نَعَاءِ » الثانية لأنَّ فيها ياء الوصل فجعل الأُولى مثلَها في اللفظ . وإذا رُويتْ على ما يقول هؤلاءِ فلا سبيل لها إلى العمل ، ولا تخلو على روايتهم من أحد وجهين : إمّا أن تكون مكتفيةً بقوله : « إلى كل حيٍّ » فيكون العاملُ في « إلى » فعلاً مضمراً كما يقول الرجلُ قلبي إليك ويسكت ثم يبتدىء « بنعاءِ » الثانية فينصِبُ بها « فَتَى العَرَبِ » ويكون « نَعَاءِ » قد لحقتها ياءُ الوصل كما لحقت « حَذارِ » في قول الراجز :

حَذارِ من أرماحِنا حَذارِ
أوْ تَتركوا منْ دُونَكمْ وَبارِ

وإمّا أن تكون « نَعاءِ » الثانية على مَذْهبهم مثل الأولى ويكون قوله : « فَتَى العَرَبِ » اِبتداءٌ وخبرُه « اختطَّ ربعَ الفناءِ » وتكون « نَعَاءِ » الثانية خبراً للمبدوءِ بها في أول البيت ، ويُحتمل على هذا الوجه أن يُنصب « فتَى العرب » بفعلٍ مُضمر كأنه قال انعَى فتى العرب ، ويكون قوله : « اختطَّ ربعَ الفناءِ » في موضع نصب على الحال إذْ كان جملةً ، ولا يمنعه من ذلك أنَّ أوّلَ الجملةِ فعلٌ ماض لأنَّ الجملةَ لا يُراعَى فيها الفعلُ بل يكون مثلَ قوله تعالى : [أو جاءُوكم حَصِرَتْ صُدُورهم» فقوله : « حَصِرتْ صُدُورهم] في موضع الحال على بعض الأقاويل ؛ ويجوز أن تكون الجملة التي أوّلها « اختطَّ ربعَ الفناءِ » خبرَ ابتداءٍ محذوفٍ كأنه قال هو اختطَّ ربعَ الفناءِ . يُقال اختطَّ الرجلُ المنزلَ والقريةَ إذا احتَجنَها لنفسه ، وأصلُ ذلك أن يخطَّ حولَها خطًّا لِيُعلمَ أنه قد حازَها دون غيره . و« الرَّبْع » المنزل ، ومَن روى « احتلَّ » فهو (افتعلَ) من حَلَّ بالمكان .

(٢) يُقال تناضل الرجلان ، وناضل أحدُهما الآخرَ إذا رماه ، والطائي ذهب في هذا البيتِ إلى أنَّ سهمَ النِّضالِ هو الذي يُرْمَى به العدوُّ الرَّامي ، وقد يُستعمل النِّضالُ في تَرامي الرجلين على معنى الحرب ، قال أبو حَيَّة النُّميريّ :

ألاَ رُبَّ يومٍ لو رَمَتْني رَمَيْتُها ولكنَّ عَهْدي بالنضالِ قديمُ ! =

٣ ألا أيُّهـــا المَـــوْتُ فَجَّعْتَنـــا بِـمَـاءِ الـحَـيَـاةِ ومَـاءِ الـحَـيَـاءِ
٤ فَـمـاذا حـضَـرْتَ بـهِ حـاضِـراً ومـاذا خَـبَـأْتَ لِأَهْـلِ الـخِـبَـاءِ!
٥ نَـعَـاءِ نَـعَـاءِ شَـقـيـقَ الـنَّـدَى إلـيـهِ نَـعِـيّـاً قَـلِـيـلَ الـجَـدَاءِ
٦ وكـانَـا جَمِيعـاً شـريكـيْ عِنـانٍ رَضِـيعـيْ لِـبَـانٍ خَـلِـيلَـيْ صَـفَـاءِ

= يريد أنها رمَته بطرْفٍ كأنَّها جرَحتْه. وقد يُستعمل «النِّضالُ» في معنى تَرامَى القومُ لينظروا أيُّهم أجودُ لا على معنى المحاربة، ومنه الحديث أنه مَرَّ بفتيانٍ يتناضلون فقال: «ارمُوا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رَامياً» فهذا يَدلّ على أنهم لم يكونوا في حرب. وتستعمل «المناضلة» في معنى المفاخرة كما قال الشاعر:

قـد نـاضلـوك فَسَلُّـوا مِـنْ كَنـائنهـم مجـداً تليـداً ونَبْلاً غيـرَ أنكـاسِ

«وسهم الغِلاء» هو من قولهم غاليتُ الرجلَ إذا رَمَى ورميتَ لتنظرَ أيّكما أبعدُ موقع سهمٍ في الأرض، يقال غَلاَ الرجلُ بسهمه غَلْوَةً إذا رمَى إلى غَرِض لينظرَ ما قَدْرُ بُعْدِ الرَّمْيَة، ويكون ذلك في السهم والحَجَر قال الشّماخ:

أَرِقـتُ لـهُ والصبـحُ فـي الشرق سـاطِـعٌ كمـا سَطَـعَ المِـرِّيـخُ شَمَّـرَه الغـالـي

ويروي «سَمّره» و«شَمَّرَه»، وقال الأفوَه:

كُــلُّ قَــوْدَاءَ كمِــرْدَاةِ الغِلا وطِمِــرٍّ ســابــحٍ فيــهِ اقْــورارْ

أراد مصدَر غاليت فقصَر. [ع] والمعنى: أنا أُصبنا من هذا الرجل بالخَطر الجليل الذي كنا نعِده لِدفْع الأعداء لأن السهم الذي يُرمَى به العدوُّ أعظمُ قَدْراً من الذي لا غرضَ له في رميه إلا أن يُعلم مِقدارُ ذهَابه في الأرض. [ص] يقول: أُصِبنا بأعلى سادتنا فهلاّ أُصبنا بمَن هو دونه.

(٣) [ص] أي كان يُعطِي بلا سؤال.

(٥) [ص] الهاء في «إليه» لِلندَى. [ع] وقوله: «شقيقَ الندى» لأنه شُقّ نسبُه منه فهو أخوه. و[فعِيل] هاهنا في معنى [مُفاعِل] كأنّه شقيق ومُشَاقّ، كما يقال جَلِيس ومُجالِس وقَعِيد ومُقاعِد.

«وقليل الجَداءِ» أي الغَناء، قال الشاعر:

لَقَــلَّ جَــدَاءٌ علــى مــالــكٍ إذا الحــربُ حَشّــوْ بــأجـَـذالِهــا

فأمّا «الجَدَا» مقصورٌ فهو في معنى العَطَاء والمَطر العام.

(٦) يُقال شارَكه شِرْكَ عِنان إذا شارَكَه في شيءٍ دونَ شيء، و«العِنان» ها هنا كأنه في معنى المُعانَّة، كأَنَّ كلَّ واحدٍ منهما عَنَّ له صاحبُه أي عَرضَ، كأنه مصدر عَانَ يُعَانُّ عِناناً، مثل ضار يُضَارُّ ضِرَاراً. فأمّا شركة المفاوضة فهي شركة في جميع الأشياء، قال الشاعر: =

٧ على خالِدِ بنِ يَزِيدَ بنِ مَزْ يَدِ امْرِ دُمُوعاً نَجيعاً بِمَاءِ
٨ ولا تَرِيَنَّ البُكَا سُبَّةً وأَلصِقْ جَوىً بِلَهِيبٍ رَوَاءِ

= وشاركنا قُريشاً في عُلاَها وفي أبنائها شِرْكَ العِنانِ
يُريد أن منهم نساءً وُلدنَ في قريش، وقال بعض الناس إنما يُراد بـ«شركِ العِنان» أنهم مثلهم في الشرف وإن كان أصلُه في المال، فأما شركة المفاوضة ففي التجارة. وإذا افتخر الشاعرُ فقال شاركناهم شِرْكَ العِنان فليس يُريد المشاركة في نوع من الشرف دون نوع ولكن في جميع ما يُذكر من السُّؤدد: وهو راجعٌ إلى معنى عَنَّ أي عَرَضَ. [ع] وقال قوم: شركة العِنان» أُخِذ من عِنان الدابة وهذا يَحسُن في معنى الافتخار، كأنَّه إذا قال شاركناهم شِرْكَ العِنان أراد إنَّا وإيّاهم فُرْسَانٌ نشترك في أعنَّةِ الخيل. و«الشريكان»... و«الرَّضيعان» و«الخليلان» في معنى المُشاركَيْن والمُرَاضِعيْن والمُخالَّيْن، وقوله: «رَضِيعَيْ لبانٍ» يُستعملِ في الإنس وكأنَّ «اللِّبان» مصدر لابَنَهُ يُلابنُه لِباناً إذا رَضَع مِن لَبَن أمِّه، وربما أُخرِجَ إلى غير الإنس على التوسُّع والمجاز كما قال الفرزدق:
وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغَدْرُ كنتما أُخيَّيْن كانا أُرضِعا بلبانِ
لمّا جعلَ الذئبَ امرءًا جازَ أن يُخبر عنه بما يُخبر به عن الإنس. و«الصفاء» من المودة ممدود و«الصفا» من الأرض مقصور.

(٧) (ع). «فامْرِ عَيْناً نَجيعاً بماءٍ»، (س) «فامرِ دمعاً نجيعاً». يقال مَرَيتُ اللبنَ وغيرَه إذا استخرجتَه من الضَّرْع، ومريتُ الناقةَ إذا مَسحتَ ضَرْعَها، وكذلك مَرَتِ الرِّيحُ السَّحابَ، ومَرَى الفارسُ الفرسَ إذا حرَّك رجلَه عليه ليستدِرَّ جَرْيَه، قال ساعدةُ بن جُوَيَّة:
يَمْرُونهنَّ إذا ما آنَسُوا فَزَعاً تحتَ السَّنَوَّر بالأعقابِ والجِذَمِ
ـ «الجِذَمُ» جمع جِذْمَة وهو السَّوْط، و«النجيع» الدَّم وقيلَ هو دَمُ الجَوْف خاصةً، قال الشاعر:
وتَخضَبُ لحيةً كَذَبَتْ وخانَتْ بأحمرَ من نَجيعِ الجَوْفِ آنِي
ـ «الآني» الحارُّ ـ وليس يريد أنه يَمْري نجيعاً ممزوجاً بماء ولكن الغرض: [ع] أمرِ نجيعاً بدلاً من الماء كما تقُول لِلرجل إذا طلبتَ منه ديناراً فلم يُعطِك أعطني درهماً بدينار أي بدلاً منه، وهذا كقول الشاعر:
فليتَ لنا مِن ماءِ زمزمَ شَرْبةً مُبَرَّدَةً باتَتْ على طَهَيانِ
أي بدلاً من ماء زمزم.

(٨) أصل «الجَوَى» ما خَلا من الحُزْن والحُبّ والمرض إلى باطن الجسم لإنَّ الجوَّ باطنُ الشيء. =

٩ فَقَدْ كَثَّرَ الرُّزْءُ قَدْرَ الدُّمُوعِ وَقَدْ عَظَّم الخَطْبُ شأْنَ البُكَاءِ
١٠ فبَاطِنُه مَلْجَأً لِلأَسَى وظَاهِرُهُ مِيسَمٌ لِلوَفَاءِ
١١ مَضَى المَلِكُ الوَائِليُّ الذي حَلَبْنا به العَيْشَ وُسْعَ الإِنَاءِ
١٢ فأودَى النَّدَى نَاضِرَ العُودِ والـ ـفُتُوَّةُ مَغْمُوسَةً في الفَتَاءِ
١٣ فأضحَتْ عليهِ العُلى خُشَّعاً وبَيْتُ السَّمَاحَةِ مُلْقَى الكِفَاءِ
١٤ وقَدْ كانَ مِمَّا يُضِيءُ السَّرِيرَ والبَهْوَ يَمْلاه بِالبَهَاءِ
١٥ المُلْكَ عَنْ خالدٍ والمُلُوكَ بِقَمْعِ العِدَى وَبِنَفْيِ العَدَاءِ

= و« رَوَاء » من قولهم ماء رَوَاء أي كثير مُرْوٍ. [ع] أي هذا اللهيب يَشفِيك بعد حين، أي يَرويك من الجَزَع، ويكون المعنى أنَّ البكاء يشفي كما قال ذو الرُّمّة:

لَعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً مِنَ الوَجْدِ أو يَشفي نَجيَّ البلابلِ

ويُحتمل في مذهب الطائي أن يكون معنى « الرَّوَاء » أنه يروي الخدَّ أو الأرضَ بالدمع، ولم تَجْرِ عادةُ اللهيب أن يأتي بالرِّيّ، فهذا غيرُ المعنى الأول.

(١٠) « مِيسَم » أي علامة، أي أنَّا إذا بكينا وأظهرنا الجَزعَ عُلِمَ أنَّا وافون.

(١١) [ص] أي كان عيشُنا به رغَداً تامَّ الطِّيب، أي جِئنا بإناءٍ فحلبنا مِلاءه أي مقدارَ ما يَسعَ.

(١٢) « الفَتَاء » حَدَاثة السِّن، قال الفَزَاريّ:

إذا عاشَ الفتى مائتين عاماً فقد ذَهَبَ اللَّذاذةُ والفَتَاءُ

(١٣) « خُشَّع » جمع خاشعة أي ذليلة قد ظهرَ بها الضعف، و« انكِفَاء » شُقَّة تكون في مُؤخَّر بيت البَدويّ، يقال أكفأْتُ البيتَ فهو مُكْفَأٌ إذا جعلتَ له كِفَاءً.

(١٤) [ع] قوله « مِمّا يُضيء السَّرير » أي ممّا يَفعل أن يُضِيءَ السَّرير و« ما » هاهنا مِثْلُها في قول التغلبيّ:

وإنَّا لَمِمَّا نَضرِبُ الكبشَ ضَرْبَةً على رأسِهِ تُلقِي اللسانَ مِنَ الفَمِ

و« البَهْو » الموضع الواسع، ويقال لكِناس الثور الوحشي بَهْو لأنه يُوسِّعه، وكذلك يقال لما بين الثَّدْيَيْنِ مِن الصدرِ بَهْو.

(١٥) « العَدَاء » الظُّلم، ويُسمّى الجَفاءُ عَدَاءً، ويقال بَرَكتِ الناقةُ على عَدَاءٍ أي على موضعٍ مُتجافٍ، قال الشاعر:

بَكَتْ إبلي وحُقَّ لها البُكَاءُ وطالَ بها المحَابِسُ والعَدَاءُ =

١٦ أَلَمْ يَكُ أَقْتَلَهُمْ لِلأُسُودِ صَبْرًا وأَوهَبَهُمْ لِلظِّبَاءِ؟!
١٧ أَلَمْ يَجْلِبِ الخَيلَ مِنْ بَابِلٍ شَوَازِبَ مِثْلَ قِدَاحِ السَّرَاءِ
١٨ فَمَدَّ على الثَّغْرِ إعصَارَهَا بِرَأْيِ حُسَامٍ ونَفْسٍ فَضَاءِ

= يُقال إنَّ «العَدَاءَ» ها هنا الظُّلْم لأنه أراد نَحْرها، وهم وإن كانوا يَروْن نحرَ الإبلِ كَرَماً فإنهم يعلمون أنه ظُلْم، قال ابن مُقْبل:

عاذَ الأذِلَّةُ في دَارٍ وكانَ بها خُرْسُ الشَّقاشقِ ظلاَّمُونَ لِلجُزُرِ

فأمّا قول زهير:

فصَرَّمْ حَبْلَها إذْ صَرَّمَتْه وعادَكَ أنْ تُلاقِيهَا العَدَاءُ

فيقال إنه أراد بـ «العَدَاء» البُعْد.

(١٦) [ع] أراد «بالأُسُود» ها هنا الأَبطالَ مَن الرجال الذين يُشبَّهون بالأُسود، كما قال النابغة:

نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابوسَ أوعَدَني ولا قَرارَ على زَأْرٍ مِنَ الأسدِ

أي أنَّ أبا قابوس مثلُ الأسد ووعيدَه مثلُ زأره. وقوله «صَبْراً» أي يُصابرهم في الحرب حتى يقتلَهم، وليس هو من قولهم قُتِل فلانٌ صَبْراً إذا قُدِّمَ فضُربت عُنقُه في غير الحرب ★ كما رُوي أنَّ النبي ﷺ قتلَ النَّضرَ بنَ الحارث وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط صَبْراً، كأنَّه صَبَّرهما على القَتْل أي حَبَسهما عليه. و«أوهبَهم لِلظباء» أي للقِيان اللّائي يُشبَّهن بالظِّباء ثم يُحذَف التشبيه فتُجعل المرأةُ ظبيةً، كما قال الشّماخ:

دَارُ الفتاةِ التي كنَّا نَقولُ لها يا ظبيةً عُطُلاً حُسَّانةَ الجِيدِ

وأدخَل اللامَ على «الظِّباء» لأن [أفْعَل] إذا أُريد به معنى التفضيل ناسب [أفْعَل] الذي للتعجب فلم يَعمل إلاَّ بحرف الخفض، فتقول هذا أوهبُ الناس للدراهم، فإنْ حذفتَ اللاَّمَ نصبتَ «الدراهمَ» بفعلٍ مُضمر يَدلُّ عليه أوْهَبُ كأنه يَهَب الدراهمَ أو نحو ذلك، ومنه قول الشاعر:

فلم أرَ مثلَ الحيِّ حَيًّا مُصَبَّحاً ولا مِثْلَنا لمّا التقينا فوارسا
أكَرَّ وأحمَى للحقيقةِ منهمُ وأضربَ مِنَّا في اللِّقاءِ القَوانِسَا

(١٧) «شَوَازِب» ضَوَامر، و«الشَّواسِب» بالسين أشدُّ ضُمْراً من الشَّوازب ثم «الشَّواسِف» أشدُّ منهما. و«السَّراء» شجر تُعمل منهُ القِسِيُّ والقِدَاح، وتُشبَّه الناقة الضامرة والأُتان من الوحش بقوس السَّرَاء، قال زهير:

ثَلاثٌ كأقواسِ السَّرَاءِ ومِسْحَلٌ قد اخضَرَّ مِنْ لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُهْ

(١٨) في النسخ «أعضادَها» وليس بجيّد. (ع): «الإعصار» غُبارٌ ترفعه ريحٌ شديدة، ومن أمثالهم: «إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصارا»، وجمع الإعصار أعاصير: قال الشاعر: =

١٩ فَلَمَّا تَراءَتْ عَفَارِيتُهُ ... سَنَا كَوْكَبٍ جَاهِلِيِّ السَّنَاءِ
٢٠ وَقَدْ سَدَّ مَنْدُوحَةَ القَاصِعَاءِ ... مِنهُمْ وَأَمْسَكَ بِالنَّافِقَاءِ
٢١ طَوَى أَمْرَهُمْ عَنْوَةً فِي يَدَيْهِ ... طَيَّ السِّجِلِّ وَطَيَّ الرِّدَاءِ

= كأنَّهمْ قَصَبٌ جُفَّتْ أسافِلُه ... مُجوَّفٌ نفخَتْ فيه الأعاصيرُ

وقوله « برأيٍ حُسَامٍ » أي مِثل الحُسَام فهو داخلٌ في المستعار والتشبيه المحذوف الآلة، وكذلك قوله: « ونفس فَضَاءِ » يُريد أنها واسعة، أخذَه من قولهم أرضٌ فَضاء، وما يُعلم أنَّ أحداً قبل الطائي قال نَفْس فَضَاء، وكان هذا الفنُّ من الكلام غرضَه ودأبه.

(١٩) [ص] الهاء في « عفاريته » للثغر ★، « عفاريت » جمع عِفْريت وهو الخبيث المُنكر. وأصله أن يُستعمل في الجِنّ ثم نُقِل إلى الإنس، والتاء فيه زائدة كأنَّه مأخوذ من الرجل العِفْر وهو القويّ الشديد، وربما عبَّروا عن « العِفْر » بالشجاع، يريدون أنه يُعَفِّر قِرْنَه أي يُلقيه في العَفَر وهو التُّراب، يُقال عِفْريت وعِفْرِيَةٌ وعُفارِيةٌ، قال ذو الرُّمة:

كأنَّه كوكبٌ في إثرِ عِفْرِيَةٍ ... مُسَوَّمٌ في سَوادِ الليل مُنْتَصِبُ

وقال جرير:

قَرنتُ الظالمينَ بِمَرْمَريسٍ ... يَذِلُّ بها العُفَارِيَةُ المَرِيدُ

و« السَّنا » مقصور ضوءُ البرق والنارِ ونَحوهما، ويروي بعضُهم سَنا البارِقُ يَسنو، قال ذلك على أنه من ذَوَات الواو، « والسَّناء » الشرف ممدود. وأراد بـ« الكوكب » الممدوح، وقوله « جاهليّ السَّناء » أي هو قديم الشرف وليس هو بمُحدَث في الإسلام.

(٢٠) « المَنْدوحة » المُتَّسع، يقال لك في هذا مَنْدوحة ومُنْتَدح، وجمع مندوحة مَنادح ومَناديح، ومناديح أقيسُ، والوجه الآخر جيِّد. و« القاصِعَاء » و« النَّافِقاء » من جُحر اليَربوع، يُقال قَصَّعَ ونَفَّقَ إذا اتخذَ القاصِعَاءَ والنَّافِقاءَ، قال الشاعر:

وإنِّي لَأصطادُ اليَرابيعَ كلَّها ... شُفاريَّها والتَّدْمُريَّ المُقَصَّعَا

و« الشُّفاريّ » الكثير الشَّعَر و« التدمريّ » الصغير، ويقال تَنفَّقَه الرجلُ إذا أخرجَه مِن نافقائه، قال الشاعر:

إذا الشيطانُ قَصَّعَ في قَفاها ... تَنفَّقناهُ بالحبلِ التُّؤَامِ

(٢١) [ع] « طَوَى » في أول البيت متصل بـ« لمّا تَراءَتْ » لأن « لَمّا » تفتقر إلى فعْلين. « وعَنْوَةً » إن شئتَ من الظُّهور أي طَوَى أمرَهم طيًّا ظاهراً، وإن شئتَ كان مِن عَنَوْا له أي ذَلُّوا، ويقالُ طَوَاه طيَّ السِّجل وطيَّ الرِّداء. =

٢٢ أَقَرُّوا ـ لَعَمْرِي ـ بِحُكْمِ السُّيُوفِ ... وكَانَتْ أَحَقَّ بِفَضْلِ القَضَاءِ
٢٣ وما بالولايَةِ إقْرَارُهُمْ ... ولكِنْ أَقَرُّوا لَهُ بالوَلاَءِ
٢٤ أُصِبْنَا بِكَنْزِ الغِنَى والإمَامُ ... أمسَى مُصاباً بِكَنْزِ الغَنَاءِ
٢٥ وما إنْ أُصِيبَ بِرَاعِي الرَّعِيَّةِ ... لَا بَلْ أُصيبَ بِرَاعِي الرِّعَاءِ
٢٦ يَقُولُ النِّطَاسِيُّ إذْ غُيِّبَتْ ... عنِ الدَّاءِ حيلَتُه والدَّوَاءِ
٢٧ نُبُوٌّ المَقيلِ بِهِ والمَبيتِ ... أَقَعْصَهُ واختِلَافُ الهَوَاءِ
٢٨ وقَدْ كانَ لَوْ رُدَّ غَرْبُ الحِمَامِ ... شَدِيدَ تَوَقٍّ طَوِيلَ احتِمَاءِ
٢٩ مُعَرَّسُهُ في ظِلال السُّيُوفِ ... وَمَشْرَبُه مِنْ نَجِيعِ الدِّمَاءِ

---

(٢٣) [ص] يقول ليس لأنه وَلِيَهم أقرُّوا له ولكن صاروا مواليَه أبداً لما رأوْه مِن حَزْمه وشرفه.

(٢٥) «رِعاء» جمع رَعِيّ وهو الذي يُحسِن أن يرعَى مثل مَلِيٍّ ومِلاء.

(٢٦) يقال رجلٌ نَطِسَ ونَطِيس، قال الشاعر:

إذا قَاسَها الآسِي النِّطَاسِيُّ أُرعِشَتْ ... أنامِلُ آسِيها وجاشَتْ هُزومُها

(٢٧) «نُبُوّ» من نَبا الجَنْبُ عن الفِراشِ، وليس هو ممّا يُهمز إلاَّ أنْ يُتأوّل له تأويلٌ بعيد. و«المَقِيل» الموضع الذي يَقِيل فيه الإنسان أي ينام في وقت الهاجرة، وسُمِّي ما شُرِبَ في ذلك الوقت قَيْلاً، وكان أصل «القَيْل» الإقامة في الموضع ثم خُصّ به شيء دون شيء، ألا ترى إلى قول الراجز:

ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيله
ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلِهِ

و«مَقِيل الهامة» هو الموضع الذي يكون فيه ما عاش الإنسان ولا يُخَصُّ بذلك وقتٌ دون وقت. و«الإقعاص» القَتْل الوَحِيُّ، يُقال طَعَنَه فأَقعصَه أي قَتَله مكانَه. و«الهواء المكان الخالي، والناس يعبّرون به عن النَّسيم والرِّيح والحرّ والبرد، وإنما يُعنى به الأشياء التي تحدث في الهواء أي ما بين السماء والأرض، وذلك شائع في كثير من الكلام، يُسمّى الشيء باسم ما ضَمّنَه وقَرُبَ منه.

(٢٨) «غَرْب الحِمَام» حَدُّه. (س): «كثيرَ تَوَقٍّ». [ص] «شديد تَوَقٍّ» يريد مِن العَار والنَّار، «طويل احتماء» من الذُّنوب والمقابح.

(٢٩) [ع] «نجيع الدِّماء» يحتمل وجهين: أحدهما أنَ يُدَّعى له أنَّ قَتْل أعدائه يُغنيه عن شُرْب الماء لأنه يشفي صدره به كما قال التغلبيّ:

شربنا مِن دماء بني سُلَيمٍ ... بأطرافِ القَنَا حتّى رَوِينا =

٣٠ ذُرَى المِنْبَرِ الصَّعْبِ مِنْ فُرْشِهِ ونارُ الوَغا نارُه لِلصِّلاءِ
٣١ ومَا مِن لَبُوسٍ سِوَى السَّابِغَاتِ تَرقْرَقُ مِثْلَ مُتُونِ الإضَاءِ
٣٢ فَهلْ كانَ مُذْ كانَ حتَّى مَضَى حَمِيداً لَهُ غيرُ هذا الغِذَاءِ؟

= والوجه الآخر وهو أجود أن يكون «النَّجيع» هاهنا مِن قولك ماءٌ ناجع ونَجِيع إذا كان يَصلُحُ عليه بَدَنُ الشارب، ويَحسنُ هذا الوجه لأنَّ القصيدة قد مَرَّ في أوّلها «النجيع» في معنى الدَّم فتكون هذه الكلمة مخالفةً لتلك.

(٣٠) أصل «الوَغا» الصوت، وسُمِّيتِ الحربُ به لأجل الصوت، قال الراجز:

إضمامَةٌ مِنْ جُلِّها الثلاثينْ
لها وَغاً مثلُ وغَا الثمانينْ

- يُريد «بالإضمامة» جماعةَ الإبل - «ونار الصِّلاء» التي يَصطلي بها المقرورُ ليدفع بها البرد. [ع] والمعنى أنَّ نار الحرب عنده مُقرَّبَة مُؤثَرة لا كُلْفةَ فيها وإنما هي نَفْع له كما أنَّ النَّارَ يَنتفعُ بها المقرورُ ★. وإذا فتحتَ الصادَ من «الصِّلاء» قُصِرَ كما قال الفرزدق:

وقاتلَ كلبُ الحيِّ عن نارِ أهلهِ ليَربِضَ فيها والصَّلا مُتَكَنَّفُ

(٣١) أصل «اللَّبُوس» اللِّباس، واللَّبُوس واللِّبْس واحد إلاَّ أنهم كثرَ استعمالُهم اللَّبُوس في الدُّروع، وفي الكتاب الكريم «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لكم» يعني ما يُتَّخذ من الزَّرْد، وقد يجوز أن يُسمّى كلُّ ما يُلبس لَبُوساً، قال:

إلبَسْ لكلِ عِيشةٍ لَبُوسَها إمَّا نَعِيمَها وإمّا بُوسَها

و«السَّابغات» الدُّروع التي تُسبَغ على اللابس تطولُ وتَعُمُّ الجسدَ، وجعلها تَرقرقُ كما يَترقرقُ الماءُ، لأنَّ الدِّرع تُشبَّه بالغدير والنِّهْي والأضاه، وكلُّ ذلك بمعنى واحد، يقال للغدير أضاةٌ في وزن قَناة والجمع أضاً مثل قَناً ويقولون آضاة فيمدّون يجعلونه مثل أكَمَةٍ وآكام، وحكى سيبويه في واحد الأضاه إضاء وقولُ العرب ما تَقدّم، ويقولون في صِفة الدِّرْعُ عليه دِرْع إضاه أي مثل الإضاه، وذلك على حذف التشبيه، قال النابغة:

★ فهنَّ إضاءٌ صَافِياتُ المَنَاهِلِ ★

و«المَتْن» إذا كان في بني آدم فهو أسفلُ الظهر، وإذا استعاره في الغدير ونحوه فإنما يُراد به ما ظهر منه للعين، وقد يمكن أن يقال يُراد به آخر الغدير كما أنَّ المَتْنَ آخر الظهر، قال الشاعر في صفة الدِّرْع:

كمتنِ الغَدِيرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ المُدَجَّجُ مِنها فُضُولا

(٣٢) [ص] يقول: لم يكن قطّ إلا وهذا فِعْلُه.

٣٣ أذُهْلَ بنَ شَيْبَانَ ذُهْلَ الفَخَارِ وذُهْلَ النَّوَالِ وذُهْلَ العَلاءِ
٣٤ مَضَى خالِدُ بنُ يَزيدَ بنْ مَزْ يَدَ قَمَرُ اللَّيلِ شَمْسُ الضَّحاءِ
٣٥ وخَلَّى مَسَاعِيَهُ بَيْنكُمْ فإيَّايَ فيها وَسَعْيَ البِطَاءِ

---

(٣٣) أراد أنَّ ذُهل بن شَيْبَان لهم مَفَاخر ونَوال وعَلاء، وأضافهم إلى هذه الأشياءَ كما يُقال حاتمُ الجُودِ لأنه معروف به وزيدُ الفَوَارس لأنه يُمارِسُها ويَكْثُر لِقاؤُه إيّاها، و«الفِخار» مصدر فاخرتُ وهو أكثرُ من الفتح وقد رُوِي الوجهان جميعاً. [ع] واشتقاق «ذُهْل» يجوز أن يكون من ذَهَل عن الشيء، ويجوز أن يكون من قولهم مَضَى ذُهْلٌ من الليل أي ساعة ★، و«شَيْبان» فَعْلان من الشَّيْب، ويجوز أن يكون الرجل سُمِّي شَيْبان باسم شَهْرٍ لأنهم يقولون لِشَهْرَيّ البَرْد شَيْبَان ومَلْحَان.

(٣٤) يُقال «الضَّحَى» لأوّل النهارِ ثم «الضَّحاء»، بعد ذلك، ويُقال إنَّ الضَّحاءَ وقتُ الغَداء، ويُسمّى غَداءُ الإبلِ ضَحَاءً، ومنه قول الجَعْديّ:

أعجلَها أقْدُحِي الضَّحاءَ ضُحًى وَهْيَ تُنَاصِي ذَوَائِبَ السَّلَمِ

ويقال ضَحَّى الرجلُ إذا غَدَّى إبله، قال الشاعر:

ما زلتُ مُذْ أشهَرَ السُّفَّارُ أرقبُهم مثلَ انتظارِ المُضحِّي راعيَ الغَنَمِ

وقالوا في المثل ضَحِّ رويداً إذا أمروا الرجلَ بالرِّفق والأناة ويزعمون أنه من ضَحَاء الإبل، ويُنشد لزيد الخيل:

ولو أنَّ نَصْراً أصلَحتْ ذَاتَ بينها لَضحَّتْ رُويداً عن مَظالمها عَمْرُو

(٣٥) «المَسَاعي» جمع مسعاة وهي المكرمَةُ التي تُنال بالسَّعْي والدَّأب، وأصلُ ذلك أنَّ القائم بأمُور القوم إذا نزلَ بهم خَطْبٌ سَعَى فيه أي سارَ ومَشى إنْ كان من حربٍ أو حَمْلِ دِيَة أو نحو ذلك، قال زهير:

سَعَى سَاعِيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعدما تبزَّلَ ما بينَ العَشِيرة بالدَّمِ

يعني بـ«السّاعيين» سِنانَ بن أبي حارثة والحارث بن عوف بن أبي حارثَة، لأنهما كانا سَعيا في صلاح ما بين عَبْس وذُبيان وأخْذِ دياتِ القَتْلى. [ع] والمعنى: أنَّ هذا المفقود تَرَكَ بينكم مَساعِيَه فاحذروا من الإبطاء في السعي، وافعلوا كما كان يفعل من التَّسرع إلى المكارم والنهوضِ بالأثقال، وجعَل الأمرَ في الظاهر لنفسه والمُرادُ المخاطب كما قال الحجّاج في بعض كلامه: إيَّايَ وهذه الزُّرافات، أي إيّايَ وهذه الجماعات، والمُراد إيّاكم يا سامعون وهذه الأشياء، ويرى الرجلُ ولدَه يلعب فيقول إيّايَ واللعبَ أي لا تلعبْ يا غلامُ، وإنما حَسُنَ أن يَجعل المتكلمُ ذلك لنفسه إذ كان يُريدُ إعلامَ السامع بأنه مُهتَمٌّ بأمرِهِ يُؤْثر له المصلحةَ والأفعالَ الحميدة.

٣٦	رِدُوا المَـوْتَ مُـرّاً ورُودَ الـرِّجـالِ	وبَكُّـوا عليـهِ بُكـاءَ النِّسـاءِ
٣٧	غَـلـيـلي عـلى خـالـدٍ خـالـدٌ	وضَيْفُ هُـمُـومي طَـوِيـلُ الثَّـوَاءِ
٣٨	فـلَمْ يُـخْـزِنـي الـصَّـبْـرُ عـنـه ولا	تَـقَـنَّـعـتُ عـاراً بِـلُؤمِ الـعَـزَاءِ
٣٩	تَـذكَّـرْتُ خُـضْـرَةَ ذَاكَ الـزَّمَـانِ	لَـدَيْـهِ وعُـمْـرَانَ ذَاكَ الـفِـنَـاءِ
٤٠	وزُوَّارُه لِـلـعَـطَـايَـا حُـضُـورٌ	كـأَنَّ حضُـورَهُـمُ للعطَـاءِ
٤١	وإِذْ عِـلْـمُ مَـجْـلِـسِـهِ مَـوْرِدٌ	زُلالٌ لِـتـلكَ الـعُـقُـولِ الـظِّمَـاءِ
٤٢	تَـحُـولُ الـسَّـكِـيـنَـةُ دُونَ الأذَى	بـهِ والـمُـرُوَّةُ دُونَ الـمِـرَاءِ

(٣٧) يُستعمل «الغَلِيلُ» في العَطَش والشوقِ والحزن والحِقْد. و«الثَّوَاء» الإقامة.

(٤٠) [ع] المعاني تَحدُث في الأسماء لأغراضٍ تقع لم تكن قديمة، وأصلُ «العَطايا» والعَطاء واحد، وإنما يختلفان في أنَّ هذا جمع عَطِيّة وهذا لفظُه لفظُ الآحاد؛ وكانوا في صَدْر الإسلام يقولون حَضرَ الجُندُ لِلعَطاء إذا حضروا لأخذِ أرزاقهم الواجبةِ لهم في كلّ سنة، وإنما يأخذونها لأنهم يُستخدَمون في الحُروب والخُروج في البُعوث، فكأنّ الشعرَ جعل اجتماعَ هؤلاء الزُّوّار لِأخذهم عَطايا ليست لهم واجبةً كاجتماع الأجناد لأخذهم ما هو مُفتَرضٌ لهم واجب، فإن قِيل إنَّ المُرادَ أنهم اجتمعوا لِيُعطَوْا فيكون الآخذون كأنّهم اجتمعُوا ليكونوا المعْطِينَ فالغرضُ صحيحٌ ولكن اللفظ غيرُ دالٍ عليه إذْ كان بَيانُ الخبر غيرَ معلوم، ولم تجرِ عادةُ المُعْطِين بأن يجتمعوا، بل يكون المعْطِي واحداً وهو الرئيسُ المُعتَمد، والمُعطوْنَ كثيراً.

(٤٢) «المُروَّة» أصلها الهمز، وقد حُكِيتْ المَرَاة، تقول: في فلان مُروّة ومَرَاة كما تقول فيه إنسانية، واشتقاقها من قولك هذا امرؤ وقد عُلِم أنَّ كلَّ آدميّ فيه إنسانيةٌ وكلَّ امرىء فيه مُروءَة، لأنك إذا قلت إنسان فالإنسانية منعقدةٌ بهذا اللفظ. كما أنَّ القيام مُنعقِدٌ بالقائم، ولكن هذه اللفظة خرجت على التخصيص، وهذا كقولهم كان ذلك والناسُ ناس والبلادُ بلاد أي والناسُ صالحون والبلاد بلادٌ مُخصِبة، ومن ذلك قول الهُذليّ:

لَعَمْرِ أبي الطَّيْرِ المُرِبّةِ بالضُّحَى ... على خالدٍ أنْ قد وقَعْنَ على لَحْم

أي قد وَقعنَ على رجلٍ له خَطَرٌ وقَدْر، وإنما جاءَ هذا على حذف الصِّفَة لعلم المُخاطَبِ بما يُرَاد. ورأى يهوديٌّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يشتري جهازَ العَروس فقال له: بمن تزوجتَ؟ فقال له: بفاطمة بنت محمد ﷺ، فقال اليهوديّ، لقد تزوجتَ بامرأة! أي بامرأةٍ لها شأن. ومنه قولُ الأنصاري:

ألَمَّ خيالُ ليْلى أمِّ عمرو ... ولم يُلمِمْ بنا إلاّ لِأمْرِ =

٤٣ وإذْ هُوَ مُطْلِقُ كَبْلِ المَصِيفِ وإذْ هُوَ مِفْتاحُ قَيْدِ الشِّتاءِ
٤٤ لَقَدْ كانَ حَظِّي غيرَ الخَسِيسِ مِنْ رَاحَتَيْهِ وغَيْرَ اللَّفَاءِ
٤٥ وكنتُ أَرَاهُ بِعَيْنِ الرَّئيس وكانَ يَراني بِعَيْنِ الإخَاءِ
٤٦ أَلَهْفِي على خالد لَهْفَةً تَكونُ أمامي وأُخْرَى ورائي
٤٧ أَلَهْفِي إذا ما رَدَى لِلرَّدَى أَلَهْفِي إذا ما احتَبَى للحِبَاءِ

= وقد عُلِم أنّ جميع الحَوادث لا تقع إلاّ لأمرٍ من الأمور، وإنما المراد لم يُلمِمْ بنا إلاّ لأمرٍ عظيم. و« المِرَاء » من قولهم ما ريتُ الرجلَ، وأصلُ « المَرْي » استخراجُ شيءٍ من شيءٍ، وقولُهم مارَى الرجلُ صاحبَه يُراد أنه يستخرج ما عنده من خِلاف، ومَن قال إنَّ « المَرْي » الجَحْدُ فإلى هذا يرجع.

(٤٣) [ع] « كَبْل المَصِيف » أي قَيْدُه، مستعار وكذلك قوله: « مفتاح قفل الشتاء » وإنما يريدون أنَّ المَصِيف يتصرّف الناسُ فيه فكأنَّ هذا المرثيّ يُطلقهم من الكُبُول ليسعَوْا في المعاش وفيما يريدون، ويَفتح قُفْلَ الشتاء لأنه عَسِرٌ ضيِّق فيكشفُه عنهم بالعَطاء والإحسان.

(٤٤) يريد غير القليل ولا الناقص، يقولون رَضيَ من الوفاء باللَّفاء.
أي من أخْذ الحقِّ الكامل المُوفَّى بما هو دونه، قال أبو زُبَيْد:

فما أنا بالضعيفِ فتظلموني ولا حَقِّي اللَّفَاءُ ولا الخَسِيسُ

(٤٧) « رَدَى » جَمَزَ إلى القِرْن في الحرب. (ع): « إذا ما ارتدى » ارتَدى [افتعَل] من الرِّداء وهو السَّيف في هذا الموضع، وفي كلام لبعضهم: العربُ أفضلُ الناس، العمائم تِيجانُها، والسُّيوفُ أرديَتُها، والحُبي حيطانُها وقد تَردَّدَ في الشعر القديم ذِكْرُ الرِّداء في معنى السيف، قال الشاعر:

يُنازعني رِدائي عَبْدُ شمسٍ رُوَيْدَكَ يا أخا سَعْدِ بنِ بَكْرِ
لِيَ الشَّطرُ الذي مَلَكتْ يَميني ودُونَكَ فاعتَجِرْ مِنْهُ بشَطْرِ

وقال آخر:

وَداهِيَةٍ جَرَّها جارِمٌ جَعلتَ رِدَاءَكَ فيها خِمارا

أي جعلتَ سيفكَ خِماراً لِقرْنكِ لمَّا ضربتَه به. والمعنى: ألهفي على هذا الهالك في وقت الحرب لِردَى الأعداء أي هلاكِهم. و« الاحتباء » أن يجلسَ الرجلُ ويجعلَ إزارَه خلفَ ظهره ويَشدُّ طَرفَيْه أمامَ الرُّكبتين، وربما قيل احتبَى بيديه إذ جعلهما في موضع عَقْدِ الحُبْوة، وكانوا يصفون القومَ بالحِلْم إذا عقدوا الحُبَى، ويقال حَلَّ القومُ حُباهم إذا قاموا من المجلس لأمرٍ يقَع، قال الشاعر:

وإذا الخَنَا نَقَضَ الحُبَى في مجلسٍ ورأيتَ أهلَ الطيشِ قاموا فاقْعُدِ =

٤٨ أَلَحْدٌ حَوَى حَيَّةَ المُلْحِدينَ ولَدْنُ ثَرى حَالَ دُونَ الثَّرَاءِ؟!
٤٩ جَزَتْ مَلِكاً فيهِ رَيَّا الجَنُوبِ ورائحةُ المُزْنِ خَيْرَ الجَزَاءِ
٥٠ فكَمْ غَيَّبَ التُّرْبُ مِنْ سُؤْدَد وغَالَ البِلَى مِنْ جَمِيلِ البَلاَءِ!

= وقال بعضُهم للأحنف وقد رآه يُقاتل في بعض الأيام: أين الحِلْمُ يا أبا بَحْرٍ؟ فقال: عند الحُبَى! أي للحلم مَوْطن وللجهلِ سواه. و«الحِبَاء» العَطاء.

(٤٨) يقال «لَحَدُ القَبْرِ» ولُحْدُه للذي يُحفَر في جانبه، وإنما قيل له ذلك، لأنه يُمَالُ عن الوسط. ويقال لحَدَ، وألحَدَ، ويقال للقبرِ مُلْحَد ومَلْحُود، قال الشاعر:

يا ويحَ أصحابِ النبيِّ ورَهْطِه بعد المُغَيَّبِ في سَوَاءِ المُلْحَدِ

ويُروى لرجلٍ يرثى هاشمَ بن عبد مناف، وكان أخاه لأُمِّه:

إنَّ أخي هاشماً كانَ أخا واحدِ
واللهِ ما هاشِمٌ بالناقصِ الكاسدِ
والخيرُ في ثَوْبِه وحُفْرَةِ اللاّحِد

ويقال لمن خالَفَ في الدِّين وجَحدَ مُلْحِدٌ لأنه يَميل عن الحق، وقال ذُو الرُّمة يَصِف حميرَ الوحش وغُؤورَ عُيونِها:

إذا استوجَستْ آذانُها استأنَستْ لها أناسِيُّ مَلْحُودٌ لها في الحَواجِبِ

[ع] ولم يزالوا في القديم يُشبِّهون الرئيسَ بحيّة الوادي وحيّةِ الجبل والحيّةِ الذَّكَر، وقولُه: «حَيَّةُ المُلْحدِين» أي يهلكهم كما تُهلك الحيّةُ مَن لدغَتْه ★ قال الشاعر:

إذا رأيتَ بِوَادٍ حَيَّةً ذَكَراً فاذهَبْ ودَعْني أُمارِسْ حَيَّةَ الوادي

وقال جرير:

فما تَزدَري مِنْ حَيَّةٍ جَبَلَيَّةٍ سُكَاتٍ إذا ما عَضَّ ليسَ بأَدْرَدا

و«اللَّدْن» اللَّيِّن، و«الثَّرَى» التراب النَّديّ، و«الثَّراء» كثرة المال. وفي النسخ «ألحدٌ حَوَى جُنَّةَ المُلْحدِين»، [ص] معناه تَعجُّبٌ يقول: أيحوي اللحدُ مَن هو جُنَّةٌ لمن ألحدَه أي اتخذَ له لحداً؟! يقول: هو جُنَّتَنا ونحن اتخذنا له لحداً! والصواب هو الرواية الأولى.

(٤٩) «رَيّا الجَنُوب» أي رائحتُه الطَّيِّبة، وقيل إنَّ الجنوب سُمِّيت بذلك لأنها تأتي من نحو جَنْب الكعبة وذلك من قِبْلة الشآم لأنَّ الشمال ضدها وهي تأتي من خلف المُصلِّي في هذه البلاد، و«رائحة المُزْن» ما راحَ منها، و«المُزْن» جمع مُزْنَة وهي السَّحابة، وقال قوم هي السَّحابة البيضاء خاصةً، ويقال في الجمع مُزْنَة ومُزْن، كما يُقال بُرَّة وبُرّ، ويقال مُزْنَة ومُزَن كما يقال ظُلْمةٌ وظُلَم.

(٥٠) «غاله» إذا أهلكه، و«البِلَى» من بَلَى الجسمُ إذا تَصرّفتْ وافترقَتْ أجزاؤُه. [ع] «والبلاءُ» =

٥١ أَبَا جَعْفَرٍ لِيُعِرْكَ الزَّمَانُ عِزّاً وَيُكْسِبْكَ طُولَ البَقَاءِ
٥٢ فَمَا مُزْنُكَ المُرْتَجَى بِالجَهَامِ وَلا رِيحُنَا مِنْكَ بِالجِرْبِيَاءِ
٥٣ وَلا رَجَعَتْ فِيكَ تِلْكَ الظُّنُونُ حَيَارَى وَلا انْسَدَّ شِعْبُ الرَّجَاءِ
٥٤ وَقَدْ نُكِسَ الثَّغْرُ فَابْعَثْ لَهُ صُدُورَ القَنَا فِي ابْتِغَاءِ الشِّفَاءِ
٥٥ فَقَدْ فَاتَ جَدُّكَ جَدَّ المُلُوكِ وَعُمْرُ أَبِيكَ حَدِيثُ الضِّيَاءِ
٥٦ وَلَمْ يَرْضَ قَبْضَتَهُ لِلْحُسَامِ وَلا حَمْلَ عَاتِقِهِ لِلرِّدَاءِ
٥٧ فَمَا زَالَ يَفْرَعُ تِلْكَ العُلَى مَعَ النَّجْمِ مُرْتَدِياً بِالعَمَاءِ
٥٨ وَيَصْعَدُ حَتَّى لَظَنَّ الجَهُولُ أَنَّ لَهُ مَنْزِلاً فِي السَّمَاءِ
٥٩ وَقَدْ جَاءَنَا أَنَّ تِلْكَ الحُرُوبَ إِذَا حُدِيَتْ فَالتَّوَتْ بِالحُدَاءِ
٦٠ وَعَاوَدَهَا جَرَبٌ لَمْ يَزَلْ يُعَاوِدُ أَسْعَافَهَا بِالهَنَاءِ

= يُستعمل في الفعل الحسَن وفي القبيح، وفي الاختبار.

(٥١) و(٥٢) يخاطب محمد بن خالد بن يزيد. «الجَهَام» السَّحابُ الذي قد أراق ماءه، و«الجِرْبياء» الريح الشَّمال، وإذا هَبَّت في الشتاء وُصفت بالبَرْد وليست بالمحمُودة عندهم، وإنما الحمدُ للجنوب والصَّبا، وإنما يذكرون الشمال في الشِّدّة والحاجة إلى الطعام والقِرَا.

(٥٣) أصل «الشِّعْب» الطريق في الجبل وهو هنا مُستعار.

(٥٤) استعاره من نُكِسَ المريضُ.

(٥٥) (ع): «فقد ماتَ جَدُّك جَدَّ المُلوكِ» ويحتمل وجهين: أحدَهما أن يُريد بـ«جَدِّ الملوك» الحظَّ، أي كانوا يُعانون بسيفه ونيابته عنهم وينالون بذلك الحُظوظ وهذا الوجه الأجود، والآخر يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون «المُلوك» مُراداً بهم مَن وَلَدَ مِن الرجال، والثاني أن يكون «المُلوك» مَعنيًّا بهم المُلوك من بني آدم أي كان لهم كالأب يَرُبُّهم ويُقيم دُولَهم لأنَّ الجَدَّ يُسمّى أباً وهو أبٌ في الحقيقة.

(٥٦) [ص] يقول: مات جَدُّك وأبوك حَدَثٌ لا تَستقِلُّ بحمل السيف قَبضتُه ولا عاتِقُه بحمل اللواء، فما زال حتى ساد، فكذا فكنْ أنت ★، والبيت الذي بعده يوضحه.

(٥٧) «يَفرَع» أي يعلوها، «والعَمَاء» السحَّاب الرقيق.

(٥٨) ويُروى «حاجةً في السماءِ».

(٦٠) [ع] «إسعافها» إذا كُسر فهو مصدر أَسعفتُ فلاناً بحاجته إذا قضيتَها له وعاونتَه عليها، وإذا

٦١ ويَمْتَحُ سَجْلاً لَها كالسِّجالِ ودَلْواً إذَا أُفْرِغَتْ كالدِّلاءِ
٦٢ ومِثْلُ قُوَى حَبْلِ تلْكَ الذِّرَاعِ كانَ لِزَازاً لِذَاكَ الرِّشَاءِ
٦٣ فلا تُخْزِ أيَّامَه الصَّالحَاتِ وما قَدْ بَنَى مِنْ جَليلِ البِنَاءِ
٦٤ فَقَدْ علِمَ اللَّهُ أنْ لَنْ تُحِبَّ شَيْئاً كَحُبِّكَ كَنْزَ الثَّنَاءِ

177

وقال يُعزِّي محمَّدَ بنَ سَعِيد بأبيه [من الكامل] :

١ أمُحَمَّدَ بنَ سَعِيدَ ادَّخِرِ الأَسَى فيها رُوَاءُ الحُرِّ يومَ ظِمَائِهِ

= رويت «أسعافَها» بفتح الهمزة فهو جمع سَعَف والسَّعَفُ داءٌ يُصيب البعير في رأسه فيَتمعَّطُ منه وَبَرُه، فإنْ كان السَّعَفُ يُهنأ كما يُهنأُ الجَرَبُ فالمعنى على ذلك وإلاَّ فهو مستعار. و«الهِنَاء» ما يُداوى به الجربُ من القَطِران أو نحوه ★. في الأَصل «أشْعافَها» أي أعاليها.

(٦١) ويُروى «مَتَحْتَ بِسِجْلٍ» و«دلوٍ». و«السَّجْل» الدّلو المَلْأى ماءً أو القريبة من الملء، و«السَّجْل» مُذكَّر، والغالب على الدّلْو التأنيث وربما ذُكِّر، قال عَدِيّ بن زيد:

فهو كالدَّلْوِ بكفِّ المُسْتقِي خَذَلَتْ منه العَراقِي فانجَذمْ

[ص] يقول: أعطيتَ في البأس والصبر والجُود سَجْلاً واحداً ودلوك الواحدةُ مثلُ دِلاءٍ كثيرة لغيرك.

(٦٢) (ع): قوله «تلك الذِّراع» فأنَّثَ و«الذِّراع» مُؤنَّثة في معظم كلامهم، وذكَرَ الفرَّاءُ أنَّ تذكير الذِّراع لغة عُكْلِيّة واستشهد على أنَّ التذكير جائز بقولهم في اسْم البلد أذرِعَات، لأنَّ أذرعات جمع أذْرِعَة وأذرعة جمع ذِرَاع في حال التذكير مثل حِمار وأحْمِرة، ولو جُمِع مُؤنثاً لقيل أذرُع فوجب أن يُقال في الجمع أذرُعاتٍ بضم الرَّاءِ [ع] و«حَبْل الذِّراع» أعظمُ عُرُوقِهِ، وهو كلام ليس ممّا استعاره الطائي، وقد يجوز أن يعني بـ«حبل الذِّراع» ما امتدَّ منها. وقوله «لِزازاً لِذاكَ الرِّشاء» أصلُ هذا في بني آدم، يُقال فلان لِزَازُ خِصْمٍ أي يُلَزُّ به.

(١) ويُروي «إنَّ جَوَى أَسًى فيه» ويروى: «إنَّ جَوى أسًى فيها» والرواية الجيّدة «ادَّخِرِ الأَسَى» و«الأسى» جمع أُسوة وهي التأسّي والتعزّي، يقال إسوة وأُسوة. [ع] و«رُواء الحُرّ» أراد به رِيَّه، وإنما أقام الماءَ الرُّواءَ مقامَ الرّي لأنه يُروَى به. ومَن روى «دَواء» بالدال فقد صَحّف لأنَّ مذهب =

٢ أنت الـذي لا تُعْـذَلُ الـدُّنـيـا إذا ... مـا النَّائِبـاتُ صَفَحْنَ عَنْ حَـوْبـائِـهِ
٣ لَـوْ كـانَ يَـغْنَـى حـازِمٌ عَـنْ واعِظ ... كـنتَ الـغَـنِـيَّ بِـحَـزْمِـهِ وذَكـائِـهِ
٤ لَسْتَ الفَتَـى إنْ لَم تُـعَـرِّ مَـدَامعـاً ... مِنْ مـائهـا والـوَجْـدُ بَعْـدُ بِمائِـهِ
٥ وإذَا رأيتَ أسى آمـرىءٍ أوْ صَبْـرَه ... يَـوْمـاً فقَـدْ عَـايَنْتَ صُـورَةَ رَائِـهِ
٦ إنِّـي أَرَى تِـرْبَ المُـروءَةِ بـاكِيـاً ... فـأَكـادُ أبكِي مُعْـظِمـاً لِبُكَـائِـهِ
٧ حَـقٌّ على أَهْـلِ التَّيـقُّظِ والحِـجَى ... وقَـضَـاءُ طَـبٍّ عَـالمٍ بِـقَـضَـائِـهِ
٨ ألَّا يُـعَـزَّى جَـاذِعٌ بِـحَـمِـيـمِـهِ ... حـتَّـى يُـعَـزَّى أوَّلاً بِـعَـزائِـهِ

= الطائي في الصناعة طريق معروف فلم يكن يعدل عن « الرُّواء » في هذا البيت. ومَدَّ « الظَّماء » وهو مهموز مقصور، يقال ظَماٌ مِثل خَطأ، وقد فعل ذلك في غير هذا الموضع، والقياسُ يُطلِق ذلك وما هو أشدُّ منه.

(٢) (٥) - (ع): هذا شيء استعمله الطائي وغيرُه، فأمّا مذهب سيبويه في ذلك فإذا حُمِل عليه كان كالعيب لأنه لا يجعل همزة « حَوْبائه » وما كان مثلها إذا خَفَّف في هذا الموضع ياءً خالصة ولكن يكون بين بين، وياء « رايه » ياءٌ خالصة لا يجوز قلبها إلى الهمزة في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الرَّويّ. فأمّا غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة « حَوْبَائـه » ومثلها إذا خَفَّف ياءً وهو مذهب ضعيف، ونحوٌ من ذلك ما جاءَ في شعر أَبي النجم لأنه قال:

هَلْ تَعرِفُ الرَّبْعَ عَفَتْ جِوَاؤُهْ

وقال فيها:

وعَزَّ شَأْوَ المُغْرِبينَ شَاوه

فواو « شأوُه » لا يجوز أن تُهمز، وهمزة جِواؤه» لا يجوز أن تُجعل واواً خالصة.

(٦) «تِرْبَ المودَّة» أكثر ما يُستعمل « التِّرْب » في النِّساء، يُقال فلانة تِرْبُ فلانة إذا كانت لِدَةً لها، وحكى بعضُ أَهل اللغة أنه يُقال تِرْب في المذكر وتِرْبَة في المؤنث، والذي يَتردّد في الشعر القديم عَوانٌ أتراب وجَوارٍ أَتراب، ولا يكاد يُستعمل ذلك في المذكَّر.

قافية الباء

وقال يرثي غالب بن السّعدي [من الطويل]:

١ هوَ الدَّهـرُ لا يُشْوِي وهُنَّ المَصَـائِبُ   وأكثـرُ آمـالِ الـرِّجـالِ كَـواذِبُ

٢ فيـا غـالبـاً لا غـالِبٌ لِـرَزِيَّـةٍ   بَلِ المَوْتُ لا شَـكَّ الذي هـوَ غَالِبُ

٣ وقلتُ أخي، قـالـوا أخٌ ذُو قَـرابَـةٍ؟   فـقـلتُ ولـكـنَّ الـشُّـكـولَ أقـارِبُ

٤ نَـسِيـبيَ فـي عَـزْمٍ ورَأْيٍ ومَـذْهَـبٍ   وإنْ بـاعَدتْنـا في الأُصُولِ المَنَـاسِبُ

٥ كأنْ لَمْ يَقُـلْ يَـوْمـاً كـأَنَّ فَتَنْثَنِـي   إلى قَـوْلِـهِ الأسمـاءُ وهْيَ رَواغِبُ

---

(١) أصل «الإشواء» أن يرمي الرجلُ فيصيبُ الشَّوَى وهي القوائم، وذلك خطأ للغرض إذْ كان المُراد هو المَقْتل، ثم كثرَ ذلك حتى قِيل أشوَى في معنى أخطأ.
و«آمال النفوسِ» أيضاً.

(٢) (س) «فيا غالبٌ لا غالبٌ لرزيّة» و«يا غالباً» أيضاً. (ع): إذا صَحّت الرواية على هذا اللفظ فقوله: «يا غَالباً» نداء للذي يرثيه واسمُه غالب، وتنوين العَلَم المُنادَى محسوبٌ من الضرورات، والنحويُّون فيه مختلفون، بعضهم يختار النصب وبعضهم يختار الرفع، وهذا البيت يُنشد نصباً:

ضَـرَبَـتْ صـدرَهـا إلـيَّ وقـالـتْ   يـا عَـدِيًّـا لقـد وقَتْـكَ الأواقـي

وبيت الأحوص يُنشد على وجهين:

سلامُ اللهِ يـا مَطَـرٌ عليهـا   وليس عليـكَ يـا مَطَـرُ السَّلامُ

(٣) (س) «فقلت لهم إنَّ» و«فقلتُ نَعم إنّ» [ع] حَكى عمّن سأله أنهم قالوا: أخ ذو قَرابة؟ وهذا يجب أن يكون على معنى الاستفهام منهم، فحذِفتْ الألفُ لعلم السامع. و«الشُّكُول» جمع شِكْل، يقال هم أشكال وشُكُول أي بعضُهم يشبه بعضاً.

٦ ولم يَصْدَعِ النَّادِي بلَفظَةِ فيْصَلٍ   سِنَانِيَّةٍ في صَفْحَتَيْها التَّجارِبُ
٧ ولَمْ أتَسقَّطْ رَيْبَ دَهْرِي بِرَأيِهِ   فَلَمْ يَجتمِعْ لي رأيُهُ والنَّوائِبُ
٨ مَضَى صَاحِبِي واسْتَخْلَفَ البَثَّ والأَسَى   عليَّ فلي مِنْ ذا وهَاذَاكَ صاحِبُ
٩ عَجِبتُ لِصَبْرِي بعدَه وهْوَ مَيِّتٌ   وكُنْتُ امرءاً أبكي دَماً وهْوَ غائِبُ
١٠ على أنَّها الأيَّامُ قد صِرْنَ كُلَّها   عَجَائِبَ حتَّى ليسَ فيها عَجَائِبُ!

179

وقال يرثي محمّد بن الفَضْل الحمْيري ، ويُقال أبا العباس محمّد بن عيسى الجُرجانيّ [من الخفيف] :

١ رَيْبُ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ العِتَابِ   مُرْصِدٌ بالأَوْجَالِ والأَوْصَابِ
٢ جَفَّ دَرُّ الدُّنيا فقدْ أصبحَتْ تَكـ   ـتَالُ أَرواحَنَا بغيرِ حِسَابِ
٣ لَوْ بَدَتْ سافِراً أُهِينَتْ ولكنْ   شَعَفَ الخَلْقَ حُسْنُهَا في النِّقَابِ
٤ إنْ رَيْبَ الزَّمانِ يُحسِنُ أَنْ يُهْـ   ـدِي الرَّزَايا إلى ذَوِي الأَحْسَابِ
٥ فَلِهذا يَجِفُّ بَعْدَ اخضِرارٍ   قبلَ رَوْضِ الوِهَادِ رَوْضُ الرَّوابي
٦ لَمْ تَدُرْ عَيْنُه عنِ الحُمْسِ حتَّى   ضَعْضَعتْ رُكْنَ حِمْيَرَ الأَربَابِ
٧ بَطَشَتْ مِنهمْ بِلُؤْلُؤَةِ الغَوَّا   صِ حُسْناً ودُمْيَةِ المِحْرَابِ
٨ بالصَّريحِ الصَّريحِ والأَرْوَعِ الأَرْ   وَعِ مِنْهُمْ وبالُّبَابِ اللُّبَابِ
٩ ذَهبَتْ يا مُحمَّدُ الغُرُّ مِنْ أيَّا   مِكَ الواضحاتِ أيَّ ذَهَابِ!

---

(٦) [ص] « الحُمْس » كِنانة . وكان مات صديق له كِنانيّ بالغَداة، ومات هذا الحِمْيريّ بالعَشِيّ.

(٧) يعني بِـ« دُميةِ المِحْراب » الصورة التي في أكرم موضعٍ في البيت وهو المحراب، قال قيس بن الخطيم :

نَمتْهُ اليهودُ إلى قُبَّةٍ   دُوَيْنَ السماءِ بمحرابها

وإنما يعني بـ« دمية المحراب » هذا المرثيَّ لأنه كان زَيْناً لقومه كما تُزيّن الصورةُ لما هي فيه .

١٠ عَبَّسَ اللَّحْـدُ والثَّرى مِنْـكَ وَجْهَـاً غَـيْـرَ مـا عَـابِسٍ ولا قَـطَّابِ

١١ أطفَـأَ اللَّحْدُ والثَّـرَى لُبَّـكَ المُسْـ ـرَجَ فـي وقـتِ ظُـلْمَـةِ الألبَـابِ

١٢ وتَبَـدَّلتَ مَـنْـزِلاً ظـاهِـرَ الجَـدْ بِ يُـسَـمَّـى مُـقَـطِّعَ الأَسـبَـابِ

١٣ مَـنْـزِلاً مُـوحِـشـاً وإنْ كـانَ مَـعْـ ـمُـوراً بحِـلِّ الصَّـدِيقِ والأحبـابِ

١٤ يـا شِهَـابـاً خَبـا لآلِ عُبَيْـدِ اللَّـ ـهِ أعـزِزْ بِفَقْـدِ هـذا الشِّهَـابِ!

١٥ زَهْـرَةٌ غَـضَّـةٌ تَـفـتَّـقَ عَـنـهـا الـ ـمَجْـدُ في مَنْبِتٍ أَنِيقِ الجَنَـابِ

١٦ خُلُقٌ كـالمُـدَامِ أو كَـرُضَـابِ المِسْـ ـكِ أَوْ كـالعَبِيـرِ أَوْ كـالمُلابِ

١٧ وحَيـاً نـاهِيـكَ فـي غيْـرِ عِـيٍّ وصِبـاً مُشْـرِقٌ بـغيـرِ تَـصَـابِ

١٨ أنـزَلَتْـهُ الأَيَّـامُ عن ظَـهْـرِهَـا مِن بَـعْـدِ إثبـاتِ رِجْـلِهِ في الـرِّكَـابِ

١٩ حِينَ سَـامَى الشَّبَابَ واغتـدَتِ الدُّنْـ ـيـا عـليـهِ مَـفْـتُـوحَـةَ الأبـوابِ

٢٠ وحَكى الصَّـارِمَ المُحَلَّى سِـوى أَنَّ (م) حُـلاهُ جَـوَاهِـرُ الآدَابِ

٢١ وهْـوَ غَضُّ الآرَاءِ والحَـزْمِ خِـرْقٌ ثُـمَّ غَضُّ النَّـوَالِ غَضُّ الشَّبَـابِ

٢٢ قَـصَـدتْ نـحـوَهُ الـمَـنِـيَّـةُ حتَّـى وهَبَـتْ حُسْـنَ وجْهِـهِ للتُّـرابِ

---

(١١) [ع] «لُبّكَ المُسرج» يجوز بكسر الراء وفتحها، والكسر أشدُّ مبالغةً لأنه يجعله مُوقِداً للسُّرج.

(١٤) ويروى «بفقد ذاكَ الشهابِ» و«بفقدِه من شهابٍ».

(١٦) و(١٧)[ع] «العَبِير» الزعفران، وقيل بل هي ضروب تُجمع من الطيب ★. و«المُلاب» مِن طِيب الأعراب، وقد زعم قوم أنه الزعفران، ولا شك أنه أحمر، يدلك على ذلك قول الهُذليّ:

★ بهنَّ مُلَوَّبٌ كدَمِ العِبَاطِ ★.

وقال قوم «المُلاب» كلمة مُعرَّبة. وقوله «ناهيك» يجوز أن تحمله على قوله ناهٍ لك فيكون ناهيك نكرةً، وهذه الكلمة تُستعمل على هذا الحدّ فيقال مررتُ برجلٍ ناهيكَ من رجل أي حسبُك به، كأنه ينهاك أن تطلب غيرَه أو كأنك إذا انتهيتَ إليه فقد بلغت الغاية. ويجوز أن تجعل «ناهيك» في موضع ابتداء ويكون الخبر محذوفاً، فيكون «ناهيك» حينئذٍ مُعرفَّةً بالإضافة إلى الكاف، والوجه الأول أشبه.

وقال يرثي اسحقُ بن أبي ربْعيّ [من السريع] :

١ أيُّ نَدًى بينَ الثَّرى والجَبُوبِ وسُؤْدُدٍ لَدْنٍ ورأيٍ صَلِيبِ !
٢ يا ابنَ أبي رِبْعِيٍّ اسْتُقْبِلَتْ مِنْ يومِكَ الدُّنيا بِيَوْمٍ عَصِيبِ
٣ شَقَّ جُيُوباً مِنْ رِجَالٍ لو اسطاعوا لَشَقُّوا ما وَرَاءَ الجُيُوبِ
٤ كنتَ على البُعْدِ قَرِيباً فَقَدْ صِرْتَ على قُرْبِكَ غيرَ القَرِيبِ
٥ رَاحَتْ وُفُودُ الأرضِ عن قَبْرِهِ فارِغَةَ الأيْدِي مِلاءَ القُلُوبِ
٦ قد عَلِمَتْ ما رُزِئَتْ إنَّما يُعْرَف فَقْدُ الشَّمسِ بعدَ الغُرُوبِ
٧ إذا البَعِيدُ الوطنِ انتَابَه حَلَّ إلى نِهْيٍ وجِزْعٍ خَصيبِ
٨ أدنَتْه أَيْدِي العِيسِ مِنْ سَاحةٍ كأنَّها مَسْقَطُ رَأْسِ الغَرِيبِ
٩ أظلَمَتِ الآمالُ مِنْ بَعْدِهِ وعُرِّيَتْ مِنْ كلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
١٠ كانَتْ خُدُوداً صُقِلَتْ بُرْهَةً فاليومَ صارَتْ مَألَفاً للشُّحُوبِ
١١ كَمْ حاجَةٍ صارَتْ رَكُوباً بهِ ولم تَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ بالرَّكُوبِ !
١٢ حَلَّ عُقالَيْها كَما أطلَقَتْ مِنْ عُقَدِ المُزْنَةِ ريحُ الجَنُوبِ

---

(١) « الجَبُوب » يُقال إنها الأرضُ الغليظة ، وقيل الطين اليابس ، وقيل هي ظاهر الأرض.

(٧) « النِّهْي » والنَّهْي بكسر النون وفتحها موضع يجتمع فيه الماء وله مانع يمنعه أن يسيل ويفترق فكأنه ينهاه عن ذلك.

(١١) أصل « الرَّكُوب » فيما يُركب من الحيوان وهي الرَّكُوبة، وقد قُرىء « رَكُوبهم » و« رَكُوبتهم » ويقال عَوْد رَكُوب أي يصلح لأن يُركب، ويقال ذلك للطريق أيضاً، قال الشاعر :

تَنَحَّ كذا يا دَمْخُ نستأنِس الغَضَا فإنَّكَ عَوْدٌ لِلفلاةِ رَكُوبُ

« دَمْخ » جبل [ع] والمعنى أن هذا المذكور يُسهّل الحاجةَ الصعبة حتى تلين وتُركب.

(١٢) [ع] قوله : « ريح الجنوب » إنما أصل الكلام أن يُقال الريح الجنوب وكذلك الريح القَبُول والريح الشمال، فإذا قيل ريح الجنوب جاز أن يُرَاد ريح من الجنس الذي يُعرف بالجنوب، ولا اختلاف أنه سائغ، وهو من باب قولهم مسجد الجامع وصلاة الأُولى.

١٣	إذَا تَـيـمَّـمـنـاه فـي مَـطْلَبٍ	كـانَ قَـليبـاً أَوْ رشَـاءَ الـقَلِيـبِ
١٤	ونِعْمَـةٍ منـهُ تَـسـرْبلتُـهـا	كـأنَّـهـا طُـرَّةُ ثَـوْبٍ قَـشِـيـبِ
١٥	مِـن الـلَّواتـي إنْ وَنَـى شـاكِـرٌ	قـامَتْ لِمُسْديهـا مَقـامَ الخَـطِيبِ
١٦	مَتَى تُنِـخْ تَـرْحَـلْ بتـفـضـيلِهِ	أَوْ غَـابَ يـومـاً حَضَـرتْ بـالمَغيبِ
١٧	فـمـا لَـنـا الـيـومَ ولا لِـلعُـلى	مِـنْ بَعْـدِهِ غَـيْـرُ الأَسَى والـنَّحِيبِ

181

وقال يَرْثِي أحمدَ بن هارون القُرَشي [من الخفيف]:

١	دَأْبُ عَيْنِي البُـكـاءُ والحُـزْنُ دَابِـي	فـاتـرُكيني ـ وُقِيتِ مـا بِي ـ لِمَا بي
٢	سَـأُجَـزِّي بَـقَـاءَ أَيَّـامِ عُـمْـرِي	بَـيْـنَ بَثِّي وعَـبْـرَتـي واكـتِئَـابـي
٣	فيـكَ يـا أحمـدَ بنَ هـارونَ خَصَّتْ	ثُـمَّ عَـمَّـتْ رَزِيئـتـي ومُـصَـابـي
٤	فـجعَـتْني الأيَـامُ فـيـكَ فـأُنْسِـي	في اختلالي وعِصْمتي في اضطرابي
٥	فَجعَتْني الأَيَّـامُ بـالصَّـادقِ الـنُّـطْـ	ـقِ فَـتَـى الـمَـكْـرُمَـاتِ والآدابِ

---

(١٣) ويُروى «كان قَلِيباً ورشاء القَلِيب» أي لا يُحوجنا إلى وسيلة إليه، والرواية الأولى بخلاف هذا: يقول هو شفيعي إلى نفسه، أي شفيع جُوده إلى نفسه.

(١٤) طُرّةُ كل شيء جانبُه.

(١٦) (س) «متى تُنخ» [ع] يقول: أي تُنِخ بهذا المذكور ترحل هذه القصائد بتفضيله، ويجوز فتح التاء وضمّها، فإذا فَتحتَ جعلتَ الرحيلَ للقصائد، وإذا ضممتَ التاءَ فالمعنى أنها كالنُّوق التي تُشدُّ عليها الرِّحال، يقال رحلَ البعيرَ يُرحله رَحْلاً؛ ثم قال: «أو غاب» فجاء بالفعل الماضي وهذا جائز على تقدير الفعل المضارع، لأنك إذا قلت إن قُمتَ قمتُ فالمعنى إن تقمْ أقُمْ، ولو كان ما بعد «أو» مثل ما بعد «متى» في أول البيت لكان أحسن ليكون المستقبل معطوفاً على مثله.

(١) [ع] «الدّأب» و«الدّأب» العادة، يقال ما زال ذاك دَأْبَهُ ودَأَبَهُ، والأصل الهمز ولكن الهمزة في القافية تُجعل ألفاً. ويقال تركتُه لما به كأنه في معنى قولهم أسلمتُه لما يُلاقيه إذا لم يكن فيه حيلة.

٦ بـخَـلـيـلٍ دُونَ الأخِـلَّاءِ لا بَـلْ ... صـاحِبي المُـصـطَفَى على أصحَـابي

٧ شَـمَّـريٌّ يَحتـلُّ مِنْ سَلَفِيْ مَـرْ ... وَانَ فـي الأكْـرَمِيـنَ والـصُّـيَّـابِ

٨ أفـلَمَّـا تـسـربَـلَ الـمَـجْـدَ واجْـ ... ـتَـابَ مِـنَ الحَمْـدِ أيَّمـا مُجتَـابِ

٩ وتَـراءَتْـهُ أَعْـيُـنُ الـنَّـاظِـريـهِ ... قـمَـراً بـاهِـراً ورِئْـبَـالَ غـابِ

١٠ وعَـلا عـارِضَيْـه مـاءُ النَّـدَى الجَـا ... رِي ومـاءُ الحِجَى ومـاءُ الشَّبَـابِ

١١ أرسَـلَتْ نَـحـوَهُ الـمَنِـيَّـةُ عَـيْـنـاً ... قَـطَـعَـتْ مِـنـه أوثَـقَ الأسـبـابِ

182

وقال يَرثي امرأةَ محمّدِ بنِ سَهْل وهي أُختُ مهران بن يحيى [من الطويل]:

١ جُفُوفَ البلَى أسرعْتِ في الغُصْنِ الرَّطْبِ ... وخَطْبَ الرَّدَى والمَوْتِ أبرحْتَ مِنْ خَطْبِ

٢ لَقَدْ شَرِقَتْ في الشَّرْقِ بالموتِ غَادَةٌ ... تَعَوَّضْتُ منها غُربَةَ الـدَّارِ في الغَرْبِ

٣ وألبسني ثَـوْبـاً مِنَ الحُـزْنِ والأَسَى ... هِـلالٌ عليـهِ نَسْجُ ثَـوْبٍ مِنَ التُّـرْبِ

٤ أقُـولُ وقد قـالُوا استَراحَتْ بِمَـوْتِهـا ... مِنَ الكرْبِ رَوْحُ المَوْتِ شَرٌّ مِنَ الكَرْبِ

٥ لَقَـدْ نَزلَتْ ضَنْكـاً مِنَ اللحدِ والثَّـرَى ... ولَوْ كانَ رَحْبَ الذَّرْعِ ما كانَ بالرَّحْبِ

٦ وكُنْتُ أُرَجِّي القُـرْبَ وهْـيَ بَعـيـدَةٌ ... فقَدْ نُقِلَتْ بُعْدِي عَنِ البُعْدِ والقُـرْبِ

٧ لهَـا مَنْـزِلٌ تحتَ الثَّـرى وعَهِـدْتُهـا ... لهـا مَنْزِلٌ بينَ الجَـوانِـحِ والقَلْبِ

---

(١) يُقال أبرحتَ أي جئتَ بالبَرْحَ أي بالأمرِ البَرْح وهو الشَّاق، ويقال للداهية بِنْتُ بَرْح وبَنَات بَرْح، وقالوا في المثل بِنتُ بَرْحٍ شَرَكٌ على رأسك، قال الشاعر:

فـإنِّـي إنْ أُلاقِ بَنَـاتِ بَـرْحٍ ... تَجِـدْنـي لا أشُـدُّ لهـا حَـزيمـا

أي أني أُصابرُها مُعِدٌّ عُدَّتَها

قافية الدّال

183

وقال يَرثي عُميرَ بن الوليد ، وهي أَوّلُ أشعارِه [من الوافر] :

١ أَعِيدي النَّوْحَ مُعْولَةً أعِيدي ... وزِيدي مِنْ بُكائِكِ ثُمَّ زِيدي

٢ وقُومِي حاسِراً في حاسِرَات ... خَوَامِشَ لِلنُّحورِ ولِلخُدُودِ

٣ هُوَ الخَطْبُ الذي ابتَدَعَ الرَّزَايَا ... وقالَ لِأَعْيُنِ الثَّقَلَيْنِ جُودِي

٤ أَلا رُزِئَتْ خُرَاسَانٌ فَتَاها ... غَدَاةَ ثَوَى عُمَيْرُ بنُ الوَليدِ

٥ أَلا رُزِئَتْ بِمسؤول مُنِيل ... أَلا رُزِئَتْ بِمِتْلاف مُفيدِ

٦ أَلا إنَّ النَّدَى والجُودَ حَلّا ... بحيثُ حَلَلْتَ مِنْ حُفَرِ الصَّعِيدِ

٧ بِنَفْسِي أنتَ مِنْ مَلِكٍ رَمَتْه ... مَنيَّتُه بِسَهْمٍ رَدَى سَدِيدِ

٨ تَجلَّتْ غَمْرَةُ الهَيْجاءِ عَنْه ... خَضِيبَ الوَجْهِ مِنْ دَمِهِ الجَسِيدِ

٩ فيا بَحْرَ المَنُونِ ذَهبْتَ منه ... بِبَحْرِ الجُودِ في السَّنةِ الصَّلُودِ

١٠ ويا أسَدَ المَنُونِ فَرَسْتَ منه ... غَدَاةَ فرستَه أسَدَ الأسُودِ

١١ أبِالبَطَلِ النَّجِيدِ فَرَسْتَ منه؟ ... نَعمْ وبِقَاتِلِ البَطَلِ النَّجِيدِ

١٢ تَرَآى لِلطِّعانِ وقَدْ تَرَاءَتْ ... وُجُوهُ المَوْتِ مِنْ حُمْرٍ وسُودِ

١٣ فلمْ يَكُنِ المُقَنَّعَ فيهِ رَأْساً ... خَلا أَنْ قَدْ تَقَنَّعَ بالحَدِيدِ

---

(٨) يُقال دم جاسِدٌ وجَسِيد أي قد يَبِسَ، وقيل بل يُراد به أنه في لون الجَساد وهو الزعفران.

(٩) [السنة الصَّلود] أي القليلة المطر ، ويقال فَرَسٌ صَلُود إذا كان بطيءَ العَرَق.

(١٣) يقول لم يكن هذا المرثيُّ مُقنَّعاً مثل المرأة، ولكن تقنَّعَ بالحديد.

١٤ فَيا لَك وقعَةً جَللاً أعارَتْ أسىً وصَبابَةً جَلَدَ الجَليدِ
١٥ ويا لَك سَاحَةً أهدَتْ غليلاً إلى أكبادِنا أبَدَ الأَبيدِ
١٦ وإنَّ أميرَنا لم يألُ نُصْحاً وعَدْلاً في الرَّعايا والجُنُودِ
١٧ أفاضَ نَوالُ راحتِه لَدَيهِمْ وسَامَحَ بالطَّريفِ وبالتَّليدِ
١٨ وأصحَرَ دُونَهمْ لِلمَوْتِ حتَّى سَقَاهُ المَوْتُ مِنْ مَقِرٍ هَبِيدِ
١٩ وما ظَفِرُوا به حتى قَرَاهُمْ قَشَاعِمَ أنْسُرٍ وضِباعَ بِيدِ
٢٠ بطعْنٍ في نُحُورِهِمِ مَرِيدٍ وضَرْبٍ في رُؤُوسِهِم عَنِيدِ
٢١ فيا يَوْمَ الثلَثاءِ اصطَبَحْنا غداةً مِنكَ هائِلَةَ الوُرُودِ
٢٢ ويا يَوْمَ الثلَثاءِ اعتُمِدْنا بِفَقْدٍ فيكَ للسَّندِ العَمِيدِ
٢٣ فكمْ أَسخَنْتَ منَّا مِنْ عُيُونٍ وكمْ أعثَرْتَ فينا مِنْ جُدودِ
٢٤ فما زُجِرَتْ طُيُورُكَ عَنْ سَنِيحٍ ولا طَلَعَتْ نُجومُكَ بالسُّعُودِ
٢٥ ألا يا أيُّها المَلِكُ المُرَدَّى رِداءَ المَوْتِ في جَدَثٍ خَدِيدِ
٢٦ حَضَرْتُ فِناءَ بابِكَ فاعتَرَاني شَجًى بَيْنَ المُخَنَّقِ والوَرِيدِ
٢٧ رَأيْتُ بِهِ مَطَايَا مُهْمَلاتٍ وأفراساً صَوَافِنَ بالوَصِيدِ
٢٨ وكُنَّ عَتَادَ إمَّا فَكِّ عانٍ وإمَّا قَتْلِ طاغِيَةٍ عَنُودِ
٢٩ رأيتُ مُؤمِّليكَ غَدَتْ عليهمْ عَوادٍ أصعَدتْهُمْ في كُؤُودِ
٣٠ وأضحَتْ عندَ غيرِكَ في هُبُوطٍ حُظُوظٌ كُنَّ عندكَ في صُعُودِ
٣١ وكُلُّهُمُ أعَدَّ اليأسَ وَقْفاً عليكَ ونَصَّ رَاحِلَةَ القُعُودِ
٣٢ وأصبَحتِ الوفودُ إليكَ وَقْفاً على ألَّا مُفَادَ لِمُسْتَفيدِ
٣٣ لَقَدْ سَخِنَتْ عُيُونُ الجُود لمَّا نَوَيْتَ وأُقصِدَتْ غُرَرُ القَصِيدِ

---

(١٨) « المَقِرُ » الصَّبْر أو شيءٌ يُشبهه وهو يُوصف بالمرارة، و« الهَبِيد » حَبُّ الحنظل وهو غير المقِر ولكنه جعل اللفظ الأول وهو « مَقِر » كِنَاية عن كل مُرٍّ ثم أتبعَه بهبيد، لأنه يُحتمل أن يُقال فعالك هَبِيد، وقوله مَقِر على سبيل التشبيه وحذفَ الآلة.

(٢٤) جاءَ « بسنيحٍ » هاهنا على مذهب من يتيمّن به.

(٢٥) أي مخدود يقال خَدَّ الأرضَ إذا حفر فيها حفراً مُستطيلاً.

(٣٣) من قولهم أقصدَه السهمُ إذا قتله.

وقال يَرثي حَجوَةَ بنَ محمّد الأَزْدي وأخاً له يُقال له قَرْم [من الكامل] :

١ يـا دَهْـرُ قَـدْكَ وقلَّمـا يُغني قَـدِي ... وأراكَ عِـشْـرَ الـظِّمْءِ مُـرَّ المَـوْرِدِ

٢ ولَقَـدْ أُحِيطَ بنـا ولم نَـكُ صُـورَةَ ... بـكَ واستُعِـدَّ لـنـا ولمّـا نُـولَـدِ

٣ يـا دَهْـرُ أَيَّـةُ زَهْـرَةٍ لِلمَجْـدِ لم ... تُجْفِـفْ وأَيَّـةُ أيْكَـة لَـمْ تَخْـضُـدِ!

٤ أتـرعتَ لِلعـنْقـاءِ فـي أشعَـافِهـا ... كـأْساً تَـدَفَّقُ بـالـذُّعَـافِ الأَسْـوَدِ

٥ قَـدْ كـانَ قَـرْمٌ كـاسِمِـهِ قَـرْمَـاً وما ... ولَـدَتْ نِسَـاءُ بَنِي أبيـهِ كـأحمَـدِ

٦ نَجمـا هُدىً هـذَاكَ نَجْمُ الجَـدْيِ إنْ ... حَـارَ الـدَّلِيـلُ وذَاكَ نَجْمُ الفَـرْقَـدِ

٧ هـذا سِنـانٌ زَاغِبِـيٌّ فـي الوَغَـى ... وكـأنَّـمـا هـذا ذُبَـابُ مُـهَـنَّـدِ

٨ وجَبِينُ هـذا كالشِّهَـابِ جَلا الـدُّجَى ... عنـه وهـذا كـالشِّهـابِ المُـوقَـدِ

٩ ولَنِعْمَ دِرْعَـا الحَيِّ في يَـوْمَيْهِمـا ... كـانـا ونِعْمَ الـذُّخْـرِ كـانـا لِلغَـدِ

١٠ لم يَشْهَـدا نَجْـوَى ولا حَشّـا لَـظَى ... حَـرْبٍ تُسَعَّـرُ بـالقَنـا المُتَقَصِّـدِ

١١ إلّا رأَيْـنـا ذَا عـلى تـلك الـرَّحـا ... قُـطْبـاً وذَا مِصْبَـاحَ ذَاكَ المَشْـهَـدِ

١٢ رُزِئَت بَنُـو عَمْـرو بنِ عـامِـرِ الـذُّرَى ... بِهمـا وصَـوَّحَ نَبْتُ وَادِيهـا النَّـدِي

١٣ وكـذا المَنـايـا مـا يَـطَأْنَ بِميسَم ... إلّا عـلى أعنـاق أهـلِ الـسُّؤدَدِ

١٤ ولَئِـن أُصِيبُـوا إنَّ تِـلكَ لَـغَيْـضَـةٌ ... لم تَخـلُ مِنْ لَيْثٍ هُنـالـكَ مُلْبِـدِ

١٥ مـا دَامَ ذاكَ المَعْـدِنُ الـزَّاكي الثَّرَى ... في جِـزْعِنـا لَم نَلْتَفِتْ لِـلعَسْجَـدِ

١٦ تلكَ المَصَـائبُ مُـشْـوِيـاتٌ كلُّهـا ... إلاَّ مُـصِيبَـةَ حَجْـوَةَ بـنِ مُـحـمَّـدِ

---

(١) [ص] « العِشْرُ » أبعدُ الإظماء ، ضَربَه مثلاً لشدّة الدهر .

(٣) أي لم تَكسرْ ، يقال خضَدْتُ الشجرةَ إذا كسرتَ شَوْكَها . « الخَضِد » العُود يُثنَى من غير كَسْر .

(٤) يجوز أن يعنى بـ « العنقاء » التي يقال لها عنقاء مُغْرِب ، ويجوز أن يعنى بها العُقاب المعروفة .

(٧) جعَل السِّنانَ زاغِبياً وذلك جائز لأن السِّنان يكون في الزَّاغبيّ ، والمعروفُ أنَّ الزاغبيّ من صفات الرُّمح ، وقيل هو الذي إذا هُزَّ فكأنَّ بعضَ كعُوبه يَدفعُ بعضاً ، وقيل بل « زَاغب » اسم رجلٍ كان يُقوّم الرِّماح .

١٧ ولقَدْ أصابَ غَليلُها مَنْ لم يُصَبْ ... ولَصُيِّرَتْ فقْداً لِمَنْ لم يَفْقِدِ

١٨ طامِنْ حَشَاكَ أبا الحُباب فإنَّها ... نُوَبٌ تروحُ على الأنامِ وتَغْتدي

١٩ فلقَدْ أفاقَ مُتَمِّمٌ عن مالِكٍ ... وَسَلا لَبيدٌ قَبْلَهُ عَنْ أَرْبَدِ

٢٠ فَلَئِنْ صَبَرْتَ لأنتَ كوكبُ مَعْشَرٍ ... صَبَروا وإنْ تَجْزَعْ فغَيْرُ مفَنَّدِ

٢١ هذي المَعُونَةُ باللِّسانِ ولو أرى ... عَيْن الحِمامِ لَقَدْ أَعَنْتُكَ باليَدِ

185

وقال يَرثي ابنَه محمَّداً [من الطويل] :

١ لا يَشْمَتِ الأعداءُ بالمَوْتِ إنَّنا ... سَنُخلي لهمْ مِنْ عَرْصَةِ المَوْتِ مَوْرِدا(١)

٢ ولا تَحسبنّ المَوْتَ عاراً فإنَّنا ... رَأَيْنا المَنايا قَدْ أصَبْنَ مُحمَّدا

٣ ولا يَحْسِبِ الأعداءُ أَنَّ مُصيبَتي ... أكَلَّتْ لهمْ مِنِّي لِساناً ولا يَدَا

٤ تَتابَعَ في عامٍ بَنِيَّ وإخوَتي ... فأصبَحْتُ إنْ لَم يُخْلِفِ اللَّهُ واحِدا

186

وقال يرثي خالدَ بن يزيدَ بن مَزْيد [من الطويل] :

١ أَأَللَّهُ(١) إنِّي خالِدٌ بعدَ خالِدِ ... وناسٍ سِرَاجَ المَجْدِ نَجْمَ المَحامِدِ؟!

٢ وقَدْ تُرِعتْ إثفِيَّةُ العَرَبِ التي ... بها صُدِعَتْ ما بينَ تلكَ الجَلامِدِ

٣ ألا غَرْبُ دَمْعٍ ناصِرٍ لي على الأسى ... ألا حُرُّ شِعْرٍ في الغَليلِ مُسَاعِدي

٤ فَلَمْ تَكْرُمِ العَيْنانِ إنْ لم تُسامِحا ... ولا طابَ فَرْعُ الشِّعْرِ إنْ لم يُسَاعِدِ

٥ لِتَبْكِ القَوافي شَجْوَها بعد خالدٍ ... بُكَاءَ مُضِلَّاتِ السَّماحِ نَواشِدِ

---

(١) [العرصة : الساحة].

(١) يجوز نصب اسم «الله» سبحانَه وهو أجود الوجهين، ويجوز خفضه، ونصبُه على إضمار فعلٍ، وَخفضُه على تقدير حرفِ القَسَم.

٦ لَكـانَتْ عَـذَارَاهـا إذا هيَ أُبـرِزَتْ ... لَـدَى خالـدٍ مِثْـلَ العَـذَارَى النَّـواهِـدِ

٧ وكـانَتْ لِصَيْدِ الـوَحْشِ مِنها حَـلاوَةٌ ... على قَلْبِـهِ لَيسَـتْ لِصَيْـدِ الأوابِـدِ

٨ وكـانَ يَـرَى سَمَّ الكـلامِ كـأنَّمـا ... يُـقَشَّـبُ أحيـانـاً بِسَـمِّ الأَسَـاوِدِ

٩ تقلَّصَ ظِـلُّ العُـرْفِ في كـلِّ بَلْدَة ... وأُطفِىءَ في الـدُّنيا سِـرَاجُ القصَـائِـدِ

١٠ فَيـا عِيَّ مَـرْحُـولٍ إليـهِ ورَاحـلٍ ... وخَـجْـلَةَ مَـوْفُـودٍ إلـيـهِ ووافِـدِ

١١ ويـا مـاجِـداً أوْفَى بِهِ المَـوْتُ نَـذْرَهُ ... فـأشعَـرَ رَوْعـاً كُـلَّ أروَعَ مـاجِـدِ!

١٢ غَـداً يَمْنـعُ المَعْـرُوفُ بعـدَكَ دَرَّهُ ... وتَـغْـدِرُ غُـدْرَانُ الأَكُفِّ الـرَّوافِـدِ

١٣ ويـا شِـائمـاً بَـرْقـاً خَـدُوعـاً وسـامِعـاً ... لِـرَاعِـدَةٍ دَجَّـالَـةٍ فـي الـرَّواعِـدِ

١٤ أَقِمْ ثُمَّ حُطَّ الـرَّحْـلَ والـظَّنَّ إنَّـه ... مَضَتْ قِبْلَةُ الأسفَـارِ مِنْ بعـد خـالـدِ

١٥ تَكَفَّـأَ مَتْنُ الأَرضِ يـومَ تَـعـطَّلَتْ ... مِنَ الجبـلِ المُنْهَـدِّ تحتَ الفَـدافِـدِ

١٦ فللثَّغْـرِ لَـوْنٌ قـاتِمٌ بعـدَ مَـنْـظرٍ ... أنـيقٍ وجَـوٌّ سـائـلٌ غيـرُ رَاكِـدِ

١٧ لأبـرَحْتَ يـا عـامَ المَصَائِبِ بعـدَمـا ... دَعَتْكَ بَنُو الآمـالِ عـامَ الفَـوَائِـدِ!

١٨ لقَـدْ نَهسَ الـدَّهْـرُ القَبـائِـلَ بعـدَه ... بِنَـابٍ حَـديـدٍ يَقْطُرُ السَّمَّ عـانِـدِ

١٩ فجَلَّلَ قَحْـطاً آلَ قَحْـطَانَ وانـثَنَـتْ ... نِـزَارٌ بِمَنْـزُورٍ مِنَ العَيْشِ جـاحِـدِ

---

(٦) أراد بـ « عذاراها » القصائد.

(٧) أي كان يصيد المرحَ ببذلِهِ المال ويراه أحلَى من صيدِ الوحش.

(٨) أي يشتدُّ عليه الذَّمُّ وهو سَمُّ الكلام، « وقشَّبَ السمَّ » إذا خلَطَه بغيره، والسَّمُّ مُقشَّب، والذي يُسقاه مُقَشَّب أيضاً.

(١٠) قال النحارزنجي: إذا سئل من يرحل بمدحه إلى ممدوح فيقال له إلى من ترحل به عيي جواباً إذ لا مناهل للمدح بعد خالد، ويا عيى ممدوحٍ بعده..

(١٣) جعل الرَّاعدةَ دَجَّالة لأنها كاذبةٌ لا مطرَ فيها، والناسُ إذا وصفوا الكذَّاب بالمبالغة قالوا كَذَّاب دَجّال، و« الدَّجال » الذي يُغطِّي الحقَّ بكذبه.

(١٥) أي اضطرب مَتنُ الأرضِ يومَ ماتَ خالد.

(١٦) « غير راكد » لأنهم يُغزون فيركبون في كل وقت ولا يسكنون.

(١٨) يقال عِرْق عانِد إذا لم يَرْقَأْ.

(١٩) « الجاحد » والجَحَدِ الضيِّق، وجاء بالألف كما قالوا سَلِس وسالس، قال الراجز: =

٢٠ علی أيِّ عِـرْنِيـنٍ غُـلِبْنـا ومـارِنٍ وأَيَّـةُ كَـفٍّ فـارَقَـتْـنـا وسـاعِـدِ!

٢١ كـأَنَّـا فَقـدْنـا أَلْفَ أَلفِ مُـدَجَّـجٍ على أَلْفِ أَلفٍ مُقْـرَبٍ لا مُبَـاعَـدِ

٢٢ فيـا وَحْشَـةَ الـدُّنيا وكـانَتْ أنيسَـةً وَوَحـدَةَ مَنْ فيهـا لِمَصْـرعِ واحِـدِ!

٢٣ مضَتْ خُيَلاءُ الخيْلِ وانصَرَفَ الرَّدَى بـأنـفَسِ نَفْسٍ مِـنْ مَـعَـدٍّ وَوَالِـدِ

٢٤ فـأَيْنَ شِفَـاءُ الثَّغْـرِ أينَ إذا القَنَـا خطَرْنَ على عُضْوٍ مِنَ المُلْكِ فاسِدِ؟

٢٥ وأينَ الجِـلادُ الهَبْـرُ إذْ لـيسَ سَيِّـدٌ يَقِي جِلْدَةَ الأحسَابِ إنْ لم يُجالِـدِ؟

٢٦ ومَنْ يَجْعَـلِ السُّلطانَ حَبْـلَ وَرِيـدِهِ ومَنْ يَـنظِمِ الأطرَافَ نَـظْمَ القَلائِـدِ؟

٢٧ ومَنْ لم يَكنْ يَنفَـكُّ يـغبِقُ سَيْفَـهُ دَمـاً عـانِـداً مِنْ نَحْـرِ لَيْثٍ مُعَـانِـدِ؟

٢٨ بِنَفْسـيَ مَـنْ خَطَّـتْ رَبيعـةُ لَحْـدَه ولا زالَ مُهتَـزَّ الرُّبَـى غيـرَ هـامِـدِ

٢٩ أقام به مِـنْ حيٍّ بَكْـرِ بـنِ وائـلٍ هَنِيَّ النَّدَى مُخضَـرَّ إثْـرَ المَـواعـدِ

٣٠ فماذا حوَتْ أكفـانُـه مِـنْ شمـائـلٍ مَنـاهِـلَ أعـدادٍ عِـذَابَ المَـوَارِدِ!

٣١ خلاَئِقُ كانَتْ كـالثُّغُـورِ تُخـرِّمَـتْ وكـانَ عليهـا واقِفـاً كـالمُجَـاهِـدِ

٣٢ فكَمْ غالَ ذَاكَ التُّرْبُ لي ولِمَعْشَـرِي وللناسِ طُرّاً مِنْ طَـرِيـفٍ وَتـالِـدِ!

٣٣ أَشيْبَـانُ لا ذَاكَ الهلالُ بِطـالِـعٍ علينـا ولا ذاكَ الغَمـامُ بعَـائِـدِ

٣٤ أَشَيْبَانُ ما جَدِّي ولا جَـدُّ كَـاشِحٍ ولا جَدُّ شيءٍ يَـوْمَ وَلَّـى بصـاعِـدِ

= مَمْكُورَةٌ تحتَ الوِشَاحِ السَّالِسِ
تَفترُّ عن ذِي أُشُرٍ عُضَارِسِ

(٢٠) « العِرْنين » ما بين العينَيْن من الأنفِ، و« المارن » طرفُه اللَّين، يقال عَلَبَه إذا أثَّرَ فيه، فهذا على رواية مَن روى « عُلِبنا » بالعين ومَن روى « غُلِبنا » فهو أبلغُ في التأبين.

(٢١) « المُقْرَب » من الخيل يُقرَّب من بيت صاحبِهِ لكرمه عليه، وقيل أكثرُ ما يُستعمل ذلك في الإناث. وإن أُضِيف « ألف » إلى « مُقْرَب » صار في البيت زحاف، وقد جاءَ الطائي بمثل ذلك، وإن نُوِّن « ألف » جُعل « مُقْرَب » نعتاً له لأن « الألْفَ » مُذكَّر.

(٢٥) يُقال هَبَّرَه بالسيف إذا ضربَه فألقَى قطعةً من اللحم.

(٣٠) [الأعداد: جمع العد، وهو الماء الذي لا ينضب].

(٣٤) « ولا جَدّ كاشحٍ » لأنه كان ينتفع بماله ونُصرتِهِ وذَبِّه عنه وإن لم يكن صَديقاً.

٣٥ أَشَيْبَانُ عَمَّتْ نارُها مِنْ مُصِيبةٍ ... فَما يُشْتَكَى وَجْدٌ إلى غيرِ وَاجِدِ

٣٦ لإنْ أقرَحَتْ عَيْنَيْ صَدِيقٍ وصاحِبٍ ... لقَدْ زعزعَتْ رُكْنَيْ عَدُوٍّ وحاسِدِ

٣٧ لئِنْ هي أهدَتْ للأقاربِ تَرحَةً ... لقَدْ جَلَّلَتْ تُرْباً خُدُودَ الأباعِدِ

٣٨ فما جانِبُ الدُّنيا بِسَهلٍ ولا الضُّحَى ... بطَلْقٍ ولا ماءُ الحَيَاةِ بِبارِدِ

٣٩ بَلَى وأبِي إنَّ الأميرَ محمّداً ... لَقُطبُ الرَّحَى مِصْباحُ تلكَ المَشَاهِدِ

٤٠ حَمِدْتُ اللَّيالي إذ حَمَتْ سَرْحَنا بِهِ ... ولستُ لها في غيرِ ذاكَ بحَامِدِ

٤١ عليهِ دَليلٌ مِنْ يَزيدَ وخالِدٍ ... ونُورَانِ لاحَا مِنْ نِجارٍ وشَاهِدِ

٤٢ مِنَ المُكرِمينَ الخَيْلَ فيهمْ ولم يكنْ ... لِيُكْرِمَها إلاَّ كِرَامُ المَحاتِدِ

٤٣ أخُو الحَرْبِ يكْسُوها نَجيعاً كأنَّما ... مُتُونُ رُبَاها منهُ مِثْلُ المَجَاسِدِ

٤٤ إذَا شَبَّ ناراً أقعَدتْ كلَّ قائمٍ ... وقامَ لها مِنْ خَوْفِهِ كُلُّ قاعِدِ

٤٥ فَقُلْ لِمُلوك السِّيسجان ومَنْ غَدَا ... بأَرَّانَ أو جُرْزانَ غيرَ مُناشِدِ

٤٦ ألا القُوا مَقاليدَ البِلادِ وَهَلْ لها ... رِتَاجٌ فَيُلْقِي أهلُها بالمقَالِدِ؟!

٤٧ ولا يُغْوِكم شَيْطانُ حَرْبٍ فإنَّه ... مَعَ السَّيفِ يَدْمَى نَصْلُه غيرُ مَارِدِ

٤٨ ولا تَفْتَرِقْ أعناقُكم إنَّ حَوْلَها ... رُدَيْنِيَّةً يَجمَعْنَ هامَ الشَّوارِدِ

٤٩ وما كَثُرتْ في بلدةٍ قِصَدُ القَنَا ... فَتُقْلِعَ إلَّا عنْ رقابٍ قَواصِدِ

187

وقال يَرثي بعضَ بني حُمَيد في مَرْثِيَّةِ أبي الفَضْل الحُمَيْدي [من البسيط] :

١ لَوْ صَحَّحَ الدّمْعُ لي أوْ ناصَحَ الكَمَدُ ... لقلَّما صَحِبانِي الرُّوحُ والجَسَدُ

٢ خانَ الصَّفَاءَ أخٌ كانَ الزمانُ لهُ ... أخاً فلم يتخَوَّنْ جسمَه الكَمَدُ

٣ تساقُطُ الدَّمعِ أدنَى ما بُليتُ بهِ ... في الحُبِّ إذْ لم تَساقَط مُهجة ويَدُ

(٤٩) « قِصَد القَنا » كِسَرُها ، و« قَوَاصد » مِنْ قولهم قَصَدَ إذا عَدلَ.

(٣) (ع): « أدنى ما ادَّرَيْتُ بهِ في الوَجْد » إذا صَحّت الرواية فمعنى « ادّريت » يحتمل أن يكون من =

٤ لا والذي رَتكتْ تَطْوِي الفِجَاجَ لـهُ سَفائِنُ البَـرِّ فـي خَـدِّ الثَّـرَى تَخِـدُ

٥ لأنْفَـدَنَّ أسًـى إذْ لـم أَمُـتْ أَسَفـاً أو ينفَدُ العمـرُ بـي أو يَنفَـدُ الأبَـدُ

٦ عني إليكِ فـإنِّـي عنـكِ فـي شُغُـلٍ لي مِنـهُ يَـوْمٌ يُبَكِّـي مُهْجَتـي وغَـدُ

٧ وإنَّ بُجْـرِيَّـةً نـابَـتْ جَـأَرْتُ لهـا إلى ذُرى جلَدِي فاستَـوهـلَ الجَلَـدُ

٨ هِيَ النَّوائِبُ فاشجَـيْ أَوْ فَعِـي عِظَـةً فـإنَّهـا فُـرَصٌ أثْمَـارُهـا رَشَـدُ

٩ هُبِّـي تَـرَيْ قَلَقـاً مِـنْ تحتِـه أرَقٌ يَحْدُوهما كمَـدٌ يَحْنُـو لـه الجَسَـدُ

١٠ صَمَّاءُ سَمُّ العِدَى في جَنْبِها ضَـرَبٌ وشُربُ كأسِ الرَّدى في فَمِّها شُهُـدُ

= الدريَّة التي يَستتر بها الرّامي، أي أدنى ما استترتُ به من الحزن، ويجوز أن يكون في معنى [افتعَلَ] من دريتهُ إذا ختلتَه، كأنه يختِلُ الحُزْنَ بالدّمْع وهو قريب من الأوّل، ويجوز أن يكون من الدّرْء وهو الدمع فحذف الهمزة.

(٧) «بُجْريّة» منسوبة إلى البُجَارَى وهي الدَّواهي، و«البُجْرية» الأمر العظيم، كأنها نُسبَتْ إلى البُجْر، يقال أمرٌ بُجْر أي عظيم، قال الجعدي:

جـاءَتْ بنـو البَـرْشَـاءِ يَقْـدُمهـا أمْـرُ الشِّقـاقِ وخُطَّـةٌ بُجْـرُ

وقال الراجز:

ما عُذْري والأمْرُ أمْرٌ بُجْرُ
والقَوْسُ فيها وتَرٌ حِبَجْرُ؟

وإذا جمعوا قالوا البُجَاري بالتخفيف والتشديد، قال الشاعر:

إذا قلـتُ إنَّ اليـومَ يـومُ خُصُلَّـةٍ لِأَشْـزَنَ لاقيـتُ الأمـورَ البُجَـارِيَـا

وقال آخر:

إذا أتانا خَبَرٌ بُجْرِيُّ
ظُلْمٌ لعمرُو الله عَبْقريُّ
قالتْ قريشٌ كلنَّا نبيُّ!

و«جأَرْتُ» رفعتُ الصوت.

(١٠) [ع] إن رويت «في فَمِها» بالتخفيف صار في البيت زحاف، وقلَّما يستعمل الشعراءُ مثلَه، وهو عندهم جائز، وإن شدَّدتَ الميم بَطُلَ الزِّحَاف، إلاَّ أنَّ التخفيف أجزلُ في اللفظ. [ص] يعني أنَّ الوقعة التي تَلِف فيها داهية، إلاَّ أنه صار إلى الجنَّة لأنه قُتل في وقعة بابَك فصار غِبُّ الأمرِ مَنفعةً. =

١١ هُناكَ أُمُّ النُّهَى لم تُودِ مِنْ حَزَنٍ ولم تَجُدْ لبني الدُّنْيا بما تَجِدُ

١٢ لو يَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمي بالزَّمانِ وما عاثَتْ يَداه لما ربَّوا ولا ولَدُوا

١٣ لا يُبْعِد اللهُ مَلْحُوداً أقامَ بهِ شَخْصُ الحِجَى وسَقاهُ الواحدُ الصَّمَدُ

١٤ يا صاحِبَ القَبْرِ دَعْوَى غيرِ مُتَّئِبٍ إنْ قالَ أودَى النَّدَى والبدرُ والأسَدُ

١٥ باتَ الثَّرَى بأخي جَذْلان مُبْتَهِجاً وبِتُّ يَحْكُمُ في أجفانيَ السُّهُدُ

١٦ لَهْفي عليكَ وما لَهْفي بمُجدية ما لم يَزُرْكَ بنفسي حَرُّ ما أَجِدُ

١٧ أنسَى أبا الفَضْلِ يَعْفُو التُّرْبُ أحسنَه دُوني ودَلْوُ الرَّدَى في مائِهِ يَرِدُ؟!

١٨ وَيْلٌ لأُمِّكَ أقصِرْ إنَّه حَدَثٌ لم يَعتقدْ مِثْلَه قَلْبٌ ولا جَلَدُ

١٩ عاقَ الزَّمانُ رَضِيعَ الجُودِ لم يَقِهِ أهلٌ ولم يَفْدِهِ مالٌ ولا وَلَدُ

٢٠ حينَ ارتَوى الماءَ وافْتَرَّتْ شبيبتُه عن مُضحِكٍ للمعَالي ثَغْرُه بَرَدُ

٢١ وقِيلَ أحمدُها بَلْ قيلَ أمجدُها بلْ قِيلَ أنجدُها إنْ فُرِّتِ النُّجُدُ

٢٢ رُودُ الشَّبابِ كنَصْلِ السَّيفِ لا جَعَدٌ في راحَتَيْهِ ولا في عُودِهِ أوَدُ

٢٣ سَقَى الحَبيسَ ومَحْبُوساً بِبَرْزَخِهِ مِنَ السَّمِيِّ كَفيتُ الوَدْقِ يَطَّرِدُ

٢٤ بِحيْثُ حلَّ أبو صقر فودَّعَه صفْوُ الحياةِ ومِنْ لَذَّاتِها الرَّغَدُ

٢٥ بحيثُ حَلَّ فَقِيدُ المَجْدِ مُغتَرباً ومُورِثاً حَسَراتٍ ليسَ تُفْتَقَدُ

= ويُروى «صَمّاءُ صُمٌّ الصَّدا» و«صُمٌّ العِدَى» أجود.

(١١) [ص] «أُمُّ النُّهَى» مَثَل، يُريد العُقَلاءَ من الرجال، أي لم يجودوا له من الحُزْنِ بمقدار ما وِجدوا به.

(٢٣) «البَرْزخ» الحاجز بين الشيئين، وقيل للقبر بَرْزخ لأنه بين الدُّنيا والآخرة. و«الكَفِيتُ» السريع «الحَبِيس» أخوه، محبوسٌ على الحُزن، و«المحبوس ببرزخِه» يريد الميّت.

قافية الرّاء

188

وقال يَرثي مُحمّد بنَ حُمَيد الطائي [من الطويل] :

١ كَذا فَلْيَجِلَّ الخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْـرُ … فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ مـاؤُهـا عُـذْرُ

٢ تُـوفِّيَـتِ الآمـالُ بعـدَ مُحمَّـد … وأصبحَ في شُغْلٍ عنِ السَّفـرِ السَّفْـرُ

٣ وما كـانَ إلّا مـالَ مَـنْ قَـلَّ مـالُـهُ … وذُخْراً لِمَنْ أمسَى وليسَ لـه ذُخْـرُ

٤ وما كانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّـهِ … إذا مـا استهلَّـتْ أنَّـه خُلِـقَ العُسْـرُ

٥ ألا في سَبيـلِ اللهِ مَـنْ عُطِّلَـتْ لـه … فِجَـاجُ سَبيـلِ اللهِ وانثغَـرَ الثَّغْـرُ

٦ فَتًـى كُلَّمـا فـاضَـتْ عُيـونُ قَبيلَـةٍ … دَماً ضَحِكَتْ عنه الأَحادِيثُ والذِّكْـرُ

٧ فَتًى ماتَ بينَ الضَّرْبِ والطَّعْنِ مِيتَـةً … تَقُومُ مَقَامَ النَّصْـرِ إذْ فـاتَـه النَّصْـرُ

٨ وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضْـرِبُ سَيْفِـهِ … مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْـرُ

٩ وقد كانَ فَوْتُ المَـوْتِ سَهْلًا فـردَّهُ … إليه الحِفـاظُ المـرُّ والخُلُـقُ الوَعْـرُ

١٠ ونَفْسٌ تَعَـافُ العَـارَ حتَّـى كـأنَّـه … هوَ الكُفْرُ يومَ الرَّوعِ أَوْ دُونَه الكُفْـرُ

١١ فأثبتَ فـي مُسْتَنقَـعِ المَـوْتِ رِجْلَـه … وقالَ لها مِنْ تحت أَخْمُصِكِ الحَشْـرُ

---

(١) قوله « فليجلَّ » يجوز بكسر اللام وفتحها ، والكسر أجود .

(٩) [ع] هذا مِثْل قول الآخر :

ولـو أنَّهـم فـرُّوا لكـانُـوا أعِـزَّةً … ولكـنْ رأوْا صَبْـراً على المـوتِ أكـرَمَـا

وجعل له خُلُقاً وَعْراً على أعدائه، وليس يُحمد الرجلُ بوعارة الخُلق إلاَّ عند المُضارّة والمُشارَّة كما قال المازنيّ :

تُعـاتبنـي فيمـا تَـرى مـن شَـراستـي … وشِـدَّةِ نفسـي أمُّ سَعْـدٍ ومـا تـدري

فقلـتُ لهـا إنَّ الكـريـمَ وإن حَلاَ … لَيُـوجَـدُ أحيـانـاً أمـرَّ مِـن الصَبْـرِ =

١٢	غَـدَا غَـدْوَةً والحَمْـدُ نَسْجُ رِدائِـهِ	فلم يَنْصَـرِفْ إِلَّا وأكفـانُـه الأجْـرُ
١٣	تَردَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْراً فما أَتَـى	لها الليلُ إِلَّا وهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْـرُ
١٤	كـأَنَّ بَنِـي نَبْهَـانَ يَـومَ وَفـاتِـه	نُجومُ سَماءٍ خَـرَّ مِـنْ بَيْنِها البَـدْرُ
١٥	يعَزَّوْنَ عـن ثَـاوٍ تُعَـزَّى بـهِ العُلـى	ويَبكِي عليهِ الجُودُ والبـأْسُ والشِّعْـرُ
١٦	وأَنَّى لَهُـمْ صَبْـرٌ عليـه وقـد مَضَـى	إلى المَوْتِ حتَّى استُشْهِدَا هوَ والصَّبْرُ!
١٧	فتًى كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا مِنْ غَضاضَـةٍ	ولكـنَّ كِبْـراً أَنْ يُقـالَ بـهِ كِبْـرُ!
١٨	فَتًى سَلَبَتْهُ الخيـلُ وهْـوَ حِمًـى لهـا	وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْـوَ لهـا جَمْـرُ
١٩	وقَدْ كانتِ البِيضُ المآثيرُ في الوَغَـى	بَـواتِـرَ فهْـيَ الآنَ مِـن بَعْـدِهِ بُتْـرُ
٢٠	أَمِنْ بَعْدِ طَـيِّ الحَـادِثَـاتِ مُحمَّـداً	يَكُونُ لِأَثوابِ النَّدَى أَبـداً نَشْـرُ؟!
٢١	إِذَا شَجَرَاتُ العُرْفِ جُذَّتْ أُصُولُهـا	فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضْـرُ؟

= وهو مثل قول الأوّل:

وكـالسَّيْـفِ إنْ لايَنْتَـه لانَ مَتْنُـه ... وَحَـدَّاهُ إن خـاشَنْتَـه خَشِنَـان

(١٧) [ع] نصبَ «كِبْراً» على أحد وجيهن: إمّا أن يكون نصبَه بـ«لكنّ» وجعل اسمَها نكرةً والخَبَر محذوفاً، وإمّا أن يكون أضمَر في «لكنَّ» كما يُضمر في «أنّ» و«لكنَّ» و«كأنَّ» و«ليتَ»، ونصبَ «كِبْراً» على أنه مفعول له، كأنه قال فتى تَعذُب روحُه لا من غضاضةٍ ولكنها تَعذُب لتكبُّره عن الكِبْر، قال عَدِيُّ بن زيد فأضمرَ في ليتَ:

فليـتَ دفَعـتَ الهـمَّ عنِّـي سـاعـةً ... فتُمسِـي علـى خَيِّلـتَ نـاعـمَ بـالِ

(١٨) (ع): «الخيلُ وهو جَمالُها». (س) «حِمًى لها»، و«جمالها» أيضاً. إذا رويتَ «سُلِبتْه» بضم السين على ما لم يُسَّم فاعله فيجب أن يُروى و«بُزَّتْه» بضم الباء لتكون الجملة الثانية مثل الأولى، وإن رُوي «سَلبتْه» و«بَزّتْه» بالفتح فهو معنًى صحيح، وإنما يُريد أنَّ بعض الخيل الذي سَلَبه، وهذا كما تقول قتلَ الناسُ فلاناً وكان جمالاً لهم وإنما قتله واحدٌ منهم.

(١٩) ويُروى «البيض البواتر» و«البيض المباتير» [ع] و«المآثير» جمع مأثور وهو الذي فيه الأثر وهو الفرند، و«بواتر» أي قواطع، و«البُتْر» التي لا أذنابَ لها في الأصل، وإنما أراد هاهنا انقطاعَ البقيّة وقلّةَ الخير، ولذلك قيل لِلعَيْر والعَبْد الأبتران، وإن ذهب ذاهبٌ إلى أنه جعلَ هذا المرثيَّ ابناً لِلبيض البواتر فلمّا هلكَ صارتْ بُتْراً أي لا ولدَ لها مِن قوله تعالى: «إنَّ شانِئَكَ هو الأبتر» أي الذي يَنقضبُ ذِكرهُ ولا يبقى له ثناء فذلك مَذْهب.

٢٢ لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهْـرُ الخَـؤُونُ لِفَقْـدِهِ ... لَعَهْدِي بهِ مِمَّـنْ يُحَـبُّ لـه الدَّهْـرُ
٢٣ لَئِنْ غَـدرَتْ فـي الرَّوْعِ أَيَّـامُـه بـهِ ... لَمـا زَالتِ الأَيَّـامُ شِيمتُهـا الغَـدْرُ
٢٤ لَئِـنْ أُلبِسَـتْ فيـهِ المُصِيبَـةَ طَـيِّءٌ ... لَمَـا عُـرِّيَـتْ منهـا تَمِيـمٌ ولا بَكْـرُ
٢٥ كـذلـكَ مـا نَنفَـكُّ نَفْقِـدُ هـالِكـاً ... يُشارِكُنا في فَقْـدِهِ البَـدْوُ والحضْـرُ
٢٦ سَقَى الغَيْثُ غَيْثاً وارَتِ الأَرضُ شَخْصَه ... وإنْ لم يَكُنْ فيهِ سَحَـابٌ ولا قَطْـرُ
٢٧ وكيفَ احتِمالـي للسّحـابِ صَنِيعَـةً ... بإسقائِها قَبْراً وفي لَحـدِهِ البَحْـرُ؟!
٢٨ مَضَى طاهِرَ الأثوابِ لم تَبْقَ رَوْضَـةٌ ... غَـداةَ ثَـوَى إِلَّا اشتَهـتْ أَنَّهـا قَبْـرُ
٢٩ ثَوَى في الثَّرَى مَنْ كانَ يَحيا به الثَّـرَى ... ويَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْـرِ نـائِلُـهُ الغَمْـرُ
٣٠ عليــكَ سَلامُ اللهِ وَقْفــاً فــإنَّنــي ... رَأيتُ الكريـمَ الحُـرَّ ليسَ لـه عُمْـرُ

189

وقال يُعَزِّي نُوحَ بنَ عمرو بن نُوحِ بن حُوَيّ بابنه [من الطويل] :

١ عَزَاءً فلَمْ يَخْلُـدْ حُـوَيٌّ ولا عَمْـرُو ... وهَلْ أَحَدٌ يَبْقَى وإنْ بُسِـطَ العُمْـرُ؟
٢ سَيأكُلنا الدَّهْرُ الذي غالَ مَـنْ نَـرى ... ولا تَنقضِي الأشياءُ أَوْ يُؤْكَلَ الدَّهْـرُ
٣ وأكثَـرُ حـالاتِ ابـنِ آدمَ خِلْقَـةٌ ... يَضِلُّ إذا فَكَّرْتَ في كُنْهِهـا الفِكْـرُ
٤ فيفْـرَحُ بـالشَّيءِ المُعَـارِ بَقَـاؤُهُ ... ويَحْزَنُ لَمَّا صَارَ وهْـوَ لَـهُ ذُخْـرُ!
٥ عليكَ بثَـوْبِ الصَّبْـرِ إذْ فيـهِ مَلْبَسٌ ... فإنَّ ابنكَ المحمودَ بعدَ ابنِكَ الصَّبْـرُ
٦ وما أوحَشَ الرَّحمـنُ سـاحَـةَ عَبْـدِهِ ... إذَا عايَـنَ الجُلَّـى ومُـؤْنِسُـهُ الأَجْـرُ

(٢) [ع] المعنى أنَّ الدهر لا يخلو من الآفات، من غوائل وَصُروف، حتى يُعدَم، فإن عُدِمَ جازَ أن يخلوَ من الآفات.

(٣) [ع] المعنى يَصِحُّ على «خِلْقة» و«خِلْفة» فإذا رويت بالقاف فالمعنى أنَّ حالات ابن آدم طَبْعُه وخِلقتُه التي جُبِلَ عليها يَضِلُّ المعقولُ في كُنهها أي في معناها، وإذا رويت «خِلْفة» بالفاء فالمعنى أنَّ حالات ابن آدمَ مختلفة.

قافية العين

190

وقال يَرثي ابنَ نُوح بن عمرو بنِ حُوَيّ [من الطويل] :

١ أنُـوحَ بنَ عمروٍ إنَّ مـا حُمَّ وَاقِـعُ ... ولـلأجْنُبِ المُسْتَعلَيـاتِ مَصَـارِعُ

٢ ألَمْ يُختَـرمْ عَمْروٌ وعَمْـروٌ فـودَّعـا ... ولاقَى الحُـوَيَّـانِ المَنَـايا ومـاتِـعُ!

٣ فَصَبْراً فَفِي الصَّبْـرِ الجَلالَـةُ والتُّقَـى ... ولا إثْـمَ إنْ خُـبِّـرْتُ أنَّـكَ جَـازِعُ

٤ فقـدْ يـأجُـرُ اللَّهُ الفَتَى وهْـوَ كـارِهٌ ... ومـا الأَجْـرُ إلاّ أَجْـرُهُ وهْـوَ طـائِـعُ

191

وقال يَرثي بني حُمَيْدِ بن قَحْطَبة [من البسيط] :

١ أيُّ القُلُوبِ عـليكـمْ ليسَ يَـنصَـدِعُ ... وأيُّ نَـوْمٍ عـليكـمْ ليسَ يَـمْتَـنِـعُ؟

٢ مـا غَابَ عنكُمْ مِنَ الإقـدَامِ أكـرَمُـهُ ... في الرَّوْعِ إذْ غابتِ الأنصَـارُ والشِّيَعُ

٣ بَنِي حُـمَيْـدٍ بـنَفْسِي أعـظُمٌ لَـكُمُ ... مَـهْـجُـورَةٌ ودِمـاءٌ مـنـكُـمُ دُفَـعُ

٤ يَنتَجعُـونَ المَنـايَـا في مَنَـابِـتهـا ... ولَمْ تَكُنْ قَبْلَهم في الـدَّهْـرِ تُنتَجَـعُ

٥ كـأنّمـا بِهِـمُ مِـنْ حُبّهـا شَـرَةٌ ... إذا هُمُ انْغمسوا في الرَّوْعِ أو جَشَـعُ

٦ لَـوْ خَـرَّ سَيْفٌ مِنَ العَيُّـوقِ مُنْصَلِتاً ... مـا كـانَ إلاّ على هَـامـاتِهِمْ يَقَـعُ

٧ إذَا هُمُ شَهِـدُوا الهَيْجَـاءَ هـاجَ بِهِمْ ... تَغَـطْرُفٌ في وُجـوهِ المَـوْتِ يَطَّلِعُ

---

(١) [حُمَّ : قُدِّر].

(٢) [الحويّان : نسبة إلى حويّ، عائلة الميت].

(٧) [ع] «تَغَطْرُفٌ» من الغِطْرِيف وهو السخيّ، وقد قيل إنه السريع، والمعنى متقارب، فيجوز أن =

٨ وأَنْـفُسٌ تَسَـعُ الأَرضَ الـفَضَـاءَ ولا يَـرْضَوْنَ أَوْ يُجشِمُـوها فـوقَ ما تَسَعُ

٩ بِـوُدِّ أعـدائِـهِـمْ لـو أنَّـهُـمْ قُـتِلُوا وأَنَّهُمْ صَنعُـوا بعضَ الـذي صَنعُـوا

١٠ عَهْـدِي بهمْ تَسْتَنِيرُ الأرضُ إنْ نَـزلوا فيهَـا وتَجتَمِـعُ الـدُّنْيـا إذا اجتمعـوا

١١ ويَضْحَـكُ الدَّهْـرُ منهمْ عنْ غَـطارِفَةٍ كَـأَنَّ أَيَّـامَـهمْ مِـنْ أُنسِـهـا جُمَـعُ

١٢ يـومَ النَّبـاجِ لقـد أبقيـتَ نـابِجـةً أحشاؤنـا أبـداً مـنْ ذِكْـرِهـا قِطَـعُ

١٣ مَنْ لَم يُـعَـايِنْ أَبـا نَـصْـرٍ وقـاتِله فما رَأى ضَبُعـاً في شِـدْقِهـا سَبُـعُ !

١٤ فِيمَ الشَّمَـاتَـةُ إعـلانـاً بـأُسْـدِ وَغًى أفنـاهُمُ الصَّبْـرُ إذْ أبقـاكُمُ الجَـزَعُ؟!

١٥ لا غَـرْوَ إنْ قُتِلُوا صَبْـراً ولا عَجَـبٌ فـالقَتْلُ لِلصَّبْـرِ في حُكْمِ القَنـا تَبَعُ

192

وقال يَرثي إدريسَ بن بَدر الشامي القُرشي [من الطويل] :

١ دُمُـوعٌ أجـابَتْ دَاعيَ الحُـزْنِ هُمَّـعُ تَـوصَّـلُ مِـنَّـا عَنْ قُـلُوبٍ تـقـطَّعُ

٢ عَفـاءٌ على الـدُّنْيـا طَـوِيـلٌ فـإنَّهـا تُفَـرِّقُ مِنْ حيثُ ابتَـدَتْ تَتَجمَّـعُ!

= يُحمل على أنهم يسخون بنفُوسهم للموت، وأن يُحمل على السرعة، والمعنى أنهم يتسرعون إلى الحُتوف، وقد دَلّ كلامُهم على أنَّ «الغِطريف» الشابُّ، فيجوز أن يُحمل ذلك على أنْ مَن فيه شبابٌ يَتسرّع إلى الحرب والكرم.

(١٠) [ع] «تَستِنيرُ الأَرضُ» من النُّور، ومَن روى «تَستسِرُّ» فهو من السِّرار كأنهم يسترونها بالجُيوش. و«تجتمع الدنيا إذا اجتمعوا» يحتمل أن يعني اجتماع صُنوف الخير الذي يُطلب من الدنيا، وقيل إنما يعني الوُفود لأنه يُوفَد عليهم من كلِّ وجه وكأَنَّ أهلَ الأقطار يجتمعون عندهم. (س) «تَستَديرَ الأَرض» و«تَستَنِيرُ».

(١١) [الغطارفة: جمع الغطريف وهو الفتى الجميل، والسَّيِّد، والسَّخيّ الكريم].

(١٢) [ع] «النَّبَاج» موضع، وزعم بعضُ الناس أنَّ الآكام يقال لها النِّباج، والنابِجة أصلُها مِن نَبَج إذا صاحَ، ويُقال رجل نَبّاج إذا كان شديدَ الصوت.

(١) و(٢) قوله «هُمَّعُ» أي سائلةٌ تتصل ولا تنقطع من أجل قُلُوبٍ تتقطَّع حُزْناً [ص] وقوله: «مِن حيثُ ابتدتْ تَتَجمّعُ» أي إذا كَمُلَتْ نَقصتْ.

٣ تَبـدَّلَتِ الأشيـاءُ حتَّى لَخِلْتُهَـا سَتَثْنِي غُرُوبَ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطلعُ!
٤ لهَـا صَيْحَةٌ في كـلِّ رُوحٍ ومُهْجَةٍ ولَيسَتْ بشيءٍ ما خَلا القَلْبَ تُسمِعُ
٥ أإدرِيسُ ضَـاعَ المَجْـدُ بعـدَكَ كلُّه وَرَأْيِ الـذي يَرجـوه بعدكَ أضيَـعُ
٦ وغُـودِرَ وَجْـهُ العُـرْفِ أسـوَدَ بَعْـدَما يُـرَى وكـأنَّـهُ كَـعَـابٌ تَـصَـنَّـعُ
٧ وأصبـحَـتِ الأحـزَانُ لا لِـمَـبـرَّةٍ تُـسـلِّمُ شَـزْراً والـمَـعَـالـي تُـوَدِّعُ
٨ وَضَلَّ بِكَ المُـرْتَادُ مِنْ حيثُ يَهتـدِي وضَـرَّتْ بـكَ الأَيَّامُ مِنْ حيثُ تَنفـعُ
٩ وأضحَتْ قَرِيحات القُلوبِ مِنَ الجَوَى تُـقـاظُ ولكـنَّ الـمَـدَامِـعَ تُـرْبَـعُ
١٠ عُيُـونٌ حَفِـظْنَ اللَّيْـلَ فيـكَ مُجَـرَّماً وأعـطَيْنَـه الـدَّمْـعَ الـذي كـانَ يُمْنَعُ
١١ وقـد كانَ يُـدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حـازِماً فقَـدْ صارَ يُـدْعَى حَازِماً حينَ يَجْزَعُ
١٢ وقـالَتْ عَـزاءً ليسَ لِلمَـوْتِ مَـدْفَـعٌ فقلتُ ولا للحُـزْنِ لِلمَـوْتِ مَـدْفَـعُ
١٣ لإدريسَ يَـوْمٌ مـا تَـزَالُ لِـذِكْـرِهِ دُمُـوعٌ وإنْ سَكَّـنْـتَـهـا تَـتَـفـزَّعُ
١٤ ولمَّـا نَضَـا ثَـوْبَ الحيَـاةِ وأوقَعتْ بـهِ نـائِبـاتُ الـدَّهْـرِ مـا يُتَـوقَّـعُ
١٥ غَـدا ليسَ يَدْرِي كيفَ يَصْنَعُ مُعْدِمٌ دَرَى دَمْعُـهُ في خَـدِّهِ كيفَ يَصْنَـعُ!
١٦ ومـاتَتْ نُفُـوسُ الغَـالِبِيِّـينَ كُلِّهِمْ وإلّا فَـصَبْـرُ الـغـالِبِيِّـيـنَ أجـمَـعُ
١٧ غَـدَوْا في زَوايـا نَعْشِـه وكـأنَّمـا قُـرَيْشٌ قُـرَيْشٌ يـومَ مـاتَ المُجمِّـعُ

---

(٦) [الكعاب : الفتاة التي نهد ثديها . تصنّع : تتجمَّل] .

(٩) « تُقَاظ » من القَيْظ (ع) : « تُصَافُ » أي يكونَ فيها حَرّ ، وقد يجوز أن يعني أنها مُطِرت مَطَراً حارّاً لأن بعضَ المطر يُسمَّى حَمِيماً ، وإذا كان في الصيف يُسمّى صَيِّفاً ، وألاّ يكون ثَمَّ مطرٌ أجود . « وتُرْبَعُ » أي يُصيبها مطرُ الربيع ، وإنَّما يعني الدّمع .

(١٠) و« أعطينكَ » أيضاً . أي لم تَنمْ طُولَ الليل هذه العُيون . و« مُجرَّماً » تامًّا .

(١٥) (س) ويروى « دمعه مِن وَجْده » . (العبدي) : « ذَرَى دمعَه » .

(١٦) و« بانَتْ » . أي وإلاّ فصبْر الغالبيّين ماتَ أجمع فلم يبقَ لهم صبر .

(١٧) [ص] « المُجمِّع » هو قُصَيٌّ بنُ كُلاب بن مُرَّةَ بنُ كعب بن لُؤيّ بنن غالب لأنه جمعَ أمرَ قريش ، قال الشاعر :

أبـونـا قُصَـيٌّ كـان يُـدْعَـى مُجمِّعاً بـه جمـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ =

١٨ ولَمْ أنْسَ سَعْيَ الجُودِ خَلْفَ سَرِيرِه بـأكْسَفِ بـالٍ يَسْتَقِيمُ ويَـظْلَعُ
١٩ وتَكْبِيـرهُ خَمْسـاً عليـه مُعَـالِنـاً وإنْ كـانَ تَكبيـرَ المُصَلِّينَ أَرْبَـعُ
٢٠ ومـا كنتُ أدْرِي ـ يَعلَمُ اللّه ـ قبلَهـا بـأَنَّ النَّـدَى في أهْلِه يَتشَيَّـعُ
٢١ وقُمْنـا فَقُلْنا بعـدَ أنْ أُفرِدَ الثَّـرَى بـهِ مـا يُقـالُ في السَّحـابةِ تُقْلِعُ
٢٢ أَلَمْ تَـكُ تَرْعـانا مِنَ الـدهْرِ إن سَطَا وتَحفَظُ مِـنْ آمـالِنـا مـا يُضَيَّـعُ!
٢٣ وتَـلبَسُ أخـلاقـاً كـرامـاً كـأنَّهـا على العِرْضِ مِنْ فَرْطِ الحصَانةِ أدرُعُ!
٢٤ وتَبْسُطُ كفّـاً في الحُقُـوقِ كَـأنَّـمـا أنـامِلُهـا في البـأسِ والجُـودِ أذْرُعُ!
٢٥ وتَـرْبطُ جَـأْشـاً والكُمَـاةُ قُلوبُهـمْ تَزَعْزَعُ خَوْفاً مِـنْ سُيُوفٍ تَـزعـزعُ
٢٦ وأُمنيَّـةُ المُرتـادِ تُحضِـرُكَ النَّـدَى فَيَشفَـعُ في مِثْـلِ المَـلا فَيشَفَّـعُ!
٢٧ فـأُنطِقَ فيهـا حـامِـدٌ وهْـوَ مُفْحَمٌ وأُفحِمَ فيهـا حـاسِـدٌ وهْـوَ مِصْقَـعُ
٢٨ ألا إنَّ فـي ظُفْـرِ المَنِيَّـةِ مُهْجَـةً تَـظَلُّ لها عَيْنُ العُلى وهْيَ تَـدْمَعُ
٢٩ هيَ النَّفْسُ إنْ تَبْكِ المَكارِمُ فَقْدَهـا فَمِنْ بين أحشـاء المكـارِمِ تُنْـزَعُ
٣٠ ألا إنَّ أنفـاً لم يَعُـدْ وهـوَ أجـدَعُ لِفَقْـدِكَ عنـدَ المَكْـرُمَاتِ لأجْـدَعُ
٣١ وإنَّ امـرءاً لم يُمْسِ فيكَ مُفَجَّعـاً بِمَجْلُودِهِ فـي عَـقْلِهِ لَمُفَـجَّـعُ

= يقول: كأنَّ وَجْدَ قريشٍ به وَجْدُهم بِمُجمِّع.

(١٨) هذا مَثَل كأنَّه صَيّر الجودَ جسماً، أي لو كان الجودُ ممّن يسعى لَسعَى خلفَ سريره.

(١٩) ذكر أنَّ الجودَ كَبَّر عليه خَمْساً لأنَّ الميّتَ كان شيعيًّا، فأراد أن الجُودَ اتَّبعَ مَذْهبَه، وجعلَ «أربعاً» اسمَ «كان» وهو نكرة و«تكبيرَ المُصلِّين» خبراً وهو معرفة، وقد جاءَ ذلك عن الفُصَحاء، قال معقِّر بن حمار:

أتينـاه لِلنُّعمَـى فكـان ثَـوَابَـه قَلُـوصٌ وَوَطْبـا حـاذرٍ مَـذِقـانِ

(٢١) [ص] هذا من قول مسلم:

فـاذهَبْ كمـا ذَهبـتْ غَـوادِي مُـزْنَـةٍ أثنَـى عليهـا السَّهْـلُ والأوعـارُ

(٢٢) (العبدي): «مِن أيّامِنا ما تُضيِّعُ» و«مِنْ آمالنا ما تُضيِّعُ».

(٢٦) وفي نسخةٍ «يَحضُره النَّدَى».

(٢٧) أُنطِقَ أي سَهُلَ عليه الكلامُ لوجوده ما يُريد من ثنائه، وأُفحِمَ حاسدٌ فلم يَجدْ ما يقوله لفقد عُيُوبه.

(٣١) [ع] هذا على التقديم والتأخير، والأحسنُ في الترتيب أن يكون «في نفسه» بعد «مُفجَّع» لأن =

وقال يرثي أبا نَصر محمّد بنَ حُمَيْد [من الطويل] :

١ أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وإنْ كانَ أسمَعا ... وأصبحَ مَغْنَى الجُودِ بَعْدَكَ بَلْقعا

٢ لِلحْدِ أبي نَصْرٍ تَحِيَّةُ مُزْنَةٍ ... إذَا هيَ حَيَّتْ مُمْعِراً عَادَ مُمْرِعا

٣ فلَمْ أرَ يَوماً كانَ أشبَه ساعةً ... بِيَوْمي مِنَ اليومِ الذي فيهِ وَدَّعَا

٤ مَصِيفٌ أفاضَ الحُزْنُ فيهِ جَداوِلاً ... مِنَ الدَّمْعِ حتَّى خِلْتُه عادَ مَرْبَعا

٥ وَواللّهِ لا تَقْضِي العُيُونُ الذي لَهُ ... عليها ولَوْ صارَتْ معَ الدَّمْعِ أدْمُعا

٦ فَتًى كانَ شَرْباً لِلعُفَاةِ ومَرْتَعاً ... فأَصْبَحَ لِلهِنْدِيَّةِ البِيضِ مَرْتَعا

٧ فَتًى كُلَّما ارتادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى ... مَفَرّاً غداةَ المَأْزَقِ ارتادَ مَصْرَعا

٨ إذَا سَاء يَوْمٌ في الكَرِيهةِ مَنْظَراً ... تَصلّاهُ عِلْماً أنْ سَيحسُنُ مَسْمَعا

٩ فإنْ تُرْمَ عَنْ عُمْرٍ تدَانَى بهِ المَدَى ... فخَانَكَ حتَّى لم يَجِدْ فيكَ مَنْزَعَا

١٠ فمَا كُنْتَ إلاّ السَّيفَ لاَقَى ضَرِيبَةً ... فقَطَّعَها ثُمَّ انثَنَى فتَقَطَّعَا!

= قولَك إنَّ أخاك لراغبٌ فيك أحسنُ من قولك إنَّ أخاك فيك لَراغب، وذلك جائز إذا كانت اللام مُقدّرة في أوّل الكلام ولذلك قال الأوّل:

إنَّ الذي خصَّني عَمْداً مَودتَه ... على البِعادِ لَعندي غيرُ مَعْذُور

أراد لَغيرُ معذورٍ عندي.

(٢) يقال: «أمعرَ» المكانُ إذا لم يكن فيه نَبْت، وهو مكانٌ مَعِرٌ ومُمْعِر، والرجل مُمْعِر إذا لم يكن له مال، وفي الحديث (ما أمعَرَ حاجٌّ قَطٌّ)، ويقال لِلمِنْسَم أمعرَ وكذلك للحافر إذا لم يكن عليه شَعَر، قال امرؤ القيس:

تَطايرَ ظُرّانُ الحَصَى بمناسمٍ ... صِلابِ العُجَا مَلْثُومُها غيرُ أمْعَرِ

«ملثوم» و«ملتوم» بالتاء والثاء.

قافية اللّام

194

وقال يَرثي مُحمّد بن حُميد، ويُسمّى أيضاً قَحطبة ، ويقال قَحـطَبَةُ أَخُـوه [من الكامل] :

١	بِـأَبـي وغيـرِ أبـي وذَاكَ قَـلِيـلُ	ثـاوٍ عليـهِ ثَـرَى النِّبـاجِ مَهِيـلُ
٢	خَـذَلتْـه أُسْـرَتُـه كـأنَّ سَـرَاتَهُـمْ	جَـهِلُوا بِـأَنَّ الـخـاذِلَ الـمَـخْـذُولُ
٣	أَكّـالُ أشـلاءِ الفَـوَارِسِ بـالقَنـا	أضحَـى بِـهِـنَّ وشِـلْوُهُ مَـأْكُـولُ!
٤	كُفِّي فَـقَتْـلُ مُـحمَّـدٍ لي شـاهِـدٌ	أَنَّ الـعَـزِيـزَ مـعَ القَـضَـاءِ ذَلِيـلُ
٥	إنْ يُسْتَـضَـمْ بـعـدَ الإبَـاءِ فـإِنَّـه	قَـدْ يُسْتَضَـامُ المُصْعَبُ المَعْقُـولُ
٦	مُسْتَحسِنٌ وَجْـهَ الـرَّدَى في مَعْـرَكٍ	وَجْـهُ الحيـاةِ بِحَـوْمَتَيْـهِ جَمِيـلُ
٧	أنسَى أَبَـا نَصْـرٍ نَسِيتُ إذنْ يَـدِي	في حَيْثُ يَنْتَصِـرُ الفَتَـى ويُنيـلُ؟!
٨	هَيْهَـاتَ لا يَـأْتِي الـزَّمـانُ بمثلِهِ	إنَّ الـزَّمـانَ بِـمِـثْـلِه لَبَـخِيـلُ!
٩	مـا أنتَ بـالمَقْتُـولِ صَبْـراً إنَّمـا	أَمَـلِي غَـدَاةَ نَـعِيِّـكَ الـمَـقْتُـولُ
١٠	لِلسَّيْفِ بَعْـدَكَ حُـرْقَـةٌ وعَـوِيـلُ	وعـليـكَ للمَـجْـدِ التَّـلِيـدِ غَلِيـلُ
١١	إنْ طالَ يُوْمُـكَ في الوَغَى فلقَدْ تُرَى	فيـهِ ويَـوْمُ الهَـامِ منـكَ طَـوِيـلُ

(٣) «الشِّلْو» ما يَبقى من اللحم إذا أُخِذ بعضُه، وهذه استعارة ليست بالواقعة موقع غيرها، لأنَّ هذا المرثيّ لا يأكل أشلاءَ الفوارس، ولكنه جعل قتلَهم مثلَ أكلِهم.

(٦) يقول: استحسن الموتَ واختارَه في موضعٍ كان وجهُ الحياةِ فيه جميلاً، أي لو فَرَّ فيه لم يكن مَلُوماً، ولكن آثَرَ الموت على الفرار.

(١١) ويروى «إن طال نَوْمُك» أي إن نمتَ نَومةً لا انتباه لها فقد كنتَ تُدرِك في الحرب الثأرَ المُنِيم.

١٢ فَستذكُرُ الخَيْلُ انصِلاتَـكَ في السُّرَى والقَفْـرُ مَعْـرُوفُ الـرَّدَى مَجْـهُـولُ

١٣ وتُـفَلَّلُ الأحـسَـابُ بَعـدَكَ والـنُّهَـى والـبِـيضُ مُـلْسٌ مـا بِـهِـنَّ فُلُولُ

١٤ مَنْ ذا يُحَـدِّثُ بـالـبَقَـاءِ ضَـمِيرَه هَيْهَـاتَ أنتَ على الـفَنـاءِ دَلِيـلُ!

١٥ يـا ليتَ شِعْـرِي بـالمكـارِمِ كُلِّهـا مـاذا وقَـدْ فَقَـدَتْ نَـداكَ تَقُـولُ؟

١٦ كَمْ مَشْهَـدٍ قَـدْ جَـدَّدَتْـهُ لَـكَ العُـلا وكَـأنَّـهُ بـالأمسِ وهْـوَ مُـحِيـلُ

١٧ وكَـتِيبَـةٍ كُـتِبَتْ لـهـا أروَاحُـهـا والـيـومُ أحمـرُ مِـنْ دَمٍ مَصْـقُـولُ

١٨ مـا شَـكَّ أثبَـتُـهـم يَـقِيـنـاً أنَّـه للمَـوْتِ في قَبْضِ الـنُّفُـوسِ رَسُـولُ

١٩ يـا يَـوْمَ قَحْـطَبَـةٍ لقَـدْ أبقَيْتَ لي حُـرَقـاً أُرَى أيَّـامَـهـا سَـتَـطُولُ

٢٠ لَـيْثُ لَـوَ انَّ الـلَّيثَ قـامَ مقـامَـه لانـصـاعَ وهْـوَ يَـرَاعَـةٌ إجْـفـيـلُ

٢١ لَمَّـا رأى جَمْعاً قَلِيـلاً في الـوَغَى وأُولُـو الحِفـاظِ مِنَ القَلِيـلِ قَلِيـلُ

٢٢ لاقَى الكَـرِيهَةَ وهْـوَ مُغْمِـدُ رَوْعِـه فِـيهـا ولَـكِـنْ سَـيفُـهُ مَـسْلُولُ

٢٣ ومَشَى إلى المَـوْتِ الـزُّؤامِ كـأنَّمـا هُـوَ في مَـحبَّـتِـهِ إليـهِ خَـليـلُ

٢٤ لَـمْ يُـودِ منـه وَاحِـدٌ لَـكِـنَّمـا أودَى بـهِ مِـنْ أسْـوَدَانَ قَـبِـيـلُ

٢٥ أضحَتْ عِـراصُ مُحمَّـدٍ ومُحمَّـدٍ وأخِـيـهِـمـا وكـأنَّـهُـنَّ طُـلـولُ

٢٦ أبَنِي حُـمَيْـدٍ لـيسَ أوَّلَ مـا عَـفَـا بعـدَ الأُسُـودِ مِنَ الأسُـودِ الـغِيـلُ

٢٧ مـا زَالَ ذَاكَ الصَّبْـرُ وهْـوَ عـليكـمُ بـالمَـوْتِ في ظِـلِّ السُّيُوفِ كَفِيـلُ

٢٨ مُـستَبْسِلُونَ كـأنَّمـا مُـهْجَـاتُـهـمْ لَـيْسَـتْ لـهـمْ إلاَّ غَـداةَ تَـسِيـلُ

٢٩ ألِفُـوا المَنـايَـا فـالقَتِيـلُ لَـدَيْهِمِ مَنْ لا تُجَلِّي الحَـرْبُ وهْـوَ قَـتِيـلُ

---

(١٢) أي سَتذكُر الخيلُ ركوبَك بها القِفَارَ سارياً ليلاً والهلاكُ بها موجود، والطريقُ بها مجهول.

(١٦) أي كأنْ لم يُغنِ بِالأمس ولم يكن قبل.

(١٧) ويُروى «كُتِبَتْ له» أي كُتِبتْ له لِيُثابَ عليها، ويجوز «كُتِبت له» أي ليتولَّى قَبْضهَا.

(٢٠) «اليَرَاعة» الجبان، شَبَّهه باليراعة وهي القصَبَة.

(٢٦) [ص] يقول إن قُتلتم وبَقيتْ مَنازلُكم فكذلك الأُسُودُ ليس يذهب غِيلُها وتبقى هي، وإنما تَذهبُ هي ويبقى غِيلُها.

٣٠ إنْ كـانَ رَيْبُ الـدَّهْـرِ أثكـلَنِيـهُـمُ   فـالـدَّهْـرُ أيضـاً مَيِّتٌ مَشْكُـولُ

195

وقال يَرثي القاسمَ بنَ طوق [من الطويل]:

١ جَوىً سَاوَرَ الأحشَاءَ والقَلْبَ وَاغِلُـهْ   ودَمْعٌ يضِيمُ العَيْنَ والجَفْـنَ هـامِلُـهْ

٢ وفـاجـعُ مَـوْتٍ لا عَـدُوّاً يَخـافُـهُ   فَيُبْقِي ولا يُبْقِي صَـدِيقـاً يُجَامِلُـهْ

٣ وأيُّ أخِـي عَـزَّاءَ أَوْ جَبَـرِيَّـةٍ   يُنَـابـذُه أَوْ أيُّ رَامٍ يُنَـاضِلُـهْ

٤ إذا ما جَرَى مَجْرَى دَمِ المَرْءِ حُكمُهُ   وبُثَّتْ على طُرْقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُـهْ

٥ فَلَوْ شَـاءَ هـذا الدَّهْـرُ أقصَـرَ شَـرُّهُ   كَمـا قَصُـرَتْ عنَّـا لُهَـاهُ ونَـائِلُـهْ

٦ سَنشكُـوهِ إعلانـاً وسِـرّاً ونِيَّـةً   شَكِيَّـة مَـنْ لا يَسْتطِيـعُ يُقَـاتِلُـهْ

٧ فمَـنْ مُبلِـغٌ عنِّـي رَبيعــةَ أنَّـه   تقشَّـعَ طَـلُّ الجُـودِ مِنْهـا ووَابِلُـهْ؟

٨ وأنَّ الحجَى مِنها استَطَارَتْ صُدُوعُـه   وأنَّ النَّدَى مِنها أُصِيبَـتْ مَقَـاتِلُـهْ؟

٩ مَضَى لِلزِّيَالِ القَاسِمُ الوَاهِـبُ اللُّهَـى   ولَـوْ لـمْ يُـزَايِلْنـا لَكُنَّـا نُـزَايِلُـهْ

١٠ ولـم يَعلَمُـوا أنَّ الزَّمـانَ يُـرِيـدُه   بِفَجْـعٍ ولا أنَّ المَنَـايـا تُـرَاسِلُـهْ

(٣٠) يريد أنَّ الأشياء كلَّها إلى فناء، وحُكْمُه بأنَّ الموتَ إذا حَصَل ميِّتٌ مثكول مَبنيٌّ على الحديث الذي رُوِي أنَّ الموتَ إذا حصَلَ وأهلُ الجنةِ في الجنة وأهلُ النَّارِ في النَّار يُجَاءُ به في صورة كَبْش أملَح فيذْبَح بين النار والجنَّة، فيجزَعُ لذلك أهلُ النَّار جَزَعاً شديداً لأنَّ الموتَ لهم راحة، فهذا معنى قوله: و«الموتُ أيضاً ميِّتٌ مثكولُ».

(١) «ساورَ» في معنى واثَبَ، مأخوذٌ من السَّوْرة وهي الارتفاع. و«وَاغِلُهُ» داخلُه، وأضاف «هامِلاً» إلى الهاءَ لأنه يقال هَمَل الدمعُ وهَمَلَتِ العينُ الدمعَ.

(٦) المعنى مَن لا يستطيع أن يَقاتِله فحذفَ «أنْ» والمجيءُ بها أحسن، لكنَّ حذفَها جائز، وهو في بعض المواضع أحسنُ منه في غيره، فإذا كان الكلام مُقتضياً لمجيء الاسم كان حذفُها رديئاً وكلَّما استُغنِي عنه حَسُنَ الحذفُ، فلمّا كان قوله: «من لا يستطيع» مقتضياً لمجيء اسم يَقومُ مقامَ المفعول كان الحذفُ مكروهاً.

١١ فَتَى سِيطَ حُبُّ المَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ ... وخامَرَه حَقُّ السّماحِ وبَاطِلُهْ

١٢ فَتًى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبابِ ولم تَكُنْ ... تَهُبُّ شَمالاً لِلصَّدِيقِ شَمائِلُهْ

١٣ فَتًى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ واثنَتا العُلا ... يَدَاهُ وعَشْرُ المَكْرُمَاتِ أنَامِلُهْ

١٤ فَتَى يَنْفَحُ الأقوامُ مِن طيبِ ذِكرِهِ ... ثَناءً كأنَّ العَنْبَرَ الوَرْدَ شَامِلُهْ

١٥ لقَدْ فُجِعَتْ عَتَّابُهُ وزُهَيرُهُ ... وتَغْلِبُهُ أُخْرَى اللَّيالي ووَائِلُهْ

١٦ وكانَ لهمْ غَيْثاً وعِلْماً فمُعْدِمٍ ... فيَسْأَلُه أوْ باحِثٍ فيُسَائِلُهُ

١٧ ومُبْتَدرُ المَعْرُوفِ تَسْرِي هِبَاتُه ... إليهمْ ولا تَسري إليهم غَوائِلُهْ

١٨ فَتًى لم تكُنْ تَغلي الحُقُودُ بِصَدْرِهِ ... وتَغْلِي لِأضيافِ الشِّتاءِ مَرَاجِلُهْ

١٩ مَليكٌ لِأمْلاَكٍ تُضيفُ ضُيُوفُه ... ويُرْجَى مُرَجِّيه ويُسْأَلُ سَائِلُهْ

٢٠ طَوَاهُ الرَّدَى طَيَّ الكِتابِ وغُيِّبَتْ ... فَضَائِلُهُ عَن قَومِه وفَوَاضِلُهْ

٢١ طوَى شِيَماً كانَتْ تَرُوحُ وتَغتَدِي ... وسَائلَ مَنْ أعيَتْ عليهِ وسَائِلُهْ

٢٢ فيا عَارِضاً لِلعُرْفِ أقلَعَ مُزْنُه ... ويَا وَادِياً للجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهْ

٢٣ أَلَمْ تَرَني أنزَفْتُ عَيْني على أبي ... مُحَمّدِ النَّجمِ المُشَرِّقِ آفِلُهْ

٢٤ وأخْضَلْتُها فيهِ كما لَوْ أتَيْتُه ... طَرِيدَ اللَّيالي أخضَلَتْني نَوافِلُهْ!

٢٥ ولكنَّني أُطْري الحُسَامَ إذَا مَضَى ... وإنْ كانَ يومَ الرَّوْعِ غيريَ حامِلُهْ!

---

(١٢) يريد أنه كان في زمن الشَّبيبة مُتوقِّراً مُحتنِكاً لا يفعل ما يفعله الشبّانُ، فكأنه لم يَسكَرْ من الشبيبة إذا كان مَن يَجهلُ ويَسلكُ مسالكَ الأغرار في عصر الشبيبة كأنه سكران.

(١٥) «وائل» أبو هذه القبائل، وهو في النَّسب عتّاب بنُ سَعْد بنُ زُهير بن جُشَمَ بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب بن وائل، فكأنه يُريد أباه الأقرب ثم ارتفع حتى بلغ إلى وائل، وهذا كما تقول في الكلام لقد فُجعتْ به تميم ثم تزيد في ذلك فتقول وأُدُّ بن طابِخَة ثم ترتفع في النسب فتقول وإياسُ بن مُضَر ثم تقول ومُضَر فتُعظِّم الفادحَة كلّما ارتقيتَ في النَّسب.

(٢٢) [ص] يقول: هو وإن ذهبَ فإنَّ مآثِره باقية.

(٢٥) «أُطري» أصلُه الهمزة، وهذا المعنى يحتمل وجهين: أحدَهما أن يكون أَراد أنّي أُثني على الحُسام إذا قطع وإن كان حامِلهُ غيري لأنَّ عادتي الصدق، وكذلك هذا الهالكُ أُثني عليه وإن كان قومُه ليسوا قومي إذْ كنتُ من طيٍّ وهو من ربيعةٍ؛ والآخر أن يكون أومأَ إلى أنه لم يأْخذْ منه عَطِيّةً في=

٢٦ وآسَى على جَيْحانَ إذْ غاضَ مَاؤُه   وإنْ كانَ ذَوْداً غيرَ ذَوْدِيَ ناهِلُهْ
٢٧ عليكَ أبَا كُلْثُومٍ الصَّبْرَ إنَّنِي   أرَى الصَّبْرَ أُخْرَاهُ تُقًى وأوائِلُهْ
٢٨ تَعَادَلَ وَزْناً كلُّ شيءٍ ولا أرى   سِوَى صِحَّةِ التَّوْحِيدِ شيئاً يُعَادِلُهْ
٢٩ فأنتَ سَنَامٌ للفخارِ وغارِبٌ   وصِنْوَاكَ مِنْهُ مِنْكَبَاهُ وكاهِلُهْ
٣٠ ولَيْسَتْ أثافي القِدْرِ إلّا ثلاثُهَا   ولا الرَّمْحُ إلّا لَهْذَمَاهُ وعامِلُهْ

196

وقال يَرثي ابني عبدِ اللَّهِ بنِ طاهرٍ وكانَا صَغِيرَيْن [من الكامل] :

١ ما زَالَتِ الأيَّامُ تُخْبِرُ سَائلا   أنْ سَوْفَ تَفْجَعُ مُسْهِلًا أوْ عاقِلا
٢ إنَّ المَنُونَ إذا استمرَّ مَرِيرُهَا   كانَتْ لهَا جُنَنُ الأنامِ مَقَاتِلا
٣ في كُلِّ يَوْمٍ يَعْتَبِطنَ نُفوسَنا   عَبْطَ المُنَحِّبِ جِلَّةً وأفَائِلا
٤ ما إنْ تَرَى شَيْئاً لِشيءٍ مُحْيِياً   حتَّى تُلاقِيَهُ لآخَرَ قاتِلا

= الحياة ولكنه يُثني عليه لمكان فضلِه.

(٢٨) [ص] يقول الصبرُ لا يَعدلُه في الثواب إلاّ التوحيد.

(٢٩) [ص] الهاء في « منه » للمتوفي، و« صِنْوَاه » أخَواه، يُخاطبُ ابنَ الميّتِ.

(٣٠) إن شئتَ جعلتَ « الأثافي » في موضع نصب ورفعت « ثلاثها » لأنك تجعلها اسمَ « ليس »، وإن شئتَ رفعتَ الاسم والخبر على رأي مَن يقول ليس الطِّيبُ إلاَّ المسكُ، وإن شئتَ نصبتَ على الخبر، والأحسنُ أن ترفع « ثلاثها » لأنَّ قوله: « إلاَّ لَهْذماه وعامِلُهْ » لا يمكن فيه إلاَّ الرفع إذا نصبتَ « الرمح » وإن رفعته فجائز على ما تقدم. و« اللَّهذمان » أراد بهما السِّنان والزُّج، وكلّ حديد ماض لَهْذَم، ويجوز أن يعني بـ« اللهذمين » جانبا السِّنان.

(١) « العاقل » ها هنا في معنى النازل بالمَعْقِل.

(٣) « العَبْط » والاعتباط نَحْرٌ مِن غير عِلَّة، و« المُنحِّب » الناذرُ. و« النَّحْب » النَّذْر، قال الشاعر:

إنِّي حَلَفْتُ ولستُ كاذِبَهُ   حِلْفَ المُلبِّدِ شَقَّه النَّحْبُ

و« الجِلَّة » المسَانُّ من الإبل و« الأفائل » صِغارُها، وهي مثل الإفال قال عبّاس بن مِرْداس:

وإلاَّ أفائلَ أعطِيتُها   عِدادَ قوائِمِهِ الأربعِ

٥ مِـنْ ذاكَ أجهَـدُ أنْ أراهُ فلا أرَى حَقّـاً سِوَى الدُّنيـا يُسَمَّـى بَـاطِلا

٦ للهِ أيَّـةُ لَـوْعَـةٍ ظِلْنـا بِهَـا تَرَكَـتْ بَكِيَّـاتِ العُيُـونِ هَـوَامِلا!

٧ مَجْـدٌ تـأوَّبَ طـارِقـاً حتَّـى إذا قُلْنـا أقَـامَ الدَّهْـرَ أصبَـحَ راحِلا

٨ نَجْمـانِ شَـاءَ اللهُ ألّا يَطْلُعـا إلّا ارتـدَادَ الطَّـرْفِ حتَّـى يَـأْفِلا

٩ إنَّ الفَجيعـةَ بـالـرِّيـاضِ نَـوَاضِـراً لأجَـلُّ مِنها بـالـرِّيـاضِ ذَوَابِلا

١٠ لَـوْ يُنْسَـآنِ لَكـانَ هـذا غـارِبـاً لِلمكـرُمـاتِ وكـانَ هـذا كـاهِلا

١١ لَهْفِي علـى تلـكَ الشَّـوَاهـدِ فيهمـا لَـوْ أُمْهِلَـتْ حتَّـى تكـونَ شَمـائِلا

١٢ لغَدَا سُكُونُهمـا حِجًـى وصِبَـاهُمـا حِلْمـاً وتلـكَ الأريحيَّـةُ نـائلا

١٣ ولأعْقَـبَ النَّجـمُ المُـرِذُّ بِـديمَـةٍ ولَعَـادَ ذَاكَ الطَّـلُ جَـوْداً وَابِلا

١٤ إنَّ الهِلالَ إذا رَأيـتَ نُمُـوَّهُ أيقَنْـتَ أنْ سيكـونُ بَـدْراً كـامِلا

١٥ قُـلْ للأمِيـرِ وَإنْ لَقِيتَ مُـوَقَّـراً منـهُ بِـرَيْـبِ الحَـادثـاتِ حُلاَحِلا

١٦ إنْ تُـرْزَ في طَـرَفَـيْ نَهـارٍ واحـدٍ رُزْئَيـنِ هَـاجَـا لَـوْعَـةً وبَلابِلا

١٧ فـالثِّقْـلُ ليسَ مُضَـاعَفـاً لِمَطِيَّـةٍ إلّا إذا مـا كـانَ وهْمـاً بَـازِلا

١٨ لا غَـرْوَ إنْ فَنَنـانِ مِـنْ عِيـدانـهِ لَقِيَـا حِمَـامـاً لِلبَـرِيَّـةِ آكِلا

١٩ إنَّ الأشَـاءَ إذا أصـابَ مُشَـذِّبٌ منـهُ اتمَهَـلَّ ذُرىً وأَثَّ أسَـافِلا

---

(١٣) يُقال أرَذَّ السّحابُ إذا أتى بالرّذاذ وهو فوقَ الطلّ.

(١٥) «المُوقَّر» يحتمل أن يكون مِن الوَقار وهو أشبهُ بالمدح، ويجوز أن يكون من التَّوقير الذي هو تأثير، من قولهم في الحَجَر وَقرةٌ أي هَدْمةٌ، قال الشاعر [ساعدة الهذليّ].

أتِيـحَ لهـا شَثْـنُ البنـانِ مُكَـزَّمٌ أخُـو حـزن قـد وقَّـرتْـه كُلُـومُهـا

و«حُلاحل» حليم رَكِين.

(١٦) خففَ الهمزة في «إن تُرزأ» فلّما صارتْ ألفاً حذفَها في الجَزْم.

(١٧) يُقال جَمَلٌ وَهْم كان عظيمَ الخَلْق ذَلُولاً.

(١٩) يُقال شَذَّبتُ النخلةَ وغيرَها إذا أخذتَ منها ما لا تحتاج إليه على سبيل الإصلاح لها، وأصلُ التشذيب التفريق، و«اتمهَلَّ» طالَ وانتصبَ. والمعنى أنَّ هذين المفقودَيْن وإن كانا قد فجعَاكَ فإنهما في المَثَل كما يأخذه المُشذِّبُ عن النخلةِ فتقوى بذلك ويَستقيمُ شأنُها.

٢٠	حِقْفانِ هالَهُما القَضاءُ وغادَرَا	قُلَلاً لنا دُونَ السَّماءِ قَواعِلا
٢١	رَضْوَى وقُدْسَ ويَذْبُلَا وعَمايَةً	ويَرمْرَماً ومُتالِعاً ومُواسِلا
٢٢	الطَّاهِرَيْنِ وإخوَةً أنْجبتَهُمْ	كالحَوْمِ وُجِّهَ صادِراً أوْ ناهِلا
٢٣	شَمخَتْ خِلالُكَ أنْ يُؤَسِّيكَ امرؤٌ	أوْ أنْ تُذكَّرَ ناسِياً أوْ غافِلا
٢٤	إلّا مَواعِظَ قادَها لكَ سَمْحَةً	إسجَاحُ لُبِّكَ سامِعاً أوْ قائِلا
٢٥	هَلْ تَكلفُ الأيْدِي بِهَزِّ مُهَنَّدٍ	إلّا إذا كانَ الحُسَامَ القاصِلا؟!

(٢٠) جعل الهالكِيْن كالحِقْفين على سبيل التَّعزية وتيسير الخَطْب، وجاءَ بـ«قَوَاعل» ها هنا في معنى أعالي الجبال، وقال قوم «القاعلة» ما دون الجبل الأعلى، ولم يُرد الطائي إلاَّ المعنى الأول، قال امرؤ القيس:

كأنَّ دِثاراً حَلَّقتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ مَلاعٍ لا عُقَابُ القَواعِلِ

- «دِثار» اسم راعي إبل امرىء القس، وفسّروا «عُقَاب مَلاعٍ» السريعة الاختطاف، واحتجُّوا بهذا البيت على أن «القَوَاعل» مادون الجبل في الطول، وليس في البيت دليل على ذلك، وإنما أراد أنَّ دثاراً أوردتْ بلبونه عُقَابٌ قد أُعدّتْ للصيدفهي تختطف، لا عُقاباً لزِمَت الجبلَ فلم تنهض للصيد - [ص] و« هَالَهما » سَلَبهما، يقول: إنْ أخذَ القضاءُ طفلَيْن فقد تَركَ الكبارَ من الأمراء والسادة.

(٢١) قد تَردَّدَ ذِكْرُ هذه الجبالُ في شعر الطائي، إلاَّ «يرَمْرَماً» فلم يذكره قبل ذِكره في هذا البيت، وإذا حُمِل هذا الاسمُ على موجب الاشتقاق فهو من اليَرَمُ بُني على [فَعَلْعَل] و«اليَرَم» كلمة مُهملة، ويجوز أن تكون فيما فُقِد من المسموعِ، ويَرَمٌ في معنى أرَمٍ كما يقال طَيْر أناديد ويَناديد، ورَمْل نَبْرِين وأبرِين، فكأنَّ أصلَه أرْمَرَم. و«مُواسل» رأسُ جبل طيٍّ، وقد ذكَره حاتم في قوله:

★ وغَدْواً يَجيءُ ما يقولُ مُوَاسِلُ ★

(٢٢) [ص] «الطاهِرَيْن» يعنى ولَدْيه طاهراً الكبيرَ وطريدَه، وليس اسمُه طاهراً فسماه باسم أخيه كما قالوا العُمَران ★. و«الحَوْم» الكثيرُ من الإبل، ولمّا ذكر أسماء هذه الجبال ذكرَ أولادَ هذا الممدوح وأخبرَ أنهم كثيرٌ لا ينقص عددُهم بمن فُقِد لأنهم كالحَوْم من الإبل. ويُروى «أشبيَتَهم» مكان «أنجبتَهم»، والمعنى متقارب، يُقال أشبَى الرجُلُ إذا وُلِد له أولادٌ أذكياء، وعلى ذلك فسّروا قول العَدْوَانيّ:

وهمْ مَن ولَدُوا أشْبَوا بِسرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

وقيل معنى «أشَبوا» كفَوْا، وهو راجعٌ إلى الوجه الأول، لأنَّ الأبَ إذا كان نَجيباً فجاءَ ولدُه كذلك فكأنَّ أباه قد كفَاه العارَ والنقص.

197

وقال يَرثي بني حُمَيْد، وقد ماتَ بعد أبي نَصر مُحمد ـ وهو الأكبر ـ أخوَانِ له يُقال لأحدهما مُحمَّدٌ وللآخر قَحْطَبَة [من الطويل]:

١ ذَكَرْتُ مُحمّداً بِقَتْلِ مُحمَّدِ وقَحطبَةٌ ذِكْراً طَوِيلَ البَلابِلِ
٢ وكانَ الأَسَى قَدْ آلَ فيه إلى الحَشَا فلمّا استجَرَّاهُ جَرَى في المَفَاصِلِ
٣ كَمَاءِ الغَديرِ امتَدَّ بعدَ وُقُوعِه بما هَاجَ مِنْ فَيْضِ التِّلاعِ القَوَابِلِ
٤ ثَوَوْا في الثَّرَى منْ بعدما سُرْبِلُوا العُلا ومنْ بَعْدِما سُمُّوا نُجومَ المَحافِلِ
٥ مصارِعُ لَمْ تُورِثْ شَنَاراً وإنَّها ليرتَعُ فيها شامِتٌ عندَ جاهِلِ
٦ لَعَمْرُكَ ما كانُوا ثَلاثَةَ أُخوَة ولكنَّهمْ كانوا ثَلاثَ قَبائِلِ!

198

وقال يَرْثي يَحْيى بنَ عِمْران القُمِّي [من البسيط]:

١ لا تَعْذِلي جَارَتي أنَّى لكِ العَذَلُ فَلا شَوىً ما رُزِئْناهُ ولا جَلَلُ
٢ إحدَى المصَائِبِ حَلَّتْ في دِيارِ بَنِي عِمْرَانَ ليسَتْ لها أُخْتٌ ولا مثَلُ
٣ ألوَى بتيجانِهم يَوْمٌ أتيحَ لهُ نَحْسٌ وأثقب فيهِ نارَهُ زُحَلُ

---

(١) «البَلابِل» جمع بَلبال وهو ما يَجدُه الرجلُ في صَدْره من همٍّ أو حُزْن. ويُروى: «ذكرتُ أبا نصرٍ بموتِ محمّدٍ وقحطبةٌ».

(٢) «آلَ» مِنْ قولهم آلَ إلى كذا وكذا أي رجعَ وصار. و«الحَشا» جانب الجَوْف، أي كان الحزنُ على هذا الهالكِ قد استقر في موضعٍ من الجسد، وشَبّهه بالغدير الذي كان واقفاً فلمّا فاضتْ عليه التِّلاعُ التي تُقابله امتدَّ فساحَ في الأرض. يقول: فقد عَمَّ الحزنُ على هذا المفقود جميعَ الجسد بما حدثَ بموت هذَيْن.

(٣) هذا البيت مبنيٌّ على أنَّ زُحَل عند المُنجِّمين كوكبُ نَحْسٍ، والهاء في «نارِه» يُحتمل أن تكون =

٤ ألـوَى بـهِ وهْـوَ مُلْـوٍ بـالقَنـا لِتَـوَا ... ليهـا استِـواءٌ وفـي أعنـاقِهـا مَيَـلُ

٥ كانَ الذي ليسَ في مَعْجُومِـهِ خَـوَرٌ ... للعَـاجمِيـنَ ولا فـي هَـدْيـهِ خلـلُ

٦ كانَ الذي يُتَّقَـى رَيْـبُ الزمـانِ بـه ... إذا الزمـانُ بَـدَتْ أنيـابُـه العُصُـلُ

٧ أحلَّنـا الدَّهْـرُ فـي بَطْحـاءَ مسْهِلَـةٍ ... لَمَّـا تَقـوَّضـتَ عنهـا أيُّهـا الجَبَـلُ

٨ ما كان أحسَنَ حالاتِ الأشـاعِـرِ يـا ... يَحْيَى بنَ عِمرانَ لَوْ أُنسِي لكَ الأجَلُ

٩ أيُّ امْرِىء مِنْكَ أثْرَى بيـنَ أعظُمِـهِ ... ثَـرَى المُقطَّـمِ أوْ مَلْحُـودُه الرَّمِـلُ

١٠ لا يُتبعُ المَـنَّ مـا جَـادَتْ يَـداهُ بـهِ ... ولا تُحكَّـمُ فـي مَعْـروفِـهِ العِلَـلُ

١١ ما قَالَ كانَ إذا ما القوْمُ أكـذبَ مـا ... أطالَ منْ قولِهِـمْ تَقْصِيـرُ مـا فَعَلُـوا

= مردودةً إلى «زُحَل» وإلى «يوم» وإلى «نَحْس»، ويحتمل أن تكون «النار» ها هنا نار الحرب. وفي البيت صنعة وهو أنَّ زُحَل يقال إنه باردُ المِزاج فجعلَه يَثقُب النارَ، ولم يزل القائلُ يستعير هذه الكلمة فيقول ثَقَبتْ نارُ أبي فلانٍ إذا ظَفِرَ وبلغَ ما يُريد، فيمكن أن يكون الطائي استعارَ ذلك لِزُحَل، وجعلَه لمّا كان كوكباً نَحْساً كالظافِرِ بموتِ هذا المفقود.

(٤) «ألوَى» بالشيء إذا ذهبَ به، يعني أن الدهرَ ألوَى بهذا الميِّت، وهو ـ يعني به المفقود ـ مُلْوٍ بالقَنا، أي يَطعنُ بها فيدقُّها، وهذه الرواية أبينُ من رواية مَن روَى «التي لِتواليها» لأنَّ في هذه وضوحاً ليس في تلك، وجعلَ أعناقَها تميل لأنها تضطرب، كما قال الآخر:

ألسـتُ أردُّ القِـرْنَ يَـركَـبُ رَدْعَـه ... وفيـه سِنَـانٌ ذو غِـراريـن نـايِسُ

وقد يمكن إذا رويتَ «التي» أن تجعل المقصودَ بها الإبل، أي كان هذا الرجلُ يُبرِّح بها في السير، ويُقوّي ذلك روايةُ من رَوَى «لِتَواليها سَنَادٌ» أي اختلاف لأن عَجُزَ البعير يُخَالِفُ سنامَه في الخِلقة.

(٩) أثرى أنبتَ لمّا دُفِنَ. (ع): «أثرَى بين أعظُمِه» و«أضلُعِه»، والهاءُ في «أضلُعه» تحتمل وجهين: أحدهَما أن تكون راجعةً على المرثيّ، يقول: أيُّ امرىءٍ منك أثرَى ثَرى المقطمِ لمّا دخل بين أضلعِه لبلاه، ويكون «أثرى» بمعنى استغنَى، أي أنَّ الثَّرَى قد غَنِيَ بأكله أعظمَك، والمعنى في «أعظمِه» و«أضلُعِه» واحد، والآخر: أن تكون الهاءُ عائدةً على المقطم وتستعير له «الأضلُعَ» ومثل ذلك في شعر الطائي غيرُ مُستقصًى، وتكون الرواية «أثوَى» مِنْ ثَوَى الميّت وأثواه غيرُه، وروايته «أو مَلحُودُه الدَّحِلُ» و«الدَّحِل» الذي فيه مَيْل، لأنَّ القبر يُوصف بالزَّوْر، قال الشاعر:

فـإن الذي تبكيـنَ قـد حـالَ دُونَـه ... تُـرابٌ و زَوْراءُ المُقـامِ دَحُـولُ

(١١) [ص] يقول: يَصْدُقُ إذا كذَّبَ تقصيرُ فِعلِهم إطالةَ قولهم.

١٢ يا مَوْتُ حَسْبُكَ إِذْ أقصَدْت مُهجَتَـه أَوْلا فَدُونـكَ لا خَسْـبٌ ولا بَجَـلُ

١٣ ما حَالُنا يا أبا العبَّـاس بَعْـدَكَ هَـلْ تَنْمَى الفُروعُ ويُودِي أصلُها الأَصِـلُ؟

١٤ يا مَوْتُ لَوْ في وَغًى عايَنْتَـه خَلَـدَتْ عليـهِ عَـوْضُ دُمـوعٌ مِنـكَ تَنهَمِـلُ

١٥ المُشْعِلُ الحربَ ناراً وهْـيَ خـامِـدَةٌ والمُسْتَبِيـحُ حِمَـاهَـا وهـيَ تَشتَعِـلُ

١٦ بكلِّ يومٍ وغىً تَصْـدى الكُمـاةُ بـه على يديهِ وَتـرْوَى البيـضُ والأَسَـلُ

١٧ يَغْشَى الوَغَى بالقَنا والخَيْـلُ عـابِسَـةٌ والخَيْلُ لا عـاجِـزٌ فيهـا ولا وَكِـلُ

١٨ والكاشِفُ الكُرَبَ اللَّاتِي يَحُـفُّ بهـا إظلامُ أمـرٍ علـى البُلْـدَانِ يَنسَـدِلُ

١٩ بِمشْهَـدٍ ليسَ يَثنِيـه بـهِ زَلَـلٌ ومَنْطِـقٍ ليسَ يَعـرُوهُ بـهِ خطَـلُ

٢٠ مُستَجمِعٌ لا يَحِـلُّ الرَّيْـثُ عُقْـدَتَـه فيـهِ ولا يَمْتَطِـي إبلاغَـه العَجَـلُ

٢١ بحيـثُ لا يَضَـعُ الآراءَ مَـوْضِعَهـا إلَّا فُلانٌ إذا يُـدْعَـى لَهـا وَفَـلُ

٢٢ إِذَا الرِّجـالُ رَأَوْهُ وهْـوَ يَفعـلُ مـا أعيَاهُـمُ فِعْلُـه قـالـوا كَـذا الرَّجُـلُ

٢٣ إمَّا يُدَلْ مِنكَ بالمَوْتِ العِـدَى فبِمـا دَارتْ عليهم بِلا مَـوْتٍ لـكَ الدُّوَلُ

٢٤ أَيَّامَ سَيْفُـكَ مَشْهُـورٌ وبَحْـرُك مَسْـ ـجُورٌ وقرْنُكَ مَقْصُـورٌ لـهُ الطِّـوَلُ

٢٥ إذْ لابِسُ الذِّلَّةِ المَقْطُـوعُ ذُو رَحِـمٍ قَطَعْتَـه وإذا المَـوْصـولُ مَـنْ تَصِـلُ

---

(١٢) الكلمتان في معنًى واحد، وكررّهما لاختلاف اللفظين.

(١٣) «الأَصِلُ» في معنى الأصيل فحذف الياء كما قال الشاعر:

ولا السِّمـا كـان إن يَسْتعـلِ بينهمـا يَطِـرْ بِشـدَّةِ يـومٍ شَـرُّهُ أَصِـلُ

والمعنى أنك إذا أُوديتَ وأنت الاصِلُ فكيف تُنْمَى الفروعُ بعدك؟

(١٤) «عَوْضُ» أي الدهر، وهذا أحسنُ من أن يُجعلَ هاهنا في معنى القَسَم، وقال الزَّماني:

«ولـولا نَبْـلُ عَـوْض فـي حُظُبَّـاي وأوصـالـي

(١٧) (الصولي): يقول يَغشى الوَغَى بالخيل والخيلُ عابسةٌ فقدّم وأخرّ. (العَبْدي): وهذا غلط منه.

(٢١) أي إلا فُلانٌ وفُلان فحذفَ في غير النداء، كما قال أبو النَّجْم: .

★ في لُجَّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فَلِ ★

٢٦ جَرَّعَكَ الدَّهْرُ كاسَ الصبرِ في لُجَجٍ — لِلمَـوْتِ يَغـرِقُ فـي آذِيِّهـا الجَبَـلُ

٢٧ مَوْتاً وقَتلاً كـأَنَّ الدَّهْـرُ يَظمـأُ مـا — عاشُوا ويَنقَعُ مـا مـاتُـوا ومـا قُتِلُـوا

٢٨ يا شاغِـلَ الدَّهْـرِ عنّـا مـا لِصَـوْلَتِـه — مُذْ صالَ فيكَ الرَّدَى إلّا بِنـا شُغُـلُ

٢٩ يا حِلْيَةَ المَجْدِ إنَّ المَجْدَ عن عُفُـرٍ — بَـدَا وحِلْيَتُـه مِـنْ بَعـدكَ العَطَـلُ

٣٠ يا مَوْئِلاً كـانَ مـأْوَى الآزِمـاتِ بِـه — إذَا ادلهَمَّتْ بمكـرُوهَـاتِهـا العُضُـلُ

٣١ فـأَيُّ مُعْتَمِـدٍ يَـزْكُـو بِـهِ عَمَـلٌ — وأَيّ مُنْتَظَـرٍ يَحْيَـا بِـهِ أَمَـلٌ؟

٣٢ لكـنْ حُسَيْـنٌ وأمثَـالُ الحُسَيْـنِ إذا — ما النَّاسُ يومَ حفـاظٍ حُصِّلُـوا قُلُـلُ

٣٣ تُنْبِـي المَـوَاقِـفُ عنـهُ أَنَّـه سَنَـدٌ — ويُخبِـرُ الرَّوْعُ عنـهُ أنَّـه بَطَـلُ

٣٤ يُعطِي فَيُجْزِلُ أَوْ يُـدْعَـى فَيـنْـزِلُ أَوْ — يُـؤْتَـى لِمَحْمَـلِ أعبـاءٍ فيَحْتَمِـلُ

٣٥ تَظُنُّـهُ شَيْخَـه لَـوْلا شَبِيبَتُـه — والزَّرْعُ يَنْبُت فَـذاً ثُـمَّ يكتَهِـلُ

٣٦ أضحَـى لنـا بَـدَلاً منـه تَنُـوءُ بـهِ — والشِّبْلُ مِـنْ لَيْثِـهِ إمَّـا مَضى بَـدَلُ

---

(٢٦) «آذيُّها» مَوْجُها، ووزن الآذِيّ عندهم [فاعُول] إلى ذلك ذهب المتقدّمون، ولا يمتنع أن يكون منسوباً إلى آذٍ كما تقول في النسبة إلى قاضٍ قاضِيّ فوزنُه حيئذٍ [فاعيّ].

(٣٠) «يا مَوْئلاً» أي يا ملجأ، و«الآزمات» السّنون التي تَعضّ، و«الأَزْمُ» العَضّ: أي كان مأوى في السنين الشدايد. و«ادلَهمَّ» الخَطْبُ إذا أظلمَ. و«العُضُل» جمع عُضلة وهي الأمر العظيم وتُسمّى الداهيةُ عُضْلَة.

(٣٥) يقول: تظن هذا المذكور الباقي شَيْخَه أي أباه لولا أنه شاب، يصفه بالحِلم والوقار وجودةِ الرأي، ويُقال اكتهلَ النَّبتُ إذا اتصلَ بعضُه ببعض، واكتهل الغصنُ إذا غَلُظَ واشتدّ، قال الشاعر:

فتَسـامَـى زَمْخَـرِيٌّ وارِمٌ — مـالَـتِ الأعـرافُ منـه واكتَهَـلْ

وهذا البيت في صِفة نبات.

قافية الميم

199

وقال يرثي هاشم بن عبد اللّه بن مالك الخُزاعي [من الطويل] :

١ لَنِمْنا وصَرْفُ الدَّهْرِ ليسَ بنائِمٍ خُزِمْنا لهُ قسراً بغيرِ خَزائِمِ

٢ ألَسْتَ ترى ساعَاتِهِ واقتِسَامَها نُفُوسَ بَني الدُّنيا اقتِسَامَ الغَنائِمِ ؟

٣ لَيالٍ إذا أنحتْ عليكَ عُيونَها أرْتكَ اعتِبَاراً في عُيُونِ الأراقِمِ

٤ شَرِقْنَا بِذَمِّ الدَّهْرِ يا سَلْمُ إنَّهُ يُسيءُ فما يَألُو ولَيْسَ بظالِمِ

٥ إذا فُقِدَ المَفقُودُ مِنْ آلِ مالِكٍ تَقَطَّعَ قَلْبي رَحْمَةً للمَكارِمِ

٦ خَليليَّ مِنْ بعدِ الأسَى والجَوَى قِفَا ولا تَقِفا فَيْضَ الدُّموعِ السَّواجِمِ

٧ أَلِمَّا فهذا مَصْرَعُ البأسِ والنَّدَى وحَسْبُ البُكا إنْ قلتُ مَصْرعُ هاشِمِ

٨ ألَمْ تَرَيا الأيَّامَ كيفَ فجَعْنَنا بهِ ثُمَّ قَدْ شارَكْنَنا في المَآتِمِ ؟!

٩ خَطَوْنَ إليهِ مِنْ نَداهُ وبأْسِهِ خَلائِقَ أوْقَى مِنْ سُتُورِ التَّمائِمِ

---

(١) « الخَزَائم » جمع خُزامة وهي نحو الحَلقة من الشَّعَر تُجعل في أنف البعير.

(٣) ويروى « أرْتكَ فُتوراً » أي إذا أحدقَتْ إليك عُيونُ الأيّام رأيتَ فيها عُيونَ الأراقم فاتِرَةً.

(٤) « سَلْم » أخو أبي تمام. يقول: الدهرُ يُسيء إلينا وليس بظالمٍ لأنه قضاءٌ عَدْل.

(٦) أي قِفَا فابكيا لفقدِ هذا المَيّتِ بعد الحزن والجوى.

(٨) أي فجَعتْنا الأيّامُ بإهلاكه ثم أخذَتْ بالحظِّ في إهلاكه لأنها كانت حسَنَةً نَضِرةً فذهبَ ذلك بموته.

(٩) أي جاوَزْنَ إليه أخلاقاً من الجُود والبأس فذهبنَ بها، وكانت تلك الأخلاقُ أوقَى لنوائبِ الدهر من التَّمائم.

١٠ خَلائِقَ كالزَّغْفِ المُضَاعَفِ لم تَكُنْ لِتَنْفُذَها يَوْماً شَبَاةُ اللَّوائِمِ

١١ ولَوْ عاشَ فِينا بعضَ عَيْشِ فَعالِهِ لأَخْلَقَ أعمارَ النُّسُورِ القَشَاعِمِ

١٢ رَأى الدَّهْرُ مِنْهُ عَثْرَةً ما أقالَها وهَلْ حازِمٌ يَأْوِي لِعَثْرةِ حَازِمِ ؟!

١٣ لَئِنْ كانَ سَيْفُ المَوْتِ أسودَ صارِماً لَقَدْ فَلَّ مِنْهُ حَدَّ أبيضَ صَارِمِ

١٤ أصابَ امرءاً كانَتْ كَرائِمُ مَالِهِ عليهِ إذا ما سِيلَ غيرَ كرائِمِ

١٥ جَرَى المَجْدُ مَجْرَى النَّوْمِ منه فلم يَكُنْ بغيرِ طِعَانٍ أَوْ سَمَاحٍ بحَالِمِ

١٦ تَبَيَّنُ في إشراقِهِ وهْوَ نائِمُ بأَنَّ النَّدَى في رُوحِهِ غيرُ نائِمِ

١٧ فإنْ تُوهِ في الدُّنيا دَعَائِمُ عُمْرِهِ فما جُودُه فيها بِوَاهي الدَّعائِمِ

١٨ إذَا المَرْءُ لم تَهدِمْ عُلاهُ حَياتُهُ فليسَ لها المَوْتُ الجَليلُ بِهَادِمِ

١٩ أهاشِمُ صارَ الدَّمْعُ ضَرْبَةَ لازِمٍ وما كانَ لَوْلا أنتَ ضَرْبَةَ لازِمِ

٢٠ أهاشِمُ لِلحَيَّيْنِ فِيكَ مَصائِبٌ حَوائِمُ مِنها في قُلُوبٍ حَوائِمِ

٢١ مَساعٍ تَشَظَّتْ في المَواسِمِ كُلِّها ولوْ جُمِعَتْ كانَتْ كبعضِ المَواسِمِ

٢٢ لَيَوْمُكَ عندَ الأَزْدِ يَوْمُ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةُ مِنها في بُطونِ التَّهَائِمِ

٢٣ وما يَوْمُ زُرْتَ اللَّحْدَ يَوْمُكَ وَحْدَه علينا ولكنْ يَوْمُ عَمْرٍو وحاتِمِ

---

(١٠) « الزَّغْف » من صِفات الدُّرُوع، يُقال دِرْع زَغْف قيل إنها الواسعة وقِيل اللّيّنة، وكأَنَّ هذا الاسم مصدر في الأَصل، وهو يقع على الواحد والجمع والاثنين، وربما جاءَ في الشعر بتحريك العين فيجوز أَن يكون ضرورةً، ولا يمتنع أَن يكون على مثل قولهم نَهْر ونَهَر. « وشَبَاة » الشيء حَدَّهُ.

(١٢) يقول: الدهرُ حازمٌ فيما هو مُوَكَّل به من إتلاف النُّفوس، وهو حازم في دَفْعه عنه وعن الناس بالبأس والجُود وهما مُتضادان. (ع): هذا استفهام يُؤدّي معنى النفي، أي ليس الدهرُ بحازمٍ فيأوي لعثرةِ حازمٍ مثلِه، وهذا كما تقول للرجل إذا أَعيتْك خلائقُه هل فيك حيلة، أي ما فيك حيلة.

(١٨) [ص] « الموت الجليل » أي يموت مُجاهدا أو في طاعة خليفة. ويروي « الجميل ».

(٢٢) [ص] أي يوم وفاتك عند الأزد في الشِّدّة بمنزلة اليوم الذي تَخزّعتْ فيه خُزَاعة أي انقطعتْ عن الأزد فسُمِّيت في ذلك اليوم خُزَاعة، يقال تَخزَّع الشيءُ إذا تَكسَّر وتَفرَّق.

(٢٣) كأَنَّ هُلْكَكَ أَثَّرَ في مساعيها وأَخلَّ بها.

٢٤ فَكَمْ مُلْحَدٍ في يومِ ذلكَ غانِمٍ ... وكم مِنْبرٍ في يومِ ذلك غارِمِ!

٢٥ لَئِنْ عَمَّ ثُكْلاً كُلَّ شيءٍ مُصَابُهُ ... لَقَدْ خَصَّ أطرافَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ

٢٦ تَسَلَّبتِ الدُّنيا عليهِ فأصبَحَتْ ... خَلائِقُها مِثْلَ الفِجَاجِ القَوَاتِمِ

٢٧ وما نَكْبَةٌ فاتتْ بهِ بِعَظيمةٍ ... ولكنَّها مِنْ أُمَّهاتِ العَظَائِمِ

٢٨ بَني مالكٍ قَدْ نَبَّهتْ خامِلَ الثَّرى ... قُبورٌ لكمْ مُسْتَشْرِفاتُ المَعَالِمِ

٢٩ رَوَاكِدُ قِيسُ الكَفِّ مِنْ مُتَناوِلٍ ... وفيها عُلًى لا تُرتَقى بالسَّلالِمِ

٣٠ قَضَيْتُم حُقُوقَ الأرْضِ منكمْ بأعْظُمٍ ... عِظَامٍ قَضتْ دَهْراً حُقُوقَ المَقَاوِمِ

٣١ خُدِعْتُ لَئِنْ صَدَّقتُ أنَّ غُيابَةً ... تكشَّفُ إلَّا عَنْ وجُوهِ الهَيَاثِمِ

---

(٢٦) ويروى «فأصبَحتْ حَدَائقُها» و«تَسلَّبت» أي لبستْ السِّلاب، ويقال إنها ثياب من جُلود كانت تلبسها النوائح في المآتم، ويقال نَوْح مُتَسلِّب يعنون بالنَّوْح النوائح، وهو على مذهب قولهم تاجر وتَجْر. و«الحدائق» جمع حديقة وهي أرضٌ فيها نخل أو عنب. و«الفِجاج» الطُّرق الواسعة. و«القَوَاتم» الغُبْر أُخِذت مِن القَتام وهو الغُبار.

(٢٨) أي جَعَلتْ قُبورُكم الأرضَ نَبِيهةً لأنكم دُفنتم فيها.

(٣٠) «قضيتم حُقوق الأرض» بأن أودعتموها نُفوسَكم، و«المَقاوم» جمع مُقَام، وكذلك القياس في ذوات الواو كلّها إذا جُمِعت جمعَ التكسير وكانت في وزن [مُمَات] يقال مَرَاد ومَراود، ومَلاذ ومَلاوذ.

(٣١) «الغيابة» مثل الغَمامة، أي يكون هؤلاء القومُ في الغيابة فتنجلي عن وُجوههم، فيجوز أن يجعل تَجلّيها بالسُّيوف والأرماح، ولا يمتنع أن يجعل «التجلّي» مردوداً إلى الوجوه، كأنه قال لا تُكشف الغيابةُ إلاّ بوجوه هؤلاء، وجعل «عن» قائمة مقامَ الباء، وقال بعض الناس في قوله تعالى: «ففسقَ عن أمر ربّه» أي بأمره، وهذا المعنى كقول الآخر:

أضاءَتْ لهم أحسابُهم ووجُوهُهم ... دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ

وجمع «الهَيَاثم» لأنه جعلَ بني الأبِ يُقال لكل واحدٍ منهم هَيْثم، كما قالوا الأشاعر في بني الأشعر والأقارع في بني قُريع، قال الفرزدق:

ثَلَاثُ مَئِينَ للملوكِ وَفَى بها ... رِدائي وجَلَّتْ عن وُجوهِ الأهاتمِ

يُريد بني الأهتم، فجعل كلَّ رجل منهم يُوصف بذلك الوصف. ومَعنى البيت: إن صدّقتُ أنَّ ظُلمةً تنكشفُ إلاّ بهم فقد خُدِعتُ.

٣٢ رَأَيتُهمُ رِيشَ الجَناحِ إذا ذَوَتْ قَوادِمُ منها أُيِّدَتْ بِقَوادِمِ
٣٣ إذَا اختَلَّ ثَغْرُ المَجْدِ أضحَى جِلادُهمْ ونائِلُهمْ مِنْ حَوْلِه كالعَواصِمِ
٣٤ فلا تَطلبُوا أسيافَهُمْ في جُفُونِها فقَدْ أُسكِنَتْ بينَ الطُّلى والجَماجِمِ
٣٥ إذَا ما رِماحُ القَوْمِ في الرَّوْعِ أُكرِمَتْ مشَارِبُهَا عاشُوا كِرَامَ المَطَاعِمِ

200

وقال يَرثي محمّد بن حُميد [من البسيط] :

١ مُحَمّدُ بنُ حُمَيْدٍ أخلِقَتْ رِممُهْ أُرِيقَ ماءُ المَعالي مُذْ أُرِيقَ دَمُهْ
٢ تَنبَّهتْ لِبَنِي نَبْهانَ يَوْمَ ثَوَى يَدُ الزَّمانِ فعَاثَتْ فِيهِمُ وَفَمُهْ
٣ رَأَيْتُه بنجادِ السَّيْفِ مُحْتَبِياً كالبَدْرِ حينَ جَلَتْ عَنْ وجهِه ظُلَمُهْ
٤ في رَوْضَةٍ قد عَلا حَافاتِها زَهَرٌ عَلِمْتُ عندَ انتِبَاهِي أنَّها نِعَمُهْ
٥ فقُلْتُ والدَّمْعُ مِنْ حُزْنٍ ومِنْ فَرَحٍ يَجْرِي وقَدْ مَلأَ الخَدَّيْنِ مُنْسَجِمُهْ
٦ أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنٍ؟ فقالَ لي: لم يَمُتْ مَنْ لم يَمُتْ كَرَمُهْ

201

وقال يَرثي جَعفراً الطائيّ [من الخفيف] :

١ رَحِمَ اللَّهُ جعفراً فلقَدْ كا نَ أبيّاً شَهْماً وكانَ رَحِيما
٢ مُثِّلَ المَوْتُ بينَ عَيْنيهِ والذُّلُّ (م) فَكُلًّا رَآهُ خَطْباً عَظِيما
٣ ثُمَّ سَارَتْ بِهِ الحَمِيَّةُ قُدْماً فأماتَ العِدَى ومَاتَ كَرِيمَا

---

(٣٢) أي إذا مضت ريشة خَلَّفتْ مكانها أخرى.

(٣٥) أي إذا سُقِيت الرِّماحُ من دماء المُلوكِ عاش أهلُها كِرامَ المَطَاعم في حُسْن النشر عنهم.

(١) «الرِّمَم» تُستعمل في العظام البالية والحِبال المخلقة.

(٦) أصل «الشقيق» الذي يُشاقّ الإنسانَ في النسب، كأنَّ كلَّ واحدٍ منهما أخذَ شِقًّا أي جانباً ونِصْفاً.

قافية النّون

202

وقال يَرثي بني حُميد [من البسيط] :

١ اليَــوْمَ أُدرِجَ زَيْـدُ الخَيْــلِ في كَفَنِ ... وانحَــلَّ مَعْقُــودُ دَمْــعِ الأعيُنِ الهُتُنِ

٢ بَنِي حُمَيْــدٍ لَـو انَّ الــدَّهْــرَ مُتَّــزِعٌ ... لَصَــدَّ مِنْ ذِكْـرِكمْ عن جــانبٍ خَشِنِ

٣ إنْ يَنتَخِـلْ حَـدَثـانُ الـدَّهْـرِ أنْفُسَكُمْ ... ويَسْلَمِ النَّاسُ بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ

٤ فــالمَــاءُ لَيسَ عَجِيبــاً أَنَّ أعــذَبَــه ... يَفْنَــى ويَمتَــدُّ عُمــرُ الآجِـنِ الأَسِنِ

٥ رُزْءٌ عــلى طَـيِّـىءٍ ألـقَــى كَـلاكِـلَه ... لا بَــلْ على أُدَدٍ لا بَــلْ على اليَمَنِ

٦ لَمْ يُثْكَلوا لَيْثَ حَـرْبٍ مِثْلَ قَحْـطَبَـةٍ ... مِنْ بَعـدِ قَحْـطَبَـةٍ في سـالفِ الـزَّمَنِ

٧ إلَّا تَكُنْ صَــدَرَتْ عَنْ مَنْـظَرٍ حَسَنٍ ... حَرْبٌ، فقد صَدَرتْ عَنْ مَسْمَعٍ حَسَنِ

٨ نِعْمَ الفَتَى غَيْـرُ نِكْس في الجِلاد ولا ... لَـدْنِ الفؤادِ لَـدَى وَقْــعِ القَنَـا اللُّدُنِ

٩ حَنَّ إلى المَــوْتِ حَتَّى ظَنَّ جــاهِلُه ... بــأنَّــه حَـنَّ مُـشْـتَـاقــاً إلـى وَطَـنِ

١٠ وَلَّى الحُمَـاةُ وأضحَى عنـدَ سَــوْرَتِـهِ ... مـع الحَمِيَّـةِ كــالمَشْـدُودِ في قَــرَنِ

---

(٢) «المُتَّزِع» [المُفتَعِل] من وَزَعتُ الرجلَ إذا كففتَه، يقال وزعتُه فاتَّزع كما يقال وزنتُه فاتَّزن، وهذه التاء الأولى منقلبة مِن واو وهي التي في قولك وزنتُ ووعدتُ، وبعض العرب يقول مُوتزع ومُوتزن فيُظهر الواو، فإذا نطقوا بالماضي قالوا ايتزعَ، فإذا صاروا إلى المضارع قالوا يا تزع ويا تزن فقلبوا الواو إلى الألف.

(٥) «طَيِّىء» هو جَلْهمة بن أُدَدٍ، وله إخوة منهم الأشعر الذي ينتسب إليه الأشعرون، ومالك وهو أبو مِذْحَج، والحارث مِن ولده كِنْدة، فخصَّ طيِّئاً في أول كلامه ثم عَمَّ أُدَدَ كلّها وجاءَ باليمن من بعد، وهذا اسم يشتمل كلَّ مَن وَلدَه قحطانُ بن عابر، وإنما اليمنُ اسم البلد ثم صار الناسُ يقولون لمن حَلَّ بالشام من ولدِ قحطان هم من اليمن كاصطلاحٍ على ذلك.

١١ رَأى المَنايَا حُبَالاَتِ النُّفُوسِ فلَمْ يَسكُنْ سِوَى المِيتَة العُلْيَا إلى سَكَنِ
١٢ لَوْ لم يَمُتْ بينَ أطرافِ الرِّماحِ إذاً لَمَاتَ إذْ لَم يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الحزَنِ

203

وقال يرثي جاريَةً له تُوفِّيت [من الطويل] :

١ أَلَمْ تَرَني خَلَّيتُ نَفسِي وشانَها ولَمْ أحفِلِ الدُّنيا ولا حَدَثَانَها ؟
٢ لَقَدْ خَوَّفَتْني النَّائِبَاتُ صُرُوفَها ولَوْ أمَّنَتْني مَا قَبِلْتُ أمانَها
٣ وكيفَ على نَارِ اللَّيالي مُعَرَّسي إذا كَانَ شَيْبُ العارِضَيْنِ دُخانَها!
٤ أُصِبْتُ بِخُودٍ سَوْفَ أغبُرُ بعدَها حَلِيفَ أسًى أبكى زَماناً زَمانَها
٥ عِنَانٌ مِنَ اللَّذاتِ قَدْ كانَ في يَدِي فلمَّا مَضى الإلْفُ استَردَّتْ عِنانَها
٦ مَنحْتُ الدُّمَى هَجْرِي فلا مُحْسِناتِها أَوَدُّ ولا يَهْوَى فُؤَادِي حِسَانَها
٧ يَقُولُونَ هَلْ يَبكي الفَتَى لِخَرِيدَةٍ مَتَى ما أرادَ اعتاضَ عَشْراً مَكانَها!
٨ وهَلْ يَستَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمْسِ كَفِّه ولَوْ صاغَ مِنْ حُرِّ اللُّجَيْنِ بَنَانَها؟!

204

وقال يرثي عُمير بن الوليد [من الكامل] :

١ كَفُّ النَّدَى أضحَتْ بغيرِ بَنَانِ وقَنَاتُه أمسَتْ بغيرِ سنانِ
٢ جبَلُ الجبالِ غَدَتْ عليه مُلِمَّةٌ تَرَكَتْهُ وَهْوَ مُهَدَّمُ الأركَانِ
٣ أنعَى عُمَيرَ بنَ الوليدِ لِغَارَةٍ بِكْرٍ مِنَ الغَارَاتِ أوْ لِعَوانِ

---

(١٢) المعنى أنه كان يكره أن يموتَ حَتْفَ أنفِه وعلى فراشه، فلو لم يَمُتْ في المعركة والرِّماحُ تتناوله لمَاتَ من شِدّة حزنه أنه لم يمتْ كذلك، لأن الموتَ على هذا الوجه يُعدّ فخراً.

(٦) قد مَضَى ذكرُ «الدُّمَى» وأنها في الأصل الصُّورة، وأنَّ النساءَ تُشبَّه بها، ثم حُذِف لفظ التشبيه. و«المُحْسِنات» تقع على كلِّ مَن أحسنَ مِن النساء، ولكن الطائيَ أراد بـ«المحسنات» جمعَ مُحْسِنة وهي التي تُجِيد الغناء، ويجوز أن يكون هذا اللفظ مؤكّداً.

(٧) [الخريدة: الفتاة العذراء].

٤ أنعَى فَتى الفِتيانِ غيرَ مُكَذَّبٍ ... قَوْلي وأنعَى فارِسَ الفُرْسَانِ
٥ عَثَرَ الزمانُ ونائباتُ صُرُوفِهِ ... بِمُقِيلنا عَثَراتِ كلِّ زمانِ
٦ لَمْ يَتْرِكِ الحَدَثانُ يومَ سَطَا بهِ ... أَحَداً نَصُولُ بهِ على الحَدَثانِ
٧ قَدْ كُنْتَ حِشْوَ الدِّرْعِ ثُمَّ أَرَاكَ قَدْ ... أصبحتَ حِشْوَ اللَّحدِ والأكفانِ
٨ شُغِلَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ثُمَّ عيُونُهم ... مُذْ مُتَّ بالخَفقانِ والهَمَلانِ
٩ واستَعْذَبُوا الأحزانَ حتَّى إنَّهم ... يَتَحاسَدُونَ مَضاضَةَ الأحزانِ
١٠ ما يَرْعَوي أَحَدٌ إلى أحَدٍ ولا ... يشتَاقُ إنسانٌ إلى إنسانِ
١١ أأصابَ مِنْكَ المَوْتُ فُرْصَةَ ساعَةٍ ... فعَدَا عليكَ وأنتُما أخَوانِ؟!
١٢ فَمَنِ الذي أبقى لِيَوْمِ تكَرُّمٍ ... ومَنِ الذي أبقَى ليَومِ طِعَانِ؟
١٣ مَنْ يَدْفَعُ الكُرَبَ العِظَامَ إذا التقَتْ ... في مَأْزِقٍ حَلَقاتُ كلِّ بِطانِ؟
١٤ حَمَّالُ ما لَوْ حلَّ أصغَرُهُ على ... ثَهْلانَ لانهَدَّتْ ذُرَى ثَهْلانِ

205

وقال [من البسيط]:

١ إني أظُنُّ البِلى لَوْ كانَ يَفْهَمُه ... صَدَّ البِلى عن بَقايا وَجْهِهِ الحسَنِ
٢ يا مَوْتَة لم تَدَعْ ظَرْفاً ولا أدباً ... إلاَّ حَكَمْتَ بهِ لِلَّحدِ والكَفَنِ
٣ للّهِ ألحاظُهُ والمَوْتُ يَكْسِرُها ... كأنَّ أجفَانَه سَكْرَى مِنَ الوَسَنِ
٤ يَردُّ أنفاسَه كَرْهاً وتَعْطِفُها ... يَدُ المَنِيَّةِ عَطْفَ الرِّيحِ لِلغُصُنِ
٥ يا هَوْلَ ما أَبْصَرَتْ عيني وما سمعتْ ... أُذْني فلا بَقِيَتْ عيني ولا أُذُني
٦ لم يَبْقَ مِنْ بَدَني جُزْءٌ عَلِمْتُ بهِ ... إلاَّ وقد حَلَّه جُزْءٌ مِنَ الحَزَنِ
٧ كانَ اللَّحاقُ بهِ أولَى وأحسنَ بي ... مِنْ أَنْ أعِيشَ سَقِيمَ الرُّوحِ والبَدَنِ

---

(١٣) يقال في المثل قد التقتْ حَلْقَتا البِطان إذا انتهى الأمرُ في الشدّة، وهو مِثلُ قولِهم بلغَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْن وبلغَ السيلُ الزُّبَى، و«البِطان» كالحِزام في الإبل، وإنما قيل له بِطان لأنه قد يكون تحتَ بطنِ البعير.

(١٤) «ثَهْلان» جَبَل معروف، ويُقال إنَّ اشتقاقَه مِن الثَّهْل وهو الانبساط على وجه الأرض، كأنهم يريدون أنه واسع. وهذان البيتان ليسا من رواية الصولي.





باب الغزل



قافية الهمزة والألف

206

وقال [من الكامل] :

١	نَفْسِي فِدَاءُ مُحَمَّدٍ ووِقَاؤُهُ	وكَذَبْتُ ما في العالَمِينَ فِدَاؤُهُ
٢	أزَعَمْتَ أنَّ الظَّبْيَ يَحكِي طَرْفَه	والقَدُّ غُصْنٌ جالَ فيهِ ماؤُهُ؟
٣	أُسْكُتْ فأينَ ضياؤه وبَهاؤُهُ	وكَمالُه وذَكاؤُهُ وحَيَاؤُهُ؟
٤	لا تُغْنِ أسماءُ المَلاحةِ والحِجَى	فِيمَنْ سِوَاهُ فإنَّها أسماؤُهُ
٥	عَرِيَ المُحِبُّ مِنَ الضَّنَا فَقمِيصُه	طُولُ التأَوّهِ والسَّقامُ رِدَاؤُهُ
٦	لَوْ قِيلَ سَلْ تُعْطَ المُنَى كانَ المُنَى	أنْ لَوْ رَأى مَوْلاهُ كيفَ بُكاؤُهُ
٧	أحبَابَه لِمْ تَفعَلُونَ بِقَلْبِهِ	ما لَيسَ يَفعَلُه بهِ أعداؤُهُ؟
٨	مَطَرٌ مِنَ العَبَرات خَدِّي أرْضُه	حتَّى الصَّباح ومُقلَتايَ سَماؤُهُ

207

وقال في هَوًى له وزعَمَ أنَّه سَلا عنه بغيره [من الكامل] :

١	بَيَّتُ قَلْبي مِنْ هَوَاكَ على الطَّوَى	ورَحلْتُ من بَلَدِ الصَّبابَةِ والجَوَى
٢	لَوْ لم يُجِرْنِي الهَجْرُ منكَ بِلُطْفِهِ	واللّهِ لاستأمنتُ فيكَ إلى النَّوَى
٣	لم تَرْعَ لي حُرَقاً بِقَلْبِي قد مضَتْ	لَوْ لم يَذُدْها الدَّمْعُ عنه لاشتَوى

(٣) قوله « لاشتَوى » هو [افتَعلَ]، وأفعالُ المُطَاوعة تجي على [انفَعلَ] بالنون في الأكثر ، يُقال شويتُ =

٤ هَيْهاتَ كُنْتُ مِنَ الحَداثَةِ والصِّبا في غَفْلَةٍ إنَّ الهَوَى يُنْسِي الهَوَى

208

وقال [من الطويل] :

١ سَقَى اللّهُ مَنْ أهَوَى على بُعْدِ نأْيهِ وإعْراضِه عنِّي وطُولِ جَفائِهِ

٢ أبى اللّهُ إلّا أنْ كَلِفْتُ بحُبِّهِ فأصبحتُ فيه راضياً بقضائِهِ

٣ وأفرَدْتُ عَيْني بالدُّموعِ فأصبَحَتْ وَقَدْ غَصَّ منها كلُّ جَفْنٍ بِمائِهِ

٤ فإنْ مِتُّ مِنْ وَجْدٍ بهِ وصَبابَةٍ فكم مِنْ مُحِبٍّ ماتَ قَبْلي بِدائِهِ!

= اللحمَ فانشوَى، وهذا إجماع من أهل اللغة، وذكرَ سيبويه شويتُ اللحم فاشتوى.

قافية الباء

209

وقال [من المنسرح] :

١ نأتْ بهِ الدَّارُ عَنْ أقَارِبهِ ... فَأُلْقِيَ الحَبْلُ فَوْقَ غارِبهِ
٢ عاشتْ لِمَحْبُوبهِ مُمَانَعةٌ ... ماتَ عليها رَجاءُ طالِبهِ
٣ اتَّفَقَ الحسْنُ فيهِ واختَلَفتْ ... مَذَاهِبُ العَقْلِ في مَذَاهِبهِ
٤ لَمْ أرَ بَدْراً سِواكَ مُعْتَدِلاً ... بهِ افتقارٌ إلى كَوَاكِبهِ
٥ وَيْلُمِّ صَبٍّ رَمَى صُعُوبَتَك (م) الأُولى فَلاَنَتْ بِلِيْنِ جَانِبهِ

---

(١) يُقال في المثل ألقى حَبْله على غاربه إذا تُرِك يَفعل ما يشاء ويَذهبُ حيثُ أراد، وأصلُ ذلك في البعير يُجعل الحبلُ على غاربه ويُخلَّى في الرّعْي، ثم نُقِل ذلك إلى الآدميين، قال ذو الرُّمة:

أطاعَ الهَوى حتَّى رَمَتْه بِحَبْلِهِ ... على ظَهْره بعدَ العتابِ عَواذِلُهْ

(٥) (ع): «ويْلُمِّ عَوْدٍ رَمَى خُشونَتك الأُولى». بعضُ الناس يختارُ ضَمَّ اللام من «ويْلُمِّه» وبعضُهم يختار كسرها، ويجب أن يكون على معنى التعجب لأمِّ فلان، فإذا ضُمّت اللامُ اتَّبعَتْ ضمةَ الهمزة، وإذا كُسِرت اتبعت الهمزةُ كسرتَها، إلا أنهم يتركون الهمزَ في الموضعين، ويجوز أن يُقال في الخفض مررتُ بامِّه، «وامّه»، وكذلك إذا كان قبل الهمزة في «أمّ» ياءٌ ساكنة أو حرفٌ مكسور، وهذا أوجهُ من أن يُتأوّل على أنه من الويل إذْ كان الوَيْل إذا أُضيف فقد جرت العادةُ بفتح اللام، كقوله تعالى. ﴿ويلَكُمْ لا تفتروا على الله كذباً﴾ فكان يلزم أن يُقال ويلَ أمِّه بفتح اللام، وإن ادُّعِيَ أنَّ المُرادَ وَيْلُ امِّه واقعٌ أو كائنٌ أو نحو ذلك من المحذوفات فقد يُمكن هذا التأوّل، إلاَّ أنَّ الأوّل أشبه. وكأنهم خصّوا هذا الحرف بالحذفِ دون غيره لأنهم قالوا يا ثُكْلَ امّه ويا لَهْفَ أُمّه فلم يحذفوا، قال الشاعر: =

٦ أَلْقَـاكَ فـي مُعْجِـبٍ أوائِلُـهُ   فمـا تَفكَّـرْتَ فـي عَـواقِبِـهِ
٧ ومَـنْ يَـكُـنْ طَـيِّبـاً فـلا عَـجَـبٌ   أَنْ يـأْكُـلَ النَّـاسُ مِنْ أَطَـايِبِـهِ!

210

وقال أيضاً [من الطويل] :

١ ذكـرتُـك حتَّى كِـدْتُ أنسـاك لِلَّذي   تَـوقَّـدُ مِنْ نيـرانِ ذِكْـرَاكِ في قَلْبي
٢ بَكيتُـكِ لَمَّـا مَثَّـلَ النـأْيُ بـالهَـوَى   كأَنْ لم يُمثِّلْ بي صُدودُكِ في القُرْبِ
٣ وهَلْ كانَ لي في القُرْبِ عندك راحَةٌ   ووَصْلُكِ سَهْمُ البَيْنِ في الشرقِ والغَربِ؟
٤ بَلَى كـانَ لي في الصَّبْرِ عنـك مُعَوَّلٌ   ومَنْـدُوحَـةٌ لـولا فُضُـوليَ في الحُبِّ

211

وقال [من الطويل] :

١ ومُنْفَرِدٍ بالحُسْنِ خُلْـوٍ مـنَ الهَـوَى   بَصِيـرٍ بـأسبـابِ التَّجـرُّمِ والعَتْـبِ
٢ وَلُـوعٍ بِسُوءِ الـظَّنِّ لا يَعـرِفُ الـوَفَـا   يَبيتُ على سَلْمٍ ويَغْـدُو على حَـرْبِ
٣ زَرَعْتُ لـه في الصَّـدْرِ منِّـي مَـوَدَّةً   أقـامَتْ على قلبي رَقِيبـاً مِنَ الحُبِّ
٤ فمـا خَـطَرتْ لي نَـظرَةٌ نحـوَ غيـرِهِ   مِنَ النـاسِ إلَّا قـالَ أنتَ على ذَنْبِ

= فَـويْـلُ امِّهـا خَيْلاً بَهـاءً وشـارةً   إذا لاقـتِ الأعـداءَ لـولا صُـدودُهـا

وأصل هذه الكلمة أن تقال في حَمْد الرجل، كما قالوا هَوَتْ أُمُّه وهم يريدون الحمدَ، وهو نحو قولهم قاتله الله إذا عجبوا من شجاعته وفِطنته. « والعَوْد » أراد به الدّهر.

(٢) [ع] « مَثَّلَ » من قولهم مَثَّلَ بالرجل في القَتْل إذا صَنع به ما لا يَحسُن، مثل قطعِ الأنفِ والأذنين ونحو ذلك. وقد يكون « التمثيل » في غير القتل إلاّ أنه يُراد به الأمرَ الشنيع، والمعنى أنه جعله مَثَلاً يُذكر، والغرضُ أنَّ الهَوى مثَّلَ به النأيُ أي فعلَ به فعلاً قبيحاً، وكان حقُّ هذا الشاعر ألاّ يبكي، وأنكر البُكاةَ على نفسه لأنه ادعى أنَّ الصُدودَ في القُرْب مَثَّلَ به، فكان ينبغي أن يُسلِّيه ذلك.

(٢) « وَلُوع » بَناه على ولَعَ يَوْلَعُ، والمستعمل في الأكثر أُولعَ بالشيءِ، والرجلُ مُولَعٌ، ولكن وَلَعَ جائزة، ولا يقولون الرجلُ والِعٌ بكذا لأنهم استغنوا بالمُولَع، وقد قالوا وَلِعٌ وكأنهم اجتنبوا الوالعَ لأنهم قالوا لِلكاذب ولَعَ يلَعُ وهو وَالِع. وقَصَرَ « الوفاء » على الضرورة.

212

وقال أيضاً [من الخفيف] :

١ غَيْـرُ مُسْتَـأْنِسٍ بشيءٍ إذا غِبْـ ـتَ سِوَى ذِكْرِكَ الـذي لا يَغِيبُ

٢ أنتَ دُونَ الجُلاَّسِ أُنسِي وإن كنـ ـتَ بعيـداً فـالحُـزْنُ فيكَ قَـرِيبُ

213

وقال أيضاً [من البسيط] :

١ صَبَـرْتُ عنكَ بِصَبْـرٍ غيـرِ مَغْلُوبِ ودَمْـعِ عَيْنٍ على الخَـدّيْنِ مَسْكُـوبِ

٢ صَيَّـرتني مُسْتَقـرّاً لِلهَـوَى وطَنـاً لِلحُـزْنِ يـا مُستَقَـرَّ الحُسْنِ والـطِّيبِ

٣ لَئِنْ جَحَـدْتُكَ مـا لاقيتُ فيكَ فَقَـدْ صَحّتْ شُهُـودُ تَبـارِيحي وتَعْـذِيبي

٤ بِزَفْرَةٍ بعد أُخْـرَى طـالَمـا شَهِـدَتْ بأَنَّها انتُزعتْ مـن صَـدْرِ مَكْـرُوبِ

٥ لكنْ عـدَوْتَ على جِسْمي فبِنْتَ بـهِ يا مَنْ رَأَى الظَّبْيَ عَدَّاءً على الذِّيبِ؟!

214

وقال أيضاً [من البسيط] :

١ قـال الوُشَـاةُ بَدَا في الخَـدِّ عـارِضُـه فقُلْتُ لا تُكثـروا مـا ذاكَ عـائِبُـهُ

٢ لـمَـا استقَـلَّ بـأرْدَافٍ تُـجـاذِبُـهُ واخضَـرَّ فـوقَ جُمـان الـدُّرِّ شَـارِبُـهُ

٣ وأقْسَـمَ الـوَرْدُ ايـمَـانـاً مُـغَـلَّظَةً ألاّ تُـفـارِقَ خَـدّيْـهِ عـجـائِـبُـهُ

٤ كَـلَّمتُـه بِـجفُـونٍ غيـرِ نـاطِـقَـةٍ فكـانَ مِنْ رَدِّه مـا قـالَ حـاجِبُـهُ

---

(٣) [ع] قال «لئن جحدتُك» ثم استقبلها باللام في قوله «لقد»، وهي تُستقبَل مرّة باللام مع «قد» ومرّةً بفاءٍ مثل أن يقال ولئن جحدتكَ فلقد كان كذا وكذا، وإن شئت قلتَ ولئنْ فعلتَ لأفعلنَّ فجعلتَها على تأويل القسم، وكذلك يحتمل أن تقول لئن فعلتَ لا أفعلْ أبداً، فأمّا قولُ الأعشى:

ولئـنْ كنّـا كقـومٍ هَلَكـوا مـا لنـاسٍ يـالِقَـوْمِ مِـنْ فَلَـحْ

فإنَّ المعنى على إرادة الفاء كأنّه قال فما لناسٍ. و« التباريح » جمعُ تَبْريح، كما قالوا التَّكاليف في جمع التكليف والتباشير في جمع التبشير، وأصل المصادر ألا تُجمع، وربما استحسنوا فيها ذلك إذا اختلفتِ الأنواع.

٥ الحُسْنُ مِنهُ على ما كنتُ أعهَدُهُ والشَّعْرُ حِرْزٌ له مِمَّنْ يُطالِبُهُ
٦ أحلَى وأحسَنُ ما كانَتْ شَمَائلُهُ إذْ لاَحَ عارِضُه واخضَرَّ شارِبُهُ
٧ وصَارَ مَنْ كان يَلْحَا في مَوَدّتِهِ إنْ سِيلَ عنّي وعنْه قالَ صاحِبُهُ

215

وقال أيضاً [من الخفيف] :

١ إجْعَلي في الكَرَى لِعَيْني نَصِيبَا كَيْ تنالَ المكْرُوهَ والمَحْبُوبَا
٢ أَشرِكي بَيْنَ دَمْعِ عَيْني ونَوْمي واجْعلي لي مِنَ الرُّقادِ نَصِيبا
٣ كنتُ أهوَى البيضَ الحِسَانَ فقد أصـ ـبحَ حُبِّي عن غيرِها مَحْجُوبا
٤ قَرَّبَتْها المُنَى وباعَدَها النَّأْ يُ فأضحَتْ مِنِّي بَعيداً قَريبا
٥ إنْ تَكُنْ مُقْلَتي إذا غِبْتِ تَسْـ ـتولي عليها الدُّمُوعُ حتَّى تَؤُوبَا
٦ فَلكَمْ نَظْرَةٍ تُسَرُّ بها مِنْـ ـكِ لها رَوْعَةٌ تَسوءُ القُلُوبا!

216

وقال يهجو عبدَ اللّه الكاتب غُلاَمه [من الكامل] :

١ أطفَأْتُ نارَ هَواكَ مِنْ قَلْبي وحَلَلْتُني مِنْ عُرْوَةِ الحُبِّ
٢ أَبرَأْتُ قَرْحَةَ لَوْعةٍ نَبتَتْ بينَ الشِّغَافِ كقَرْحَةِ الجَنْبِ
٣ ما الذَّنْبُ يا كَنزَ الذُّنوبِ معاً لكَ في الهَوَى لكنَّه ذَنْبي

---

(١) (ع): يجب أن يكون الطائي لم يقل في النصف الأوّل « نصيباً » لأنه إن جعَله على حُكم المُصرَّع فقد أوطأ، والأشبهُ أن يكون قال « اجعلي في الكرى لعيني حظّا » أو نحو ذلك، والتّقفيةُ والتصريع إنما يُلجأ لهما في أوائل ما كَثُرَ من الأبيات في العدد، فأمّا فيما جرَى هذا المجرى فَتركُ التصريعِ فيه أعرف.

(٢) تختلف ألفاظُهم في « الشّغاف » فبعضُهم يقول هو داءٌ يُصيب الإنسانَ في صدره فإذا بلغ الطّحال هلكَ صاحبُه، وبعضُهم يقول « الشّغاف » حِجابُ القلب. و« قَرْحة الجَنْب » هي التي يُقال لها ذَاتُ الجَنْب وقلّما ينجو أصحابُها.

٤ لِمْ لَمْ أَقُلْ حَسْبِي فأذهَلَ عَنْ ... مَنْ لم يَقُلْ مِنْ هَجْرِهِ حَسْبِي؟
٥ فاسلَمْ ولا تَسلَمْ فلا عَجَبٌ ... لم تَنْجُ لُؤْلُؤَةٌ مِنَ الثَّقْبِ!

217

وقال [من مخلّع البسيط]:

١ مُرَتِّبُ الحُزْنِ في القُلُوبِ ... وناصِرُ العَزْمِ في الذُّنُوبِ
٢ ما شِئْتَ مِنْ مَنظَرٍ عَجيبِ ... فيهِ ومِنْ مَنْطِقٍ أريبِ
٣ لَمَّا رأى رِقْبَةَ الأعادِي ... على مُعنًّى بهِ كَئِيبِ
٤ جَرَّدَ لي مِنْ هَوَاهُ ودّاً ... صارَ رَقيباً على الرَّقيبِ!

218

قال [من الكامل]:

١ بأَبي وإنْ حَسُنَتْ له بأَبي ... مَنْ ليسَ يَعرفُ غيرَ ما أَرَبي
٢ قَرْطَسْتُ عَشْراً في مَوَدّتِهِ ... في مِثْلِها مِنْ سُرْعَةِ الطَّلَبِ
٣ ولَقَدْ أرَاني لَوْ وقَفْتُ يَدِي ... شَهْرَيْنِ أرمِي الأرضَ لم أُصِبِ

---

(١) [ع] و« خَشُنَتْ له ». إذا رويتَ. « حُسنتْ » فالمعنى أنه يستحق أن يُقال له بأبي إذْ كان غيرُه لا يَستحقّ هذه المنزلة. وأن رويت « خَشُنَتْ » فهو أشدُّ مبالغةً لأنه عنده أجلُّ من أن يُفدّى بالأب، كأنّه يستحقّ الفداءَ بالنفس وغيرها وبجميع الخَلْق. وقوله « ما أربى » يجوز أن تكون ما زائدة كما قال مُجمّع:

فإنْ أُمسِ ما شيخاً كبيراً فطالَما ... عَمَرْتُ ولكنْ لا أرى العُمْرَ يَنفعُ

ويجوز أن تكون « ما » في معنى الذي ويكون « هو » مُقدَّر، كأنّه قال غيرَ الذي هو أربى، وتكون مثلَ الحكايةِ عن العرب ما أنا بالذي قائلٌ لك شيئاً.

(٢) [ع] « قَرطسْتُ عشراً » مأخوذٌ من قرطَسَ الرَّامي في الهَدَف إذا أصابَ القِرْطاسِ، وهذه الكلمةُ كالمولَّدة، فأمّا القِرْطاس فقد تَكلّموا به قديماً ويقال إنّ أصلَه غيرُ عربيّ.

219

وقال [من الطويل] :

١ أَلا يَـا خَـليليَّ الـلَّذيْـن كـلاهُـمـا بِلَبَّيْـكَ عنـدَ النَّـائبـاتِ يُجيـبُ

٢ أعِينـا على ظَبْيٍ جُعِلْتُ نَصِيبَـهُ ومـالِيَ فيـهِ مـا حَيِيتُ نَصيبُ

220

وقال [من الكامل] :

١ تَلقَّـاهُ طَيْفي فـي الكَـرَى فـتَجـنَّبـا وقَبَّـلْتُ يـومـاً ظِلَّهُ فـتـغـضَّـبـا

٢ وخُبِّـرَ أنّـي قـد مَـررْتُ ببـابِـه لِأخلِسَ منـهُ نَـظْرَةً فـتَـحـجَّـبـا

٣ ولَـوْ مَرَّتِ الـرِّيحُ الصَّبا عنـدَ أُذْنِهِ بِـذِكْـرِي لَسَبَّ الـرِّيحَ أَوْ لَتَعَتَّبَـا!

٤ ولـم تَجْـرِ منِّي خَـطْرَةٌ بِضَميـرِهِ فـتـظهَـرَ إلّا كنتُ فيـهـا مُسَبَّبـا

٥ ومـا زَادَهُ عـنـدي قَبيـحُ فَعـالِـه ولا الصّـدُّ والإعـراضُ إلّا تَحَبُّبَـا

221

وقال [من مجزوء الرمل] :

---

(١) « لَبَّيْك » كلمة مَبنيَّة على التثنية، ومعناها لزوماً لطاعتِكَ بعد لُزوم، يقال لبّيتُ بالمكان إذا أقمتَ به، ورجل لَبٌّ بكذا إذا كان لازماً له، قال الراجز :

★ لَبًّا بأعجاز المَطِيِّ لاحِقا ★

ومن ذلك قولُهم امرأة لَبَّة إذا كانت عاطفةً على ولدها، كأنهم يُريدون لُزومَها ذلك، فإذا قالوا في الفعل لَبّيتُ الرجلَ فإنما نقلوا الباءَ إلى الياء كما قالوا قَصّيْتُ أظْفاري، فوزن لبّيْتُ على هذا [فَعّلْتُ] وكان يونس يَذهبُ إلى أنَّ قولَهم لَبيْك مُشابهٌ لقولهم عليك فاحتجّ عليه سيبويه بقول الشاعر :

دَعَـوْتُ لِمَـا نـابنـي مِسْـوَراً فَلبَّـى فلبَّـى يَـدَيْ مِسْـوَرُ

فدَلَّ ظهورُ الياء في قوله « لبَّى يَدَيْ » على أنه ليس مثل « عليك » لأنه لو كان مثلَه لَصارت الياءُ أَلِفًا

(٤) « المُسَبَّب » الذي يُسبُّ مرةً بعد مرة، كما قال الشَّماخُ في صِفَة الحُمُر :

مُسَبَّبَـةً قُـبَّ البُطـونِ كـأَنَّهـا رمـاحٌ نَحَـاهـا وِجْهَـةَ الرِّيـحِ راكِـزُ

١ قـد قَصَـرْنـا دُونَـكَ الأَلْـ ـحَـاظَ خَـوْفـاً أَنْ تَـذُوبـا
٢ كُـلَّمـا زِدْنـاكَ لَـحْـظاً زِدْتَـنـا حُـسْـنـاً وطِـيـبـا
٣ مَـرِضَـتْ أَلْـحـاظُ عَـيْـنَـيْـ ـكَ فـأمْـرَضْـتَ الـقُـلوبـا!

222

وقال [من مجزوء الرمل]:

١ يـا قَـضِـيـبـاً لا يُـدَانِـيـه (م) مِـنَ الإِنْسِ قَـضِـيـبُ
٢ فَـوْقَـهُ الـبَـانُ ومِـنْ تَـحْـ ـتِ تَـثَـنِّـيـهِ كَـثِـيـبُ
٣ وغَـزَالاً كُـلَّـمـا مَـرَّ (م) تَـمـنَّـتْـهُ الـقُـلوبُ
٤ ذَهَـبِـيُّ الـخَـدِّ يَـشْـ ـنِـيـهِ مِـنَ الـرِّيـحِ الـهُـبـوبُ
٥ مـا لَـمَـسْـنـاهُ ولـكَـنْ كـادَ مِـنْ لَـحْظ يَـذُوبُ!

223

وقال [من الطويل] :

١ بِعَقْلِيَ هـذا صِرْتُ أُحْـدُوثَـةَ الـرَّكْبِ وقَدْ كنتُ في سَلْمٍ فأصبحتُ في حَرْبِ
٢ لَعَمْـرٌو مـعَ الـرّمضـاءِ والنـارُ تَلتَـظِي أَرَقُّ وأَحفَى منـكَ في ساعـةِ الكَرْبِ
٣ متَى أَتَبَغَّى النِّصْفَ مِنْ قَلْبِ صاحِبٍ إذَا لم يَكُنْ قَلبي شَفِيقاً على قَلْبِي؟!

(٢) رواية أبي العلاء «لَعمْرِيَ للرَّمضاءِ والنَّارُ تلتظي» و«الرَّمضاء» حصًى صِغار تَشتدُّ عليه الشمس فيحمَى، ويقال للرمل أيضاً إذا حَمِي رمْضاء، ومن أمثالهم «كالمُسْتجير من الرمضاء بالنار». وقوله «لَعمري» كلمة تستعمل في القَسم وهي رفعٌ بالابتداءِ والخبرُ محذوف، وهي من العَمْر الذي هو حياة، ويقال عَمْرٌ وعُمْر في غير القسم، فإذا قيل لَعمْري لم تُستعمل إلاَّ بفتح العين، وبعضُ العربِ يَقلِبُ فيقول وعَمْلي، وينشدون:

تلك التي تَعرّضَتْ عَمْلِي
تَعَرُّض المُهْرَةِ في الطِّوَلِّ

والرواية التي في الأصل غير هذه، والمراد بـ«عمرو» عمرو بن هند المعروف، أو المثل المضروب:
المستجيـرُ بعمـرٍو عنـدَ كُـرْبتِـهِ كـالمستجيـرِ مـن الرمضـاء بـالنـارِ

٤ فَمَنْ مَاتَ مِنْ حُبٍّ فَإِنِّيَ مَيِّتٌ لَئِنْ دَامَ ذا مِنْ شِدَّةِ البُغْضِ للحُبِّ!

224

وقال [من الخفيف] :

١ حَسُنَتْ عَبرتي وطابَ نَحيبي فيكَ يا كنزَ كلِّ حُسنٍ وطيبِ
٢ لكَ قَدٌّ أَدقُّ مِنْ أَنْ يُحَاكَى بقَضيبٍ في الحُسْنِ أو بِكَثيبِ
٣ أيُّ شيءٍ يَكُونُ أحسَنَ مِنْ صَبٍّ أديبٍ مُتَيَّمٍ بأَدِيبِ؟!
٤ جارَ حُكْمِي في قَلْبِه وهَوَاهُ بعدَ ما جارَ حُكْمُه في القُلُوبِ
٥ كادَ أَنْ يَكْتبَ الهَوَى بينَ عَيْنَيهِ كِتاباً هذا حَبيبُ حَبِيبِ
٦ غيرَ أنّي لو كُنْتُ أعشَقُ نَفْسِي لَتنغَّصْتُ عَيْشَها بالرَّقيبِ

225

وقال [من مجزوء الكامل]:

١ نَظَرِي إليكَ عليكَ يَشْهَدُ لي بأَنَّكَ لي حَبيبُ
٢ وتَبَاعُدِي حَذَرَ الوُشَاةِ وأنتَ مِنْ قَلبي قَريبُ
٣ فانظُرْ إلى وَلَعِي بذِكْرِكَ كُلَّما غفَلَ الرَّقيبُ
٤ وانظُرْ إلى جِسْمِي فَفِيمَا حَلَّ بي العَجبُ العَجِيبُ

226

وقال [من الخفيف] :

١ شَمْسُ دَجْنٍ تَطَلَّعَتْ مِنْ قَضِيبِ أمَرتْ عَيْنَها بِسَبْي القُلُوبِ
٢ لَوْ تَحُلُّ القِناعَ للشَّمسِ والبَدْرِ ضياءً تقنَّعا بِغرُوبِ
٣ أنا مِنْ لَحْظِ مُقلَتَيْهِ جَريحٌ أَتَداوَى بِعَبْرَةٍ ونَحِيبِ
٤ حُرَقُ الشَّوْقِ والهَوَى يتَصارَخْنَ عليَّ مُشَقَّقاتِ الجُيُوبِ

(٥) أدخل « أنْ » بعد « كاد » وذلك عند البصريّين ضرورة ، والفرّاء يَذهبُ إلى أن أصل « كاد » يَجيء بعدها « أن » .

قافية التاء

227

[من مجزوء الرمل] :

١	زَفَـراتٌ مُـقَـلقِـلاتٌ	أسـعَـدَتْهـا الـعَبَـرَاتُ
٢	وعَـوِيـلٌ مِـنْ غَـليـل	أضـرَمَتْـه الحَسـرَاتُ
٣	ونَـحِـيـبٌ ووَجـيـبٌ	ودُمُـوعٌ مُـسْـبَـلاتُ
٤	وتـبـارِيـحُ اشـتِـيـاقٍ	وهُـمـومٌ طـارِقـاتُ
٥	وفُـؤادٌ مُـسْـتَـهـامٌ	جَـنَّـنـتْـه الـوَجَـنـاتُ
٦	وفُـتُـونٌ مِـنْ فُـتـور	أورَثَـتْـهُ الـلحَـظَاتُ
٧	وحَـبـيـبٌ صَـدَّ لـمّـا	كَـثُـرَتْ فِينـا الـوُشَـاةُ

(٥) «الوَجَنات» جمع وَجْنة وهو عَظْم الخَدّ الناتىء تحت الصُّدْع وفيها ثلاث لغات وَجْنَة ووِجْنَة ووُجْنَة، ومَن كان مِن لغته أن يهمزَ الواو المضمومة فيقول أُجُوه في وُجوه هَمَز إذا قال وُجْنة فيقول أُجْنة، وكذلك مَن كان مِن لغته أن يهمز الواو المكسورة، في أول الكلمة فيقول إكاف وإعاة في وكاف ووِعَاء يقول إجنة في وِجْنة. [ع] و«وجّنَتْه» أصل التَّوجين تليينُ الشيء ودَقُّه، ومنه قِيل لمدقَّةِ القصَّار المِيجَنَة فإذا جمعوها رَدّوها إلى الأَصل فقالوا مَوَاجن، قال الشاعر [عامر بن عقيل] :

رِقـابٌ كـالمَـوَاجـنِ خـاطِيـاتٌ   وأستـاهٌ علـى الأكـوارِ كُـومُ

228

وقال [من مجزوء الرمل]:

١	أنـــا مَيْـــتٌ ولَئِـــنْ مِـــتُّ (م)	فَـمِـن حُبِّي أمُـوتُ
٢	لِـغَـزال مِـنْ بـنـي الأَصـ	ـفَـرِ فـيـهِ جَـبَـروتُ
٣	عـبـدَ الـخَـلْقَ لـه بَـيْـ	ـنَ يَـديـهِ الـمَـلَكُـوتُ
٤	يَـمـنـعُ الـقُـبْـلَةَ مَـنْ يَـهـ	ـوَاهُ والـتـسـليـمُ قُـوتُ
٥	إنْ تَـضَـرَّعْـتُ بِـنُـطْقٍ	فـحُـمَـادَاهُ الـسُّـكُـوتُ

229

وقال [من الكامل] :

١	قَـمَـرٌ تَبسَّـم عَـنْ جُـمَـانٍ نـابـتِ	فـظَلِلْتُ أَرمُـقُـه بِعَـيْـنِ الـبَـاهِـتِ
٢	مـا زالَ يَقصُـرُ كُـلُّ حُـسْنٍ دُونَـه	حتَّى تفـاوَتَ عن صِفـات الـنَّـاعِـتِ
٣	سَجَـدَ الجَمـالُ لِـوَجْهِـهِ لمّـا رَأى	دَهَشَ العُقُـولِ لحُسنِـهِ المُتفَـاوتِ
٤	إنِّــي لأَرجُــو أَنْ أنـالَ وِصَـالَـه	بـالعَـطْفِ منـه ورَغْمَ أنْفِ الشَّـامِتِ

(١) [ع] «الجُمَانة» صياغة من ذهب أو فضَّة على مقدار اللؤلؤة، ثم كثرَ ذلك حتى سمّوا اللؤلؤة جُمَانة، وذلك معروف من كلامهم، إلا أن «الجُمْن» غيرُ منطوقٍ به، وقد ذُكِر أنَّ الجمانة لفظة أعجمية مُعرَّبة، وقال «عن جُمانٍ نابتٍ» فجعل الثغرَ جُماناً على حذف التشبيه وذلك كثير في الشعر، وبهذا النحو تعلَّقَ بعضُ أهل اللغة فحكى أشياءَ أنكرها عليه أهلُ السماع، مثل أن يقولوا البَرْديَّة السّاق، ويأخذونه من قول الشاعر:

تَخطـو علـى بَـرديّتيـن غَـذاهمـا غَـدِقٌ بسـاحـةِ حـائـرٍ يَعبُـوبِ

وإنما أراد تخطو على ساقين مثل البرديتين فحذف آلة التشبيه، وقد جاء به امرؤ القيس في قوله:

★ وساقٍ كأنبُوبِ السقِيِّ المُذَلَّلِ ★

وقوله «باهت» الأفصحُ عندهم بُهِتَ فهو مبهوت، وقد حُكي بَهَتَ، وقرأ بعضُهم «فبَهَتَ الذي كفَر».

قافية الحاء

230

وقال [من الخفيف] :

١ لي حَبيبٌ عَصَيْتُ فيهِ النَّصيحا ليسَ سمْحاً ولا بَخِيلاً شَحيحا
٢ كلَّما قُلْتُ قد رَثَى لِسَقامِي زَادَ قَلْبي بهجرِهِ تَبْريحا
٣ إنَّ في الصَّدْرِ والحَشَا حُرُقَاتٍ بِتُّ مِنها يا صاحبي مُسْتَرِيحا
٤ فأَثِبْني مِنَ القَطِيعَةِ بالوصـ ـلِ وإلَّا فارْدُدْ فُؤَادِي صَحيحَا

231

وقال [من الخفيف] :

١ يا سَمِيَّ الذي تَبَهَّلَ يَدعُو رَبَّه مُخْلِصاً لَهُ في «قُل أُوحي»
٢ وشَبِيهَ الذي استَقَلَّتْ به العِيـ ـرُ عن الجُبِّ خاضِعاً كالطَّلِيحِ
٣ ومُكَنّى تَتُوقُ نَفسي إليهِ بالرَّسُول الكريمِ بعدَ المَسيحِ
٤ أفصَحَ اليومَ ناظِرا مُسْتَهامٍ نَطَقا عن ضَميرِ قَلْبٍ قَريحِ

قافية الدّال

232

وقال [من مجزوء الكامل] :

١ أعطاكَ دَمْعُكَ جُهْدَهُ فَشَكَا فُؤَادُكَ وَجْدَهُ
٢ حَمّلْتَ جِسْمَكَ في الهَوَى ما لم يُطِقْهُ فَهَدَّهُ
٣ يا شامِتاً بِي إذْ رَأَى هجْرَ الحَبيبِ وصَدَّهُ
٤ لا تَشْمَتَنَّ فإنّه مولًى يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ

233

وقال [من السريع] :

١ صَدَّ وما احتَسَبَ الصَّدَّا لم يحفظِ الميثَاقَ والعَهْدَا
٢ ولا رَعى وُدِّي ولا حُرْمَتي ولم أَزَلْ أرعَى لهُ الوُدَّا
٣ يا قاتِلاً ظُلْماً بِسَيْفِ الهَوَى إذْ صِرْتُ عَبْداً فارحَمِ العَبْدا
٤ قَدْ والذي عَذَّبَ قَلْبي بِكمْ قاسَيْتُ مُذْ فارَقْتني جَهْدا

234

وقال [من مجزوء الخفيف]:

١ لا وَوَرْدٍ بِخَدِّهِ   واعتِدَالٍ بِقَدِّهِ
٢ لا تَعشَّقتُ غيرَه   لَوْ يَراني بِصَدِّهِ
٣ إنْ يَكُنْ أسقَمَ الهَوَى   بعدَ تَصحيحِ وُدِّهِ
٤ فعسَاهُ بعدَ التَّمَـ   ـنُّعِ يَرْثِي لِعَبْدِهِ

235

وقال [من الخفيف] :

١ أنَا في لَوْعَةٍ وحُزْنٍ شَدِيدِ   لَيْسَ عِندي لِلَوْعَةٍ مِنْ مزيدِ
٢ بأبي شادِنٌ تَنسَّمْتُ من عَيْـ   ـنيه يَوْمَ الخميس ريحَ الصّدودِ
٣ صارَ ذَنْبِي كذَنْبِ آدَمَ يا عَمْـ   ـرُو، فأُحرجتُ من جنان الخلودِ
٤ أنا أفدِي سَاجِي الجُفونِ يُسمَّى   ويُكَنَّى بِبَعضِ عَبْدِ الحميدِ

(٤) [ص] اسمُه أحمد وكنيتُه أبو عبدالله (ع): سَكَّن الياء في «ساجي الجفون» كما قال «رَدَّتْ عليه أقاصِيه». وليس في عبارة تَسمِّيه وتَكنِّيه ببعض عبد الحميد نَصٌّ على أنه مقصود، وهو يحتمل غيرَ وجه، مثل أن يكون يُسمّى بعلي أو عَدِيّ عَبْد أو عُبَيْدٍ، وإن حُمِل على تصوير الخط فاثبتّ الألفَ في «الحميد» جاز أن يُسمّى بعبّادٍ أو عابدٍ وعِباد. وقوله «ويُكنّى» إنما يعني الاسمَ الآخر من أسماء الكُنْية، فقد يجوز أن يُكنى بهذه الأسماء التي تَقدّم ذكرُها وغيرها مما يُستغنى عن الإتيان به. وقال في أبيات أُخرى:

الحُسْنُ والطِّيبُ إذا استُجمعا   عبدانِ عندي لأبي عَبْدِ

وهذا إجماع من أهْل اللغة، فيجوز أن يكون «أبو عَبْد» هذا هو الذي عَناه في قوله «يُسمّى ويُكنّى ببعض عبد الحميدِ» فإذا صَحّتْ كنيتُه بأبي عَبْدٍ جاز أن يكون اسمُه حَمْداً وحميداً وحامداً إذا أثبتَّ الألف وحمّاداً ونحو ذَلك.

236

وقال [من السريع] :

١ وفاتِنِ الألحاظِ والخَدِّ ... مُعْتَدِل القَامةِ والقَدِّ
٢ صَيَّرَني عَبْداً له حُسْنُه ... والطَّرْفُ قَدْ صَيَّرَه عَبْدِي
٣ قالَ وعَيْني مِنْهُ في عَيْنه ... راتِعَةٌ في جَنَّةِ الخُلْدِ
٤ طْرفُكَ زانٍ قلْتُ دَمْعي إذنْ ... يَجلِدُهُ أكثرَ مِنْ حَدِّ
٥ فاحمَرَّ حتى كِدْت أنْ لا أرَى ... وَجْنَتَه مِنْ كَثْرةِ الوَرْدِ
٦ الحُسْنُ والطِّيْبُ إذا استُجمعا ... عبدانِ عندي لأبي عَبْدِ

237

وقال [من البسيط] :

١ رأيتُ في النَّوْمِ أنَّ الصُّلْحَ قدْ فَسَدَا ... وأنَّ مولايَ بعدَ القُرْبِ قد بَعُدا
٢ لِمْ لَمْ أَمُتْ حَزَناً لِمْ لَمْ أَمُتْ أَسَفاً ... لِمْ لَمْ أَمُتْ جزَعاً لِمْ لم أمت كَمدا!
٣ قَدْ كِدْتُ أحلِفُ إلّا أنَّ ذا سَرَفٌ ... ألاَّ أذُوقَ مناماً بعدَها أبَدَا
٤ أصبَحْتُ مِنْ زَفراتٍ لا أقومُ لها ... أشكُو الرُّقادَ إذا غيري شَكا السُّهُدا

238

وقال [من المنسرح] :

١ بَلَغْتَ بي فوقَ غايةِ الكَمَدِ ... أبكيتَ عَيْنيَّ آخرَ الأَبَدِ

---

(٢) سكَّنَ الميم في «لِمْ» وحُكي ذلك عن العرب، وأنشد الفرّاء:

يا أبا الأسودِ لِمْ أسلمتني ... لِهمُومٍ طارقاتٍ وذِكَرْ؟

واللغة الفصيحة غيرُها.

٢ واكَبِدي يُوشِكُ الرَّقيبُ بأَنْ يمنعُني أَنْ أقولَ وَاكَبِدي!
٣ لَسْتُ أَلُومُ الحُسّادَ يا أملَحَ النّا سِ لإجماعِهِمْ على حَسَدي
٤ كيفَ أَلُومُ الحَسُودَ فيكَ وقَدْ رَأى هِلالَ السَّماءِ طَوْعَ يَدي؟

239

وقال [من السريع] :

١ آنسَني مِنْ بَعْدِكَ الوَجْدُ وعَبْرَةٌ تَطْرُقُ أَوْ تَغْدُو
٢ وَفَى البُكا بالعَهْدِ إِذْ لم يَكُنْ للصَّبْرِ ميثاقٌ ولا عَهْدُ
٣ نُغِّصتُ حُسْنَ النَّرْجِسِ الغَضِّ مُذْ بِنْتَ فَطَرْفي مِنْهُ مُرْتَدُّ
٤ لَمْ يُجْمعا قَطُّ لِعَيْني وقَدْ يَجْتمعُ النَّرجِسُ والوَرْدُ؟

240

وقال [من الخفيف] :

١ خَلَسَ البَيْنُ أحمدَ بنَ يزيدِ ليسَ فِعْلُ الأَيَّامِ بالمَحمُودِ
٢ ونَأى الهَجْرُ بالذي لا أُسَمِّي فأنا اليومَ في القَريب البَعِيدِ
٣ فَفِراقٌ أصابَني مِن فِراقٍ وفِراقٌ أصابني مِنْ صُدُودِ
٤ ليسَ مَنْ كانَ غائباً فَقَدَتْه الـ ـعَيْنُ حقّاً كالشّاهِدِ المَفْقُودِ

---

(٢) الشعراءُ تجتريء على زيادة الباء مع «أن» وغيرها، إلاَّ أنها مع غيرها أقلّ، مثلَ أن تقولَ ظننتُ بأن تفعلَ كذا وإنما الكلامُ ظننتُ أن تفعل، وقوله «فقلتُ لهم ظُنّوا بألفَيّ مُدجَجٍ» ليس من هذا الباب عند النحويّين لأن الظّن في هذا البيت يقين، وكذلك هو في قول الآخر:

قلتُ لهمْ ظُنّوا بالفَيّ فارِس
مُقَنَّعِينَ في الحديدِ اليَابِس

241

وقال [من السريع] :

١ لا آكُلُ التُّفاحَ دَهْرِي ولَوْ   جَنَيْتَه لي مِنْ جِنانِ الخُلُودِ
٢ واللَّهِ ما أتركُه مِنْ قِلًى   لكِنَّني أكرَهُهُ لِلخُدُودِ

242

وقال [من الكامل] :

١ غَطَّتْ يَداكَ عليَّ في لَحْدِي   وبَقِيتَ ما مُدَّ المَدَى بَعْدِي
٢ ورُزِقْتُ منكَ العَطْفَ ما حملَتْ   عَيْني الدُّموعَ ودَامَ لي وَجْدِي
٣ نَفْسِي بِكتْماني مُعلَّقَةٌ   بينَ النَّوَى ومَخافةِ الصَّدِّ

243

وقال [من الكامل] :

١ ظَبْيٌ يَتِيهُ بِورْدِه في خَدِّهِ   خَدٌّ عليهِ غَلائلٌ مِنْ وَرْدِهِ
٢ ما كنتُ أحسِبُ أنَّ لي مُسْتَمْتعاً   في قُرْبِهِ حتى بُلِيتُ بِبُعْدِهِ
٣ لا شيءَ أحسَنُ منه ليلةَ وَصْلِنا   وقد اتخَذْتُ مَخَدَّةً مِنْ خَدِّهِ
٤ وفَمِي على فَمِه يُسامِرُ رِيقَه   ويَدي تَنزَّه في حَدَائِقِ جِلْدِهِ

244

وقال [من السريع] :

١ وَلِي مِنَ الدُّنيا هَوًى واحِدٌ   يا رَبِّ فاصفَحْ ليَ عن الوَاحِدِ
٢ لا تَتركنِّي فيهِ يا ذا العُلاَ   أُحدُوثَةَ الصَّادرِ والوَارِدِ
٣ يا رَبِّ إنْ فارَقْتُه بعدَما   أضرَعني لِلشَّامِتِ الحاسِدِ
٤ فأَلحِق الرُّوحَ وجُثْمَانَه   بِوَهْدَةِ المُحتَفِرِ اللاَّحِدِ

قافية الرآء

245

وقال [من مخلّع البسيط]:

١ فَـرْدُ جَـمـالٍ سَـليـلُ نُـورِ ... بـهِ استَقَلَّتْ يَـدُ السُّـرُورِ
٢ تَـجُـولُ في رَوْنَـقِيْ جَـمَـالٍ ... مِـنْ خَـدِّهِ مُـقْـلَةُ البَـصِـيـرِ
٣ لـم يَعـرِفُـوا مِثْـلَه جـمَـالاً ... جَـلَّ عنِ المِثْـلِ والنَّـظِيـرِ

246

وقال [من الخفيف] :

١ يـا عَلِيـلاً حَشَـا الجَـوانِـحَ نـارًا ... كـانَ لي فيـكَ حـافِظُ الجـارِ جـارًا
٢ مَعْـدِنُ الحُسْنِ والمَـلاحـةِ قـد أَصـ ... ـبـحَ لِـلسُّـقْـمِ مَـعْـدِنـاً وقَـرارًا
٣ إنَّ وَجْـهَ الـحُمَّـى لَـوجـهُ صَفِـيقٌ ... حِينَ تَـسـطُو بـهِ نَـهـاراً جِـهـارًا
٤ لَـمْ تَشِـنْ وَجْـهَـهُ الـمَلِـيـحَ ولـكـنْ ... جَـعَـلتْ وَرْدَ خَـدِّهِ جُـلَّنـارًا

247

وقال [من السريع] :

١ وقَـهْـوَةٍ كَـوْكَـبُـهـا يَـزهَـرُ ... يَسـطَعُ مِنها المِسْـكُ والعَنْبَـرُ

٢ وَرْدِيَّةٌ يَحتَشُّهَا شادِنٌ كأنَّها مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ
٣ ما زالَ قَلْبِي مُذْ تَعَلَّقتُه أعمَى مِنَ الهِجْرَانِ ما يُبْصِرُ
٤ مُهَفْهَفٌ لم يَبْتَسِمْ ضاحِكاً مُذْ كانَ إلاّ كَسَدَ الجَوْهَرُ
٥ بحُبِّه يَقْبُرني قَابِري عندَ مَمَاتي وبهِ أُنشَرُ

248

وقال [من الهزج] :

١ شَبيهُ الخَدِّ بالتُّفَّا حِ والرِّيقَةِ بالخَمْرِ
٢ بَدِيعُ الحُسْنِ قَدْ أُلِّفَ (م) مِنْ شَمْسٍ ومِنْ بَدْرِ
٣ لَهُ وَجْهٌ إذا أَبصَرْ تَهُ ناجَاكَ عَنْ عُذْرِ
٤ تَعالى اللّهُ ما تَقْدَ حُهُ عَيْناهُ في صَدْرِي

249

وقال [من البسيط] :

١ سَهِرْتُ فيكَ فلمْ أجحَدْ يَدَ السَّهَرِ وطالَ فِكْرِي ولا عَتْبٌ على الفِكَرِ
٢ نادَمْتُ ذِكْرَكَ والظَّلْماءُ عاكِفَةٌ فكانَ يا سَيِّدِي أحلَى مِنَ السَّمَرِ
٣ فَلَوْ تَرَى عَبْرَتي والشَّوْقُ يسفحُها لَمَا التفَتَّ إلى شيءٍ مِنَ المَطَرِ
٤ يا مَنْ إذا قُلْتُ يا مَنْ لا نَظِيرَ لَهُ في حُسْنِهِ قيلَ لي يا أصدَقَ البَشَرِ
٥ ما إنْ أرَى وَجْهَكَ المكنونَ جَوْهَرُه يا أملَحَ النَّاسِ إلاّ نُسْخَةَ القَمَرِ

250

وقال [من الخفيف] :

١ يا سَمِيَّ النَّبِيِّ في سُورَة الجِنِّ ويا ثاني العَزِيزِ بِمِصْرِ
٢ تَركَتْ لَيْلَةُ الصَّراةِ بِقَلْبِي جَمْرَ شَوْق أَحَرَّ مِنْ كلِّ جَمْرِ
٣ باشَرَ المَاءَ فَهْوَ في رِقَّةِ الصَّنـ ـعةِ كالمَاءِ غيرَ أَنْ ليسَ يَجري
٤ جَمَشَ الماءُ جِلْدَه الرَّطْبَ حتَّى خِلْتُه لابِساً غِلالةَ جَمْرِ

251

وقال [من مجزوء الكامل]:

١ وَافَى الحَبِيبُ الزَّائِرُ طَلَعَ الهِلالُ الباهِرُ
٢ وغَزِيرُ دَمْعي مُهْتَدٍ فيهِ وَقلْبِي حائِرُ
٣ لي عَبْرَةٌ في الخَدِّ سا ئِرَةٌ وَبَيْتٌ سائِرُ
٤ فلو اكتَحلْتَ بِوجْهِهِ والطَّرْفُ مِنْهُ فاتِرُ

---

(١) إن صحّ أن هذا الشعر للطائي فهو يعني عبدالله الكاتب الذي ذكره في قوله: ★ جُعِلْتُ فِدَاكَ عبدُالله عِنْدي: ★ ويعني، بقوله «يا سمّي النبيّ في سورة الجن» قولَه تعالى: ﴿وأنه لمّا قام عبدُالله يدعوه﴾ وعبدالله في هذا الموضع وصف وليس باسم عَلَم، وقد يجوز أن تُسمّى الصفة اسماً لأنها اسم في الحقيقة. وقوله «ياثاني الولاة بمصر» يعني أن مصر وليهَا بعد عمرو بن العاص عبدُالله بن سعد بن أبي سَرْح.

(٣) (ع) يعني بـ« بيت » هاهنا أبياتاً كثيرة لأنه شائع في الجنس، كما تقول فلان له شاة وبعير أي إنه صاحب شاءٍ وإبل، فهذا هو الوجه، وقد يمكن أن يعني ببيت سائرٍ بيتاً واحداً على مِنهاج الكلام، ولكن الشاعر لم يُرد ذلك وإنما يُرجع إلى الغرض لا ظاهر اللفظ فلا يجوز أن يُعنى بـ« بيتٍ» واحدٌ مِن أبيات الشعر، كما أنَّ البيت في قول الآخر:

★ ألاَ يا بَيْتُ بالعَلْياء بيتُ ★

لا يجوز أن يُعنَى به إلاَّ بَيْتٌ واحد.

٥ وبِـوَجْـنَـتَـيْـهِ بَـدائـعُ لِـلـجُـلَّـنَـارِ ضَـرَائِـرُ
٦ لَـرَأَيْـتَ حَـتْـفَ مـوَارِدٍ لـيـسَـتْ لـهـنَّ مـصَـادِرُ

252

وقال [من مخلّع البسيط] :

١ نَـبِـيـلُ رِدْفٍ دَقِـيـقُ خَـصْـرٍ سَـلِـيـلُ شَـمْـسٍ نَـتِـيـجُ بَـدْرِ
٢ بَـدِيـعُ حُـسْـن رَشِـيـقُ قَـدٍّ مَـلِـيـح خَـدٍّ نَـقِـيُّ ثَـغْـرِ
٣ قَـضِـيـبُ بـانٍ عـلـيْـهِ بَـدْرٌ مِثـالُ حُسْـن عَـرُوسُ خِـدْرِ
٤ يـا خِـضْـرُ قـد كُنْتَ ذَا استتـارٍ في الحُبِّ حتَّى هَتكْتَ سِتْـري
٥ نَـمَّـتْ دُمُـوعـي عـلى عَـذَابِـي مُـذْ غـابَ عنِّي جَمِيـلُ صَبْـري

253

وقال [من الخفيف] :

١ يـا غَـزالاً قِـطافُ وَجنَـتـهِ الـوَرْ دُ ودُرٌّ بِـفـيـه دُرٌّ نَـثِـيـرُ
٢ لا وَقَـدٍّ يَـهتـزُّ كـالـغُصُـنِ الـغَضِّ (م) إذا ارتَـجّ فـيـه رِدْفٌ وَثِـيـرُ
٣ لا سَـأَلْتُ الخَلاصَ مِنـكَ وإنْ كُنْـ ـتَ بَـلاَءَ الـهَـوَى علـيَّ تُـثِـيـرُ

254

وقال [من السريع] :

١ مِـنْ أينَ لـي صَبْـرٌ عـلى الـهَـجْـرِ لَـوْ أَنَّ قَـلْبي كـانَ مِـنْ صَـخْـرِ؟
٢ وَيْــلٌ لجسْمِي مِـنْ دَواعِي الـهَـوَى وَيْـلٌ معي يَـدْخُـلُ فـي الـقَـبْـرِ
٣ لـو كُنْتُ أرعَى النَّجْم تَقْـوًى لقَـدْ أدرَكَ طَـرْفـي لَـيْـلَةَ الـقَـدْرِ

255

وقال [من السريع] :

١ مُعْتَدِلٌ كالغُصُنِ النَّاضِرِ ... أبلَجُ مِثْلُ القَمَرِ الزَّاهِرِ
٢ جُفُونُه تَرْشِقُ أهلَ الهَوَى ... بِأسهُمٍ مِنْ طَرْفِهِ الفَاتِرِ
٣ قَدْ قُلْتُ لمّا لَجَّ في صَدِّه ... إعطفْ على عَبْدِكَ يا قَابِري
٤ إنْ لَم تَجُدْ لي صِحْتُ بينَ الوَرى ... وَيْلاَهُ مِنْ ظَبْيِ بَنِي عامِرِ!

256

وقال [من الطويل] :

١ أُبادِرُها بالشُّكْرِ قبلَ وِصالِها ... وإنْ هَجَرتْ يوماً طَلَبتُ لها عُذْرَا
٢ وأجعَلُها في الغَدْرِ عِنْدِي وَفيَّةً ... وإنْ زَعمَتْ أَنِّي لها مُضْمِرٌ غَدْرَا
٣ أَتَاها بِطِيبٍ أهلُها فتضَاحَكتْ ... وقالَتْ أَيبْغِي العِطْرُ ويْحَكُمُ العِطْرَا؟
٤ أَحَادِيثُها دُرٌّ ودُرٌّ كَلامُهَا ... ولم أَرَ دُرّاً قبلَه يَنظِمُ الدُّرَا

257

وقال [من البسيط] :

١ قَدْ صَنَّفَ الحُسْنُ في خَدَّيْكَ جَوْهَره ... وفيهِ قد خَلَّفَ التُّفاحُ أحمَرَهُ

---

(٤) هذه الهاء إنما تلحق في النُّدبة، وحقُّها أن يكون في أولها الخرفُ الدَّال عليها وهو ياءٌ أو واو كقوله يا لَهْفاه ووَالهفاه، وقد ذهب بعضهم إلى أن أصل النُّدْبة للأسماء المشهورة، إلاّ أنهم قد خرجوا بها إلى غير ذلك، وإثبات الهاء هاهنا في غير الوقف مثل إثباتها في قول القائل:

أتوبُ إليكَ يا ربَّاه مِمّا ... جنيتُ فقد تَظاهرتِ الذُّنُوبُ

٢ وكُــلُّ حُـسْنٍ فَـمِنْ عَـيْنَـيْـكَ أوّلُــه ... مُـذْ خَطَّ هارُوتُ في عَيْنَيْـك عَسْكَرَهْ

٣ وكــانَ خَـدُّكَ دَهْــراً مُشْـرِقــاً يَقَقــاً ... فَمُــذْ تمكَّنَ فـيــهِ اللَّحْظُ عَـصفَــرَهُ

٤ قَـلْبي رَهِـينُ بـكَفَّـيْ شَــادِنٍ غَنــجٍ ... يُــمـيــتُــه وإذا مــا شَــاءَ أنــشَــرَهُ

258

وقال [من الكامل] :

١ أغمِـدْ عنِ المُهجـاتِ سَيْفَ النـاظِـرِ ... فلقَــدْ فَتــرْنَ مِنَ اللِّحَــاظِ الفَــاتِــرِ

٢ كَيْفَ اعتَدَلْتَ معَ اعتدالِ الغُصْنِ في ... حَــرَكَــاتِــه وفَعلْتَ فِعْـلَ الجَــائِــرِ؟

٣ وَعَلِمْتَ إثْمَ السِّــحْــرِ حينَ ذَمَمْـتَــه ... وأرَاكَ مُــتَّــخِــذاً أداةَ الــسَّــاحِــرِ

٤ يــا شــاعِــراً في طَــرْفِــهِ وبَهــائِــهِ ... وجَمــالــهِ عَــذَّبتَ قَلْبَ الشــاعِــرِ!

259

وقال [من الكامل] :

١ هــذا هَــوَاكَ وهــذِهِ آثــارُهُ ... أَمَّــا الــفُــؤَادُ فــلا يَــقَــرُّ قَــرَارُهُ

٢ يَصِــلُ الأَنينَ بِــزَفْــرَةٍ مَــوْصُــولَــةٍ ... بِغَليــلِ شَــوْقٍ ليسَ تُــطفَــا نَــارُهُ

٣ ودَعــا الدُّمــوعَ فــأقبَلَــتْ مُنْهَلَّــةً ... شَــوْقــاً وذَاكَ قُـصَــارُهــا وقُصَــارُهُ

٤ مِنْ طَــرْفِ مُمْتَنــعِ الــرُّقــادِ مُتَيَّمٍ ... أرِقٍ سَــوَاءٌ لَــيْــلُهُ ونَــهــارُهُ

---

(٢) أدخل الفاءَ في هذا الموضع لإقامة الوزن، وحذفُها أحسنُ في الكلام المنثور، وقد ذهب قوم إلى أن الفاءَ تُزاد في بعض المواضع، والأجود ألا تُجعل زائدةً وأن يُتأوّلَ لها معنى الفعل، لأنه إذا كان في الكلام حَسُنَ الإتيانُ بالفاء ويقبحُ أن تقول عبدُك فله دِرْهم على معنى قولك عبدُك له درهم، فإن قلت عبدُك الذي يخدمك فله درهم حَسُنَ مجيئُها بعضَ الحُسْن لأن الفعل قد ظهر وكأنهم يذهبون إلى أن المُجتلِب للفاء معنى الجزاء.

وقال في سَكَنٍ جارية هشام ، ورواها حمزة وغيره. قال : ويقال جارية محمود الورّاق، وسأله مولاها أن يمتحنها ، وذكره في الغزل [من الكامل] :

١ عَنَّتْ لـه سَكَنٌ فهَـامَ بِـذكْـرِهـا ... أيُّ الـدُّموعِ وقَـدْ بَدَتْ لم يُجْرِهـا!
٢ بَيْضَـاءُ يُحسَبُ شَعْـرُهـا مِنْ وَجْهِها ... لَمَّـا بَـدا أَوْ وَجْهُهـا منْ شعْـرِهـا
٣ مُتفَنِّنٌ في الـظَّرْفِ باطِنُ صَـدْرِها ... مُتفَنِّنٌ في الحسْنِ ظـاهِـرُ صَـدْرِها
٤ تُـعـطِيـكَ مَنْـطِقَـهـا فتَعـلمُ أنَّـه ... لِـجَنى عُـذُوبتِـهِ يَـمُـرُّ بثَـغْـرِهـا
٥ وأظُنُّ حَبْـلَ وصـالِـهـا لِمُـحِبِّـهـا ... أوْهَى وأضعَفُ قُـوّةً مِنْ خَـصْـرِهَـا

---

(١) « السَّكَن » يقع على المذكَّر والمؤنَّث لأنَّه يجري مجرى المصادر، وإن وقع على جَمْع فجائز وفي الكتاب العزيز : ﴿واللهُ جعلَ لكم مِن بُيوتكم سَكَناً﴾ وكلُّ ما سُكِن إليه يجوز أن يقال له ذلك، ولهذه العِلَّة سُمّيت النارُ سكَناً لضوئها ودِفْئها.

(٢) المعنى أنَّ شعرها ووجهَها حَسَنان فهما وإن كانا مُتَضادَّيْن في اللَّون يشتبهان في الحُسْن.

(٤) استعمل « المنطق » في معنى النُّطْق على المجاز، ولو حُمِل على القياس لوَجَب أن يكون المنطقُ موضعَ النُّطْق أي الفَم، وقد استعملوا النطق لغير بني آدم، قال لبيد:

فصَدَّهـا مَنطِـقُ الدَّجساجِ مـع الصُّـبْـ ... ـحِ وصَـوْتُ النـاقـوسِ إذْ ضُـرِبَـا

وقوله « لجَنى عذوبته » كأنّ الغرضَ لعذوبة جَناه، فلّما كان المعنيان متقاربين جاز أن يُقدّم إحدى اللفظتين على الأخرى، وهذا نحو قول الفرزدق:

يـا عَجَبـا لِعُمـانِ الأزْدِ قـد هلكـوا ... ولـم يَـروا عِبـرةً فـي سـالـفِ الأمَـمِ

قافية الزّاي

261

وقال ، رَواها حمزةُ وغيرُه [من الطويل] :

١ إذَا رَاحَ مَشْهُــورُ المَحـاسنِ أو غَـــدَا   بلينٍ على لَحْظِ العُيــونِ الـغَــوامِــزِ

٢ فَمَنْ لم تَفُــزْ عَـيْنـاه منـــه بِنَــظْرَةٍ   فليسَ بخَيــرٍ في الـحيــاةِ بـفَــائِــزِ

٣ إذَا ما انتضَى سيفَ المَلاحـةِ طَـرْفُـه   ونادَى قُلوبَ القَوْمِ هَلْ مِـنْ مُبـارِزِ

٤ عَجَـزْتُ فـألقَى السِّلْمَ قَلْبي لِــطَرْفِـهِ   على أنَّــه عَنْ غيــرِهِ غيــرُ عــاجِــزِ

قافية السّين

262

وقال [من الخفيف] :

١	إنَّ يـومَ الـفِـراقِ يَـوْمٌ عَـبُـوسُ	أيُّ سَيْـلٍ تَسِيـلُ فيـهِ الـنُّفُـوسُ!
٢	لـم أزَلْ أُبغِضُ الـخَمِيسَ ولـم أَدْ	رِ لـمـاذا حتَّى دَهـاني الـخَمِيسُ
٣	بِـأَبـي مَـنْ إذَا رَآهـا أَبُـوهـا	شَعفـاً قـالَ لـيتَ أَنَّـا مَـجُـوسُ
٤	لَـوْ تَجـافَى إبليسُ عن لَحْظِ عَيْـنَيْـ	ـهـا تَـقَـرَّا عِـبـادَةً إبْـلِيسُ!
٥	إنْ تُفـارِقْ لَحْـظِي فَقَـدْ كـانَ منهـا	وهْـوَ فـي كـلِّ سـاعتـينِ عَـرُوسُ

(٤) [ع] «تَقَرَّى» يحتمل وجهين: أن تكون من تَقَرَّى الشيءَ إذا تَتبَّعه فهذا غير مهموز، والآخر أن يكون من تَقرَّ القرآن إذا طلبَ حفظَه وتشبَّه بالقُرّاء فهذا أصله الهمز، وحملهُ على هذا الوجه أليق، وقد حُكي قرأتُ القرآن وقرَيْتُ، ومَن قال قَرَيتُ القُرآن بغير همز ففيه وجهان: أحدُهما أنه يريد قَرأتُ القرآن فيُلقى حركة الهمزة على الراء ويحذفها كما قال:

ربّمـا فـارسٍ كثـالثـةِ الرَّضْـ ـفِ قـد اثكلتنيـهِ بُـوتِ بِحُـوبِ

والآخر أن يُؤْخذ من قَريتُ الشيءَ بالشيء.

(٥) [ع] جعلَ لحظةَ كالمُعرِّس إذا نظَر إلى هذه الموصوفة و«العَرُوس» يُستعمل للرجل والمرأة، وقولهم «لا مَخْبأَ لعطرٍ بعد عَرُوس» يحتمل الوجهين، قال الشاعر:

أتـرضَـى بـأَنَّـا لا تَجِـفَّ دِمـاؤنـا وهـذا عَـرُوسـاً بـاليَمـامـةِ خـالِـدُ

ويُروى «بالمَدِينةِ».

263

وقال [من البسيط] :

١ دَعْنِي وشُرْبَ الهَوَى يا شَارِبَ الكاسِ ... فإنَّني لِلَّذي حُسِّيتُه حَاسِي

٢ لا يُوحِشَنَّكَ ما استَسْمجتَ مِنْ سِقَمِي ... فإنَّ مُنْزِلَهُ بي أحسنُ النَّاسِ

٣ مِنْ خَلْوتي فيهِ مَبْدَا كلِّ جائحة ... وفِكْرتي منه مَبْدَا كلِّ وَسوَاسِ

٤ مِنْ قَطْعِ ألفاظِهِ تَوْصِيلُ مَهْلكتي ... ووَصْلُ ألحاظِهِ تَقطيعُ أنفاسي

٥ رُزِقْتُ رِقَّةَ قَلْبٍ منه نَغَّصه ... مُنغِّصٌ مِنْ رَقيب قَلْبُه قاسي

٦ متَى أعِيشُ بتأميلِ الرَّجاءِ إذا ... ما كانَ قَطْعُ رَجائي في يَدي ياسي؟

264

وقال [من السريع] :

١ يا شَادِناً صِيغَ مِنَ الشَّمْسِ ... تِهْ بالمَلاحاتِ على الإنْسِ

٢ في كلِّ يومٍ أنتَ في صُورَةٍ ... غيرِ التي كنتَ بها أمْسِ

٣ تَزْدادُ طِيباً كلَّ يومٍ كما ... يَزدادُ غُصْنُ البانِ في الغَرْسِ

٤ واللَّهِ لَوْلا اللّهُ لا غَيرُهُ ... وخَوْفيَ النَّارَ على نَفْسِي

٥ صَلَّيْتُ خَمْساً لكَ مِنْ هَيْبَةٍ ... وازدَدْتُ ثِنْتَينِ على الخَمْسِ!

265

وقال [من المنسرح] :

١ يا مَن تَرَدَّى بِحُلَّةِ الشَّمْسِ ... ومَنْ رَماني بأسْهُمٍ خَمْسِ

٢ بالطَّرْفِ والثَّغْرِ والسَّوالف والنَّحْـ ... ـرِ وشيءٍ يَطِيبُ في اللَّمْسِ!

٣ ها أنا ذا بالذُّنُوب مُعْتَرِفٌ ... فهَبْ لِذُلِّي جِنَايَتَيْ أمْسِ

٤ وجُدْ لِمُسْتمطِرِ الجُفُونِ دَماً ... شَغَلْتَه عن صَلاتِه الخَمْسِ

٥ سـألْتُ عن وَصْفِكَ الصِّفـاتِ فمـا نَـطقْـنَ إلاَّ بـألْـسُـنٍ خُـرْسِ

266

وقال [من الكامل] :

١ يـا لاَبِسـاً ثَـوْبَ المَـلاحـةِ أبْلِهِ فَـلأَنْتَ أوْلَىٰ لاَبِسيـهِ بِـلُبْسِـهِ
٢ لـم يُعْـطِكَ اللّهُ الـذي أعـطَاكَـه حتَّى استخَفَّ بِبَـدْرِهِ وبِشَمْسِـهِ
٣ رَشَـأ إذا مَـا كـادَ يُـطلِقُ نَـفْسَـه في فَتْكِـه أَمْـرَ الحَيَـاءُ بِحَبْسِـهِ
٤ وأنـا الـذي أعـطَيْتُه مَحْضَ الهَـوَى وصَـمِيمَـهُ وأخـذْتُ عُـذْرَةَ أُنْسِـهِ
٥ فَـلَئِنْ جَـنَيْـتُ ثِـمـارَه وغَـرَسْتُـهُ مـا كنتُ أوّلَ مَنْ جَنَى مِنْ غَـرْسِـهِ
٦ مَـوْلاَك يـا مَـوْلاَيَ صاحِبُ لَـوْعَـةٍ فـي يـومِـهِ وصَبَـابَـةٍ فـي أمسِـهِ
٧ دَنِـفٌ يَجُـودُ بِـنَفْسِـهِ حتى لقَـدْ أمسَى ضَعِيفـاً أَنْ يَجُـودَ بِـنفسِـهِ!

267

وقال [من الطويل] :

١ بنَفْسِي حَبِيبٌ سَـوْفَ يُثكِلُني نَفْسِي ويَجْعَلُ جِسْمي تُحْفَةَ اللَّحدِ والرِّمْسِ
٢ جَحَدْتُ الهَوَى إن كنتُ مُذْ جَعَلَ الهَوَى مَحاسِنَه شَمْسِي نَظَرْتُ إلى الشَّمْسِ
٣ لَقَدْ ضـاقَتِ الدُّنيا عليّ بـأسرِهـا بهجـرانِـهِ حتَّى كـأنِّي في حَبْسِ
٤ أُسَكِّنُ قَلْبـاً هـائمـاً فيـهِ مَـأْتَمٌ مِنَ الشَّوْقِ إلاَّ أن عَيْنيَ في عُـرْسِ
٥ وإنـي لأخْشَـى إنْ تَـرَاقَـتْ أُمُـورُه بـهِ أَنْ يَثُورَ الجِنُّ فيـهِ على الإِنْسِ

268

وقال [من الخفيف] :

بِتُّ سِلْمَ الجَوَى وحَرْبَ النُّعـاسِ عُـرْضَـةً لِـلزَّفـيـرِ والأنـفـاسِ

٢ دَائِبــاً لَيْـلتي أكُـفُّ بـكَـفِّـي كَبِـداً حَـزُّهـا كَحـزِّ الـمَـوَاسِـي
٣ فـإذا أجـلَتِ الـهُـمـومُ تـأوّهـ ـتُ وَنـادَيْـتُ يـا أَبـا العبّـاسِ !
٤ حَـرَبي منـكَ لا أصـابَـكَ مِعْشـا رُ الـذي مِنْ هَـواكَ مَـرَّ بِـراسي!

269

وقال [من الطويل] :

١ غـداً يَتَنـاءَى صـاحِبٌ كـانَ لي أُنْسَـا فلا مُصْبَحٌ لي في السُّرورِ ولا مُمْسَى
٢ وتُـصْبِـحُ أحـزَانـي عليـهِ كَثِـيـرةً ويُصْبِـحُ سَعْـدِي مِنْ مَـوَدَّتِـهِ نَحْسَـا
٣ أخٌ لِيَ لَـوْ أُعطَى المُنَى باسمٍ فَقْدِهِ بِـلا فَقْـدِه كـانَتْ بـهِ ثَمَنـاً بَخْسَـا
٤ فلَوْ أَنَّ نَفسي ألفُ نَفْسٍ لمَـا انثَنَتْ يَـدُ البَيْنِ أو تُـودِي بـآخـرِهـا نَفسَـا

270

وقال [من السريع] :

١ عَبْـدُكَ يَـدْعُـو بـاسِـطاً خَمْسَـهُ مُبْتَهِلًا يَـدْعُـو فلا تَنْسَـهُ
٢ إنْ أنـتَ لـم تَـبْـكِ لـه رَحْـمـةً فـلا تَـلُمْـهُ إنْ بَـكـا نَـفْـسَـهُ
٣ كَـمْ حَسْـرَةٍ لـي في الـفُؤَادِ الـذي أطـلتَ في سِجْنِ الـهَـوَى حَبْسَـهُ
٤ عَبْـدٌ إذا أوحَشْتَـه لـم يَجِـدْ في النـاسِ لـو حَفُّـوا بـهِ أُنْسَـهُ

271

وقال [من المديد] :

١ نَـفَسٌ يَـحـتَـثُّـهُ نَـفَسُ ودُمـوعٌ لـيسَ تَـحـتَـبِسُ
٢ ومَـغَـانٍ لِـلكَـرَى دُثُـرٌ عُـطُلٌ مِـنْ عَـهْـدِهِ دُرُسُ
٣ شَهَرتْ ما كنـتُ أكتُمـهُ نـاطِقـاتٌ بـالهَـوَى خُـرُسُ

قافية الشّين

272

وقال [من المديد] :

١	خَالِسٌ لَحْظاً على دَهَشٍ	نَاظِرٌ مِنْ طَرْف مُنْجمِشِ
٢	قَدْ رَمَى قَلْبي بلحظَتِه	سَهْمُ عَيْنَيْهِ فلم يَطِشِ
٣	نَقَشَتْ كَفُّ المَلاحةِ في	وجْنَتيْهِ أطرفَ النُّقُشِ
٤	عَطَشِي يُرْوَى بِقُبلَتِه	فمَتى رِيِّي مِنَ العَطَشِ؟!

273

وقال [من الطويل] :

١	أَمَا والذي أعطَاكَ بَطْشاً وقُوَّةً	عليَّ وأزرَى بي وضَعَّفَ مِنْ بَطْشي
٢	لقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الهَوَى لَكَ خالِصاً	ومَكَّنَه في الصَّدْر مني بلا غِشٍ
٣	سَلِ اللَّيْلَ عنِّي هَلْ أذوقُ رقادَه	وهَلْ لِضُلوعي مُستَقَرٌّ على فَرْشي؟
٤	عَناءً بمَنْ لَوْ قالَ للشمسْ أقبِلي	للبُتْه أوْ جاءَتْ على رَغْمها تَمْشِي

(١) «منجمش» [مُنفعل] من التجميش، وبعضُ أهل اللغة يَزعُم أنَّ التجميش كلمة مُولَّدة، وقال بعضهم الجَمْش قَرْصٌ خفيف، والمستعمل جَمَّشْتُه بالتشديد، واستعمله هاهنا على فعَلَه فانفعل، وقيل إنّ الجَمْش حَلْبٌ بإصبعين، فأمّا الجَمْش بمعنى الحَلْق فمعروف.

٥ قَضِيبٌ مِنَ الـرَّيْحـانِ في غيـرِ لـوْنِـهِ   وأُمُّ رَشـاً في غيـرِ أكـراعِـهِ الحُمْشِ

274

وقال ، رَواها حمزةُ وغيره [من الطويل] :

١ مَنَحتُـكَ وُدّاً كـانَ طِفْـلاً فقَـدْ نَشَـا   وأبـديتَ لي جسْماً مِنَ الـوُدِّ مُوحِشـا
٢ أرَى ثَمَـرَ الحُسْنِ الذي قَـدْ غـرَسْتُـه   على سَقْفِ أعــوادِ التَّجنِّي مُعَـرِّشـا
٣ ولي يا خَليَّ الصَّدْرِ مِنْ لَوعةِ الهَـوَى   حَشاً لستُ أدري جَمْرَةٌ هيَ أم حَشَـا
٤ فَـدَاوِ سَقَامـاً مِنـه في الجِسْم فـاشِيـاً   كما الحُسْنُ في ساحاتِ وَجْهِكَ قد فَشَا
٥ فـأُقسِـمُ لـوْ تـبْـدُو لِعَـينِ مُـرَقِّش   لأذهلْت عَنْ أسمـاءَ حقّـاً مُـرَقِّشـا

---

(٥) هذا المعنى يتردد كثيراً، وهو مثل قول الأول:

فعينـاكِ عَيْنـاهـا وجِيـدُك جِيـدُهـا   سوَى عَـنَّ عَظْـمَ السّـاقِ منـكِ دقيـقُ

ويُقال قوائِم حُمْش أي دِقاق، ويُحتمل «في غير لونهِ» و«في غير كَوْنِه» ويريد «بالكَوْن» الخِلْقة.

قافية الصّاد

275

وقال [من مجزوء الكامل] :

١ لَبَّاكَ عبْدُكَ مُخْلِصَا   وبَكَى دَماً عَددَ الحَصَى
٢ عَبْداً أطاعَكَ قلْبُه   ليسَ المُطِيعُ كمَنْ عَصَى
٣ أغرَتْ مَحاسِنُكَ السَّقَا   مَ بهِ فعَمَّ وخَصَّصَا
٤ رَامَ التَّخلُّصَ مِنْ هَوَا   كَ فمَا أطاقَ تَخلُّصَا

276

وقال [من الخفيف] :

١ لِيَ - لا كانَ - مِنْ هَواكَ خَلاصُ   وبِجِسْمِي ولا بِكَ الإنتقاصُ
٢ دُونَكَ السُّوءَ بي وهذا فُؤادِي   فأذِبْهُ كما يُذَابُ الرَّصاصُ
٣ لِمَ أعْرَضْتَ إذْ تَقنَّصتُ لحظًا   منكَ سِرّاً وأنتَ لي قَنَّاصُ!
٤ هاكَ فاقتَصَّ مِنْ هَوَاكَ فإنَّ (م) السِّنَّ بالسِّنِ والجُرُوحُ قِصاصُ

(١) (س): «وبجسمي لا جسمك الإنتقاصُ». قَطَع همزةَ الوصل في «الانتقاص» وذلك قليل في شعره، والبحتري يَستعمله كثيراً، ولا خلاف أنه جائز، ولم يستعمله أبو الطيِّب.

(٢) (س): ويروي «خُذْ فُؤادي مُبارَكاً لك فيه».

قافية الضّاد

277

وقال [من السريع] :

١ سَالِبَ عَيْني لَذَّةَ الغُمْضِ   ومُبْكِياً بَعْضِي على بَعْضِ

٢ وقاتِلِي ظُلْماً بإعْرَاضِه   ولحظِهِ بالنَّظرِ المُغْضِي

٣ إيَّاكَ يَسْتعطِفُ ذُو فاقَةٍ   جُرْتَ عليهِ في الذي تَقْضِي

٤ مَنْ يَحْسُدُ الأرضَ لإشفاقِه   مَوْطِيءَ نَعْلَيْكَ مِنَ الأَرْضِ

قافية الظّاء

278

وقال [من الكامل] :

١ ومُشَجَّجٍ بالمِسْكِ في وَجَناتِه ... حَسَنِ الشمائِلِ ساحِرِ الألفاظِ
٢ أَبداً تَرَى الآثارَ في وَجَناتِه ... مِمّا يُجرِّحُها مِنَ الألحاظِ
٣ وتَراهُ سائِرَ دَهْرِهِ مُتبسِّماً ... فإذا رَآني مَرَّ كالمُغْتاظِ
٤ في القَلْبِ مِنِّي والجَوانحِ والحَشَا ... مِن حُبِّه حَرٌّ كحرٍّ شَوَاظِ

279

وقال [من السريع] :

١ إجعَلْ لِعَيْني في الكَرَى حَظّا ... ولا تَكُنْ لي مالِكاً فَظّا
٢ أَمَا لِعَيْني بكَ مِنْ حُرْمَةٍ ... إذْ أعملَتْ في حُسْنِكَ اللَّحظا؟
٣ ألزَمْتَني ذنْباً فعاقَبْتني ... مِنْ قبلِ أنْ تسمعَ لي لَفْظا

280

وقال [من الكامل] :

١ بَرَعَتْ مَحَاسِنُهُ فجَلَّ بِها ... مِنْ أنْ يَقُومَ بِوَصفِه لَفْظُ
٢ نَطَقَ الجمَالُ بِعُذْرِ عاشِقِه ... لِلعَاذِلاتِ فأُخْرِسَ الوَعْظُ
٣ لم تَبْتذِلْ مِنهُ النُّفُوسُ سِوَى ... ما نالَ مِنْ وَجَناتِهِ اللَّحْظُ
٤ ما ضَرَّ مَنْ تَمَّتْ مَحَاسِنُه ... لَوْ كانَ رَقَّ فُؤادُهُ الفَظُّ

قافية العين

281

وقال [من الخفيف] :

١ وبَـدِيـعُ الجمَـالِ يَضْحـكُ عَنْ أضـ ـوائِـهِ البَـدْرُ عنـدَ وَقتِ الـطُّلُوعِ
٢ مـا اجتَـلَتْـهُ عَـيْنُ التَّـأمُّـلِ إلاّ رَجَعَتْ منـه عن جَـمـالٍ بَـدِيـعِ
٣ كُـلُّ مـا مَـنْـظَرٍ رأيتُ مِـنَ الحُـسْـ ـن فـفيـهِ مـنـهُ جَميـعُ جَمِيـعِ
٤ غيـرَ أنَّ العُيُـونَ تَجْني بـأيْـدِي الـ لحـظ مِـنْ وَجْنَتَيْـهِ زَهْـرَ الرَّبيـعِ

قافية الفاء

282

وقال [من مجزوء الخفيف] :

١ حَسَرَاتٌ عَواطِفُ وسَقَامٌ مُوَالِفُ
٢ وفُؤَادٌ مُعذَّبٌ ودُموعٌ ذَوارِفُ
٣ يا قَريبَ المَزَار (م) لكنَّه لا يُساعِفُ
٤ نَصْبُ عيني خَيالُ وَجْهِـ ـكَ بالشَّوْقِ وَاقِفُ
٥ أينما كنتَ سيِّدي طافَ بي منكَ طائفُ

283

وقال [من المنسرح] :

١ لَمْ أرَ شيئاً مِنَ الفِرَاقِ إذا كانَ أَخُو البيْنِ عاشِقاً كَلِفا
٢ أصعَبَ مِنْ وَقْفةِ المُشَيِّع لِلحُبِّ (م) يُرِيدُ الوَدَاعَ مُنْصَرِفا
٣ ما أنفعَ القُرْبَ للمُحبِّ وإنْ أعرضَ عنه حَبِيبُه وجَفَا!
٤ أيُّ مُحِبٍّ تَمَّ السُّرورُ لَهُ لم يَلْقَ مِنْ لَوْعةِ الهَوى طَرَفا؟

284

وقال [من مجزوء الخفيف] :

١ جَمَشتْني بِحَاجِبٍ وأشارَتْ بِطَرْفِها

٢ فتأمَّلْتُ وَجْهَها فاتَّقَتْني بِكفِّها

٣ لَيْتَ نِصْفي على الفِرا شِ لِحافٌ لِنِصْفِها

٤ فأنالُ الذي أُرِيـ ـدُ على رَغْمِ أنفِها

285

وقال [من الطويل] :

١ تَبَدَّلْتُ إلْفاً إذْ تَبَدَّلْتَ بي إلْفا وقَدْ خانَني فيكَ الزَّمانُ وما أَوْفَى

٢ وجَرَّعْتُ نَفْسي مِنْ إخائك سَلْوَةً على الرَّغم مِنّي جُرْعةً مُرَّةً صِرْفا

٣ رَميْتُ بحَظِّي منكَ في أبعدِ المَدَى وأسلمتُه للرِّيح تَنسِفُه نَسْفا

٤ ووالله ما زَالَتْ لَوامِعُ بَارِقٍ مِنَ الغدْرِ في أجفان عَيْنَيْكَ لا تَخفَى

٥ مَلِلْتَ فَما تَعْدُو المَلالَ سَجِيَّةً تَعوَّدتَها لا تَستطِيعُ لها صَرْفا

٦ فأُقسِمُ لو أيقَنْتُ أَنَّ مَلالةً لِعَينيَّ تَسمُو لم أُدِرْ لهما طَرْفا

قافية القاف

286

وقال [من الكامل] :

١ نَــأْيُ وَشِــيــكٌ وانــطِلاقُ وغَـلـيــلُ شَــوْقٍ واحتِــراقُ
٢ بِــأبــي هَــوًى وَدَّعْــتُــه تــاهَتْ بِصُحبتِهِ الـرِّفـاقُ
٣ بَــدْرٌ يُـضِـيءُ لِـعَــاشِـقِيـ ـهِ وما يَطِيفُ بـهِ المحَاقُ
٤ وتَــمــرَّهَــتْ وتَــشـعَّــثَــتْ جَــزَعــاً لِغَيْبِتِــه الـعِــرَاقُ
٥ الـمَــوْتُ عنْــدي والـفِــرا قُ كـلاهُمـا مـا لا يُطَاقُ
٦ يَـتَعــاونــان عـلى الـنُّـفــو سِ فَذَا الحِمامُ وذا السِّياقُ
٧ لَــوْ لم يَكُـنْ هــذا كـذا مـا قِيلَ مَـوْتٌ أوْ فِـراقُ

287

وقال [من الخفيف] :

١ لَــكَ عِـلْمٌ بِعَبْـرَتِــي واشـتِيـاقِـي والــذي بي مِنْ لَــوْعــةٍ واحـتــراقِ
٢ ولَــكَ الـظَّرْفُ والمَــلاحــةُ والحُسْـ ـنُ وَطِــيــبُ الأرْدانِ والأخــلاقِ

(٢) [ع] أراد بـ« هَوًى » إنساناً يَهواه فنعتَه بالمصدر ثم أقامَه مقامَ الاسم، ولا يجوز غير ذلك. وقوله « تاهَتْ » يحتمل معنيَيْن: أحدَهما أن يكون من التِّيه الذي هو تكبُّر وإعجاب كأنها لَحِقها تِيه لِما صَحِبَها، والآخر أن يكون من تاهَ في الأرض إذا حارَ وضَلَّ، أي أنهم يَحارون لِحُسْنه ونُوره.

(٤) [ع] « التَّمرُّه » تَرْك الكُحْل، والمَره في العَيْن ضِدُّ الكَحَل، ومنه قِيل فَلاةٌ مَرْهاءَ يريد أنها تَبيضُّ بالسَّراب. يقول: كان هذا السائِرُ مثلَ الكُحْلِ في عين العِرَاق فلمَّا غابَ بانَ ذلك فيها.

٣ وقَبِيحٌ بأَنْ تُعرِّضَ جِسْمي ما أرى مِنْ مَصارِعِ العُشّاقِ
٤ فَعلامَ الصُّدودُ في غيرِ جُرْمٍ والصُّدودُ الفِراقُ قبلَ الفِراقِ؟

288

وقال [من الخفيف] :

١ ماتَ ذَاكَ الجَوى وذاكَ الحَريقُ ورَثَى لي ظَبْيٌ عليَّ شَفِيقُ
٢ وجَرَى النَّوْمُ مِنْ جُفُوني مَجْرَى الـ ـدَّمْعِ واستأْنَسَ الفُؤادُ المَشُوقُ
٣ رَفَقَ الدَّهْرُ لي بِمَوْلايَ والدَّهْـ ـرُ إذا شاءَ بالقُلوبِ رَفِيقُ
٤ فبحَقِّي وحُرْمَتِي لا تَسبُّوا الدَّهْـ ـرَ ظُلْماً فإنَّه لي صَدِيقُ

289

وقال [من المنسرح] :

١ يَصُدُّني عَنْ كَلامِكَ الشَّفَقُ فالرُّسْلُ بَيْني وبَيْنَكَ الحَدَقُ
٢ حَدِيثُنا في الضَّمِيرِ مُتَّفِقٌ وأمرُنا في الجَمِيعِ مُفْتَرِقُ
٣ تُوحِي بأسرَارِنا حَواجِبُنا وأعيُنٌ بالوِصالِ تَرتَشِقُ

290

وقال [من الكامل] :

١ واللّهِ لَوْ تَدْرِي بِما أَلقَى لَحَرَجْتَ أَنْ تَتجاوزَ الحَقّا
٢ بي فَوْقَ ما تَلْقَى بِواجِدِها أُمٌّ تَراهُ لِجَنْبِها مُلْقَى
٣ تَبْكِي لِمَنْهُوشٍ تَنَيَّبَهُ صِلٌّ فما يُرجَى ولا يُرْقَى
٤ فارحَمْ شَقِيّاً في هَواكَ فَمَا يَبغي وإنْ أعتَقْتَه عِتْقا

(٣) [ع] يُقال نَهَشْتْه الحَيَّةُ ونَهَسَتْه، وقيل النَّهْسُ بمقدّم الفَمِ والنَّهشُ أكثرُ منه، «وتَنيَّبه صِل» أصابَه بنابه، كما يُقال ظَفَّرَ إذا أُصيب بالظّفر وضَرَّسَ إذا عَضّ بالضِّرْس.

قافية الكاف

291

وقال [من السريع] :

١ دَعــا أبــيُّ الــلَّحْظِ خَــدَّاكــا وامــتــرَتِ الأعْــيُــن عَــيْــنــاكــا

٢ مــا زِلْــتُ أرجُــوكَ كــمــا لَــمْ أزَلْ يــا سيِّــدي مُــذْ كنــتُ أخشَــاكــا

٣ والــلّهِ لــو أُعطَــى الــمُــنَــى لــم أُرِدْ إلاّ اســتــلامــاً بِــفَــمِــي فَــاكــا

٤ قَــدْ بَــعُــدَتْ هِــمَّــةُ مَــنْ رَاحَ أوْ أصــبــحَ يَــوْمــاً يَــتــمــنَّــاكــا

292

وقال [من الخفيف] :

١ لَـهْفَ نَـفْسِي عليَّ لا بَـلْ عَـلَيْكـا إذْ تَجُـولُ العُيُـونُ في خَـدَّيكـا!

٢ وعَــزِيْــزٌ علـيَّ أَنْ تَـجْـتَـنِـي الأبـ ـصارُ زَهْـرَ الـرَّبيـعِ مِنْ وَجْنَتيكـا!

٣ أنـتَ وَقْفٌ عـلى القُـلُوبِ بمـا أصـ ـبحتَ تُـهْـوَى وهُنَّ وَقْـفٌ عَلَيْـكـا

٤ لا قَضَى اللّهُ لي وصـالَـك إنْ كُـنْـ ـتُ أرانـي أشـتـاقُ إلاّ إلـيْـكَـا

٥ جَـرَحتْـكَ العُيـونُ بـاللَّحْظِ حتَّى صِـرْتُ أخشَى عليـكَ مِنْ عَيْنيكـا!

293

وقال [من الخفيف] :

١ إنَّ حُـزْنـي عليـكَ لـيسَ عـليـكـا ... بَـلْ على مُهْجَـةٍ تسِيـلُ لَـدَيْكـا
٢ أنـتَ تُـزْهَى بِـصُـورَة غَـدَت الأَبـ ... ـصـارُ مِنْ حُسْنِهـا وراحَتْ عليكـا
٣ لَـعَنَ الـلّهُ مُـقـلَـةً جُـعِـلَ الأَمْـ ... ـرُ إليـهـا فـفـارَقـت مُـقْـلَتَـيْـكَـا
٤ بِـأَبِي لَفْظُكَ المَلِيـحُ الـذي قَـدْ ... تَـرَكَ السَّمْعَ وهْـوَ طَـوْعُ يَـدَيْـكـا
٥ كيفَ لا يَستَبِـدُّ بـالحُسْنِ لَفْظٌ ... كلَّمـا شِئْتَ جـالَ فـي شَفَـتَيْـكَـا؟
٦ إنَّ قـلْبي عـليـكَ فـي كـلِّ وَصْـل ... وصُـدودٍ أرَقُّ مِـنْ خَـدَّيـكَـا

294

وقال [من الخفيف] :

١ نَـمْ وإنْ لـمْ أنَـمْ كَـرَايَ كَـرَاكـا ... شـاهِـدٌ مِـنْـكَ أنَّ ذَاكَ كَـذَاكـا
٢ طَـالَ ضُرِّي ـ تَفْـدِيكَ نَفْسِي ـ وقَلَّتْ ... نَفْسُ مثْلِي عَنْ أَنْ تكـونَ فِـدَاكـا!
٣ في سَبِيـلِ الهَـوَى فُـؤَادِي ومـا آ ... سَى عـليـهِ لـكنْ عـلى ذِكْـرَاكـا
٤ ذَهبَتْ مُـقْـلَتـايَ بـالـدَّمِ والـدمْـ ... ـعِ ففي النَّـارِ إذْ نَجَتْ مقْلَتَـاكـا
٥ لَسْتُ أبكي ذَهَـابَ عَـيْني لِعَيْني ... غيـرَ أنّـي أَبكـي لِأَنْ لا أَرَاكَـا
٦ مـا فِـراقُ الـدُّنيـا أُبـالِي ولـكنْ ... في فِـراقِ الـدُّنيـا فِـرَاقُ هَـوَاكـا

295

وقال [من الخفيف] :

١ يـا أبـا جَـعْـفـرٍ أقـرَّ لـكَ الـحُسْـ ... ـنُ وحَـلَّتْ جُـيُـوشُـه فـي ذَرَاكـا
٢ يـا أبـا جَـعْفَـر خُـلِقْتَ بَـدِيعـاً ... فـاقَ حُسْنَ الـوُجـوهِ حُسْنُ قَفـاكـا
٣ يـا أبـا جَـعْفَـرٍ هَـلِ النَّـأْيُ يُنْجِي ... مِنْكَ هَيْهـاتَ بـلْ يَـزِيـدُ هَـلاكـا

٤ يـا أبـا جـعـفـرٍ أنِـلْني وصـالاً يُجـزِكَ اللّهُ ـ إنْ فَعلتَ ـ جَـزَاكـا

296

وقال [من الخفيف] :

١ رَاحَـتِي فـي الـبُـكَـاءِ حـتَّـى أراكَـا إنَّ لي مِنـكَ شَـاغِـلاً عَنْ سِوَاكـا
٢ تَعِسَ الهَجْـرُ والـذي شـأْنُـه الهَجْـ ـرُ مِـنَ النَّـاسِ كُـلُّهمْ حَـاشَـاكَـا
٣ أرشِـدَنِّـي إلـى رِضَـاكَ فـإنِّـي لستُ أدرِي مـا حيلتي في رِضَـاكَـا!
٤ وإذَا قِيـلَ مـنْ تُحِـبُّ تَخطَّـا كَ لِسَـانِي وأنتَ في القَلْبِ ذَاكَـا!

297

وقال [من الوافر] :

١ عَـرِيتُ مِنَ الهَـوَى وَبَـرِئتُ منـه لئِنْ أنـا لَـمْ أُعـاقِبْ مُـقْـلَتَـيْـكـا
٢ بَـعـثـتُـكَ رائِـداً فَسَـرَقْـتَ منـه مَـحـاسِنَـه بِـلَحْـظَةِ نـاظِـرَيْـكـا
٣ وجِئْـتَ تَـقُـولُ لـم أره وهـذِي مَـحَـاسِنُـه تَـلُوحُ بِـوَجْـنَـتَـيـكـا
٤ فـإنْ تَـكُ يـا رَسُـولُ كَـتَمْـتَنِيـه لَقَـدْ ظَهـرَتْ مَـحَـاسِنُـه عَـلَيْكَـا

298

وقال [من مجزوء الخفيف] :

١ مَـلِكٌ جـارَ إذْ مَـلَكْ لـيسَ يَـرثـي لِـمَـنْ هَـلَكْ
٢ هَـتكَـتْ سِتْـرَ سَـلْوَتي كَـفُّ حُـبِّـيـكَ فـانهَـتَـكْ
٣ يـا مَـلِيـكـاً إذا بَـكَـى عَبْـدُه في الهَـوَى ضَحِـكْ!
٤ لي مِنَ الحُـزْنِ مِثْـلُ مـا مِنْ بَـدِيـعِ الجَمـال لَـكْ!

قافية اللّام

299

وقال [من الكامل] :

١ البَيْنُ جَرَّعني نَقِيعَ الحَنْظَلِ   والبَيْنُ أثكلَني وإنْ لم أثكَلِ
٢ ما حَسْرَتي أنْ كِدْتُ أقضِي إنَّما   حَسرَاتُ نَفْسي أنَّني لم أفْعلِ
٣ نَقِّلْ فُؤَدَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى   ما الحُبُّ إلّا للحَبيبِ الأوَّلِ
٤ كَمْ مَنْزِل في الأرضِ يألَفُه الفتَى   وحَنِينُه أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

300

وقال [من الخفيف] :

١ زَائِرٌ زَارَني فهَاجَ خَيالا   كنتُ لَوْلاهُ أسوأَ النَاسِ حَالا
٢ فَتمتَّعتُ مِنْ غَزالٍ وحاشَى   ذلكَ الشَّخصَ أنْ يكونَ غَزَالا
٣ كيفَ أرجُو لِقَاءَ ساكِنِ بَغْدا   دَ بمصرٍ لقَدْ رجَوْتُ ضلالا؟!
٤ مَثَّلَتْهُ المُنَى لِعَيْني وفِكْرِي   ولِقَلْبِي حتَّى قَبِلتُ المُحَالا
٥ ما أرَاني أزَالُ نَصْبَ خَيالٍ   طارِقٍ أوْ يَصِيرَ جِسْمِي خَيالَا!

301

وقال [من الخفيف] :

١ وَجَدَ الحاسِدُونَ فينا مَقالا فَوَّقُوا أسْهُماً لَنا ونبالا
٢ عَجِبُوا أنَّ قانِصاً بَثَّ في الآ فاقِ أشراكَهُ فَصَادَ غَزَالا
٣ مِلْءُ عَيْني مَلاحةً وجَمالاً وفُؤَادِي مَهابَةً وجَلالا
٤ فاعذِلُوا فيهِ كيفَ شِئْتُمْ وقُولوا قَدْ كَفَى اللّهُ المؤْمنينَ القِتالا

302

وقال [من مجزوء الوافر]:

١ أغارُ عليكَ مِنْ قُبَلِي وإنْ أعطَيْتَني أمَلِي
٢ وأُشْفِقُ أنْ أرَى خَدّيْـ ـكَ نَصْبَ مَواقِعِ المُقَلِ

303

وقال [من الكامل] :

١ مُتَطَلِّبٌ بِصُدُودِهِ قَتْلِي فَرْدُ المَحاسِنِ وَجْهُهُ شُغْلِي
٢ ألحاظُه في الخَلْقِ مُسْرِعَةٌ فيما يُرِيدُ كَسُرْعَةِ النَّبْلِ

304

وقال [من السريع] :

١ كَمْ يَتَمَادَى لَيْليَ الأطْوَلُ كم يَتبارَى دَمْعِيَ المُسْبَلُ!
٢ يا طُولَ هَجْرٍ مالَه آخِرٌ منكَ لِعَتْبٍ ما لَهُ أوّلُ

٣ يـا غـافِلاً عنِّـيَ مـا لـي أرَى طـرْفَـكَ عَـنْ قَـتْـلي لا يَـغْـفَـلُ؟
٤ أرَاكَ لا تَـنـفَـكُّ ذَا فَـرْعَـة في النَّـوْمِ مِـنْ كثـرةِ مَـنْ تَقتُـلُ

305

وقال [من الخفيف] :

١ شَدَّ ما استَنْزَلْتكَ عن دَمْعِكَ الأَظـ ـعانُ حتَّى استَهلَّ دَمْعُ الغَـزَالِ
٢ أيُّ حُسْنٍ في الـذَّاهِبِيـنَ تَـوَلَّى وجَمـالٍ على ظُهُـورِ الجِمَـالِ؟!
٣ ودَلالٍ مُـخَـيِّـمٍ في ذُرَى الـخِيـ ـمِ وحِجْـلٍ مُغَيَّبٍ في الحِجَـالِ!
٤ ومَـهـاً مِنْ مَـهَـى الخُـدُورِ وآجـا لِ ظِـبـاءٍ يُسـرِعْـنَ في الآجـالِ!
٥ عـادَكَ الـزَّوْرُ لـيلةَ الـرَّمْـلِ مِـنْ رَمْلَةَ بيـنَ الحِمَى وبـينَ المِـطالِ
٦ نَـمْ فـمَـا زَارَكَ الـخَـيـالُ ولـ ـكِنَّكَ بـالفِكْـرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيـالِ

306

وقال [من السريع] :

١ مُـعْـتَـدِلٌ لـم يَـعـتـدِلْ عَـذْلُـهُ فـي عـاشِـقٍ طـالَ بِـهِ خَـبْـلُهُ
٢ أطَـرْفُـهُ أحـسَـنُ أمْ ظِـرْفُـهُ أوْ وَجْـهُـهُ أحـسَـنُ أم عَـقْـلُهُ؟
٣ أُنْـظُرْ فـمـا عـايَنْـتَ في غَـيِّـهِ مِـنْ حَـسَـنٍ فـهْـوَ لَـهُ كُـلُّهُ
٤ لَـوْ قِيـلَ للحُسْنِ تَـمنَّى الـمُنَى إذَنْ تَـمـنَّـى أنَّـه مِـثْـلُهُ
٥ أيُّ خِـصَـالٍ حـازَهـا سَـيِّـدِي لَـوْ لم يُكـدِّرْ صَفْـوَهـا مَـطْلُهُ؟!

307

وقال [من مجزوء الرمل]:

١ بُــؤْسَ قَـلْبِـي كَيْـفَ ذَلّا   صـارَ لِلسُّقْمِ مَـحَـلّا؟!

٢ لم أكُنْ أخشَى الَّـذي كـا   نَ وقَـدْ كـنـتُ مُـخَـلَّى

٣ ذُبْتُ حتَّى مـا أرَى لـي   فـي مِـرَاةِ الشَّـمْسِ ظِـلّا

٤ صَـفَـحَ اللّهُ لِـمَـنْ يَـظْـ   ـلُمُني عَـمَّـا استَـحَـلّا!

قافية الميم

308

وقال [من الخفيف] :

١ اسـتَـزارَتْـه فِكْـرَتـي في الـمَنـامِ فـأَتـاني في خُـفْـيَـةٍ واكِـتـتـامِ
٢ الـلَّيـالـي أحـفَـى بـقـلْبـي إذا مـا جَـرَحـتْـه الـنَّـوَى مِـنَ الأيَّـامِ
٣ يـا لَـهـا لَـذَّةً تـنـزَّهَـت الأر واحُ فـيـهـا سِـرّاً مِنَ الأجسَـامِ !
٤ مَـجلِسٌ لـم يكُـنْ لنـا فيـهِ عَيْـبٌ غـيـرَ أنَّـا في دَعْـوةِ الأحـلامِ !

309

وقال [من مخلّع البسيط] :

١ يـا سَـقَـمَ الـجَـفْـنِ مِـنْ حَـبْـيـبـي أَلْبَـسَنِـي حُلَّـةَ السَّقَـامِ !
٢ كَـمْ قَـتَـلَـتْ لَـحْـظَـتَـاكَ ظُـلْـمـا مِـنْ عـاشِـقِ الـقَـلْبِ مُسـتَـهـامِ !
٣ يـا مَـنْ بِـعَـيْـنَـيـهِ لـي غَـرامٌ قَـرَّبَ مِـنْ مُـهْـجَـتـي حِـمَـامـي
٤ قَـدْ رَويَـتْ مِـنْ دَمِـي فـحَـسْـبِـي مِـنْ صَـائِـبِ الـنَّـبْـلِ والـسِّـهَـامِ !

310

وقال [من الخفيف] :

١ الـهَـوَى ظـالِـمٌ وأنـتَ ظَـلُومُ ... كـيفَ يَقْـوَى عليكُمـا الـمَثْلُومُ!

٢ لِـلهَـوَى جُـرْأَةٌ ومِـنْـكَ صُـدودٌ ... لـيسَ لي مـنكـمـا مُـحِـبٌّ رَحِـيـمُ

٣ قَـدْ بَـرَانـي الهَـوَى ودَلَّـه عَقْلـي ... حَـلَّ بي منكمـا البَـلاءُ العَـظِيمُ

٤ إنَّمـا يَعـرِفُ السُّهَـادَ وطُـولَ اللَّيْـ ... ـلِ مَـنْ حَبْـلُ وَصْـلِه مَـصْـرُومُ

311

وقال [من المنسرح] :

١ ظَـنُّـكَ فـيـمَـا أُسِـرُّهُ حَـكَـمُ ... أرضَـى بـهِ لي وَطَـرْفُـكَ الـفَـهِـمُ

٢ كـيـف سُلُوِّي ولـستَ تَـرحَـمُـني ... لـيسَ بـهـذا تُـجَـاوَرُ الـنِّـعَـمُ

٣ أمِنْـتَ قَـلْبِي عـلى هَـوَاكَ فـمـا ... قَلْبـي علـى مـا ائتَمنـتَ يُتَّهَـمُ

٤ أظهَـرْتُ مِنْ لَـوْعَـةِ الهَـوَى جَـزَعاً ... والـصَّـبـرُ إلَّا عَـنِ الـهَـوَى كَـرَمُ

312

وقال [من الخفيف] :

١ يـا سَمِيَّ المَجْهُـولِ حِيـنَ يُسَـمَّى ... والـذي خُصَّ بـالـجَمـالِ وعُـمَّـا

٢ والـذي هَـمَّ خَصْـرُه بـانـبِـتَـاتٍ ... فـثَـنَـاهُ الـحَـشَـا فـكـادَ ولَـمَّـا

٣ لَـسْـتُ أنسَـى مَقـالَـه لِيَ سِـرّاً ... أحـسَنُ الـحُبِّ مـا يَـكُـونُ مُعَـمَّى

٤ حَـفِظَ اللَّهُ لـي صَـحِـيـحَ هَـوَاه ... وكَـفـانـي مِـنْ حُـبِّـهِ مـا أَهَـمَّـا !

313

وقال [من الطويل] :

١ رُقــادُكَ يــا طَــرْفي عليــكَ حَــرَامُ ... فَخَــلِّ دُمــوعــاً فَيْضُهــنَّ سِجَــامُ
٢ فَفِي الــدَّمْــعِ إطفَــاءٌ لنارِ صَبــابَةٍ ... لــهــا بيــنَ أثنــاءِ الـضُّلُوعِ ضِــرَامُ
٣ ويا كَبِدي الحَــرَّى التي قَدْ تَصــدَّعَتْ ... مِنَ الــوَجْــدِ ذُوبي مــا عليــكِ مَــلامُ
٤ قَضيْتُ ذِمــامــاً للهَــوَى كــانَ واجِبــاً ... عــليَّ ولِــي أيــضــاً عــليــهِ ذِمَــامُ
٥ ويــا وَجْــهَ مَــنْ ذَلَّتْ وُجُــوهُ أعِــزَّةٌ ... لَــهُ وَسَــطَا عِــزّاً فــليسَ يُــرَامُ
٦ أجِرْ مُسْتَجيراً في الهَــوَى بكَ بــاسِطاً ... إلَــيــكَ يَــديْــهِ والعُــيُــونُ نِيَــامُ

314

وقال [من مخلّع البسيط] :

١ حُبُّــكَ بيــن الحَشَــا مُقِيــمُ ... يــا أيُّهــا الشَّــادِنُ الرَّخِيــمُ
٢ أَمَــا وخَــدٍّ عَــلاَهُ وَرْدٌ ... أبــدَعَ فــي طِيبــهِ النَّعِيــمُ
٣ لَــقَــدْ تَــمكَّنــتَ مِــنْ فُــؤَاد ... أسقَمــهُ طَــرْفُــكَ الــسَّقِيــمُ

315

وقال [من المجتث] :

١ الــدَّهْــرُ يَــوْمٌ ويَــوْمُ ... والــعَــيْشُ عُــذْرٌ ولَــوْمُ
٢ فــاقــصِــرْ لِمــا تَشتهيــهِ ... ولا يَــكُــنْ مِــنــكَ حَــوْمُ
٣ لا تُــصْــغِــيَــنْ لِــقَــبِــيــحٍ ... يَــقــولُــه فــيــكَ قَــوْمُ
٤ وأهْــيَــف كــمُــنَــى الــنَّــفْــسِ ... لــيسَ يُــغــلِــيــه سَــوْمُ
٥ وَسْــنَــانُ فــي مُــقْــلَــتَــيــهِ ... نَــوْمٌ ومــا ثَــمَّ نَــوْمُ

٦ أفـطَرْتُ فـيــهِ وقَــدْ كــا نَ قـبــلَهُ لـيَ صَــوْمُ

316

وقال [من مجزوء الكامل] :

١ أصـداغُـهُ أَلِـفٌ ولامُ ولِحَـاظُـه سَيْفٌ حُسَـامُ
٢ وكَـلامُـه دُرٌّ هَـوَى لَـمَّـا تَـخـوَّنَـه الـنِّـظامُ
٣ لـم يُنـتَقصْ فـي حُسْنِـه فَلَهُ الكَمـالَـةُ والتَّمـامُ
٤ عَبـدَ الجَمـالُ جَمَـالَـهُ فلَهُ الـتَّـحيَّـةُ والـسَّـلامُ

317

وقال [من الخفيف] :

١ لا تَصُـدِّي فـالصَّـدُّ أمـرٌ عَـظيـمُ وارحـمِـي فـالـمُـحِـبُّ بَـرٌّ رَحِـيـمُ
٢ أمِـنَ الـعَـدْلِ أَنَّ قـلبَـكِ سَـالٍ والـهَـوَى ثـابتٌ بِقَلْبي مُقِـيمُ؟!
٣ ثُـمَّ ألحَـقْتِ بـي الإسـاءَةَ والـظلْـ ـمَ وغيـري هُـوَ المُسِيءُ الـظَّلُومُ
٤ مـا اجترمنـا إليكِ جُـرْمـاً ولكنْ حُـبُّ هـذا الـزَّمـانِ ليسَ يَـدُومُ

318

وقال [من الطويل] :

١ يُتـرجِمُ طَـرْفِي عن لِسَـاني بِسـرِّهِ فيُظهِرُ مِنْ وَجْدِي الـذي كنتُ أكتُمُ
٢ ألـيسَ عَجِيبـاً أنَّ بَيْتـاً يَضُمُّـني وإيَّـاكَ لا نَـخْـلُو ولا نَـتَـكَـلَّمُ ؟!
٣ إشَـارَةُ أفـواهٍ وغَـمْـزُ حَـواجِـبٍ وتَـكسِيـرُ أبـصـارٍ وطَـرْفٌ يُسَلِّمُ
٤ وألسُنُـنـا مَمنُـوعـةٌ مِنْ مُـرَادِنـا وأبـصـارُنـا عنَّـا تُجِيبُ وتُفـهَـمُ!

319

وقال [من الخفيف]:

١ كيفَ بُعْدِي لا ذُقْتُمُ البيْنَ أنتُمْ   خَبِّروني مُذْ بِنْتُ عنكمْ وبِنْتُمْ!

٢ أعلَى ما عَهِدْتُ أمْ غَيَّرتْكُمْ   نَكَبَاتُ الدَّهْرِ الخَؤُونِ فَخُنْتُمْ ؟

٣ يا مُنَى النَّفسِ إنَّ قَلْبي وإن با   نَ بيَ البَيْنُ عندكمْ حيثُ كُنْتُمْ

320

وقال [من الطويل] :

١ سَلامٌ على مَنْ لا يَرُدُّ سَلامي   ومَنْ لا يَراني مَوْضِعاً لِكَلَامِ

٢ وماذا عليهِ أنْ يُجِيبَ مُسَلِّماً   وليسَ يُقَضَّى بالسَّلامِ ذِمَامي

321

وقال [من الرمل] :

١ أنتَ في حِلٍّ فزِدْني سَقَما   أفْنِ صَبْري واجعَلِ الدَّمعَ دَمَا

٢ وارْضَ لي الموتَ بهَجْريكَ فإنْ   لم أَمُتْ شَوْقاً فَزِدْني أَلَما

٣ مِحْنَةُ العاشِقِ في ذُلِّ الهَوَى   وإذا استُودِعَ سِرّاً كَتَما

٤ ليسَ مِنَّا مَنْ شَكا عِلَّتَه   مَنْ شَكا ظُلْمَ حَبيبٍ ظَلَمَا!

قافية النّون

322

وقال [من الوافر] :

١ تَـنَـاءٍ بِـدْؤُهُ ذَنْـبُ الـتَّـدَانِـي ... مِنَ المَسـروق مِنْ حُـورِ الـجنـانِ

٢ لِـخَـدَّيْـهِ دَقـائِـقُ لَـوْ تَـرَاهـا ... إذَنْ لَسَـألتَ عـنهـا فـي المَـعـاني

٣ تَـسَـاكَـتْـنـا وقَـلْبـانـا جَـمِـيـعـاً ... بـألـفـاظِ الـهَـوَى يَـتَـكَـلَّـمـانِ

٤ وحـارَبَـنـا غَلِيـلُ الشَّـوْقِ حتَّـى ... نَـزَلـنـا صـاغـرِيْنَ عـلى الأمـانِ

323

وقال [من المديد] :

١ لَـوْ تَـرَاهُ يـا أبـا الـحَـسَـنِ ... قَـمـراً أوفَـى عـلى الـغُـصُـنِ!

٢ قَـمـراً ألـقَـتْ جَـواهِـرُه ... فـي فُـؤادِي جَـوْهَـرَ الـحَـزَنِ

٣ كـلُّ جُـزْءٍ مِـنْ مَـحَـاسِـنِـهِ ... فـيـهِ أجْـزاءٌ مِـنَ الـفِـتَـنِ

٤ لـيَ فـي تَـرْكِـيـبـهِ بِـدَعٌ ... شَـغَـلَتْ قَـلْبـي عـنِ الـسُّـنَـنِ

٥ بـأبـي الأنـصـارُ مِـنْ نَـفَـرٍ ... نَـصـرُوا سُـقْـمِـي عـلى بَـدَنِـي!

324

وقال [من الخفيف]:

١ يـا جُفُـونـاً سَـواهِـراً أعـدمَتْهـا ... لـذَّةَ الـنَّـوْمِ والـرُّقـادِ جُـفُـونُ

٢ أينَ منكِ الـدِّمـاءُ قَدْ نَفِـدَ الـدَّمـ ... ـعُ الـذي منكِ يَمتـريـهِ الحَنِينُ؟

٣ بَلِيَ الجِسْمُ لكِنِ الشَّـوْقُ حَيٌّ ... لـيسَ يَبْلَى وليسَ تَبْلَى الشُّجُـونُ

٤ إنَّ لـلَّهِ فـي الـعِبـادِ مَنـايَـا ... سَلَّطتْهـا على القُلُوبِ العُيُـونُ!

325

وقال [من الطويل]:

١ ومُحْتكمٍ في الخُمْصِ طَوْراً وفي البُدْنِ ... فَقَدْ دَقَّ عن حِقْفٍ وقَدْ جَلَّ عَنْ غُصْنِ

٢ تَبَدَّى فـأبـدَى لي الجَـوَى بِصُدودِهِ ... وأسْنَى عَطيَّاتِ الفُـؤادِ مِـنَ الحُـزْنِ

٣ وقَـدْ سَوَّدَ الـدِّيـوانُ بعضَ ثِيـابِـهِ ... وأحسَنُ ما تُستَوضَحُ الشمسُ في الدَّجْنِ

٤ فـلاقَتْـهُ أبيـاتٌ تُنَـاسِبُ وجهَـهُ ... نَدبْتُ لها فِكْري وأخدمتُهـا ذِهْنِـي

٥ فـأغضَبْتُه أنْ قلتُ يـا أحسَنَ الـوَرَى ... وكادَ بأنْ يُفضِي إلى الشَّتْمِ واللَّعْـنِ

٦ إذَا غاظَ وَصْفُ الناسِ بالحُسْنِ أهلَه ... فَلِمْ لَمْ يُخَرِّقْ ثَوْبَه يوسُفُ الحُسْنِ ؟

326

وقال، وقيل إنّهما لِمَعقِل بن عيسى أخي أبي دُلَف [من الطويل]:

١ لَعَمْـرِي لَئِنْ قَـرَّتْ بِقُـرْبِـكَ أعيُنٌ ... لقَـدْ سَخنَتْ بـالبَيْنِ منـكَ عُيـونُ

٢ فَسِـرْ أَوْ أقِمْ وَقْفٌ عليـكَ مَحبَّتِي ... مَكـانُكَ مِنْ قَلْبي عليـكَ مَصُـونُ

327

وقال [من المنسرح]:

١ الحُسْنُ جُـزءٌ مِنْ وَجْهِـكَ الحَسَنِ   يـا قَـمـراً مُـوفِيـاً عـلى غُـصُـنِ
٢ إنْ كنتَ في الحُسْنِ واحـداً فـأنـا   يـا واحِـدَ الحُسْـنِ واحِـدُ الحَـزَنِ
٣ كُـلُّ سَـقَـامٍ تَـرَاه فـي أحَـدٍ   فـذَاكَ فَـرْعٌ والأصْـلُ في بَـدني
٤ كـوامِنُ الحُبِّ قبـلَ كَـوْنِـكَ في   أفئـدَةِ الـعَـاشِقِـينَ لـم تَـكُـنِ

قافية الواو

328

وقال [من الوافر]:

١	فَـدَيْتُ مُحَمَّـداً مِنْ كُـلِّ سُـوءٍ	يُـحـاذَرُ فـي رَوَاحٍ أَوْ غُـدوٍّ
٢	أَيَـا قـمـرَ السَّمـاء سفُلْتَ حتَّى	كـأنَّـكَ قـد ضَجِـرْتَ مِنَ الـعُلوِّ
٣	رَأَيْتـكَ مِنْ مُـحِبِّـكَ ذَا بِـعَـادٍ	ومِـمَّـنْ لا يُـحِبُّـكَ ذَا دُنُـوِّ
٤	فـلَوْ أَنَّ الصَّبـا حَمَلَتْـكَ مـا إنْ	ستسبِقُني الـغـداةَ إلى الـسُّـلوِّ
٥	وحَسْبُـكَ حَسْرَةً لـكَ مِنْ صَـدِيقٍ	يَـكُـونُ زِمـامُـه بِـيَـدَيْ عَـدُوِّ!

(١) إن حملتَ هذا البيت على أنه مُقفّى تقفيةَ التصريع وَجبَ أن تخفف الهمزة في «سُوءٍ» وتُشدّد الواو، وكذلك ينبغي أن يُنشد، فإن جعلتَه غيره مُصرَّع جازَ الهمزُ في «سوء».

(٤) إذا كانت «ما» نافيَة وجاءَت أوّل الكلام فدخول «إنْ» بعدها مُطرد ولا يُنظر أفعلٌ وقعَ بعدها أم اسم، قال زهير:

ما إن يَكـادُ يُخلّيهم لـوِجهتِهم تَخالُجُ الأمرِ إنَّ الأمرَ مُشتَرِكُ

وقال فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ:

ومـا إنْ طِبُّنـا جُبْـنٌ ولكـنْ مَنـايـانـا ودولـةُ آخـرينـا

فإذا كانت «ما» نافية ولم تكن في صدر الكلام قَلَّ مجيءُ «إن» معها، كقولك لو جاءَ رسُولُك ما إن رددتُه خائباً، ولا يكثر دخول «إن» في هذا الموضع ولكنه جائز لأنَّ النفي واقع، لأنهم جاءوا بـ«إنْ» مع «ما» التي هي اسم لِشَبهها بالنافية في اللفظ، وعلى ذلك فسّروا قول الأول:

ورَجِّ الفتَـى لِلخَيْـرِ مـا إنْ رأيتَـه علـى الشـرِّ خيـراً لا يَـزالُ يَـزيـدُ

وقد أنشدوا أشعاراً «إنْ» فيها زائدة وليس في أول الكلام نفي كقول الشاعر:

أَلاَ إنْ سـرَى هَمِّـي فبِـتُّ كئيبـا أُحـاذِرُ أنْ تَنـأى النَّـوَى بِغَضُـوبـا

قيل «إنْ» في هذا البيت زائدة، وقيل معناه إنَّه سَرَى همّي فخُفِّفت المثقّلة.

قافية الهاء

329

وقال [من السريع]:

١ رِقَّ لَـهُ إنْ كـنـتَ مَـوْلاهُ ... وارحَـمْ فقَـدْ أشْمَـتَّ أعَـدَاهُ
٢ وَيْـلٌ لـه إنْ دَامَ هـذا بـهِ ... مِـنْ حُـرَّقٍ تُـقْـلِقُ أحشَـاهُ
٣ يـا غُصْنَ بـان نـاعِمٍ قَـدُّهُ ... فـوقَ نـقـاً يَـهْـتَـزُّ أعـلَاهُ
٤ منَعْتَ عَيْنيَّ لَـذِيـذَ الكَـرَى ... أحسِنْ كـمـا حَسَّـنَـكَ اللَّهُ !

330

وقال [من البسيط]:

١ أُعـطِيتَ مِنْ نَفحاتِ الحُسْنِ أسنَـاهـا ... وفُقْتَ مِنْ نَفَحـاتِ الـطِّيبِ أذكـاهـا
٢ فـالحُسْنُ مُـطَّرَحٌ والـطِّيْبُ مُفتَضَـحٌ ... والحُـورُ أصبحتَ بعـدَ اللَّهِ مَـوْلاهـا
٣ مَنْ كـانَ لم يَر شَمْسـاً مِنْ سَنا بَشَـر ... فـإنَّـنـا بِـعـلـيٍّ قَـدْ رَأَيْـنـاهـا

331

وقال [من مجزوء الوافر]:

١ لَـهـا وأعـارَنِـي وَلَـهـا ... وأبـصَـرَ ذِلَّـتـي فَـزَهـا

٢ لَـهُ وَجْـهٌ يَـعَـزُّ بـهِ ولـي حُـرَقٌ أذلُّ بِـهـا!
٣ دَقِـيـقُ مَـحـاسِنٍ وُصِـلَتْ مَـحـاسِنُ وَجْـنَتَـيْـهِ بـهـا
٤ أُلاحِظُ حـسـنَ وَجْـنَـتِـه فـتَجْـرحُـني وأجـرَحُـهـا!

332

وقال [من الوافر]:

١ أَيَـا مَـنْ لا يَـرِقُّ لِـعـاشِـقِـيـهِ ومَـنْ مَـزَجَ الـصُّـدودَ لـنـا بـتـيـهِ
٢ وَمَنْ سَجَـدَ الجمالُ لـه خُضُـوعـاً وعَـمَّ الـحُـسْـنُ مِـنْـه مَـنْ يَـلِـيـهِ
٣ سَليلُ الشَّمْسِ أنتَ فَـدَتْـكَ نَفْسِي وهَـلْ لِسَلِيـلِ شَمْس مِنْ شَـبِيـهِ؟
٤ كَـمُلْتَ مـلاحـةً وفَـضُلْتَ ظَـرْفـاً فـأنـتَ مُـهـذَّبٌ لا عَـيْـبَ فـيـهِ

333

وقال [من البسيط]:

١ تُفَّـاحَـةٌ جُـرِحَتْ بـالـدُّرِّ مِنْ فِيـهـا أشهَى إليَّ مِنَ الـدُّنيـا ومـا فيـهـا
٢ حَمْـرَاءُ في صُفْـرَةٍ عُلَّتْ بـغـالِـيَـة كـأنَّمـا قُـطِفَتْ مِنْ خَدِّ مُهْـدِيهـا

(٢) قوله «عُلَّت بغالية» الغالية ضَرْب من الطِّيب، ويقال إنَّ هذا الاسم حَدَث في الإسلام، وذكر المفضَّل بن سُلَمة أنَّ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب دخل على معاوية فشمَّ منه طِيباً، فسأله عنه فوصف لَه صِفتَه فقال له معاوية: هذه غالية، يعنى هذه الصفة غالية فسمِّي هذا الطيبُ بذلك، وقد يجوز أن يتفق مثلُ هذا الحديث ولكن المعقول لا يتصوّره كلَّ التصوّر، لأن معاوية بَسَطَ يده في الأموال بسطاً لا يَستغلي معه شيئاً. وروَى بعضُ الناس أنَّ فاطمة بنت النبيّ ﷺ قالت بعد موته:

مـاذا عـلـى مَـن مَسَّ تُـربَـةَ أحمـدٍ ألاَّ يَمَسَّ مَـدَى الزَّمـانِ غَـوَالِيـا

فإنْ صَحّتْ هذه الروايةُ فقد بطلت الحكاية عن عبدالله بن جعفر لأن وفاة النبي ﷺ مُتقدمة لذلك بسنين كثيرة. ولا يمتنع أن تُسمّى أصناف الطِّيب كالعنبر والمِسْك والعُود الرطْب غَوَالي لأنهنَّ يَغلِينَ في الشِّراء والبيع.

٣ جـاءَتْ بهـا قَيْنَـةٌ مِنْ عندِ غـانِيـةٍ   نَفْسي مِنَ السُّقْمِ والأحزانِ تَفْديها
٤ لَـوْ كنتُ مَيْتـاً ونـادَتْني بِنَغْـمتِهـا   لكنتُ لِلشَّـوْقِ مِنْ لَحْـدِي أُلَبِّيهـا

334

وقال [من الوافر] :

١ تَـحمَّـلَ مَـنْ حَيـاتي فـي يَـدَيْـهِ   فيـا أسَفِي ويـا شَـوْقِي إلَيْـهِ!
٢ تَـعـالـى الله يـا طُـوبَـى لِـعَـيْـنٍ   تُـمتِّـعُ طَـرْفَـهـا فـي وَجـنَـتيْـهِ!
٣ أظَـنُّ البـيْنَ كـانَ يُـرِيـدُ فَـجْـعي   بـه إذْ صـارَ يَـحـسُـدنـي عليْـهِ
٤ سَـأبْكي مـا أطـاعَ الـدَّمْـعُ عَيْني   مَـحـاسِـنَـه وفَـتْـرَةَ مُـقْـلَتَـيْـهِ

(٢) «يا» هاهنا واقعةٌ على مُنادًى محذوف كأنه قال يا قوم ونحو ذلك كما قال العِجْلي:

★ ألاَ يا اسْلَمِي ذَاتَ الدّمالجِ والعِقْدِ ★

كأنه قال يا فلانةُ اسلمي، ويكون «طُوبَى» في موضع مبتدأ وهي [فُعْلَى] من الطِّيب، وسيبويه يرى أنَّ [أفْعَلِ] إذا كانت أُنثى (لِأفعل) لَزِمَتْها الألفُ واللام، فكان حقُّ هذه الكلمة أن يُقال فيها الطُّوبَى، ولكن تجيء أشياء شَواذ عن القياس، وإذا حُمِل الأمر على ما قال وجبَ أن يكون الألف واللام لازمة لـ«الدُّنيا» و«الأخرَى» وقد حُذِف منهما علامة التعريف ومِن غيرهما ممّا هو جارٍ مَجراهما، قال ابنُ أبي ربيعة:

إنْ كنـتَ حـاولـتَ دُنيـا أو ظَفِـرْتَ بهـا   فمـا أَخـذتَ بِتَـرْكِ الحَـج مِـنْ ثَمَـنِ

وقال أيضاً:

وأُخـرَى أَتَـتْ مِـنْ دُونِ نُعْـمٍ ومثْلُهـا   نَهَـى ذُو النُّهَـى لـو تَـرْعَـوى أَوْ تُفكِّـرُ

وقد يجوز أن تكون اللام بعد «طُوبَى» مُقْحَمة، مِثْلَها في قولهم يا بُوسَ لِلحرب، كأنه قال يا طُوبَى عَيْن، لأنهم إذا تَعجبّوا من الشيء وعَظُم في أَنفسهم نادوْه، كما يقولون يا لهفَ نفسي على كذا.

335

وقال [من البسيط] :

١ نَشَـرْتُ فيـكَ رَسِيســاً كنتُ أطـويــهِ   وأظهَــرتْ لَـوْعَتي مــا كنتُ أُخفِيــهِ

٢ إنْ كـانَ وَجْهُكَ لي تَتْـرَى مَحَـاسِنُـه   فــإنَّ فِعْلَكَ بـي تَتْـرَى مَسَــاوِيــهِ

٣ مُــرتَـجَّــةٌ فـي تَـهــادِيــهِ أســافِلُه   مُـهـتَـزَّةٌ فـي تَـثَـنِّـيــهِ أعــالِـيــهِ

٤ تــاهَتْ على صُورةِ الأشياءِ صُـورَتُـه   حتَّى إذا كَمُلَتْ تــاهَتْ على الـتِّيــهِ

٥ ما استُجمِعَتْ فِرَقُ الحُسْنِ التي افترقَتْ   عن يُوسف الحُسْن حتَّى استُجمِعَتْ فِيهِ

336

وقال [من الكامل] :

١ لَـوْ كنتَ عِنْـدِي أمسِ وهْـوَ مُعَـانِقي   ومَــدامِعي تَـجـري على خَــدَّيــهِ

٢ وقــد ارتَـوتْ مِنْ عَبــرتي وَجنَــاتُــه   وتـنــزَّهَتْ شَـفَـتَــايَ فـي شَـفَـتَـيْـهِ

٣ لَــرأيتَ بَكَّــاءً يَهُــونُ على الهَــوَى   وَتَهــونُ تَخْلِيــةُ الدُّمــوعِ عليــه

٤ ورأيْتَ أحسَــنَ مِنْ بُـكــائي قَــوْلَــه   هــذا الـفَـتـى مُـتَـعَـنِّـتُ عَـيْـنَـيْــهِ!

---

(١) « الرَّسِيس » ما يَرُسُّه الرجلُ في قلبه أي يَدْفِنه من حُزْنٍ أو حُبّ، يُقال رَسَسْتُ الميّتَ أرسُّه رَسًّا، قال الشاعر :

ومِـــنْ مَيِّـــتٍ رُسَّ فـــي حُفْــرةٍ   وآخَــرَ فــي القفْــرِ لـــم يُـــرْسَسِ

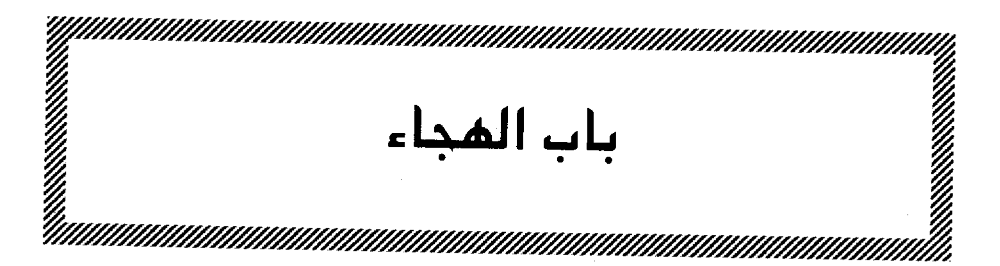
وقيل « الرّسِيس » ابتداء الحُب، ومنه رَسُّ الحُمَّى ورسيسُها أي ابتداؤُها، وقيل « الرَّسِيس » الحركة.

(٢) « تَترى » كلمة في معنى التواتر، يقال جاءَ القُوم تترى أي بعضُهم في إثر بعض، وربما عبّروا عن هذه الكلمة بأن يقولوا « تَتْرى » من الوِتْر أي الفَرْدِ والمعنى مُتَقارب، ويجوز فيها التنوين وتركُه، فإذا لم تُنوّن فألِفُها للتأنيث، وإن نُونت فألفها للإلحاق، والتاء في أولها بدل من الواو كأنهم قالوا وَتْرَى ثم قلبوا الواو تاءً. و« مَسَاويه » أصلُها الهمز لأنه مِن ساءَ يسوء، والتخفيف مُطَّرد.

وقال [من البسيط] :

١	ظَنّي بِهِ حَسَنٌ لَوْلا تَجَنِّيهِ	وأنَّه ليسَ يَرْعَى حَقَّ حُبِّيهِ
٢	لم يُلْهِني عَنْهُ ما ألهَاهُ بَلْ عَذُبَتْ	عِندي الصَّبابَةُ إذْ جُرِّعتُها فِيهِ
٣	عَفَّتْ مَحاسِنُه عِندي إساءَتَه	حَتَّى لَقَدْ حَسُنَتْ عندي مَسَاوِيهِ
٤	هذا مُحِبُّكَ أدمَى الشَّوْقُ مُهْجتَه	فكيفَ تُنكِرُ أنْ تَدْمَى مآقيهِ!





باب الهجاء



قافية الهمزة

338

وقال يُعرِّض بِبعض بني حُمَيْد وقد أسمعَه وأربَى عليه بعدَ ما قُتِل محمد بن حميد . ولم يُصرِّح بهجائهِ لِمَدْحِه إيَّاهم ولأنَّه طائيّ [من الوافر] :

١ إذا جَارَيْتَ في خُلُقٍ دَنِيئاً ... فأنتَ ومَنْ تُجَارِيه سَواءُ

٢ رَأيْتُ الحُرَّ يَجْتَنِبُ المَخازِي ... ويَحْمِيهِ عنِ الغَدْرِ الوَفاءُ

٣ وما مِنْ شِدَّةٍ إلاَّ سَيأْتي ... لَها مِنْ بعدِ شِدَّتها رَخاءُ

٤ لَقَدْ جَرَّبْتُ هذا الدَّهْرَ حتَّى ... أفادَتْني التَّجارِبُ والعَناءُ

٥ إذا ما رأْسُ أهلِ البَيْتِ وَلَّى ... بَدا لهمُ مِنَ الناسِ الجَفاءُ

٦ يَعِيش المَرْءُ ما استحيَى بِخَيرٍ ... ويَبْقى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ

٧ فَلا واللَّهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَياءُ

٨ إذا لم تَخْشَ عاقِبةَ اللَّيالي ... ولَمْ تستَحْي فافعَلْ ما تَشاءُ

٩ لئيمُ الفِعْلِ مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ ... له مِنْ بينهمْ أبداً عُوَاءُ

339

وقال يهجو عتْبه بن أبي عاصم:

[من الكامل]:

١ أعُتَيْبَ يا ابنَ الفَعلَةِ اللَّخْناءِ ... أأمِنْتَ مِنْ بَذَخي ومِنْ غُلَوائي؟

٢ فبِحرْمَةِ الغُرْمُولِ في استِكَ إنَّه ... قَسَمٌ له حَقٌّ على البُغَّاءِ

٣ دَعْـوَاكَ فـي كَلْبٍ أَعَـمُّ فَـضِيـحـةً ... وأخَصُّ أَمْ دَعْـوَاكَ فـي الشُّعَـراءِ؟

٤ عَجَبـاً لِصَيَّـادِ الهِجَـاءِ بِعـرْضِـه ... وجِـرُ امِّـهِ أبـداً عـلى الإعـرَاءِ؟!

٥ مـا شِعْـرُه كُفْـأً لِشِعـري فـليَمُتْ ... غَـيْـظاً ولا الخُـلُقيُّ مِـنْ أكـفـائـي

٦ أنَّـى يَـفُـوتُ مَـخَـالـبي فـي بَـلدةٍ ... أَرْضي بهـا مَبْسُـوطـةٌ وسَـمـائي؟

٧ وكُهُـولُ كَهلانٍ وحَيّـا حِمْيَـرٍ ... كـالـسَّيْـلِ قُـدَّامي مَعـاً وَوَرائـي

٨ فـأُلاكَ أعمـامي الـذيـنَ تَعـمَّمـوا ... بـالـمَكـرُمـاتِ وهـذِهِ آبـائـي!

340

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ نُبِّئْـتُ عُتْبَـةَ شـاعِـرَ الغَـوْغَـاءِ ... قَـدْ ضَجَّ مِنْ عَـوْدِي ومِنْ إبـدَائي

٢ لَمَّـا غَضِبْتُ على القَـرِيضِ هَجـوْتُـه ... وجَعلتُ خِـلْقَتَـه هـجَـاءَ هِجَـائـي

٣ مـا كـانَ جَهْلُكَ تـارِكـاً لـكَ غِيَّـه ... حتَّـى تـكـونَ دَجـاجَـةَ الـرَّقَّـاءِ

٤ حِلمـي عـنِ الحُلَمـاءِ غيـرُ مُكـدَّرٍ ... والحَتْفُ في سَفَهِي على السُّفَـهـاءِ

٥ أضعِفْ بِمَن أمسَى وأصبـحَ أمـره ... تَبَـعـاً لأَمْـرِ الـدُّودةِ الـشُّعْـرَاءِ!

٦ إنِّـي لأعجـبُ مِـنْ أنـاسٍ صُـوِّروا ... صُـوَرَ الـرِّجـالِ لهمْ فُـروج نِسَـاءِ!

٧ الـلَّهُ يَـعـلـمُ أنَّـهـا لَـمُـصِـيـبَـةٌ ... نَـزلَـتْ ولا سِيمَـا على الشُّعَـرَاءِ

٨ ما الشَّمْسُ أعجَبُ حِينَ تَطلعُ لِلورَى ... غَـرْبِـيَّـةً مِـنْ شـاعـرٍ بَـغَّـاءِ

٩ إنْ كنتَ لَسْتَ بِمُنْتَـهٍ عَنْ بَـذْلِهـا ... فـأنـا أحَـقُّ بهـا مِـنَ الغُـرَبـاءِ!

---

(٣) (س): «تاركاً لك بَحْتُه» يريد المثلَ بقوله «دَجاجة الرّقاء» قولَهم تَركتْهُ فَرُّوج الرَّقاء، وذلك أنه مُعذَّب أبداً يُجرَّب عليه لَسْعُ الحيّةِ لِأن الذي يَرْقِي يكون معه فَرّوجٌ أو نحوه فيُلدِغَه حَيَّةٌ ويقول لِلعامّة إني أرقيه فلا يَضرُّه السّمُّ، يريد أن يخدعَ بذلك وينَفّق دَواءَه فإنْ هلَكَ فإنه غير مُبالٍ. والمعنى أنَّ غيرك يُعرّضك لِلشر.

وقال يَهجو عبدَ الله الكاتِبَ وكان يُحِبُّه ويُعرِّض بالمُبَارَكيّ [من الخفيف] :

١ قُـلْ لِـعَـبْـدونَ أيـنَ ذَاكَ الـحَـيَـاءُ   إنَّ دَاءَ الـمـجُـونِ دَاءٌ عَـيَـاءُ؟!

٢ طَـالَمـا كنتَ قَبْـلُ عِنْـدِي مَنِيعـاً   ومَـصُـونـاً كـمـا يُـصَـانُ الـرِّدَاءُ

٣ ثُـمَّ كَشَّـحْتَـنـي عـلى غَـيْـرِ جُـرْمٍ   فـأنـا والـمُـبَـارَكِـيُّ سَـوَاءُ

٤ قـالَ لي النَّـاصِحُـونَ وهْـوَ مَقَـالٌ:   ذَمُّ مَـنْ كـانَ خـامِـلاً إطـرَاءُ

٥ صَـدَقُـوا، في الهِجَـاءِ رِفْعَـةُ أَقْـوا   مٍ طَـغَـامٍ فليسَ عِـنْـدي هِـجَـاءُ

قافية الباء

342

وقال يهجو عُتْبة بن أبي عاصم [من الوافر]:

١	أعُتْبَةُ أجبَنُ الثَّقلَيْنِ عُتْبَا	بِجَهْلِكَ صِرْتَ لِلمكرُوه نَصْبَا
٢	رُمِيتَ بمَنْ لَو انَّ الجِنَّ تُرمَى	بهِ لَتنهَّبتْها الإنْسُ نَهْبَا
٣	فإنَّك إنْ تُساجِلْني تَجِدْني	لِرَأْسِكَ جَنْدَلاً ولِفِيكَ تُرْبَا
٤	تَجِدْ صِلاًّ تَخالُ بِكُلِّ عُضْوٍ	لَهُ مِنْ شِدَّة الحَرَكاتِ قَلْبَا
٥	أخا الفَلَواتِ قَدْ أحيَا وأردَى	رِكاباً في صَحاصِحها ورَكْبَا
٦	فكادَ بأنْ يُرَى للشَّرْقِ شَرْقاً	وكادَ بأنْ يرَى للغَرْب غَرْبَا
٧	وأنتَ تُدِيرُ قُطْبَ رَحاً عليّاً	ولم تَرَ لِلرَّحا العَلياءِ قُطْبَا!

---

(١) رواية (ع) «أعتبة أجبن الثَّقلين» ويجوز في «عُتبة» الذي في أول البيت ضَمُّ الهاء وفتحها كقوله:

★ كِليني لهم يا أمَيْمةَ ناصبِ ★

فالضم على أصل النداء والفتحُ على إرادة التَّرخيم وإقحام الهاء. و«عُتبة» مأخوذ من قولهم عَتَبَ القومُ في الوادي إذا نزلوا في جانبٍ من جوانبه.

(٤) أصل «الصل» في الحيّة الذَّكَر ثم نُقِل إلى وَصف الرجل على معنى المدح، يُرَاد أنه لا يُطاق ولا يُقام له.

(٦) زاد الباء هاهنا كما قالوا كفى باللهِ شهيداً، وليس زيادتها بعد «كاد» معروفة إلاَّ أنَّ لها نظائر كقول النَّمِر بن تَوْلَب:

ظَهرتْ نَدامتُه وهان بسُخطهِ ... شيأً على مَرْبوعها وعِذارها

(٧) [ص] يرميه بالأُبْنَة وأنَّ القُطْب في الرّحا السُّفْلى وهذا هو الرّحا السُّفْلى والقطبُ فيما فوقه.

٨ تَـرَى ظَـفَـراً بِكُـلِّ صِـرَاعِ قِـرْنٍ إذَا مـا كـنتَ أسفـلَ مِنْـه جَنْبَـا
٩ ثَـكِلْتُ قَـصَـائـدي إن مَـرَّ يَـوْمٌ ولَـمَّـا أقضِ فـيـهِ مِنْـكَ نَـحْبَـا
١٠ وكُـنْـتُ إذنْ كـأنـتَ فـإنَّ مِثْـلي إذا مـا كـانَ مِثْلكَ كـانَ كـلْبَـا

343

وقال يَرُدُّ على عُتْبة وكان هجا بني عبد الكريم الطائيِّين [من المنسرح]:

١ شِعْرِيَ، أنّـى هَـرَبْـتَ فـي الطَّلَـبِ ولَـوْ صَعِـدْتَ السَّمـاءَ في سَبَبِ
٢ يـا ابـنَ أبي عـاصـمٍ ولا عـاصِمٌ وَيْـلُكَ مِنْ سَـطْوَتِـي ومِنْ غَـضَبِـي
٣ لَـوْ كُنْتَ مِـنْ غُـرَّة المَـوالي إذَنْ لِـم تَنْـثُ سُـوءاً في غُـرَّة الـعَـرَبِ
٤ أيُّ كَـريـمٍ يَـرْضَـى بِشَتْـمِ بنـي عَبد الكـريـمِ الجحـاجِـحِ النُجُـبِ
٥ أيُّ مُـنَـادٍ إلى النَّـدَى وإلى الـهَيْـ ـجاءِ نـاداهُـمُ فـلَمْ يُـجَـبِ؟
٦ أي فَـتـىً مِـنـهُـمُ أشـاحَ فـلَمْ يُـصَبْ غَـدَاةَ الـوَغَـى ولم يُصِبِ؟

(١٠) (س): «وكنتُ إذن كمثلك إنّ مثلي» النحويّون يحكون دخول الكاف على «أنت» و«أنا» و«إياك» وهو قليل رديء، ومنه قول الشاعر:

فـأحسِـنْ وأجمِـلْ فـي أسيـركَ إنـه ضعيـفٌ ولـم يـأسِـرْ كـإيّـاكَ آسِـرُ

(٣) [ع] أراد بـ«الموالي» هاهنا الذين يُعتقون فيكون ولاؤهم لمن أعتقهم. يقول: لو كنتَ من كِرام الموالي لم تَنْثُ سُوءًا أي لم تُظهر، يقال نَثَوْتُ الحديثَ إذا أظهرتَه من خير أو شرّ.

(٤) «الجَحاجِح» جمع جِحْجَاح وهو السَّيد، يقال في جمعه جَحاجحَة، والقياس أن تُثبت فيه الياء فيقال جَحاجِيح.

(٦) «الإشاحة» تُستعمل في معنى الجِدّ ومعنى الحَذَرِ، وقد ذكَره بعضهم في الأضداد، وكذلك المشايَحة، قال عمرو بن الإطنابة:

وإقْـدامـي علـى المكـروه نفْسـي وضَـرْبـي هـامـةَ البَطَـلِ المُشِيـحِ

وقال الراجز:

إذا سمِعْـنَ الحِسَّ مِـن ريـاحِ
شـايَحْـنَ مِنْـه أيّمـا شِيَـاحِ

٧ أيُّ وَلِيدٍ رَأَى سُيوفَهُمُ | في الحَرْبِ مشهورةً فلم يَشِبِ؟
٨ إنْ رُمْتَ تَصْدِيقَ ذَاكَ يا أعورُ الـ | ـدَّجالُ فالحَظْهُمُ ولا تَذُبِ
٩ لَنْ يَهدِمَ النَّاسُ ما بَقُوا أبداً | ما قدْ بَنَوْهُ مِنْ ذلكَ الحسب
١٠ أُلاكَ زُهْرُ النُّجومِ ليسَ كمَنْ | أمسَى دَعِيّاً في الشِّعْرِ والنَّسَبِ

344

وقال يَهجو رجلاً سَرقَ شِعْره وهو محمّد بن يزيد الأمويّ ، وكان أبو تمّام قال شعراً وكتبَه في كِتاب فسَرَقه وسار إلى الممدوح وادّعاه ، فهجاه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

---

(٨) هكذا عند (س) وعند (ع)، وتصحيح العَبْدي «يا أعورَ الدّجال». جعل «أعور» معرفةً بالنداء ثم نعتَه بالدجّال، وبعضُ العرب يستوحش من هذه البِنْية، واستعمالها في كلامهم قليل، لا يكاد يوجد يا غلامُ العاقلُ أقبِلْ، فلذلك استحسنَ بعضُهم إدخالَ الألف واللام في قول الراجز :

فيا الغُلامانِ اللّذان فرّا
إياكما أن تُكسبانا شرّا

لأنه استقبح أن يقول فيا غُلامان ثم يُتبعهما بقوله اللذان، إلاّ أنَّ دُخولَ حرف النداء على الألف واللام شنيع قليل، وقد أنشدوا قول الشاعر :

مِن أجلكِ يا التي تَيَمّتِ قَلْبي | وأنتِ بَخيلةٌ بالودِّ عنّي

وهذا على إقامة الصفة مقامَ الموصوف، كأنه قال يا فلانة التي. ولو أنشد «يا أعورَ الدجال» فأضِيف «أعور» إلى ما بعده على مذهب قولهم مسجد الجامع وصلاة الأولى لكان ذلك وجهاً، وهو في اللفظ أحسنُ من الوجه الأول، ويكون «الدجّال» هاهنا يُزاد به اللفظ. كما يقال فلان يُسمّى بأسد وإنما يعني الهمزة والسين والدال. و«الدَّجال» عندهم مأخوذ من قولهم دَجَّلَ الشيءَ إذا غطّاه ودجّلَ البعيرَ إذا طلاه بالقَطِران، قال العَجاج في صفة الظَّليم:

★ والنَّغْضُ مثلُ الأجْرَبِ المُدَجَّلِ ★

وقيل إنما سُمي الدَّجال لكثرة جُمُوعه، من قولهم رُفقةٌ دَجَّالة أي عظيمة كأنها تستر الطريق، قال خِداش بن زهير:

سأضمَنُ مَنْ ضَمّتْ تِهامَةُ مِنهمُ | ودجّالةَ الشامِ الذي قال حاتِمُ

١ مَنْ بَنُو عامرٍ مَن ابنُ الحُبَابِ ... مَنْ بنو تغلب غَداةَ الكُلابِ؟
٢ مَنْ طُفَيلٌ مَنْ عامِرٌ ومَن الحا ... رثُ أَمْ مَنْ عُتَيْبَةُ ابنُ شِهابِ!
٣ إنَّما الضَّيْغمُ الهَصُورُ أبو الأشـ ... ـبالِ مَنَّاعُ كلِّ خِيس وغابِ
٤ مَنْ غَدَتْ خَيْلُهُ على سَرْحِ شِعْرِي ... وهْوَ لِلحَيْنِ رَاتِعٌ في كِتابي
٥ غارَةٌ أسخَنَتْ عُيُونَ المَعاني ... واستَحلّتْ مَحَارِمَ الآدابِ
٦ لَوْ تَرَى مَنْطِقي أَسِيراً لأصبحـ ... ـتَ أسِيراً لِعَبْرَةٍ واكتئابِ
٧ يا عَذَارَى الكلامِ صِرْتُنَّ مِنْ بعـ ... ـدِي سَبايا تُبَعْنَ في الأعرابِ!
٨ عَبِقَاتٍ بالسَّمْعِ تُبْدِي وجُوهاً ... كوجُوهِ الكَوَاعِبِ الأترَابِ
٩ قَدْ جَرَى في مُتُونهنَّ مِنَ الإفـ ... ـرِندِ ماءٌ نَظِيرُ ماءِ الشَّبَابِ
١٠ إنَّ ذَمِّي محمَّدَ بنَ يَزِيدٍ ... في الذي نالَهُ لَغَيرُ صَوَابِ
١١ دَعْهُ يَحظَى لَدَى الأنامِ بشِعرِي ... وقَصِيدي فذاكَ أهونُ بابِ

345

وقال يهجو مُقرانَ المُباركي [من الطويل] :

١ أَمَا والذي غَشَّى المُبارَكَ خِزْيَةً ... يُغنّي على الأَيَّامِ رَكْبٌ بها رَكْبَا
٢ لقَدْ ظَلَّ مُقرانٌ يَحُكُّ بعِرْضِه ... قَوافِيَ شِعْرٍ لو تدبَّرها جُرْبَا
٣ إذَا ما عَصَتْ مَنْ رَامَها وسمَا لها ... أطاعَتْ فَتَى عَضْباً يَسُوسُ حِجاً عَضبا
٤ رَجا أنْ يُنَجِّيهِ خَساسَةُ قَدْرِهِ ... ولم يَدْرِ أنَّ الليْثَ يَفترِسُ الكَلْبَا
٥ أمُقْرانُ كمْ قِرْنٍ لَقِيتَ بمشهدٍ ... فكانَ به رَفْعاً وكنتَ بهِ نَصْبَا!
٦ تَراهُ إذا ما جِئْتَه مُتهَلِّلا ... إلَيْكَ ومسروراً كأَنْ قَدْ رَأى زُبَّا
٧ غَليظُ مَجارِي فِكْرِهِ لَوْ ضَربْتُه ... على ما بَدا لي منه لم يَفْهم الضَّرْبَا
٨ إذَا كانَ وَجْهُ المَرْءِ يَبْساً فإنَّه ... يُقاسِي عِجاناً لا امتراءَ بهِ رَطْبَا

(٢) الحارث بن عُبَاد وعُمير بن الحُبَاب السُّلَمي قال الصولي: يعدد فرسان العرب ويقول إن الذي أقدم على سرقة شعري أشجع منهم وأشد غارة.

346

وقال يَهجو موسى بن إبراهيم الرَّافقي [من الكامل] :

١ فـاضَ اللئامُ وغـاضَتِ الأَحسَـابُ ... واجـتُـثَّـتِ الـعَـلْيَـاءُ والآدابُ
٢ فكـأَنَّ يـومَ البعْثِ فـاجـأهم فـلا ... أنـسـابَ بيـنَهُـمُ ولا أَسـبَـابُ
٣ أمـوَيْسُ لا يُغنِي اعتَـذارُكَ طـالِبـاً ... عَفْـوى فمـا بعـدَ العِتَـابِ عِقـابُ
٤ هَب مَنْ لـه شيءٌ يُـريـدُ حجابَـه ... مـا بَالُ لا شيءٍ عليـه حِجَـابُ؟!
٥ مـا إنْ سَمِعتُ ولا أَرَاني سـامِعـاً ... أبَـداً بِصـحـرَاءٍ عـليهـا بـابُ!!
٦ مَن كـانَ مَفْقُودَ الحَيَـاءِ فـوجهُـه ... مِـن غـيـرِ بَـوَّابٍ لـه بَـوَّابُ
٧ مـا زَالَ وسـواسي لِعقْلي خَـادِعـاً ... حَتَّى رَجَـا مَـطراً وليسَ سحـابُ
٨ مـا كنتُ أدري - لا دَريتُ - بـأنَّـه ... يَجـري بـأفنيـةِ البُيُـوتِ سَـرابُ
٩ عَجَبـاً لِقَـوْمٍ يَسمعـونَ مَـدَائحي ... لـكَ لم يقـولـوا قُمْ فـأنتَ مُصَـابُ؟
١٠ نَـبَـذُوا بِكـذَّابٍ مُـسَـيلمـةَ فقَـدْ ... وَهِمُـوا وجَـارُوا بَـلْ أنـا الكـذَّابُ
١١ هَتَّكْـتُ دِيني فـاستـرتُ بِتَـوْبـةٍ ... فـأنـا المُقِـرُّ بـذَنبـهِ التَّـوّابُ!

347

وقال يهجو عَيَّاش بن لَهيعة [من البسيط] :

١ النَّـارُ والعَـارُ والمَكْـرُوهُ والعـطَبُ ... والقَتْـلُ والصَّلْبُ والمُـرَّانُ والخَشَبُ
٢ أحلَى وأعـذَبُ مِنْ سَيْبٍ تَجُودُ بـهِ ... ولَنْ تَجُـود بـهِ يـا كلْبُ يـا كَلِبُ!
٣ أشكيْتمـوني فلمَّـا أَنْ شَكـوتُكـمُ ... غَضِبتُمْ دَامَ ذاكَ السُّخْطُ والـغَضَـبُ
٤ بَني لَهيعـةَ ما بـالـي وَبَـالُكـمُ ... وفي البِـلادِ مَنـادِيـحٌ ومُضْـطَربُ؟
٥ لَجـاجَـةٌ بيَ فيكـمْ ليسَ يُشبِهُـهـا ... إلاّ لـجَـاجَـتُكمْ في أنَّكـمْ عَـرَبُ!
٦ كَذِبْتُمْ، لَيْسَ يَنْبُو مَـنْ لَـهُ حَسَـبٌ ... وَمَـنْ لَـهُ أدبٌ عَـمَّـن لَـهُ أدَبُ
٧ إنِّـي لَـذُو عَـجـبٍ مِـنْـهُ أُكـرِّرهُ ... فيكم، وفي عَجَبِي مِنْ لُومِكُمْ عَجَبُ

٨ عَيَّاش ما لكَ في أُكرومَةٍ أَرَبٌ ولا لِأكرومةٍ في ساقطٍ أَرَبُ
٩ يا أكثرَ الناسِ وَعْداً حَشْوُهُ خُلُفٌ وأكثرَ الناسِ قَوْلاً كُلُّه كَذِبُ
١٠ ظللتَ تَنْتَهِبُ الدُّنيا وزُخْرفَها وظَلَّ عِرْضَكَ عِرْضُ السُّوءِ يُنْتَهَبُ!

348

وقال يهجو يُوسف السَّراج [من الوافر] :

١ أيوسفُ جِئْتَ بالعَجَبِ العَجِيبِ تَركتَ الناسَ في شَكٍّ مُريبِ
٢ سَمِعْتُ بكلِّ داهيَةٍ نآدٍ ولم أسمَعْ بِسرَّاجٍ أَدِيبِ!
٣ أما لَوْ أَنَّ جَهْلكَ كانَ عِلْماً إِذَنْ لَنَفَذْتَ في عِلْمِ الغُيُوبِ!
٤ وما لكَ بالغَريبِ يَدٌ ولكنْ تَعاطِيكَ الغَريبَ هو الغَرِيبُ
٥ فلو نُبشَ المَقابِرُ عن زُهَيرٍ لصَرَّحَ بالعَويلِ وبالنَّحِيبِ
٦ متَى كانَتْ قَوافِيهِ عِيَالاً على تَفسيرِ بُقْراطِ الطَّبيبِ؟!
٧ وكيفَ ولم يَزلْ لِلشِّعْرِ ماءٌ يَرفُّ عليه رَيْحانُ القُلُوبِ!
٨ تَزَحْزَحَ عن بَعِيدِ العَقلِ حتّى تَوجَّهَ أَنْ تَوَجَّه في القَرِيبِ
٩ أَرَى ظُلْمِيكَ إنصافاً وَعَدْلاً وذَنْبِي فيكَ تَكفِيرُ الذُّنُوبِ!

349

وقال يهجو أبَا المغيث موسى بن إبراهيم الرّافقي [من الكامل] :

١ أنضَيْتُ في هذا الأَنامِ تَجَاربي وبَلوتُهمْ بِمُفَحَّصَاتِ مَذَاهِبي
٢ وذَمَلْتُ في الأيَّامِ حتى أسحَتَتْ شَطَّيْ سَنَامي وانتحتْ في غَاربي
٣ مُتَجشِّماً سُبُلَ المَطَامِحِ طالِباً مِنها وفيها شَأْوَ رِزْقِ الغَالِبِ
٤ أمرايَ من خيْرٍ وشرٍّ فاعلمي طوقانِ في عُنُقِ القضاءِ الغالب

٥ لِـيَـنَـلْ عَـدوٌّ مِـنْ عَـدوٍّ إنـمـا — يَعفُـو ويَصفَحُ صاحِبٌ عَنْ صاحِبِ
٦ غـابَ الهِجَاءُ فـآبَ فيكَ بَـدِيعُـهُ — فتَهَنَّ يـا مُـوسَى قُـدُومَ الغـائِبِ!
٧ لا تُـذْهِشَنِّي بـالحِجَـابِ فـإنَّني — فَـطِنُ البَـدِيهَـةِ عـالمٌ بِمَـوَارِبي
٨ لا تَكلفَنَّ وأرْضُ وَجْهِـكَ صَـخْـرةٌ — في غيـرِ مَنفَعـةٍ مُؤُونَـةَ حـاجِـبِ
٩ مـا كُـنْـتَ أوَّلَ آخِـر فـي قَـدْرِه — أثـرَى فَـقَـصَّـرَ قَـدْرَ حَقٍّ واجـبِ
١٠ لا شـاهِـداً أخـزَى لِجَاحِـدِ لُؤْمِـه — مِـنْ أنْ تَـراهُ زَاهِـداً فـي رَاغِـبِ
١١ خُذْ مِنْ غَدِي الجَائي بِخزْيِكَ ضِعْفَ ما — أعـطَيتني في صَـدْرِ أمسِ الـذّاهبِ
١٢ فَـلأتـحِفَـنَّ السَّـفْـرَ فيـكَ بِشُـرَّدٍ — أُنُسٍ يَـقُـمْـنَ مَـقـامَ زَادِ الـرّاكـبِ
١٣ وزَعَـمْـتَ أنَّـكَ مُـعْـطِبي ومُـسَلَّمٌ — منّي فأيْـرِي فـي حِـرِ آمِّ الكـاذِبِ!

350

وقال [من البسيط] :

١ إمْرَاةُ مُقْـرَانَ مـاتَتْ بعـدَ ما شَـابـا — فَحسَّتِ السَّلَعَ الفِتيـانُ والـصَّـابـا
٢ لم يَبْقَ خَلْقٌ ببـابِ الشـامِ نَعـرِفُـهُ — بـالفتْـكِ مُـذْ هَلَكتْ إلاّ وقَـدْ تَـابَـا!
٣ يـا نَكْبَةً هَشَمَتْ أنفَ السُّـرور بـهِ — ومـيتَـةً أبـقت الـعُـزَّابَ عُـزَّابَـا!

351

وقال يَهجو الجُلُوديّ حينَ انهزَمَ من النُّوَيْرَة [من الكامل] :

١ صَـحْـبِي قِفُـوا مُـلّيتُكـمْ صَـحْـبَـا — فـاقضُـوا لنـا مِـنْ رَبْعِـهـا نَحْـبَـا
٢ دَارٌ كـأنَّ يَـدَ الـزَّمـانِ بـأنْـ — ـواعِ البِلَى نَشَـرَتْ بِهـا كُتْـبَـا
٣ أيـنَ الأولى؟ كـانـوا بِـعِـقْـوتـهـا — والـدَّهْـرُ يَسْكُبُ مـاءَهُ سَكْـبَـا؟
٤ إذْ فـيـهِ كـلُّ خَـرِيـدَةٍ فُـنُـقٍ — عُـذِرَ الـفَـتَـى إنْ هـامَ أوْ حَـبَّـا
٥ فَـرَغَ الـوشـاحُ بِهـا وقـد مَـلأَتْ — مِنهـا الشَّـوَى الخُـلخَـالَ والقُـلْبَـا

٦ وإذا تَهادَتْ خِلْتَها غُصُناً   لَدْناً تُلاعِبُه الصَّبا رَطْبا

٧ نَصَبتْ له البَلْوى مُنعَّمةً   جُعِلَتْ لِناظِرِ عَيْنِهِ نَصْبا

٨ قَصدَتْ له قبلَ الفِراقِ فما   أبقَتْ له كَبِداً ولا قَلْبا

٩ قُلْ لِلجُلُوديِّ الذي يَدُه   ذَهبتْ بمالِ جُنُودِهِ شَعْبا

١٠ اللّهُ أعطاكَ الهَزيمةَ إذْ   جَذَبتْكَ أسبابُ الرَّدى جَذْبا

١١ لاقَيْتَ أبطالاً تحُثُّ إلى   ضَنْكِ المَقامِ شَوازِباً قُبّا

١٢ فنَزلتَ بينَ ظُهُورِهِمْ أشِراً   فَقَرَوْكَ ثمَّ الطَّعْنَ والضَّرْبا

١٣ ضَيْفاً ولكنْ لا أقولُ له   أهلاً بِمَثْواهُ ولا رَحْبا

١٤ في حيثُ تَلْقَى الرُّمحَ يَشرعُ في   نُطَفِ الكُلَى والمُرْهَفَ العَضْبا

١٥ والخَيْلُ سانحةٌ وبارحةٌ   والمَوْتُ يَغشى الشَّرقَ والغَرْبا

١٦ والبيضُ تَلمعُ في أكُفِّهِمِ   رَأْدَ الضُّحى فتخالُها شُهْبا

١٧ ثُمَّ انثنَتْ عَيْناكَ قَدْ رَأتا   أمْراً فأودَعَتِ الحشا رُعْبا

١٨ وشغِلْتَ عن دَبْغِ الجُلودِ بما   نَشَرَ البلاءَ وجَلَّلَ الخَطْبا

١٩ وَافَتْكَ خَيلٌ لو صَبَرْتَ لها   لَنهبْنَ رُوحَكَ في الوَغا نَهْبا

٢٠ هَيهاتَ لَمّا أنْ بَصُرْتَ بِهِمْ   أغشَوْكَ ثَوْبَ الجَهْدِ والكَرْبا

٢١ وحَسِبْتَهُمْ أُسْداً أساوِدَ أوْ   إبلاً تَصُولُ قُرومُها جُرْبا

٢٢ مِنْ حَيٍّ عَدْنانٍ وأُخوتِهِم   قَحطانَ لا مِيلاً ولا نُكْبا

٢٣ ورأيتَ مَرْكبَ ما أرَدْتَ بِهِم   صَعْباً ومَغْمزَ عُودِهِمْ صُلْبا

٢٤ ورَمَيْتَ طَرْفَكَ ناظِراً فرأى   في كلِّ أرضٍ مُوقِداً حَرْبا

٢٥ وعُصِمْتَ باللّيلِ البَهيمِ وقَدْ   ألقى عليكَ ظَلامُه حُجْبا

٢٦ فسَرَيْتَ تَغْشى البِيدَ مُجتَزِعاً   بالعِيسِ مِنها الحَزْمَ والسَّهْبا

٢٧ وتركْتَ جُنْدَكَ لِلقَنا جَزَراً   والبِيضُ تَجذِبُ هامَهمْ جَذْبا

٢٨ قتْلاً وأسْراً في الحديدِ معاً   يَتَوقَّعُونَ القَتْلَ والصَّلْبا

٢٩ فاشْكُرْ أيادِيَ لَيْلَةٍ سَمَحتْ   لكَ بالبَقاءِ ورَكْبِها رَكْبا

٣٠ بَلْ لا تُؤدّي شُكْرَها أبَداً   حتّى تُصيِّرَها لكمْ رَبّا

وقال يَهجو المطَّلِبَ الخُزاعي وكان مَدَحه [من السريع] :

١ أوَّلُ عَـدْلٍ مـنـكَ فِـيـمـا أَرَى أنَّـكَ لا تَـقـبَـلُ قَـوْلَ الـكَـذِبْ

٢ مَـدَحـتُـكـمْ كِـذْبـاً فـجـازَيـتـني بُخْـلاً لقَـدْ أَنصَفْـتَ يـا مُـطَّلِبْ!

قافية التاء

353

وقال يهجو عبد اللّه الكاتب [من الوافر] :

١ أعبدَ اللّهِ دَعْ لَوّاً ولَيْتَا فقد أصبحتَ يا مِسْكينُ مَيْتَا
٢ وكُنْتَ بِخَلّتَيْنِ تُدِلُّ حتَّى رُمِيتَ مِنَ السّماءِ كما رَمَيْتَا
٣ بِلينٍ مَرَّةً وبِقَدْرِ عَوْن فَسُوِّدَ وَجْهُ عَوْنٍ واطّلَيْتَا
٤ فأنتَ اليومَ في خِزْي عَظِيمٍ فكيفَ غَداً تكونُ إذا التَحَيْتَا؟!

354

وقال يهجو مُقْرَانَ المُبَاركيّ [من الكامل] :

١ يا زَوْجَةَ المِسْكينِ مُقْرَانَ التي عَظُمَتْ على المُتَطَرِّقِينَ وفاتُها
٢ خَلَتِ القُبُورُ بِظَبْيَةٍ عَهْدِي بها فيما يُقالُ لَذِيذَةٌ خَلَواتُها!
٣ تَرَكَتْ على المِسْكينِ عِدَّةَ صِبْيَةٍ مِثْلَ الفِرَاخِ تُخرِّمَتْ أُمّاتُها
٤ لو كانَ أحصَنَ بابَه أو دَارَه قَلَّتْ بَنُوها عندَهُ وبَناتُها!
٥ إنّ البِلادَ إذا السُّيُولُ تَعاوِدَتْ ساحاتِها غمرَ الفضاءَ نَباتُها!
٦ مُتَناوِمٌ إنْ زَارَها إخوانُها مُتَيَقِّظٌ إنْ زَارَها أَخَواتُها!
٧ إمراتُه نَفَذَتْ عليهِ أُمورُها حتّى ظَنَنّا أنّه إمرَاتُها!

---

(١) (ع) يحكى عن الأصمعي أنه كان يُنكر « زوجة » بالهاء وهذا طريف ممّا حُكي عنه، وقال مَن ذكر عنه هذه الحكاية أنه قُرِىء عليه قول عَبدةَ بن الطّيِّب:

فبَكَى بَناتي شَجْوهنَّ وزَوْجتي والأقربونَ إليّ ثُمّ تَصدّعوا

فلم يُنكره، ولعله كان يختار « الزوج » لأنها اللغة التي جاءَت في القرآن، فأمّا الزوجة بالهاء فكثير في الشعر.

(٧) (ع): لا يُوجد في الشعر القديم « إمراته » إلا أنَّ القياس يُطلق ذلك، وهذه اللفظة نادرة، لأنهم =

قافية الجيم

355

وقال يهجو يوسف السرَّاج [من الكامل] :

١ أمسِكْ بلِ استَمْسِكْ لِوقْعِ هَياجي فلَتَسأَمَنَّ عُذوبَتي وأُجَاجِي!

٢ دَعْ ما مَضَى واستأنفِ العَدَدَ الذي ضَيَّعْتَه يا مُحْصِيَ الأمواجِ

= قالوا في المذكَّر هذا امرؤ ورأيت امرءًا ومررتُ بامرىءٍ فغيّروا ما قبل الهمزة، فلمّا جاءوا بهاء التأنيث أقرّوا فتحةَ الراء التي جَرت عادتُها أن تتبع الهمزة لأن ما قبل هاء التأنيث لا يكون إلاَّ مفتوحاً، وقد حكى الفرّاءُ أنهم يقولون هذا امرَوءٌ فيفتحون الراءَ على كل حال، فإذا حُمِل الأمرُ على ذلك جاز أن تُخَفَّف الهمزة على لغة مَن فتحَ فيُقال هذا امرَا لأنَّ الوقف يُسكِّن الحرفَ فإذا سُكِّنت الهمزة وقبلها فتحة جُعلت أَلِفاً، كما قالوا هذا خَطَا، ولأجل هذا التخفيف اجترأوا على قولهم كلاكَ الله بغير همز، فكأنَّ قول الطائي «إمراته» يُحمل على أنها أُنثى إمرَا ثم خُفّف المذكر والمؤنَّث الجاري عليه، وقُطع ألفُ الوصل في امراةٍ وذلك قليل إلاَّ أنه قد جاءَ في مثل قول الأنصاري:

إذا جاوزَ الإثنين سرٌّ فإنه بنشرٍ وتكثيرِ الحديثِ قَمِينُ

(١) (٢): قوله في البيت الأول «هَيَاجي» هو مصدر هايَجَ يُهايج هَياجاً وذلك في الحرب والخصومة، وهو مأخوذ من هَيَج الفَحْل لأنه إذا هاجَ صال. و«الأجاج» الماءُ المِلْح. وقوله «أَجِمْتَ عدواتي» من قولهم أجِمَ الطعامَ ووَجِمَه إذا كرهه، قال الشاعر:

جَوارٍ شَرِبْنَ المحضَ حتى أجِمْنَه فهنَّ إلى مُرْدِ الرجالِ نَوازعُ

وقال آخر:

عن البَكرةِ العَيْساء أن قد تَوجَّمتْ إليها مَراعيها وطالَ نِزاعُها

٣ فلقَدْ أَجِمْتَ عَداوتي مَمْزُوجةً ولأسعِطنّكها بغير مِزَاجِ
٤ يا ابنَ الخَبيثَةِ لا تُعرِّض صَخْرَةً صَمَّاءَ مِنْ مَجْدِي بِعرْض زُجَاجِ
٥ أصبحتَ نِيَّ العَقْلِ فاصْلَ بِمِيسَمٍ يُبْدِي ألجَّ الناسِ في الإنضاجِ
٦ ما إنْ سَمِعْتُ ولا أَرَاني سَامِعاً حتى المَماتِ بشاعِرٍ سَرَّاجِ
٧ مَنْ كانَ تَوَّجَ رأسَه فَلِيُوسُفٍ شُعَبٌ يَقُمْنَ له مَقَامَ التَّاجِ
٨ حَرَنَ الزَّمانُ بهِ فَهَمْلَجَ كَشْحُه عن شِرْكةٍ في البَغْلَةِ الهِمْلاجِ
٩ لِلمرءِ في القُرآنِ أربعُ نُسْوَةٍ ولِتلْكَ أربعةٌ مِنَ الأَزوَاجِ !
١٠ بَيْضَاءَ في بيضٍ يَطُفْنَ بأسْوَدٍ في سُودِ غافِقَ مُحْصَدِي الأثباجِ
١١ ما إنْ تَزالُ لهمْ مَرَاوِدُ سَاسَمٍ مُتغلغِلاتٌ في مَكاحِلِ عاجِ !

---

(٨) «الهَمْلَجة» ضرب من المشي سَرِيع تُوصف به البغال والهُجْن من الخيل ويُكْرَه في العِراب، قال الشاعر:

بُدِّلتُ بعد نَجائبي وركائبي أعوادَ كلِّ مُقصَّصٍ هِمْلاجِ

(١٠) «غافق» قبيلة لئيمة، وقيل إنَّ في قبائل السودان قبيلة يقال لها غافق. و«الأثباج» جمع ثَبَج وهو الظهر وجمعَه لأنه جعل كلَّ جزءٍ منه ثَبَجاً. و«مُحصَد» مُحكَم.

(١١) «السَّاسَم» ضرب من الشجر، وأصلهُ غير عربيّ، ولكنه قد جاءَ في الشعر القديم، قال النمر العُكْليّ:

إذا شاءَ طالَعَ مَسْجورَةً تَرَى حولَها النَّبْعَ والسَّاسَما

(ع) قوله «غَيْرة الحجّاج» إنما الحجّاج يُمدَح فيُوصَف أنه غيور كما يُوصَف الممدوحُ بالكرم وإن كان بخيلاً، قال جرير يمدح الحجّاج:

مَنْ سَدّ مُطّلَعَ النِّفاقِ عليهم أمْ مَن يَصُول كصولةِ الحجّاجِ
أمْ مَنْ يَغارُ على النِّساءِ عَشيّةً إذ لاَ يَثِقْنَ بِغَيْرةِ الأزواجِ ؟

ويُروى أن عمر بن عبد العزيز كان يذمُّ الحجاج ويقول: لم يكن رجل دُنْيا ولا آخرة، وذُكِر عنده أنَّ الحجَّاج يَحبِسُ النساءَ مع الرجال في حبسٍ واحدٍ، وهذا يدلّ على قلة الغيرة.

وهذا البيت الذي أشار إليه أبو العلاء لم أجده في النُّسخ فإن وُجِدَ على بعض النسخ أُثبت هنا، إن شاءَ الله.

قافية الحاء

356

وقال يهجو عُتْبَةَ بنَ أبي عاصم [من الوافر] :

١ حِجًى لِحِمَى البَطَالَةِ مُسْتَبِيحُ   وقَدْرٌ لِلمَكارِمِ مُستَمِيحُ
٢ فلا قَلْبٌ قَرِيحٌ قَلَّبَتْهُ   نَوًى قَذَفٌ ولا جَفْنٌ قَرِيحُ
٣ ولكِنْ هِمَّةٌ شَطَطٌ وهَمٌّ   بهِ في المَجْدِ يَغْدُو أَوْ يَرُوحُ
٤ سأعتِبُ عُتْبَةً بِمُقَفَّياتٍ   سَواءٌ هُنَّ والصَّابُ الجَدِيحُ
٥ تَبِيتُ سَوائِراً وتَظَلُّ تُتلَى   قصائدُها كما تُتلَى الفُتُوحُ
٦ بَنُو عبدِ الكريمِ نُجومُ عِزٍّ   تُرَى في طَيِّىءٍ أبداً تَلُوحُ
٧ فَلا حَسَبٌ صَحِيحٌ أنتَ فيهِ   فتُكثِرَهمْ ولا عَقْلٌ صَحِيحُ
٨ إذا كانَ الهِجَاءُ لهم ثَوَاباً   فأَخبِرْني لِمَنْ خُلِقَ المَدِيحُ؟
٩ أتُبغِضُ جَوْهرَ العَرَبِ المُصَفَّى   ولم يُبغِضْهُمُ مَوْلًى صَرِيحُ؟
١٠ وما لكَ حِيلَةٌ فيهِمْ فتُجدِي   عليكَ بَلى تَموتُ فتَسْتَرِيحُ

357

وقال يهجو مُوسَى بن إبراهيم الرّافقي [من الخفيف] :

١ أيُّ رَأْيٍ وأيُّ عَقْلٍ صَحِيحِ   لم يُخوِّفْكَ سانحي وبَرِيحي؟!
٢ كَذَبتْ نَفْسُكَ الّتي حَدَّثَتْ أَنّـ(م)ـيَ أَنْمِي رَمِيَّتي وجَرِيحي

٣ خَلَقَ اللّهُ لِحْيَةً لـك لـو تُحْـ ـلقُ لم يُـدْرَ ما غَـلاءُ المُسُـوحِ!
٤ وذراها في الرِّيحِ إنْ كنتَ تَـرجـو سَيْـرَ شِعْـري في نَعْتِهـا بـالـرِّيحِ
٥ سارَ في التِّيـهِ عَقْلُ مَـنْ ظَـنَّ أنّي بـالأَمَـانـي يَسيرُ فِيكَ مَـديحِـي
٦ يا حَروناً في البُخْلِ قـد وأَبـي بُخْـ ـلِكَ عُـوقِبْـتَ بـالاصَـمِّ الجَمُـوحِ
٧ بِبَعِيـدِ المَـدَى قَـرِيـبِ المَعـانـي وثَـقِيـلِ الـحِجَى خَفيفِ الـرُّوحِ
٨ سَـجَـرَتْ كَفُّـه بُـحـورَ القَـوَافـي لـكَ عنـدَ التَّعـرِيضِ والتَّصـرِيـحِ
٩ لِحِجًى لستَ سـالِمـاً مِنْ تَغـالِيـ ـهـا ولـو كنتَ في سفينـةِ نُـوحِ

358

وقال يهجو محمّد بن يَزيد الأموي الشاعر [من الخفيف] :

١ يـا ابـن تلـكَ التي بِحَـرّانَ لمّـا نَبتَـتْ أنبتَتْ غُـصُـونَ الـسِّفـاحِ
٢ لا تَـهُـولَنَّـكَ الـكِبَـاشُ فـقَـدْ أُعـ ـطِيتَ مـا شِئْتَ مِـنْ أَداةِ النِّـطَاحِ!
٣ جُـدْتَ بـالـدُّبْـرِ والعَجـوزُ بِقُبْـلٍ فهنيئـاً ذَهَبْتُمـا بـالسَّمَـاحِ!
٤ بَـخٍ بَـخٍ لَمْ يُـدانِ جُـودَكَ يـا أَزْ هَـرُ كَـعْبٌ ولا مُبَـارِي الـرِّيـاحِ
٥ كِـدْتَ تُـدْعَى لـو أَنَّ خَلْفَكَ قُـدّا (م) مَكَ في الحَرْبِ يا حُدَيّا الرِّمـاحِ
٦ سُـوءُ ظنّي أجـارَنـي مِـنْ هـواهُ فـجعَـلتُ الـطلاقَ قبـلَ الـنِّكـاحِ

---

(٤) [ص] أي لا تَرْجُ أن يسير لي وصفٌ في لحيتك بالريح أي بلا شيء فإنك عندي أقل من ذلك، ومن روى « في مدحكم » فهو واضح.

قافية الدّال

359

وقال يهجو عَيّاشاً الحَضْرَمِي ، وهو أَوَّل هجاءٍ له كأنَّه استِبطاء [من البسيط] :

١ قَلَّبتُ أَمــرِيَ فــي بَــدْءٍ وفي عَـقِبِ ... ورُضْت حــاليَّ في جَــوْرٍ ومُقتَصَــدِ

٢ فمـــا فَتحتُ فَمِي إلّا كـعَمـتُ فمِـي ... ولا مَـدَدْتُ يَـدِي إلّا رَددْتُ يَـدِي!

٣ لا ذَنْبَ لي غيرَ ما سَيَّرتُ مِنْ غُـرَر ... شَرْقاً وغَـرْباً ومـا أحكمتُ مِنْ عُقَدي

٤ نَـشْـرٌ يَسِيـرُ بـهِ شعْـرٌ يُـهَـذِّبُـه ... فِكْرٌ يَجُولُ مَجالَ الرُّوحِ في الجَسَـدِ

٥ سـاعـاتُ شُكْـرٍ غَـذاهُنَّ البَقَـاءُ بـهِ ... فـهُنَّ أطـول أعـمـاراً مِـنَ الأبَـدِ!

٦ إذا دُجَـاها أحـاطَتْ بي أحـطتُ بهـا ... قلْبـاً متى أَسْرِ في مِصْبـاحـهِ يَقِـدِ

٧ حَضْرمتُ دَهْرِي وأشكالي لكم وبكمْ ... حتَّى بَـقِيـتُ كـأَنِّي لَـسْتُ مِـنْ أُدَدِ

٨ ثُمّ أطَّـرَحْتُـمْ قَـرَابَـاتي وآصِـرَتـي ... حتَّى تَـوهَّمْتُ أنِّي مِن بـني أسَـدِ!

---

(١) « المُقْتَصَد » بفتح الصّاد بمعنى الاقتصاد وهو التوسط في الأمور.

(٢) « الكَعْم » شدُّ الفم، يُقال كَعَم البعيرَ إذا سَدَّ فاه، ومنه الحديث أنه نَهى عن المكاعمة وهو أن يُقبِّل الرجلُ فمَ الآخر، قال الشاعر :

يَسُـوفُ بـأنفيْـهِ البِقـاعَ كـأنَّـه ... من البُـدْنِ عـن نَبْـتِ الريـاضِ كَعِيـمُ

(٧) (ع): « حَضرمتُ دهري » أي جعلتُه بحضرموت، فكأنَّه اجترأ على بِنْية هذه الكلمة لما كانت العربُ تقول رجل حضرميّ إذا نسبوه إلى حضرموت فبُني الفعل على ذلك، وهذا كما يقال مَضَّرتُ فلاناً إذا نسبتَه إلى مُضَر، وقَيّستُه إذا نسبتَه إلى قَيْس. والمعنى أني مِلْتُ إلى حضرموت وأفنيتُ دهري في مدحهم حتَّى كأنني منهم وإن كنت من أُدَد التي ترجع إلى طيّ.

(٨) « الآصِرَة » الرَّحِم التي تأصِرُ الإنسانَ أي تُعطفه على الصِّلة، يقال أصرتْه آصرةٌ، قال الشاعر : =

٩ ثُمّ انصـرَفْتُ إلى نَفْسي لأَظـأَرَهـا ‏ على سِـوَاكم فلم تَهْشَشْ إلى أَحَـدِ
١٠ ومَدْحُ مَنْ ليسَ أهلِ المَـدْحِ أحسَبُه ‏ عُضْـواً تَفصَّـلَ مِنْ قلْبي ومِنْ كَبـدي
١١ قَــوْمٌ إذا أعيُـنُ الآمـال جِئْـنَـهـمُ ‏ رَجعْنَ مُكتَحـلاتٍ عـائـرَ الـرَّمَـدِ!
١٢ فـطَلْعـةُ الشِّعْـرِ أقلَى في عُيُـونِهِمِ ‏ وفي صُـدُورِهِم مِنْ طَلْعـةِ الأَسَـدِ
١٣ مـا إنْ تَـرَى غيـرَ مَنْشُـورٍ على قَـدَمٍ ‏ في النـاطِقينَ وَمَطْويٌّ على حسَـدِ
١٤ قُـلْ قَـوْلَـةً فَيْصَـلاً تَمضِي حُكـومتُهـا ‏ في المَنْعِ إنْ عَنَّ لي مَنْعٌ أو الصَّفَـدِ
١٥ يَحْصُنْ بِها سَنَدِي أو يمتنِـعْ عَضُدِي ‏ أو يَـدْنُ لي أَمَـدِي أَوْ يَعتـدِلْ أَوَدِي
١٦ أَوِ التي طـالـمَـا أفضَتْ وعُـورَتُهـا ‏ مِنَ الأُمـورِ إلى مِنهـاجِهـا الجَـدَدِ
١٧ إنْ كُنتَ في المَطْلِ ذا صَبْرٍ وذا جَلَدٍ ‏ فلَسْتُ في الـذَّمِ ذا صَبْـرٍ وذا جَلَدِ!

= إذا المــرءُ أولاكَ الهَــوانَ فــأَوْلِــه ‏ هَـوَانـاً وإن كـانـت قـريـبـاً أواصِـرُهْ

(٩) يقال «ظأَرتُ» الرجلَ على الشيءِ إذا عَطفتَه عليه، وأصل ذلك في عَطْف الناقةِ على ولد غيرها ثم استُعِير في جميع الأشياء، قال ثَعْلبة بن صُعير المازني:

لُـدٌّ ظَـأَرتُهـمُ علـى مـا سـاءَهـمْ ‏ وخَسـأتُ بـاطلَهـم بحـقٍّ ظـاهـرِ

(١١) يقال اكتحلتُ الإثمدَ على حذف الباء. و«العائر من الرَّمد» هو الذي يَحُسُّ به الإنسان كالوَخْز في العين و«العُوّار» هو القَذَى، وقيل بل العائر والعُوّار واحد، ومنه البيتُ المنسوب إلى امرىءِ القيس وقد رُوي لابن حُجْر:

وبـاتَ وبـاتَـتْ لــه ليلــةٌ ‏ كلَيْلَــةِ ذِي العَـائــرِ الأرْمَــد

(١٢) [أفعل] إذا كان للتفضيل أُجري مَجْرَى [أفعل] الذي للتعجُّب، وإنما يُبنى ذلك اللفظ. من فِعْل الفاعل، تقول هذا أَقلَى من زيدٍ لفلان، لأنه يأخذه مِنْ قَلاه يَقْلِيه إذا أبغضَه، وكذلك تقول ما أقلاكَ لِلشر، ومَستحيل أنْ يُبنى هذا اللفظ. من فِعْل ما لم يُسمّ فاعلُه، لا يحسن أن يُقال في قولك ضُرِب زيد إذا أَردتَ أنْ تَتعجب من كثرة ما ضُرِب ما أضربَ فلاناً، وإذا تُؤمّل هذا المعنى عُلِم أنَّ الطائي لم يُرد إلاَّ المفعول، إلاَّ أنهم قد جاءوا بأشياءَ يُتأوّل لها وجوه، من ذلك قولهم ما أَلومَه أي أحمَله لِلائمة، وكذلك أنت أَلومُ من فلان أي أحقُ باللائمة منه، وهذا يُحمل على أنهم بَنَوه على مثل قولك فلان لائم أي ذُو لَوْم كما يقال فلان تامرٌ أي ذو تمر، ولا يمكن أن يُحمل بيت الطائي على أن الشِّعْرَ يَقلِيهم أي يُبغضَهم لأنه إذا أبغضهم فهم له مبغضون.

(١٦) «المِنهاج» الطريق، و«الجَدَدَ» الصُّلْب المستوى من الأرض، ومن كلام العرب مَن سَلكَ الجَدَد أَمِنَ العِثَار.

١٨ فَقُــلْ وَرَاءَكَ في سُحْقٍ وفي بُعُــدٍ　　فــإنّني فيكَ أهــلُ السُّحق والبُعُــدِ

360

وقال يهجو عُتبة بنَ أبي عاصم [من البسيط] :

١ نُبِّئتُ عُتْبَــةَ يَعــوي كَيْ أُشَــاتِمَــه　　اللّهُ أكبَــرُ أَنّــى استَــأسَــدَ النَّقَــدُ!

٢ ما كُنْتُ أحسِبُ أن الدهْــرَ يُمْهِلُنــي　　حتَّى أَرَى أحــداً يَهجــوه لا أَحَــدُ!

(٢) أصل «أحد» أن يُستعمَل في النفي، فيقال ما جاءَني أحد ولا رأيتُ أحداً ولا مررتُ بأحدٍ، ويقبح أن نقول جاءَني أحد، فأما «أحد» المستعمل في العدد فهو في الحقيقة مجانس هذا اللفظ. واشتقاقهما واحد، ولكن العرب خَصَّت النفي بأشياءَ لم تستعملها في غيره كقولهم ما بالدار دَيَّار وما بها سَفْرٌ ونحو ذلك، إلاَّ أَنَّ الشعراءَ ربما أخرجت «أحداً» إلى غير هذا النوع وذلك من الضرورات كما قال ذو الرُّمة:

حتى ظَهَــرتَ فمــا تَخْفَــى علــى أحــدٍ　　إلاَّ علــى أحــدٍ لا يَعــرِفُ القَمَــرا!

كأنه اجترأ على مجيء «أحد» في موضع «رجل» لأنَّ قولكَ ما جاءَني أحد ضامن لقولك ما جاءَني رجل ولكنه أعمُّ في النفي. وقوله «يهجوه لا أحدُ» كثرت هذه اللفظة على ألسنتهم حتى طرحوا الهمز من «لا أحد» فقالوا هذا سِفْلة لاحد، وجاءوا بـ«لا» في معنى «غير» كما تقول هذا شخصٌ لا إنسان، وهو داخل في إقامة الصفة مقام الموصوف، وقد جاوزوا في ذلك إقامة الاسم مقامَ الاسم فأقاموا الفعل مُقامَه إذْ كان الاسم قد يُوصف بالفعل، ومن ذلك قولُ ابن مُقْبل:

ومــا العَيْشُ إلاَّ تــارتــانِ فمنهمــا　　أمــوتُ وأُخــرى أبتغــي العيشَ أكــدحُ

كأنه قال فمنهما تارة أموت فيها، وقال آخر:

ومــا منهمــا إلاَّ يُــدِلُّ بنسبــة　　تُقَــرِّبُنــي منــه وإن كــان ذا نَفْــرِ

يريد إلاَّ رجل يُدِلّ، فأمّا قول الراجز:

مالــكِ عنــدي غيــرُ سَــوْطٍ وحَجَرْ
وغيــرُ كَبْــداءَ شــديــدةِ الوتَــرْ
تُرْمَى بكفيّ كانَ مِــنْ أرمَــى البَشَــرْ

فالبصريُّون يتأولون هذا البيت على أنَّ معناه تُرمى بكفيّ رجلٍ كان من أرمَى البشر، وكان الكسائي ينشد «مَنْ» بالفتح ويجعل «كفي» مضافاً إلى «من» و«كان» زائدة، وغيره يجعل المعنى على=

٣ بِحَسْبِ عُتْبَةَ داءٌ قد تَضَمَّنَهُ ... لَوْ كانَ في أَسَدٍ لم يَفْرِسِ الأَسَدُ

٤ لو اعتدَى أعوجٌ يَعدو بهِ المَرطَى ... أو لاحقٌ لَتمنَّى أنَّه وتِدُ!

٥ لو كانَ يكرَهُ أَنْ تَبدو فَضِيحتُه ... ما كانَ أكثرَ ما في شِعْرِه العَمَدُ

٦ فإِنْ سَمِعْتَ له نَعْتَ القَنا عَبثاً ... فقَدْ أرادَ قَناً ليسَتْ لها عُقَدُ!

٧ إنّي لأعجَبُ مِمَّنْ في حَقِيبتِه ... مِنَ المَنِيِّ بُحُورٌ كيفَ لا يَلِدُ؟

٨ لو أنَّ عُشْرَ الذي أمسَى وظَلَّ بهِ ... بالعالَمِينَ مِن البَلْوَى إذنْ فَسَدوا

٩ لا يَدْعُوَنَّ على الأعداءِ مُجتهِداً ... إلّا بأَنْ يَجِدوا بعضَ الذي يَجِدُ!

١٠ وقائلٍ ما لهم يُغضُونَ عنكَ إذا ... أتأرْتَ قلتُ له إنِّي أنا الرَّمَدُ

١١ أَنا الحُسَامُ أنا المَوتُ الزُّؤَامُ أنا الـ ... ـنَّارُ الضِّرَامُ أنا الضِّرْغَامةُ العَبِدُ

361

وقال يَهجو مُقْرَانَ المُبارَكيّ [من الكامل] :

١ الآنَ لَمَّا صارَ حَوْضَ الوارِدِ ... وغَدَا وأصبحَ عُرْضَةً لِلرَّائِدِ

٢ دَسَّتْ إليهِ الحادِثاتُ تَحِيَّةً ... فيها صَلاحٌ لِلغُلامِ الفاسِدِ؟!

٣ فاليومَ عُوِّضَ فَرْحةً مِن تَرْحة ... واليومَ بُدِّل راحِماً مِنْ حاسِدِ

٤ جَعَلَ الكِتابةَ لِلإجارةِ سُتْرَةً ... واعتَلَّ ثُمَّ أتَى بِعذْرٍ بارِدِ

٥ فإذا تَشاغَلَ بالحَديثِ فقُلْ له ... دَعْ ذا أتعرِفُ دَرْبَ عَبْدِ الواحِدِ؟!

= حذف «مَنْ» كأَنَّ التقدير تُرمى بكفيّ مَن كان مِن أرمى البشر لأن «مِنْ» إذا قربت من «مَنْ» حسن تركُها في اللفظ. لتجانس الكلمتين، وهذا من رأى الفرّاء، وكذلك يعتقد في قوله تعالى «وما منَّا إلاَّ له مَقام معلوم» أي ما منا إلاَّ مَن له.

(٤) «أعوج» و«لاحق» فحلان من فحول العرب القديمة، فأمّا قول النابغة:

فيهم بَناتُ الأعوجيّ ولاحِقٌ ... وُرْقٌ مَراكِلُها من المضْمارِ

فإنه أراد «بالأعوجيّ» فحلاً من بنات أعوج، وقد يجوز أن يقال لأعوَج الأعوجيّ كما يقال رجل أحمريّ أي أحمر وكما قالوا لولد البقرة الوحشية بحزجي وإنما هو بَخْزج قال الفرزدق:

لها بجنوبِ حَومَلَ بَخْزَجِيٌّ ... تَرَى في لونِ خدَّيْه احمرارا

362

وقال يهجو عيَّاشا [من الكامل] :

١ عَيَّاشُ يـا ذَا البُخْـل والتَّصْرِيـدِ ... وسُلالَـةَ التَّضييـقِ والتَّنكيـدِ
٢ البَـرْدُ يَقتُـل والكَـزازُ بِـدُون مـا ... أحكـمتَـهُ مِـنْ شِـدَّةِ التَّبْـرِيـدِ
٣ لُـؤمٌ تَـدِيـنُ بِحُلْـوِه وبِمُـرِّهِ ... فكـأنَّـهُ جُـزْءٌ مِـنَ التّـوحيـدِ
٤ لَيُسَـوِّدَنَّ يَفَـاعَ وجهِـكَ منطقـي ... أضعافَ ما سـوَّدْتَ وجْـهَ قصيـدي
٥ ولَيفْضَحنَّـكَ في المَحـافـلِ كُلِّهـا ... صَـدرِي كما فَضحَتْ يَـدَاكَ وُرُودِي
٦ مـا كـانَ خَبَّـرني القِيـاسُ بِبـاطـل ... عنكمْ ولكـنْ جُـرْتُ في التَّـقلِيـدِ!
٧ فـطَرحْتُ في طَمَعِي يَـدَاً أخـرجتُهـا ... مِنْ طـاعـةِ التـوفيقِ والتَّسـديـدِ
٨ ورَجَـوْتُ نـائلكُـمْ رَجـاءَ كـمُ العُلا ... بـتَـذكُّـرِ العِلْجَـان واليَـعْـضِيـدِ
٩ ونَسِيتُ سُـوءَ فَعـالِكمْ نِسيـانَكـمْ ... آسـاسَكُمْ فـي كُـورةِ البَشْـرُودِ!

363

وقال يهجوه [من الكامل]:

١ عَيَّـاش زُفَّ إليـكَ جَهْـدٌ جَـاهِـدُ ... واحتَـلَّ ساحتَـكَ البَلاَءُ الـرَّاكِـدُ

---

(١) « التَّصرِيد » تقليل العطاء وتنقيصه، وأصلُه في الشُّرب، يقال صرَّدْتُه إذا قطعتَ عليه شُرْبه.

(٨) يقول: لستم بعرب وإنما ترجون النَّسب فيهم بذكرِ العِلْجان واليَعْضِيد لأن العربَ تذكرهما وترعاهما، فرجاؤكم فاسد لا يصلح كما أنَّ رجائي نائلَكم كان غُروراً.

٩) يقال للمدينة التي حولها قُرَى وضِياع كُورة، وهي كلمة مستعملة في الإسلام ويجب ألاَّ يكونَ اسمها عربيًّا. يقول: نسيتُ سوءَ فعالكم مثلما نسيتم أُوَّلَ أموركم بهذه الكورة. ومَن روى « آساسكم » احتملَ أن يكون المعنى يُراد به أُوائلَكم الذين هم لكم مثل الأسِّ للبناء، ويُحتَمل أن يكون ذلك لا يُراد به النسب ولكنه يُعيّر القومَ أنهم كانوا بَنَّائين.

٢	مـا اللُّؤْمُ لُؤْمـاً إنْ عَـدَاكَ لُبَـانُـه	وعَـدَوْتَـه ولَـهِـيعَـةٌ لـكَ والِـدُ!
٣	أَلِفَ الهِجَـاءَ فمـا يُبَـالي عِـرْضُـه	أهـجَـاهُ أَلْـفٌ أَمْ هَـجـاهُ واحِـدُ
٤	سَمُجَتْ بكَ الدُّنيـا فما لـكَ حامِـدٌ	وَسَمجْتَ بـالدُّنيـا فما لـكَ حاسِـدُ!
٥	لأُنـكِـلَنَّـكَ أَنْ تـكُـونَ لِشَـاعِـر	مِنْ بعـدِهـا غَرضـاً وأصلُكَ فـاسِـدُ
٦	ولأُشْـهِـرَنَّ عـليـكَ شُنْـعَ أَوَابِـدٍ	يُحْسَبْنَ أسيَـافـاً وهُنَّ قَـصَـائـدُ
٧	فِيهـا لأَعـنـاقِ الـلِّئـامِ جَـوَامِـعٌ	تَـبـقَـى وأعـنـاقِ الـكـرام قَـلائِـدُ
٨	يَلْزَمْنَ عَـرْضَ قَفَـاكَ وَسْمَ خَـزَايـة	لم يُخْـزِهـا بـأبي عُيَيْنَـة خـالِـدُ
٩	والـلّهُ يَـعـلـمُ أَنَّ شِـعْـراً شَـابَـه	فيـكَ الهجـاءُ أو المَـدِيحُ لَكـاسِـدُ
١٠	فـالبَسْ ثِيـابَ فَضَـائـحٍ أسـدَيتَـهـا	أَشْـراً وألـحَـمَـهـا أُخُـوكَ الـبـارِدُ

(٢) «لِهيعة» مُشتَقٌّ من اللّهَع وهو التَّشدُّق في الكلام، وقيل اللهيعة الذين لا يزالون يِغْبَن، وقليل في كلامهم أن تجيء الهاءُ بعد العين لأنهما حرفا حلق.

(٦) و(٧) قوله «شُنع أوَابدٍ» شُنْع جمع أَشْنَع وشَنعاء وهي القَبيحة، و«الأوابد» التي يبقين على الأبد، و«القصائد» تحتمل وجوهاً في الاشتقاق، فأشبهُها أن يكون من قصدتُ الشيءَ إذا تَعمّدتَه فقيل للواحدة قصيدة لأن الشاعر يقصدها ويَتعمّدها، ويجوز أن يكون مِن قصدتُ العُودَ إذا كسرتَه أي كأنه قُطِعتْ من شجرة الكلام لأنَّ العُصِيّ تُسمّى قصائد، وقيل إنما أُخِذتْ من القَصيد وهو المُخّ الغليظ. فكأنَّ هذه المقولة من خالص الكلام ومُختارِه. و«الجوامع» جمعُ جامِعة وهي شيء يُجعل في عُنق الأسير يَجمع يديه إلى عُنقه. وفي هذا البيت عطف على عاملَيْن وهو قوله «فيها لأعناق اللئام» ثم قال «وأعناقِ الكرام قلائد»، وإنما يَستوفي الكلامُ حقَّه بأن يقال لأعناق الكرام فتُعاد اللام، والعاملان هاهنا المبتدأ ولام الخَفْض.

(٨) يقال إنه عَنَى خالدَ بن يزيد بن معاوية، وبـ«أبي عُيَينة» شاعراً من أهل الشام كان قَصَد خالداً وأنه لقي خيراً، فمعنى هذا البيت أني أُخزي هذا الرجلَ لأنه لم يقبل مديحي كما قبل خالد مدحَ أبي عُيْينة، والمعنى أنَّ أبا عُيَيْنة لم يُخْزِ خالداً، وهذا كما تقول في الكلام لقد أخزَاه فلانٌ خِزْياً ما خَزِيه حسّان بن ثابت عند الغَسّاني أي إنَّ حسّان لم يُخزَ. وقيل بل عَنَى بـ«أبي عُيَيْنَة» الشاعرَ المعروف بابن أبي عُيينة، وهو من ولد المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وأبو عُيينة جَدّه ونُسِب إليه على معنى الاختصار، كما يقال فلان ابن أبي لَهَب لمن يكون لِصُلْبه، ومثل ذلك كثير، ومنه قول الشاعر: =

364

وقال [من المجتث] :

١ أَتَـيْتُ يَـحـيـى وقـد كـا نَ لـي صَـدِيـقـاً ووُدًّا

٢ فـقـلتُ مـا بـالُ هـذا الـ ـفَتَـى اشـمـأَزَّ وصَـدّا؟

٣ فـارتَـدَّ مِـنِّـي ارتـدَا دَ الأسـيـرِ عـايَـنَ قَـدّا

٤ فـقـالَ لـي: ذُو مِـزاحٍ يُـصـيِّـرُ الـهَـزْلَ جِـدّا

٥ كـذا الـكَـرِيـمُ إذا مـا أرادَ أَنْ يَـتـغَـدَّى!

365

وقال [من البسيط] :

١ أَفِـيَّ تنـظِمُ قَـوْلَ الـزُّورِ والـفَنَـدِ وأنتَ أنـزَرُ مِنْ لا شَيءَ في العَـدَدِ؟

٢ أشرَجْتَ قَلْبكَ مِنْ بُغْضِي على حُرَقٍ أضرُّ مِنْ حُرُقـاتِ الهَجْرِ في الجَسَـدِ

٣ أنحفْتَ جِسْمَكَ حتى لو هَمَمْتُ بـأن ألهُو بِصفْعِكَ يـوماً لم تَجِـدْكَ يَدِي!

٤ لا تَنتسِبْ قَـدْ حَويْتَ الفَخْـرَ مُجتَمِعاً والذِّكرَ إذْ صِرْتَ مَنْسوباً إلى حسَدِي

٥ أطَلْتَ رَوْعَكَ حتَّى صِرْتَ لي غَـرَضاً قَدْ يُقْدِمُ العَيْرُ مِنْ ذُعْر على الأَسَـدِ!

= أنـا ابـنُ كِلابٍ وابـنُ قَيْسٍ فمـنَ يَكُـنْ قِنـاعُـه مَغْطِيًّـا فـإنِّـيَ مُجْتَلِـي

أراد أنا رجلٌ من هؤلاء فذكرَ الجَدَّ الأكبر. وكان هذا الشاعر يُكنَى أبا عُيَيْنة وكان هَجا رجلاً في دولة بني العباس يقال له خالد.

قافية الرآء

366

وقال يهجو عبدَ اللّه الكاتب بن يَزيد المُبَاركيّ [من السريع] :

١ مـا أنـتَ إلّا الـمَـثـلُ الـسَّـائـرُ ... يَـعـرِفُـه الـجـاهِـلُ والـخَـابِـرُ

٢ فـاكِـهَـةٌ ضُـيِّـعَ بُـسـتـانُـهـا ... فـانـتَـابَـهـا الـوَاردُ والـصَّـادِرُ

٣ يـا سـاحِـرَ الـلَّفظِ على أنَّ مَـنْ ... أغـرَاكَ بـالـلَّفْظِ هـوَ السَّـاحِـرُ!

٤ ذِئْـبُ فَـلاةٍ كَـيْـدُه دَارِعٌ ... صـادَفَ ظَـبْـيـاً كَـيْـدُه حـاسِـرُ

٥ إذَا تَـذَكَّـرتُـكَ ذَكَّـرتـنـي ... «قـد ذَلَّ مَـن لـيسَ لـه نـاصِـرُ»!

(٥) (ع) هذا من التّضمين الذي يعرفه المُحْدَثون، كانوا في أول الأمر يُسمّونه استزادة، وهذا المِصْراع في شعر قديم ينشده النحويّون:

قـامَـتْ تُبكيـه علـى قَبْـرِهِ ... مَـن لـيَ مِـنْ بَعْـدِكَ يـا عـامِـرُ

تَـركتنـي فـي الدّارِ ذا غُـرْبَـةٍ ... قـد ذَلَّ مَـن ليسَ لـه نـاصِـرُ

وقد كانت الشعراء في القديم يأخذ أحدُهم البيتَ المشهور من شعر غيره فيزيده في شعر نفسه على المعنى الذي يُسمّى التضمين، ومن ذلك أنَّ بني سعد بن زيد مَنَاة ينشدون لرجل منهم يقال له شُقَّة.

أرُبَيْـدُ إنْ رايْتَـك منـي خِلْيَـة ... فـابعَـدُ مِنّـي شيمـةٌ لـكَ أرْيَـبُ

ولسـتَ بِمُسْتَبْـقٍ أخـاً لا تَلمُّـه ... علـى شَعَـثٍ أيُّ الرجـالِ المهـذّبُ

وهذا البيت مرْويٌّ في شعر النابغة.

367

وقال يهجو ابن الأعمش ومُغَنِّيةً له [من الكامل] :

١ رَحَلتْ فَغَيْرُ دُمُوعِيَ الدُّرَرُ ... ولِغَيْرِيَ الأحزَانُ والفِكَرُ
٢ لَوْ تَكشِفُونَ نِقَابَها سَبقَتْ ... مِنكمْ إليّ بِبَيْنِها البُشَرُ
٣ أنا مُجمِلُ لكمُ سَمَاجَتَها ... وَجْهُ ابنِ أعمشَ عندَها قَمَرُ
٤ ومُبَيِّنٌ لكمُ غَثَاثَتَها ... لَفْظُ ابنِ أعمشَ عندها سَمَرُ!

368

وقال يهجو محمّد بن وُهَيْب الشاعرَ الحِمْيريَّ [من الكامل] :

١ لا تَعْجَلَنَّ عليكَ بَعْدُ نَهارُ ... وغداً إليكَ تُجَهَّزُ الأشعارُ
٢ تَرْكُ اللَّئيمِ ولم يُمزَّقْ عِرْضُه ... نَقْصٌ على الرجلِ الكريمِ وعَارُ
٣ أشرَعْتَ في بَحْرِ الجَهالةِ سادِراً ... والجَهْلُ في بعضِ الهَناتِ عُقَارُ
٤ فاشرَبْ فإنَّكَ سوفَ تعلَمُ أنَّه ... قَدَحٌ يُصِيبُ العِرْضَ منه خُمَارُ
٥ غادَاكَ مُختَارُ الكَلامِ بِشُرَّدٍ ... عُونِ القَصِيدِ حُتُوفُها أبكارُ
٦ صَخْرُ يُفِيتُكَ مِسْمعَيْكَ كِليْهما ... حتَّى تَرَى أنَّ الأذانَ سِرَارُ
٧ شِعْرُ مَقِيلُ السَّمِّ فيهِ ولم يَقَعْ ... قِسْطٌ يُديِّثُه ولا أظفَارُ

---

(٣) (س): «أشرعتَ سادراً» أي لا تهتمّ لشيء، وأصلُه من السَّدَر وهو إظلامُ البصر، وقد يجوز أن يكون من سَدرتُ السِّترَ إذا أسبلتَه مثل سَدلتُه. و«الهَنات» جمع هَنَة وهي كناية عن جميع الأشياء، إلاَّ أنها في الذّم أدخلُ منها في المدح، تقول في فلانٍ هَناتٌ وهَنَوات أي أخلاق يُكنى عنها، وكذلك إذا قالوا للرجل يا هَنَة وهَناة إنما هو كنايةٌ عن غير ما يُحْمَد. وقوله و«الجهلُ في بعضِ الهَناةِ عُقَارُ» أي يُسْكِر كما يُسكر العُقَارُ ويكون له خُمَار يُذَمّ.

(٥) ـ (٩) قوله: «غادَاك مختارُ الكلام» يحتمل وجهين: أحدَهما أن يكون معناه المختارُ من الكلام، والآخر أن «يكون مختار الكلام» يعني به الشاعرُ نفسَه، أيّ الرجل الذي يَختار الكلام. وأراد =

٨ غُـرَرٌ متى مـا شئْتُ كُنَّ شَـواهِـدي أنْ لـم يَـكُـنْ لـكَ والـدٌ عَـطَّارُ
٩ لا تَـحسَبنْ أنِّـي خَفَـفْـتُ لِـهَـفْـوةٍ والـخِـفَّـةُ الـهَـفْـواءُ فـيـكَ وقَـارُ
١٠ إثنـان لـيْـسَـا يُـؤمِـنـانِ بـحـدَّةٍ أنـا حينَ تُحْـرَقُ سَخْـطتي والنَّـارُ

369

وقال يهجو عيَّاش بنَ لهيعة بعد مَوْته [من الكامل] :

١ إنِّي عـلى مـا نـالَـني لَـصَـبُـورُ وبِـغَيْـرِ حُسْنِ تَجَـلُّـدٍ لَـجـديـرُ
٢ أعـزِزْ بِـعـيَّـاش عـليَّ مُـغـيَّـبـاً في غيـرِ حُفْـرَتـهِ الحِجَى والخِيـرُ

= بـ« شُرَّدٍ » أبياتاً وقصائدَ تَشرد في الأرض أي تَسِير وتَذهب، وإنما قيل لها شُرَّد وشُرُد لأنها تذهب حيث لا يَعلم قائلُها ، قال القَطامي :

وطـالـمـا دَبَّ عنّـي سَيِّـرٌ شُـرُدٌ يُصبِحـنَ فـوقَ لسـانِ الرَّاكـبِ الغَـادِي

وقوله « عُون القريضِ » أراد جمع عَوَان واستعاره لِلشّعَر، ويُحتمل أن يعني بـ« العُون » القوافي لأنها تُستعمل مرّةً بعد مرّة، مثال ذلك أنَّ امرأ القيس « عَمِلَ » قِفانبكِ » « مَنزِلُ» و« حَوْمَلُ » فإذا عَمِلَ غيرُه قصيدةً على اللام جاءَ بقَوافٍ قد جاءَ بها امرؤ القيس. ويمكن أن يعني بـ« العُون » الأوزان لأنَّ الشُّعراءَ تشترك فيها، والشاعرُ الواحد ربما قال أشعاراً كثيرة على وزنٍ مُختصٍ، مثالُ ذلك أنَّ الطائي قال: « يا بُعْدَ غايةِ دَمْعِ العينِ إنْ بَعِدوا » وقال « أصغَى إلى البينِ مُغترًّا فلا جَرَما » وقال « فَحْواكَ عَيْنٌ على نَجْواك يا مَذِلُ» وهذه كلُّها على وزنٍ واحد، فكأنَّه جعل الطريقةَ عَوَاناً، و« القَرِيض» الشِّعر، سُمِّي بذلك تشبيهاً بقريض البعير أي جِرَّته. وقوله « مَقِيل السَّمّ » أي مُقَامه. و« القِسْط والأظفار » يُتَبَخرّ بهما، قال الأحوص:

إذا خَبَـتْ أُوقِـدَتْ بـالنَّـد واشتَعلَـتْ ولـم يكـنْ فـوقَهـا قِسْـطٌ وأظفـارُ

وكأنَّ الطائي عَيَّر هذا الشاعرَ أنه كان هو وأبوه يَبيع القِسْطَ والأظفار، ويُقوّي ذلك البيتُ الذي بعده، كأنَّه نَفاه عن أبيه العَطَّار. والمعنى: كُنَّ شواهدي على أنْ لم يكن لك والدٌ عطَّار فحذف حرفَ الخَفْض كما يُقال أنا أَشهدُ أن لم تَبعْ فلاناً هذه الدارَ والمعنى على أن لم تَبعْ. « والهَفْواء » [فَعْلاء] من قولهم هَفَا يَهفُو، وهي كلمة قليلة في الاستعمال ويجوز أن يكون الطائي سَمِعَها في الشعر القديم.

٣ فَكَّتْ أكُفُّ المَوْتِ غُلَّ قصائدي عنه وضَيْغَمُها عليه يَزِيرُ
٤ ما زالَ غُلُّ الذَّمِّ ثانِيَ عِطْفِه حتَّى أتاه المَوْتُ وهْوَ أسيرُ
٥ مِنْ بَعْدِ ما نَزَّهتُ في سَوْآتِه حَسَناتِ شِعْرٍ بَحْرهُنَّ بُحورُ
٦ وبَقِيتُ لَوْلا أنَّني في طَيِّىءٍ عَلَمٌ لَقالَ النَّاسُ أنتَ جَرِيرُ

---

(٣) و(٤) قوله «يَزِيرُ» يُقال زَأَرَ الأَسَدُ يَزْئِرُ ويَزْأَرُ، فقوله «يَزِيرُ» على لغة من قال يَزْئِرُ، والمستعملُ في كلام العرب أنهم إذا ألقوا حركة الهمزة على ما قبلها طرحوها من الكلمة، والقياس أن يقولوا إذا خَفَّفوا الهمزةَ في يَزْئِرُ يَزِرُ، وإذا خَفَّفوا مِن يَزْأَرُ قالوا يَزَرُ، كما قال كُثَيِّر:

لا أَنْزِرُ النائِلَ الخليلَ إذا ما اعتَلَّ، زَجْرَ الظئورِ لم تَرَمِ

يُريد لم تَرْأَم، والقياسُ يَدُلُّ على جَواز قولهم يَزِيرُ في يَزْئِر، وذلك أنهم لمّا ألقوا حركةَ الهمزة على الزّاي بَقِيتْ ساكنةً فجعلوها ياءً كما جعلوها كذلك في بِئْر وذِئْبٍ، وقد حكوا أمرٌ مُيِير، في معنى مُئْيِرٌ، وأنشدوا قول عَدِيّ بن زيد:

عَمَدوا من أُمُورِهِمْ لِلمُئِيرا تِ وتَرْكِ المُحقَّراتِ الدِّقاقِ

ومَن قال إنَّ قوله يَسَل في يَسْأَل على لغة أُخرى فإنه لمّا أَلقَى الحركةَ على السّين جعل الهمزةَ ألفاً لانفِتاحِ ما قبلَها كما فُعِل في راس وناس، والبيتُ المنسوب إلى العباس بن مرداس يُنشد على الوجهين:

تَرى الرجلَ النَّحيفَ فتزدَرِيه وفي أثوابِهِ أَسَدٌ يَزِيرُ

فهذا على ما تَقدّم، وبعضهُم يُنشد «أَسَدٌ مَزِيرُ» يأخذه مِن المَزارَة وهي جَوْدة العقل والرأي. وقوله «ثاني عِطْفه» أصلُ العِطْف ما يُعطف، وإذا قالوا للرجل ثاني عِطْفه فإنما يريدون أنه لا يهتم بشيء، ويجوز أن يعنى بـ«العِطْف» كلَّ موضعٍ يَنعطِفُ من الجَسَد كالعُنُق والإِبِط والخَصْر، قال الراجز:

كأنَّهم إذْ فاحَتِ العُطُوفُ
مَتْيَسةٌ قد نَلَّها خَرِيفُ

فهذا يعني الآباط، وكذلك قول الآخر:

يا ليتَه بالبيضِ قد تَمرَّسا
وشَمَّ عِطفيْه إذ ما سَجِسا

يعني إبطيه، وقول الطائي «ثاني عِطْفه» يريد أنَّ الغُلَّ عَطَفَه ولا يُريد معنى التكبّر، والهاءَ في «عِطْفه» عائدةٌ على المذموم.

٧ يـا عِبْـرَةَ اللّهِ التي مِن طَـرْزِهـا — نَشَـأوا فكـانـا القِـرْدُ والخِنْـزِيـرُ
٨ لَـوْ كـان لِلجَمَـلِ المُجلَّل رِيشَـةٌ — مـا شَـكَّ خَـلْقٌ أنَّـه سَـيطيـرُ
٩ وأرى نَكيـراً صَـدَّ عنـكَ ومُنْكَـراً — ظَـنـاً بـأنَّـك مُـنْـكَـرٌ ونَـكـيـرُ
١٠ وتَـضَـوَّرَ القَبْـرُ الـذي أُسكِنْتَـه — حـتَّـى ظَـنـنَّـا أنَّـه الـمَـقْـبُـورُ

370

وقال يهجوه بعد موته [من السريع] :

١ لا سُـقِيَـتْ أطـلالُـكَ الـدَّاثِـرَهْ — ولا انـقضَـتْ عَـثْـرَتُـك الـعـاثِـرَهْ
٢ مـا حُـفْـرَةٌ وَاراكَ مَـلْحُـودهـا — بـنَـنْزرةِ الـرِّجْسِ ولا طـاهِـرَهْ
٣ مـا قَـبِـلَتْ شِـرْكـك يـومـاً ولا — كُـفْـرَكَ إلّا أنَّـهـا كـافِـرَهْ
٤ كَـرَّتْ عـلى البُـخْـلِ بمـا سَـاءَه — ونـاءَه كَـرَّتُـكَ الـخـاسِـرَهْ
٥ أسْهرْتَ عَيـنَ اللُّـؤمِ مُـنـذُ انطَـوَتْ — عَلَيْـكَ اثْـوابُـكَ بـالسَّـاهِـرَهْ

---

(٧) قوله « نَشأوا » قَدَّم الضمير في الفعل المتقدم كما قال الآخر :

أَلفِيَتـا عَيْنـاكَ عنـدَ القَفَـا — أولَـى فـأولـى لـك ذا واقِيَـهْ

وهذا أوجه من أن يُثَنّى « نَشأ » أو يُوحّد « كان » لأنَّ ذلك يؤدي إلى تعسّفٍ في اللفظ. وبعض النحويّين لا يُجيزه، وعلامة التثنية في هذا البيت قد لَحِقَتْ « كان » و« نَشأ » جميعاً.

(٣) المعنى إلاَّ لأنها كافرة، وإنما يُذكر مثل هذا لأنَّ « أنْ » قد تقع بعد « إلاَّ » على غير هذا الوجه، فتقول أنت كريم إلاَّ أنك متكبّر، فلا تحسن هاهنا اللّام، وتقول ما جئتك إلاَّ أنك تكرمني فيكون المعنى معنى اللام.

(٤) يقال فعل به ما ساءه وناءه أي ما أثقله حتى يسقطَ على الأرض، وهذا عندهم ممّا اتّبع بعضُه بعضاً لازدواجِ الكلام، والأصلُ أن يقال أناءه يُنيئه إناءةً ولكنهم جاءوا به على مِقدار « سَاءَه » وإذا أرادوا نطقوا به على الأصل.

(٥) أراد بـ« السَّاهرة » الأرض، وأمّا الآية « فإذا هُم بالسَّاهرة » فإنَّ المُفسّرين يقولون هي أرض لم تُوطأ، وقيل هي أرض من فِضَّة، وقد حُكِي أنَّ العرب تُسمّي الأرضَ المقفرة ساهرة، وإذا صحّ ذلك فإنما يريدون أنها يُسهر فيها لشدّة الخوف، كما يقال ليل نائم أي يُنام فيه وعيشة راضية أي =

٦ فيمَـن يَشُـنُّ الشِّعْـرُ غَـارَاتِـه بَعْـدَكَ أَوْ أمثـالَـه السـائِـرَهْ؟
٧ قـد كـانَت الـدُّنيـا شَفَتْ لَـوْعَتي منـكَ ولـكـنْ عُـذْتَ بـالآخِـرَهْ!
٨ يـا أَسَـدَ الـمَـوْتِ تَـخـلَّصـتَـه مِنْ بيـن لِحْيَيْ أسـدِ الـقـاصِـرَهْ
٩ أجـارَكَ الـمـكـروهُ مِـن مِـثْـلِه فـاقِـرَةٌ نَـجَّـتْـكَ مِـنْ فـاقِـرَهْ!

371

وقال يهجو صالح بن عبد الله الهاشمي [من البسيط] :

١ يـا أكـرَمَ النـاسِ آبـاءً ومُفْتَخـرا وألأَمَ الـنَّـاسِ مبْلُوّاً ومُـخْـتَـبَـرا
٢ يُغْضِي الـرِّجـالُ إذا آبـاؤُهُ ذُكِـروا لـه ويُـغْضِـي لَهُـمْ إنْ فِعْـلُه ذُكِـرَا

372

وقال يهجو عَبْدون كاتبَ دَليل المعروف بالمُبَارَكيّ وكان يَتَعشَّقه [من الخفيف] :

١ إنَّ عَـبْـدونَ أرضُـه مَـمْـطُورَهْ فـهْـيَ طَـوْعٌ نـبـاتُـهـا وضَـرُورَهْ
٢ سَـهَّـلَ الأمْـرَ إذْ تَـوعَّـرَ بـالشَّـعْـ ـرِ فـجَـاءَتْ سُـهـولَـةً ووعُـورَهْ
٣ أعـمَـلَ النَّـتْـفَ واطَّلَى وقَـدِيـمـاً كـانَ صَعْبـاً أَنْ تُـشْعَـبَ القـارُورَهْ
٤ لا تُقـاتِـلْ كتـائـبَ الشَّـعَـرِ الأَسـ ـودِ جَـهْـلاً فـإنَّـهـا مَـنْـصُـورَهْ

= يُرضَى بها، ومن ذلك قول أبي كبير:

يَـرتَـدُّ سَـاهِـرَةً كـأنَّ جَحِيمَهـا وحَمِيمَهـا قِطَـعُ الظلام المُعتِـم

(٦) يقال «شنَّ الغارة» إذا فرَّقها، وهذا البيت يشهد لِلمذموم بأنه كان رئيساً لأنَّ الطائي جعلَه أهلاً لِلهجاء وليس المدحُ بأدلّ على الرياسة من الهجو لأنَّ صاحبَ ذلك لا يكون إلاَّ ذا شرفٍ وموضع.

(٨) إنما جاءَ «بالقاصرة» للقافية، كما أنها لو كانت على النّون لجاز أن يَذكر «خُفَّان» أو على «عَثَّر» لجعلةَ مكان «القاصرة» و«القاصرة» موضع إذا سار السائرُ من مَكَّة يريد مصر اجتاز به، وأصحابُ السِّيَر يذكرون أن عُتْبة بن أبي لهب سافَر إلى مصر فأكله الأسد بالقاصرة.

٥ ليسَ تُغْنِي شيئاً ولو كنتَ قارو نَ الغِنَى واشتريتَ دَرْبَ النُّورَهْ

373

وقال فيه [من الوافر] :

١ مَضَى ما كان قَبْلُ مِنَ الدَّعارَهْ فبَانَ وأُطْفِئتْ تِلكَ الحَرَارَهْ
٢ وأصبحَ وَجهُكَ المَعْشوقُ عَفًى على ديبَاجِهِ بَرْدُ الإجارَهْ
٣ وكانَ أَرَقَّ وَجْهٍ ثم أضحَى يَكادُ بأَنْ تُرَصَّ بِهِ الحِجَارَهْ!
٤ وهل يبقى لثوْب الصدقِ ماءٌ اذا أدمَنْتَ فيه على القصارهْ؟
٥ تَجرْتَ بعَيْن ظَهْرِكَ مُسْتعِيناً بأثواب البَطَالةِ والخَسَارَهْ
٦ فأنتَ أحقُّ خَلْقِ اللّهِ ألّا تَضِيعَ معَ الكِتابةِ والتِّجارَهْ!

---

(٥) [درب النُّورة] دَرْب بباب الشام كان يُباع به النُّورة. قيل إنّ هذه اللفظة ليست عربيّةً في الأصل. واشتقاقها يُشابه اشتقاق العربي، فزعم قوم أنها سُمّيت بذلك لأنَّ أوّل مَن عَملها امرأة يقال لها نُوَرة، وقد استعملتها العرب في الشعر القديم، قال الراجز :

يا ربِّ إنْ كانَ بَنو عَميرَهْ
رَهْطُ الثلاثِ هؤُلا مَقْصورَهْ
قد أجمعوا لِحَلْقَةٍ مَشْهورَهْ
واجتمعوا كأنَّهم قارورَهْ
فابعَثْ عليهم سَنَةً قاشُورَهْ
تَحتلِقُ المالَ احتلاقَ النُّورَهْ

(١) أصل «الدّعَارة» الفَسادُ في العُود والنَّخْر، يقال عُودٌ دَعِرٌ كثيرُ الدُّخان، ومنه قالوا رجلٌ دَاعِرٌ ودُعَر، قال الشاعر :

ولِكلِّ سيدِ مَعْشرٍ مِنْ قَومِه دُعَرٌ يُعَيِّرُ مَجْدَه ويعِيبُ

374

وقال أيضاً لِعَبْدُون حين كتبَ لِدليل النَّصراني كاتبِ الفَضْلِ بن مَرْوان [من المتقارب] :

١ أعبدونُ قَدْ صِرْتَ أُحدوثَةً يُدوَّنُ سائرُ أَخبارِها

٢ حَبَوْتَ النَّصارَى بِها مُعْلِناً لَها غيرَ كاتِمِ أسرارِها

٣ فقَدْ أدركَتْ بكَ في المُسلِمِينَ (م) ما قد تَقدَّمَ مِنْ ثارِها

٤ رأيتَ فياشِلَهمْ لم تُنَلْ بحدِّ المَوَاسِي وإمرارِها

٥ ولم أدْرِ أنَّك مِنْ قَبْلِها تُحِبُّ السِّياطَ بِأثمارِها!

375

وقال يهجو عبد اللّه [من الكامل] :

١ أغَزالُ قُولي لِلغَزالِ الأحوَرِ أضمَرْتَ غَدْراً ليسَ عنك بمُضْمَرِ

٢ إذهب فلَمْ أجزَعْ عليكَ وربّما صَبَّرْتُ عنكَ حَشاشةً لم تَصْبِرِ

٣ يا وَارِداً لَجَّتْ بهِ هَفَواتُه ما كنت أوَّلَ وَارِدٍ لم يَصْدُرِ

---

(١) مَذهب بعض الناس في «عَبْدون» و«حَمْدون» وما كان مثلهما أنهما أسماء مُحرّفة عن العربية، فهي جارية مَجرى الأعجم لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النَّدرة، فينبغي أن يُنشَد على هذا «أعبدونُ» بضم النون لأنه منادَى عَلَم، ومَن ذهب إلى أن «عَبْدون» جمع عَبْد سُمي به فيجب أن يُنشِد أعبدونَ بفتح النون لأنه اسم عَلَم والواو للجمع، والذي حكاه النحويُّون في مثل هذا النحو وجهان: أحدهما أن تقول إذا سَمَّيْتَ الرجلَ بجمع عَبْد جاءَني عَبْدون كما تقول جاءَني الزيدون، وتقول في النصب والخفض لقيتُ عبدينَ ومَررتُ بِعَبْدين فتجعله تالياً وتُجرى نون الجمع، والآخر أن تجعلَه بياء في كل وجه وتعرب النون بوجوه الإعراب، فتقول هذا عَبْدين ورأيت عَبْديناً ومررتُ بِعبْدين، وقد أجاز بعضُ المتأخرين أن تُقرَّ الواو على كل حال، ويلزمه على هذا الوجه أن يُعرب النون، إلى هذا المذهب يميل مَن زعم أنّ زيتوناً جمع زَيْت وأنه على [فَعْلون].

٤ ظَفِرَتْ بكَ الأيَّامُ بعدَ تمنُّعٍ ظَفَرَ الهُمُومِ بعاشقٍ لم يَظفَرِ

٥ يا ليتَ شِعْرِيَ ضَلَّ عَقْلُكَ كُلُّه أمْ هذِهِ أيَّامُ ثَقْبِ الجَوْهرِ؟

376

وقال يهجو عَيّاشاً [من البسيط] :

١ صَرِّدْ ونَكِّدْ وزَنِّدْ أنتَ مَعْذورُ أسْدُ الشَّرَى ليسَ تَنْمِيها الخَنازِيرُ

٢ هَيهَاتَ خَفَّ إلى الغَاياتِ لاحِقُها سَبْقاً وأثقلَكَ الحالُومُ والصِّيرُ!

٣ إنِّي بِشَتْمِ امرىءٍ أكدَتْ خَلِيقَتُه وكانَ باللؤْمِ مَشْهوراً لَمَعْذُورُ

٤ يا خِلقَةً قَدْ أمالَ الدَّهْرُ أشطُرَها لم يَكْفِها مِنْ عِقابِ اللّهِ تَغْيِيرُ!

٥ لم يُخطِىءِ الرَّأيَ غَيْلانٌ وشِيعَتُه إنْ لم تَكُنْ أخطأَتْ فيكَ المَقادِيرُ

٦ أمِنْ نَسِيمِ الهِجَاءِ انفَلَّ حَدُّكُمُ فكيفَ لو قَدْ عَلَتْ تلكَ الأعاصِيرُ؟

٧ أنظُرْ إليْهِم كَفانا اللّهُ أمرَهُمُ أَيْدٍ صُخورٌ وأعراضٌ قَوارِيرُ

٨ مَجدٌ تَهدَّمَ حتى صارَ مُحْكَمُه نَقضاً تُرَمُّ بهِ الآطامُ والدُّورُ

٩ سَاحاتُ سُوءٍ بِحَمْدِ اللّهِ مَيِّتَةٌ فيها العُلاَ حَيَّةٌ فيها الزَّنانِيرُ!

---

(١) « التزنيد » والتّنكيد والتَّصرِيد قَطْعُ الشُّرْب.

(٢) « الحالوم » شيء يُتخذ من اللبن ويُخلَطُ فيه غيرُه، وهو يعرف بنواحي مصر كثيراً، و« الصير » سَمَكٌ مملوح وهو معروف بتلك الناحية.

(٥) و(٦) يريد أنَّ غَيْلان أوّل مَن تَكلَّم في القدر، لأنّ الكلامَ في ذلك لم يكن في صدر الإسلام وتَفرَّع مِن الكلام فيه القَدرية، فكأنَّ الطائي يَنْسِبُ غيلانَ في هذا البيت إلى أنه يقول إنَّ الذي يُخلَق خِلْقةً قبيحةً أو يكون له خُلُق مذموم غيرُ منسوبٍ إلى أنَّ المقادير فعلَتْه، و« النَّسيم » أول الريح وأضعفُها، و« الأعاصير » جمع إعصار وهو أشدُّ ما يكون منها، ولا يُقال إعصار حتى يكون معه غبارٌ دائر.

(٧) [ص] أخذه من قول بشار :

ارفُقْ بعمرٍو إذا حَرَّكتَ نِسْبَتَه فإنه عَربيٌ مِنْ قَوارِيرِ

(٨) و(٩) استعمل « نَقْضاً » وهو مصدر في موضع الاسم، وإنما جَرتِ العادةُ في نحو هذا أن يقال=

377

وقال يهجو ابنَ الأعمش [الرجز] :

١ نِعْمَ الفَتى ابنُ الأعمشِ الغَثُّ الذَّفِرْ ... لَولا الحِلاقُ والجُنُونُ والبَخَرْ

٢ كأنَّما أسنانُه إذا كَشَرْ ... حَبٌّ مِنَ القَرْعِ مُؤَدَّرٌ نَخِرْ

٣ يا حبَّذا أُمُّكَ إمراةُ البَشَرْ ... وجُزِيتْ صالِحَةً عَنِ الكَمَرْ

مَنْ غَالَ بعدَ صَدْعِها فلا انجَبَرْ!

378

وقال يهجو [من الكامل] :

١ أيقَنْتُ حِينَ نَتَفْتَ أَنْ سَتُكابِرُ ... وعَلِمْتُ إذْ بادَلْتَ أَنْ سَتُؤاجِرُ!

٢ أمَّا النَّهارُ فأنتَ فيهِ كاتِبٌ ... واللَّيْلُ أجمَعُ أنتَ فيهِ تاجِرُ!

٣ إنْ كنتَ تَطمعُ أنَّ قَلْبي هائِمٌ ... بكَ أوْ تُؤَمِّلُ أنَّني لكَ ذاكِرُ

٤ فأنا الذي يُعطى استَه مِنْ حاجةٍ ... وأبوكَ قَوَّادِي وأنتَ الشَّاعِرُ!

379

وقال يهجو مُقْرَانَ المباركيّ [من المتقارب] :

١ أمقرانُ يا ابنَ بَناتِ العُلُوجِ ... ونَسْلَ اليَهُودِ شِرَارِ البَشَرْ

= النَّقْض وهو ما نُقض، فتَحرّك الحرفُ الأوسط في كل ذلك، ولكن استعمال المصدر في موضع الاسم قِياس مُطَّرد. و« الآطام » جمع أُطم وهو الحِصْنُ وقيل بل السَّطْح.

(١) « الذَّفِر » بالذّال المُعْجمة أوجَهُ لأنهم يستعملون « الذَّفِر » في حدّة الرائحة من طِيبٍ أو نَتَن ويقولون ذَفِرٌ، ولا يستعملون « الدَّفِر » بالدال إلاَّ بسكون الفاء.

(٢) قوله « حَبٌّ مِن القَرْع » الوجه عندهم بتحريك الراء في « القَرْع » كما قال الراجز :

بِئْسَ إدامُ العَربِ المُعتَلِّ
ثَرِيدةٌ بِقَرَعٍ وخَلِّ

(١) « اليهود » تُستعمل بألفٍ ولام، وغيرِهما، ولم تجيء هذه اللفظةُ في القرآن إلاَّ بالألف واللام، وقد استعملتها الفُصَحاءُ من العرب بغير ذلك، قال الشاعر : =

٢ لَقَدْ صِرْتَ بينَ الوَرَى عِبْرةً رَكِبْتَ الهَمالِيجَ بعدَ البَقَرْ
٣ وبُدِّلتَ بالمَرِّ ذا مَيْعة وما إنْ لسَوْطِكَ فيه أثَرْ
٤ يَجرُّ الخُزُوزَ وشَيْخٌ له بِنَهْرِ المُبَارك ما يَستَتِرْ
٥ فقُولا لِمُقْرَانَ فيمَ المُقَامُ وهذا حَصَادُكُمْ قَدْ حَضَرْ؟
٦ بِعِ السَّيْفَ ثم استَجِدْ مِنْجَلاً وأبدِلْ بِسَوْطِكَ رَفْشاً وسِرْ
٧ إلى النّارِ في غيرِ حِفْظِ الإلهِ غَرَّقكَ اللّهُ يا مُنْحَدِرْ!

380

وقال يهجو عبدَ اللّه الكاتب [من الوافر] :

١ أعبدَ اللّهِ قُم واقعُدْ بِهَجْرِي فقَدْ أُلقِيتَ مِن بالي وفِكْرِي
٢ وقَدْ أخْلَيْتُ حُبَّكَ مِنْ ضُلُوعي وكانَ مُوَشِّحاً قَلْبي وصَدْري
٣ يَمُوتُ مَشايخُ الكُتّابِ هَزْلاً ورِزْقُكَ أنتَ في السِّتينَ يَجْرِي!
٤ نِفَاقُكَ في الخُشُونةِ عنكَ يُنْبِي بأنّكَ تستطِيلُ بِحُسْنِ صَبْري
٥ سَبَقْتَ مُؤَاجِري بَغْدَاذَ جَمْعاً فقَدْ أحرَزْتَ غايةَ كلِّ فَخْرِ
٦ أُولئِكَ وَاجَروا يوماً بِيَوْمٍ وأنتَ مُؤَاجِرٌ شَهْراً بِشَهْرِ!

= أمّا يَهُودُ أقلَّ اللهُ خيرَهُمُ فلا يُدَاحونَ يوماً طالِبَ الرِّيَبِ

وقد يستعملونها بالألف واللام، قال الشاعر :

أعِلَّ وأنْهِلْ لا تَغُرَّكَ خَيْبرٌ وذلك مِنْ مُوقِ اليَهُودِ ولُوعُ

(٢) يقول ركِبْتَ البَراذينَ التي تُهملج والبغَال التي تُعلَّم الهَمْلجَة، وأهلُ السَّوادِ يركبون البقر، يقول: صرتَ كاتباً بعد أن كنت فَلاَّحاً.

(٣) (ع) «وبُدِّلتَ بالمَر» أراد بـ«المَرّ» الذي تُعمل به الأرض، يقول: كنت تتكىء على المَرّ في العمل فبدلتَ ذا مَيْعةٍ أي ذا نشاطٍ، يعني دابةً.

(٢) هذا كلام محمول على المعنى لأنَّ المرادَ وقد أخليتُ ضُلوعي من حُبّك فحمَلَة على مثل قول الشاعر :

فلمّا خَشِيتُ الهُونَ والعَيْرُ مُمْسَكٌ على رَغْمِهِ ما أمسكَ الحَبْلَ حافِرُه

قافية السّين

381

وقال يهجو عبد اللّه بن يزيد المُبَارَكيّ [من السريع] :

١ نَكَّسْتُ رَأْسِي بينَ جُلَّاسي ... ونحنُ مِنْ ساقٍ ومِنْ حاسِي
٢ كِدْتُ - وأخطأتُ - بِذكْرَاك أَنْ ... أُقتَلَ بينَ الوَرْدِ والآسِ
٣ يا كَعْبُ بَذْلاً لِلعَطايا ويا ... أصفَقَ وَجْهاً مِنْ أبي شاسِ
٤ ما إنْ رَأَيْنا مثْلَها ضَيعْةً ... تُكسَبُ بالجُودِ وبالبَاسِ !
٥ أنسِيتَ تَأْديبي وعَهْدي بهِ ... منكَ على العَيْنينِ والرَّاسِ !
٦ هذا لَعَمْري يا أبا جَعْفر ... جَزاءُ مَنْ رَبَّى بني النَّاسِ !

382

وقال يهجو مُقْرَان لمّا ماتَتْ امرأتُهُ [من السريع] :

١ مُقْرَانُ يا مُتَشَعِّبَ الرَّاسِ ... لا تَخْلُ مِنْ هَمٍّ ووُسْوَاسِ
٢ لا تَقْسُ قَلْباً وابكِ مَنْ لم يكنْ ... على الكئيبِ الصَّبِّ بالقَاسي
٣ رَيحانةُ الفِتيانِ قَدْ أصبحَتْ ... رَهْنَ جَنَابِينَ وأرماسِ
٤ وقُلْ لها يا امرأتي هَدَّتني ... فَقْدُكِ بَلْ يا امرأةَ النَّاسِ !

---

(٣) كعب بن مَامة . و« أبو شاس » شاعر يسرق شعر أبي تمام .

قافية الشّين

383

وقال يهجو ابنَ الأعمش [من مجزوء الخفيف] :

١ قَــدْ صحَــا القـلْبُ بعــدَمــا   قَــدْ يُــرَى وهْــوَ مــنْـتَــشِي
٢ لســتُ مَــنْ يُـلقِـي بِـوَجْـهٍ   لِــلحَــديــثِ الـمُـخَـدِّشِ
٣ لــي مِـنَ الـصَّـبْـرِ حـاكِـمٌ   فـي الهَـوَى غـيـرُ مُـرْتَشِي
٤ كـيفَ يَـصْفُـو لـكَ الـهَـوَى   يـا سَـمِـيَّ ابـنِ الاعـمشِ ؟
٥ يـا سَــمِـيَّ ابـنِ سَـمْـحـةٍ   فــي غُــدوٍّ وفــي عَــشِي !

384

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ بُــدِّلــتَ بـعــدَ تـأنُّس بِـتَـوحُّشِ   وأعــرتَ سمعَــكَ مَنْ يُبلِّغُ أَوْ يَشِي
٢ وزَعَـمْتَ أنّـي ذَاهِـلٌ فـمَـنِ الـذي   يُـدْعَى خَلِيفَـةَ عُـرْوةٍ ومُـرَقِّشِ ؟
٣ لا مُــتُّ إنْ كـانَ الـذي بُـلِّغـتَـه   حتَّى أُرَى في صُـورةِ ابنِ الأعمشِ !

قافية الضّاد

385

وقال يهجوه [من السريع] :

١ والـلّهِ يـا ابنَ الأعـمشِ الـمُبْتَلَى	في دُبْـرِهِ بـالـخَبَـثِ الـمَحْضِ
٢ لـو يَقـدِرُ المِسـكيـنُ مِـمّـا بـهِ	لاستـدْخَـلَ الفِيشَـةَ بـالـعَـرْضِ
٣ أنـتَ الـذي يَمْـلِكُ أضعـافَ مـا	حَـواهُ قـارونُ مِـنَ الـبُـغْضِ
٤ لـتَـعْـلمَـنْ أَنَّ الـرَّدَى كُـلَّه	حَـتْمٌ عـلى الـرَّاتِـعِ في عِـرضي
٥ لَـوْ فَـرَّ شَـيءٌ قَطُّ مِـنْ شَـكْـلِه	فَـرَّ إِذَنْ بَـعْـضُـكَ مِـنْ بَـعْضِ
٦ كَـوْنُـكَ فـي صُلْبِ أبِـينـا آدَمٍ	أهـبَـطنـا جَـمْـعـاً إلـى الأرضِ!

386

وقال يهجو عثمانَ بن إدريس الشَّامي ومحمَّداً أخاه [من الكامل] :

١ عثمـانُ لا تَلْهَـجْ بِـذكْـرِ محمَّـدٍ	يَنهـاكَ طُولُ المَجْـدِ عنه وعَـرْضُـهُ
٢ يَغْتَـالُ بَـذْلَـكَ كُلَّـه إمسـاكُـه	ويَفُـوتُ بَسْطَكَ في المَكـارم قَبْضُـهُ
٣ فكـأَنَّ عِرْضَـكَ في السهُـولـةِ وَجْهُـه	وكـأَنَّ وَجْهَكَ في الحُـزونـة عِـرْضُـهُ

وقال يهجو عياشاً [من الهزج] :

١ أَيـا مَـنْ أعـرضَ الـلّهُ عن العَـالـمِ مِنْ بُـغْضِـهْ

٢ ويـا مَـنْ بَـعْـضُـه يَشْـهـ ـدُ بـالبُغْضِ على بَعْضِـهْ!

٣ ويـا أثـقَـلَ خَـلْقِ الـلـ ـهِ مِنْ مـاشٍ على أرْضِـهْ

٤ ومَنْ عـافَ مَلِيـكُ الـمَـو تِ واستقـذَرَ مِـنْ قَبْـضِـهْ

قافية العين

388

وقال في عبد اللّهِ الكاتب [من السريع] :

١ يــا عَمْــرُو قُــلْ للقمــرِ الــطَّالــعِ ... إتَّسَــعَ الخُــرْقُ عــلى الــرَّاقــعِ !
٢ يــا فِتْنَــةَ النَّــاظــرِ قَــدْ صِــرْتَ في ... فِـعْـلِكَ هــذا فِــتْــنَــةَ الــسَّــامِــعِ
٣ هَــلْ أنْــتَ إلّا رَشَــأٌ خــاذِلٌ ... حَــلَّ بـمَـغْـنَـى أَسَــدٍ جـائـعٍ ؟!
٤ مــا كــانَ في المَخْــدَعِ مِنْ أمركمْ ... فــإنَّــه في المَسْجِـد الـجـامـعِ !
٥ يـا طُـولَ فِكْـري فيـكَ مِنْ حـامـلٍ ... صَـحِـيـفَـةً مـكـسـورَةَ الـطَّابـعِ !

389

وقال في عُتْبَة [من الوافر] :

١ أَعُــتْــبَــةُ إنْ تَــطاولــت الــلَّيــالــي ... عليــكَ فــإنَّ شِعْــرِي سَمٌّ سَــاعَــهْ
٢ ومــا وفَــدَ الــمَشِـيـبُ عليـكَ إلّا ... بــأخلاقِ الــدَّنــاءَةِ والــوَضَــاعَــهْ
٣ فــأَشْهَــدُ مــا جَسَــرْتَ عــليّ إلّا ... وزَيْـدُ الخَيْـلِ عَبْـدُكَ في الشَّجاعَـهْ
٤ ووَجْـهُـكَ إذْ قَنِعـتَ بـهِ نَـدِيـمـاً ... فــأنتَ نسيجُ وَحْــدِكَ في القَنــاعَــهْ
٥ فــلَوْ بُــدِّلْــتُــه وَجْــهــاً إذنْ لــم ... أُصَــلِّ بــهِ نــهــاراً فــي جـمَــاعَــهْ
٦ ولـكـنْ قَــدْ رُزِقْــتَ بــهِ ســلاحــاً ... لــوِ استعـصَيْـتَ مـا أَدَّيْت طــاعــهْ
٧ مَنَــاسِبُ كَلْبَ قَدْ قُسِمَتْ فـدَعْهـا ... فليسَتْ مثـل نِسْبَتِـكَ المُـشَـاعَـهْ

٨ ورَوِّح مِنْكَبيكَ فقَدْ أُعِيدَا حُطَاماً مِنْ زِحامِك في قُضَاعَهْ
٩ ولا يَغْرُرْكَ أوغادٌ تَعَاوَوْا لِنَصْرِكَ بالحُلاَقِ وبالرَّقَاعَهْ
١٠ رَأَوْني حيثُ كنتُ لهم عَدُوّاً وأنتَ لهمْ شَرِيكٌ في الصِّناعَهْ!

390

وقال في مُقْران المُبَارَكي [من الهزج] :

١ سَأَهْجُو الوَغْدَ مُقرانَ فلا غَزْوَ ولا بِدْعا
٢ فتىً ما إن تَخَلَّت ذا تُهُ مِنْ حَيَّةٍ تَسْعَى
٣ إذا ما جَاعَتِ الفِيشُ غَدَتْ في ذَاتِهِ تَرْعَى
٤ إذا ما أُدْخِلَتْ كالبُسْرِ (م) فيه خَرَجَتْ شَمْعا
٥ وألْقاهُ بِلَطْمٍ يَهْتِكُ الأَبصارَ والسَّمْعا
٦ فإنْ لم يَفهمِ الشِّعْرَ سَرِيعاً فَهِمَ الصَّفْعا!

391

وقال يُعَرِّضُ بإسحق بن إبراهيم المُصْعبيّ [من الكامل] :

١ بَسطَتْ إليَّ بَنَانَةً أُسرُوعا تَصِفُ الفِرَاقَ ومُقْلَةً يُنْبُوعا
٢ كادَتْ لِعِرْفانِ النَّوَى أَلفاظُها مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوى تَكونُ دُمُوعا

---

(١) « البنانة » واحدة البنَان وهي الأصابع ، قال أبو دُوَاد الإيادي في صفة القَوْس:

كَمُلَتْ ثلاثاً أو تَزِيدُ بَنانةً بالسَّيرِ ظاهِرُ عَجْبِها مَكْفُوفُ

و« الأسروع » واحد الأساريع، يُقال يُسْروع وأُسروع وهو دُود أحمر يكون في الرمل تُشبّه به الأصابع المخضوبة ، وذلك أحد ما قيل في قول أمرىء القيس:

★ أساريعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاويكُ أَسْحُلِ ★

فقيل إنَّ « ظبياً » اسم وادٍ تكون فيه الأساريع ، وقال قوم إنما أرادَ أنَّ الظباءَ تأكل هذا الفن من الدُّود ، وقال آخرون « الأساريع » عَصَباتٌ في قوائم.

٣ بَـلْ صَـوْتُ عاذِلَةٍ عَـرَاني مَـوْهِنـاً … عَـذْلٌ لَعمْـرُكَ لَـوْ عَـذَلْتَ سَمِيعـا

٤ أأَلُـومُ مَـنْ بَخِـلَتْ يَـدَاهُ واغـتَـدَى … لِلْبُخْـلِ تِـرْبـاً، سَـاءَ ذاكَ صَنيعـا!

٥ آبى فـأَعصِي العَـاذِلينَ وأَغْـتَـدِي … في تـالِـدي لِلسـائـلين مُـطيعـا

٦ مُتَسـربـلاً خُـلُقَ المكـارِمِ إِنهـا … جُعِلَتْ لِأَعْـراضِ الكِـرَامِ دُرُوعـا

٧ ومُـحَـجَّـبٍ حـاوَلْتُـه فَـوَجَـدْتُـه … نَجْمـاً على الـرَّكْبِ العُفَـاةِ شَسُـوعا

٨ لـمّـا عَـدِمْـتُ نَـوالَـه أعـدَمْتُـه … شُكْـري فـرُحْنـا مُعْدَمين جَمِيعـا!

قافية الفاء

392

وقال يهجو عبدالله الكاتب [من المتقارب]:

١ أَلَـمْ تَـكُ رَيْحَـانَـةَ الوَاصِـفِ لِمُسْتَظْـرِفٍ ولِمُسْتَـأنِـفِ؟!

٢ غَـرِيـراً فَـآنسُ حـالاَتِـه إذا كـانَ كـالـرَّشـإِ الخَـائِـفِ

٣ تَنـامُ مَـع الظُّهْـرِ مِـنْ غِـرَّةٍ ومِـنْ خَفـرٍ خِشْيَـةَ الطَّـائِـفِ؟!

٤ فَبَيْنـا ضِيـاؤُك قَـدْ صـانَـه حَيـاؤُك إذ جِئْـتَ بـالجـارِفِ

٥ مُسِخْـتَ وكنـتَ الطَّمُـوحَ الجَمُـو حَ فـي خِلْقَـةِ الكَلْبَـةِ الصَّـارِفِ

قافية القاف

393

وقال يهجو عُتْبَةَ بن أبي عاصم ، شاعرَ أهل حِمْص [من الكامل] :

١ الدارُ ناطِقَةٌ وليسَتْ تَنْطِقُ بِدُثُورِها أَنَّ الجَدِيدَ سَيُخْلِقُ

٢ دِمَنٌ تَجَمَّعَتِ النَّوَى في رَبْعِها وتَفَرَّقَتْ فيها السَّحابُ الفُرَّقُ

٣ فَترقْرقَتْ عَيْني مآقيها الى أنْ خِلْتُ مُهْجَتِيَ التي تَترقْرَقُ

٤ يا سهْمُ كيفَ يُفيقُ مِنْ سُكْرِ الهَوَى حَرَّانُ يُصْبحُ بالفِراقِ ويُغْبَقُ؟!

٥ ما زَالَ مُشْتَمِلَ الفُؤَادِ على أسىً والبَيْنُ مُشْتَمِلٌ على مَنْ يَعْشَقُ

٦ حَكَمَتْ لأنْفُسِها اللَّيالي أنَّها أبداً تُفَرِّقُنا ولا تَتَفَرَّقُ

٧ عمْري لقَدْ نَصَحَ الزَّمانُ وإنَّه لَمِنَ العَجائِبِ ناصِحٌ لا يُشْفِقُ!

٨ إنْ تُلْغِ مَوْعِظَةَ الحَوادِثِ بَعدَما وَضُحَتْ فكمْ مِنْ جَوْهَرٍ لا يَنْفِقُ!

٩ إنَّ العَزاءَ وإنْ فتىً حُرِمَ الغِنَى رِزْقٌ جَزِيلٌ للّذي لا يُرْزَقُ!

---

(١) يقول الدارُ ناطقة بدثُورها ، دالّة عليه ، لما يُرَى من دُروسها ، كقولهم كلُّ صامتٍ ناطق أي يَدلُّك حين تراه على أمره.

(٢) [فُرَّق] جَمْع فارق وهي السَّحابةُ التي تنفرد فلا تُخْلِف، استعارَه من الناقة الفارق وهي التي تُفارق الإبلَ إذا أخذها المخاض.

(٤) سَهْم [أخو] أبي تمام وكان له شعر.

(٥) أي ما زال هذا العاشقُ الحرّانُ منطوياً على حُزن والبَيْنُ مشتملٌ عليه قد أحاطَ به كل جانب.

(٨) يقول إنْ لم تَقبلْ موعظةَ الزّمان بعدما وَضُحَتْ فكم جوهرٍ يَكسَد.

(٩) يقول الصبرُ رزقٌ جميل لمن حُرِمَ الغِنَى ولم يُوسَّع عليه في رِزْقه ، والمعنى أنَّ الصبرَ على الحِرْمان =

١٠	هِمَمُ الفَتى في الأَرْضِ أَغْصانُ الغِنَى	غُـرِسَتْ وليسَتْ كـلَّ عـامٍ تُـورِقُ
١١	يـا عُتبـةَ ابـنِ أبي عُـصَيْـمٍ دَعْـوَةً	شَنْعَـاءَ تَصْـدِمُ مِسْمَعَيْـكَ فتَصْعَـقُ
١٢	أَخَــرِسْـت إِذْ عـايَنْتَنِـي حـتَّى إذا	ما غِبْت عَنْ بَصَرِي ظَلِلْتَ تَشَـدَّقُ؟!
١٣	وكَــذَا اللئِيمُ يقُـولُ إِنْ نَـأَتِ النَّـوَى	بِعَـدوِّهِ وَيَحُـولُ سـاعَـةَ يُصْـدَقُ
١٤	عَيْـرٌ رَأَى أَسـدَ العَـريـنِ فَهَـالَــه	حـتَّى إذَا وَلَّـى تَـوَلَّـى يَـنْـهَـقُ!
١٥	أَوْ مِثْـلَ رَاعِي السُّـوءِ أَتلفَ ضـأْنَه	لَيْـلاً وأَصبـحَ فَـوْقَ نَـشْـزٍ يَنْعَقُ!
١٦	هَيْهَـاتَ غَـالَـكَ أَنْ تَنَالَ مـآثِرِي	إِسْتٌ بـهـا سَعَـةٌ وبَـاعٌ ضَيِّـقُ!
١٧	وتَـنْقُـلٌ مِـنْ مَعْشَـرٍ فـي مَـعْشَـرٍ	فـكـأَنَّ أُمَّـكَ أَوْ أَبـاكَ الـزِّئْـبَـقُ
١٨	أَإلى بني عَبْـدِ الكَـريمِ تَشـاوَسَتْ	عَيْنَاكَ وَيْلَكَ خِلْـفَ مَـنْ تَتَـفَـوَّقُ؟!

= والرّضا بمحتوم القضاء نعمةٌ من الله - عزّ وجَلّ - على مَن حُرِم الغنَى، فإذا وُفّق الإنسانُ الذي لم يُرزق أعراضَ الدنيا فقد رُزِق، والعزاءُ والصبرُ والتسلّي والقَناعة متقاربة في المعنى.

(١٠) يقول هِمَمُ الفَتى غِناه لأنه إذا كان ذا هَمٍّ طلبَ الرزقَ بأي وجهٍ كان حتى يُدرِكَه وربما لم يُرزق لأن الرّزقَ عن قَدَر.

(١١) أراد ابنَ أبي عاصم فرخّمه ترخيمَ التصغير.

(١٢) هذا معنًى يتردّد في كلام الخاصّة والعامّة. يقول: إذا رآني سكتَ فلم ينطق وإذا غِبْتُ تَشدّق بالقول. و« التشدّق » مأخوذ من الشِّدْق كأنه يُوسِّع شِدقَه بالكلام.

(١٣) (س): و« يخور ساعةَ يُصَدقُ» ويُروى و« يذُوب» يقول: هكذا اللئيمُ يَصول بلسانه في الوقيعة والثَّلْب لعدوّه إذا غابَ وبَعُدَ عنه، وإذا التقَى معه وقابَله بِفعْله ذابَ.

(١٥) أي نامَ عن غَنَمه حتى أتلفَها ثم أصبحَ يَصِيح بها، ويُقال نَعَقَ الرّاعي بالغنم إذا صاحَ بها، قال الفرزدق:

وإِنَّ ثِيـابِـي فـي تُـرَابِ مُحَلِّـقٍ ... ولـم أَستَعِـرْهـا مِـنْ مُعَـاعٍ ونـاعـقِ

« مُعاع » مُصَوتٍ بالغنم.

(١٨) استعار « الخِلْفَ» و« التّفوق» في هذا الموضع، يقول: هؤلاء قوم رؤساءُ جِلَّة فقد أخطأتَ في تعرّضك لهم، كما تقول للرجل إذا سمعتَه يَطعن في قوم: إِثْلَةَ مَنْ تنحِتُ، وورَقَ أيِّ غُصْنٍ تَحُتُّ؟ أي أتدري ما تصنع فإنك مُجْرٍ إلى غايةٍ بعيدة. ومَن روى « خَلْف» بفتح الخاء فهو بعيد من مذهب الطائي وله مَذْهبٌ في القِياس، ويجعل « الفُوَاق» من التفوُّق الذي يأخذ الإنسان، أي قد سَبَقك هؤلاء القوم فأنت تُجهد نفسَك خلفَهم فيأخذُك فُواقٌ من جَهْدك.

١٩ قَـوْمٌ تَـراهُمْ حِيـنَ يَـطْرُقُ مَعْشَـرٌ ... يَسمُـونَ لِلخَـطْبِ الجَليـلِ فيُـطْرِقُ
٢٠ قَـوْمٌ إذا اسـوَدَّ الـزَّمَـانُ تَـوضَّحُـوا ... فيـهِ فغُـودِرَ وَهْـوَ مِنْهُـمْ أَبلَـقُ
٢١ ما زالَ في جَـرْمِ بـنِ عَمْـرٍو مِنْهـمُ ... مفتـاحُ بـابٍ للنَّـدى لا يُغْلَـقُ
٢٢ مـا أُنشِئَتْ لِلْمَكْـرُمـات سَحـابَـةٌ ... إلَّا ومِـنْ أيـديـهـمُ تَـتَـدَفَّـقُ
٢٣ أُنظُرْ فحيثُ تَرَى السُّيـوفَ لَـوامِعَـاً ... أَبَـداً فَفَـوْقَ رُؤُوسِهِـمْ تَتَـأَلَّـقُ
٢٤ شُـوسٌ إذَا خَفَقَتْ عُقـابُ لِـوَائِهِمْ ... ظَلَّتْ قُلُوبُ المـوتِ مِنهمْ تَـخْفِـقُ
٢٥ بُلْهٌ إذا لَبِسُـوا الحَـديـدَ حَسِبْتَهُـمْ ... لـم يَحسِبُـوا أَنَّ المَنِـيَّـةَ تُـخْلَقُ

---

(١٩) قوله «قوم تراهم حين يُطرِق مَعْشر» رَوى بعضُهم «يسمون للخطبِ الجليل فيصدقوا» ثم قال: لَحَن في قوله «فيصدقوا» وكان يجب أن يقول «فيصدقون» لأنه في موضع رفع لا موضع نصبٍ ولا جَزْم. قال المرزوقي: هذا غاية الظلم لأنَّ الرجلَ قال «يسمونَ للخطبِ الجليل فيُطْرِقُ» وقَد جَنَّسَ في هذا البيت بقوله يَطْرُق ويُطْرِق، والمَعنى إذا سموا للخطب الجليل تَذلَّلَ لهم وتَصاغرَ وأطرقَ يهابُهم. وقد رُوِي «يُسْمَوْنَ» أي إذا ذُكروا ودُعوا بأسمائهم كَفَّ الخطبُ الجليل وانقبض. وبَدَّلَ هذا الراوي لفظه ثم لَحّنه، على أنَّ لما رَواه وجهاً يَسْلَمُ فيه من اللّحْن وهو أن يجعل «يَصدُقُ» فعلاً للخطب، والمعنى إذا سموا للخطب الجليل صَدَق لهم وصارَ خُطةَ صِدْقٍ، كما يُقال هو امرؤ صِدْقٍ أي هو خيِّر، كما قال الشاعر:

ألا مَـن مُبْلِـغُ الجَـرْمِـيَّ عنّـي ... وخيـرُ القـولِ صـادِقَـةُ الكلامِ

وفي البيت على ما رويناه سوى التجنيس تطبيق وذلك أنه قال «يسمون» ثم قال «فيطرق» ومعنى الإطراق ضد معنى السمّو.

(٢٥) وصَفَهم بالبَلَه في الحرب، أي كأنهم غافلون لا يعلمون أنَّ المنيّةَ مخلوقة، ومثل هذا المعنى يَتردّد كثيراً في أشعار المتقدّمين والمُحدثين، مثل أن يقال هو حليم في المجلس وفي الحرب جاهل، وهو كريم على الصديق وعلى العدو باخل، يذكرون البخلَ والجهلَ وهما مذمومان إذا قَرَنوهما بما ينعكسان معه إلى الحَمْد. والطائي أطلق عليهم البَلَه على معنى الاستعارة، وقد احترزَ من ذلك أبو دَهْبل لمّا قال:

تَخـالُ فيـه إذا حـاوَرْتَـه بَلَهـاً ... عـن مـالِـه وهـو وافـي العقـلِ والوَرَعِ

ونحو من قول أبي دهبل قولُ الطائي:

ليسَ الغَبـيُّ بِسيِّـدٍ فـي قـومِـهِ ... لكـنَّ سيِّـدَ قـومِـه المُتَغـابـى =

٢٦ قُلْ ما بَدا لك يا ابنَ تُرْنَا فالصَّدَا بِمُهَذَّبِ العِقْيانِ لا يَتَعَلَّقُ

٢٧ أَفَعِشْتَ حتَّى عِبْتَهمْ قُلْ لي مَتى فَرْزَنْتُ سُرْعَةَ مَا أَرَى يا بَيْدَقُ!

٢٨ جَدْعاً لِأَنْفِ طَيِّيءٍ إنْ فُتَّها وَلَوَ آنَّ رُوحَكَ بالسِّماكِ مُعَلَّقُ

٢٩ إنِّي أَرَاكَ حَلِمْتَ أَنَّكَ سالِمٌ مِنْ بَطْشِهِمْ ما كلُّ رُؤْيا تَصْدُقُ!

٣٠ إيَّاكَ يَعني القائلونَ بِقَوْلِهِمْ إنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ

٣١ سِرْ أَيْنَ شِئْتَ مِنَ البِلادِ فإنَّ لي سُوراً عليكَ مِنَ الرِّجَالِ يُخَنْدَقُ

٣٢ وَقَبِيلَةً يَدَعُ المُتَوَّجُ خَوْفُهُمْ فكأَنَّمَا الدُّنيا عليهِ مُطْبَقُ

٣٣ وقَصائداً تَسْري إلَيْكَ كأنَّها أَحْلامُ رُعْبٍ أَوْ خُطُوبٌ طُرَّقُ

٣٤ مِنْ مُنْهِضاتِكَ مُقْعِداتِكَ خائِفاً مُسْتَوهِلاً حتَّى كأَنَّكَ تُطْلَقُ

٣٥ مِنْ شاعِرٍ وَقَفَ الكلامُ بِبابِهِ واكتَنَّ في كَنَفَيْ ذَرَاهُ المَنْطِقُ

٣٦ قَدْ ثَقَّفَتْ منهُ الشآمُ وَسَهَّلَتْ منه الحِجازُ ورَقَّقَتْهُ المَشْرِقُ

= وكذلك قولُهم في صفة المرأة بَلْهاءَ يُراد أنها لا تَفطِنُ لِلفاحشة، فأمّا أن تكون ذاتَ بَلَهٍ في كلِّ الأمور فتلكَ نَقِيصةٌ عظيمة.

(٢٦) العرب تقول للرجل هو ابن تُرْنا يَعنُونَ الأَمَة، و«العِقْيان» خالِصُ الذهب، قال الشاعر:

كلُّ قومٍ خُلِقوا مِنْ آنُكٍ وبنو العبّاس عِقيانُ الذهبْ

وقيل «العِقْيان» الذهب في المعدن. وخَفَّف همزةَ «الصدأ» للضرورة وذلك جائز بغير خُلْف. يقول: عِرضي أملسٌ من العُيوب.

(٢٧) الشِّطرنج اسم أعجميّ وكذلك الشّاه والفُرْزان والرُّخ والبَيْدق. ومَن رَوى «فُرزنت» بالضم فالمعنى جُعِلت فِرْزَناً، ومَن رَوَى بفتح الفاء أَراد صرتَ مِن الفرازين، وضم الفاء أَحسنُ وأَقيس.

(٣١) في الأَصل «سوراً عليك من الرجال وخَنْدقُ» وكذلك عند أَبي العلاء، وقال: لمّا كانت «إنَّ» تدخل على الابتداء والخبر حَمَلَ «خَنْدقاً» على الموضع، فهذا أَوجه ما يُقال فيه، وقد يمكن أن يَقطعه من الأَول ويجعلُه مستأنفاً، وأَبعدُ من ذلك أن يَعطِفَ على مُضْمرٍ مُقدّمٍ في الخبر.

(٣٣) أي كأنّها أَحلام هائلةٌ تُفزِّعك في نَوْمك.

(٣٤) [ص] أي تُقيمك القصائدُ من أَلمك لما فيها فلا تقدر على الانتصار فتُقعدك، وهذا كقولهم فعلتُ به ما أقامَه وأَقعَده أي لم يَقرَّ لما ناله ★ و«تُطلِق» من الطَّلْق وهو وَجَع الولادة.

(٣٦) يقول: قد جرّبت هذه البلدانُ هذا الشاعر فأكملته حتى صار ذا رقّةٍ وسُهولةٍ واستقامة.

394

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ أعَـلـيَّ يُقـدِمُ عُتْبَـةُ الـمُـسْتَحْـلِقُ ... هَيْهَـاتَ يَـطْلُبُ شَـأْوَ مَنْ لا يُلْحَقُ!

٢ كَمْ حَلْقِ أيْـر لم يكنْ لـكَ ظـالِماً ... قـد باتَ وهْـوَ بِحَلْقِ جُحـرِكَ يَخْفِقُ!

٣ لـو كنتَ تَعلمُ يـا مُخَنَّثُ طـائِـلاً ... لَعَلِمْـتَ أَنَّـكَ في هِجـائي أحمَقُ

٤ فَلْتَعْلَمَنَّ حِـرُ آمٍّ مَـنْ وإهـابُ مَـنْ ... وقَـدِيمُ مَنْ وحَـدِيثُ مَنْ يَـتَمَـزَّقُ!

٥ لَجَّجْتَ في بَحْـرِيْ فَنَـاكَ عَجُـوزَهُ ... مَنْ كـانَ فـي شَـكٍّ بِـأنَّـكَ تَغـرَقُ

٦ واللّهِ لَـوْ ألصقتَ نَفْسَـكَ بـالغَـرَا ... في كَلْبَ لاستَيْـقَنـتَ أنَّـكَ مُلْصَـقُ

٧ دَعْ مَعْشَـرِي لا مَعْشَـرٌ لـكَ إنّـني ... مِن خَلْفِهِمْ وأمـامِـهِمْ لـكَ مَـوْبِـقُ

٨ كَـمْ نـادمَتْ أسيـافُنَـا أرمـاحَـهمْ ... بينَ الجُيـوشِ عـلى دَمٍ يَتـرقْـرقُ

٩ عُـمْـيٌ حَـدَوْكَ إلـيَّ أيُّ عَـجِيبَـةٍ ... أعمَى دَلِيـلُ هُـدىً وأخـرَسُ يَنْـطِقُ؟

١٠ قُـولـوا فلَسْتُـم ضَـائِـرِيَّ وأنتـمُ ... نَسْـلُ البغَـايـا تَكْـذِبـونَ وأصـدُقُ

395

وقال في عبد اللّه [من المنسرح] :

١ لَـوْ لـم أكُنْ مُـشْبَعـاً مِنَ الـحُمُـقِ ... مـا كـنـتَ مِمَّــنْ أوَدُّ يـا حَـلَقِـي

٢ إيَّـاكَ أرضَـى يـا ابنَ الـبغـيِّ لَقَـدْ ... رَضِـيتُ بـعْـدَ التَّـقْـرِيبِ بـالـعَنَقِ

٣ إنِّـي لَمُسْتَـوْجِـبٌ مِـن أجْـلِكَ أنْ ... تُـشَـدَّ كِلْتـا يَـدَيَّ فـي عُـنُـقـي

---

(٦) و(٧) « الغَرا » الذي يُلصق به، إذا كُسِر أوّله مُدّ، وإذا فُتح قُصِر، ورواية أبي العلاء « لاستيقنتَ ألاَّ تُلْصَقُ » ورفع « تُلصَق » لأن « أنْ » هاهنا معناها التثقيل. وقوله « مُوفَقُ » من قولهم أوفقَ السَّهمَ إذا جعَله في الوَتر، وهو مَقلوب لأنه من الفُوق، وقال الشاعر:

ولقـد أوفَـقَ الغُـواةُ لـكَ الأسـ ... ـهُـمَ حتـى فُعَـالَـة الجَعْـراءُ

٤ تَنْفِرُ عَمْداً ولَوْ قَدِرْتَ إذَنْ حَمَلْتَها إلوَرَى على طَبَقِ!

٥ مِثْلَ التي تَنْبِشُ القُبُورَ ولا تَدنُو إلى ظِلِّها مِنَ الفَرَقِ

396

وقال فيه [من الخفيف] :

١ يا هِلالاً غَدَا عليهِ المُحَاقُ أيْنَ ذَاكَ الضِّيَاءُ والإشْراقُ!!

٢ نَالَ مِنِّي فيكَ التَّلاقي مِنَ الحُرْ قَةِ ما لم يَكُنْ يَنَالُ الفِرَاقُ!

٣ بَدَّلَ الدَّهْرُ ثَوْبَ حُسْنِكَ حتَّى غَالَهُ بعدَ جِدَّةٍ إخْلاقُ

٤ لم أزَلْ عالِماً بِأنْ ليسَ خَلْقٌ دَامَ حُلْواً إلّا وَسَوْفَ يُذَاقُ!

٥ حُجِرَ الصَّبْرُ والسُّلُوُّ على دَمْـ ـعي ووَجْدِي فاذهَبْ فأنتَ الطَّلاقُ

٦ لَمْ يُسوَّدْ وَجْهُ الوِصَالِ بوسْـ ـمِ الحُبِّ حتى تَكَشْخَنَ العُشَّاقُ

٧ قَدْ زَعَمْنا أنَّ السُّلُوَّ حُظُوظٌ إذْ زَعَمْتُمْ أنَّ الهَوَى أرْزاقُ!

397

وقال في ابنِ الأعمش [من الوافر] :

١ دَعِ ابنَ الأعْمَشِ المِسْكِينَ يَبْكي لِداءٍ ظَلَّ مِنهُ في وَثَاقِ!

---

(٣) [ص] يقول: تَبدّلتُ حتى صار لقائي لك يُؤلمني كما كان فراقك يُحزنني.

(٦) «تكشخَن» كلمة عاميّة لا تعرفها العرب، وإذا حُمِلتْ على القياس فالصّواب «تَكشَّخَ» لأنك إذا بنيتَ [تَفَعَّل] من سَكْران فالوجهُ أن تقولَ تَسَكَّرَ، وأمّا مثل تسكرنَ مِن السَّكران وتَعطَّشَنَ من العَطْشان فمعدوم قليل، وهذا الكلام على أن تفتحَ الكافَ من الكَشْخان، فإنْ كانتْ مكسورةً قَوِيَ ثَباتُ النُّون في الفِعل لأنَّ [فِعْلان] يُحكم على نونَه بالزيادة إذْ كان [فَعْلال] قليلاً في الكلام وليس [فِعْلال] كذلك.

٢ فَصُفْرَةُ وَجْهِهِ مِنْ غيرِ سُقْمٍ تَنِمُّ عنِ الشَّقِيِّ بِما يُلاقي!
٣ لَبِئْسَ الدَّاءُ والدَّاءُ استكَفَّا عليهِ مِنَ السَّماجَةِ والحُلاقِ
٤ كُحِلْتُ بِقُبْحِ صُورَتِهِ فأَضْحَى لها إِنْسانُ عَيْني في السِّياقِ
٥ مَساوٍ لو قُسِمْنَ على الغَواني لَما جُهِّزْنَ إِلّا بالطَّلاقِ
٦ قَبُحْتَ وزِدْتَ فَوْقَ القُبْحِ حتَّى كأَنَّكَ قَد خُلِقْتَ مِنَ الفِراقِ

398

وقال يهجو عبد اللّه الكاتب [من الخفيف] :

١ وَيْكَ سَلِّمْ لِلواحِدِ الخَلّاقِ إِنَّ في الحَلْقِ قائداً لِلحُلاقِ
٢ ليسَ يُغني إِذا تَتابَعَ أَمْرُ اللّـ ـهِ نَتْفٌ ولا طِلاءُ رَقاقِ
٣ قَدْ تَذكَّرْتُ مِنْكَ بُخْلَكَ عنّي بكِتابٍ يا أَموَلَ الأَخْلاقِ
٤ ما كِتابُ المُقَطَّعاتِ أُسَمِّـ ـيهِ ولكنَّهُ كتابُ صَداقِ
٥ أَيُّما حُرَّةٍ مِنَ الناسِ جادَتْ لِخَليلٍ بالمَهْرِ بعدَ الطَّلاقِ؟!

قافية الكاف

339

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ ماذا بَدَا لَكَ إذْ نَقَضْتَ هَوَاكَا وحَلَفْتَ أنِّي لا أشُمُّ قَفَاكَا ؟

٢ تَرْضَى العَجائبَ ثُمَّ تَغضَبُ أنَّنِي ناظَرْتُ في بعضِ الأمُورِ أخاكا ! !

٣ مِثْلَ التي ضَنَّتْ بِرَدِّ سَلامِها وأباحَتِ الأفْخَاذَ والأوْرَاكَا !

٤ إنْ كانَ ذَا مِنْ غِيرَةٍ قَدْ أضرَمَتْ بالغَيْظِ قَلْبَكَ خالِياً وَحَشَاكَا

٥ فاحْلِفْ بأنَّ سِوَايَ لم يَظْفَرْ بِها وعليّ نَذْرٌ إنْ لَقِيتُ سِوَاكَا

٦ فإذَا أبيتَ فَقَدْ أبَيْتَ مَعَالِناً فاعْلَمْ - فَدَيْتُكَ - أنَّ ذَاكَ بِذَاكَا

400

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ مُتَخَمِّطٌ في غَمْرَةٍ مُتَهَتِّكٌ ما إنْ يُبَالي أيَّ وَجْهٍ يَسْلُكُ!

٢ يَكفِيكَ خِزْياً أنَّ عَقْلَكَ دَائِباً يَبْكي عليكَ وأنَّ وَجْهَكَ يَضْحَكُ!

٣ لا تَفتِكَنَّ على الكُؤُوسِ بِشُرْبِها فهيَ التي إنْ مِتَّ قَبْلَكَ تَفْتِكُ

٤ كَمْ بِتَّ تأخُذُها وباتَ مُنَادِمٌ لكَ وَهْوَ يأخُذُ منكَ ما لا يَتْرُكُ!

٥ أصْبحتُ عنكَ لِعُظْمِ جُرْمِكَ مُمْسِكاً وكذا إذا ذُكِرَ القُضَاةُ فأمسِكُوا

401

وقال فيه : [من الخفيف] :

١ رَغْمَ أَنْفِي مِنْ أَنْ تُرَى مَهْتُوكا   أَوْ أَرَى لي ما عِشْتُ فيكَ شَرِيكا
٢ صِرْتَ مَمْلُوكَ كلِّ مَنْ تَرْتَجِي فِلْـ   ـساً لَدَيْهِ وكنتَ قبلُ مَلِيكا!
٣ أَيُّ شيءٍ أنساكَ بَعْدِي أيْما   نَكَ أَنِّي أَبوكَ بعدَ أَبِيكا؟
٤ كُنْتُ أَلْحَى مقْرَانَ في الكَشْحِ حتَّى   كَشَحَتْنِي حَوَادِثُ الدَّهْرِ فِيكا !

402

وقال فيه [من المنسرح] :

١ إِقْطَعْ حِبَالِي فَقَدْ بَرِمْتُ بِكَا   وخَلِّنِي حيثُ شِئْتُ مِنْ يَدِكا
٢ لا أَشْتَهِي أَنْ تكونَ لي سَكَناً   حَسْبُكَ ما كنتَ لي وكنتُ لَكا!
٣ أنتَ كَثيرُ الألوانِ مُشْتَرِكٌ   فاطلُبْ خليلاً سِوَايَ مُشْتَرِكا
٤ قَدْ نِلْتُ منكَ الذي بَخِلْتَ بِهِ   فلم أنلْ طائِلاً ولا دَرَكا
٥ فاذْهَبْ إلى حيثُ شِئْتَ منْطَلِقاً   سالَ بِكَ السَّيْلُ حَيْثُمَا سَلَكا
٦ ومُتَّ حَيّاً بِلِحْيَةٍ طَلَعَتْ   عليكَ قَدْ كُنْتَ قَبْلَها مَلَكا
٧ إذا رَأَيْتَ الغُلامَ قَدْ طَلَعَتْ   بِخَدِّهِ شَعْرَةٌ فَقَدْ هَلَكا!

قافية اللّام

403

وقال يهجو مُوسَى بنَ إبراهيمَ الرّافِقيّ [من الكامل] :

١ أمُـوَيْس كيفَ رَأَيتَ نَصْبَ حَبائِلي ... أَوَلَيْسَ خَتْلِي فـوقَ خَتْلِ الخَاتِلِ ؟!

٢ أعمَلتُ فيـكَ قَصائـدي وَوَسائلي ... فَحَـرَمْتَني فلبِئْسَ أَجْـرُ العَـامِـلِ!

٣ هـذا جَـزائـي إذْ أُدنِّسُ هِـمَّـتِـي ... بـكَ جاهِـلاً وكـذا جَـزاءُ الجَـاهِـلِ

٤ كَمْ مِنْ لئيمٍ قـد غَـزَتْـهُ قَصائِـدِي ... وَدَأَبْنَ فيـهِ فما ظَفِـرْنَ بِـطَائِـلِ!

٥ لا خَـفَّـفَ الـرحـمنُ عنّي إنَّـنِي ... أرتَعْتُ ظَنِّي في رِيَاضِ البـاطِـلِ!

٦ مـا أنسَلَتْ حَـوَّاءُ أَحْـمَقَ لِـحْيَـةٍ ... مِنْ سـائلٍ يَـرجُو الغِنَى مِنْ سَـائِلِ!

٧ ذَاكَ الذي أحصَى الشُّهُـورَ وَعَـدَّهـا ... طمَعـاً لِيُنتِـجَ سَقْبَـةً مِنْ حـائِـلِ!

٨ بَهَـرَتْـكَ شِيْمتُـكَ الشَّحَاحُ زِنـادُهـا ... لمّا احتَثَثْتَكَ فـي ارتِقـاءِ النَّـائِـلِ!

٩ أَحْـرَزْتُ مِنْ جَـدْوَاكَ أَكْثَـرَ مَحْـرَزٍ ... فـي ظـاهـرٍ وأَقَـلَّهُ فـي حـاصِـلِ

١٠ مـا زلْـتُ أعلمُ أنَّ بَـحْـرَكَ مِلْحَـةٌ ... وازْدَدْتُ لمّـا صِرْتُ نَصْبَ السَّاحِلِ

١١ وكَـذاكَ مَنْ قَصَدَ اللِّئـامَ بِعـاجِـلٍ ... في المَـدْحِ سُوِّدَ وجْهُـهُ في الآجِلِ!

404

وقال يهجو عَيّاش بنَ لَهِيعَة [من الوافر] :

١ كـأنّـي لـم أبَتَّكُمـا دَخيلـي ... ولـم تَـرَيَـا وُلُـوعي مِـنْ ذُهُـولـي

٢ وتَـرْكِـي مُقْلَتِي تَـحْمَـى وتَـدْمَـى ... فتَدْمَـعُ في الحُقُوق وفي الفُضُولِ

٣. كِـلانـي إنَّ راحـاتـي تَـأَتَّـتْ ... لِقَلْبِي في الـبُكَـاءِ وفي العَـوِيـلِ

٤ وبـالإسْـكَـنْـدَرِيَّـةِ رَسْـمُ دارٍ ... عَفَتْ فَعَفَـوْتُ مِنْ صَبْـرِي وحُـولي

٥ ذَكَـرْتُ بـهِ وفـيـهِ مُـنْـسِـيـاتـي ... عَـزايَ مُـسعَّـراتِ لَـظَى غَـلِـيلي

٦ ومـا زَالَـتْ تُـجِـدُّ أَسىً وشَـوْقـاً ... لـه وعَـلَيْـه إخْـلاقُ الـطُّلُولِ

٧ فَـقَـدْتُـكَ مِـنْ زمـانٍ كـلَّ فَـقْـدٍ ... وغَـالَـتْ حـادِثـاتِـكَ كُـلُّ غُـولِ

٨ مَـحَتْ نَـكَبَـاتُـهُ سُـبُـلَ المَـعَـانِي ... وأَطْـفَـأَ لَـيْـلُه سُـرُجَ الـعُـقُـولِ

٩ فـمـا حِيَـلُ الأَرِيـبِ بِـمُـدْرِكـاتٍ ... عَـجَـائِبَـهُ ولا فِـكَـرُ الأَصيـلِ

١٠ فـلَوْ نُـشِـرَ الـخَلِيـلُ لَـهُ لَـعَـفَّـتْ ... رَزَايَـاهُ عـلى فِـطَنِ الـخَـلِيـلِ!

١١ أَعـيَّـاشُ ارْعَ أَوْ لا تَـرْعَ حَـقِّـي ... وَصِـلْ أَوْ لَا تَـصِـلْ أَبـداً وَسِيـلي

١٢ أَرَاكَ، وَمَـنْ أَرَاكَ الـغَـيَّ رُشْـداً، ... سَتَلْبسُ حُلَّتَـيْ قَـالٍ وَقِيـلِ

١٣ مَـلاحِمُ مِنْ لُبـابِ الشِّعْـرِ تُنْسِي ... قِـرَاةَ أَبِـيـكَ كُـتْـبَ أَبِـي قَـبِـيـلِ

١٤ أَمِـثْـلُكَ يُـرتَـجى لَـوْلا تَـنَـائي ... أُمُـورِي والتِيـاثي في حَـوِيـلي؟!

١٥ تَـوهُّمُ آجِـلِ الـطَّمَـعِ المُـفِـيتي ... تَيقُّنَ عـاجِـلِ اليـأْسِ المُـنِيـلِ

١٦ رجـاءُ حَـلَّ مِـنْ عَـرَصَـاتِ قَلْبِـي ... مَحَـلَّ البُـخْـلِ مِنْ قَلْبِ البَـخِيـلِ

١٧ وَرَأْيِيْ هَـزَّ حُـسْـنَ الـظَّنِّ حـتَّـى ... جَـرَى مَـاءَاهُ في عَـرْضِي وطُـولي

١٨ فـأَجْـدَى مَـوْقِفِي بِنَـدَاكَ جَـدْوَى ... وقُـوفِ الصَبِّ بـالـطَّلَلِ المُحيـلِ

١٩ وأَعكفتُ المُـنَى فـي ذَاتِ صَـدْرِي ... عُكُـوفَ اللَّحْظِ في الخَـدِّ الأَسيـلِ

٢٠ وكـنـتُ أَعَـزَّ عِـزّاً مِـنْ قَـنُـوعٍ ... تَـعـوَّضَـه صَـفُـوحٌ عَـنْ جَـهُـولِ

---

(١٥) [ص] يقول تَوَهُّمي آجِلَ طمعٍ لا يُجدي وهو مُغْبّي أن استيقِنَ يأساً يَقوم مقامَ النَيْل.

(٢٠) رُدَّ على أبي تمام «القَنُوع» فقال المرزوقي: [«القَنوع»] قد يَكون المسألةَ وليس ذلك بمانِعه من أن يكون موضوعاً لشيء آخر، والذي أرادَه أبو تمام الخروجَ من الشيء والميل إلى غيره، ومنه قَنِعت الإبل إذا خَرجتْ من الحلَّة إلى الحِمْض قنُوعاً، ومنه القانِعُ وهو الذي خَرجَ من أرضٍ إلى أرض، وإذا كان كذلك فقد سَلِمَ قولُ الرجل، والمعنى ما يَعتاضُه من الخروج من وُدّه إلى ودِّ غيرِه.

٢١ فَصِرْت أَذَلَّ مِنْ مَعْنىً دَقيقٍ ... بِهِ فَقْرٌ إلى ذِهْنٍ جَليلِ
٢٢ فما أدري عَمَايَ عن ارتيادي ... دَهاني أمْ عَماكَ عنِ الجَميلِ؟
٢٣ مَتى طابَتْ جَنىً وزَكَتْ فُروعٌ ... إذا كانَتْ خَبِيثَاتِ الأُصُولِ؟!
٢٤ نَدَبْتُكَ لِلْجَزيلِ وأَنْتَ لَغْوٌ ... ظَلَمْتُكَ لَسْتَ مِنْ أهلِ الجَزِيلِ!
٢٥ كِلا أَبَوَيْكَ مِنْ يَمَنٍ ولكنْ ... كِلا أَبَوَيْ نَوالِكَ مِنْ سَلُولِ!
٢٦ رُوَيْدَكَ إنَّ جَهْلَكَ سَوْفَ يَجْلُو ... لكَ الظَّلْمَاءَ عن خِزْيٍ طَويلِ
٢٧ وأَقْلِلْ إنَّ كَيْدَكَ حينَ تَصْلَى ... بِنيرانِي أَقلُّ مِنَ القَليلِ
٢٨ مَرارَاتُ المُقَامِ عليكَ تَعْفُو ... وتَذْهَبُ في حَلاواتِ الرَّحِيلِ
٢٩ سأظْعَنُ عالِماً أَنْ ليسَ بُرْءٌ ... لِسُقْمِي كالوَسيجِ وكالذَّميلِ
٣٠ ولَوْ كانَتْ يَمينُكَ أَلْفَ بَحْرٍ ... يَفيضُ لِكُلِّ بَحْرٍ أَلْفُ نيلِ

405

وقال يهجو عبد الله [من الكامل] :

١ أُنْبِئْتُ عبدُ اللّهِ أَصْبَحَ يُعْوِلُ ... إنَّ الزَّمانَ بِأَهْلِهِ مُتَنَقِّلُ!
٢ لمّا اطَّلَى المِسْكينُ أَسْبَلَ عَبْرَةً ... والاطِّلاءُ الإلتِحاءُ الأوَّلُ!
٣ مُسْتَعْمِلٌ نَتْفاً لِيُرجِعَ حُسْنَه ... بعْدَ البِلَى والحُسْنُ لا يُسْتَعْمَلُ
٤ نَتَفَ العَوَارِضَ غَضَّةً ما عُذْرُهُ ... في نَتْفِ شَعْرِ الخَدِّ حينَ يُسَنْبِلُ؟!

406

وقال [من الوافر] :

١ تَعشُّقُكَ الكِبارَ يَدُلُّ عِنْدي ... على أنَّ الرَّحا قُلِبَتْ ثِفالا
٢ وإلّا فالصِّغارُ أَلَذُّ قُرْباً ... وأَشْهى إن أَرَدْتَ بِهِمْ فَعالا
٣ متَى أَبصرتَ لُوطِيّاً صَحِيحاً ... يُحِبُّ بأَنْ يُصَادِفَهُم رِجالا؟!

٤ ثَكِلْتُكَ يا أخي أن كنتَ عندي صَحِيحَ الأمرِ لَوْ نِكْتَ البِغَالا!

407

وقال [من الطويل] :

١ هَلِ اللّهُ لَوْ أشرَكْتُ كانَ مُعَذِّبي بأكثرَ مِنْ أنّي لِجاهِكَ آمِلُ؟!

٢ هَلمُّوا اعجبُوا مِنْ أنْبَهِ النَّاسِ كلِّهمْ ذَريعتُه فِيمَا يُحَاوِلُ خامِلُ

٣ أيرضَى بِضَعْفٍ في وَسَائِلِهِ امْرُؤٌ له حَرَكَاتٌ كُلُّهُنَّ وَسَائِلُ؟!

قافية الميم

408

وقال يهجو عَيّاشاً [من الطويل] :

١ ستَعلَمُ يـا عَيّـاشُ إنْ كنتَ تَعلَمُ ... فَتَنْـدَمُ إنْ خَـلاَّكَ جَهْلُكَ تَنـدَمُ

٢ أَبى لـكَ أنْ تَأْبى المَخـازِيَ كلَّها ... أبٌ أنـدَرَهْلِـيٌّ وجَـدٌّ مُـعَـلَّمُ

٣ وَقَفْتُ عليـكَ الظَّنَّ حتى كـأنَّمـا ... لَدَيْكَ الغِنَى أَوْ ليسَ في الأرضِ دِرْهَمُ

٤ وكَفْكَفْتُ عنكَ الذَّمَّ حتى كـأنَّما ... أجارَكَ مَجْدٌ أَوْ كَـأنّيَ مُفْحَمُ

٥ فلَمّـا بَـدا لي منـكَ لُؤْمٌ يَحُفُّـهُ ... حِرمِّيَّـةٌ يَسْتَنُّ فِيهـا التَّبَظْرُمُ

٦ تَرَكْتُكَ ما إنْ في أدِيمكَ ظـاهِرٌ ... ولا بـاطِنٌ إلاّ ولـي فيـهِ مِيسَمُ

٧ فـأيسَرُ مِنْ تَسْآلِكَ العِيُّ والعَمَى ... وأعذَبُ مِنْ إحسانكَ القَيْحُ والدَّمُ

---

(٥) « الحِرمّيَّة والتبظرم » كلِمتان عامّيّتان ولم تُرويا عن فَصِيح، والقياسُ ضعيف لأن « الحِرّمية » منسوب إلى مُضاف ومضاف إليه، والعربُ لم تفعل ذلك لم يقولوا في النسب إلى غيرهم عبدُ عمروٍ وعبد عَمْرِيّ، وإنما استجازتِ العربُ النسبَ إلى هذين الاسمين لأنهم أسقطوا همزة « أم » ووصلوا الكلمةَ بالثانية فصارتا في الحركات والسُّكون مثلَ حِبَّرٍ وحِمّرٍ، هذا إذا كسروا الراءَ لأنهم آثروا إتباعَ الكسرَ الكسر، فأمّا إذا ضمّوا الراءَ فهو من القياس أبعد، لأن الكلمتين تَصيران على وزن [فِعُّل] بكسر الفاء وضم العين، وذلك مِثالٌ لم يُنطق به، وإنما تصِيران على وزنه في المتحركات والسواكن لا في حقيقة التصريف، والذي يُوجبُ أمرُهما أن يقال في زِنتهما [فِعُّل]. وأما « التَّبظرم » فإنهم وصلوا إحدى الكلمتين بالأخرى وبنوا منهما فعلاً على وزن تَدَحرجَ، في تحريك وسكون، وحقيقتُه [تَفَعلَم] ولم يأتِ عن العرب مثلُ ذلك، إلا أنه في القياس يُجانِس قولهم في النسب عَبْقسيّ وعَبْشميّ.

٨ فإنَّك مِنْ مَالٍ وجُودٍ ومَحْتِدٍ   لأعْدَمُ مِنْ أنْ يَسْتَريشكَ مُعْدَمُ
٩ ومَاليَ أهجو حَضْرَمَوْتَ كَأنَّهُمْ   أضَاعوا ذِمَامي أو كَأنَّكَ مِنْهُمُ؟!

409

وقال يهجو عَيّاشاً [من البسيط] :

١ صَدِّقْ أُلِيَّتَه إنْ قالَ مُجْتَهِداً   «لا والرَّغِيفِ» فذاكَ البِرُّ مِنْ قَسَمِهْ!
٢ فإنْ هَمَمْتَ بهِ فافْتُكْ بِخُبْزَتِهِ   فإنَّ مَوْقِعَها مِنْ لَحْمِهِ ودَمِهْ!
٣ قَدْ كان يُعْجِبني لَوْ أنَّ غَيْرَتَه   على جَرادِقِهِ كانَتْ على حُرُمِهْ!

410

وقال يهجوه [من الكامل] :

١ الزَّنْجُ أكْرَمُ منكمُ والرُّومُ   والحَيْنُ أيمَنُ مِنكمُ والشُّومُ
٢ عَيّاشُ إنَّكَ لَلَّئيمُ وإنَّني   مُذْ صِرْتَ موضِعَ مَطْلَبِي لَلَئِيمُ
٣ السُّحْتُ أطْيَبُ مِنْ نَوالِكَ مَطْعماً   والمُهْلُ والغِسْلِينُ والزُّقُّومُ
٤ نَجِسٌ تُدَبِّرُ أمرَه شِيَمٌ له   شُكُسٌ يُدَبِّرُ أمرَهُنَّ اللُّومُ
٥ وَمَنازِلٌ لم يَبْقَ فيها ساحَةٌ   إلّا وفيها سائلٌ مَحْرُومُ
٦ عَرَصَاتُ سُوءٍ لم يكُنَّ لِسَيِّدٍ   وطَناً ولم يَرْتع بِهنَّ كَريمُ
٧ لمّا بَدا لي مِنْ صَميمكَ ما بَدَا   بل لم يُصَبْ لكَ ـ لا أُصِيبَ ـ صَميمُ
٨ جَرَّدتُ في ذَمِّيكَ خيْلَ قَصائِدٍ   حَالَتْ بكَ الدُّنيا وأنتَ مُقِيمُ

(٣) «المُهْل» عَكَر الزَّيت، وقيل الذي يُذَاب من الرصاص والنحاس وغيرهما يقال له مُهْل، وزعم بعضهم أنَّ المُهْل صديد الموتى وما يسيل من أجسامهم.

٩	أَلحقْنَ بـالجُمّيـزِ أَصلَك صـاغـراً	والشِّيـحُ يَضحَـكُ منـكَ والقَيْصُـومُ
١٠	طَبَقـاتُ شَحْمِكَ ليسَ يَخفى أَنَّهـا	لـم يَـبْـنِـهـا آءٌ ولا تَـنُّـومُ
١١	يـا شـاربـاً لَبنَ اللّقـاحِ تَعَـزِّيـاً	الـصَّبْـرُ مَنْ يَقْـنِيـه والـحَـالُـومُ؟
١٢	والـمُـدَّعِي صُـورَانَ مـنـزِلَ جَـدِّه	قُـلْ لـي لِمَـنْ أَهنَـاسُ والفَيُّـومُ؟!

---

(٩) غَرضُه في هذا البيت أن ينفيه عن العرب لأن الشِّيح والقَيْصوم ينبتان في ديارها ومنازلها، يقول إنما وُلدتَ في أرض الجمّيز وهو كثير في القُرَى التي يسكنها النَّبطُ. وأخلاطُ الناس.

(١٠) و(١١)و(١٢)هذه الأبيات كالشرح [للبيت] الذي فيه ذكر الجمّيز. يزعم أنَّ هذا المهجوّ سَمِين، وأنه يَتَّسع في المأكل، والعرب ليسَتْ كذلك، وإنما يَصِفون أنفسَهم بالخَمَصِ وقِلَّة الأكل. و«الآءُ والتنوّم» ضَرْبان من النَّبْت تأكلهما النَّعام. وقوله «لم يبْنِها آءٌ ولا تَنُّوم» يعني أنه لم ينشأ في البادية لا أنه يَطعم من هذين النبتين، وذلك مفهوم من مُراد الشاعر.

و«الصَّبْر» هذا الذي يُتخذ بمصر وبلادها، وقد تَكلّموا [به] في صدر الإسلام، ويجوز أن يكون أصلهُ ليس بعربي، و«الحَالُوم» ضَرب من الإقط. وإنما يقول له الشاعر: إنك لستَ بعربي فتَمِيلُ إلى لَبَنِ اللّقاح، وإنما عادتُك أن تأكلَ الصَّبْر.

و«صُوران» اسم موضع، وبالشام قرية تعرف بصُوران، وأحسبُها ليسَتْ التي عَنَى الطائي. و«أهناس» و«الفَيُّوم» موضعان بنواحي مصر، وقد ذُكِر أنَّ بالعراق موضعاً يُقال له الفَيّوم، ويجوز أن يكون هذا الاسمُ غيرَ عربيّ، ولا يمتنع أن يكون من ألفاظ العرب لأنه قد جاءَت نظائرُ لهذا المثال ممّا فيه حرف العلّة، مثلُ قَولهم القَيُّوم والعَيُّوق للنجم، والكَيُّول لمتأخر العسكر، والدَّيُّور من قولهم ما بالدّار دَيَّار ولا دَيُّور، وذُكر أن الفَيُّوم موضع سَهْل مُخصب، فيجوز أن يكون مأخوذاً من الفُوم إذا أُريد به الحِنطة أو السُّنْبل، وقد حُكي فيه الوجهان، قال أبو مِحْجَن الثقفي:

قَـد كنـتُ أحسبُنـي كـأغنَـى واحـدٍ ... قَـدِمَ المـدينـةَ عـن زراعـةِ فُـومِ

أي حِنْطة، وقال آخر في أنَّ الفُومَ السُّنْبل:

فَبيْنـا نحـن نَـرقُبـه أتـانـا ... بِكُلْفـةِ فُـومَـةٍ أو فُـومتـانِ

وقالوا فُوموا لنا أي اختبروا لنا، ولا يمتنع أن يكون الفيُّوم [فَيْعولاً] من الفَوْم كما أنَّ العَيُّوق من العَوْق، أي أنه إذا زُرع أخصبَ وكَثُرَ فيه ذلك.

411

وقال يهجو أبا الوليد مُحَمَّد بن أَحمد بن أَبي دُوَاد [من الوافر] :

١	أَتَــدْرِي أَيَّ بَــارِقَــةٍ تَــشِيــمُ	ومَهْـلَكَــةٍ إِلَيـهـا تَـسْتَـنِيـمُ؟
٢	إِلامَ وكَـمْ يَـقِـيـكَ أَذَايَ صَـفْـحٌ	ومَجْـدٌ عنـكَ في غَضَبي حَلِيمُ؟!
٣	كـأَنَّـكَ لـم تُـعَـوَّدْ مِـنْ سُهَـادي	إذا مـا عَـانَـقَ الـسِّـنَـةَ الـنَّـؤُومُ
٤	وَمِـنْ تَقْـلِيبِ قَـلْبي عن لِسـاني	إذا بـاتَـتْ تُـقَـلِّبُـهُ الـهُـمـومُ
٥	فـمـا أَنـتَ الـلئيـمُ إِذَنْ وَلَكِـنْ	زَمـانٌ سُـدْتَ فـيـهِ هـو الـلَّئِيـمُ
٦	أَتَـطْمَـعُ أَنْ تُـعَـدَّ كَـرِيـمَ قَـوْمٍ	وبـابُـكَ لا يُـطِيفُ بـهِ كَـرِيـمٌ؟!
٧	كَمَنْ جَعَـلَ الحَضِيضَ لـه مِهـاداً	ويَـزعُـمُ أَنَّ إخـوَتَـه الـنُّـجُـومُ
٨	حَـلَفْتُ بِيَـوْمِ أَوْبِ أَبـي سَعِيـد	سَعِـيـداً إِنـه يَـوْمٌ عَـظِيـمُ
٩	فَتَىً مِـن أَكْثَـرِ الفِـتْيَـانِ غُـرْمـاً	لِـعـافِـيـهِ ولَـيسَ لـه غَـرِيـمُ
١٠	لَنِمْـتَ ونـامَ عِـرْضُـكَ والقَـوافـي	سَـواخِطُ لا تَـنـامُ ولا تُـنِـيـمُ
١١	يَـبِيـتُ يُـثِيـرُهـا لَـكَ أُفـعُـوَانٌ	بِـلَصْـبٍ مـا يَـبَـلُّ لـه سَـلِيـمُ
١٢	يُـرَى فـي كـلِّ وَادٍ أَنـتَ فـيـه	بِـلؤمِـكَ سـائـراً أَبَـداً يَـهِـيـمُ

412

وقال يهجو عبد الله الكاتب [من البسيط] :

١	أَلآنَ خُلِّيَتِ الـذُّؤْبَـانُ فـي الغَـنَمِ	وصِـرْتَ أَضيعَ مِنْ لَحْمٍ على وَضَمِ
٢	قَدْ كُنتَ تَحكي حَطيطاً صالِحاً فغَدَتْ	فَخْـذاكَ أكتبَ مِنْ كَفَّيـكَ بـالقَلَمِ !
٣	وكنتُ أدعـوكَ عبـدَ الله قَبْـلُ فقَـدْ	أصبَحتُ أدعـوكَ زَيْـداً غَيْـرَ مُحْتَشِمِ

(٣) عبدالله بن إسحق النحوي كان له ابنٌ يُسمّى زيداً، وهو أول من وضع هذا المثال: ضَرَبَ عبدُالله زيداً.

٤ وَاجَرْتَ جُوداً بما قَدْ كنتَ تَمنعُه ما كلُّ جُودِ الفَتى يُدْنِي مِنَ الكَرَمِ !
٥ إنْ أُبْلَ فيكَ بأنْ أصبحتَ مَنْتَهَباً فالمَرْءُ قد يُبْتَلى في صالِحِ الحُرُمِ

413

وقال [من المنسرح]:

١ رُبَّ غَليظِ الطِّباعِ يُغْلِظُ عَنْ رِقَّةِ مِثْلي في لَحْمِهِ وَدَمِهْ
٢ نِعْمَتُهُ نِعْمَةٌ إذا قُدِحَتْ لِرِفْدِ حُرٍّ ثَنَتْهُ عَنْ هِمَمِهْ
٣ فَصانَ وَجْهي عَنْ عُرْفِهِ وحَمَى عِرْضِي فلم يَنتَقِصْهُ مِنْ كَرَمِهْ!
٤ فَالحَمْدُ للَّهِ حينَ خَلَّصَني منه سَليمَ الأديمِ مِنْ نِعَمِهْ!

قافية النّون

414

وقال يهجو مَعْدان [من البسيط] :

١ أَلَا تَـرَى كيفَ يُبْلِينَـا الجَـدِيـدَانِ — وكـيفَ نَـلعـبُ فـي سـرٍّ وإعْـلانِ؟
٢ لا تَـركَنَنَّ إلى الـدُّنيـا وزُخْـرُفِهـا — فـإنَّ أوطَـانَهـا لَيْسَـتْ بـأوطـانِ
٣ وامهَـدْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْـلِ المَماتِ ولا — يَغْـرُرْكَ كَثْـرَةُ أصحـابٍ وإخـوانِ
٤ لَـوْ أَنَّهُمْ نَفعُـوا خَلْقـاً لِحُـرْمَتِـهِ — لَـدافَعُوا المَـوْتَ عَنْ إمْرَاةِ مَعْـدَانِ؟!

415

وقال في عبد اللّه [من الخفيف] :

١ كَـشَّـفَـتْـكَ الأيَّـامُ يـا إنـسـانُ — لا يَـكُـنْ لِـلّذي أَهَـنْـتَ الـهَـوَانُ!
٢ إنْ تَكُنْ قـد فُضِضْتَ بَعْدي فَلَيْسَتْ — بِـدْعَـةً أنْ يُـفَـلَّقَ الـرُّمّـانُ!
٣ نَشَـرَتْـكَ الكُفُـوفُ بعـدَ عَـفَـافٍ — كـنتَ تُـطوَى فـي تَحْتِـهِ وتُصَـانُ
٤ أيُّهـا السّـابِـقُ المُسَـامِـحُ في الـ — ـلّذاتِ والقَصْفِ أينَ ذَاكَ الحِـرانُ؟
٥ مـا تَـحَـدَّاكَ رائِضٌ لَـكَ إلاّ — قـلتُ بَيْـنـي وَبَـيْـنَـكَ الـمَـيْـدَانُ
٦ لِـمَ أشقَـى بِكُـمْ وَيَسْعَـدُ غَـيْـري — بِـهَـواكُـمْ حُـبِّـي إذَنْ كَـشْـخَـانُ؟!

416

وقال يهجو عثمان بن إدريس الشاميّ [من البسيط] :

١ وَسَابِحٍ هَطِلِ التَّعْداءِ هَتَّانِ ... على الجِرَاءِ أمينٍ غَيْرِ خَوَّانِ

٢ أظْمَى الفُصُوص ولم تَظْمَأْ قَوائِمُه ... فَخَلٍّ عَيْنَيْكَ في ظَمْآنَ رَيَّانِ

٣ فلَوْ تَرَاهُ مُشيحاً والحَصَى فِلَقٌ ... تَحْتَ السَّنابِكِ مِنْ مَثْنى ووُحْدانِ

٤ حَلَفتَ إنْ لم تَثبَّتْ أنَّ حافِرَهُ ... مِنْ صَخْرِ تَدْمُرَ أوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمانِ!

417

وقال يَشكو تغيُّرَ إخوانه [من الخفيف]:

١ غابَ واللَّهِ أحمَدٌ فأصا ... بَتْني له قِطْعَةٌ مِنَ الأحزانِ

٢ وتَخَلَّفْتُ بعدَه في أُناسٍ ... ألبَسُوني صَبْراً على الحَدَثَانِ

٣ ما لِنَوْرِ الرَّبيعِ في غَيْرِ حُسْنٍ ... ما لَهُمْ مِنْ تَغَيُّرِ الألْوَانِ

٤ أنكَرتْهُمْ نَفْسِي وما ذلكَ الـ(م) ... إنكارُ إلّا مِنْ شِدَّةِ العِرْفَانِ

٥ وإسَاءَاتُ ذِي الإساءَةِ يُذْكِر ... نكَ يوماً إحسانَ ذِي الإحسانِ

٦ كَثرةُ الصُّفْرِ يَمنَةً وشِمَالاً ... أضعفَتْ في نَفاسةِ العُقْيانِ!

---

(٤) قال أبو بكر: وهذا الاستطرادُ من الشِّعْر أو المُسْتَطرد، يُريك أنه يُريد فَرساً وهو يُريد هجاءَ عثمان، كما أنَّ الفارس يُرِيكَ أنه يُولِّي وهو يريد أن يَحْمِلَ عليك.

(٤) [ص] أي معرفتي بفضل من كان قبلَهم هي التي أنكرتَهمْ عندي.

418

وقال يهجو ابن الأعمش [من الكامل] :

١ أُمُّ ابنِ الاعمَش فاعلَمُوها فَرْتَنا ... ما أسهَلَ المعروفَ ثمَّ وأمكَنا!
٢ عَجْزَاءُ يُحْسِنُ إنْ أتاها خائفٌ ... وَقَد استَجارَ بِصَدْعِهَا أنْ تُحْسِنَا
٣ لَوْ أنَّ غُلْمتَها استَحارَتْ فِضَّةً ... تُمتَارُ أوْ ذَهباً لَكانَتْ مَعْدِنَا
٤ لا تَحسَبَنْ أنّي افتَرَيْتُ على التي ... وَلَدَتْكَ لكنّي افتَرَيْتُ على الزِّنا

419

وقال [من الخفيف] :

١ ليتَ شِعْري بأيِّ وَجْهِكَ بالمِصْـ ... ـر غداً حِينَ نَلْتَقِي تَلقاني؟
٢ أبِوَجْهٍ له طَلاقَةُ ذِي الإحـ ... ـسانِ أمْ وَجْهِ غَيْرِ ذِي إحسَانِ؟!
٣ فلئن كنتَ مُحْسِناً لَيَسُرَّ (م) ... ـنَّكَ في كلِّ مَحْضرٍ أنْ تَرَاني
٤ ولئِنْ كنتَ غيرَ ذاكَ فما أنـ ... ـتَ علينا غداً بِذِي سُلْطان
٥ كُلَّ يومٍ آتِيكَ في حاجةٍ أبـ ... ـذُلُ وَجْهِي فيها مَعاً ولِسَاني
٦ ثُمَّ لم أحظَ منكَ في حاجةٍ قَطُّ (م) ... بِغَيرِ الإباءِ والحِرْمَانِ!
٧ خَلفُ أعورٌ وحَقِّ رسولِ اللَّهِ ... يا سَلْمُ. أنتَ مِنْ عُثمانِ

قافية الياء

420

وقال يهجو بَغْداذ ويَمْدَحُ سُرَّ مَنْ رَأى [من البسيط]:

١ لقَدْ أقامَ على بغداذ ناعِيها فَلْيَبْكِها لِخرابِ الدَّهْرِ باكِيها
٢ كانَتْ على ما بِها والحَرْبُ مُوقَدَةٌ والنّارُ تُطْفِئُ حُسْناً في نَواحِيها
٣ تُرْجَى لها عَوْدَةٌ في الدَّهْرِ صالِحة فالآنَ أضمَرَ منها اليأسَ رَاجِيها
٤ مِثْلَ العَجُوزِ التي وَلّتْ شَبِيبَتُها وبانَ عنهَا كَمالٌ كانَ يُحظِيها
٥ لَزَّتْ بِها ضَرَّةٌ زَهْرَاءُ واضِحَةٌ كالشَّمسِ أحسَنُ مِنها عندَ رائيها

421

وقال في ابن الأعمش [من الكامل]:

١ لا تَرْثِ لابنِ الأعمشِ الكَشْخانِ مِنْ رُخْصِ الإجازَةِ والبَغاءِ لَدَيْهِ
٢ أنظُرْ إلى ابن الزَّانِيَيْنِ تَجِدْهُما قِرْنَيْنِ يَصْطَرِعانِ في عَيْنَيْهِ
٣ قَطَعَ الطريقَ على فِياشِ عَجُوزِهِ وأمالَ وَفْدَ النّايكينَ إليْهِ
٤ ما فِكْرتي فيهِ ولكنْ فِكْرتي في أيْرِ جَيّافٍ يَقُومُ عليْهِ



باب المعاتبات



قافية الهمزة

422

وقال يُخاطِبُ عليَّ بنَ الجَهْم يَستنجِزُ له وعداً من عثمان بن إدريس الشامي [من الوافر]:

١	بـأيِّ نُجُـومِ وَجْهِـكَ يُستَضَـاءُ	أبـا حَسَـنٍ وشيـمَـتُـكَ الإبَـاءُ؟
٢	أَتتْـرُكُ حـاجَتي غَـرَضَ التَّـوَاني	وأنتَ الـدَّلْـوُ فيهـا والـرِّشَـاءُ؟!
٣	تَـأَلَّـفْ آلَ إدريسَ بـنِ بَـدْرٍ	فتَسْبيـبُ العَـطاءِ هـو العَـطاءُ
٤	وخُـذْهُـمْ بـالـرُّقَى إنَّ المَـهَـاري	يُهيِّجُهَـا على السَّيْـرِ الحُـدَاءُ
٥	فـإمَّـا جـازَ مِنّي الشِّعْـرُ فيهـمْ	وإمَّـا جـازَ منـكَ الكيمِـيَـاءُ!
٦	وقُـلْ لِـلمَـرْءِ عثـمـانٍ مَـقـالاً	يَضِيقُ بلفْظِه البَلدُ الفَضَـاءُ!
٧	أَلَـمْ يَهـزُزْكَ قَـوْلُ فتًى يُـصَلّي	لِمَـا يُثني عليـكَ بـهِ الثَّنَـاءُ؟!
٨	فَتَفْعَـلَ مـا يشـاءُ المَجْـدُ فيـهِ	فـإنَّ المَجْـدَ يَفعَـلُ مـا يَشَـاءُ
٩	وأنـتَ المـرْءُ تَعْشَقُـه المَعـالي	ويَحكُـمُ في مَـوَاهبـهِ الـرَّجَـاءُ
١٠	فـإنَّـكَ لا تُسَـرُّ بِيَـوْمِ حَـمْـدٍ	شُـهِـرْتَ بـهِ ومـالُـكَ لا يُسَـاءُ
١١	وإنَّ المَـدْحَ في الأقـوامِ مـا لـم	يُشيَّـعْ بـالجَـزاءِ هـوَ الهِجَـاءُ

---

(١١) أخذَه ابنُ الرُّومي فقال:

إذا مـا المـدحُ سـارَ بلا ثَـوابِ ... مِـن الممـدوحِ كـان هـو الهِجَـاءُ

وقال يَستبطِئُ إسحاق بن إبراهيم، واختارَها أبو أحمد [من الطويل]:

١	أيـا زِينَـةَ الـدُّنيـا وجـامِـعَ شَمْلِهـا	ومَن عَـدْلُـهُ فيهـا تَمـامُ بَهـائِهـا
٢	ويـا شَمْسَ أرضِيهـا التي تَمَّ نُـورُهـا	فبَـاهَتْ به الأرضَـونَ شمسَ بَهـائِهـا
٣	عَـطاؤُكَ لا يَفْنَى ويَستغـرِقُ الـمُنَـى	ويُبقِي وُجُـوهَ الـرَّاغِبينَ بمـائِهـا
٤	تَـرَامَتْنِيَ الأبصـارُ مِنْ كـلِّ جـانبٍ	كـأنّـي مُـريـبٌ بينهـا لإرتمـائِهـا
٥	وَلِي عِـدَةٌ قـد رَاثَ عنّي نَجـاحُهـا	ومَجْـدُكَ أدنَى رَائِـدٍ في اقتِضَـائِهـا
٦	شَكَـوْتُ ومـا الشَّكْـوَى لِنَفْسِيَ عـادَةٌ	ولكنْ تَفِيضُ النَّفْسُ عنـدَ امتـلائِهـا
٧	ومـالي شَفِيـعٌ غيـرَ نَفْسِـكَ إنّـني	ثَكِلْتُ مِنَ الـدُّنيـا على حُسْنِ وائِهـا

(٧) هو مِن مَقْلُوب الوَأْي الذي هو الوَعْد، جَعله مِن وَأَى، ووَأَى ووَاء مثلُ رَأَى ورَاء ونَأَى وناء.

قافية الباء

424

وقال يُعاتِبُ أبَا دُلَف [من الطويل]:

١ أبـا دُلَفٍ لم يَبْقَ طـالِبُ حـاجـةٍ ... مِنَ النَّاسِ غَيْرِي والمَحلُّ جَدِيبُ

٢ يَسُـرُّكَ أنِّي أُبْتُ عنـكَ مُخَيَّباً ... ولم يُرَ خَلْقٌ مِنْ جَدَاكَ يَخِيبُ؟!

٣ وأنِّـي صَيَّـرْتُ الـثَّنـاءَ مَـذَمَّـةً ... وقـامَ بِها في العـالَمِينَ خَـطِيبُ؟

٤ فكيفَ وأنتَ المـاجِدُ العَلَمُ الـذي ... لِكُـلِّ أُنـاسٍ مِنْ نَـدَاهُ نَصِيبُ؟

٥ أقمتُ شُهـوراً في فِنائِـك خَمْسَـةً ... لَقًى حيثُ لا تَـهْمِي عليَّ جَنُـوبُ

٦ فإنْ نِلْـتُ مـا أمَّلْـتُ فيـكَ فـإنَّنـي ... جَـدِيـرٌ وإلاَّ فـالـرَّحِيـلُ قَـرِيبُ

425

وقال يُعاتِب إسحاقَ بن إبراهيم بن مُصْعَب [من البسيط]:

١ قُـلْ للأميـرِ تَجِـدْ لِلقَـوْلِ مُضْـطَرَبـا ... وتَلْقَ في كَنَفَيْـهِ السَّهْـلَ والـرُّحُبـا

٢ فِدَاءُ نَعْلِـكَ مُعْطـىً حَـظَّ مَكْـرُمَـةٍ ... أصغَى إلى المَطْلِ حتَّى باعَ ما وَهَبا!

٣ إنِّي وإنْ كـانَ قَـوْمٌ مـا لَهُمْ سَبَـبٌ ... إلاَّ قَضَـاءٌ كَفـاهُـمْ دُونيَ الـسَّبَـبـا

٤ لَمُضْمِـرٌ غُلَّةً في القَلْبِ يُضـرِمُـهَـا ... أنِّي سَبَقْتُ وتُعـطِي غيـرِيَ القَصَبـا

---

(١) هذه الأبيات قد مرَّتْ في قصيدة في المديح متفرقةً وهذا موضعها.

٥ إحفظْ وسائلَ شِعْرٍ فيكَ ما ذَهَبَتْ خَواطِفُ البَرْقِ إلّا دُونَ ما ذَهَبا
٦ يغْدُونَ مُغْتَرِباتٍ في البِلادِ فمَا يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ في الآفاقِ مُغْتَرِبا
٧ فَلا تُضِعْها فما في الأرْضِ أحسَنُ مِنْ نَظْمِ القَوافِي إذا ما صادَفَتْ حَسَبَا
٨ إنْ أنتَ لم تَكُ عَدْلَ الحقِّ تُنصِفُه لم نَرْجُ بعدَكَ خَلْقاً يُنصِفُ الأدبَا

426

وقال يُعاتِبُ أبا دُلَف وقد حَجَبَه ، وقِيل هي في عبد اللّه بن طاهر [من البسيط] :

١ صَبْراً على المَطْلِ ما لم يَتْلُهُ الكَذِبُ فَلِلْخُطُوبِ إذا سامَحْتَها عُقَبُ
٢ على المَقادِيرِ لَوْمٌ إنْ رُمِيتُ بِهِ مِنْ عادِلٍ وعليَّ السَّعْيُ والطَّلَبُ
٣ يا أيُّها المَلِكُ النّائي بِرُؤْيَتِهِ وجُودُه لِمُرجِّي جُودِهِ كَثِبُ
٤ ليسَ الحِجابُ بِمُقْصٍ عنكَ لي أملاً إن السماءَ تُرَجَّى حينَ تحتَجِبُ
٥ ما دُونَ بابِكَ لي بابٌ ألُوذُ بِهِ ولا وَراءَكَ لي مَثْوىً ومُطَّلَبُ
٦ يا خَيْرَ مَنْ سَمِعتْ أُذْنٌ بِهِ ورَأَتْ عَيْنٌ ومَنْ ورَدَتْ أبوابَه العَرَبُ
٧ أمَّا السُّكوتُ فمَطْوِيٌّ على عِدَةٍ وفي كلامِكَ غُرُّ المالِ يُنْتَهَبُ!

427

وقال لأبي سعيد [من المتقارب] :

١ لَعَمْرُكَ لَلْيَأْسُ غَيْرُ المُرِيبِ (م) خَيْرٌ مِنَ الطَّمَعِ الكاذِبِ
٢ ولَلرَّيْثُ تَحفِزُهُ بالنَّجاحِ (م) خَيْرٌ مِنَ الأمَلِ الخائِبِ!

قافية الرّاء

428

وقال يُعاتِبُ عَيّاشاً [من الخفيف] :

١ لـيسَ يَـدْرِي إلاَّ اللَّطِيـفُ الخَـبِيـرُ ... أيُّ شيءٍ تُـطْوَى عليـهِ الـصُّـدُورُ!

٢ ويَـقُـولُـونَ إنَّـكَ المَـرْءُ بـالـغَيْـ ... ـبِ مُحَـامٍ عن الـصَّـدِيقِ نَـصُـورُ

٣ فـإذا جِئْـتُ زائـراً حَـجَـبـتْ وَجْـ ... ـهَـكَ عـنِّـي كـآبَـةٌ وبُـسُـورُ

٤ فَتَـطَلَّقْ مـعَ العَـنـايـةِ إنَّ الـبِشْـ ... ـرَ فـي أكثـرِ الأُمُـورِ بَشِيـرُ

٥ إنَّ فـي الـبِشْـرِ رَوْضَـةً فـإذا كـا ... نَ ببَـذْلٍ فَـروضَـةٌ وغَـدِيـرُ

٦ فـاقسِمِ اللَّحْظَ بيننـا إنَّ فـي اللَّحـ ... ـظِ لَـعُنْـوَانُ مـا يَـجِنُّ الـضَّمِيـرُ!

429

وقال يعاتب عَيّاشاً [من الكامل] :

١ صَـدَفَـتْ لُهَـيَّـا قَلْبِيَ المُـسْتَـهتـرِ ... فَبقيْـتُ نَهْـبَ صَبـابَـةٍ وتَـذَكُّـرِ

---

(١) [ص] صَغَّر «اللّهو» ثم نَسَبه إلى نفسه، فلولا الإضافةُ إلى «القَلْب» لَقال لُهيَّاى ولُهَيَّاك، قال العَجاج:

★ دارُ لُهَيّا قلبِكَ المتيَّم ★

(ع): «لُهَيّا» اسمُ امرأة، وهو تصغير لَهْوَى ولَهْيا، وأضافَه إلى قلبه كما قال الآخر:

نُبِّئْـتُ سَـوْداءُ القُلُـوبِ مَـرِيضـةً ... فـأتيـتُ مـن مصـر لَهـا أعـودُهـا =

٢ غـابَتْ نُجُـومُ السَّعْـدِ يـومَ فِـراقِهـا ... وأسـاءَتِ الأَيّـامُ فيهـا مَـحْضـرِي

٣ فـي كـلِّ يـومٍ فـي فُـؤادِي وَقْـعَـةٌ ... لِـلشَّـوْقِ إلّا أَنَّـهـا لـم تُـذْكَـرِ

٤ أرِنِي حَلِيفـاً للصِّبَا جَـارَى الصِّبَـا ... فـي حَلْبَـةِ الأحـزانِ لـم يَـتـفَـطَّرِ!

٥ أَمَّـا الـذي في جِسْمِـهِ فسَـلِ التي ... هَجَرَتْهُ وهْـوَ مُـواصِـلٌ لـم يَهْجُـرِ

٦ صَفْـرَاءُ صُفْـرَةَ صِحَّـةٍ قَـدْ رَكَّبَتْ ... جُثْمـانَـه في ثَـوْبِ سُقْـمٍ أصفَـرِ

٧ قـتـلَتْـهُ سِـرّاً ثـم قـالَـتْ جَـهْـرةً ... قَـوْلَ الـفـرَزْدَقِ لا بِـظَبْيٍ أعـفَـرِ

= إذا قيل إنَّ «سَوْداءَ القُلوب» اسم امرأة فقد تأوَّل قومٌ البيتَ على أن «سوداءَ القلوب» يُرَاد بها حَبَّةَ القلب، وسائغٌ في الكلامِ أن تقولَ صَدَفَتْ زَيْنبُ قلبِهِ وهَجَرتْ سُعَادُ نفسِه، ومنه قول الغريبيّ:

بـاللهِ يـا ظَبَيـاتِ القَـاعِ قُلْـنَ لنـا ... لَيْلايَ مِنْكـنَّ أم لَيْلَـى مِـنَ البَشَـرِ؟

و«المُسْتَهتر» الذاهِبُ العَقْلِ. ومَن رَوى «صَدَّعتِ لَهْبَى قلبيَ» فروايتُه تصحيف، ويَدلّ على ذلك أنه جاءَ في البيت الثاني بما يدل على أنه يُخبِرُ عن غائب وهو قوله (البيت التالي) وإن كان الخروجُ من إحدى المخاطبتَيْن إلى الأُخرى جائزاً كثيراً فإنه يَقْبُحُ في هذا الموضع. و«اللَّهْب» موضع ضيّق في الجبل، وقيل هو ما استقبلك منه. وقال قوم اللَّهْب مثل السَّقْب وهو موضع إذا أشرفتَ عليه ذَهبَ في الأَرض.

(٥) [ص] يقول سائلْ عن جسمه التي هَجرتْه فإنها أسقَمتْه بالهَجْر. وقد كَشَف هذا المعنى عبدُالله بن العباس بن الفضل وأَخذَه من أبي تمام فقال:

مُعْـرِضٌ مُمْـرِضٌ لِجسمـي وقَلْبـي ... جـاءَني عـائـداً لِيَسْخَـرَ منِّـي

قـال: كيـف أنـتَ، قلـتُ بخيـرٍ ... لا تَسلْنـي وسَـلْ صُـدودَك عنِّـي

(٦) يجوز أن تكون التي شَبَّبَ بها صَفْراءَ لأنَّ الشُّعَراءَ قد يُشبِّبون بالبِيض والسُّود والصُّفْر، وإذا حُمِل على ذلك فلا كلامَ فيه، وإن حُمِل على معنى قول الأعشى:

بَيْضـاءُ ضَحْـوتَهـا وصَفْـ ... ـراءُ العَشِيّـةِ كـالعَـرارَهْ

فهو حَسَن، ويذكرون أن المرأة تَصْفَرُّ في آخر النَّهار، وقيل إنما أرادَ أنها تَطلّى بالطِّيب فتَصفَرُّ مِن الزَّعفران ونحوِه، فأمّا قوله:

عَهْدِي بها في الحَقّ قـد سُـرِبِلَـتْ ... صَفْـراءَ مثـلَ المُهْـرة الضَّـامـرِ

فيحتمل أن يُريد صُفْرَة الخِلْقة، ولا ممتنع مِن المعنَيين الآخرين.

(٧) اكتفي بِعَجُزِ بيتِ الفرزدق لأنه لم يقدر أن يزيد على ذلك من أَجل إقامة الوَزْن، والبيتُ مشهور، =

٨ نَظرَتْ إليهِ فمَا استَنمَّتْ لَحْظَهَا حتَّى تَمنَّتْ أنَّها لم تَنْظرِ
٩ ورأَتْ شُحوباً رَابَها في جِسْمِهِ ماذا يُرِيبُكِ مِنْ جَوادٍ مُضْمَرِ؟!
١٠ غَرَضُ الحَوادِثِ ما تَزالُ مُلِمَّةٌ تَرْمِيهِ عن شَزَنٍ بأُمِّ حَبَوْكَرِ
١١ سَدِكَتْ بهِ الأقْدَارُ حتَّى إنّها لَتكادُ تَفْجَأُهُ بما لم يَقْدُرِ
١٢ ما كَفَّ مِن حَرْبِ الزَّمانِ ورَمْيِهِ بالصَّبْرِ إلاّ أنَّه لم يُنْصَرِ
١٣ ما إنْ يَزالُ بحدِّ حَزْمٍ مُقْبلٍ مُتَوطِّئاً أعقَابَ رِزْقٍ مُدْبِرِ
١٤ العِيسُ تعلمُ أنَّ حَوْباوَاتِها رَيْخٌ إذا بَلَغتْكَ إنْ لم تُنْحَرِ
١٥ كَمْ ظَهْرِ مَرْتٍ مُقفرٍ جاوَزْتُه فحلَلْتُ رَبْعاً مِنكَ ليسَ بِمُقْفِرِ
١٦ بِنَداكَ يُوسَى كُلُّ جُرْحٍ يَعْتَلي رَأْبَ الأُساةِ بِدَرْدَبِيسٍ قِنْطِرِ

= قد رُوِي في شعر الفرزدق ورُوِي لغيره:

أقولُ له لمّا أتاني نَعِيُّه به لا بِظَبْيٍ في الصَّريمة أعفَرا
نعيتَ امرءًا من آل مَيْسانَ كافِراً ككِسْرى على عِداتِه أو كَقَيْصرَا

وهذا المثال يقالُ عند الشَّماتةِ، أي أنه أحقُّ بالهُلْكةِ من ظَبْيٍ أعفر.

(١٠) يقال رماه عن شَزَن أي ناحية، و«أم حَبَوْكر» من أسماء الدّاهية وقيل أم حَبَوْكَرى، واحتجَّ مَن قال ذلك بقول ابن أحمر:

فلما غَسَى لَيْلي وَأيقَنْتُ أنّها هي الأربَى جَاءَتْ بأُمِّ حَبَوْكَرَى

ولا حجة فيه، لأنه يجوز إذا لم يصرف «حبوكر» أن يكون ألحق الألف للترنم.

(١١) ويُروى «بَسأَتْ به» و«عَنَفتْ به»

(١٢) ويُروى «ما كَعَّ» و«ما كاعَ»

(١٤) [ص] «حَوْباوات» جمع حَوْباء وهي النفس، كما يقال حُمْر وحَمْراوات ★ وهو قياس صَحيح إلاَّ أنه قليلُ الاستعمال.

(١٦) «يُوسَى» أي يُداوَى ويُصلَح، و«الأُساة» جمع آسٍ وهو الطبيب، وَ«رأبها» من قولك رأبتُ الشيءَ إذا أصلحتَه، ورأبتُ الإناءَ إذا شعَبْتَ صَدْعَه. و«درْدَبِيس» أي داهية، قال الأفوه.

فانهَلَّ أنْ يَغْدوَ ذَا نَكْبَةٍ جَرّتْ عليها الذَّيْلَ بالدَّرْدَبِيس

وقالوا رجل دَرْدَبِيس أي داهيةٍ، وأنشد أبو عَمْرو الشيباني:

ولَوْ جَرَّبْتَني في ذاكِ يوماً رَضِيتِ وقُلْتِ أنتَ الدَّرْدَبِيسُ =

١٧ جُـودٌ كـجُـودِ الـسَّـيْـلِ إلاّ أنَّ ذا كَـدِرٌ وأنَّ نَـداكَ غَـيْـرُ مُـكَـدَّرِ

١٨ الفِـطْرُ والأضحَى قـدِ انسَلَخـا ولي أمَـلٌ بِبَـابِـكَ صـائمٌ لـم يُفْـطِرِ!

١٩ عـامٌ ولـم يُـنْـتِـجْ نَـدَاكَ وإنَّـمـا تُتَـوقَّـعُ الحُبْلَى لِتسْـعَـةِ أشْهُـرِ!

٢٠ جِشْ لي بِبَحْـرٍ وَاحـدٍ أغـرِقْـكَ في مَـدْحٍ أجِيشُ لـه بِسَبْعَـةِ أبْـحُـرِ

٢١ قَصِّرْ بِبَذْلِـكَ عُمْرَ مطْلِكَ تَحْوِ لي حَمْـداً يُعَمِّـرُ عُمْـرَ سَبْعـةِ أنسُـرِ

٢٢ كَمْ مِنْ كَثِيـرِ البَـذْلِ قَـدْ جازَيْتُـه شُكْـراً بِـأطيَـبَ مِنْ نَـدَاهُ وأكْـثَـرِ

٢٣ شَـرُّ الأوائِـلِ والأواخـرِ ذِمَّـةٌ لم تُصْـطَنَـعْ وصَنِيعـةٌ لم تُـشْكَـرِ

٢٤ لا تُغْضِبَنَّـكَ مُنْهِضَـاتـي إنَّهـا مَذْخُورةٌ لـكَ فـي السِّقـاءِ الأوْفَـرِ

٢٥ أفـدِيكَ مُـورِقَ مَوْعِـدٍ لم يَفْدِني مِـنْ قَـوْلِ بـاغٍ أنَّـهُ لـم يُثْمِـرِ

= وقالوا لِلعجوز دَرْدَبِيسَ لِقلَّةِ المنفعةِ بها فكأنها داهية، قال الراجز:

عُجَيْـزَةٌ لَطْعَـاءُ دَرْدَبِيسُ
جَـاءَتْـكَ فـي شَـوْذَرِهـا تَمِيسُ
أحسـنُ منهـا مَنْظَـراً إبليسُ

(١٨) أراد يومَ الفِطْرِ ويومَ الإضحاء، وكأنَّ «الأضحَى» سُمّي بجمع أضحاه وهي مثل الأضحِيةَ، قال الشاعر [أبو الغول الطهويّ]:

رأيْتُكـمُ بنـي الحَـذْواءِ لَمَّـا دَنَـا الأضْحَـى وصَلَّلَـتِ اللِّحـامُ

فيجوز أن يعني الأضَاحِي أو اليوم الذي سُمّي بها، وأضْحَاةٌ وأضْحًى من باب أستِنَةٍ واستِن وهو شجرة.

(٢٤) يعني «بِمُنْهِضاتي» ما أقولُ مِن القصائد التي تُنهضك إلى بِرّي، ويجوز أن يعني بـ«مُنهضاتي» ما يُنهضني مِن العطايا. وقوله «مَذْخورةٌ لكَ في السِّقاء الأوْفَر» هذا مَثلَ تَستعمله العربُ، يقولون للرجلِ إذا فعلَ شيئاً حَقَنْتَه في السِّقاء الأوفر أي أنك قد وضعتَه في مَوْضَعه واحتفظتَه، قال أوْس بن حَجَر:

إنْ يُمْسِ ظَنّي يا ابـنَ هنـدٍ صـادِقـاً لا تَحْقِنـوهـا فـي السِّقـاءِ الأوْفَـرِ

أي أنتم قتلتم أخاه المُنْذِرَ فكان ذلك شيئاً مذمومَ العاقبة لأنه يغزوكم طالباً بالثأر، وإذا حُمِل على أنه أراد العَطايا فالمعنى أني أشكرها لك فأجازيكَ عنها بالثناء، وإذا قيل إنها القصائد فالمعنى أني أضمِرُ مدحَك، وقد يجوز أن يكون في هذا البيت تهديد بالهجاء ليس بمُصَرَّح.

٢٦ قَدْ كِدْتُ أَنْ أنسى ظِمَاءَ جَوَانِحِي ... مِنْ بُعْدِ شُقَّةِ مَوْرِدِي عَنْ مَصْدرِي
٢٧ وَلِئن أردْتَ لَأَعْذرنَّك مُجْمِلًا ... والعَجْزُ عِنْدِي عُذْر غيْرِ المُعْذِرِ
٢٨ ما إِنْ أَرَاني مادِحاً ومُعاتِباً ... إلّا وقَدْ حَرَّرْتُ فيكَ فحَرِّرِ
٢٩ واعلَمْ بِأَنِّي اليومَ غَرْسُ مَحامدٍ ... تَزكُو فتَجْنِيها غَداً في العَسْكَرِ

430

وقال يُعاتب جعفر بن دينار [من الكامل] :

١ ضَاحَكْنَ مِنْ أَسَفِ الشَّبَابِ المُدْبرِ ... وبَكَيْنَ مِنْ ضَحِكاتِ شَيْبٍ مُقْمِرِ
٢ نَاوَشْنَ خَيْلَ عَزيمَتي بِعَزيمَةٍ ... تَركَتْ بِقَلْبِي وَقْعَةً لم تُنْصَرِ
٣ ولقَدْ بَلَوْنَ خَلائِقي فَوجَدْنَني ... سَمْحَ اليدينِ بِبَذْلِ وُدٍّ مُضْمَرِ
٤ يَعْجَبْنَ منِّي أَنْ سَمَحتُ بِمُهْجَتي ... وكَذاكَ أَعجبُ مِنْ سَماحَةِ جَعْفَرِ
٥ مَلِكٌ إذا الحَاجَاتُ لُذْنَ بِحِقْوِهِ ... صَافَحْنَ كَفَّ نَوالِهِ المُتَيسِّرِ

---

(٢٦) قد تَقدَّمَ أنَّ دُخول «أنْ» بعد «كِدْتُ» ضرورة عند البصريِّين وعند الفرَّاء هو الأصل. والأشبَهُ أن يكون مَدَّ «الظِّماءَ» لأنه تَكَرَّرَ في شِعْره ممدوداً وذلك ردىء لأنه قليل في المستعمل، «ولو رُوِي ظِمْأً جَوَانحي» لكان وجهاً وهو أشدُّ مبالغةً من الرواية الأخرى، وإذا رويتَ «مَوْردي» بالياء فالأحسن أن تروي «مَصْدري» كذلك، وإذا حذفتَ الياء عن «مَوْرد» و«مَصْدر» فهو أقوى في النَّظْم.

(٢٧) يقال أعذرَ فهو مُعْذِر إذا بلغَ العُذرَ، وقرأ بعضُهم «وجاءَ المُعْذِرون من الأعراب». يقول: العَجْزُ عندي أن يعتذرَ الرجلُ من التقصير وهو لم يبلغ العُذْرَ في قضاء الحاجة. ويجوز أن يكون «العُذْر» هاهنا مِن فعل المخاطب وأن يكون من فعل الشاعر أي أن عُذْرى لك وأنت لم تُعْذِر فما أُرِيدُه عَجزٌ مني.

(١) تصحيح العبدي «لَضَحِكْنَ» ويُروى «يَضحكن».

(٢) «ناوَشْنَ» مِن المناوشة وهي أول القتال، واشتقاقُها مِن نُشْتُ الشيءَ إذا تناولتَه، كأَنَّ كلَّ واحدٍ يَنُوش الآخرَ، وهو فعل لا يَقع إلاَّ من اثنين مثل المُضَارَبَة والمُقاتلة.

٦	مَلِكٌ مَفَاتِيحُ الرَّدَى بِشِمالِه	وَيَمِينُهُ إقْلِيدُ قُفْلِ المُعْسِرِ
٧	مَلِكٌ إذا ما الشِّعْرُ حارَ ببلدةٍ	كانَ الدّليلَ لِطَرْفِهِ المُتَحَيِّرِ
٨	يا مَنْ يُبَشِّرُني بأَسْبابِ الغِنى	مِنه بَشائِرُ وَجْهِهِ المُسْتَبْشِرِ
٩	إفْخَرْ بجُودِكَ دُونَ فَخْرِكَ إنَّما	جَدْوَاكَ تَنشُرُ عنكَ ما لم تَنْشُرِ
١٠	إنِّي انتَجعْتُكَ يا أَبا الفَضْلِ الذي	بالجُودِ قَرَّبَ مَوْرِدي مِنْ مَصْدَرِي
١١	عِشْ سالِماً تبني العُلاَ بِيَدِ النَّدَى	حتَّى تكونَ مُناوِئاً لِلْمُشْتَرِي
١٢	إنِّي أَرى ثمرَ المَدائِحِ يانِعاً	وغُصُونَها تهتَزُّ فوقَ العُنْصُرِ
١٣	لَوْلاكَ لم أَخْلَعْ عِنَانَ مَدَائِحي	أَبَداً ولم أَفْتَحْ رِتاجَ تَشكُّرِي
١٤	ولَقَلَّمَا عَبَّيْتُ خَيْلَ مَدَائِحي	إلَّا رَجَعْتُ بِهِنَّ غيرَ مُظَفَّرِ
١٥	أَوَلَم يَكُنْ وَطَني بِأَرْضِكَ والهَوَى	بدِمشْقَ يَرْتَعُ في دِيارِ البُحْتُرِي؟
١٦	وأَعُوذُ باسمِكَ أَنْ تكونَ كعارِضٍ	لا يُرْتَجى وكَنَابِتٍ لم يُثْمِرِ
١٧	واعلَمْ بأَنِّي لم أَقُمْ بكَ فاخِراً	لكَ مادِحاً في مَدْحِهِ لم أُنْذِرِ

431

وقال يُعاتِبُ ابنَ أَبي دُوَاد ويستبطئه وَعْداً له عليه [من الطويل]:

١	رَأَيْتُ العُلاَ مَعْمُورَةً بكَ دَارُها	إِذَا اجتمَعَتْ جأْشاً وَقَرَّ قَرارُها
٢	وكم نَكْبَةٍ ظَلْماءَ تُحْسَبُ لَيْلَةً	تَجلَّى لنا مِنْ رَاحَتَيْكَ نَهارُها
٣	فلا جارُكَ العافي تَناوَلَ مَحْلُها	ولا عِرْضُكَ الوَافي تَناوَلَ عارُها
٤	فلا تُمْكِنَنَّ المَطْلَ مِنْ ذِمَّةِ النَّدَى	فبئسَ أخو الأَيدي الغِرارِ وجَارُها

(٤) رواية (ع) «ولا تُمكِنَنَّ المَطْلَ من رُمَّةِ النَّدى» أَصلُ «الرُّمة» الحبلُ البالي، وهي هاهنا مُرادٌ به الرَّسَن، أي لا تُمكننَّ المَطْل أن يَقتادَ النَّدَى برُمَّته، أي أن يأخذَ جميعَه، لأنهم إذا وهبوا بعيراً أو باعوه افتَقرَ إلى حبلٍ يكون في عُنقه وقلّما يكون ذلك إلاّ حبلاً بالياً، قال الشاعر:

لا تَعذُلينـي فـي العَطـاء ويَسِّـري   لكـلِّ بعيـرٍ جـاءَ طـالبُـه حَبْـلُ

٥ فـإنَّ الأَيَـادِي الصَّـالحـاتِ كِبـارُهـا إذا وَقَعَتْ تَحْتَ المَـطَال صِغَـارُهـا
٦ وما نَفْعُ مَنْ قَدْ ماتَ بالأَمْسِ صَادِيـاً إذا مَا سَماءُ اليـوم طالَ انهِمَـارُها!؟
٧ ومـا العُـرْفُ بـالتَّسْـويفِ إلّا كَخُلَّةٍ تَسلَّيْتَ عنـهـا حيـنَ شَطَّ مَـزَارُهـا
٨ وخَيْـرُ عِـدَاتِ المَـرْءِ مُخْتَصَـراتُهـا كمَـا أَنَّ خَيْـراتِ اللَّيـالي قِصَـارُهـا

432

وقال يُهَنِّىء ويُعاتِب [من البسيط] :

١ إمّـا حَجَجْـتَ فَمَقْبُـولٌ وَمَبْـرُورُ مُوَفَّرُ الحـظِّ مِنْـكَ الذَّنْـبُ مَغْفُـورُ
٢ قَضَيْتَ مِنْ حِجَّـةِ الإسلامِ واجِبَهـا ثُمَّ انصَـرَفْتَ ومِنْـكَ السَّعْيُ مَشْكُـورُ
٣ إلَّا كِتَـابـاً لنـا قـد كُنْتَ جُـدْتَ بـهِ فُضَّ الخِتَـامُ وفَـحْـوَى لَفْـظِهِ زُورُ
٤ فَـتُبْ إلـى اللّهِ مِـنْ تَحـقيـقِ بـاطِلِه فَـأَنْتَ إنْ تُبْتَ عنـدَ اللّهِ مَعْـذُورُ!

433

كان أَبو تَمّام عند الحسنِ بن وَهْب ومعه غُلامٌ رُوميّ ، فأَدمَنَ الحَسَنُ النظرَ إلى الغُلام وبين يَدَيْ الحسنِ غُلامٌ له خَزَريّ، فَفَطِنَ أَبو تمام لإدمانِ الحسن نظرَه إلى الغلام الرُّوميّ فقال [من البسيط] :

١ أَبـا عليٍّ لِصَـرْفِ الـدَّهْـرِ والغِيَـرِ ولِـلْحَـوَادِثِ والأَيَّـامِ والـعِـبَـرِ
٢ أَذْكَـرْتَنِـي أَمـرَ دَاوُدٍ وكـنـتُ فـتـىً مُصَـرَّفَ القَلْبِ في الأَهْـواءِ والفِكَـرِ

---

(٢) هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى لمّا ضرب المثل لداود عليه السلام: «إنَّ هذا أَخي له تِسْعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة» فضربَه الطائي مثلاً لهذا المخاطب في معنًى قد بانَ في أُخرى الأبياتَ.

فلمّا قرأَ الحسنُ الأَبيات بعثَ إلى أَبي تمام الغُلامَ الخزريّ فردَّه وكتبَ معه «لَمكاسِرُ الحسنِ بنِ وهبٍ» القصيدةِ التي تَقدّمت.

٣ إنْ أنتَ لم تَتْرُكِ السَّيْرَ الحَثيثَ إلى ... جـآذِرِ الـرُّومِ أعنَقْنـا إلى الخَـزَرِ!

٤ أعنـدَكَ الشَّمْسُ قد رَاقَتْ مَحـاسِنُهـا ... وأنتَ مُشْتَغِـلُ الأحشـاءِ بـالقَمَـرِ؟!

٥ إنّ النُّفُـورَ لـه عنـدي مَقَـرُّ هَـوىً ... يَحُـلُّ مِنّي محَـلَّ السَّمْـعِ والبَصَـرِ

٦ ورُبّ أمنعَ مِنْـهُ جَـانِبـاً وحِمـىً ... أمسى وتـكَّـتُـهُ مِـنّي عـلى خَـطَرِ

٧ جَـرَّدْتُ فيه جُنـودَ العَـزْمِ فـانكَشَفَتْ ... عنـه غَيـابتُهـا عـن نَيْكـةٍ هَـدَرِ

٨ سُبْحـانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ كُـلُّ جـارِحـةٍ ... مـا فيـكَ مِنْ طَمَحـانِ الأيْـرِ والنَّـظَرِ

٩ أنـتَ المُـقِيـمُ فمـا تَـغْـدو رَوَاحِـلُهُ ... وأيْـرُه أبـداً مِـنـه عـلى سَـفَـرِ!

قافية الضّاد

434

وقال يُعاتِب عَيّاشَ بنَ لَهيعة [من البسيط] :

١	ذُلُّ السُّؤالِ شَجىً في الحَلْقِ مُعْتَرِضُ	مِنْ دُونِـهِ شَـرَقٌ مِنْ خَلْفِـهِ جَـرَضُ
٢	مـا ماءُ كَفِّـكَ إنْ جـادَتْ وإنْ بَخِلَتْ	مِنْ مَـاءِ وَجْهِي إذا أَفْنَيْتُـه عِـوَضُ
٣	أَرَى أُمُـورَكَ مَـوْطُـوآتُـهـا رَمَضٌ	إذا سُلِكْنَ ومَـمْهُـورَاتُـهـا فُـضُضُ
٤	إنِّي بِـأَيْسَـرِ مـا أُدْنِيتُ مُنْبَسِـطٌ	كمـا بِـأَيْسَـرِ مـا أُقْصِيتُ مُنْقَبِضُ
٥	أَجْرِ الفِـراسَـةَ مِنْ قَـرْني إلى قَـدَمي	ومَـشْهَـا حـيثُ لا عُـثْـرٌ ولا دَحَضُ
٦	تُنْبِئْـكَ أَنِّـيَ لا هَيَّـابَـةٌ وَرِعٌ	عن الخُـطُوبِ ولا جَثَّامَـةٌ حَـرَضُ
٧	مَنْ أَشْتَكي وإلى مَنْ أعتَـزِي ونَـدَى	مَنْ أَجْتَدِي كلُّ أَمري فيكَ مُنْتَقِضُ؟
٨	مَـودَّةٌ ذَهَـبَـتْ أَثْـمـارُهـا شُـبَـهٌ	وهِمَّـةٌ جَـوْهَـرٌ مَعْـرُوفُهـا عَـرَضُ
٩	أَظـنُّ عنـدَكَ أَقـوامـاً وأَحـسَبُـهُـمْ	لم يَـأْتَلُوا فيّ ما أعـدُوا ومـا رَكَضُـوا
١٠	يـرمُـونني بِعُيـونٍ حَشْـوُهـا شَـرَرٌ	نَـواطِقٌ عن قُلُوبٍ حَشْـوُهـا مَـرَضُ
١١	لَـوْلا صُبـابَـةُ عِـرْضِي وانتـظارُ غَـدٍ	والكَـظْمُ حَتْمٌ عليَّ الـدَّهْـرَ مُفْتَـرِضُ
١٢	لَمَـا فَكَكْتُ رِقابَ الشِّعْـرِ عن فِكَري	ولا رِقَـابَـهُـمُ إلّا وهُـمْ حُـيُضُ!
١٣	أَصبَحْتُ يَـرْمي نَبـاهَـاتي بِخَـامِلِه	مَـنْ كُـلُّه لِنِبـالـي كـلُّهـا غَـرَضُ

(٩) أي يغتابوني عندك. يُعرّض بابن الأعرابي.

قافية الفاء

435

وقال [من الخفيف] :

١ وأخٍ أملَى عليهِ اختِلاطُ الدَّ ... هرِ طُولَ التَّقْلِيبِ والتَّصْرِيفِ

٢ أَصْلَحَتْهُ ليَ المُرُوءَةُ حتَّى ... أفسَدَتْهُ استِطَالَةُ المَعْروفِ

٣ بَغَّضَتْهُ الأيَّامُ مَدْحي فأعْفَى ... شُكْرِيَ الجَزْلُ مِنْ نَداهُ الطَّفِيفِ!

٤ ليسَ جَدْعُ الأُنُوفِ جَدْعاً ولكنْ ... بَعْضُ مَنْ نَصْطَفِيهِ جَدْعُ الأُنُوفِ؟

٥ لَوْ بِأسْدِ العَرِيفِ نِيطَتْ عُرَى المَنِّ (م) لَذَلَّتْ رِقابُ أُسْدِ العَرِيفِ!

٦ وَطَرِي في فُجَاءَةِ الرِدِّ ما يَعْـ ... لَمُ مِنْ هِمَّةٍ وَنَفْسٍ عَزُوفِ

٧ ضِئْضِئي مِنْ بَني عَدِيّ بن عَمْرٍو ... غيرَ أَنّي في مِثْلِها مِنْ ثَقِيفِ

---

(٣) (س): « نَقَصتْه الأيام ». (ع): « بَغَّضته الأيام » ثم قال: المعروف من الكلام أن يقال أبغضَ فلان كذا ولا يقال بَغَضَ، فأمّا قولُهم بَغِيض في اسم الرجل وفي الوصف فليس هو [فَعِيلا] معدولاً عن [مفعول] وإنما هو مِن بَغُضَ فهو بَغِيض مثل ظَرُفَ فهو ظريف وكَرُمَ فهو كريم، ولا يمتنع أن يكون [فَعِيلاً] في معنى [مُفْعَل] مثل أسلمتُه فهو مُسْلَم وسليم وأعتقتُه فهو مُعْتَق وعَتِيق. وحدُّ هذا الكلام أن يكون بَغَّضتِ الأيامُ مدحي إليه، وطَرْحُ الحروفِ الجارّة كثير.

(٦)، (٧) هذان البيتان يُختلف في روايتهما وإذا ثبتا على ما صُوّر فقوله « وطَرِي » من الوَطَر الذي هو الحاجة المتعلقة بها نفسُ الإنسان، يقال قَضَى وَطرَه أي أربَه الذي كان مُولعاً به و« فجاءَة الردّ » يعني بها ما فَجئَه من ردّ الممدوح. وفي بعض النسخ « من فجاءَة الوُدّ » ويجوز أن تكون تصحيفاً، إلاَّ أن يُحمَل على وجهٍ يُحتَمل أن يكون خَطرَ للطائي على سَعة معرفتِه، وذلك أنَّ الفُجاءَة السُّلميّ رجلٌ ارتدَّ عن الإسلام في زمان أبي بكر فأُحرق بالنار، فيريد على هذا أنَّ الودّ الذي كان بيننا =

٨ لا تَتِهْ إنْ أطالَ هَزُّكَ مَدْحي واعذِرَنْ لستَ بعدَها مِنْ سُيُوفي!

436

وقال يُعاتِب عياشاً [من الكامل] :

١ نَسَجَ المَشِيبُ له لَفَاعاً مُغْدَفا يَقَقاً فَقَنَّعَ مِذْرَوَيْهِ ونَصَّفا

= حُرّقَ كما حُرّق الفُجاءة، ووطري إذْ أفعلُ ذلك محافظتي على ضِنْئِضئي من بني عَدِيّ بن عمرو، و« الضِّئْضِيءُ » الأصل.

وقوله « في مثلها من ثقيفِ» هذا اللفظُ يُوجب أن يكون الممدوحُ ثَقَفيًّا. أي أنى مِن طيّ وأنا مِن ثَقِيفٍ في مِثْلها، أي هم يَبَرّونني ويُلْطفونني فكأنهم قَوْمي، كقول الآخر « حتى حَسِبْتُهم أهلي».

وفي بعض النسخ: « غير أني في مثل ناسِ ثَقِيفِ» فإذا حُمِل على هذه الراية فهو ذَمٌّ للمخاطب إذا جُعِل من غير ثقيف، لأنهم كانوا يُسبّون في الجاهلية بصيدِ الرَّخِم وغيرِها من بُغاث الطير، يقول أنا من عَديّ بن عَمْرو وهم مِن طيّ وكأني من ثقيف الذين هم يَسُفُّون إلى دَنايا الأمور ويرغبون فيما لا يَرغب فيه سواهم، قال خِدَاش بن زهير:

لَعمرُ أبيكَ لَلحَبْلُ المُغَطّى أمامَ الحيِّ لِلرَّخَمِ الوُقُوعِ
أخَفَّ على رجالِكُمُ مِراساً مِنَ الأبطالِ تَرْفُلُ في الدُّروعِ
إذا اصطادوا بُغاثاً شَيَّطوه فكانَ فِداءَ شاتِهِم القَروعِ!

إذا قَرَعها الفحْل ـ وقال آخر:

لِلهِ أيُّ فَتًى وفارسِ بُهْمَةٍ قَتلَتْ بَنُو مُتَصَيِّدِ البُغْثانِ!

وقد رُوِي « ضَمْضَمٌ مِنْ بني عَدِيٍّ بن عمروٍ » فهذا يَصِحُّ إنْ كان في نسب الطائي رجلٌ يقال له ضَمْضَم، وقد أثبتَ بعضُ النسّابين له نَسَباً، ويجوز أن يكون مُفتَعلاً، لا أنَّ أبا تَمّام وَضَعَه ولكنه وُضِع من بعده لِيُتسَوَّق به، وليس عليه نَقِيصةٌ إذا كان لا يحفظ أسماءَ مَن بينه وبين جَدِّه الأكبر من الناس، وليس في النَّسب الذي وُضِع له ضَمْضَم.

(١) « اللّفاع » ما يُلتَفع به، ويكون لجميع الجَسد، ومَن رَوى « قِناعاً » فهو أشبه بهذا الموضع لأن القِناع يَخصُّ الرأس، و« المُغْدَف » يحتمل كسرَ الدال وفتحَها، والفتحُ أشبه، كما قال عنترة:

إنْ تُغْدِفي دُونى القناعَ فإنني طَبٌّ بأخذِ الفارسِ المُستلئِم

فهذا يَدلُّ على أغْدَفَت القناعَ فهو مُغْدَف أي أرسلَتْه على وجهَها، وإن كسرتَ الدال في بيت =

٢ نَـظَرُ الـزّمـانِ إليـه قَـطَّعَ دُونـهُ نَـظَرَ الشَّقِيقِ تَـحسُّـراً وَتَـلَهُّـفـا

٣ ما اسوَدَّ حتَّى ابيَضَّ كَـالكَرمِ الـذي لم يَـأْنِ حتَّى جِيءَ كَيْمَـا يُقْـطَفـا

٤ لمّـا تَفَـوَّفَتِ الخُـطُوبُ سَـوَادُهـا بِبَيَـاضِهـا عَبِثَـتْ بـهِ فتفـوّفـا

٥ ما كان يَخْطُـرُ قبـل ذا فـي فكـرِهِ فـي البـدرِ قبـل تمـامِـهِ أنْ يكسفـا

٦ يـا ظَبْيَـةَ الجِـزْعِ الـذي بِمُحَجَّـرٍ تَـرْعَى الكِبَـاثَ مُصيفـةً والـعُلَّفـا

= الطائي فحسنٌ، تجعل الفعَلَ للقاع أو للقناع، و« اليقق » الأبيض يقال يَقَق ويَقِق، وإذا كسرتَ القاف فهو من الشّواذ لأن حقَّ مثل هذا أن يُدْغَم إذا كُسِر فيقال يَقٌّ، وقد حَكَى سيبويه قوم ضَفِفوا الحال. و« المِذْرَوان » جانبا الرأس، وتُستعار هذه الكلمة في طَرَفيْ القوْس وفي طَرفيّ أليتي الإنسان، قال عنترة:

أحَـوْلـى تَنْفُـضُ استُـكَ مِـذْرَوَيْهـا لِتقْتُلَنـي فهـا أنـا ذا عِمـارا؟!

وقال أُميّة بن أبي عائذ الهُذَلي:

علـى عُجُس هَتّـافـةِ المِـذْرَوَيْـن زَوْراءَ مُضْجَعَـةٍ فـي الشّمـالِ

و« نَصَّفَ » بلغَ النِّصْف، ويجوز أن يكون مِن « النَّصيف » وهو الخمار الذي جَعَل له نَصِيفاً من الشيب.

(٢) العامة يقولون نظرَ إليهم الزمنُ إذا فعلَ بهم فِعْلاً قبيحاً، وقد استعملوا ذلك في العصر القديم حتى قال الحَكَميّ:

★ فعسَى تَرَى دَهْرِي وليسَ يَرَاني ★

وإنما هو اصطلاحٌ من العامّة لأن النظرَ إلى الإنسان مِمّن هو فوقَه جائزٌ أن يَجلِبَ إليه خيراً أو شرًّا، والمعنى أنّ الزّمنَ لمّا نظرَ إليه قطع دونه نظر الشقيق أي جعله إذا أراد أن ينظر إليه غَضَّ بصرَه لِفظيع ما يَراه وهو مشغول بالتحسّر والتأسُّفِ أن يَكِرَّ إليه النظرَ.

(٣) وصَفَ إسراعَ الشَّيْب إليه، يقول: ما اسوَدَّ شَعْري إلاّ والشَّيْبُ قد نَزلَ به فكان مَثَلُه مثلَ الكَرْمِ الذي لمّا اسودَّ ثَمَرُه آن وقتُ قِطافِه، ويُؤمىء بذلك إلى الموت.

(٤) يقول: كانت الخُطوبُ بِيضاً في أول الزمان، فلمّا صارت تجيء سُوداً كأنها باللّونين مُتَفَوِّفة أدّى ذلك إلى تَفَوّفِ شَعْري أي حُدوث البياض فيه. ويُروى « عَبِثَتْ به » من العَبَث و« عُنِيَتْ به » من عُنِيتُ بالأمر، و« العَبَثُ » أحسنُ في هذا الموضع وكلاهما وجهٌ جَيِّد.

(٦) « الكِباث » من ثَمَرِ الأَراك، و« العُلَّف » من أثمار العَضاه، وذكرَ بعضهُم أنه ثَمَر العَرْفط، وقد ذكر أبو زيد أنَّ العُلَّفَ ضَرْبٌ من الشجر، ولا يمتنع أن يُسمّى الشجر باسم الثَّمر والثمرُ باسم الشجر، كما يقال زيتون وتين فيقَع ذلك على الثمر والشجر، قال جِرانُ العَوْد: =

٧ تَـقْـرُو بـأَسْفَـلِهِ رُبُـولاً غَـضَّـةً   وتَقِيـلُ أعـلاه كِنـاسـاً أَجْـوَفـا
٨ أَتْبعْـتَ قَلْبـي لَـوْعَـةً كـانَتْ أَسـىً   تَبِعَتْ أمـاني منـكَ كـانَتْ زُخْـرُفـا
٩ كَمْ مِنْ شَمَـاتَـةِ حـاسِـدٍ إِنْ أنتَ لم   تُخْلِفْ رَجـاءَ المُـرْتَجِي أَنْ تُخْلِفـا
١٠ لا تَـنْسَ تِسْعَـةَ أشهُـرٍ أَنْضَيْتُهـا   دَأْبـاً وأَنْـضَـتْـنِـي إلـيـكَ ونَـيِّـفـا
١١ بِقَصَـائِـدٍ لم يُـرْوِ بَحْـرُكَ وِرْدَهـا   ولـو الصَّفـا ورَدَتْ لَفَجَّـرَتِ الصَّفـا!
١٢ لـلَّـهِ أيُّ وَسِـيـلَـةٍ فـي أَوَّلٍ   أَقـوَى ولـكنْ آخِـراً مـا أَضْـعَفـا!
١٣ إنّي أخـافُ بِلَحْـظَتي عُقْبَـاكَ أَنْ   تُـدْعَى المَـطُولَ وأَنْ أُسَمَّى المُلْحِفا
١٤ قَـدْ كـانَ أَصغـرَ هِمَّتِي مُسْتَصْغِـراً   عِظَمَ الرَّبيـعِ فصِرْتُ أَرضَى الصَّيِّفـا

= وهُــنَّ جُنُــوحٌ مُصْغِيــاتٌ كــأَنَّمــا   بَــراهُــنَّ مِــنْ جَــذْبِ الأَزِمَّــةِ عُلَّــفُ

و« المُصِيفة » التي دَخلَتْ في الصَّيْف، قال لبيد:

لـيـالـيَ تحـتَ الخِـدْر ثِنْـيَ مُصِيفَـةٌ   بجُـؤْذرهـا تَقـرو الشُّـروجَ القَـوَابِلا

(٧) ويُروَى « كِناساً فَوْلفا » و« تَقْرو » تَتَتَبَّع، و« رُبُول » جمع رَبْل وهو ورَق يتفطَّر به الشجرُ إذا بَردَ عليه الليل في آخر الصيف، و« الكِناس » مَرْبِضُ الظبية، و« الفَوْلَف » أصلُه صِوَانٌ تُصان به الثِّياب. يقول: هذه الظبيةُ في كِناس وفوقَ الكِناس ورَقٌ يَصُونها عن الشمس.

(٩) [ص] كأَنَّ الحاسدَ يرجو أن تُخلِفَ الوعدَ فتُذَمَّ وتُهْجَرَ، يقول: فكم شامتٍ إن أنت لم تُخلف رجاءَ الحاسِد.

(١٢) هذا كلامٌ فيه معنى تَعجُّب، كأنه قال أيُّ وسيلة في أَوَّلٍ ما أقواها، فيجوز أن يكون « أقوَى » هاهنا على معنى ما أقوَى وحذف « ما » لأنَّ المعنى دَالٌّ عليها بقوله في آخر البيت « ما أضعفا » ويكون حَذْفُ « ما » هاهنا كحذفِ « لا » في القَسَم إذا قلتَ واللهِ أفعلُ أي لا أفعلُ، كما قال:

آآكلُهـــا وأتـــركُ عِـــرْسَ جـــاري   فلا واللهِ أفعـــلُ مـــا حَيِيـــتُ

ويُحتَمل أن يُراد أيُّ وسيلةٍ أقوى مِن هذه الوسيلة في أوّل أمره، فيكون موضع « أقوى » رفعاً كما تقول أيُّ رجلٍ أفضلُ من فلان، فـ« أقوى » هاهنا اسم وفي الوجه الأوّل فِعْلٌ.

(١٤) في النسخ « مُستغرقاً » يقول: كُنت أرجو جُوداً مُعَجَّلاً يكون في الرّبيع فصرتُ آمَلُ مطَرَ الصّيف وهو الذي يُدْعَى الصيِّف، والأحسنُ أن يُجْعل « الرَّبيع » هاهنا في معنى الربيع الأول، وهو الذي يُسمِّيه الناس الخريف، وهو أحسنُ من أن يُجعل الربيعَ الثاني إذْ كانتِ المدّةُ مُتراخِيةً بين الرّبيع الأوّل وبين الصيف، والربيع الثاني ليس كذلك.

١٥ هَبَّتْ رِيـاحُـكَ لي جَنُـوبـاً سَهْـوَةً حتى إذا أَوْرَقْتُ عـادتْ حَـرْجَفـا

١٦ إنْ أَنتَ لم تُـفْضِـلْ ولـم تَـرَ أَنَّني أهـلٌ لـه فَـأَنـا أَرَى أَنْ تُـنْصِفـا

١٧ مـا عُـذْرُ مَنْ كـانَ النَّـوَالُ مُـطِيعَـه والـطبـعُ مِنـه أَنْ يَـراه تكَـلُّفَـا؟!

١٨ أَسْـرَفْتَ في مَنْعِي وعـادَتْـكَ التي مَنَعتْ عِنـانَـكَ أَنْ تَجُـودَ فَتُسْـرِفـا

١٩ اللَّهُ جَـارُكَ أَنْ تَـحُـولَ وأَنْ يَـهِـي مـا سَلَّفَ التـأْميـلُ فيـكَ وخَلَّفـا

٢٠ لا تَصْـرِفَنَّ نَـدَاكَ عَـمَّنْ لـم يَـدَعْ لِلْقَـوْلِ فيكَ إلى سِـوَاكَ تَصَـرُّفـا

٢١ ثَقِّفْ فَتِيَّ الـجُـودِ تَلْقَ قَـصَـائِـداً لاقَتْ أَوابِـدُهُـنَّ فيـكَ مُـثـقَّـفـا

٢٢ لا تَـرْضَ ذَاكَ فَـتُسْـخِـطَنَّ أَوابـداً هَـزَّتْـكَ إلَّا أَنْ تُصِيبَـكَ مُـرْهَفـا

٢٣ أَفْـنِ التَّظَنُّـنَ بـالتَّيَقُّـنِ إنَّـه لم يَفْنَ مـا أَبْقَى الثَّنـاءَ المُضْعَفـا

٢٤ كم مـاجِـدٍ سَمْـحٍ تَنَـاوَلَ جُـودَه مَـطْلٌ فـأَصْبَـحَ وَجْـهُ نـائِلِهِ قَفَـا!

٢٥ لم آلُ فيـكَ تَـعَسُّـفـاً وتَعَـجْـرُفـاً وتَـأَلُّـقـاً وتَـلَطُّفـاً وتَـظَرُّفـا

٢٦ وأَراكَ تَـدْفَـعُ حُـرْمَتي فلَعَـلَّني ثَـقَّلْتُ غيـرَ مُـؤَنِّب فـأُخَـفِّفـا!؟

(١٥) «رِيحٌ سَهْوَة» أي سَهْلة الهُبوب، وكذلك ناقة سَهْوة أي سَهْلة السَّيْر وجمل سَهْو، وجَرَى الفرسُ أساهِيَّ أي ضُرُوباً من الجَرْي سَهْلة. و«الحَرْجف» ريح صَعْبَة يُقال شِمالٌ حَرْجَف.

(١٦) ويروي «فأقلّها أن تُنصفا».

وقال يُعاتِب ابنَ أبي سعيد يوسفَ بنَ محمد بن يوسف [من الخفيف] :

١ نَطَقَتْ مُقْلَةُ الفَتى المَلْهُوفِ فتَشَكَّتْ بِفَيْضِ دَمْعٍ ذَرُوفِ
٢ تَرجَمَ الدَّمْعُ في صَحائِفِ خَدَّيْـهِ سُطُوراً مُؤَلَّفاتِ الحُرُوفِ
٣ فَلَئِنْ شَطَّتِ الدِّيارُ وغالَ الدَّهـرُ في آلِفٍ وفي مَأْلُوفِ
٤ وَتَبَدَّلْتُ بالبَشاشَةِ حُزْناً بعدَ لَهْوٍ في مَرْبَعٍ وَمَصِيفِ
٥ فَعَزائي بأَنَّ عِرْضِي مَصُونٌ سَائِغُ الوِرْدِ والسَّماحُ حَليفِي
٦ ثُمَّ عِلْمي عَلَى حَداثَةِ سِنِّي بِصُروفِ الدُّهُورِ والتَّصْرِيفِ
٧ راكِبٌ لِلأُمُورِ في حَلْبَةِ الأَيَّا مِ لِلمُنْجِياتِ أَوْ لِلْحُتُوفِ
٨ ذُو اعتِدَاءٍ على ثَراءِ فَتَى الجُودِ الشَّرِيفِ الفَعالِ وابنِ الشَّرِيفِ
٩ ليتَ شعري ماذا يريبُكَ منّي ولقد فُقْتَ فطنةَ الفيلسوفِ
١٠ انتهِزْ فُرْصَةً تَسُرُّك مِنِّي باصطناعِ الخَيْرَاتِ والمَعْرُوفِ
١١ أنا ذُو مَنْطِقٍ شَرِيفٍ لإعطاءٍ وذُو مَنْطِقٍ لِمَنْعٍ عَفيفِ
١٢ ما أُبَالي إذا عَنَتْكَ أُمُوري كيفَ أنحَتْ عليَّ أَيْدي الصُّرُوفِ

قافية القاف

438

وقال : [ذكرَهُ الصُّولي في المعاتبات وحَمْزَة في الهجاءِ] [من الكامل] :

١	وأخٍ بَشِعْتُ بِعُرْفِهِ ومَذَاقِه	ومَلِلْتُ عُنْفَ قِيَادِهِ وسِيَاقِهِ
٢	فَمَنَحْتُهُ بعدَ الوِصَالِ قَطِيعَةً	شَدَّتْ على الزَّفَرَاتِ عِقْدَ نطاقِهِ
٣	فاذهَبْ فكَمْ فَارَقْتُ قبلَكَ صاحباً	عَايَنْتُ شَخْصَ الجَوْرِ في حِمْلاقِهِ
٤	لو مُتَّ لم تَعْدِلْ وفاتُكَ بَغْتَةً	حُلْماً يُخَوِّفُني بيومِ فِراقِهِ
٥	حَشَمُ الصَّدِيقِ عُيُونُهُمْ بَحَّاثَةٌ	لِصَدِيقِهِ عنْ صِدْقِهِ ونِفَاقِهِ
٦	فَلْيَنْظُرَنَّ المَرْءُ مِنْ غِلْمَانِهِ	فَهُمُ خَلائِقُهُ على أخلاقِهِ

قافية الكاف

439

وقال يُعاتِب جميلَ بنَ عبد اللّه الحِمْصي [من الكامل] :

١ أَجَمِيلُ ما لَكَ لا تُجِيبُ أَخاكا ماذا الذي بِاللّهِ أَنتَ دَهَاكا!

٢ أَغِنىً ظَفِرْتَ بهِ فإِنّي في غِنىً مِنْ نِعْمَةِ اللّهِ التي أَعطاكا

٣ بَلْ لا نَسِيتَ - ولا أُلُومُكَ - خُلَّتي ولئن فَعَلْتَ لَحَادِثٌ أنساكا

٤ سَتَلُومُ يوماً سُوءَ رَأْيِكَ إِنّه رَأْيٌ غَوِيٌّ طالَمَا أَرْدَاكا

قافية اللّام

440

قال يُعاتِب أبا سعيد ويَستبطئُه [من الوافر] :

١ شَهِـدْتُ لقَـدْ لَبِسْـتَ أَبـا سعيـدٍ ... مَكـارِمَ تَبْهَـرُ الشَّـرَفَ الـطُّوَالا

٢ إذا حَـرَّ الـزمـانُ حرتْ أَيـادي ... نَـدَاهُ فَـغَشَّـتِ الـدُّنيـا ظِـلَالا

٣ وإنْ نَـفْسُ امـرىءٍ دَقَّـتْ رَأَيْـنـا ... بِعَـرْصَـةِ جُـودِهِ كَـرَمـاً جُـلالا

٤ وقَـاكَ الـخَـطْبَ قَـوْمٌ لم يَمُـدُّوا ... يَـمِيـنـاً لِلفِـعـالِ ولا شِمَـالا

٥ أَحِينَ رَفَعْتَ مِنْ نَـظَرِي وعـادَتْ ... حُـوَيْلي في ذَرَاكَ الـرَّحْبِ حَـالا؟

٦ وَحَـفَّتْ بـي العَشَـائِـرُ والأَقَـاصي ... عِيـالاً لـي وكـنتُ لـهمْ عِيـالا؟

٧ فَقَـدْ أَصْبَحْـتُ أَكـثَـرَهُـمْ عَـطاءً ... وقبـلَكَ كـنتُ أَكـثَـرَهُـمْ سُـؤَالا

٨ إذا شَـفَعُـوا إلـيَّ فـلا خُـدُوداً ... يَـقُـونَ مِـنَ الـهَـوانِ ولا نِـعَـالا

٩ أَتَعْتِـعُ في الحَـوائِـجِ إنْ خِفـافـاً ... غَـدَوْتُ بِـهـا علـيـكَ وإنْ ثِـقَـالا

١٠ إذا مـا الحـاجـةُ انبَعَثَتْ يَـدَاهـا ... جَعَلْتَ المَنْـعَ مِـنْـكَ لهـا عِـقَـالا

١١ فَـأَيْنَ قَصـائِـدٌ لـي فيـكَ تَـأْبَى ... وتـأْنَـفُ أَنْ أُهَـانَ وأَنْ أُذَالا؟

١٢ مِنَ السِّحْـرِ الحَـلالِ لِمُجْتَنِيـهِ ... ولـم أَرَ قبـلَهـا سِـحْـراً حَـلالا

١٣ فَلا يَكْـدُرْ غَـدِيـرُكَ لـي فـإنِّـي ... أُمُـدُّ إلـيـكَ آمـالاً طِـوَالا

١٤ وَفِـرْ جاهِي عليـكَ فـإنَّ جَـاهـاً ... إذا مـا غَـبَّ يـومـاً صـارَ مـالا

441

وقال يُعاتِبُ أبا علي مُوسَى القُمِّي في نَبيذٍ أهدَاه إليه [من الخفيف] :

١ قَـدْ عَـرَفْنَـا دَلائِـلَ المَنْـعِ أَوْ مـا ... يُشْبِـهُ المَنْـعَ بـاحتِبَـاسِ الرَّسُـولِ

٢ وافتَضَحْنَا عندَ الزَّبيبِ بِما صَحَّ (م) لَـدَيْـهِ مِنْ قُبْـحِ وَجْـهِ الشَّمُـولِ

٣ فَـاجَـأَتْنَـا كَـدْرَاءُ لم تُسْبَ مِنْ تَسْـ (م) ـنيمِ جِـرِيَـالِهـا ولا سَلْسَبِيـلِ

٤ مِنْ عُقَـارٍ لا ريحُهـا نَفْحـةُ المِسْـ ... ـكِ ولا خَـدُّهـا بِـخَـدٍّ أَسِيـلِ

٥ لا تَهَـدَّى سُبْلَ العُـرُوقِ ولا تَنسَـلُّ (م) فـي مِـفْـصَـلٍ بِغَـيْـرِ دَلِيـلِ

٦ وهْيَ نَزْرٌ لَوْ أنَّها مِنْ دُمُوعِ الصَّـبِّ (م) لم تَـشْـفِ مِنـه حَـرَّ الـغَـلِيـلِ

٧ وكـأَنَّ الأَنَـامِـلَ اعـتَـصَـرَتْـهـا ... بعـدَ كَـدٍّ مِنْ مَـاءِ وَجْـهِ البَخِيـلِ !

٨ احـتِسَـابـاً بَـذَلْـتَـهـا أَمْ تَـصـدَّقْـ ... ـتَ بِهـا رَحْمَـةً على ابنِ السَّبيـلِ ؟!

٩ قَـدْ كَتَبْنَـا لـكَ الأَمَـانَ فمـا تُسـ ... ـأَلُهـا عُمْـرَ ذا الـزَّمَـانِ الـطَّوِيـلِ

١٠ كَـمْ مُعَـطًّى قـدِ اختَبَـرْنَـا نَـدَاهُ ... واعـتَبَـرْنَـا كَـثيـرَهُ بِـالـقَلِيـلِ !

442

وقال يُعاتِبُ أبا دُلفَ في بَذْلِ مالِهِ وتَقْطِيبِه في وَجْهِه [من الكامل]:

١ عَجَبٌ لَعَمْـرُكَ أنَّ وَجْهَـكَ مُعْـرِضٌ ... عنِّي وأنْتَ بِـوَجْـهِ فِعْلِكَ مُقْبِـلُ ؟!

٢ بِـرٌّ بَـدَأْتَ بـهِ ودَارٌ بـابُـهـا ... لِلخَلْقِ مَـفْتُـوحٌ وَوَجْـهُـكَ مُـقْـفَـلُ

٣ أوَ لا تـرى أنَّ الـطلاقـة جُـنَّـة ... مِن سُـوءِ مـا تجني الـظنونُ ومُعقِـلُ

٤ حَلْيُ الصَّنيعَـةِ أنْ يكـونَ لِـرَبِّـهـا ... لَـفْظٌ لـه زَجِـلٌ وَطَـرْفٌ قُـلْـقُـلُ

٥ ومَـوَدَّةٌ مَـطْوِيَّـةٌ مَـنْشُـورَةٌ ... فيـهـا إلـى إنجـاحِـهـا مَـتَعَـلِّلُ

٦ إنْ تُعْطِ وَجْهـاً كـاسِفـاً مِنْ تَحتـه ... كَـرَمٌ وحِـلْمٌ خَـلِيـقَـةٍ لا تُـجْـهَـلُ

٧ فَلَـرُبَّ سـارِيَـةٍ عليـكَ مَطِيـرة ... قَـدْ جـادَ عـارِضُهـا ومـا يَتَهَلَّـلُ !

وقال يُعاتِبُ مُوسَى بنَ إبراهيم الرَّافِقي في ضَنِّه عليه بجاهه [من الطويل] :

١ إنِّي لأستحيي يَقِينيَ أنْ يُرَى ... لِشَكِّيَ في شيءٍ عليهِ سَبِيلُ

٢ وما زَالَ لي عِلْمٌ إذا ما نَصَصْتُهُ ... كَثيرٌ بأنَّ الظَّرْفَ فيكَ قليلُ

٣ وإنْ يَكُ عَدًّا عن سِوَاكَ إلَيكَ بي ... رَحِيلٌ فلي في الأرض عنكَ رَحيلُ

٤ أَبى الحَزْمُ لي مَكْثاً بِدَارِ مَضِيعةٍ ... وعَنْسٌ أبُوها شَدْقَمٌ وجَدِيلُ

٥ أبعدَ التي ما بعدَها مُتَلوِّمٌ ... عليكَ لِحُرٍّ قُلْتَ أنتَ جَهُولُ؟!

٦ سَأَقْطَعُ أرسانَ العِتابِ بِمَنْطِقٍ ... قصيرُ عناءِ الفكرِ فيه طويلُ

٧ وإنّ امرءاً ضَنَّتْ يداه على امرئ ... بنَيْلِ يدٍ من غيرِهِ لَبخيلُ

قافية الميم

444

وقال لأحمد بن أبي دُوَاد [من الكامل]:

١ إعلَمْ وأنتَ المَرْءُ غيرَ مُعَلَّمِ ... وافهَمْ جُعِلتُ فِداكَ غيرَ مُفَهَّمِ

٢ أنَّ اصطنَاعَ العُرْفِ ما لم تُولِه ... مُسْتَكْمِلًا كالبُرْدِ مَا لَمْ يُعْلَمِ

٣ والشُّكْرُ ما لم تَسْتَتِرْ بِصَنِيعه ... كالخَطِّ تَقْرَأهُ وليسَ بِمُعْجَمِ

٤ وتَفنُّني في القَوْلِ إكثَارٌ وقَدْ ... أسرَجْتَ في كَرَمِ الفَعالِ فألْجِمِ!

445

وقال يُعاتِبُ الحسن بن وَهْب [من البسيط]:

١ لا يُحْمَدُ السَّجْلُ حتَّى يُحكَمَ الوَذَمُ ... ولا تُرَبُّ بغيرِ الواصِلِ النِّعَمُ

٢ وفي الجَواهرِ أشبَاهٌ مُشَاكِلَةٌ ... وليسَ تَمْتَزِجُ الأنوَارُ والظُّلَمُ

٣ ورُبَّ خطْبٍ رَمَى إلفَيْنِ فانصَدَعا ... عَنِ المَودَّةِ والأسبَاب تلْتَئِمُ

٤ يَصُورُ قَلْبَيهما عَهْدٌ يُجَدِّدُه ... طُولُ الزَّمانِ ولا يغتالُه القِدَمُ

٥ ذَمَّا العُقُوقَ ورَدَّا فَضْلَ حِلْمِهما ... ورَاجَعا الوَصْلَ واستَثْناهما الكَرَمُ

٦ كُنَّا وكنتَ على عَهْدٍ مَضَى سلَفاً ... وفي عَواقبِ حالِ القَاطِعِ النَّدَمُ

---

(١) [ص] أي لا تَدوم نِعَمٌ لمن لم يَصِل رَحِمَه. خاطبَه بهذا لأنه عندَه ابنُ عمٍّ له على اليمانية.

٧ لنا قريبانِ في قَلْبينِ ردَّهما — إلى الصَّفاءِ هَوًى بادٍ ومُكْتَتَمُ
٨ حتَّى إذا لم نَخَفْ نَقضَ الهوَى وصَفَتْ — لنا المَودَّةُ حتَّى ماؤُها سَجِمُ
٩ ونحنُ في كَنَفَي حالٍ مُساعِدَةٍ — كلٌّ على صَبْوةِ العُشّاقِ مُعْتَزِمُ
١٠ كوارِدِ الخِمْسِ شَهْرَ القَيْظِ جادَ له — حِسْيٌ ومَدَّ عليهِ ظِلَّه السَّلَمُ
١١ ألهتْكَ عَنْ حاجةٍ ضَيَّعْتَ حُرْمتَها — ولايَةٌ وَدَواعِي النَّفْس تُتَّهَمُ!
١٢ أحِينَ قُمْتَ مِنَ الأيَّامِ في كَبِدٍ — كما أنارَ بِنَارِ المُوقِدِ العَلَمُ
١٣ أنشبْتَ نَفْسَكَ في ظَلْماءَ مُسْدِفَةٍ — وأفسَدَتْكَ على إخوانِكَ النِّعَمُ؟!
١٤ دُنْيا ولكنّها دُنيا ستنصَرِمُ — وآخِرُ الحَيَوانِ المَوْتُ والهَرَمُ!

446

وقال يُعاتب محمدَ بن سعيد كاتبَ الحسنِ بن سَهْل [من البسيط] :

١ مُحَمّدَ بنَ سَعيدٍ أَرْعِني أُذُناً — فما بأُذْنِكَ عَنْ أُكرومةٍ صَمَمُ
٢ لم تُسْقَ بعدَ الهَوى ماءً على ظَمَأٍ — كَماءِ قافِيةٍ يَسْقِيكَها فَهِمُ
٣ مِنْ كل بيتٍ يَكادُ المَيْتُ يفهمُه — حُسْناً ويحسُدُه القِرطاسُ والقَلَمُ
٤ مالي ومالَكَ شِبْهٌ حينَ أُنشِدُه — إلَّا زُهَيْرٌ وقَدْ أصغَى له هَرِمُ
٥ بكُلِّ سالِكةٍ للفِكْرِ مالِكَةٍ — كأنَّهُ مُسْتَهامٌ أَوْ بهِ لَمَمُ
٦ لآلِ سَهْلٍ أكُفٌّ كُلَّما اجتُدِيَتْ — فَعَلْنَ في المَحْلِ ما لا تَفعلُ الدِّيَمُ
٧ قَوْمٌ تراهُمْ غَيارَى دُونَ مَجْدِهِمُ — حتى كأنَّ المَعالي عِنْدَهمْ حُرَمُ
٨ إنَّ الزَّمانَ انثنَى عنّي بِغُمَّتِه — وصَدْرُ حَسرتِهِ يَغلي ويَضطَرِمُ
٩ ما زالَ يَخضَعُ مُذْ أورقْتَ لي عِدَةً — فكيفَ يَصنعُ لو قد أثمرتْ « نَعَمُ »؟
١٠ فأيقظِ الفِعْلَ يَقْضِ القَوْلُ نَوْمَتَهُ — وقد حَكَى سُوءُ ظَنٍّ أنَّ ذا حُلُمُ!
١١ ولا تَقُلْ قِدَمٌ أزرَى بحاجتِه — ليسَ العُلا طَللاً يُزرِي بهِ القِدَمُ!

447

وقال في عبيد اللّه بن البَرَّاء الطائي [من البسيط] :

١ شِعْبِي وشِعْبُ عُبَيْدِ اللّهِ مُلْتَئِمُ — وكيفَ يَختلِفانِ السَّاقُ والقَدَمُ؟
٢ صَمْصَامَتِي اتهمُوني في صِيانَتِها — هَلْ كَانَ عَمْرٌو على الصَّمصامِ يُتَّهَمُ
٣ سَيْفي الذي حَدُّه مِنْ جَانِبي أبداً — نابٍ ومِنْ جانبِ القَوْمِ العِدَى خَذِمُ
٤ ذُقْنا الصُّدودَ فلمّا اقتَادَ أرْسُنَنَا — حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْننا الرَّحِمُ
٥ سيَعْلَمُ الهَجْرُ أنَّا مِنْ إساءَتِه — وظُلْمِه بالوِصالِ العَذْبِ ننتقِمُ
٦ أمَّا الوُجُوهُ فكانَتْ وهْيَ عابِسَةٌ — أمَّا القلُوبُ فكانَتْ وهْيَ تبتسِمُ
٧ سَعَايَةٌ مِنْ رجالٍ لا طَباخَ بِهِمْ — قالوا بما جَهِلوا فينا وما عَلِموا
٨ سَعَوْا فلمّا تَلاقت وُحْشُنا زَعمَتْ — أخلاقُنا الغُرُّ فِينا غيْرَ ما زَعَموا
٩ فأَرْزَمتْ أنْفُسٌ قد كُنَّ واحِدَةً — لِوالِدٍ واحِدٍ في أنْفِهِ شَمَمُ
١٠ إنَّا خَدَمْنا القِلَى جَهْلاً بِنَا وَعَمًى — فاليَوْمَ نحنُ جميعاً للرِّضا خَدَمُ

448

وقال يُعاتب أبَا القاسم ابنَ الحسنِ بن سَهْل [من الطويل] :

١ أبا القاسِمِ اسْلَمْ في وُفُودٍ مِنَ القِسْمِ — ولا زَالَ مَنْ حارَبتَه دَامِيَ الكَلْمِ
٢ رَأَيْتُكَ تَرْعَى الجُودَ مِنْ كل وِجْهَةٍ — وتَبني بِنَاءَ المَجْدِ في خُطَّةِ النَّجْمِ
٣ وذَا شِيَمٍ سَهْلِيَّةٍ حَسَنِيَّةٍ — رَئِيسيَّةٍ صِيغَتْ مِنَ الجَبْرِ والحَطْمِ
٤ إذا نَوْبَةٌ نابَتْ أدَرْتُ صُروفَها — على الضَّخْمِ آراءً لَدَى الحادثِ الضَّخْمِ

---

(٤) «العَجُول» من الإبل التي فَقدتْ ولدها.

(٣) ويُروى «من البأوِ والبَذْمِ» يعني الوقور، وقيل هي مناقب لهم يكتمونها في نَسَبٍ ادّعاه بعضُهم فقَتله الفضلُ بن سهل عليه.

٥ يَـداكَ لنـا شَهْـرا رَبيعٍ كـلاهُمـا ... إذا جَفَّ أطـرافُ البخيـلِ مِنَ الأزْمِ
٦ ألَـذُّ مُصـافَـاةً مِنَ الـظِّلِّ والضُّحى ... وأكـرَمُ في اللّأوَاءِ عُـوداً مِنَ الكَـرْمِ
٧ فَفِيمَ تَـركْتَ النَّصْفَ في الوُدِّ بعـدمـا ... رَآهُ الوَرَى خَيْراً مِنَ النِّصْفِ في الحُكْمِ؟
٨ أإيَّـايَ جارَى القَـوْمُ في الشِّعْـر ضَلَّةً ... وقد عايَنُوا تلكَ القلائدَ مِنْ نَظْمِي؟!
٩ طَلَعتُ طُلوعَ الشَّمْس في كـل تَلْعـةٍ ... وأشرفْتُ إشرافَ السِّماكِ على الخَصْمِ
١٠ ومـا أنـا بـالغَيْـرانِ مِنْ دُونِ جـارِه ... إذا أنـا لم أُصبحْ غَيُـوراً على العلْمِ
١٢ لَصِيقُ فُؤَادِي مُـذْ ثَـلاثُـونَ حَجَّـةً ... وَصَيْقَـلُ ذهْني والمُـروِّحُ عَنْ هَمِّي
١٣ أبى ذَاكَ صَبْـرٌ لا يَقِيلُ على الأذَى ... فُـواقـاً ونَفْسٌ لا تَمـرَّغُ في الـظُّلْمِ
١٤ وإنِّي إذا مـا الحِلْمُ أحـوَجَ لاحِيـاً ... إلى سَفَـهٍ أفضَلْتُ فَضْلاً على حِلْمي
١٥ تَـظُنُّ ظُنـونَ السُّـوءِ بي إنْ لَقِيتَني ... ولا وَتَـري فيمـا كَـرِهْتَ ولا سَهْمِي
١٦ وتَجْـزَعُ مِنْ مَـزْحِي وَتَـرْضَى قَصِيـدَةً ... وقد أُخْرِجَتْ ألفـاظُها مَخْـرَجَ الشَّتْمِ
١٧ فـإنْ تَـكُ أحيـانـاً شَـدِيـدَ شَكِيمَـةٍ ... فـإنَّكَ تَمحـوها بمـا فيـكَ مِنْ شَكْمِ
١٨ ومـا خَيْـرُ حِلْمٍ لم تَشُبْـه شَـراسَـةٌ ... وما خَيرُ لَحْمٍ لا يكونُ على عَظْمِ؟!
١٩ وهَـلْ غَيْـرُ أخـلاقٍ كِـرامٍ تَكـافـأتْ ... فَمِنْ خُلُقٍ طَلْقٍ ومِـنْ خُلُقٍ جَـهْمِ؟!

---

(٥) «شهرا ربيع» لا يريد بهما اللذين يُذكران في أسماء الشهور بعد صَفَر، وإنما يريد أنهما شهران من الربيع. الذي هو فصل من فصول السنة، واستعار «الجُفُوف» لأطراف البخيل، و«الأزْم» يجوز أن يعني به الشدّة أو العض على البنان، كأنه يأسف إذا وَهبَ شيئاً فيأزِمُ على بنانه.

(١٧) أصل «الشَّكِيمة» حديدةُ اللجام التي تُجعل في فم الفرس، فيقال هو يَلُوك الشَّكِيم، ثم اتُّسِعَ في ذلك فقيل فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس، قال الأسدي:

فـإنَّ عِـراراً إنْ يَكُـنْ ذا شَكِيمَـةٍ ... تُقـاسِينهـا منـه فلا أملِـكُ الشِّيَـمْ

وكأن هذا الشاعر جعل سُوءَ الخُلق شكيمةً، و«الشَّكْم» من قولهم شكمتُه إذا جزيتَه أو عَوضتَه، والمصدر مفتوح الأوّل، والاسم مضموم الشين، قال علقمة:

أمْ هـلْ كبيـرٌ بَكَـى لـم يَقْـضِ عَبْـرتَـه ... إثـرَ الأحبّـةِ يـومَ البَيْـنِ مَشْكُـومُ؟!

وقال آخر:

أبلِـغْ قَتـادَةَ غيـرَ سـائلِـهِ ... جَـزْلَ العَطـاءِ وعـاجِـلَ الشُّكْـمِ

٢٠ نُجـومٌ فـهـذا لـلضِّيَـاءِ إذا بَـدا تجلّى الـدُّجى عنه وذلـكَ لِلرَّجْمِ
٢١ فـإنْ لم تَـطِيبَـا لي جَمِيعاً فـإنَّـه نَهى عُمَـرٌ عَنْ أكْلِ أُدمَيْنِ في أدْمِ!

449

وقال [من الكامل]:

١ لَـوْلا القَـدِيمُ وحُـرْمَـةٌ مَـرْعِيَّـةٌ لـقَـطعتُ مـا بَيْني وبَيْـنَ هِشَـامِ
٢ لا حُـرْمَـةَ الأدبِ القَـدِيم يَحُـوطُهـا وأراهُ يَـجْـهَـلُ حُـرْمَـةَ الإسـلامِ
٣ فـكـأنَّـمـا كـانَـتْ مَـودَّتُـنـا لـه وإخـاؤنـا حُـلْمـاً مِـنَ الأحـلامِ
٤ وتَـصَـرُّفُ الإخـوانِ إنْ كَشَّـفتَـهُـمْ يُـنْسِيـكَ طُـولَ تصـرُّفِ الأيَّـامِ!

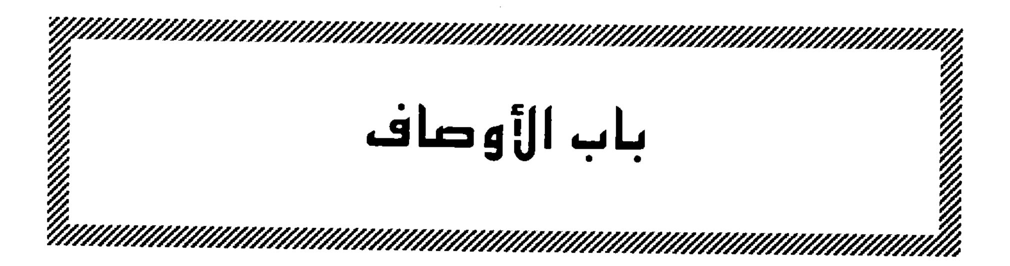
450

وقال [من السريع]:

١ رَسُـولُـكَ الـخَـطِّيُّ يـومَ الـوَغَى تُـرْدِفُـه بـالأبـيضِ الـصَّـارِمِ
٢ مَـنْ نَـامَ عـن مَـكْـرُمَـةٍ عـامِـداً فلستَ عـنهـا الـدهـرَ بـالـنَّـائِمِ
٣ لـم يُـرَ فـي عِتْـرَتِـهِ مِثْلُـهُ أنـصَـفَ لِـلمَـظلُومِ مِنْ ظـالِـمِ
٤ لـكـنَّـه يَـمـطُلُ حقّـاً مَـضَـى بِـه لـيَ الـتَّـسجيـلُ مِنْ حـاكِـمِ!

(٢١) هذا البيت مَبْنِيٌّ على حديثٍ يُروى عن عمر وذلك أنه زارَ ابْنَه عبدَاللهِ في بعض الأيّام فقدّم له عبدُالله طعاماً فقال ما هذا؟ فقالَ: اشتَريتُ لحماً بدرهم وصَببتُ عليه سمناً، فأبى عمرُ أن يأكله وقال: إني لا أجمعُ بين إدامَيْن.





باب الأوصاف



قافية الهمزة

451

وقال يَصِفُ المطَر [من الرجز]:

١	ألَا تَــرَى مــا أصــدَقَ الأنــواءَ	قَــدْ أفنَــتِ الحَجْـــرَةَ واللَّأْوَاءَ ؟
٢	فلَوْ عصَــرْتَ الــصَّخْــرَ صــارَ مــاءَ	مِــنْ لَيْلَـــةٍ بِتْنــا بهــا لَيْلاءَ
٣	إنْ هــيَ عَــادَتْ لَيْلَـــةً عِــدَاءَ	أصــبــحَــتِ الأرْضُ إذَنْ سَــمــاءَ

قافية الباء

452

وقال يَصِفُ غَيْثاً [من الرجز] :

١	لَمْ أَرَ عِيراً جَمَّةَ الدُّؤوبِ	تُواصِلُ التَّهْجِيرَ بالتَّأْوِيبِ
٢	أبعَدَ مِنْ أَيْنٍ ومِنْ لَغوبِ	مِنها غَداةَ الشَّارِقِ المَهْضُوبِ
٣	نَجائباً ولَيْسَ مِنْ نَجِيبِ	شَبَّابةَ الأعناقَ بالعُجُوبِ
٤	كاللَّيلِ أَوْ كاللُّوبِ أَوْ كالنُّوبِ	مُنقادَةً لِعَارِضٍ غِرْبِيبِ
٥	كالشِّيعَةِ التفَّتْ على النَّقِيبِ	آخِذَةً بِطَاعَةِ الجَنُوبِ
٦	نَاقِضَةً لِمَرَرِ الخُطُوبِ	تَكُفُّ غَرْبَ الزَّمَنِ العَصِيبِ
٧	مَحَّاءَةً لِلأزمةِ اللَّزُوبِ	مَحْوَ استلامِ الرُّكنِ لِلذُّنُوبِ
٨	لمَّا بَدَتْ لِلأرْضِ مِنْ قَرِيبِ	تَشَوَّفَتْ لِوَيْلِها السَّكُوبِ
٩	تَشَوُّفَ المَرِيضِ لِلطَّبِيبِ	وَطَرَبَ المُحِبِّ لِلحَبِيبِ
١٠	وفَرْحَةَ الأدِيبِ بالأدِيبِ	وخَيَّمَتْ صادِقَةَ الشُّؤْبُوبِ
١١	فقامَ فيها الرَّعْدُ كالخَطِيبِ	وحَنَّتِ الريحُ حَنِينَ النِّيبِ
١٢	والشمسُ ذَاتُ حاجِبٍ مَحْجُوبِ	قد غَرَبَتْ مِنْ غَيْرِ ما غُرُوبِ
١٣	والأرْضُ في رِدائِها القَشِيبِ	في زَاهِرٍ مِنْ نَبْتِها رَطِيبِ
١٤	بعدَ اشتهَابِ الثَّلْجِ والضَّرِيبِ	كالكَهْلِ بعدَ السِّنِّ والتَّحنِيبِ
١٥	تَبَدُّنَ الشَّبابِ بالمَشِيبِ	كَمْ آنستْ مِنْ جانبٍ غَرِيبِ
١٦	وفَتَقَتْ مِنْ مِذْنَبٍ يَعْبُوبِ	وغَلَبَتْ مِنَ الثَّرَى المَغْلُوبِ

١٧ ونَفَّسَتْ عَنْ بارِضٍ مَكْرُوبِ   وسَكَّنَتْ مِنْ نافِرِ الجَنُوبِ
١٨ وأقنَعَتْ مِنْ بَلدٍ رَغِيبِ   يَحفظُ عَهْدَ الغَيْثِ بالمَغِيبِ
١٩ لَذيذةَ الرِّيقِ معَ الصَّبِيبِ   كَأنَّما تَهمِي على القُلُوبِ

قافية الجيم

453

وقال يَصِفُ حالَ الخَلاعةِ والقَصْف [من مجزوء الرمل] :

١	إصبِـرِي أيّتُهـا الـنفسُ (م) فَـإنَّ الـصَّبْـرَ أحـجَـى	
٢	نَـهْنِهِي الـحُـزْنَ فَـإنَّ (م) الحُـزْنَ إنْ لم يُنْـهِ لَجّـا	
٣	وآلبَسِي اليـأْسَ مِنَ النَّـا	سِ فَـإنَّ اليـأْسَ مَلْجـا
٤	رُبَّـمَـا خَـابَ رَجَـاءٌ	وَأَتَـى مـا لـيسَ يُـرْجَـى
٥	وَكِـتَـابٍ كَـتَـبَـتْـهُ	مُـقْـلَـةٌ لا تُـتَـهَـجَّـى
٦	لا تَـرَى عَـيْـنُ رَقِـيبٍ	فـيـهِ لِـلأَقْـلامِ ثَـجّـا
٧	لَـمْ يُـبَـحْ فـيـه بِـسِـرٍّ	لا ولا أُدرِجَ دَرْجـا
٨	فَـأَجَـابَـتْـهُ دُمُـوعٌ	جُعِلَتْ لِـلكَـأْسِ مَـزْجـا
٩	وسَـقِـيـمِ الـطَّرْفِ قَـدْ	غَصَّصَ بـالهَجْـرِ وأَشجَى
١٠	زَارَنـي والـلـيـلُ قَـدْ	أَقـبَـلَ نَحْـوِي يَتَـدَجَّى
١١	حِـيـنَ نـالَ الـعِـلْجَ فـي	سَـوْمي الـذي كـانَ تَـرَجَّى
١٢	طَـلَعَـتْ شَـمْسٌ عـلـيـنـا	مِـنْ دِنـانٍ تَـتَـوَجَّـا
١٣	لَـذَّةُ الـطَّعْمِ تَـمُـجُّ المِسْـ	ـكَ في الأَقـداحِ مَـجّـا
١٤	كَسَـتِ الـشَّـيْـخَ شَـبـابـاً	فـاكتَسى شِكْـلاً وغُـنْجـا
١٥	فَـقَـضَـيْـنَـا مَـنْسِـكَ الـلَّهْـ	ـوِ وإنْ لـم نَـنْـوِ حَـجّـا!

قافية الحاء

454

وقال في الغَيْم والمَطَر [من البسيط] :

١ الغَيْمُ مِنْ بَيْنِ مَغْبُوقٍ ومُصْطَبَحِ مِنْ رِيقِ مُكْتَفِلاتٍ بالثَّرَى دُلُحِ

٢ دُهْمٍ إذا ضَحِكَتْ في رَوْضَةٍ طَفِقَتْ عُيونُ نُوَّارِها تَبكِي مِنَ الفَرَحِ

قافية الدّال

455

وقال [من الكامل] :

١ ما ابيَضَّ وَجْهُ المَرْءِ في طَلَبِ العُلَى حتَّى يُسَوَّدَ وَجْهُهُ في البِيدِ
٢ وصَدَقتِ إنَّ الرِّزْقَ يَطلبُ أهلَهُ لكنْ بِحِيلَةِ مُتْعَبٍ مَكْدُودِ!

456

وقال [من الكامل] :

١ لا خَيْرَ في قُرْبَى بغيرِ مَوَدَّةٍ ولَرُبَّ مُنتَفِعٍ بِوُدٍّ أباعِدِ
٢ وإذا القَرابَةُ أقْبَلَتْ بِمَودَّة فاشْدُدْ لها كَفَّ القَبُولِ بِسَاعِدِ

457

وقال في غَيْبَةِ أحمد ومحمد ابني حُمَيْد، وذكره الصولي في الصِّفات [من الطويل] :

١ طَوَتْني المَنَايا يومَ ألهُو بِلَذَّةٍ وقد غابَ عنّي أحمدُ ومُحَمَّدُ!
٢ جَزَى اللّهُ أيَّامَ الفِرَاقِ مَلامَةً كما ليسَ يَوْمٌ في التَّفَرُّق يُحْمَدُ
٣ إذَا ما انقَضَى يومٌ بِشَوْقٍ مُبَرِّحٍ أتَى باشتياقٍ فادحٍ بعدَه غَدُ

٤ فلم يُبْقِ مني طُولُ شَوْقِي إليهمُ — سِوَى حَسَراتٍ في الحَشَى تَتَرَدَّدُ

٥ خَلِيلَيَّ ما أَرتعتُ طَرْفِي بَهْجَةً — وما انبَسَطتْ مني إلى لَذَّةٍ يَدُ

٦ ولا استَحدَثَتْ نَفسي خَلِيلاً مجدَّداً — فيُذْهِلُنِي عنه الخَليلُ المُجَدَّدُ

٧ ولا حُلْتُ عنْ عَهْدي الذي قد عَهِدتما — فَدُوما على العَهْدِ الذي كنتُ أعهدُ

٨ فإنْ تَختلُوا دُوني بِأُنْسٍ ولَذَّةٍ — فإني بِطُولِ البَثِّ والشَّوْقِ مُفْرَدُ

458

وقال في المَطَر [من الرجز] :

١ حَمَادِ مِنْ نَوْءٍ له حَمَادِ — في ناجِراتِ الشَّهرِ، لا الدَّآدِ

٢ أطلَقَ مِنْ صَرٍّ ومِنْ تَوادِ — فجاءَ يَحْدُوها فنعمَ الحَادِي

٣ سارِيَةً مَسْمِحَةَ القِيَادِ — مُسْوَدَّةً مُبْيَضَّةَ الأَيادِي

٤ سَهَّادَةً نَوَّامَةً بالوَادِي — كثيرةَ التَّعريسِ بالوِهَادِ

٥ نَزَّالَةً عندَ رِضَا العِبَادِ — قَدْ جُعِلَتْ لِلْمَحْلِ بالمِرْصَادِ

٦ سِيقَتْ بِبَرْقٍ ضَرِمِ الزِّنَادِ — كأنَّهُ ضَمَائِرُ الأَغمادِ

٧ ثُمَّ بِرَعْدٍ صَخِبِ الإرْعَادِ — يَسْلُقُها بأَلْسُنٍ حِدَادِ

٨ لَمَّا سَرَتْ في حاجةِ البِلادِ — ولَحِقَ الأَعْجَازُ بالهَوَادِي

٩ فاختَلَطَ السَّوَادُ بالسَّوَادِ — أَظْفَرَتِ الثَّرَى بما يُغَادِي

١٠ فَرَوِيَتْ هامَاتُهُ الصَّوادِي — كَمْ حَمَلَتْ لِمُقْتِرٍ مِنْ زَادِ

١١ ومِنْ دَوَاءِ سَنَةٍ جَمَادِ — وحَلَبَتْ مِنْ رُوقِهِ العَتادِ

١٢ مِنَ القِلاصِ الخُورِ والجِلادِ — والمُقْرِباتِ الضُّفُنِ الجِيادِ

١٣ ومِنْ حَبيرِ اليُمْنَةِ الأَبْرادِ — مِنْ أَتَحَمِيَّاتٍ ومِنْ وِرادِ

١٤ هَدِيَّةً مِنْ صَمَدٍ جَوَّادِ — لَيسَ بِمَوْلُودٍ ولا وَلَّادِ

١٥ مَمْنُوعَةً مِنْ حاضِرٍ وبَادِ — حتَّى تَحُلَّ في الصَّعِيدِ الثَّادِي

قافية الرّاء

459

وقال يَصِفُ المَطَر [من الرجز] :

١ يـا سَهْمُ لِلْبَـرْقِ الـذي استَـطارا ... بـاتَ عـلى رَغْمِ الـدُّجَى نَـهَـارا
٢ حـتَّـى إذا مـا أنـجَـدَ الأبـصَـارا ... وَبْـلاً جَـهـاراً ونَـدىً سِـرَارا
٣ آضَ لـنـا مـاءً وكـانَ نـارا ... أرضَـى الـثَّـرَى وأسـخَطَ الـغُبـارا

460

وقال [من الكامل] :

١ إنـي نَـظرْتُ ولا صَـوَابَ لِعَـاقِـلٍ ... فيمـا يَهُـمُّ بـهِ إذا لـم يَنْظُـرِ
٢ فـإذا كتـابُـكَ قَـدْ تُخيِّـرَ لَفْـظُهُ ... وإذا كِـتـابـي لـيسَ بـالـمُـتَـخَـيِّـرِ
٣ وإذا رُسـومٌ في كتـابِـكَ لم تَـدَعْ ... شـكّـاً لِـنَـظَّارٍ ولا مُـتَـفَـكِّـرِ
٤ شَكْـلٌ ونَقْطٌ لا يُـخِيـلُ كـأنَّـهُ الـ ... ـخِيـلانُ لاحَتْ بينَ تـلكَ الأسـطُرِ
٥ يُنْبِيـكَ عن رَفْـعِ الكـلامِ وخَفْضِهِ ... والنَّصْبِ منه بحـالِـهِ والمَصْـدَرِ
٦ ويُـريكَ مـا التَبَسَتْ عليـكَ وجُـوهُـهُ ... حتَّـى تُعَـايِنَـهُ بـأحسَـنِ مَنْظَـرِ

قافية الضّاد

461

وقال يَصِفُ أَحوالَ الدَّهر [من السريع] :

١ كـانَ لِـنَـفْـسِـي أَمَـلٌ فـانـقَـضَـى   فـأَصبـحَ اليـأْسُ لـهـا مَعْـرِضـا
٢ أسخَـطَني دَهْـرِيَ بـعـدَ الـرِّضـا   وارتجَـعَ العُـرْفَ الـذي قـدْ مَضَى
٣ لـم يَـظْلمِ الـدَّهْـرُ ولـكـنَّـهُ   أقـرَضَـنِي الإحْـسَـانَ ثُمَّ اقـتَضَـى!

462

وقال [من الرجز] :

١ سـارِيَـةٌ لَـمْ تَـكـتَـحِـلْ بِغـمْـضِ   كَـدْرَاءُ ذَاتُ هَـطَلانٍ مَـحْـضِ
٢ مُـوقَـرَةٌ مِـنْ خُـلَّةٍ وحَـمْـضِ   تَـمْضِـي وتُبْـقِي نِـعَـمـاً لا تَـمْـضِـي
٣ قَـضَتْ بِـهـا السّـمـاءُ حَقَّ الأَرضِ

قافية اللّام

463

وقال يَصِفُ تَعَذُّرَ الرِّزْقِ عليه بمصر [من الطويل] :

١	أصِبْ بِحُميّا كأسِها مَقْتَلَ العَذْلِ	تَكُنْ عِوَضاً إنْ عَنَّفُوكَ مِنَ التَّبْلِ
٢	وكأسٍ كمَعْسولِ الأماني شَرِبْتُها	ولكنّها أجلَتْ وقَدْ شَرِبَتْ عَقْلي
٣	إذا عُوتِبَتْ بالماءِ كانَ اعتِذارُها	لَهيباً كَوَقْعِ النّارِ في الحَطَبِ الجَزْلِ
٤	إذا هيَ دَبَّتْ في الفَتَى خالَ جِسْمَهُ	لِما دَبَّ فيهِ قَرْيَةً مِنْ قُرى النَّمْلِ
٥	إذا ذَاقَها وهْيَ الحَياةُ رَأيتَه	يُعَبِّسُ تَعْبيسَ المُقَدَّمِ لِلقَتْلِ
٦	إذا اليَدُ نالَتْها بِوِتْرٍ تَوَقَّرَتْ	على ضَعْفِها ثم استَقادَتْ مِنَ الرِّجْلِ
٧	ويَصرَعُ ساقِيها بِإنْصافِ شَرْبِها	وصَرْعُهُمُ بالجَوْرِ في صُورةِ العَدْلِ
٨	سَقَى الرّائِحُ الغَادِي المُهجِّرُ بَلْدَةً	سَقتْنِيَ أنفاسَ الصَّبابَةِ والخَبْلِ
٩	سَحَاباً إذا ألقَتْ على خِلْفِهِ الصَّبَا	يَداً قالتِ الدُّنيا أتَى قاتِلُ المحْلِ
١٠	إذا ما ارتَدى بالبَرْقِ لم يَزَلِ النَّدَى	لـه تَبَعاً أوْ يَرتَدِي الرَّوْضُ بالبَقْلِ

(٦) مَثلُه لديك الجِن:

فَظِلْنا بأيدِينا نُتَعْتِعُ رُوحَها ... وتأخذُ مِنْ أقدامِنا الخمرُ ثارَها

يقول: إذا اليدُ وَتِرتْ هذه الخمرَ، ويعني بالوِتْر قَرْعها بالمزاج، لأنهم يقولون قَتَل الخمرةَ إذا مزَجها، فجعل ذلك وِتْراً، ثم صَيَّرها تطلب وِتْرَها عند الرجْل، لأنَّ مِنْ شأن السّكران أن يضطرب في مَشْيه.

(٩) جَعلَ الصَّبا كالتّي تَحْلِبُ خِلْفَ السَّحاب، واستعار اليدَ والخِلْفَ لأنَّ مِن شأن الحالب أن يضع يَدَه على أخلاف الناقة.

١١ إذا انتشَرَتْ أعلامُهُ حَوْلَه انطَوتْ بُطونُ الثَّرَى مِنه وَشِيكاً على حَمْلِ
١٢ تَرى الأَرضَ تهتزُّ ارتياحاً لِوَقْعِهِ كما ارتاحتِ البِكْرُ الهَدِيُّ إلى البَعْلِ
١٣ فجَادَ دِمَشْقاً كلَّها جُودَ أَهْلِها بأَنْفسِهِمْ عندَ الكَرِيهَةِ والبَذْلِ
١٤ سَقاهُمْ كماأسقاهُمُ في لَظى الوَغى ببيضٍ صَفيحِ الهِنْدِ والسُّمُرِ الذُّبُلِ
١٥ فلم يُبْقِ مِن أَرْضِ البِقَاعَيْن بُقْعَةً وجَادَ قُرَى الجَوْلانِ بالمُسْبِلِ الوَبْلِ
١٦ بِنَفْسِيَ أَرْضُ الشَّامِ لا أَيمَنُ الحِمَى ولا أيسَرُ الدَّهْنا ولا وَسَطُ الرَّمْلِ
١٧ ولم أَرَ مِثْلي مُسْتَهاماً بِمِثلِكُمْ لَهُ مِثلُ قَلْبي فيهِ ما فيهِ لا يَغْلي
١٨ عَدَتْنيَ عنكُمْ مُكْرَهاً غُرْبَةُ النَّوَى لها طَرْبَةٌ في أن تُمِرَّ ولا تُحْلي
١٩ إذا لَحَظَتْ حَبْلاً مِنَ الحَيِّ مُحْصَداً رَمتْه فلم يَسلَمْ بناقِضَةِ الفَتْلِ
٢٠ أَتَتْ بعدَ هَجْرٍ مِن حَبيبٍ فَحرَّكَتْ صُبابَةَ ما أبقَى الصُّدودُ مِنَ الوَصْلِ
٢١ أَخَمْسَةُ أَحْوَالٍ مَضَتْ لِمَغيبِهِ وشَهْرانِ بل يَوْمانِ نِكْلٌ مِنَ النِّكْلِ؟!
٢٢ تَوَانَى وَشِيكُ النُّجْعِ عنه ووُكِّلَتْ بِهِ عَزَمَاتٌ أَوْقَفَتْهُ على رِجْلِ
٢٣ ويَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَبِيتَ زِمَاعُهُ على عَجَلٍ أَنَّ القَضَاءَ على رِسْلِ
٢٤ قضَى الدَّهْرُ مِنِّي نَحْبَهُ يومَ قَتْلِه هَوايَ بِإِرْقالِ الغَرِيرِيَّةِ الفُتْلِ

---

(١٤) أي سَقاهم من الغَيْث كما أسقاهم يومَ حَرْبهم بالرِّماح والسّيوف. وحَرَّك «السُّمْر» والقِياسُ تسكينُها ولكنَّه شَبَّه الجمعَ بالواحد فثقَّل الميم، كما يقال الثُّكُل والثُّكْل، و«الذُّبُل» جمع ذَبُول لأن [فعولاً] بابُه أن يُجمَع على [فُعْل]، وجمع [فاعل] على هذا المثال قليل فكان حَمْلُه على [فَعُول] أوجب.

(١٥) [ص] بِقاع لبنان وبقاع بَعْلبك.

(٢٠) [ص] أي أَتَتْ غربةُ النَّوى بعد هجرٍ فحرَّكت بالبَيْن باقي الوَجْد فاجتمع هجرٌ وفُرْقة.

(٢٢) المعروف «وقَفْته»، وقد حُكِي «أوقفته» أيضاً، وهو ممّا يُوجبه القياس لأنَّ الفعل يُعدَّى بالهمزة، تقول طالَ الغُصْنُ وأطالَه الله، وعادَ الشيءُ وأعادَه المُعِيد، وقد كَثُرَ مجيءُ «وَقَفَ» غيرَ مَتَعدٍّ فحسُنَ عند ذلك تعديتُه بالهمز.

(٢٤) [ص] يقول: قتل الدهرُ هَوَاي يومَ ابتلاني بالفِرَاق حتى أَرقَلتْ بي الغَرِيريّةُ، وهي إبلٌ منسوبةٌ إلى غَرِير، وواحدة «الفُتْل» فَتْلاء، وذلك إذا انفَتَل مِرْفَقُها عن أصل كَتِفها لئلا يُصيب جانبَ الكَركَرة فيُصِيبُها حازٌّ أو ضاغط.

٢٥ لقَدْ طَلَعَتْ في وَجْهِ مِصْرَ بِوَجْهِهِ … بِلا طالعِ سَعْدٍ ولا طائرٍ سَهْلِ

٢٦ وسَاوِسُ آمالٍ ومَذْهَبُ هِمَّةٍ … تَخيَّلُ لي بينَ المَطِيَّةِ والرَّحْلِ

٢٧ وَسَوْرَةُ عِلْمٍ لم تُسَدَّدْ فأَصْبَحَتْ … ومـا يُتمارَى أنَّها سَوْرَةُ الجَهْلِ

٢٨ نَأَيْتُ فلا مالاً حَوَيْتُ ولم أُقِمْ … فأَمتَعَ إذْ فُجِّعْتُ بالمَالِ والأَهْلِ

٢٩ بَخِلْتُ على عِرْضِي بما فيهِ صَوْنُه … رَجاءَ اجتناءِ الجُودِ مِنْ شجَرِ البُخْلِ

٣٠ عَصَيْتُ شَبَا عَزْمي لِطَاعَةِ حَيْرَة … دَعَتْني إلى أَنْ أَفتحَ القُفْلَ بالقُفْلِ

٣١ وأبسُطَ مِنْ وَجْهي الذي لَوْ بَذَلْتُهُ … إلى الأَرضِ مِن نَعْلي لَما نَقَبَتْ نَعْلي

٣٢ عِداتٌ كَرَيْعانِ السَّرَابِ إذا جَرَى … تَنَشَّرُ عَنْ مَنْعٍ وتُطْوَى على مَطْلِ

٣٣ لِئامٌ طَغَامٌ أَوْ كِرامٌ بِزَعْمِهِم … سَواسِيَةٌ ما أشبَهَ الحَوْلَ بالقَبَلِ !

٣٤ فلَوْ شاءَ مَنْ لَوْ شَاءَ لم يَثْنِ أَمرَه … لَصَيَّرَ فَضْلَ المَالِ عندَ ذَوِي الفَضْلِ

٣٥ ولو أنَّني أُعطيتُ يأْسي نَصيبَه … إذنْ لأخذتُ الحَزْمَ مِنْ مَأْخذٍ سَهْلِ

٣٦ وكانَ وَرائي مِنْ صَرِيمَةِ طَيِّئٍ … ومَعْنٍ ووَهْبٍ عَنْ أَمامِيَ ما يُسْلي

٣٧ فَلَمْ يَكُ ما جَرَّعْتُ نَفْسي مِنَ الأَسى … ولم يَكُ ما جَرَّعْتُ قَوْمي مِنَ الثُّكْلِ !

464

يَصِفُ البَرْدَ بخراسان [من البسيط] :

١ لم يَبْقَ لِلصَّيْفِ لا رَسْمٌ ولا طَلَلُ … ولا قَشِيبٌ فيُسْتَكْسَى ولا سَمَلُ

٢ عَدْلٌ مِنَ الدَّمعِ أنْ يَبكي المَصِيفَ كما … يُبْكَى الشَّبابُ ويُبْكَى اللَّهْوُ والغَزَلُ

---

(٣١) [ص] أي أبذلُ من وجهي في سُؤالي الناسَ ما لو بَذلتُ مثلَه إلى الأرض أسألُها ألاّ تَنْقِبَ نَعْلي إذا وَطئتُ عليها لأجابَتْ، وهذا لا يكون وإنما ضَربَه مثلاً لِسؤالهم ومَنْعِهم.

(٣٣) «سَواسية» مستوون في الذَّم، ولا يُقال للمستوين في الخير سَواسِية، وفرّقَ بين «الحَوَل» و«القَبَل»، وقد اختلفَ الناسُ في ذلك، فقال قوم القَبَل أن تُقْبِلَ كلٌّ واحدةٍ من العَيْنين على الأُخرى، وقال بعضُهم «القَبَل الحَوَلُ الخَفِيّ»، وقال آخرون هو أن يُقبِلَ أعلى العَيْن على أسفلها.

٣ يُمْنَى الـزَّمانِ طَـوَتْ مَعْرُوفَهـا وغَدَتْ ... يُسْـراهُ وهْيَ لنا مِنْ بعـدِها بَـدَلُ
٤ مـا لِلشتاءِ و مـا لِلصَّيْفِ مِنْ مَثَل ... يَرْضَى به السَّمْعُ إلَّا الجُـودُ والبخـلُ
٥ أما ترى الأرضَ غضبى والحصى قلِـقٌ ... والأفق بالحَـرجَـفِ النكبـاءِ يقتَتِـلُ
٦ مَنْ يَزْعَمُ الصَّيْفَ لم تَذْهَبْ بَشَاشَتُه ... فغيـرُ ذلـكَ أمسَى يَـزعمُ الجَبَـلُ
٧ غَـدَا لـه مِغْفَـرٌ في رأسِـهِ يَقَقٌ ... لا تَهْتِكُ البيضُ فَوْدَيْـهِ ولا الأَسَـلُ
٨ إذا خُـراسـانُ عنْ صِنَّبْرِهـا كَشَـرَتْ ... كـانَتْ قَتـاداً لنـا أنيابُهـا العُصُـلُ
٩ يُمْسِي ويُضحِي مُقيمـاً فـي مَبَـائِتِـه ... وَبَأسُـهُ في كُلَى الأقـوامِ مُـرْتَحِـلُ
١٠ مَنْ كَـانَ يَجهـلُ يـومـاً حَـدَّ سَـوْرَتـهِ ... في القَـريتَيْنِ وأَمْـرُ الجَـوِّ مُكْتَهِـلُ
١١ فمـا الضُّلوعُ ولا الأَحشَـاءُ جـاهِلَةٌ ... ولا الكُلَى أَنَّـه المِقْـدَامَـةُ البَـطَلُ!
١٢ هـذا ولم يَتَّـزِر لِلحـرْبِ دَيـدَنَـهُ ... فـأَيُّ قِـرْنٍ تَـراهُ حينَ يَشْتَمِـلُ؟!
١٣ إنْ يَسِّـرَ اللَّه أمـراً أثْـمَـرتْ معـه ... مِنْ حيثُ أورَقتِ الحـاجـاتُ والأَمَـلُ
١٤ فمـا صِلائيَ إنْ كـانَ الصِّـلاءُ بهـا ... جَمْرَ الغَضَا الجَزْلِ إلَّا السَّيْرُ والإبـلُ
١٥ المُـرضِيـاتُـكَ مـا أرغمتَ آنُفَهـا ... والهَـادِيـاتُـك وهْيَ الشُّـرَّدُ الضُّلُلُ

(٧) استعار «المِغْفَر» وهو ما يُجعل على الرأس من الزَّرَد، وإنما يعني ثلجاً يكون على رأس الجبل لا تهتكه السُّيوفُ ولا الرِّماحُ، لأنَّ من عادة المِغْفر الذي من الزَّرَد أن يُضرَبَ بالسُّيوف وهذا المِغْفَرُ لا يَصِلِ إليه سيفٌ ولا رُمْح.

(٨) أَنَّث «خراسان» على معنى البِلاد، قال مالك بن الرَّيْب:

لعَمْري لئنْ غـالـتْ خُـراسـانُ هـامتـي ... لقـد كنـتُ عـن بـابَـيْ خُـراسـانَ نـابِيـا

وقال بَعضُهم يجب أن يكون «خُراسان» مُذكّراً. و«الصِّنَّبر» شِدَّةُ البَرْد. و«كَشرَتْ» أبدتْ عن أسنانها، يُستعمل ذلك في الضحك وغيره، قال الشاعر:

فمـا ظَنُّكـمْ بـابـنِ الحَـواريِّ مُصْعَـبٍ ... إذا هـوَ أبـدَى كـاشِراً غيـرَ ضـاحِـك؟!

وقوله «كانت قَتاداً» أي مثل القَتاد، و«أنيابُها» مرفوعة بـ«قتاد» كما يُقال كان فلان قتاداً جانِبُه، فقتاد قد نابَ مَنابَ الفعل، هذا على أن تجعلَ في «كانت» ضميرَ خـراسـان، والأبيـنُ أن تجعل «قتاداً» خبرَ «كان». وحَرَّكَ «العُصُل» كما حَرَّكَ «السُّمُرُ» والوجهُ التسكين.

(١٢) «ديدنُه» عادَتُه وهو [فَيْعل] من الدَدَن، و«الدَدَن» اللهو والباطل، وقيل ما زالَ ذلك ديدنُه أي هو أمر يَخِفّ عليه كما يَخِفُّ اللهوُ على اللاَّهين إذا كان الجِدُّ في الأمور يُثقل ويُكلِّف.

١٦ تُقَرِّبُ الشُّقَّةَ القُصْوَى إذا أَخذَتْ   سِلاحَها وَهُو الإرقالُ والرَّمَلُ
١٧ إِذَا تَظَلَّمْتَ مِن أَرضٍ فُصِلْتَ بها   كَانَتْ هي العِزُّ إلَّا أَنَّها ذُلُلُ!

465

وقال يخاطب صالح بن عبد اللّه بن صالح القُرَشي [من الرجز]:

١ وعاذِلٍ عَذلْتُه في عَذْلِهِ   فظنَّ أَنِّي جاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ
٢ ما غَبَنَ المَغْبُونَ مثلُ عَقْلِهِ   مَنْ لكَ يوماً بأَخِيكَ كُلِّهِ؟
٣ لَبِسْتُ رَيْعاني فدَعْني أُبْلِهِ   رأيَ ابنِ دهرٍ غَرِقاً في خبلِهِ
٤ أَعْلَمَ مِنْهُ بِحُداءِ إبْلِهِ   قَدْ لَعِبَتْ أَيْدي النَّوَى بِشَمْلِهِ
٥ مُمَتّعاً مُضْطَلِعاً بحِمْلِهِ   مُنْصَلِتاً كالسَّيْفِ عندَ سَلِّهِ
٦ مَوْلُودَةٌ همَّتُه مِنْ قَبْلِهِ   قد دَانَ ذُو الفَضْلِ له بِفَضْلِهِ
٧ كالصَّابِ مَنْ يَذُقْه لا يَسْتَحْلِهِ   إلَّا بأَنْ يَسْكُنَ تحتَ ظِلِّهِ
٨ مُفِيدُ جَزْلِ المَالِ مُعْطي جَزْلِهِ   يَحْويهِ مِنْ حَرامِهِ وحِلِّهِ
٩ ويَجْعَلُ النائِلَ أدنَى سُبْلِهِ   وبَلَدٍ نائي المَحَلِّ مَحْلِهِ
١٠ رَميْتُه مِنَ السُّرَى بِنَبْلِهِ   بِبَازِلٍ مُقَابَلٍ في بُزْلِهِ
١١ مِثْلِي سَرَى في مِثْلِهِ بِمِثْلِهِ   ومَلِكٍ في كِبْرِهِ ونُبْلِهِ
١٢ وسُوقَةٍ في قَوْلِهِ وفِعْلِهِ   بَذلْتُ مَدْحي فيهِ باغِي بَذْلِهِ

---

(٢) هذا مثل قديم قالته العرب على وجه الدهر، لم يزد فيه الطائي شيئاً إلاّ «يوماً» وأجرَى «كلّه» هاهنا على «الأخ» لأن القِسْمةَ يحتملها المعنى، وذلك في غيره ممتنع، لا يقال جاءني أخوك كلّه، وإنما حَسُنَ أن يُؤكَّد بها في المثَل لأنَّ الرجلَ لا يجد أخاً يُرضيه في جميع أُموره ولا بدّ أن ينكر أشياءَ من خلائقه، كما قيل في المثل أيُّ الرجال المهذَّب، فلمّا كان النقصُ لا بدَّ أن يَقَع في الأُخوة جاز أن يُدْخِلَ (كلّ) في هذا الموضع إذْ كان تبعيضُه لا يمتنع.

(٣) «رَيْعاني» أوّل شبابي، وريعان كلّ شيءٍ أوّله.

١٣ فَحَذَّ حَبْلَ أَمَلي مِنْ أصلهِ — مِنْ بعد ما استعبدَني بمَطْلِهِ
١٤ ثُمَّ أَتَى مُعْتَذِراً بِجَهْلِهِ — ذا عُنُقٍ في المَجْدِ لم يُحْلِهِ
١٥ يَعجَبُ مِنْ تعجُّبي وبُخْلِهِ — يَلحظني في جِدِّهِ وَهَزْلِهِ
١٦ لَحْظَ الأسيرِ حَلَقَاتِ كَبْلِهِ — حتى كَأنِّي جِئْتُهُ بِعَزْلِهِ
١٧ يا واحِداً مُنْفرِداً بعَدْلِهِ — ألبستَه الغِنَى فلا تُمْلِهِ
١٨ ما أضْيَعَ الغِمْدَ بغيرِ نَصْلِهِ — والشِّعْرَ ما لَمْ يَكُ عندَ أهْلِهِ!

---

(١٤) «العُنق» يُذكَّر ويؤنَّث، وقال قوم إذا حرّكتَ النون فالوجه التأنيث، وإن أسكنتَ فالوجه التّذكير، قال الشاعر:

فلولا طُولُ عُنْقي سُدْتُ قومي — ولكنْ طالَ عُنْقي فاستمالا!

وقال الراجز:

وهْيَ مع ذلكَ عَوْجاءُ العُنُقْ

(١٦) أصل «الأسر» أن يشُدّ الرجلُ بالقَدّ ثم كثر ذلك حتَّى سُمي الأخيذ أسِيراً وإن لم يُشددْ بالقد، ويقال لِلقَدّ كَبْل وكِبْل.

قافية الميم

466

وقال يَصِفُ حَجّةً جَجَّها [من الوافر] :

١ لَعلَّكَ ذاكِرُ الطَّللِ القَدِيمِ ومُوفٍ بالعُهودِ على الرُّسُومِ

٢ ووَاصِفُ ناقَةٍ تَذَرُ المَهارَى مُوَكَّلَةً بِوَخْدٍ أوْ رَسِيمِ

٣ وقَدْ أَمَّمْتَ بيتَ اللّهِ نُضْواً على عَيرانَةٍ حَرْفٍ سَعُومِ

٤ أتيتُ القادِسيَّةَ وهْيَ تَرْنو إليّ بِعَيْنِ شَيْطانٍ رَجيمِ

٥ فما بَلغتْ بنا عُسْفانَ حتَّى رَنتْ بلحاظِ لُقْمانِ الحَكِيمِ

٦ وبَدَّلَها السُّرَى بالجَهْلِ حِلْماً وقَدَّ أديمَها قَدَّ الأدِيمِ

٧ أذابَ سَنامَها قَطْعُ الفَيافي ومَزَّقَ جِلْدَها نَضْحُ العَصِيمِ

٨ طَواها طَيُّها المُوماةَ وَخْداً إلى أجبالِ مَكَّةَ والحَطِيمِ

٩ رمَتْ خُطواتِها بِبَني خَطايَا مُوَاشِكَةً إلى رَبٍّ كَرِيمِ

١٠ بِكُلِّ بعيدَةِ الأرجاءِ تِيهٍ كأَنَّ أُوارَها وَهْجُ الجَحيمِ

١١ أقولُ لها وقَدْ أوحَتْ بعينٍ إليّ تشكِّيَ الدَّنِفِ السَّقِيمِ

١٢ بِكُورُكِ أشعَرُ الثَّقلَيْنِ طُرّاً وأوفى الناس في حَسَبٍ صَمِيمِ

١٣ حمالَكِ تَشتكِينَ وأنتِ تَحْتي وتحتَ محمّدٍ بَدْرِ النُّجومِ ؟

١٤ متَى أظمَتْكِ هاجِرَةٌ فَشِيمي أنامِلَه تُرَوِّكِ بالنَّسِيمِ

---

(٧) « العَصِيم » بقية عرَق الإبل إذا جَفّ، ويجوز أن يعني به هاهنا العَرقَ وإن لم يجف، لأن الشيء قد يُوصف بحالته الأولى بعد انتقاله إلى الحال الثانية، فإذا رأيتَ رجلاً كَهْلاً أو شيخاً تعرفه وليداً فجائزٌ أن تقول هذا الطفلُ الذي رأيتهُ يومَ كذا وهو في تلك الحال مُسِنٌّ كبير.

١٥ وإنْ غَشِيتْكِ ظَلْمَاءُ تَجلَّى بِغُرَّته دُجى الليلِ البَهيمِ
١٦ فَمرَّتْ مِثْلما يَمشِي شَهيدٌ سَويّاً في صِراطٍ مُسْتقيمِ
١٧ ولولا اللَّه يومَ مِنىً لأبدَتْ هَواها كلُّ ذَاتِ حشًى هَضيمِ
١٨ رمَيْنَ أخا اغترابٍ واكتئابٍ بَعيْنَيْ جُؤْذَرٍ وبجيدِ رِيمِ

467

وقال يَصِفُ سُوءَ مطلبه بنيسابور ويشكو الدهر [من الوافر] :

١ صَريعُ هَوىً تُغَادِيه الهُمومُ بنيسابُورَ ليسَ له حَميمُ
٢ غَريبٌ ليسَ يُؤْنِسُه قَريبٌ ولا يأْوِي لِغُرْبَتِهِ رَحيمُ
٣ مُقيمٌ في ديارِ نوىً شَطُون يُشَافِهُه بِها كَمَدٌ مُقيمُ
٤ يَمُدُّ زِمامَه طمَعٌ مُقيمٌ تَدَرَّعَ ثَوْبَه رَجلٌ عَديمُ
٥ رَجاءٌ ما يُقابِلُهُ رَجاءٌ هوَ اليأْسُ الذي عُقْبَاه شُومُ
٦ فلا عَجَبٌ وإن كَظَّتْ رِكابِي بأرضٍ طارَ طائرُهَا المَشُومُ
٧ فقَدْ فارَقْتُ بالغَرْبيِّ داراً بأرضِ الشّام حَفَّ بِها النّعِيمُ
٨ هيَ الوطنُ الذي فارَقْتُ فيهِ وفارقَني المُسَاعِدُ والنَّديمُ
٩ وكنتُ بها المُمَنَّعَ غيرَ وَغْد ولا نَكْدٍ إذا حَلَّ العَظِيمُ

(٦) (ع): «فلا عَجَبٌ وإن نَفِهَتْ رِكابي» يقال نَفِهت المطيّةُ إذا أعيَتْ، ونَفَّهها صاحبُها، قال رؤبة:

به تَمطَّتْ غُولُ كلِّ مَيْلَه
بنا حَراجِيجُ المَهارى النُّفَّه

و«مَشُوم» على تخفيف الهمز، وهذا على رأي من قال في الماضي قد شامَهم الرجلُ فلم يهمز، ويُروى لذي الرُّمة ولم يثبت في نُسخ ديوانه:

عَدِمْتُكَ من قلبٍ وبُدّلتُ غيرَه فإنَّك قَلْبٌ ما علمتُ مَشُومُ

(٩) (ع): «وكنتُ بها الممَنعَ غيرَ جَحْد» وقال: يقال رجل مُجْحَد وجَحِد إذا كان قليلَ الخير ضيق المعاش، والمصدر الجُحْد والجَحْد مِثل الثُّكْل والثَّكَل، وأنشد الفرّاء:

لئنْ بَعثتْ أمُّ الحُميدَيْن مائراً لقد غَنِيتْ في غيرِ بُؤْسٍ ولا جُحْدِ =

١٠ فـإنْ أكُ قـد حَـلَلْتُ بِـدَارِ هُـون صَبـوْتُ بهـا فقَـدْ يَصْبـو الحَـلِيمُ
١١ ألـومُـكَ لا ألـومُ سِـوَاكَ دَهْـراً قَضَى لـي بـالـذي يَقْـضِي سَـدُومُ
١٢ إذَا أنـا لـم ألُـمْ عَـثَـراتِ دَهْـر أُصِبْتُ بِـهـا الغَـدَاةَ فَـمَنْ ألـومُ؟
١٣ وفي الـدُّنْيـا غِنىً لـم أنْبُ عنـهُ ولـكنْ لـيسَ في الـدُّنيـا كَـرِيـمُ!

468

وقال يَصِفُ شَوْقَهُ إلى عَليّ بن مُرّ [من الكامل] :
١ يَـوْمَ الفِـرَاقِ لقَـدْ خُلِقْتَ عَـظيمـا وتَرَكْتَ جِسْمِي - لا سُقِيتَ - سَقِيما
٢ مـا لـلفِـرَاقِ تَـفَـرَّقَـتْ أعـضـاؤُه ما زَالَ يَعْصِفُ بـاللِّقَـاءِ قَـدِيمـا!؟
٣ مـا زِلْتُ بعـدَكَ يـا أخي في حَسْـرَةٍ وتَـلـدُّدٍ حَـتَّـى أرَاكَ سَـلِيـمـا
٤ اقْـرَ الـسّـلامَ عليـكَ مِـنّي كُـلَّمـا جَـرَتِ الـرِّيـاحُ فـأنْشَقَتْـكَ نَسِيمـا

469

قال ، ويُقال إنَّها للعَتَّابي [من الكامل] :
١ هـذا كِـتـاب فَـتـىً لـه هِـمَـمُ سـاقَـتْ إلـيـكَ رَجَـاءَه هِـمَـمُـهْ
٢ غَـلَّ الـزَّمَـانُ يَـدَيْ عَـزِيـمَـتِـهِ وهَـوَتْ بِـهِ مِـنْ حـالِـقٍ قَـدَمُـهْ
٣ وتَـواكَلَتْـهُ ذَوُو قَـرَابتِـهِ وطَـواهُ عـن أكـفـائِـهِ عَـدَمُـهْ
٤ أفـضَـى إلـيـكَ بِـسـرِّهِ قَـلَمُ لـو كـانَ يَـعـقِـلُهُ بَـكَـى قَـلَمُـهْ

= فإن رويتَ «غيرَ جَحْدِ» بسكون الحاءَ وفَتْح الجيم فالمرادُ غير جَحِد فسكَّن على اللغة الربعيّة؛ ويجوز أن يكون مصدر جَحَدَ إذا أنكرَ، وإن رويت «غيرَ جُحْدِ» بالضم فهو خارجَ مخرج الحُزْن والثُّكْل، وإذا رويتَ بالفتح جاز أن يُروي «ولا نِكْدِ» بكسر الكاف، ونَكْد ونِكْد بالسكون، على أن يكون تخفيف نَكَد أو مصدر نَكَدْتُ العطاءَ نَكْداً إذا مَطلته، أي كنتُ أبذلُ معروفي لمن يطلبه. وإن رويتَ «غير جُحْدِ» بالضم فأجود الرواية «ولا نُكْدِ» بضم النُّون وتسكين الكاف.

(١١) الذي ثَبت في الكتب القديمة أنَّ «سَدُوم» إحدى مدائن لُوط، ولا ريبَ أنهم كانوا يجرأون في الأحكام العامة يحدّثون عن قاضي سَدُوم أحاديث لا ينبغي أن يُذكر مثلُها.

قافية النّون

470

وقال للحسَن بن وَهْب ، ووَصَفَ مجلِساً له حَضَرَه [من الطويل] :

١ أفِيكمْ فَتىً حَيٌّ فَيُخْبِرُني عَنّي ... بما شَرِبَتْ مَشْروبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْني؟

٢ غَدَتْ وهْيَ أَوْلى مِنْ فُؤادي بِعَزْمَتي ... ورُحْتُ بما في الدَّنِّ أَوْلَى مِن الدَّنِّ

٣ لقَدْ تَركَتْني كأْسُها وَحَقِيقَتي ... مُحَالٌ وحَقٌّ مِنْ فِعَالِيَ كالظَّنِّ

٤ هي اخْتَدَعَتْني والغَمَامُ ولم أَكُنْ ... بأَوَّلَ مَنْ أَهدَى التَّغافُلَ لِلدَّجْنِ

٥ إذا اشتَعَلَتْ في الطّاسِ والكاسِ نارُها ... صَلِيتُ بها مِنْ رَاحَتَيْ ناعِمٍ لَدْنِ

٦ قَرِينُ الصِّبا في وَجنَتَيْهِ مَلاحَةٌ ... ذَكَرْتُ بها أَيَّامَ يُوسُفَ في الحُسْنِ

٧ إذا نَحْنُ أَوْمَأْنا إلَيهِ أَدَارَها ... سُلافاً كماءِ الجَفْنِ وَهْيَ مِنَ الجِفْنِ

٨ تُقَلِّبُ رُوحَ المَرءِ في كلِّ وِجْهَةٍ ... وتَدْخُلُ مِنْهُ حيثُ شاءَت بلا إذْنِ

٩ ومُسْمِعُنَا طَفْلُ الأنامِلِ عندَه ... لَنَا كلُّ نَوْعٍ مِنْ قِرَى العَيْنِ والأُذْنِ

١٠ لنا وَتَرٌ منه إذا ما استَحثَّه ... فَصيحٌ ولَحْنٌ في أَمانٍ مِنَ اللَّحْنِ

١١ وفي رَوْضَةٍ نَبْتِيَّةٍ صَبَغتْ لها ... جَداوِلُها أَنْوارُها صِبْغَةَ الدُّهْنِ

١٢ ظَلِلْنا بها في جَنَّةٍ غابَ نَحْسُها ... تُذَكِّرُنا جَنَّاتُها جَنَّةَ العَدْنِ

١٣ نَعِمْنَا بِها في بَيْتِ أَرْوَعَ ماجِدٍ ... مِنَ القَوْمِ آبٍ لِلدَّناءَةِ والأَفْنِ

١٤ فَتىً شُقَّ مِنْ عُودِ المَحامِدِ عُودُه ... كما اشتَقَّ مُسْمُوهُ له اسماً مِنَ الحُسْنِ

وقال [من البسيط] :

١	إنِّي أظُنُّ البِلى لو كانَ يَفْهَمُهُ	صَدَّ البِلَى عَنْ بَقَايا وَجْهِهِ الحَسَنِ
٢	يا مَوْتَهُ لم تَدَعْ ظَرْفاً ولا أدَباً	إلَّا حَكَمْت بِهِ لِلحَدِّ والكَفَنِ
٣	للَّهِ ألحاظُهُ والموتُ يَكْسِرُها	كأنَّ أجْفَانَهُ سَكْرَى مِنَ الوَسَنِ
٤	يَرُدُّ أنفاسَهُ كَرْهاً وتَعْطِفُها	يَدُ المَنِيَّةِ عَطْفَ الريحِ لِلغُصُنِ
٥	يَا هَوْلَ ما أبصَرتْ عَيْني وما سَمِعَتْ	أذني فلا بَقِيَتْ عَيْني ولا أُذُني
٦	لم يَبْقَ مِنْ بَدَني جُزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ	إلَّا وقد حَلَّهُ جُزْءٌ مِنَ الحُزْنِ
٧	كانَ اللَّحاقُ بِهِ أوْلى وأحسنَ بي	مِنْ أنْ أعيشَ سَقِيمَ الروحِ والبَدَنِ



باب الفخر



قافية الباء

472

وقال [من البسيط] :

١ عَنَّتْ فأَعْرَضَ عَنْ تَعْرِيضِها أَرَبي ... يا هذِهِ عُذْرِي في هذِهِ النُّكَبِ

٢ إليكِ ويلكِ عَمَّنْ كانَ مُمْتَلِئاً ... وَيْلاً عليكِ ووَيْحاً غيرَ مُنْقَضِبِ

---

(١) «عَنَّت» اعترضَتْ، و«المُعانَّة» المعارضة، مصدر عانَّ يُعانُّ عِناناً ومُعانَّةً، ومنه قولُهم شاركه شِرْكَةَ عِنانٍ أي في شيءٍ دون شيءٍ. و«الإعراض» عن الشيءِ الانصرافُ بالقلب والوجه عنه، و«التَّعريض» ذكرُ الشيءِ باختصارٍ في ذِكْرِه، وأصلُه أن يُذكر في عُرْض الحديث. وقوله «في هذه النُّكَبِ» يُروَى بضم النون وفتح الكاف؛ كأنَّه جمع نُكْبَة مثل ظُلْمة وظُلَم، ولم يذكروا نُكْبَة بضم النون وإنما المعروف أصابَتْهم نَكْبَة بفتح النون، فإن كان الطائي قد سمعه في شعر فيجوز أن يكون من باب نَوْبَة ونُوَب ودَوْلة ودُول. ولو رويتَ «النُّكُب» بضم النون والكاف لكانت جمع نَكُوب، من طولك خَطْبٌ نَكُوب وهو أوجه في كلامهم من الرواية الأخرى.

(٢) «الوَيْل» كلمة لا يُستعمل منها فِعْل، و«وَيْح» كلمة تُقال عند الترحّم، وقيل بل «وَيْح» قريبة من معنى «الوَيْل» إلاَّ أنها أقلُّ جَفاءً منها، وقال بعضهم «وَيْح» كلمة فيها استعتاب، يُقال للرجل وَيْحك أما تُفيق، وَيْحَك أما تصنع كذا؟! ونُصِبَ «وَيْلَكِ» على إضمار فعل، وقيل بل هو نُصِبَ على المصدر إلاَّ أنَّ الفعل غيرُ مستعمل. وقوله «وَيْلاً عليك» يجوز أن يكون نَصْب «وَيْل» على التفسير كما يُقال امتلأ الكوزُ عَسَلاً، ويجوز أن يكون مفعولاً لأنَّ [افتعل] قد يكون مُتعدِّياً، فتقول احتملتُ أمراً واقتطعتُ بلداً.

٣ في صَـدْرِهِ مِنْ هُمُومٍ يَعْتَلِجْنَ بِـهِ ... وَسَـاوِسٌ فُـرَّكٌ لِـلخُـرَّدِ العُـرُبِ

٤ رَدَّ ارتِـدَادُ اللَّيـالي غَـرْبَ أَدْمعِـهِ ... فـذَابَ هَمّـاً وجَمْـدُ العَيْنِ لم يَـذُبِ

٥ لا أَنَّ خَـلْفَـكِ لِـلَّذَّاتِ مُـطَّلَعـاً ... لكنَّ دُونَـكِ مَـوْتَ اللَّهْـوِ والـطَّرَبِ

٦ وحـادِثـاتِ أَعـاجِيبِ خَسـاً وَزَكـاً ... مـا الدَّهْـرُ في فِعْلِها إلَّا أَبـو العَجَبِ

٧ يَغْلِبْنَ قَـوْدَ الكُمَـاةِ المُعْلِمِينَ بِـهـا ... ويَسْتَقِـدْنَ لِفُـرْسَـانٍ على القَصَبِ!

٨ فما عَدِمتُ بهـا ـ لا جَاحِـداً عَدَمـاً ـ ... صَبْـراً يَقـومُ مَقـامَ الكَشْفِ لِلكُـرَبِ

٩ مـا يَحْسِمُ العَقْلُ والـدُّنيا تُسَـاسُ بِـهِ ... ما يَحسِمُ الصَّبْرُ في الأَحْداثِ والنُّوَبِ

١٠ الصَّبْـرُ كـاسٍ وَبَـطْنُ الكَفِّ عـارِيَـةٌ ... والعَقْـلُ عـارٍ إذا لم يُكْسَ بـالنَّشَبِ

---

(٣) «يَعْتلجن» أي يُمارِسُ بَعْضُهنَّ بعضاً، وهو من قولهم عالجتُ الشيءَ إذا مارستَه. و«الوَساوس» جمع وَسْوَسة وهو ما يُحدّث به الرجلُ نفسَه، وكلُّ صوتٍ خَفِيّ فهو وسوسة ووسْواسٌ، وكذلك قالوا لصوت الحَلْي وَسْوَاس لِخفائه. و«الفُرَّك» جمع فَرُوك، من قولهم فَرِكَت المرأةُ زوجَها إذا أبغضَتْه، وكأنه هاهنا مستعار موضوع في غير موضعه.

(٦) «خَساً» في معنى فَرْد، وزَكاً» في معنى زَوْج، يقال لَعِبَ الصِّبْيان خَسا زَكا، حَكاه الفَرّاء غير مُنوَّن، كأنَّه يذهب إلى أنّهما شيئان جُعِلا شيئاً واحداً، قال الراجز:

مِنَ اللُّجَيميِّينَ أرباب القِرَا

يَمْشِي على قَوَائمٍ خَسا زَكا

ويروى «قَوائمٍ له خَسا»، وإذا أُدخلت الواو فالأحسن أن يُجَاءَ بالتنوين لأنَّ تلك البِنْيَةَ قد زَالَتْ بواو العَطْف.

(٧) و«يملكنَ قَوْدَ الكُماةِ»، و«الكُماة» حقيقتُه أنه جمعُ كامٍ وهو الذي كَمَى نفسه في السِّلاح أي سَترَها، وأصحابُ اللغة يقولون هو جمع كَمِيّ، وتلك عبارةٌ على المَجاز، وقد قالوا في جمع كَمِيّ أكماء مثل يتيم وأيتام، وأنشد أبو زيد:

تـركـتَ ابنتيـكَ لِلمُغِيـرةِ والقَنـا ... شَـوارعُ والأكمـاءُ تُشْـرِقُ بـالـدَّمِ

وقوله «لفرسانٍ على القَصَبِ» يريد أنَّ الزمان بِصرُوفه يفعل ما لا يجب فيقود فوارسَ الخيل المُعْلَمِينَ أي الذين قد شهَرَوا أنفسَهم لشجاعتهم، ويَستقِيدُ لِفُرسانٍ يركبون القَصَب، لأنَّ الصِّبْيان ربما فعلوا ذلك في لَعِبهم ويفعله المجنون والموسوس.

(٨) أي لم أعدِمِ الصبرَ ولم أَجحَدْ عَدَماً، أي عَدِمتُ المال في تَصرّفي.

١١ مـا أَضيَعَ العَقْلَ إنْ لم يَرْعَ ضَيْعَتَـه ... وَفْـرٌ وأي رَحىً دَارَتْ بِـلا قُـطُبِ؟

١٢ نَشِبْتُ في لُجَـجِ الـدُّنيـا فـأَثْكَلَني ... مـالي وأُبْتُ بِعِـرْض غَيْـرِ مُؤْتَشَـبِ

١٣ كَمْ ذُقْتُ في الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ ومِنْ يُسُرٍ ... وفي بَنِي الـدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ ومِنْ ذَنَبِ

١٤ أُغْضِي إذا صَرْفُهُ لم تُغْضِ أَعيُنُـه ... عَنِّي وأَرضَى إذا مـا لَجَّ في الغَضَبِ

١٥ وإنْ بُلِيْتُ بِجِـدٍّ مِـنْ حُـزُونَتِـه ... سَـهَّلْتُـهُ فكـأَني مِنْـهُ في لَعِبِ!

١٦ مُقصِّـرٌ خَـطَراتِ الـهَمِّ فـي بَـدَني ... عِلْماً بأَنِّيَ مـا قَصَّرْتُ في الـطَّلَبِ

١٧ بـأَيِّ وَخْـد قِـلاصٍ واجتِيَـابِ فَـلاً ... إدراكُ رِزْقٍ إذا ما كانَ في الهَـرَبِ؟!

١٨ مـاذا عليَّ إذا مـا لم يَـزُلْ وَتَـرِي ... في الرَّمْيِ أنْ زُلْنَ أَغْراضي فلمْأُصِبِ؟

١٩ فـي كـلِّ يَـوْمٍ أَظـافيـري مُـفَلَّلَةٌ ... تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لي مِنْ مَعْدِنِ الـذَّهَبِ

٢٠ مـا كنتُ كالسَّـائِلِ الأَيَّامِ مُخْتَبِطاً ... عَنْ لَيْلَةِ القَـدْرِ في شَعْبانَ أَوْ رَجَبِ

٢١ بَـلْ قَـابِضٌ بِنَـواصِي الأَمـرِ مُشْتَمِـلٌ ... على قَـوَاصِيـهِ في بَـدْءٍ وفي عَقَبِ

٢٢ مـا زِلْتُ أَرْمِي بـآمـالي مَـرَامِيَهـا ... لم يُخْلِقِ العِـرْضَ مِنِّي سُـوءُ مُـطَّلَبي

٢٣ إذا قَصَـدْتُ لِشَـأْوٍ خِلْتُ أَنِّيَ قَـدْ ... أَدْرَكْتُـهُ أَدركَتْني حِـرْفَـةُ الأَدَبِ!

٢٤ بِغُـرْبَـةٍ كـاغتـرابِ الجُودِ إنْ بَـرَقَتْ ... بِـأَوْبَـةٍ وَدَقَتْ بـالخُلْفِ والكَـذِبِ

٢٥ وخَيْبَـةٍ نَبَعَتْ مِنْ غَيْبَـةٍ شَسَعَتْ ... بِـأَنْحُسٍ طَلَعَتْ في كـلِّ مُضْـطَرَبِ

---

(١٩) ويروى «أظافيري مُقلَّمة» مِنْ قَلَّمَ أظافِيرَه إذا قصّها. ومَن روَى «صَوَاقِيري مُفَلَّلة» فهو جمعُ صاقُور وهو فأس تُكسر بها الحجارة، قال القِطامي:

وقـالـوا صَـرانـا اليـومَ عَيْـنٌ بَكِيَّـةٌ ... وكَـدَّانَـةٌ صـاقُـورُهـا مُتَفلِّـلُ

(٢٠) «مُخْتَبِطاً» مِنْ قولهم اختَبطَ ما عنده إذا طَلَب معروفَه، ومعنى البيت أنه وَصَف نفسَه بالعِلْم فقال لم أطلُبْ ليلةَ القَدْر في شَعْبان ولا رَجب لأنها تكون في العَشْر الأَواخر مِن رمَضان، وهذا البيت مبنيّ على ما جاءَ في الحديث من ذكر ليلة القَدْر.

(٢٤) و«دَقَتْ» مِنْ قولهم ودَقَ السَّحابُ إذا جاءَ بقطرٍ عِظام، وقيل «الوَدْق» دُنوُّ السَّحاب من الأَرض ثم سُمِّي الغَيْثُ وَدْقاً على معنى الاتساع.

(٢٥) (س) و«خَيْبَةٍ نَبَعتْ» و«يَنَعتْ»، استعاره مِنْ يَنَعتِ الثَّمرةُ إذا أدركَتْ، يُقال يَنَعَ الثَّمَرُ وأَينعَ، وإدخالُ الهمز عندهم أفصح. و«شَسَعَتْ» بَعُدَتْ.

٢٦ مــا آبَ مَنْ آبَ لم يَـظْفَــرْ بِبُغْيَتِــهِ ولم يَغِبْ طـالِبٌ لِلنُّجْـحِ لم يَخِبِ!

473

وقال [من الوافر] :

١ متى يُـرْعِي لِقَـوْلِـكَ أو يُـنِيـبُ وخِـذْنَـاهُ الـكـآبَـةُ والـتَّحِيـبُ؟

٢ ومــا أبــقَــى عــلى إدمــانِ هــذا ولا هَــاتَـا الـعُـيُـونُ ولا الـقُـلُوبُ

٣ علـى أنَّ الغَـرِيــبَ إذا استَمَــرَّتْ بــهِ مِــرَرُ الـنَّــوَى أَسِيَ الـغَــرِيـبُ

٤ ونِـعْمَ مُـسَـكِّنُ الـبُـرَحـاءِ ـ حَـلَّتْ بِــهِ فَـأَقَــامَتِ ـ الـدَّمْــعُ السَّكُــوبُ

٥ أرُومُ حِـمَـى الـعِـرَاقِ فـتــدّرِينــي رُمَـاةُ جَــوًى لِـشَـجْــوٍ مـا تُـصِيـبُ

٦ وتُـسْعِـفُـني دِمَـشْـقُ وسَـاكِـنُـوهـا ولا صَــدَدٌ دِمَــشْــقُ ولا قَــرِيــبُ

---

(١) يقال أرعَى للقول إذا أصغَى إليه، و« أناب » إذا تابَ من ذنبٍ ورجع عنه، و« خِذْناه » صديقاه وصَفِيّاه.

(٢) [ع] أشار بـ « ـهذا » إلى التَّحِيب و« بهاتا » إلى الكآبة.

(٣) « مِرَرُ النَّوَى » أي قُوَاها جمع مِرّة، و« النَّوَى » البُعْد، « وأسِيَ الغَرِيبُ » إذا صَحّت الرواية فلم يُرِدْ به أسَى الحُزْنِ لأن ما قبلَه على خلاف ذلك، وإنما أراد بـ « أسِيَ » معنى تَأَسَّى مِنَ الأسوة أي تَعزَّى.

(٤) « البُرَحاء » شِدّة الوَجْد، وقوله (حَلَّتْ به فأقامَتْ) واقعٌ موقعَ الحال من البُرحاء، وهذا نحوٌ من قول ذي الرُّمة:

لَعــلَّ انحــدارَ الدمــعِ يُعقِــبُ رَاحــةً مِــنَ الوَجْــدِ أو يَشفــي نَجِــيَّ البَلابــلِ

(٥) « تَدَّريني » أي تَختِلُني، ومنه قول سُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحي:

ومــاذا يَــدَّري الشُّعــراءُ منِّــي وقــد جــاوزتُ رأسَ الأربعيــن

(٦) ويُروى و« تَشفعني ». « صَدَد » في معنى قريب أو مُدانٍ له، وكَرّره لاختلاف اللفظ، و« دِمَشْق » اسم أعجميّ وافَقَتْ حُروفُه حروفَ الدِّمَشْقة وهي السُّرْعة في السَّير، يقال ناقة دِمَشْق أي سَريعة، =

٧ سَقَى اللّه البِقَاعَ فَحَيْثُ راقَتْ جِبالُ الثَّلْجِ رَحْباً والرَّحِيبُ
٨ وصَابَ القُوطَةَ الخَضْرَاءَ أعدَى وَأغْزَرَ ما يَجُودُ وما يَصُوبُ
٩ مِنَ الأنواءِ مُنْهَمِرٌ مُلِتٌّ لِفَوْدَيْهِ الكَثَافَةُ والهُدُوبُ
١٠ إذا التَمَعَتْ صَواعِقُهُ وَطَارَتْ عَقائِقُهُ وفَضَّتْهُ الجَنُوبُ
١١ حَسِبْتَ البِيضَ فيهِ مُصْلَتَاتٍ هَجِيراً سَلَّها يَوْمٌ عَصِيبُ
١٢ وكانَ بِهِ سَواحِينٌ تُهَمِّي عَزَالَيْهِ الظَّوَاهِرُ والغُيُوبُ
١٣ بِلادٌ أفقَدَتْنِيها هَنَاتٌ يُشَيِّبُ كَرُّها مَنْ لا يَشِيبُ

= وقد ذُكِرتْ في الشِّعر القديم، قال المتلمسّ:

لم تَدرِ بُصْرَى بما آليتُ من قَسَمٍ ولا دِمَشْقُ إذا دِيسَ الكراديسُ

وأدخلوا عليها الهاء في شُذوذ فقالوا دِمَشْقَةَ، قال الشاعر:

بأنا على بابَيّ دِمَشْقَةَ نرتمي وقد حانَ مِنْ بابَيّ دِمَشْقَةَ حَيْنُها

(٧) «جبال الثلج» يعني لبنان وسِنِّير وما والاهما، وكذلك كانت تُسمِّيها العرب، قال حَسّان:

مَلكُوا مِنْ جَبَلِ الثَّلْجِ إلى جَبَلَيْ أيْلَةَ مِنْ عَبْدٍ وحُرٍّ

(٩) أصْلُ «الفَوْدَين» العِدْلان ويقال أيضاً لجانبيّ الرأس الفَوْدان. و«الهُدوب» مأخوذ من الهُدب، و«الهَيْدَب» مشتق من الهُدْب، وهو ما تَدلّى من السَّحاب فدَنا من الأرض.

(١٠) «الصَّواعق» يعني بها الرُّعُود، و«العقائق» جمع عَقيقة وهو البَرْق المستطيل يُشبَّه به السيف، قال عنترة:

وسَيْفي كالعقيقةِ وهو كِمْعي سلاحي لا أَفَلَّ ولا فُطَارا

و«فضَّتْه» أي فتَحته، كما يُقال فَضَضْتُ الخاتمَ، وأصلُ الفَضّ التفريق.

(١٢) «الظَّواهِرُ» جمع ظاهِرَة وهي ما ارتفَع من الأرض، و«الغُيوب» جَمْعُ غَيْب وهو ما كان منخفضاً يُواري ما فيه ويُغيّبه، والمعنى أنَّ المطرَ استَوتْ فيه الوهودُ والرُّبَى، وهو نحو قول عَبِيد، ويُروى لأوْس:

فمَنْ بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بعَقْوَتِهِ والمُسْتَكِنُّ كَمَن يَمْشي بِقِرْوَاحِ

(١٣) «هَنَات» جمع هَنَةٍ وهي كناية عن الخُطوب، يقال أصابَتْهم هَنات وهَنَوات، وقد يحتمل أن تكون «هَناة» واحدة، إلاّ أن الذي يُقوّي أنها جَمْع إجراؤهم تاءَها مَجْرَى تاءِ الجمع، قال البُرْج بن مِسْهَر:

فنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غيرَ أنّا رَأينا في جُوَارِهم هَنَاتِ =

١٤ وآثارُ مُوكَّلَةٌ بِألاَّ ... يُجَاوزَ ما رَقَشْنَ لَهُ عَرِيبُ
١٥ وكَمْ عَدَويَّةٍ مِنْ سِرِّ عمرو ... لها حَسَبٌ إذا انتَسَبَتْ حَسِيبُ
١٦ لها مِن طَيِّىءٍ أُمٌّ حَصَانٌ ... نَجِيبَةُ مَعْشَرٍ وأَبٌ نَجِيبُ
١٧ تَمَنَّى أَنْ يَعُودَ لها حَبِيبٌ ... مُنىً شَطَطاً وأَينَ لها حَبِيبُ؟!
١٨ ولو بَصُرَتْ بِهِ لرَأَتْ جَرِيضاً ... بماءِ الدَّهْرِ حِلْيَتُهُ الشُّحُوبُ
١٩ كَنَصْلِ السَّيْفِ عُرِّي مِنْ كِسَاهُ ... وفَلَّتْ مِنْ مَضارِبِهِ الخُطُوبُ
٢٠ زَعيماً بالغِنَى أَوْ نَدْبِ نَوْحٍ ... تُعَطَّطُ في مآتِمِهِ الجُيُوبُ
٢١ فأَصْبَحَ حيثُ لا نَقْعٌ لِصَادٍ ... ولا نَشَبٌ يَلُوذُ بِهِ حَرِيبُ
٢٢ بِمِصْرَ وأيُّ مَأْرُبَةٍ بِمِصْرٍ ... وقَدْ شَعَبَتْ أَكَابِرَها شَعُوبُ؟
٢٣ ووَدَّأَ سَيْبَها ما وَدَّأَتْهُ ... يَحَابِرُ في المُقَطَّمِ بَلْ تُجِيبُ

= ونعمَ الحَيُّ كَلْبٌ غيرَ أنَّا ... رُزِئْنا مِنْ بَنِينَ ومِنْ بَناتِ!
ويجوز أن يكون استعملوها مرَّةً على مَجْرى قِلَة وقِلات ومَرَّةً على مِثْل قولهم سَنَة وسَنَوات، قال الشاعر:
أرَى ابنَ نَزارٍ قد جَفاني ومَلَّني ... على هَنَواتٍ كُلُّها مُتَتابعِ
(١٤) رَقَشْنَ كتبنَ، ويُروى «وسَمْنَ» و«رسَمْنَ» وهذه المعاني مُتَقارِبة و«عَرِيب» أي أحد.
(١٩) أي كَنْصل السيف شَهامةً وصَرامة، قد عُرِّي مِنَ الغَناء ومُلِىءَ من التَّجارب.
(٢٠) «تُعَطَّط» أي تُشَقَّق، أي قَصَرَ نَفْسَه على شَيْئين: إمّا على غِنًى يَنالُه أو هَلاكٍ يَلحقُه حتى تَقومَ عليه النَّوائح.
(٢١) «نَقْع» من نَقَع الشارب إذا رَوَى، و«الصَّادِي» العَطْشان.
(٢٢) «شَعُوب» اسم لِلمنيَّة ولا ينصرف إلاَّ في الضرورة.
(٢٣) يقال ودَأتُ الميِّتَ إذا غيَّبتَه في الأرض، وتودَّأتْ عليه الأرضُ إذا غَيَّبتْه، قال هُدْبَة:
وللأرض كَمْ مِنْ صالحٍ قد تَودَّأَتْ ... عليهِ فَوارتْه بِلَمّاعةٍ قَفْرِ
والمعنى أنَّ سَيْبَ مصر دَفنه مَن دُفن من هذه القبائل، كما يُقال مات الجودُ إذا ماتَ فلان.
و«ويحابِرُهم» مُراد وكأنَّه جَمْعُ مَحْبورة وهي الحُبارَى وقِيل فَرْخها، قال الشاعر:
كأنكمُ ريشُ يَحْبُورةٍ ... قَلِيلُ الغَناءِ عنِ المُرْتَمَى
و«تُجِيب» قبيلة يمانية سُمِّيت بالفِعْل المضارع، ومنهم كِنَانة بن بِشْر قاتلُ عُثمان بن عَفَّان رضي =

٢٤ بَـلِ الـحَيَّـانِ حَيّـا حَضْـرَمـوت فـحـارِثُـهـا وإخْـوَتُـهـا شَـبِـيـبُ
٢٥ فَـخَـوْلانٌ فَـيـحـصُـبُ كـانَ فـيـهـم وفـيـهـا غـالَـهُـمْ عَـجْـبٌ عَـجِـيـبُ
٢٦ مَضَـوْا لم يُـخْـزِ قـائِلَهُمْ خُـمُـولٌ ولـم يُـجْـدِبْ فَـعـالَـهُـمُ جُـدُوبُ
٢٧ ولـم تُجْـزَلْ بِـغَيْـرِهِـمِ العَـطايـا ولـم تُغْـفَـرْ بغَيْـرِهِـمِ الـذُّنُـوبُ
٢٨ بُـدورُ المُظْلِمـاتِ إذا تَنَـادَوْا وأُسْـدُ الغـابِ أَزعَلَهـا الـرُّكُـوبُ
٢٩ أُولَئِـكَ لا خَـوالِـفَ أَعْـقَـبَـتْـهُـم كـمـا خَلَفَتْ هَـوَادِيَهَـا العُجُـوبُ
٣٠ حَـوَاقِلَـةٌ وَأَصْبِيَـةٌ تَـرَامَـتْ بهِمْ بِـيـدُ الـدَّخَـالـةِ والسُّـهُـوبُ

= الله عنه، ويُروى لنائلة بنت الفُرافِصَة:

ألاَ إنَّ خيـرَ النـاسِ بعـدَ ثلاثـةٍ قَتِيـلُ التُّجيبِّي الذي جـاءَ مِـنْ مِصْـرِ

و« حضْرَموت » قبيلة من اليمن قديمة النّسَب، ويقال إنْ حَضْرَموت أخو سَبَأ بن يَشْجُب، وقيل بل هو أقدمُ من سَبَأ بعُصور، والله أعلم بمَغِيب الأمور. و« خَوْلان » يُختَلف في نَسبَها، وهي من قَحْطان و« يَحْصُب » من حِمْيَر.

(٢٦) « يُجْدِب » يَعِيبُ، وإنْ رويتَ « جَدُوبُ » بفتح الجيم فهو [فَعُول] مِنْ جَدَبْتُه إذا عِبْتَه، وإن رويتَ « جُدُوب » بالضم فهو أشبه بصنعة أبي تمام لأنه يريد جمع جَدْب، أي لم يفعلوا في السنة المُجْدِبة ما يُعابون به.

(٢٨) « تَنادَوْا » تَجالسوا في النَّادي، يُقال نادَيْتُ الرجلَ، ومنه قولُ كُثَيِّر:

تُنـادِيـكَ مـا لَبّـى الحَجِيـجُ وكَبَّـرتْ بِفَيْفَـي غَـزَالٍ رُفْقَـةٌ وأَهلَّـتِ

وقال آخر:

تَنـادوا فَمـا حَلُّـوا الحُبَـى وتَعـاونُـوا علـى جـارِهـمْ والجـارُ يُحبَـى ويُـرفَـدُ

و« الزَّعَلُ » إفراطُ النَّشاط.

(٢٩) يقول: هؤلاء القَوْم الذين ذَكرَ لم يَخْلُفهم مِنْ أولادهم أحدٌ من السّادات. و« الهَوادي » الأعناق، و« العُجُوب » جمع عَجْب وهو عَظْمُ الذّنَب، ويُكنى به عن أفخاذ القَوْم ومُتأخِّريهم.

(٣٠) (س) تَرامَتْ بهِمْ بَيْداءُ كِرْوٍ» (ع): « حَوَاقِلة » أي شُيوخ، الواحدُ حَوْقل، و« وأصبِيَة » جَمْع صَبِيّ على القياس، والمستعمل صِبْيَة. وقوله « تَرامتْ بهم بِيدُ الدَّخالة » يريد المصدَر، مِنْ قولك رَجلٌ دَخِيل في النَّسب إذا كان مُلْصَقاً فيه، و« السُّهوب » كذلك. أي تَرامَتْ بهم بِيدُ الخِسَّة، يعني هؤلاء الذين وَجدَهم بمصر.

٣١ فلا الأَحْداثُ بالأَحداثِ تُرجَى فَواضِلُهُم ولا الشِّيخانُ شِيبُ
٣٢ كِلا طَعْميهِمُ سَلَعٌ وصَابٌ فأيُّ مَذاقَتَيْهِمْ تَسْتَطِيبُ!؟
٣٣ وما فَضْلُ العِتاقِ إذا أَلظَّتْ بها وتأَثَّلَتْ فيها العُيُوبُ؟!
٣٤ أَتُمتَحَنُ القِسيُّ بغيرِ نَبْلٍ أَيُخطِئُ مُبْتَلِيها أَمْ يُصِيبُ؟!
٣٥ أَلِلغِمْدِ المَشُوفِ عليك رَدٌّ وليسَ لُبابَه ذَكَرٌ خَشِيبُ؟!
٣٦ تَحَيَّفَتِ الأُمُورُ أبا سعيدٍ وضاقَ بأَهلِهِ اللَّقَمُ الرَّكُوبُ!
٣٧ وأمسَى النّاسُ في عَمْياء أَلوَى بأَنجُمِها وأَشْمُسِها الغُرُوبُ
٣٨ لَهُمْ نَسَبٌ وليسَ لهم فَعالٌ وأَجسامٌ وليسَ لهم قُلُوبُ

---

(٣١) يقول: ليس أحداثُ هؤلاء المذمومون بأحداثٍ تُرجَى فَواضِلُهم، ولا شُيوخهُم شِيبٌ يُرجَوْنَ. وفي الكلام حَذَفٌ يُتَوصّل به إلى تَمام المعنى. و«الشِّيخان» جمع شَيْخ، قال الشاعر:

بَناهُ لِيَ الشِّيخانُ مِنْ آلِ مالِكٍ بِناءً يُرَى عندَ المَجَرَّةِ عالِيا

(٣٢) «سَلَع وصاب» ضَرْبان من الشَّجَر مُرّان.

(٣٣) «العِتاق» كِرامُ الخَيْل، و«أَلظَّتْ بها» إذا لَزِمَتْها، يقال أَلظَّ يُلِظُّ إلظاظاً ولَظَّ أيضاً، وفي الحديث أَلِظُّوا بـ«ياذا الجَلالِ والإكرام»، وقال بِشْر:

أَلَظَّ بِهِنَّ يَحدُوهُنّ حتّى تَبَيَّنَ حُولَهُنَّ مِنَ الوِساقِ

و«تَأَثَّلتْ» أي قَدُمَتْ وصارَ لها أصْل، ويقال أَثَّلْتُ المالَ إذا جعلتَ له أصلاً.

(٣٤) «القِسِيُّ» جمع قَوْس على القَلْب، وكلُّ ما كان على هذا النحو مثل دُلِيّ وثُدِيّ جاز ضَمُّ أوّلِهِ وكَسْرُه، إلاّ «القِسِيّ» فإنه لم يُحْكَ بالضمّ. وهذا المعنى مثلُ قولهم في المثل: إنباضٌ بغيرِ تَوْتير وحاد وليس له بَعير. و«مُبْتَلِيها» أي مُخْتَبِرُها.

(٣٦) أي الطريق الذي جَرَتْ عادتُه أن يُركب.

(٣٧) (س): «أَودَى بأَنجُمِها»، ويقال أَلْوَتْ العُقابُ بِصَيْدها إذا طارَتْ به، وأَلوَى بهم الدَّهْرُ إذا أَهلكَهم.

وقال [من الكامل] :

١ طَلَبَتْـه أَيَّـامٌ وطـالَـبَ مِـثْـلَهـا   أُخـرَى فـأَصْبَـحَ طـالِبـاً مَـطْلوبـا
٢ هِـيَ عَـزْمَـةٌ كـالسَّـيفِ إلاَّ أَنَّـهـا   جُعِلَتْ لأَسبـابِ الـزَّمـانِ قَضُـوبـا
٣ خَـطَبَتْ خُطُوبَ الـدَّهْـر منـه خُطَّةً   نَتَجَـتْ عليـهِ تَـجـارِبـاً ونُكُـوبـا
٤ صَـرَمَتْ جِبالُ الـدَّهْـرِ منه صَـرْمـةً   تَـرَكَتْ بِقَـلْبِ النَّـائِبـاتِ وَجِيـبـا
٥ ولَـربَّمـا استَبْكَتْـهُ نَكْبَـةُ حـادِثٍ   نَكَـأَتْ ببـاطِنِ صَفْحَتَيْـهِ نُـدُوبـا
٦ لا أَنَّـهُ خَـذَلَتْـهُ أَسْبـابُ الـغِـنَـى   أَوْ رَاحَ مِـنْ سَلَبِ الـمُـلوكِ سَلِيبـا
٧ لـكـنَّـهُ عَـجَـبٌ وليـسَ بِـمُـعـجِـبٍ   أَنْ شـامَ مِنْ حُكْمِ الـزَّمـانِ عَجِيبـا
٨ يَـوْمـاً بِمُنْقَـطِعِ الشُّرُوقِ مُقَـامُـه   وَيُقِيمُ يـومـاً بـالغُـروبِ غَـرِيبَـا
٩ لا كـانتِ الآمـالُ يَكفُـلُ نُجْحَهـا   كَـرَمٌ يُـرِيـكَ تَجَهُّمـاً وَقُـطُوبـا!

(٥) (س): و« أشكَتْه ». (ع): أَحوجَتْه إلى الشكيّة، وقد يكون في معنى أَزالَتْ شَكِيَّته، وهذه الكلمة تُذكر في الأضداد، والبيت يحتمل المعنيَين إذا لم يُشفَعْ بالبيت الثاني، وحَمْلُه على إزالة الشَّكاية أَحسنُ في حُكم الشِّعْر، لأَنَّ المرادَ أنه يَصبِرُ على النَّكبات فيُعقِبُ صَبْرُه خيراً ونُجْحاً، وهذا المعنى يَتردّدُ في شعر الطائي وغيره. و« الصفحتان » الجانبان، و« النُّدُوب » جمع نَدَب وهو الأَثَر.

قافية الدّال

475

وقال يَفخر على رجل من بني تَمِيم [من الرجز]:

١	لَمّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أمراً جِدّا	ولم أَجِدْ مِنَ القِيَامِ بُدّا
٢	لَبِسْتُ جِلْدَ نَمِرٍ مُعْتَدّا	وَجِلْدَ ضِرْغَامٍ يُقَدُّ قَدّا
٣	جَمَعْتُ جَمْعَ العَرَبِ الأشِدّا	جَمْعاً يُلِدُّ الظالمَ الأَشَدّا
٤	يَهدُّ أَرْكانَ الجبالِ هَدّا	كان تَميمٌ لأبينَا عَبْدَا
٥	أسوَدَ نَضّاخَ المَقَدّ جَعْدا	ونحنُ كنّا لِلنَّبِيِّ جُنْدا
٦	يَوْمَ بُزَاخاتٍ وَرَدْنَ وِرْدا	وعُدَّ لي بَدْراً وعُدَّ أُحْدا
٧	وطَيِّىءٌ قَدْ ألبَسَتْنِي بُرْدا	حتى فَخَرْتُ فهزَمْتُ العَبْدا

قافية الرّاء

476

وقال يَفْخَرُ بِقَوْمه عندَ انصرافِهِ مِنْ مِصْر [من الطويل] :

١ تَصَدَّتْ وَحَبْلُ البَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزْرُ ... وقَدْ سَهَّلَ التَّوْدِيعُ ما وَعَّرَ الهَجْرُ

٢ بَكَتْهُ بما أَبْكَتْهُ أَيَّامَ صَدْرُها ... خَلِيٌّ وما يَخْلُو له مِنْ هَوىً صَدْرُ

٣ وقالَتْ أَتَنْسى البَدْرَ ، قلتُ تَجلُّداً ... إذا الشّمسُ لم تَغْرُبْ فلا طَلَعَ البَدْرُ

٤ فأذْرَتْ جُمَاناً مِنْ دُموعٍ نِظامُها ... على الصَّدْرِ إلاّ أَنَّ صائِغَها الشَّفْرُ

٥ وما الدَّمْعُ ثانٍ عَزْمَتي ولَوْ أنها ... سَقَى خَدَّها مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لها نَهْرُ

٦ جَمَعْتُ شَعاعَ الرَّأْيِ ثُمَّ وَسمْتُه ... بِحَزْمٍ له في كُلِّ مُظْلِمَةٍ فَجْرُ

---

(١) « تَصَدَّتْ » تعرَّضَتْ، وكأنَّه مأخوذٌ من صَدِّ الجَبَل وهو ناحِيتُه، فيكون الأصلُ على هذا الوجه تَصدَّدَتْ فأُبدِلتْ من إحدى الدالاتِ تاءٌ كما قالوا تَظنَّيتُ في معنى تَظنَّنْتُ. و« مُستَحْصِد » مُحكَم الفَتْل، يقال حَبْل مُحْصَد ومُسْتَحصِد. و« الشَّزْر » الشديدُ الفَتْل، واستعار النَّوعَيْن هاهنا، وإنما أَصلُه من وعورةُ الأرض، أي سَهَّلَ بالالتقاء لِلوَداع ما كان توعَّر.

(٢) أي بَكتْه وَجْداً به كما كانت تَبكِيه قبلَ الفِرَاق بهجرانه حين كانَتْ خَلِيَّةَ الصَدْر من الشُّغل به وكان هو مشغولَ القلبِ بها، أي إنما بَكتْه اليومَ بما هَمَّ به من هِجْرانها كما كانت هي من قبْل تَحْمِلُه على البُكاءِ بهجرانها إيّاه. ويجوز بَكَتْه بعينها التي أبكتْه بِحُسْنِها حين نَظرَ إليها فَشُغِفَ بها، والأولُ أجودُ.

(٦) [ع] « شَعاع الرأي » بِفَتْح الشّين هي الرواية الصحيحة، أي مُتَفرِّقُه، قال الرّاجز :

تَفْلِي له الرِّيحُ وإنْ لم يَفْتَلِ
لِمَّةَ قَفْرٍ كَشعاعِ السُّنْبلِ

٧	وصارَعْتُ عَنْ مِصْرٍ رَجَائِي ولم يَكُنْ	لِيَصْرَعَ عَزْمي غيرَ ما صرعَتْ مِصْرُ
٨	فَطَحْطَحْتُ سَدّاً سَدُّ يَاجُوجُ دُونَه	مِنَ الهمِّ لَمْ يُفْرَغْ على زُبْرِهِ قِطْرُ
٩	بِذِعْلِبَةٍ ألْوَى بِوَافِرِ نَحْضِها	فَتىً وافِرُ الأخْلاقِ ليسَ له وَفْرُ
١٠	فكَمْ مَهْمَهٍ قَفْرٍ تعَشَّقْتُ مَتْنَهُ	على مَتْنِها والبَرُّ مِنْ آلِهِ بَحْرُ!
١١	وما القَفْرُ بالبِيدِ القَواءِ بَل التي	نَبَتْ بي وفيها ساكِنُوها هي القَفْرُ!

ويدّلك على أنه «شَعاع» قوله «جَمَعْتُ» ومَن رَوَى شُعاع بالضَّم فهو مَعْنًى صحيح إلاَّ أنني أظنُّه وُلِّدَ بعدَ مَوْتِ الطائي.

(٧) أي يَئِستُ من خيرها فارتحلتُ عنها بِعزْم.

(٨) «طَحْطحتُ» أي كَسَّرْتُ وفرّقتُ. وجمعَ «زُبْرةٌ» على زُبْر وذلك جَمْعٌ غيرُ معروف، وإنما يقال زُبْرَة وزُبَر، وكذلك جاءَ في القرآن. و«القِطْر» النّحاس، وربما قيل القِطْر الرَّصاص، وإنما اشتقاقُه من قَطَر يَقطُرُ، كأنّه من قولهم قَطرْتُه فهو قِطْر كما يقال ذَبحتُ والمفْعُول ذِبْح وَطحنْتُ والمفعول طِحْن.

(٩) «الذِّعْلبَة» الناقةُ السَّرِيعةُ، يقال ذِعْلبة وذِعْلِب، قال النابغة:

ذَكَرْتُ سُعادَ فاعتَرتْني صَبابَةٌ ... وَتَحْتِيَ مِثْلُ الفَحْلِ وَجْناءُ ذِعْلِبُ

ويقال إنَّ اشتقاقَها من تَذَعْلَبَ إذا انطلقَ في خِفْية، كأنَّها لِخفَّتها لا يُشْعَر بسيرها. و«ألوَى» بالشيءِ إذا ذهَبَ به، ويقال ألوَى بهم الدهرُ إذا أفناهم. و«النَّحْض» النّحْم، والوَفْر المال. يقول: ذَهبتُ بِنحْض هذه الناقة لسيري عليها وأنا وافر الأخلاق ولا وَفْرَ لي. وقوله. «وافر الأخلاق» يحتمل أن يكون المرادُ به الكمال، ولا يمتنع أن يريد أن أخلاقَه لم يُنقِصْ منها الفقرُ كَرماً.

(١٠) «المَتْن» ما غَلُظَ من الأرض وجَمْعه مِتان، والمَتْن من الإنسان و«الآل» والدّابة أسفلُ الظَّهْر وجمعُه مُتون. و«الآلُ» أوّل السّراب وهو الذي يرفع الشُّخوصَ في أوّل النّهار، وبعض الناس لا يُفرّق بين الال والسّراب، ومنهم مَن يَجعُل السّرابَ الذي يَتموّج كالماءَ. يقول: قَطعتُ هذا المَهْمه وكأنَّ بَرّه بَحْرٌ مِنَ الآل.

(١١) «القَوَاء» من الأرض هو المكان المُقْوِي أي الذي لا شيءَ فيه، يقال أقوَى المكانُ فهو مُقْوٍ، وكذلك أقوَى الرجلُ إذا فَنِيَ زادُه. يقول: ما الأرضُ المقفرةُ التى لا أهلَ بها وإنما هي التي نَبتْ بي وفيها سُكّانُها، أي هي عندي بمنزلةِ القَفْر، وهذا نحو من قولهم بنو فلانٍ سَواءٌ والقَفْر، أي مَن نَزلَ بهم فكأنّه مُقْفِرٌ لأنهم لا يُقرون الضيفَ، قال الشاعر:

سَواءٌ عليكَ القَفْرُ إنْ كنتَ نازِلاً ... وأهلُ القِبابِ من نُمَيْرِ بنِ عامرِ =

١٢ ومَنْ قـامَـرَ الأيّـامَ عَنْ ثَـمَـراتِهـا فـأَحْجِ بهـا أَنْ تَنْجَلي ولهَـا القَمْـرُ!
١٣ فـإنْ كـانَ ذَنْبي أَنَّ أحسنَ مَـطْلَبي أَسـاءَ ففي سُـوءِ القَضَـاءِ ليَ العُـذْرُ
١٤ قَضَاءِ الذي ما زَالَ فـي يَـدِهِ الغِنَـى ثَنَى غَـرْبَ آمـالي وفي يَـدَيَ الفَقْـرُ
١٥ رَضِيْتُ وهَلْ أرضَى إذا كانَ مُسْخِطي مِنَ الأمرِ ما فيهِ رِضا مَنْ له الأَمْرُ؟!
١٦ وأَشْجَيْتُ أيّـامِي بِـصَبْـرٍ جَلوْنَ لي عَـواقِبَه والصَّبْـرُ مِثْلُ اسمِـهِ صَبْـرُ
١٧ أَبى ليَ نَجْـرُ الغَـوْثِ أَنْ أَرْأَمَ التي أُسَبُّ بِهـا والنَّجْـرُ يُشْبِهُـهُ النَّجْـرُ
١٨ وهَلْ خابَ مَنْ جِذْماهُ في ضِنْءِ طَيِّءٍ عَدِيُّ العَدِيِّيـنَ القَلمَّسُ أو عَمْـرو!؟
١٩ لـنـا غُـرَرٌ زَيـدِيَّـةٌ أُدَدِيَّـةٌ إذا نَجَمَتْ ذَلَّتْ لها الأَنْجُمُ الزُّهْـرُ
٢٠ لنا جَوْهَـرٌ لو خَـالَطَ الأرضَ أصبحَتْ وبُـطْنَانُهـا مِنه وظُهْـرانُهـا تِبْـرُ
٢١ جَـدِيلَةَ والغَـوْثَ الـلَّذينِ إليهـمـا صَغَتْ أُذُنٌ لِلمَجْـدِ ليسَ بَهـا وَقْـرُ

= ويُروى «نَبَتْ بي وفيها أَهْلُها فهيَ القَفْرُ» والذي فَرّ إلى الرواية الأُخرى إنما كَرِه الفاءَ، والرواية التي فيها الفاء أقوَى في النّظْم، والذي اجتلب الفاءَ هو الفِعْل وذلك قولُه نَبَتْ.

(١٢) «أَحْجِ بها» مِثل أَحْرِبها، قال الأعشى:

بَـلِ الصّبْـرُ أحجَـى فـإنَّ امـرءًا سَيَنفَعُـه عِلْمُـه إن عَلِـمْ

وقال «أَنْ تَنْجلي» فسَكّنَّ الياءَ على معنى الضرورة وقد كثر مَجِيءُ ذلك في الشِّعر.

(١٧) «النَّجْر» الأصل، و«الغَوْث» من طَيء، و«أَرأَم» مأخوذ من رَئِمتِ الناقةُ ولدَها إذا شَمَّتْه ودَرَّتْ عليه. يقول: لا أَرأَمُ أَمراً يُعاب عليّ كما تَرْأَمُ الناقةُ ولدَها، أي أَدنو منه ولا أُقاربه.

(١٨) «جِذْماه» تَثْنية جِذْم وهو الأصل. وقال «عَدِيّ العَدِيِّين» على معنى التعظيم له، أي هذا الرجلُ الذي يقال له عَدِيّ رئيسٌ لِكُل مَن سُمِّي بهذا الاسم، وهو نحو قولهم عظيم العُظَماء وكريمُ الكُرماء إلاّ أنَّ ذلك في الصِّفات أكثر، ومنه قولُهم لبعض النِّساء هِنْد الهُنود أي هي أفضلُهن، كأنَّ الغرضَ أنها تشتهر بينهن فَيُذْعِنّ لها بالجَلالِ والشّرف. و«القَلمّس» الكثيرُ العَطاءَ، ومنه قيل لِلبحر قَلَمّس، وقد كان في العرب مَن يُلقَّب القَلمّس، قال رجل من قريش:

أبنِـي القَلمّسِ ليسَ أنْ أنصفتُـم لكـم علينـا ـ فـاعلمـوا ـ فَضْـلُ

و«عمرو» الذي ذَكَره الطائي هو عَمْرو بنُ الغَوْث الطائي والد ثُعَل بن عمرو.

(٢٠) «البُطنان» جمعُ بَطْن، «والظُّهْران» جمع ظَهْر.

(٢١) «جَدِيلة» امرأة مِنْ حِمْيَر، وهي جَدِيلة بنت سُبَيْع، ولم تَلِدْ أحداً مِن بُطون الغَوْث فلذلك أفردَها =

٢٢	مَقاماتُنا وَقْفٌ على الحِلْمِ والحِجَى	فأمْرَدُنا كَهْلٌ وأشْيَبُنا حَبْرُ
٢٣	ألَنَّا الأكُفَّ بالعَطَاءِ فجَاوَزَتْ	مَدَى اللِّينِ إلّا أنَّ أعراضَنا الصَّخْرُ
٢٤	كأنَّ عَطَايانا يُناسِبْنَ مَنْ أتى	ولا نَسَبٌ يُدْنِيهِ مِنّا ولا صِهْرُ
٢٥	إذا زِينَةُ الدُّنيا مِن المالِ أعرَضَتْ	فأزْيَنُ مِنها عِندنا الحَمْدُ والشُّكْرُ
٢٦	وكُورُ اليَتامَى في السِّنين فَمَنْ نَبا	بِفَرْخٍ لهُ وَكْرٌ فنَحنُ لهُ وَكْرُ
٢٧	أبَى قَدْرُنا في الجُودِ إلّا نَباهةً	فليسَ لِمالٍ عِندنا أبداً قَدْرُ
٢٨	لِيُنْجِحْ بِجُودٍ مَنْ أرادَ فإنَّهُ	عَوَانٌ لهذا النّاسِ وهْوَ لَنا بِكْرُ
٢٩	جَرَى حاتِمٌ في حَلْبَةٍ منه لَوْ جَرَى	بِها القَطْرُ شَأْواً قِيلَ أيُّهُما القَطْرُ!
٣٠	فَتىً دَخَرَ الدُّنيا أُناسٌ ولم يَزَلْ	لها باذلاً فانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ!

= منهم، وإنما ولدها المنسوبون إلى خارجة بن سَعْد بن قُطْرة بن طيىء. و« صَغَتْ » مالَتْ، و« الوَقْر » الثِّقَل في الأذن.

(٢٢) « المقامات » جمع مَقامة، ولا يمتنع أن يكون جمع مَقام، وأصلُ ذلك الموضع الذي يَقومُ فيه القائمُ لخُطبةٍ أو فَصْلِ أمرٍ، ثم كَثُرَ ذلك حتى سَمَّوا العَشِيرةَ مَقامَة لأنهم يُقام فيهم، وقالو للسيّد هو يقوم في قَوْمه إذا كان يَنهضُ فيما يَنزِلُ بهم من الأمور، قال الأعشى:

يَقُومُ على الوَغْمِ في قَوْمِهِ فيَعفُو إذا شاءَ أو يَنتقِمْ

ويقال للجماعة مَقامة أيضاً وإن لم يكونوا عَشِيرة لأنّ القائلَ يقوم فيهم.

(٢٦) كأنَّ المعنى: نحنُ وكُور اليَتامَى يَلجأون إلينا كما يَلجأ الفَرْخُ إلى الوَكْر. وعَنَى « بالسِّنين » الجُدوب لأن العرَب تُسمِّي الجَدْب سَنَةً، ومن ذلك قولُهم في المثَل أهونُ هالكٍ عَجُوزٌ في عام سَنَةٍ، وقالوا أَسنَتَ القومُ إذا أصابَتْهم السَّنةُ أي الجَدْبُ. يقول: إذا نَبا الرجلُ بولدهِ كفلناه.

(٢٩) « حاتِم » بن عبدالله مَشْهور. و« الحَلْبة » الجَماعة من الخيل تُرسَل في الرِّهان، و« الشأو » الطَّلَقَ والغاية. والرواية المعروفة « بها القطرُ شأواً واحداً جَمَسَ القَطْرُ » وهو أشبه بكلام الطائي، و« جَمَسَ » في معنى جَمَدَ، وقال قوم جَمَدَ الماءُ وَجَمَسَ الوَدْكُ والدُّهْن، وكان الأصمعي يَعيبُ على ذي الرُّمة قولَه:

★ وتَفْرِي سَدِيفَ البُزْلِ والماءُ جامِسٌ ★

ولَعلّ الذي غَيّر الرواية إنما سمع قولَ الأصمعي وكَرِه أن يكون مثلُ ذلك في شعر الطائي، ولم يصنع شيئاً بالتغيير، بلِ الرواية التي فيها « جَمَسَ » أجزلُ وأفصَح.

(٣٠) الرواية المعروفة « لم يَزَلْ لها داحِراً » والذي غيّرها بـ« باذل » إنما كِره لفظ « داحِر » وذلك يَدلُّ =

٣١ فَمَنْ شاءَ فليَفْخَرْ بما شاءَ مِن نَدىً فليسَ لِحيٍّ غيرَنا ذلكَ الفَخْرُ

٣٢ جَمعنا العُلَى بالجُودِ بعدَ افتِراقِها إلينا كما الأيّامُ يَجمعُها الشَّهْرُ

٣٣ بِنَجْدَتِنَا ألقتْ بِنَجْدٍ بَعَاعَها سَحابُ المَنايا وهيَ مُظْلِمَةٌ كُدْرُ

٣٤ بكُلِّ كَمِيٍّ نَحرُهُ غَرَضُ القَنا إذا اضطَمَرَ الأحشاءُ وانتفَخَ السَّحْرُ

٣٥ فأَعْجِبْ بِهِ يَهْدِي إلى المَوْتِ نَحْرَه وأَعْجَبُ منه كيفَ يَبقى له نَحْرُ!

٣٦ يُشَيِّعُهُ أبناءُ مَوْتٍ إلى الوَغى يُشَيِّعُهُم صَبْرٌ يُشَيِّعُهُ نَصْرُ

٣٧ كُمَاةٌ إذا ظَلَّ الكُمَاةُ بمعرَكٍ وأَرماحُهُم حُمْرٌ وألوانُهُم صُفْرُ

٣٨ رَأَيتَ لهمْ بِشْراً على أَوْجُهٍ لَهُم أَبَى بَأْسُهُم ألاّ يكونَ لها بِشْرُ

٣٩ بِخَيْلِ لِزَيْد الخَيلِ فيها فَوارِسٌ إذا نَطَقُوا في مَشْهَدٍ خَرِسَ الدَّهْرُ

٤٠ على كُلِّ طِرْف يَحْسُرُ الطَّرْفَ سابحٍ وَسَابِحَةٍ لكنْ سِبَاحَتُها الحُضْرُ

٤١ طَوَى بَطْنَها الإِسآدُ حتَّى لَو انَّه بَدا لَكَ ما شَكَّكْتَ في أنَّهُ ظَهْرُ

٤٢ ضَبِيبيَّةٌ ما إنْ تُحَدِّثُ أنفُساً بما خلفَها ما دامَ قُدَّامَها وِتْرُ

= على سُخْف رأي وجَهْل، وفي قوله «داحِر» ضَرْبٌ من الصناعة التي كان يتبعها الطائي لأنَّ «داحِراً» تصحيف «داخر» ولو قال قائل في النثر ما أنت داخِرٌ للدنيا بل داحِر لكان أصنَعَ من قوله باذل، وهذا بَيِّن.

(٣٣) يقال ألقَى السَّحابُ بَعاعَه إذا ألقَى ثِقْلَه وماءَه، وإنما يُستعمل ذلك في السَّحاب خاصةً إلاّ أن يُستعارَ لغيره. وزعَمَ قومٌ أنه يقال بَعَّ المزادةَ إذا صَبَّها و«سحاب» جَمْع سَحابة، فيجوز أن يُذكَّر ويُؤنَّث كما يجوز ذلك في الجُموع التي ليس بينها وبين واحدِها إلاّ الهاءُ، وأَنَّثَ في هذا البيت لأنه جاءَ في عَجُزِه «وهي مُظلمةٌ كُدْرُ». والنّجْدة الشَّجاعة والمعونة في الحرب.

(٣٤) «الاضطمار» ضِدُّ الانتفاخ، و«السَّحْرُ» الرِّئة وما يَتعلَّق بها، ويقال للجبان انتفَخَ سَحْرُه. وقال الكُميت:

وأربَطُ ذِي مَسامِعَ أنتَ جأشاً إذا انتفَختْ مِنَ الوَهْلِ السُّحُورُ

(٤١) «الإسآد» سَيْرُ الليل، يُقال أسأَدَ فهو مُسئِد. وقد بالغَ في هذا البيت في صِفَة الضُّمْر حتى خَرجتْ المبالغةُ إلى ما لا يمكن أن يكون وذلك سائغٌ في مَذاهب الشِّعْر مَحكُومٌ بأنه من ألطف الصَّنعة.

(٤٢) «ضَبِيبيَّة» مَنسُوبَةٌ إلى الضَّبِيب، وهو فَرَسٌ كان لرجلٍ من طيّىء حَملَ عليه بعضَ مُلوك الفُرْس، وذلك أنه كان معه في حَرب فهُزِم ذلك الملكُ وقَصّرَ فَرَسُه، فحَمله الطائيُّ على الضَّبِيب فعرَفَ له =

٤٣ فـإن ذَمَّتِ الأعـداءُ سُـوءَ صَبَاحِهـا | فليسَ يُؤَدِّي شُكْـرَها الـذِّئْبُ والنَّسْـرُ
٤٤ بِهـا عَـرَفَتْ أَقْـدَارَهـا بعـدَ جَهْلِهـا | بأَقْدارِهـا قَيْسُ بـنُ عَيلاَنَ والفِـزْرُ
٤٥ وتَغلِبُ لاقَتْ غـالِبـاً كُـلَّ غـالِـبٍ | وبَكْـرٌ فـأَلْفَتْ حَـرْبَنا بـازِلاً بَكْـرُ
٤٦ وأنتَ خَبِيـرٌ كيـفَ أبقَـتْ أُسُـودُنَـا | بَنِي أَسَـدٍ إنْ كـان يَنْفَعُـكَ الخُبْـرُ
٤٧ وقِسْمَتُنَـا الضِّيـزَى بِنَجْـدٍ وأرْضِهـا | لنـا خُـطْوَةٌ في عَـرْضِهـا ولَهُمْ فِتْـرُ
٤٨ مَسَاعٍ يَضِـلُّ الشِّعرُ في طُرْقِ وَصْفِها | فمـا يَهْتَـدِي إلَّا لأَصْغَـرِهـا الشِّعْـرُ

477

وقال [من الطويل]:

١ هـل اجتَمَعَتْ عَلْيـا مَعـدٍّ ومَـذْحِـجٍ | بِـمُـلْتَـحَـمٍ إلَّا وَمِـنَّـا أمِيـرُهـا؟
٢ بَـلِ اليَمَنُ استَعْلَتْ لَدَى كـلِّ مَوْطِنٍ | وصـارَ لِطَيءٍ تـاجُهـا وسَـرِيـرُهـا
٣ مُحَـرَّمَـةٌ أكفـالُ خَيْلِيَ في الـوَغَى | ومَـكْـلومَـةٌ لَـبَّـاتُـهـا ونُـحـورُهـا
٤ حَـرامٌ على أرمـاحِنـا طعْنُ مُـدْبِـرٍ | وتَنْـدَقُّ بأْسـاً في الصُّدورِ صُـدُورُهـا

= الملكُ ذلك وأقطعَه مَواضعَ بالسَّواد. يقول: هذه الفَرَسُ ما دامَ قُدّامَها وِتْر فهي لا تُحدِّث نفسَها بأن تعودَ إلى وطنٍ أو ولدٍ إن كان لها. والمعنى يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون عَنَى الفَرَسَ على الإفراط في الوَصْف، والآخر أن يكون عَنَى الفارسَ الذي عليها وهو أصحُّ في المُراد.

(٤٤) «الفِزْر» سَعْد بنُ زَيْد مَناة بن تَمِيم، سُمُّوا بذلك لأن أباهم سَعْداً كان له قَطِيعٌ من مَعَزٍ فجاءَ به إلى الحَرَم فأنهبَه الناسَ فقالوا في المَثَل: لا أفعلُ ذلك حتَّى يَجْتَمعَ مِعْزَى الفِزْر.

(٤٥) «كلَّ غالبٍ» منصوب بـ«غالبٍ»، وقد يجوز أن يكونَ توكيداً للاسم الأوّل، ولكنّ الوَجه هو ما تَقدّم. و«بَكْر» يجب أن يكون معطوفاً على تغلب ويكون الخبرُ محذوفاً، ولا يَحسُن أن تجعلَ بكراً مبتدأً. وقولُه فألفَتْ وما بعده خَبَراً، لأنه يَصِير كأنَّه قال بَكْر فألفَتْ حَرْبنا وذلك رَدِيء جدًّا، لا يَحسُنُ أن يُقال زَيْدٌ فقائِمٌ.

(٤٧) المعروف فِي «نَجْد» التّذكير، ولا يمتنع تأنيثُها على معنى البلَدْة، قال لَبيد:

تُـورِّعُ صُـرادَ الشِّتـاءِ جِفـانُهـمْ | إذا أصبحَـتْ نَجْـدٌ تَسُـوقُ أفـائلا

قيل إنه أراد ريحَ نجْدٍ أو أهل نَجْد. و«قِسْمَة ضِيزَى» أي جائرة، تُهمز ولا تُهمز:

وقسْمَتُنـا الضِّيـزَى بنجـدٍ وأهلِهـا | لنـا خُطْـوةٌ فـي أهلِهـا ولَهـمْ فِتْـرُ =

قافية العين

478

وقال يَفخَرُ بقومِه [من الطويل] :

١ ألا صَنَعَ البَيْنُ الذي هو صَانِعُ ... فإنْ تَكُ مِجْزاعاً فما البَيْنُ جازِعُ

٢ هو الرَّبْعُ مِنْ أسماءَ والعامُ رابعٌ ... لـه بِلِوَى خَبْتٍ فَهَلْ أنتَ رابعُ؟

٣ ألا إنَّ صَبْرِي مِنْ عَزائي بَلاقِعُ ... عَشِيَّةَ شاقَتْني الدِّيَارُ البَلاقِعُ

٤ كأنَّ السَّحَابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تَحتَها ... حَبيباً فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

٥ رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبا لِرِياضِها ... إلى الغَيْثِ حتّى جادَ وهْوَ هَوامِعُ

٦ فَوجْهُ الضُّحَى غَدْواً لهنَّ مُضَاحِكٌ ... وجَنْبُ النَّدَى ليلاً لهنَّ مَضاجِعُ

٧ كَسَاكِ مِنَ الأنوارِ أصفَرُ فاقِعُ ... وأَبْيَضُ ناصِعٌ وأَحْمَرُ ساطِعُ

---

(١) يقول: صَنَعَ البَيْنُ بكَ ما كنتَ تَحذَرُه، فإن شئتَ فاصبِرْ، وإن شئتَ فاجزَعْ، فإنَّ البَيْنَ لا يُبَالي.

(٢) أي فهَل أنتَ رَابعٌ على نفسِك؟

(٤) يقول: أكثَرتْ عليها السَّحابُ من أمطارها حتى كأنها دُفِنَ فيها حبِيبٌ فهي تبكي عليه، يعني الرِّياض. وخَفَّفَ الهمزةَ في «تَرْقاً» وهو جائزٌ بلا خلاف.

(٥) يقول: جَلَبت الصَّبا لها سَحاباً حتى جادَها بمطرها.

(٦) الأجودُ أن يكون «غَدْواً» هاهنا مصدرَ غَدَا يَغدو، فإن جُعِل في معنَى غَدٍ فهو جائز وليس في حُسْن الأول، وذلك أنه رَأى هذه الرياضَ في يَوْمه فقال هذه المقالة. [وعلى الوجه الثاني] سيكون ما أخبرتُ به، وهو في الوجه الأول يُخبر عمّا كان.

(٧) ويروى «كُساكِ» على أنه جَمْع كُسْوَة، و«كَساكِ» بفتح الكاف على أنه فعلٌ ماض، وإذا حُمِل على الفعل جاز أن يكون على معنى الدُّعاء. و«فاقِع» من صِفات الأصفر، ويُنشد: =

٨ لَئِنْ كانَ أمسَى شَمْلُ وَحْشِكِ جامِعاً ... لقد كَانَ لي شَمْلٌ بِأُنْسِكِ جامِعُ
٩ أُسيءُ على الدَّهرِ الثناءَ فقدْ قَضى ... عليَّ بِجَوْرٍ صَرْفُهُ المُتَتابِعُ
١٠ أيُرْضِخُنا رَضْخَ النَّوى وهْوَ مُصْمِتٌ ... ويأْكُلُنا أكلَ الدَّبا وَهْوَ جائِعُ؟
١١ وإنِّي إذا ألقَى بِرَبْعِيَ رَحْلَهُ ... لأُذعِرُهُ في سِرْبِهِ وهْوَ راتِعُ
١٢ أبو مَنْزِلِ الهَمِّ الذي لو بَغَى القِرَى ... لَدَى حَاتِمٍ لم يُقْرِهِ وهْوَ طائِعُ
١٣ إذا شَرَعَتْ فيه اللَّيالي بِنَكْبَةٍ ... تَمَزَّقُ عنه وهْوَ في الشَّرْعِ شارِعُ
١٤ وإنْ أقدَمَتْ يوماً عليهِ رَزِيَّةٌ ... تَلقَّى شَبَاها وهو بالصَّبْرِ دارِعُ
١٥ له هِمَمٌ ما إنْ تَزالُ سُيوفُها ... قَواطِعَ لَوْ كانَتْ لَهُنَّ مَقاطِعُ!
١٦ ألا إنَّ نَفْسَ الشِّعْرِ ماتَتْ وإنْ يَكنْ ... عَدَاها حِمَامُ المَوْتِ فَهْيَ تُنازِعُ
١٧ سَأَبكي القَوافِيَ بالقَوافِي فإنَّها ... عليها ـ ولم تَظْلِمْ بِذاكَ ـ جَوازِعُ

= وإنـي لَأَسقِي الشَّرْبَ صَفْراءَ فاقِعاً ... كأنَّ زَكِيَّ المِسْكِ فيها يُفَتَّقُ

والاشتقاقُ لا يَمنع أن يُوصَف الأبيضُ بالفاقع، إلا أنهم لم يستعملوه، وذلك أنهم يقولون لِضَرْبٍ من الكَماة بِيضٌ فُقَّع، وأهلُ البصرة يقولون حَمامٌ فَقِيعٌ وهي كلمةٌ عاميّة وقد طَعَنَ فيها بعضُ أهلِ العلم، يريدون بـ «الفَقِيع» الأبيض.

(١٠) يقال رَضَخَ النَّوَى إذا دَقَّه لِيَعْلفه الإبل، ويُقال بالحاء أيضاً، والحاءُ عندهم هي اللغةُ العالية، ويقال للذي يُدَقّ به مِرْضاخ، قال الشاعر:

تَنْفِي يَداها الحَصَى في كلِّ هاجِرةٍ ... كما تَطايرَ في مِرْضاخِهِ العَجَمُ

وقوله «وهو مُصْمِتٌ» أي ثَقِيلٌ لأن الأجوف أخف من المُصْمَت.

(١١) [ص] أي أُذْعِرُه بالصَّبْر والقُوّةِ عليه.

(١٢) يعني نفْسَه، يقول: أنا صاحبُ الهَمِّ الذي لو استَقْرَى حاتماً على جُودِه لَما أجابَه إلى ذلك.

(١٣) شَرَعتْ» أخذَه من شُروع الدَّواب في الماءِ إذا وَرَدَت الشَّرِيعة، و« هو شارعٌ» في الصبر، أي إذا شَرَعَ في الصّبر فما تَشرَعُ الشارِبَةُ.

(١٥) «المقاطع» جَمْع مَقْطَع وهو الشيءُ الذي يَقطعُ فيه السّيفُ. وقولُه: «ما إنْ تَزالُ سُيوفُها قَواطعَ» أي هي تُوصَفُ بذلك وإن كانت لا تَقطع شيئاً، لأن الإنسان قد يَنْظر إلى السّيف فيقُول هذا سَيْفٌ قاطعٌ أي إن ضُرِبَ به قَطَع.

١٨	أَرَاعي ضَـلالاتِ المُـروءَةِ مُـهْمَـلُ	وحـافِظُ أَيَّام المَكـارِمِ ضَـائِـعُ؟!
١٩	وعــاوٍ عَـوَى والمَجْـدُ بَيْني وَبينَـه	له حَـاجِـزٌ دُونـي ورُكْـنٌ مُـدَافِـعُ
٢٠	تَـرَقَّتْ مُنَاهُ طَـوْدَ عِـزٍّ لـو ارتَقَتْ	بـهِ الـرِّيحُ فِتـراً لانْثَنَتْ وهْيَ ظَـالِـعُ
٢١	أنا ابنُ الذينَ استُرْضِعَ الجود فيهمُ	وسُمِّيَ فيهـمْ وهْـوَ كَهْـلٌ ويـافِـعُ
٢٢	سَمـا بيَ أَوْسٌ في السَّمـاءِ وحـاتِمٌ	وزَيْـدُ الـقَنـا والأثْـرَمـانِ ورَافِـعُ
٢٣	وكَـانَ إيـاسٌ مـا إيـاسٌ وعـارِقٌ	وحـارِثَـةٌ أُوفَى الـوَرى والأصـامِـعُ

(١٨) [ص] ويُروَى «مُجدِّد أخلاقِ المُروءَةِ مُخْلِقٌ، وحافظُ أيَّامٍ» يقول: أيُهمَلُ صاحِبُ ضَلالاتِ المروءَة فيما يُريد من الخِصْب، ويُضَيَّعُ حافِظُ المكارم؟! كأنَّه يَستفهِمُ ويتعجّب. ويُروَى «مُضاعاتِ المُروءة» والأولُ أجود.

(١٩) و(٢٠) وقولُه و«عاوٍ عَوَى» أي حاسدٌ رَماني بقَدْحٍ ومَجْدي يَرفعني عن مُعارضتِه. وقولُه «تَرَقَّتْ مُناه» أي ارتفعَتْ مُناه إلى عَزْمي الذي هو أرسَى من الجَبل.

(٢٢) ويُروَى «في السَّماح» يعني أَوْسَ بن حارثة بن لام، وهو أَوْسُ بن سُعْدَى، وفيه يقول جرير:

فمـا كَعْـبُ بـنُ مـامَـةَ وابـنُ سُعْـدَى ... بـأَجْـوَدَ منـكَ يـا عُمَـرَ الجَـوادا

وقال بِشْر بن أبي خازم:

إلـى أوسِ بـنِ حـارِثَـةَ بـنِ لامٍ ... لِيَقضِـيَ حـاجَتـي ولَقـد قَضـاهـا

و«حاتِم» مشهور، وهو حاتم بن عبدِالله بن سَعْد بن الحَشْرَج. و«زَيْد القَنا» يعني زيـدَ الخَيْـل، وقـد أدركَ الإسلامَ وَوفِدَ على النبي ﷺ ثم انصرف فمـاتَ قبـل أن يَصِـل إلـى أهلـه. و«الأثـرمـان». رجلان من طيىء. و«رَافع» يجوز أن يعني به رافعَ بنَ عُمَيرة وكان أبذلَ العرب.

(٢٣) إياس بن قَبيصة الطائي كان كِسْرى ولاَّه الحيرةَ بعد النعمان بن المنذر وكان به نِقْرس. و«عارِق» وهو قَيْس بنُ جَرْوَة الطائي، وإنما سُمي عارِقاً بقوله:

★ لا تَنْحَيَنْ لِلعَظْم ذُو أنا عارِقُه ★

وإذا رُوِي «حارث» فالمرادُ به حارِثَة، أبو أَوْس بن حارِثة، وإذا رُوِي «حارثة» فالمرادُ به أبو حَنْبَل الطائي واسمُه حارِثَة بنُ مُرّ، وكان امروءُ القَيْس قد نَزل به فأمَرَتْه امرأتُه أن يغدرَ به ويأخذَ مالَه، فقامَ فنادَى ألا إنَّ فلانا وَفَى، فـأجـابَـه الصَّـدَى بمثـل ذلـك، فنـادَى: ألا إنَّ فلانـاً وَفـى، فـأجـابَـه الصَّدَى بمثل ذلك، فقال: هذا أحسنُ، فنظَرتْ امرأتُه إلى ساقَيْه وكان أجمَشَ الساقَيْن فقالت: لم أرَ كاليوم ساقَيّ وافٍ! فقال لها:: ويلكِ؟ هُما ساقا غادرٍ شَرّ! فذَهَبتْ مَثَلاً. و«الأصامِعُ مِنْ طيّ أيضاً، نَزلَ بهم امرؤ القيس، ومنهم سَدُوس بن أصمَع الذي يقول فيهم: =

٢٤ نُجومٌ طوالِيعٌ جِبالٌ فَوارِعٌ غُيُوثٌ هَوامِعٌ سُيولٌ دَوَافِعُ

٢٥ مَضَوْا وكأَنَّ المَكْرُماتِ لَدَيْهِمُ لِكَثْرَةِ ما أَوصَوْا بِهِنَّ شَرائِعُ

٢٦ فأيُّ يَدٍ في المَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ تكُنْ لها راحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وأَصابِعُ؟

٢٧ هُمُ اسْتَوْدَعُوا المَعْروفَ مَحْفُوظَ مالِنا فضاعَ وما ضَاعَتْ لَدَيْنا الوَدَائِعُ

٢٨ بَهاليلُ لَوْ عايَنتَ فَضْلَ أَكُفِّهِمْ لأَيقَنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ في الأَرضِ واسِعُ

٢٩ إذا خَفَقَتْ بالبَذْلِ أرواحُ جُودِهِمْ حَدَاها النَّدَى واستَنْشَقَتْها المَطامِعُ

٣٠ رِيَاحٌ كريحِ العَنْبَرِ المَحْضِ في النَّدى ولكنَّها يومَ اللِّقاءِ زَعازِعُ

٣١ إذا طَيِّئٌ لم تَطْوِ مَنْشُورَ بَأْسِها فأَنْفُ الذي يُهْدي لها السُّخْطَ جادِعُ

= إذا ما كنتَ مُفْتَخِراً ففاخِرْ ببيتٍ مثل بيتِ بَني سَدُوسا

وقوله في أول البيتِ «ما إياس» هو على معنى قولك أيُّ شيءٍ هو إياس، كأنَّه يَتعجَّبُ منه، وهو مثل الحديث المرويّ: أبو مالكٍ وما أبو مالك!، وكذلك أُمُّ أَبي ذَرْع وما أُمُّ أَبي ذَرْع! ومثلُ ذلك كثير، إلاَّ أنَّ الطائي حَذفَ الواو.

(٢٦) أي أيُّ جَوادٍ في الأرض إلاَّ وجُودُه مُشْتَقٌّ مِنْ جُودهم؟

(٢٧) يقول: استحفظوا العُرْفَ مالَهم أن يحفظَه ولا يُضيِّعه فضاعَ المالُ والعُرْفُ محفوظٌ، لأنهم وَقَوا العُرْفَ بالمال.

(٢٩) و(٣٠) قوله «إذا خَفَقت» يقول: إذا أرواحُ جُودِهم ساقَها الكرمُ نَشقَتْها المطامعُ فتَبعتْها أينما ذَهَبتْ. وقوله: «رياحٌ كريح العَنْبر» المعنى أنَّ تلك رائحتهم في النَّدَى أي السَّخاء، لأنه يَثني علَيهم فكأنهم يُطَيَّبون بالثنا، وقد يحتمل أن يجعل طِيبَهم في أنفسِهم، كما قال الآخر:

وكالمِسْكِ تُرْبُ مَقاماتِهِمْ وتُرْبُ قُبورِهِم أَطْيَبُ

أي إنهم إذا جلسوا للعَطاء فنَشْرُهم أرِيج، وإذا حضروا الحرب فهم مُسْهَكونَ من صَدَأ الحديد، يُزعزعون مَن لَقوْه من العدوّ. ومَن رَوى «كالعَبْهر الغَضّ» فالعَبْهَر هو النَّرجس البَريّ، ويكون «النَّدى» المرادُ به السَّاقطُ من السماء. و«الزَّعازع» جمع زَعْزع، وهي الرِّيحُ التي تُزعزع الأشياءَ زَعْزعةً عَنيفةً.

(٣١) ذكَر ابنُ الكَلْبي أنَّ طيئاً سُمِّي بهذا الاسم لأنه أوّلُ مَن طَوَى المناهل، واسمُها الأوّل جُلهُمَة، ونَسبوا إليه بيتاً قد رُوي لغيره وهو:

فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجَدِّي وبِئْري ذُو حَفرتُ وذُو طَوَيْتُ =

٣٢ هِيَ السَّمُّ ما يَنْفَكُّ في كلِّ بلدةٍ — تَسِيلُ بِهِ أرماحُهم وهْوَ ناقِعُ
٣٣ أصارَتْ لهم أرضَ العدوِّ قَطائعاً — نُفوسٌ لِحَدِّ المُرْهَفاتِ قَطائِعُ
٣٤ بِكُلِّ فَتًى ما شابَ مِن رَوْعِ وَقْعةٍ — ولكنَّهُ قَدْ شِبْنَ منه الوَقائعُ
٣٥ إذا ما أغارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ — أغَارَتْ عليهمْ فاحتَوَتْهُ الصَّنائعُ
٣٦ فتُعطي الذي تُعْطيهمُ الخَيلُ والقَنا — أكُفٌّ لإرْثِ المكْرُماتِ مَوانِعُ
٣٧ هُمُ قَوَّمُوا دَرْءَ الشَّآمِ وأيْقَظُوا — بِنَجْدٍ عُيونَ الحَرْبِ وهْيَ هَواجِعُ
٣٨ يَمدُّونَ بالبيضِ القَواطِعِ أيْدِياً — وهُنَّ سَواءٌ والسُّيُوفُ القَواطِعُ
٣٩ إذا أسَرُوا لم يَأْسِرِ البأسُ عَفْوَهُم — ولم يُمْسِ عانٍ فيهُمُ وهْوَ كانِعُ
٤٠ إذا أطْلَقُوا عنه جَوامِعَ غُلِّه — تَيَقَّنَ أنَّ المَنَّ أيضاً جَوامِعُ
٤١ وإنْ صارَعُوا في مَفْخَرٍ قامَ دُونَهُمْ — وخَلْفَهُمُ بالجَدِّ جَدٌّ مُصارِعُ
٤٢ عَلَوْا بِجُنُوبٍ مُوجَدَاتٍ كأنَّها — جُنُوبُ فُيُولٍ ما لَهُنَّ مَضَاجِعُ

= إلاَّ أن طيّئاً مهموز، و«طَوَيْتُ» لا همزَ فيه، وقد يجوز أن يقال لمّا اجتمعت الياءَاتُ فَرّوا إلى الهمز وذلك أنهم إذا بنوا [فَعّالاً] مِنْ طَوَى اجتَمعتْ ثلاثُ ياءَات، إحداها الواوُ المُنقَلِبَةُ إلى الياء، فليس هَمْزُهم في هذا الموضع أبعدَ منه في جَمْع سيِّد إذْ قالوا سيايِيد، وقال بعضُ أهل اللغة طَيِّىء مأخوذٌ مِن طاءَ في الأرض إذا ذَهَبَ فيها. وقولُهم «جادِع» أي ذُو جِدْع كما يُقال تامِرٌ ولابِنٌ أي ذُو تَمْر ولبَن.

(٣٦) أي مانِعَةٌ لإرْثِ المكارِم صائِنَةٌ لها.

(٣٧) «الدَّرْء» الحَدّ، ويقال في الجبل دُروءٌ أي حُيود، نادر. وقد حكِيَت الشّآم على مِثال [فِعال] وهي رَدِيئة.

(٣٨) أي أيديهم والسُّيوفُ واحدةٌ في مضائِها.

(٣٩) يقال أسِيرٌ كانِع أي مُنْقبِض في غُلِّه، وكَنَعَتْ يَدهُ وتَكَنَّعتْ إذا انقبَضتْ.

(٤٠) «الجَوامِع» جَمْعُ جامِعَة وهي التي تَجمع اليدَ والعُنُق، يقول: إذا مَنُّوا على الأَسِير فأَطلَقوه تيقَّن أنه من الصَّنِيعة في جَوامِعَ تَمنعُه أن يُحاربهم أو يَعرِض لهم بما يكرهون، فكأنَّه من قول الخارجيّ:
غلَّ يداً مُطْلِقُها واستَرقَّ رَقبَةً مُعْتِقُها.

(٤١) و(٤٢) أي لا يُصْرَعون أبداً، وقِيل يَدأبون في طَلَب المكارِم فلا ينامون، والفِيلُ لا يَضَع جنبَه =

٤٣ كَشَفْتُ قِناعَ الشِّعْرِ عَنْ حُـرِّ وَجْهِـه   وَطَيَّـرْتُـه عَـنْ وَكْـرِهِ وهْـوَ وَاقِـعُ

٤٤ بِغُـرٍّ يَـراهـا مَـنْ يَـرَاهـا بِسَمْعِـــه   فيَدنو إليها ذُو الحِجَى وهْوَ شاسِـعُ

٤٥ يَـــوَدُّ وِدَاداً أَنَّ أَعضـــاءَ جِسْمِـــه   إذا أُنْشِـدَتْ شَـوْقـاً إليهـا مَسـامِـعُ

= إلى الأرض، والذي يَلي أمرَه يَتّخذُ له شيئاً مُجتمِعاً يَستنِدُ إليه، وزعموا أنه في الأرض يَستنِدُ إلى شجرةٍ عظيمة إذا أراد أن ينام. و«مُوجَدات» مِنْ آجَدَه أي قوّاه، وأصلُه الهمز لأنه مأخوذ من الناقة الأُجُد وهي المُوَثَّقَةُ الخَلْق، وأنت مُخَيَّر في الهمز وتَرْكِه. ومَن رَوى «مُؤيّدات» فهو مِن الأَيـد أي القُوّة.

(٤٣) أي أظهرتُ الشِّعر بعد كِتمانه وأخرجتُه مِن مَكْمَنِه.

(٤٤) أي بقوافٍ يَراها مَن يَراها بسمعِه دونَ بصره، لأنّ الكلامَ لا يُدرَك بحاسّة البَصَر، ويدنو إليها العاقلُ إذا سَمِعَها لِحُسنها وإن كان بعيداً عن سَماع الشِّعر.

قافية الميم

479

وقال [من البسيط] :

١ إنْ كـانَ غَـيَّـرَكَ الإسْـرَاءُ والنِّعَـمُ ... فلَمْ يُغَيِّـرْني عَنْ مَحْتَـدِي العَـدَمُ

٢ إذا أناخَ عـليَّ الـدهـرُ كَـلْكَـلَهُ ... قَـرَاهُ صَبْـراً وَعَـزْمـاً مِنِّيَ الكَـرَمُ

٣ فـإنْ عَـلَتْنِـيَ مِـنْ أَزْمَـانِـهِ ظُـلَمٌ ... صَبَـرْتُ نَفْسِيَ حتَّى تُكشَفَ الـظُّلَمُ

٤ فكُـلُّ هـذا مَنَحْتُ الحَـادِثَـاتِ بِـهِ ... إني آمرؤٌ ليس تَرْضَى الضَّيْمَ لي الهِمَمُ





باب الزهد

قافية الباء

480

قال [من مجزوء الوافر]:

١ إِذَا مَا شُبْتَ حُسْنَ الدِّيـ ـنِ مِنْكَ بِصَالِحِ الأَدَبِ

٢ فَمِمَّنْ شِئْتَ كُنْ فَلَقَدْ فَلَحْتَ بِأَكْرَمِ النَّسَبِ

٣ فَنَفْسُكَ قَطُّ أَصْلِحْهَا وَدَعْنِي مِنْ قَدِيمِ أَبِ

قافية الرّاء

481

وقال [من الطويل] :

١ أَلِلْعُمـرِ في الـدُّنيـا تُجِـدُّ وتَعْمُـرُ ... وأنتَ غَـداً فِيهـا تَمُـوتُ وتُـقْبَـرُ؟

٢ تُـلَقِّـحُ آمـالاً وتَـرْجُـو نَتـاجَـهـا ... وعُمْـرُكَ مِمّـا قـدْ تَـرَجِّيْـه أَقْصَرُ؟!

٣ وهـذا صَباحُ اليـومِ يَنْعَاكَ ضَـوْؤُهُ ... ولَـيْلَتُـهُ تَـنعـاكَ إِنْ كـنتَ تَـشْعُـرُ

٤ تَحُـومُ على إدراكِ مـا قـد كُفِيتَـه ... وتُـقْبِـلُ بـالآمـالِ فيـهِ وتُـدْبِـرُ

٥ ورِزْقُـكَ لا يَعـدوكَ إِمّـا مُعَجَّـلٌ ... على حـالـة يـومـاً وإِمّـا مُؤَخَّـرُ

٦ ولا حَـوْلُ مَحْتـال ولا وَجْـهُ مَـذْهَب ... ولا قَـدَرٌ يُـزجـيـه إلَّا الـمُـقَـدِّرُ

٧ لقَـدْ قَـدَّرَ الأَرزاقَ منْ ليسَ عـادِلاً ... عنِ العَدْلِ بينَ النَّاسِ فيمـا يُقَدِّرُ

٨ فـلا تـأْمَنِ الـدُّنيـا إذا هيَ أَقبلَتْ ... عليـكَ فمـا زَالَتْ تَخُـونُ وتُـدْبِـرُ

٩ فمـا تَمَّ فيهـا الصَّفْـوُ يـومـاً لأَهلِهِ ... ولا الـرِّفْـقُ إلَّا رَيْـثـمـا يَـتَـغَـيَّـرُ

١٠ ومـا لاحَ نَـجْـمٌ لا ولا ذَرَّ شـارِقٌ ... على الخَلْقِ إلَّا حَبْلُ عُمْـرِكَ يَقصُرُ

١١ تَـطَهَّـرْ وأَلحِقْ ذَنْبَـكَ اليومَ تَـوْبَـةً ... لَعَلَّكَ مِنـه إنْ تَـطـهَّـرتَ تَـطْهَـرُ

١٢ وشَمِّـرْ فقَدْ أَبـدَى لكَ المـوتُ وَجْهَهُ ... ولـيسَ يَنـالُ الـفـوزَ إلَّا المُـشَـمِّـرُ

١٣ فهـذِي الليَـالي مُؤْذنـاتُـك بـالبِلَى ... تَـروحُ وأيَّـامٌ بـذَلِـكَ تَـبْـكُـرُ

١٤ وأَخْـلِصْ بِـذَا لـلَّهِ صَـدْراً ونِـيَّـةً ... فـإِنَّ الـذي تُخْفِيـهِ يـومـاً سَيظهـرُ

١٥ وقَـدْ يَسْتُـرُ الإنسـانُ بـاللّفظِ فِعْلَه ... فيُظْهِـرُ مِنهُ الـطَّرْفُ ما كـانَ يَستُرُ

١٦ تَـذَكَّـرْ وَفَكِّـرْ في الـذي أَنتَ صـائرٌ ... إلـيـه غـداً إنْ كنتَ مِمَّـن يُفَكِّـرُ

١٧ فـلا بُـدَّ يـومـاً أَنْ تَصيرَ لِحفْـرَةٍ ... بـأَثنائهـا تُطْوَى إلى يـومِ تُنْشَـرُ

قافية السّين

482

وقال [من الطويل] :

١ أَرَى أَلِفَـاتٍ قَـدْ كُتِبْنَ علـى رَاسِي ... بِـأَقلامِ شَيْبٍ في مَهـارِقِ أنقـاسِ

٢ فـإنْ تَسْـأَلِيني مَـنْ يَخُطُّ حُـرُوفَـه ... فـأَيـدِي اللَّيـالي تَستَمِـدُّ بـأنفـاسي

٣ جَـرَتْ في قُلُوبِ الغَـانِيَـاتِ لِشَيْبَتي ... قُشَعْـرِيـرَةٌ مِنْ بعـدِ لِينٍ وإينـاسِ

٤ وقَـدْ كنتُ أجـري في حَشـاهُنَّ مَـرَّةً ... مَجَارِيَ جَارِي الماءِ في قُضُبِ الآسِ

٥ فإنْ أُمْسِ مِنْ وَصْلِ الكَـواعِبِ آيِساً ... فـآخِـرُ آمـالِ العِبـادِ إلى اليَـاسِ

قافية العين

483

وقال [من الطويل] :

١ تُحَاوِلُ شيئاً قَدْ تَولَّى فَوَدَّعا وهَيْهَاتَ مِنه أَنْ يَعُودَ فَيرجِعَا

٢ خَشُنْتَ على التأديبِ فهْماً ومَنْطِقاً ولِنْتَ على الأَيَّامِ لِيتاً وأَخْدَعا

٣ وأَقبَلَتِ الأَيَّامُ تَرتادُ مَصْرَعاً لِجَنْبِكَ فارتَدْ إِذْ تَيَقَّنْتَ مَضْجَعا

(١) « المَهارِق » جَمْع مُهْرَق وهو القِرْطاس، وأصلُه فارسيّ مُعرَّب، وقد تَكلّموا به قديماً، و« الأنقاس » جمع نِقْس وهو المِدَاد: يعني أنَّ الشَّيْبَ قد كتبَ أَلفاتٍ في رأسِه، والعادةُ أن يكونَ الكِتابُ أسودَ والقِرْطاسُ أبيض، والذي فَعَله الشيبُ بالعَكْس لأنَّ الذي كتَبه أبيض والمَهارِقُ سُود، وإنما يعني مَفارِقَ رأسِه.

قافية الياء

484

وقال [من الطويل] :

١ أَلَمْ يَأْنِ تَرْكي لا عَليَّ ولا لِيَا ... وعَزْمِي على ما فيهِ إصلاحُ حالِيَا؟

٢ وَقَدْ نالَ منّي الشَّيْبُ وابيضَّ مَفْرِقي ... وغَالَتْ سَوَادِي شُهْبَةٌ في قَذَالِيا!

٣ وحالَتْ بيَ الحَالاتُ عَمّا عَهِدْتُها ... بِكَرِّ اللَّيالي واللَّيالي كَماهِيَا!

٤ أُصَوِّتُ بالدُّنيا وليسَتْ تُجيبُني ... أُحاوِلُ أَنْ أَبقى وكيفَ بَقَائِيَا؟

٥ وما تَبْرَحُ الأَيَّامُ تَحْذِفُ مُدّتي ... بعَدِّ حِسابٍ لا كَعَدِّ حِسَابِيَا

٦ لِتَمْحُوَ آثارِي وتُخْلِقَ جِدَّتي ... وتُخْلِيَ مِنْ رَبْعي بِكُرْهٍ مَكانِيَا

٧ كما فَعَلَتْ قَبْلي بِطَسْمٍ وجُرْهُمٍ ... وَآلِ ثَمُودٍ بعدَ عادِ بنِ عَادِيا

٨ وأَبقَى صَرِيعاً بينَ أَهْلي جَنَازَةً ... وَيَحْوِي ذَوُو المِيراثِ خالِصَ مَالِيا

٩ أَقُولُ لِنَفْسي حينَ مالَتْ بِصَغْوها ... إلى خَطَرات قَدْ نَتَجْنَ أَمانِيَا

١١ أَليسَ اللَّيالي غاصِباتي بِمُهجتي ... كما غَصَبَتْ قَبْلي القرونُ الخَوالِيَا؟

١٢ ومُسْكِنَتي لَحْداً لَدَى حُفْرةٍ بها ... يَطُولُ إلى أُخرى اللّيالي ثَوائِيَا؟

١٣ كما أَسكَنَتْ ساماً وحاماً ويافثاً ... ونُوحاً وَمَنْ أَضحى بمكّةَ ثاوِيَا؟

١٤ فقَدْ أَنِسَتْ بالمَوْتِ نَفْسي لأَنَّني ... رَأَيْتُ المَنايا يَخْتَرِمْنَ حَيَاتِيَا

١٥ فيا لَيْتَني مِنْ بَعْدِ مَوْتي ومَبْعثي ... أَكونُ رُفاتاً لا عَليَّ ولا لِيَا

١٦ أَخافُ إلاهِي ثُمَّ أَرجو نَوالَه ... ولكنَّ خَوْفِي قاهِرٌ لِرَجائِيَا!

١٧ ولَوْلا رَجائي واتِّكالي على الذي ... تَوَحَّدَ لي بالصُّنْعِ كَهْلاً وناشِيَا

١٨ لَما سَاغَ لي عَـذْبٌ مِنَ المـاءِ بـارِدٌ ولا طـابَ لي عَيْشٌ ولا زِلْتُ بـاكِيَـا
١٩ على إثْـرِ مـا قَـدْ كـانَ مِنّي صَبَـابَـةً لـيـاليَ فـيهـا كـنتُ لـلّهِ عـاصِيَـا
٢٠ فـإنـي جَـدِيـرٌ أنْ أخـافَ وأتّقـي وإنْ كُنْتُ لم أُشرِكْ بِذِي العَرْشِ ثانِيَا
٢١ وأدَّخِـرَ التَّقْـوى بِمَجْهُـودِ طَـاقَتي وأرْكَبَ في رُشْـدِي خِـلافَ هَـوائِيَـا

قصائد منحولة مشكوك في صحتها



وقال يمدح أحمد بن عَبْدِ الكريم [من الكامل] :

١ شَقَّ الرَّبِيعُ مَضَايِقَ الحُجُبِ ... وبَدَا بِوَشْيِ شَقَائِقٍ قُشُبِ

٢ لَمَّا بَكَتْ مُقَلُ السَّحابِ حَيًا ... ضَحِكَتْ حَواشِي خَدِّهِ التَّرِبِ

٣ شَكَرتْ لَدَى النُّظَّارِ بَهْجَتُهُ ... إحسَانَ صَوْبِ الرَّائِحِ السَّرِبِ

٤ مَا زَالَ تَحْتَ الأَرْضِ في كُرَبٍ ... شَتَّى فَأَنقَذَهُ مِنَ الكُرَبِ

٥ فكَأَنَّهُ صُبْحٌ تَبَسَّمَ عَنْ ... سَحَرٍ ضَئِيلٍ في ضُحًى شَحِبِ

٥ ـ قال الشيخ أبو عبد اللّه : كأنه صُبْحٌ في ضُحىً وإن كانا لا يجتمعان ، غير أنَّ الضُّحَى شَحِب لِلخُضْرَةِ التي تكسِبُها شُحوباً . وصَفَ أنواره بالبياض والإنارة .

٦ وكَأَنَّ أَعْيُنَ نَوْرِهِ بُكَرًا ... أَخَوَاتُ أَعْيُنِ خُرَّدٍ عُرُبِ

٧ يَفْتَرُّ عَنْ دَعَجٍ بِلاَ دَعَجٍ ... سَاجٍ وعَنْ شَنَبٍ بلا شَنَبِ

٨ لَوْ كَانَ في بَشَرٍ لَكَانَ فَتًى ... حُلْوَ الشَّمَائِلِ بَارِعَ النَّسَبِ

٩ لا يُعْرِبُ الأَلْفَاظَ طَائِرُهُ ... فكَأَنَّهَا أَلْفَاظُ ذِي صَخَبِ

١٠ وكَأَنَّ عُجْمَتَهُ تُخَبِّرُ عَمْـ ... ـمَا حَازَهُ مِنْ رِفعَةِ الرُّتَبِ

١١ يَغْدُو فيَخْطُبُه بِسَاحَتِهِ ... بِلسَانِ مُقْتَدِرٍ على الخُطَبِ

١١ ـ قال الشيخ أبو عبد اللّه : من الخُطْبة لا من الخِطْبة ، يقال فلان يَخطُبُ الكلامَ . فكأنه يقول : يغدو فيَخطبُ أَلفاظَه .

١٢ فَكَأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْه بِمَا ... سَمَحتْ لَهُ يَدُهُ مِنَ النَّشَبِ

١٣ فَـإِذَا خَـلَا بِـعِـتَـابِ صَـاحِـبَـةٍ عَجْمَـاءَ في السَّـاحَـاتِ والـرَّحَبِ
١٤ فـكَـأَنَّـهُ يَشْـكُـو تَـنَـائِـيَـهَـا عَـنْـهُ خِـلَالَ الـجِـدِّ والـلَّعِـبِ
١٥ يَـفْـدِي شَـمَـائِـلَهَـا بِـكُـلِّ أَخٍ وَبِـكُـلِّ أُمٍّ بَـرَّةٍ وأَبِ

١٥ ـ أي يَفْدِي الطائرُ شمائلَ صاحبتِه .

١٦ حَـتَّـى إِذَا مَـا أَيـقَـنَـتْ بِـهَـوًى مِـنْـهُ وَفَيْضِ مَـدَامِـعٍ سُـكُـبِ
١٧ رَقَّـتْ لَـهُ فَـسَـقَـتْـهُ بَـرْدَ نَـدًى مِـنْ رِيقَـةٍ مَـعْـسُـولَـةِ الـحَـلَبِ
١٨ فَـكَـأَنَّـمَـا جَـنَـيَـا بِـمَـا جَـرَعَـا بَـعْـدَ العِـتَـابِ أَطَـايِـبَ الـرُّطَبِ
١٩ فَـشِـتَـاؤُنَـا سَـامٍ إِلـى صَـعَـدٍ ومَـصِـيـفُـنَـا نَـامٍ إِلـى صَـبَـبِ

١٩ ـ كأنه يقول : شتاؤنا قد ارتفع مُولِّياً ، ومَصِيفُنا قد نَزَل إلينا ، عن أبي عبد الله

٢٠ كَـمْ وَرْدَةٍ طَـابَـتْ مَـنَـابِـتُـهَـا لَـوْلا سَـمَـاحُ الـغَـيْـمِ لـم تَـطِبِ
٢١ تَـلقَـاكَ إِنْ بَـكَـرَتْ بِـرَائِـحَـةٍ تَـشْـفِـي فُـؤَادَ الـوَالِـهِ الـوَصِـبِ
٢٢ فَـمَبِيتُـهَـا في غُـصْـنِ نَـابِـتِـهَـا وَمَـقِـيـلُهَـا أُذْنُ الـفَـتَـى الـطَّرِبِ
٢٣ فَـتَـحِـلُّ قُـرَّةَ عَـيْـنِ قَـاطِـفِـهَـا وتَـظَـلُّ سُـخْـنَـةَ أَعْـيُـنِ الـقُـضُـبِ
٢٤ حَـدِبٌ مِـنَ الأَنْـوَاءِ أَرْضَـعَـهَـا بِـالـمَـاءِ لِلْمُـتَـحَـنِّـنِ الـحَـدِبِ
٢٥ خَـمْـرِيَّـةٌ حَـمْـرَاءُ تَـحْـسِـبُـهَـا صُـبِغَـتْ بِحُـمْـرَةِ خَمْـرَةِ الـعِـنَبِ
٢٦ مَـشْـمُـولَـةٍ لَـمْ يُـؤْذَ جَـوْهَـرُهَـا بِـجَـفَـاءِ حَـرِّ الـنَّـارِ والـحَـطَبِ
٢٧ تَـغْـشَـى بَـيَـاضَ يَـمِـيـنِ شَـارِبِـهَـا فـتَـخَـالُـهَـا بِـيَـمِـيـنِ مُـخْـتَـضِـبِ
٢٨ دَارَتْ وعَـيْـنُ الـشَّـمْـسِ غَـائِـبَـةٌ فَـحَـسِـبْـتُ أَنَّ الـشَّـمْـسَ لَـمْ تَـغِـبِ
٢٩ لا تَـسْـتَـقِـرُّ إِذَا بَـدَا لَـهَـبٌ حَـتَّـى تُـطْـفِـىءَ شُـعْـلَـةَ الـلَّهَـبِ

أي ضياؤها يُطفىء ضياءَ النارِ ونُورَها

٣٠ وتُضِيءُ ضَـوْءَ الشَّمْسِ يَـوْمَ وَغًـى في كَفِّ أَحـمـدَ وَاحِـدِ الـعَـرَبِ
٣١ مَـلِكٌ إِذَا غَـادَى الـنَّـدِيَّ جَـثَـتْ غُـرَرُ الـمُلُوكِ لَـه علـى الـرُّكَبِ
٣٢ غَـضُّـوا لِـهَـيْـبَـتِـهِ عُـيُـونَـهُـمُ وتَـأَزَّرُوا بِـالـرُّعْـبِ والـرَّهَـبِ

٣٣ عَـارٍ مِـنَ الـعَـوْرَاءِ بَـيْـنَـهُـمُ كَـاسٍ مِنَ الـعَـلْـيَـاءِ والـحَـسَـبِ
٣٤ ذَهَبَتْ بِصَفْـوِ الشُّكْـرِ رَاحَـتُـهُ بـالـفِـضَّـةِ البَـيْـضَـاءِ والـذَّهَـبِ
٣٥ يَـرْجُـوهُ عِـنْـدَ رِضَـاهُ آمِـلُهُ والـسَّـيْـفُ يَـرْجُـوهُ لَـدَى الغَـضَبِ
٣٦ ومَـتَـى تَـأَمَّـلَ جَـحْـفَـلاً لَـجِـبَاً طَـارَتْ قُـلُوبُ الجَحْفَـلِ اللَّجِبِ
٣٧ يَـا مَـنْ عَـلاَ بِـرِمَـاحِـهِ وعُـلاَ يَـدِهِ عُـلُوَّ النَّـجْمِ فـي القُـطُبِ
٣٨ تَـسْـتَـصْـغِـرُ الـدُّنـيـا لِـذِي سَبَبٍ يَـبْـغِـي نَـدَاكَ وغَـيْـرِ ذِي سَـبَـبِ
٣٩ فَـأَمَـامَـكَ الأَعْـدَاءُ تَـطْلُبُـهُـمْ وَوَرَاءَكَ الـزُّوّارُ فـي الـطَّلَبِ
٤٠ فَـإِذَا سَـلَبْـتَـهُـمُ وَقَـفْـتَ لَـهُـمْ فَسُلِبْتَ مـا تَحْـوِي مِـنَ السَّـلَبِ
٤١ فَـعُـلاَ خُـزَاعَـةَ فـي بُـلَهْـنِـيَـةٍ بِـكَ غَـيْـرَ أَنَّـكَ دَائِـمُ الـتَّـعَـبِ

٤١ ـ أي أشراف خُزَاعة في رَغَدٍ من العَيْش بمكانك وأنت أبداً تعِبٌ في طَلَبِ المعالي .

٤٢ فَـغَـدوْتَ فِـيـهِـمْ كَـالـطِّرَافِ وقَـدْ ضُـمَّـتْ جَـوَانِـبُـهُ إلـى الـطُّنُـبِ
٤٣ أَصـبَـحْـتُ مَنْـسُـوبـاً إِلـيْـكَ فَـلاَ تَـرْقَـى فِـنَـائِـي هِـمَّـةُ الـنُّـوَبِ
٤٤ لَـوْلاَكَ كَـلَّـفْـتُ الـمَـطِيَّ سُـرًى عَـنْ مَـرْوَ بِـالتَّـقْـرِيـبِ والـخَـبَبِ
٤٥ لكِـنْ وقَـفْـتُ عَـلَيْـكَ رَاحَـتَـهَـا وأَرَحْـتُـهَـا عَـنْ جَـفْـوَةِ الـقَـتَـبِ
٤٦ خُـذْهَـا عَـرُوسـاً حُـرَّةً بَـكَـرَتْ فـي كِـلَّـةٍ صِـيـغَـتْ مِـنَ الأَدَبِ
٤٧ صَـنَـعَـتْ مَحَـاسِـنَ وَجْـهِـهَـا فِـطَنٌ تَـتَـنَـاوَلُ الإِحْـسَـانَ مِـنْ كَـثَـبِ
٤٨ والـعَـيْـبُ مُـنْـتَـقِـبٌ وإِنَّ لـهَـا وَجْـهـاً نَـقِـيًّـا غَـيْـرَ مُـنْـتَـقِـبِ
٤٩ وصَـدَاقُـهَـا غَـالٍ وَلا عَـجَـبٌ إِذْ حُـسْنُـهـا عَـجَـبٌ مِـنَ الـعَـجَـبِ

وقالَ يَهجو نَفْسه وَروَاها حَمْزة [من البسيط] :

١ مـا كنتُ أَحسبُني أُرجَى لِصَالحـةٍ وأَنَّـني رَغبـةٌ يَـوْمـاً لِمُـرْتَغِـبِ
٢ حتَّى أَتَتْني فَتَاةٌ بَضَّـةٌ خَـرِدٌ حَـوْراءُ تَـرْفُـلُ في المِيسيِّ والسُّحُبِ
٣ خُـمْصَـانـةٌ طَـفْلَةٌ بَيْضـاءُ آنِسَـةٌ كـأَنَّـهـا فِضَّـةٌ تَـختـالُ فـي ذَهَبِ
٤ أَو ظَبْيَةٌ عُطُلٌ تَـرْعَى الرِّيـاضَ ضُحًى في مُسْتَـرادِ مِحِـلِّ اللَّهـوِ واللَّعِـبِ
٥ جـاءَتْ تَهَادَى كغُصْنِ البـانِ في خَفَرٍ تَشكُـو إِليَّ طَـوِيـلَ الشَّـوْقِ والكُـرَبِ
٦ تَـقُـولُ عَـذَّبني حُبِّيـكَ يـا أَمَلي فاعطِفْ بِوَصْلِكَ تُجْزَ الأَجرَ واحتَسِبِ
٧ مـا أَرْقُـدُ اللَّيـلَ مِنْ ذِكْـرَاكَ سـاهِـرَةً فـالعَيْنُ ساكِبَـةٌ بـالمَـدْمَـعِ السَّـرِبِ
٨ فقُلت لمـا شكَـتْ حُبِّي ولَـوْعَتَـه هَـزَأتِ فـاقْنَى حَيَـاءً وَيْـكِ واتَّئِبِي
٩ أَتَـهْـزئِيـنَ فمـا مِثْلي بِـمُـعـتَشِـقٍ أَلَا تَـأَمَّلْتِني فيِ حـالِ مُحتَطِبِ؟
١٠ قـالَتْ وحُبِّيكَ مـا أَمسَيْتُ هـازِئَـةً هَـوَاكَ أَورَدَنـي في لُـجَّـةِ العَـطَبِ
١١ فقُلْتُ إِذْ زَعـمَتْ أَنَّـي لهـا شَجَنٌ: لأَيَّـمـا حـالَـةٍ عَنْ أَيِّـمـا سَبَبِ؟
١٢ قـالَتْ رَأَيْتُ فَتًى حُلْوَ الشَّمـائـلِ في قَـدٍّ رَشِيقٍ وظَـرْفٍ مُـونـقٍ نَشِبِ
١٣ فـقلتُ قِـرْدٌ تَـمشَّـى في سَـلاسِـلِهِ وقَـدُّ فِيـلٍ عَـظِيم الـرأسِ والـذَّنَبِ
١٤ قالَتْ لِحُسْنِكَ والوَجْهِ الذي ابتَهَجَتْ أَنـوارُه كضِيـاءِ البَـدْرِ في الحُجُبِ
١٥ فقُلْتُ لَـو أَنَّني والـغُـولَ في قَـرَنٍ لكنتُ أَسمَجَ مِنها يـا ابنَـةَ النُّجُبِ
١٦ عَلِقْتِ أَسمَجَ مَنْ يَمشي على قَـدَمٍ مِنَ البَـرِيَّـةِ في عُجْمٍ وفي عَـرَبِ

١٧ قـالَتْ لكـثـرةِ مـالٍ قُلتُ مُـبْتَئِسٌ صِفْـرُ اليـديْنِ مِنَ الأوراقِ والـذَّهَبِ
١٨ قالَتْ رَأَيْتُـكَ تَسْتَحْيـي فقلـتُ لهَـا ما الصخرُ أَصلبَ مِنْ وَجْهِي فلا تَعبي
١٩ قـالَتْ أَرَى لكَ حَـظًّا سوفَ تُـدرِكُه بـالصَّبْـر تَبْلُغُ أَعلَى غـايـةِ الـرُّتَبِ
٢٠ فقلتُ حَـرْفـى نَقِيٌّ غَيْـرُ مُـؤْتشبِ أَنـا البَسُـوسُ التي أُنبئت في الكُتُبِ
٢١ قـالَتْ لصِدْقٍ لسـانٍ منـكَ قُلتُ لهـا إنِّي مُسَيْلَمَـةُ الكـذَّابُ في الكَـذِبِ
٢٢ قـالَتْ لِـدينٍ وإسـلامٍ وصَـالحـةٍ تُـرجَى لـديـكَ ومَعْـروفٍ لِمُـطَّلِبِ
٢٣ فقلتُ عُـرْفى عن العَـافِينَ مُنْقَبِضٌ منِّي وأَكفَـرُ مِنْ حَمَّـالـةِ الحَـطبِ
٢٤ قـالَتْ لِنَغْمتِـكَ الحُسْنَى ورِقَّتِهـا إذا تَـنغَّـمتَ تُكْسِـي لَـذَّةَ الـطَّرَبِ
٢٥ فقلْتُ صَـوْتي إذا جَلْجَلتُه طَـرَبـاً يَـحْكِـي نَهيقَ حِـمَـارٍ أَبتَـرٍ شَغِبِ
٢٦ قـالَتْ لِشدّةِ بـأْسٍ إذْ رأَيْتُـك في قَدِّ الهَصُور الهِـزَبْرِ الباسلِ الحَـرِبِ
٢٧ فقُلْتُ أَجبَنُ يـومَ الـرَوْعِ فـاستَمِعي مِنْ صَقْرَدٍ حين تَرْمي الحربُ باللّهبِ
٢٨ قـالَتْ لِمَشْيـكَ إذ تَخْتـالُ مُنعَـطِفـاً كالغُصْنِ يَهْتَزُّ في الأغصـانِ والقُضُبِ
٢٩ فقُلْتُ مِشيَـةَ فَلْتـانٍ على وَجَـلٍ يَعْـدُو علَى عَجَلٍ خَـوْفاً مِنَ الـرُّعُبِ
٣٠ قـالَتْ لِمَحْشـدِكَ المـأْثـورِ في يَمَنٍ بـمـا يُشـيِّـدُ بيـنَ الأنجـم الشُّهُبِ
٣١ فـقُلتُ إنـي على خُـبْـرٍ ومَـعْـرِفَـةٍ إذا نُسِبْتُ لئيمُ الأَصـلِ والحَسَبِ
٣٢ قـالَتْ لِعَقْلِكَ إنَّ العَقْـلَ مُشتَـرِكٌ وقـد أَخـذتَ بِحَظٍّ. منـه في أَدَبِ
٣٣ فـقلتُ أَحمقُ مِـمَّـنْ رَامَ مُـعْـتَـدِلاً يَجْنِي مِنَ الشـوْكِ أَفنانـاً مِنَ العِنَبِ
٣٤ قـالتْ لِأخـلاقِـكَ اللاّتي تُقِيمُ بهـا دَرْءَ الأُمـورِ إذا أَقـبلنَ فـي نُـكَـبِ
٣٥ فَقُلْت أَخـلاقٌ بَغْـلٍ رَامِـحٍ شَغِبٍ في كـلِ يـومٍ لـه لَـوْنٌ مِنَ الأَدبِ
٣٦ فمـا تـأملتُ في وَجْهِي وصُـورتِـه حتى ظَـلِلْتُ حَليـفَ الهَـمِّ والنَّصَبِ
٣٧ أَمـا رأيـتِ المُـصَلَّى يـومَ زينـتِـه ولا السَّعَانينَ يومَ الجَمْعِ والصُّلُبِ!
٣٨ فلِمْ تَصـابَيْتِ بي مِنْ بين أَهـلِهمـا لقَـدْ خُبيتِ بمـا قَـدْ جِئْتـهِ فَخِبي
٣٩ يـا بِـدْعَـةً مـا لَهـا نـدٌّ وليسَ لهَـا في سَالِفِ الدَّهرِ أَو في سَالفِ الحِقَبِ
٤٠ أَمَـا اتَّقيْتِ عِقـابَ اللّه في مِقْتي فـاستَسْلِمي لِعقـابِ اللّهِ وارتقِبي

وقال يَمْدحُ آلَ عبدِ العزيزِ بِقَزْوِين [من الطويل] :

١ أَمَـا إنَّـه لـوْلاَ الـلِّوَى ومعَـاهِـدُه مَـوَاعِيسُـه قَـدْ أَقْفَـرَتْ وأجَـالِـدُهْ

٢ لأعـطيْتُ هـذا الصَّبـرَ مِنِّيَ طاعَـةً تُعَلِّمُ دَهْـرِي أيُّ قِـرْنٍ يُكَـابِـدُه!

١ ، ٢ ـ قال الخارزنجي : « الأَجالِد » جمع الجَلْد من الأرض ، و« المَواعِيس » جمع المِيعَاس ، وهو المكان الذي فيه الوَعْس من الرمل .

يقول : لولا هذا المنزلُ ومعاهدةُ وإقفازُ مَوَاعيسهِ من أهلِها وأجالدهِ لَصبرتُ حتى يَعلَم الدهرُ بمن يَتمرس . فوضعَ قوله : « لأعطيتُ هذا الصبرَ منِّيَ طَاعةً » مكانَ لَصبرتُ .

وفي الكتاب العَجَميّ : يقول لولا إقفارُ اللِّوى ومعاهدِه لَصَبرْتُ حتى يعلَم الدهرُ بمن يَتمرَّسُ أي يُعالج . وهذا لفظ الخارزنجي .

٣ ولكنْ أَبَى قَلْبٌ دَعَـا الشَّـوْقَ حِقْبَـةً متَى مـا يَـرُدْه، لاعِـجٌ فهـوَ واجِـدُه

٣ ـ قال الصولي : « يَرُدْه » مِن رَادَ يَرُود فهو رائِد ، أي متى يَطلبُه الحُزْنُ فهو واجدُه . ومَنْ روى « يَرِدْه » أي مَتى ما يَرِدُ عليه يَجِدْه . وقال الخارزنجي : ولكن أَبى قلبي الذي دعاه الشوقُ حِقبةً وزماناً أن يَصْبِر . قال المبارك بن أحمد : لو رُوِي « ما يُرِدْه » مِن أرادَه يُريده أي استهواه لكان أحسنَ لقوله « فهْوَ واجِدُه » .

٤ وأيُّ فَتًى يَـنْقَـادُ لِـلْحِـلْم أَمْـرُهُ وأَكْثَـرُهُ رُشْـداً إلى الغيِّ قـائِـدُه؟!

٤ ـ قال الخارزنجي : يقول وأي فتىً يَحْلُم ويرشُدُ وقَلْبُه الذي هو أكثرُ جوارِحه

رشْداً يَقُوده إلى الغيّ ؟

٥ وسِرْبٍ كنوَّارِ الرَّبيع تَناقَلتْ إلى مَوْعِدٍ زَوْلاتُه وخرائِدُه

٥ ـ قال الخارزنجي : « تناقلتْ » تهادَتْ ، و « الزَّوْلات » الطَّريفات ، و « الخَرائِد » الحييات . أي تَهادَتْ إلى مَوْعِدٍ لأخدانها فمَشيتُ إليه آخذاً بيد الصِّبَى ، وهو البيت بعدَه ، وأرادَ « بنوَّار الرّبيع » أي ملابسهنَّ وهَيْئاتهن .

٦ فَبِتْنا بهِ زَوْراً وباتَ بهِ المَها وأذْرُعُ قَوْمٍ وُشْحُهُ وقلائِدُه

٦ ـ الخارزنجي : يقول فبتْنا زُوَّاراً وباتَ جَوَارٍ كأنَّها المَهَا ، نُعانِقُها وَنُقلِّدها أذْرُعَنا وتُوشِّحُها في العِنَاق حتَّى كأنها وُشُحٌ لها وقَلائد .

٧ فَيا مَشْهَداً يَسْتهزِمُ البَيْنُ باسْمِهِ إذا عُدَّ أيَّامُ الهَوَى ومَشَاهِدُه

٧ ـ يقول : هذا الذي وَصفتُ مِن البَيْنونة مع المَها وعناقِها فهو مَشهدٌ في حال اللَّهوِ واللذاذةِ إذا سُمِّي البَيْنُ ووُصِف انهزمَ خَوْفاً منه ، قاله الخارزنجي :

قال المبارك بن أحمد : الوجهُ أن يقول إذا سُمِّي ووُصِفَ ، يَعني المشهد ، انهزَم البَيْنُ خَوْفاً منه .

٨ ويا لَيْلَةً لَوْ يَعْلَمُ الدَّهْرُ طِيبَها لَصَيَّرها ثَغْرًا تَناغَى مَراصِدُه

٩ ومَرَّتْ لو انَّ العِيسَ تُقْسِمُ أقسمَتْ إذا قَطَعَتْه أنَّها لا تُعَاوِدُه

٨ ، ٩ ـ قال الخارزنجيُ: « تَنَاغَى مَراصِدهُ » تَناجَى وتَتحَادثُ لِقُرْبِ بعضِها مِن بعضٍ . يقول : ويالَيلة لو يعلمُ الدهرُ طِيبَها ولَذَّتها لَصَرَّها ثَغْراً ووَكَلَ بها رَصَداً يمنعون المُحبِّين عنها نَفَاسَةً وضَنًّا ، كما تَرَاكَ بالثَّغرِ تمنعُ العدوَّ . وفي حاشية . أيْ لو وقَفَ الدهرُ على كُنْه طِيبها لَصرَّها ثَغْراً من الثُّغور المقصودةِ التي تَناغَى مَراصدُه ، أي يَنْعِي بعضُها بعضاً بإقبال العدوِّ إليها . وأنشد الآمدي قوله :

ويا ليلةً لو يعرفِ الدّهْرُ طِيبَها لَصيَّرها دَهْراً تَناغَى مَراصِدُه

وَمرَّتْ لوْ أنَّ العيسَ تُقسِمُ أقسمتْ إذا قَطعته أنَّها لا تُعاوِدُه

تَظلُّ وتُمْسى مُكْعِماتٍ رِكابَه ورُكْبانَه أعلامُه وفَدافِدُه

فقوله : « لَصَيَّرها ثَغْراً تَناغَى مَراصِدُه » أي حَماها وحَرَسها كما يُحْمَى ويُحْرَس

الثغر ، أي إذا دَارَتْ تلك الليلةُ من كل سنة يَفعلُ بها ذلك ، وحِراستهُ إيّاها ألَّا تَحْدثَ حادِثةٌ مكروهةٌ فيها من مِحْنةٍ ولا مُصِيبةٍ ولا آفة .

وقوله :

تَظَلُّ وتُمسِي مُكْعَماتٍ رِكابَه ورُكْبَانَه أعلامُه وَفَدافِدُهْ

أي تَسُدُّ أعلامُه وَفَدافِدُه أفواهَ ركابِه وركْبانِه فلا يَطعمُ الراكبُ والمَرْكوبُ شيئاً لأنها تُفْنى أزوادَهم لِطُولِها ، وأرادَ أنها تمنعهم من الأكل والشرْبِ لِطُولِها وشِدَّةِ الخوفِ الذي يُلاقونه فيها .

وقوله « تَنَاغى مَراصِدُه » أي مُرتفعاتٍ يَنظرُ بعضُها إلى بعض ، كما يقال قصْرُ فلانٍ يُناغِي السماء أي لِارتفاعه ، وقال الشاعر :

كأنَّكَ بالمُبارَكِ بعدَ شهرٍ يُنَاغِي مَوْجُهُ غُرَّ السَّحابِ

« والمُبَارك » نَهْر . والمُنَاغَاةُ أن تُلْقِي إلى الرجلِ كلمةً ويُلقي إليك أُخرَى ويقال ما سمعتُ مِنه نَغْيَةً .

١٠ تَظَلُّ وتُمْسِي مُطْعَمَاتٍ رِكَابَه ورُكْبَانَه أعلامُه وفَدَافِدُه

١٠ ـ قال الخارزنجي : يقول تأكُل أعلامُه وفَدافِدُه رِكابَه وهي الإبل ، ورُكْبانه وهم أصحابُها ، إمّا أنْ تقتلَهم وإمّا أن تُهزِلَهم فتأخذَ لُحومَهمْ . وفي الحاشية : تظل هذه المفازةُ نَهاراً وتُمسي ليلاً وطَعامُ رِكابِه وركْبانِه أن يَقطعوها . « وفدافده » [مَا غُلظ مِن أرضِه] . قال المبارك بن أحمد « مُطعَمات بفَتح العَيْن وكسرِها .

١١ تَجشَّمْتُه بالدَّاعِريَّةِ تَغتلي بها رَتكانٌ أو ذَميلٌ تُواعِدُه

١١ ـ قال الخارزنجي : « الرَّتكان » ضَرْبٌ من السَّير فيه هَزَّة . « والمواعدة » المُوازَاةُ والمُبَاراةُ في السُّرعة . أي هذه الإبلُ تُبَارى رَتكانَها أو ذَمِيلَها .

١٢ أُناسٌ لَهُمْ طَلُّ الفَخَارِ ووَبْلُه ولِلنَّاسِ منْه بَرْقُه ورَوَاعِدُه

١٢ ـ الخارزنجي : يقول : لهم الفعَالُ ، وللناس المَقال. وفي الحاشية : يقول : لهم أوّلُ المطرِ وآخِرُه ، وللناسِ بَرْق الفَخْر ورواعِده أي يُظهرونه ولا يُحَقِّقُونه إلَّا تَخيُّلًا لا حَقيقَةَ له .

١٣ مَعَاشِرُ لا يُعْتَاضُ مِنْ فَقْدِهِم بَلَى إذا اعْتَاضَ بالعَقْلِ المُذَهَّبِ فاقِدُه
١٤ لَهُمْ شَرَفٌ لا تُشْرِفُ الشَّمسُ فَوْقَهُ طعَانٌ أَعَالِيهِ سِمَاحٌ قَوَاعِدُه

١٣، ١٤ ـ [قال ابن المستوفي] : وأنشد الآمدي قوله (البيتين ١٣ ، ١٤) ثم قال : « المُذهَّب » بالتَّشديد الذي قد ذُهِب به، لُغَةٌ يَمانية . وقوله: « لا تُشرِفُ الشمسُ فوقَه » أي لا تَعلوهُ فتكون مُشْرفةً عليه ، يُروى : « لا تَشْرُقُ الشمسُ فَوقَه » ، والمعنى واحد ورَواه :

مُعاشر لا يُعتَاض من فَقْدِهم ولم يُعوِّضْ من العقل المهذَّبِ فاقِدُهْ

وقال: يقول هم معاشر لا عِوَضَ منهم، كما أنه ليس للعقل بَدَل وعِوَض ونَظِير ومِثَال.

١٥ شَرَاحِيلُ يَبْنِيهِ ودَهْرٌ يَحُوطُه مِنَ الدَّهْر إنْ أخْنَى وأُشْعِرَ شَايِدُه

١٥ ـ أي يَحوطُه مِنَ الدَّهْر إنّ أخنَى عليه ، يَعني الشَّرفَ .

« وأُشْعِرَ شايِدُه » أي أُتلِفَ وأُهْلِكَ ، و « الإشعارُ » القَتْل ، وأصلهُ في البَدَنةِ التي تُشْعَرُ أي تُعْلَم بعلامة يُعْلَمُ بها بأنها هَدْى ، وهو أن يُوجَأ أصلُ سَنامِها حتى يَسِيلَ الدَّمُ فيُعلم أنها لِلنَّحر ، وذلك مَكْروه عند بعضِهم لأنها إذا قُلِّدت فقد أُشعِرَتْ . أي ودَهْرٌ يَحوطُ هذا الشرفَ مِنَ الدَّهر إن أخنَى أي نَزَل « وأشعَرَ شايِدُه » والممدوح بهذا البيت أشعَرِيّ ، ولمّا قال « شَرَاحيلُ يبنيه وَدَهْر يحوطه » قال وأَشْعَرَ شايِدُه ، وذكرَ الآمدي إنما هو تصْحِيفٌ منه للفظهِ ففَسّرها على التصحيف .

١٦ رَأَيْتُ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يَطلُبَ العُلَى فيُنْجِحَ فيهَا مَنْ مُعَادِيه شَاهِدُه

١٦ ـ أي شاهدٌ له بالفَضْل والفَخْر ، أي مَن لا يَقدِرُ عَدوُّه أن يدفعَه عن الفَخَارِ والفضائِل التي فيه وله :

١٧ لِنَابغَةِ الجَعْدِيِّ فِي فَتَكَاتِهِمْ غَرائِبُ شِعْرٍ لا تَنَامُ شَوَارِدُه

١٧ ـ الخارزنجي : أَرادَ قَول النَّابِغةِ في القومِ الذين بَيَّتَهم « دَهْرٌ » مِن بَني جَعْدة فقَتلهم :

وَيْلُ أُمِّهِمْ أهلَ بَيْتٍ لَيْلَةَ انصَرفُوا مِن جَيْشِ دَهْرٍ فَلَو عادوا كما كانوا

يقول لِلنابغة الجَعْدِي شِعْرٌ وَصفَ فيه فتكاتِهم يَشهد بِحُسْنِ بَلائِهم .

أليس أحقَّ الناس أن يَطلُبَ العُلاَ   فيُنجِحَ فيه مَنْ مُعَادِيهِ شاهِدُهْ

قال الخارزنجي : « مُعادِيه شاهِدُه » يَعني النابغَة لأنه كان من بَنِي جَعْدة وبينهم وبين جُعْفَى بن سَعْد وَقاع ، وهم الذين قتلَوا شَراحِيل ، فيقول : هو على عَدَواتِه لهم شاهِدٌ بوقائِعهم في حَيِّهِ . قال المبارك بن أحمد : الذي فَسَّره به الآمدي الصّوابُ لعُمومه ، ومِثلُه : والفَضْلُ ما شَهدتْ بهِ الأعداءُ » .

١٨ أحَبُّ أدانِيهِ إليه مُكاشِحٌ   يُنافِسُه في سُؤْدَدٍ ويُماجِدُه

١٨ ـ أي أحتب أقاربِه إليه من يُكاشِحُه بالعَدَاوةِ .

ويُنافسُه في السُّؤدد ويُعالِيه في المجْدِ لهمته في ابتناء المكارم .

١٩ مَحَا حِقْدَهُ عنْهُ التَّيقُّنُ أنَّهُ   على المَجْدِ يَوْماً لا على المالِ حاسِدُه

١٩ ـ الخارزنجي : يقول مَحَا حِقْدَه على هذا المكاشِح فَرَحُه بأنَّه يَحسُده على المجْد ، وأنَّ هِمَّتَه شَبِيهةٌ بِهمتهِ في ابتناء المعالي ، فهو يُحبُّه لهذا . قال المبارك بن أحمد : أي لم يَحقِدْ عليه لأنه تَيقَّنَ أنه حاسِدُه على المَجْدِ لا على المال . وإلى هذا المعنى أشار أبو عبد اللّه محمد بن يوسف النجراني ، وأنشدنيه :

أحببتَه لما رأيتَ العُرْفَ منْزلةً   عَلْياءَ أن يَتَبارى الجُود كلهمُ

حتَّى السماحةَ لم يَبْخَلْ نَدَاكَ بِها   هذا هو الجُود لا مَعْنٌ ولا هرِمُ

٢٠ يَرَى القَوْل إيلاءَ الغَمُوسِ فما يَنِي   على وَجَلٍ حتَّى تَبَرَّ مَواعِدُه

٢٠ ـ يقول يَرَى القَوْلَ إذا وَعَد يَمِيناً غَمُوساً يُولِي بها ، فما يَزَالُ خائفاً حتَّى يُنجِزَ مَواعِيدَه شَفْعَةً .

٢١ إذا الخَيْلُ خاضَتْ في الدِّماءِ وفي القَنَا   مُسَوَّمَةً والمَوْتُ قدْ حَرَّ بَارِدُهُ

٢٢ فإنَّ المَنايَا الحُمْرَ والسُّودَ كُلَّهَا   على الدَّارِعين المُعْلَمِينَ عَقائِدُه

٢١ ، ٢٢ ـ يقول إذا تَضرَّجَتِ الخيلُ والرماحُ في الدِّماءِ فإنَّ المَنايا الحُمْرَ والسُّود عَقَائِدُه ، أي عاقَدَتْه لا تَخُونه على الأعداءِ . وفي أُخرى : عاقدَتْه ألَّا تخونَه في أعدائِه وتقتلَ مَن يُرِيدُ أن يقتلَه .

٢٣ يَظَلُّ يَخُوضُ الموْتَ بالمَوْتِ والنَّدَى   مِنَ الخَوْفِ والبُقْيا عليهِ يُنَاشِدُه

٢٣ ـ قال الخارنجي : « يَخوضُ بسلاح » الحَرْب فسلاحُهُ يُنَاشده ؛ والجودُ يُناشده أن يُبقِيَ على نفسه ولا يَخُوض غَمْرتَها خَوْفاً من الموت . ويُرْوى « والنَّدى مِنَ الموتِ والبُقْيا عليه يناشِدُه » وفي الحاشية : أي يَخوض الموتَ بمثله مِنَ الموت ، ويخوض النَّدَى فيثني مَن أرادوا البُقَيا عليه يُناشِدونه مِن خَوْف القَنا لئلا يَفْنَى :

٢٤ إذَا جَاهَدَ الأبطالَ أقبلَ عِرْضُهُ على المالِ إقْبالَ الكَمِيِّ يُجاهِدُه

٢٤ ـ الخارزنجي: يقول إذ جاهَد الأبطالَ أقبلَ عِرضُه يُجاهد المالَ ويُنْفِقُه ويُبَذرّه. قال المبارك بن أحمد : هذا مِثل قولِه، قبل:

يُجالِدُهم بالسَّيفِ صَلْتاً ويَنْثَني إلى ماله بالجُودِ صَلْتاً يُجالِدُه

ويُروَى « عِرْضهُ على الذَّم » و« على الذَّنْب ».

٢٥ وما خِلْتُ أنَّ الجُودَ أَصْبَحَ ناشِراً وحاتِمُه قَدْ بَانَ عنه وخَالِدُه

٢٥ ـ أرادَ خالد بن عبدالله القِسْرى. يقول: ما علمْتُ أنَّ الجُودَ نُشِرَ بعد موْتِ خالد وحاتم حتى رأَيتُه ناشراً عند هذا الممدوح.

٢٦ ولكنَّه لَنْ يَبْرحَ النَّخْلُ مُطْعِماً إذا بَقِيَتْ أجذَامُه وجَرَائِدُه

٢٦ ـ « الأَجذَام » جمع الجِذْم وهو الأَصل. « والجرائد » العُسُب. يقول: لم أَعلم أَنَّ الجودَ يعَودُ حَيًّا بعد مَوْته حتَّى رأيتُه عند هذا الممدوح، ولكن هذا ليس بعجب لأنه مِن هؤلاءِ الأَجواد نَزعَ إليهم في الشَّبَه، كما أَنه ليس بعجَبٍ أن يُثْمِرَ النَّخلُ إذا أُنضِيَتْ أُصولُه وعُسُبه.

٢٧ وإنِّي ومَدْحِي مَذْحِجَ ابنةَ مَذْحِجٍ لكالمُفعِمِ الحوضَ الذي هُوَ وَارِدُه

٢٧ ـ يقول: لا تُنكروا مَدْحى مَذْحِجاً فأَنا منهم وهم منِّي وإنما مَثَلُ ذلك كرجل شَرَع حَوضاً يُريدُ أن يَردَه ويشربَ منه.

٢٨ وأكْيِسْ بمُجْدٍ عَادَ فيهِ نَوالُه وشَاعِرِ قَوْمٍ عُدْنَ فيه قَصائِدُه

٢٨ ـ الخارزنجي: « المُجْدِي » هو المُعْطِي. يقول: ما أَكيسَ مجْدياً إذا أَعطَى وبَذلَ عادَ إليه ثَمَنُ عَطائِه، وشاعراً قال في غيره قصائد فعادتْ ثَمرَتُها إليه. وفي الحاشِية: أي ما أَكيسَ مُجدياً عادَ فيه نَوالُ هذا الممدوح، وأَكْيِسْ عادَتْ قصائدُه له.

5

وقال يمدحه [من الوافر]:

١ حَمَتْهُ فاحتَمَى طَعْمَ الهُجُودِ غَدَاةَ رَمَتْهُ بالطَّرْفِ الصَّيُودِ

١ ـ أي هذه المرأةُ مَنَعتْه النَّومَ فامتنَع منه.

٢ أَبَتْ إلاَّ النَّوَى بَعْدَ اقْتراب وإلاَّ هَجْرَ ذِي مِقَة وَدُودِ

٣ رَأَتْ أَنَّ الفِرَاقَ أَمَرُّ طَعْماً وأَقْرَحُ لِلقُلوبِ مِن الصُّدُودِ

٤ فَذَمَّتْ للرَّحِيل مُخَيَّسَاتٍ يَصِلْنَ بِها الذَّمِيلَ إلى الوَخِيدِ

٥ ولا ذَنْبٌ سِوَى شَكْوَى إليْهَا كَمَا يَشْكُو العَمِيدُ إلى العَمِيدِ

٥ ـ [ص] «العَمِيد» الأوّل الوَجِعُ المُثْبِتُ وَجعاً، «والعَمِيد» الثاني السيِّد؛ أي كما يشكو وَجِعٌ إلى سيِّده بإشكاءَة.

٦ كأنَّ الدَّمْعَ يُنْثَرُ مِنْ نِظامٍ علَى تِلْكَ المحَاجِرِ والخُدُودِ

٧ يَزِيدَ بنَ المَزِيدِ ولَيْسَ عِنْدِي وراءَ مَحَلٍّ حُبِّكَ مِنْ مَزِيدِ

٨ أَمَا وأبِي الرَّجَاءِ لقَدْ رَكِبْنا مَطايَا الدَّهْرِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ

٨ ـ «أبو الرجاء» مَن يُولَد الرّجاءُ بعطائِه، يَعني الممدوحَ.

٩ فأنضَيْنَا نَجائِبَ مُسْمِحَاتٍ تَجُودُ بسَيْرِها إنْ قُلْتُ جُودِي

١٠ قَلائِصُ شَوْقُهنَّ يَزِيدُ شَوْقاً ويَمْنَعْنَ الرُّقَادَ مِنَ الرُّقُودِ

١٠ ـ أي هذه القلائصُ إذا حَنَنَّ زَادَ شَوْقَنا . « والرُّقُود » يحتمل أن يكونَ مَصْدراً مِن قولك رقدتُ رُقُوداً فيكون المعنى : ويَمْنَعن الرُّقادَ مِن أن يَستقرّ ، لأن الرُّقودَ قرارٌ وسُكون ، فكأنه قال يَمنعن النَّومَ من النوم ، أي لا يَتركْنه والإلمامَ بالجفُون .

والآخر أن يكون « الرُّقود » جمع رَاقِد مثْل شاهد وشُهود ، أي يمنعنَ النومَ الراقدين لِشدّة سَيْرِهِنَّ .

١١ إذَا بُعِثَتْ علَى أَمَلٍ بَعِيدٍ فقَدْ أدنَتْ مِنَ الأَمَلِ البَعِيدِ

١١ ـ أي إذا هُيِّجتُ على أملٍ بَعِيدٍ قَرَّبَت الآمِلَ من الأملِ البَعِيد .

١٢ أَبَيْنَ فمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ وحَسْبُكَ أنْ يَزُرْنَ أبَا سَعِيدِ

١٣ فَتًى لا يَسْتَظِلُّ غداةَ حَرْبٍ إلى غَيْرِ الأسِنَّةِ والبُنُودِ

١٤ أَبَاحَ المَالَ جَائِلةَ المعَالي فأجحَفَ بالطَّرِيفِ وبالتَّلِيدِ

١٥ يُفِيدُ ويسْتَفِيدُ غِنًى وحَمْداً فَأَكْرِمْ بالمُفِيدِ المُسْتَفِيدِ

١٦ كأنَّ النَّازِلِينَ به حَجِيجٌ أنَاخُوا بيْنَ إحْسَانٍ وجُودِ

١٧ أليْسَ بِأرْشَقٍ كُنْتَ المُحَامِي عَنِ الإسْلام ذا بأْسٍ شَدِيدِ؟

١٨ رَآكَ الخُرَّمِيُّ عليْهِ نَاراً تَلَهَّبُ غَيْرَ خَامِدَةِ الوُقُودِ

١٨ ـ « رآك » وَجَدك . و « ناراً » مفعول ثاني ، « تَلَهب » حال .

١٩ دَلِفْتَ لهُمْ بأَبْنَاءِ المَنَايَا علَى العِقْبَانِ في خَلْقِ الأُسُودِ

٢٠ وقَدْ كانَ الجَلِيدَ فغَادرَتْهُ رِمَاحُكَ غَيْرَ مُصْطَبِرٍ جَلِيدِ

٢١ وفي مُوقَانَ كُنتَ غَداةَ ماقُوا أُجَاجَاً طَعْمُهُ صَعْبَ الوُرُودِ

٢١ ـ « ماقُوا » حَمِقُوا . أي ماءً أُجاجاً طَعْمُه ، رُفِعَ بفِعْله .

٢٢ مَشَتْ خَبَباً سُيوفُكَ في طُلاهُمْ ولَمْ يَكُ مَشْيُها مَشْيَ الوئِيدِ

٢٢ ـ أي تَقعُ في العُنق ، ثم تَجوزُ إلى غيره ، كأنها تَخبُّ ، و « الوئيد » البَطيء ، أي لم تُبطىء فيُسمَع لها صَوْتٌ كوطءِ الواطىء المُثْقَل ، والمُرَادُ أنها انتقلت من طُلْيَةٍ إلى أُخرى بِسُرْعة .

٢٣ سُيوفُ غادَرتْ سُقْياً دِمَاءٍ   بِهَامَةِ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدِ

٢٣ ـ « سُقْيا » مصدر « بهامة » أي بورُودِ هامة .

٢٤ ويَوْمَ البَذِّ إذْ لم تُبْقِ حِقْداً   علَى الأعْداءِ في قَلْبٍ حَقُودِ

٢٥ حَطَطْتَ بِبَابِكٍ فانْحَطَّ لمَّا   رَأى نَجْماً لِشَيْطانٍ مَرِيدِ

٢٦ ومَا إنْ زِلْتَ تُؤْنِسُهُ بِوَعْدٍ   وتُوحِشُهُ بإنْذَارِ الوَعِيدِ

٢٧ تُمَثِّلُ نُصبَ عَيْنَيْهِ المَنَايَا   فيُرْعَدُ في القِيَامِ وفي القُعُودِ

٢٨ ومَا شيءٌ مِنَ الأشْيَاءِ أمْضَى   على المُهْجَاتِ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ

٢٩ فَمَا نَدْرِي أحَدُّكَ كانَ أمْضَى   غَدَاةَ البَذِّ أمْ حَدُّ الحَدِيدِ؟

٣٠ لَئِنْ طَلَعَتْ نُجُومُهمُ بنَحْسٍ   لقَدْ طَلَعَتْ نُجُومُكَ بالسُّعُودِ

٣١ شَنَنْتَ عَلَيْهِم الغَارَاتِ حتَّى   لَشَيَّبَ شَنُّهَا رَأْسَ الوَلِيدِ

٣٢ فكَمْ مِنْ مُطلِقٍ وعَزِيزِ قَوْمٍ   غَدَا بالذُّلِّ يَرْسُفُ في القُيُودِ

٣٣ لِيَهْنِكَ ذِكْرُ أيَّامٍ تَوالَتْ   ببِيضٍ مِنْ فُتُوحِكَ غَيْرِ سُودِ

٣٤ لئِنْ جَذِلَ الصَّدِيقُ وسُرَّ مِنْها   لَقَدْ صَعِقَت بِهَا أُذُنُ الحَسُودِ

٣٥ ولَوْ بَقِيَ النَّدَى والبأْسُ خَلْقاً   لَخُصَّ أبو سَعِيدٍ بالخُلُودِ

6

وقال أبو تمام يَمدح محمدَ بن عبد الملك ، وروَاها الخارزنجي [من الكامل] :

١ خَلِي سَبِيلَ تَهائمي ونُجُودِي مِمَّا يَغُرُّكِ طَارِفي وتَلِيدي

١ ـ يقول : خلِّيني أُتْهِمُ وأُنْجِد في طَلَبِ الفَضْل ، وإنما يَغرُّك ما تَرَيْنَ مِن طارِفي الذي استَفدْتُه وتَلِيدي الذي وَرِثْتُه وعليهما عَوّلتِ فاجترات على عَذْلي على التَّصرف .

٢ ذَاتَ الثَّنايا الغُرِّ لا تَتَعَرَّضِي عِنْدَ الفِراقِ بِمُقْلَتَيْنِ وَجِيدِ

٢ ـ أي لا تَتعرّضي لي عند هَمِّي بالفِرَاقِ والتَّصرّف في بلادِ اللّه طَلَباً لِلفَضْلِ لِتَثني عَزِيمتي وتَعْطِفي نِيَّتي بِحُسْنِ مُقْلتيك وجِيدكِ .

ما ابيَضَّ وَجْهُ المرءِ في طلَبِ العُلَى حتَّى يُسَوَّدَ وَجْهُهُ في البِيدِ

٤ وصَدقْتِ إنَّ الرِّزْقَ يَطلبُ أهْلَهُ لكنْ بِسيرَةِ مُتْعَبٍ مَكْدُودِ

٤ ـ أي صدقْتِ كما تَرَيْن ، ولكن قُدِّرَ أن يَسِيرَ صاحبُ الرِّزق نحوه فيأخذُه . قال المبارك بن أحمد : هذان البيتان موجودان في شِعْره مُفْرديْن . ويُروَى « لكن بِحليةِ مُتْعَب » .

٥ ومَن الَّذي يَرْعَى الجَمِيمَ ولمْ يَكُنْ مُتَعهِّداً لِلجَانِبِ المَعْهُودِ؟!

٥ ـ « الجميم » الذي غَطَّى الأرض[1] ، و« المَعْهود » المَمْطُور . يقول : صدقتِ إنَّ الرِّزْقَ يأْتي ولكن لا بُدَّ مِن طلَبهِ في مَظانِّه ، كما أنَّ الرائدَ لا يَرعى الكلأ المُلْتَفَّ مِن المكانِ الممطور إلا بأن يَصير إليه ويُحْدِثَ العَهْدَ به ويَغشاه .

٦ نَظَرَتْ إليَّ بِنَظْرةٍ مِنْ مُقلَةٍ غَضْبَى وقَلْبٍ فَارِغٍ مَعْمُودِ

٦ ـ أيْ لمّا قلتُ لها ما قلتُ نَظَرتْ إليّ بِمُقْلة غَضْبى وقلبٍ فارغٍ من الصّبْر ، مَعْمود من الخَوْف ، أي مِن خَوْفِ الفِرَاق ، « والمَعْمُود » الذي هَدَّه العِشْق .

٧ فكأنَّ مُقْلَةَ خَاذِلٍ في دَمْعِها نَظَرَتْ إلى أَحْوَى أَغَنَّ فَرِيدِ

٧ ـ أي كأنَّ مقلتَها لمّا نظَرتْ مقلةُ ظبية نَظرتْ إلى خِشْفٍ لها مُنفَرد عنها مُتخلِّف ، وذلك أَحَدُّ ما يكون من نظرها .

٨ الحَزْمُ بَيْنَ رِحالَةٍ وقُتُودِ والعَجْزُ بَيْنَ إشاحَةٍ وعُقُودِ

٨ ـ يقول : الحَزْمُ والعَزْمُ المُصِيب الارتحالُ على البَعِير والتَّصرفُ في طَلَبِ المُعَاشرة . والعَجْزُ الإقامةُ على المرأة .

٩ وبيَ الذي بكِ لو رضِيتُ بِمَجْلسٍ قَاصِي المكانِ ومَشْرَبٍ مَثْمُودِ

٩ ـ « المثْمود » القليل . يقول : ما تُرِيدينه أُريدُه لو كنتُ أَرضَى بِبُعْدِ المجلس عن أهلِ الشرفِ والملك وبفَوْت من المال ، ولكني لا أرضَى به فَلا بدَّ لي من التَّوصل إليه بتعبِ النفوس .

١٠ حَسَبُ المُفَاخِرِ بالقَبَائِلِ أنْ يَرَى ايْدِي القبائِل عندَهُ للجُودِ

١٠ ـ يقول : حَسْبُ الذي يُفَاخِرُ بِالقبائل أن يَرى أيديهم خُلِقَتْ للجود ، يجودون بها وينعمون على المُعْتَفِين .

١١ وإذا احْتَمَى لِلمَكْرُماتِ رَأَيتَهُ يَحْمِي بِجِنَّةِ عَبْقَرٍ وأُسُودِ

١١ ـ يقول : إذا حَمِي أنَفَةً لِلمَكْرُمات وغَضِب حَمَاها بخَيْلِهِ وأهِل بَيْتِه الذين كأنَّهم جِنَّةُ عَبْقَر وأُسودُ غابٍ جَرْأَةً .

١٢ ما السَّيِّدُ الصِّنْدِيدُ إلاَّ مَن جَرَى وحَثَا بِوَجْهِ السَّيِّدِ الصِّنْدِيدِ

١٢ ـ يقول : ليس السَّيدُ الصِّنديد إلاَّ مَنْ إذا جَارَى غيرَه من السَّادة الصَّناديد غَلَبه وَحثا الغُبَارَ في وجهه لِسَبْقِه إياه .

١٣ يُغْنِيكَ جُودُكَ عَنْ خُؤولَةِ دَارِمٍ وأُخُوَّةٍ طَابَتْ بآلِ السَّيِّدِ

١٣ ـ يقول : جُودُكَ يبلغُ بك كرمَ كُل كريم ويَفُوقه حتى يُغْنيكَ عن الانتماء إلى الخُؤُولة الكِرَام والعُمومةِ الأفاضل .

١٤ أُنْظُرْ تَرُدَّ الحَقَّ عنْكَ إذا غَدا أنْ يَنْتَمِي لِعُمُومَةٍ وَجُدُودِ

١٥ والعُودُ مَنْصِبُكَ الذي تُنْمَى لَه ونَدَى يَدَيْكَ لِحَاءُ ذَاكَ العُودِ

١٥ ـ يقول : مَنصِبُك الذي تُنْمَى له وتَنْتمي إليه هو كعُود ، وجُودُ يديْكَ لِحاءُ ذاك العُود أي قِشْرُه ، ولا يَصلحُ العودُ بغيرِ اللِّحاء . .

١٦ يَغْدُو فيَغْدُو كُلُّ شاكِرِ نِعْمَةٍ سَلَفَتْ وطالِب مِثْلِها وحَسُودِ

١٦ ـ يقول : إذا غَدَا مِنْ مَنْزِلِهِ لم يَرَهْ إلاَّ كُلُّ شاكر نعمةٍ مِنْ نِعْمة سالفة ، وطالبٍ مثلِها ، وحاسد يَحسُدُ الشاكرَ المُنْعَمَ عليه طَمَعاً في أن يَصِعل إلى ما وصَل إليه .

١٧ فيَظَلُّ في ظِلِّ العَطَايَا يَوْمَه ويَبِيتُ فَوْقَ مَنِيَّةِ التَّفْنِيدِ

١٧ ـ « التَّفْنيد » العَذْل والتَّوبيخ . [يقول] يظل هذا الممدوحُ في تَفريق العَطايا يوْمَه ، ويَبِيتُ ليلَه إذا خَلا بِذَوي الشفقةِ عليه مِنْ عَذْلِهم إيّاه على تبذير مالِه بحالة تُشبه حالةَ المَوْت والنزع .

ما خُطَّةُ القَلَمِ التي بَيَّنْتُها وردتْ عليكَ لِشَاعِرٍ مَجْدُودِ

١٨ ـ أرادَ ما قصَّةُ القَلم التي وردتْ بي عليك[1] . « والمَجْدودُ » المَحْروم .

١٩ وَنَوالُ ذِي الشَّرَفيْنِ عِنْدَ خَلِيفَةٍ باقٍ ومَاضٍ قبْلَ ذاك حميد

١٩ ـ يقول : وما قِصَّةُ نَوَالِ ذِي الشَّرَفَيْنِ عند الخليفة الذي شَرَّفَهُ وهو باق والخليفةُ الماضي قبل ذلك .

٢٠ وقَبِلْتَ تلْكَ على الوفَاءِ فأصبحَتْ هَذي تُشِيرُ إليْكَ بالإقْلِيدِ

٢٠ ـ « الإقْليد » المفْتاح . يقول قَبِلْتَ تلك على الوَفاء ، وهذي أُخْرَى تُشِيرُ إليك بالمِفْتَاح لِتَفتَحها .

٢١ فنَصحْتَ لِلمَلِكَيْنِ يُزْعَمُ أنَّهُ نُصْحُ الإمامِ قَرابَةَ التَّوحِيدِ

ومنْها يَصفُ مَرَضَه ودُعاءَ الخليفةِ له :

٢٢ فكأنَّما هِيَ دَعْوَةُ العَبَّاس في عامِ الرَّمادَةِ وهْوَ غَيْرُ مَجُودِ

٢٢ - قال الخارزنجي: « الرَمادَة » الهَلاكُ مِنَ القَحْطِ ، و« المَجود » الذي أصابَه جَوْدٌ من المطر. يقول: كأنما كانَتْ دعوةُ الخليفة لك واستجابةُ الله إيّاها دعوةَ العبَّاس بن عبد المطلب، عامَ الرّمادة حينَ استَسْقَى. قال المبارك بن أحمد، قال ابنُ درَيْد: أعوامُ الرمادةِ أعوامُ جَدْبٍ تَتَابَعَتْ على الناسِ أيامَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سُمِّيت بذلك لأنها جَعلَتْ الأرضَ رَماداً، واستسقَى في بعضِها عمرُ بالعبّاسِ رضى الله عنهما فسُقوا، ولها خبَرٌ وشِعْر.

٢٣ ولخُطْبَةٍ طائيَّةٍ نَجْديَّةٍ ولِبَابِ رَأْيٍ مُغْلَقٍ مَسْدُودِ

٢٣ - أي سَلَّمكَ الله لِخُطْبَة تَقومُ بها في المقَاماتِ فتأْتي فيها بفَصْلِ الخِطَاب، ولِمُبْهَمٍ من الرَّأي مُغْلَق تَفتحه بذكائِك. والطائية من طيّ.

٢٤ لا يَنْبَحُ الكلْبُ القُرَاة بأرْضِهِ ويُعِيدُها لِلطَّالِبِ المَطْرُودِ

٢٤ - « القُرَاة » جمعُ القَارِي الذي يقْرو البلاد ويتبعُها. أي لا يَنْبَحُ كَلْبُه طُلّابَ معروفِه وهو متكفل بالضائع المفقود.

٢٥ ويَبِيتُ حَامِيَةَ الرِّجالِ كأنَّهُ مُتكَفِّلُ الضَّائِعِ المفْقُودِ

٢٥ - « الحامية » الحافظُ للشيء. يقول: يَبيتُ حارساً لا يَنامُ ليْله ويَقْعُد أصحابُه ورِحَالُهم، كأنَّه ضامِنٌ لكل ما ضاع منها وفُقِد. قال المبارك بن أحمد: قال: « حامِيَة » لِلمبالغة كما قالوا علاَّمَة ونحوه.

٢٦ وإذَا المَطَيا عُدْنَ عادَ لها بِهِ ويقُولُ إنَّكِ قَدْ صَدَرْتِ فَعُودِي

٢٦ - يقول: إذا عَادت المطَايا إليه لتُصِيبَ مِنْ نَوَالهِ عادَ لها فما يَنْسَاها.

٢٧ وكأنَّما نَظْمُ القَوافي لُؤْلُؤٌ أثبَتَهُ في جَنْدَلٍ مَنْضُودِ

٢٧ - يقول: نَظْمُ هذه القوافي نَظْمُ لآلٍ في الاتِّساق، وقد أثبتُّها فركَّبتُها في صَخْرَةٍ لجزالة ألفاظِها، وهذا كقوله:

فدُونكها لَولا لَيانُ نَسيبها | لَظلَّتْ صِلابُ الصَّخْر منها تَصدَّعُ

٢٨ ما ضَرَّها إذْ كنْتَ بَنَّاءً بها | ألّا تكُونَ لخالِدِ بنِ يَزيدِ

٢٨ ـ « بنّاءً بها » أي بانياً بها كما يَبْنِي الرجلُ بامرأته يقول:
ما ضَرَّها أن لا يَبْنِي بها خالدُ بنُ يزيد إذْ كنتَ الباني بها، لأنك لستَ بِدُونه، أي إن لم تكن قِيلَتْ فيه فلا يَضِيرها ذلك بعد أن كانت مَقُولةً فيك. وخالد بن يزيد الشيبانِيّ الذي مَدَحه في قصائده.

٢٩ ومُكَاشِحٍ يَلْوي بَنانَةَ كفِّهِ | بَغْياً فقُلْتُ له القضا بنَشِيدِي

٢٩ ـ « المكاشح » العدو، يلوي بنانَ كفِّه غيظاً وبَغْياً يقول: رُبَّ عدوٍّ إذا أنشدتُه مديحك لَوَى يدَه غيظاً فقلتُ له...

٣٠ اَحسِدْ على نَيْلِ المكارِمِ والعُلَى | إنْ لم تَكُنْ في حَالةِ المَحْسُودِ

٣٠ ـ يقول: حَسَدُ الفَتى صاحِبَه على المكارم من دلائل الكَرم وشرفِ الهِمَّة، ولكنه كرمٌ لا يُعدّ في الكرم لأن الحسَدَ مذموم.

٣١ حَسَدُ الفَتَى في المكرُماتِ لِغَيرِه | كَرَمٌ ولكنْ ليْسَ بالمَحْمُودِ

7

وقال أبو تَمّام يَمْدَحُ مُحمدَ بنَ يُوسف، وانفرَدَ بِروايتها وروايةِ التي قَبْلَها الخَارِزَنْجي [من الطويل]:

١ مَلامَكِ عَنِّي لا أبالَكِ واقصِدِي | كفَاكِ مِلامي وَعْظُ شَيْبٍ مُفَنِّدِ

٢ تَلُومينَ أنْ لمْ أطْوِ مَنْشُورَ هِمَّةٍ | طَوَتْ عن لِسَاني مَدْحَ كُلِّ مُزَبَّدِ؟

٢ ـ « المُزَبَّد » اللئيم. يقول: [تلومين] عليَّ أنْ لم أكُفَّ مِن هَمتِي التي كَفَّتْني عن مَدْح اللئام؟ هذا ليسَ بِوَجْه اللوم.

٣ فبَزَّتْكِ أثْوابَ البَصَائِر غِرَّة | كَسَتْكِ ثِيابَ الزَّجْرِ مِنْ كل مُرْشِدِ

٣ ـ « بَزَّتكِ » سلَبتْكِ، و« البصائِرُ » العقلُ والرَّأي النَّافِذ. يقول: لقد سَلَبتْ

عقلَك غفْلَةٌ أعقَبَتْكِ زَجراً من كل مرشدٍ زاجر.

٤ كـأنَّـكِ لا تَـدْريـنَ طَعْـمَ مَعِيشَـةٍ تَمُـجُّ دَمـاً مِـنْ طَعْـمِ ذُلِّ التَّعَبُّـدِ

٤ - يقول: كأنَّكِ لا تَدْرينَ طعَم مَعِيشةٍ اكتُسبَتْ من غير ذُلِّ المَسْأَلة والخضُوع لِلئام، كأنَّها تَمجّ دَماً، مِن غيرها، ولا يَكرَه التَّعيُّشَ بها مَنْ طَعِمَ ذُلَّ التَّعبد، أي كأنك لا تَدْرينَ طَعْمَ هذا من هذا ولا نميزينَ بينهما.

٥ فَصُوني قِنَاعَ الصَّبْـرِ إنـي لَـرَاحِـل إلى بَحْرِ جُودٍ غَامِرِ الفَضْلِ مُزْبِـدِ

٥ - يقول: الزمي الصبرَ ولا تَجْزعي فإني مُرْتحلٌ إلى ملك كأنَّه بَحْرٌ في عَطاياه.

٦ أَمَـاتَ حَيَـاةَ الوَعْـدِ مِنْـه نَـوَافِـلٌ مِنَ الجُودِ أَضحَتْ لِلعُفَاةِ بِمَرْصَـدِ

٦ - يقول: قَصَّرَ عُمْرَ الوَعْد عَطاياه التي هي مُعرَّضة لِلْعفَاةِ تَرصُدهم لِتنالَهم.

٧ بَـدِيهَتُـــه حَـــزْمٌ وفِكْـــرَةُ قلبـــهِ يَقِيـــنٌ جَلاهُ عَـــزْمُ رَأْيٍ مُسَـــدَّدِ

٧ - «البَديهَة» ارتجالُ الرأي واقتِضَابُه. يقول: [إذا] ارتجلَ رأْيَه كان فيه الحَزْم، وإذا تفكّر كان فِكْرهُ يَقيناً لا يَشوبُه شَكٌّ، ويَكْشِفُ عنه عَزْمهُ المُسدَّدُ كلَّ شُبْهَة.

٨ بِنَجْدَةِ ذِكْراكَ المَنَـايَـا تَـزاحفَـتْ إلى بَابِكٍ في كُـلِّ سَهْـلٍ وأَجْلَـدِ

٨ - يقول: تَزَاحفَتْ المَنَايا إلى بابك بِنَجْدتِكَ وخُطورِ ذكْرِها ببَالِه فهو في خَوْفٍ منك حيثُ كانَ مِن الأَرض.

٩ أَيَـا سَنْـدبـايَـا لا نَسِيـتِ مُحمَّـداً وإقْـدَامَـهُ بيـن القَنَـا المُتَقَصِّـدِ

٩ - يقول: أَيا سَنْدبايا لا أَنسَاكِ اللهُ إقدامَ محمد على الأبطال بين الرِّماح.

١٠ صَبِيحَةَ غُبْـرُ الخُـرَّمِيَّـةِ والضُّحَـى طَرِيدُ دُجَى لَيْلٍ مِـن النَّقْـع أَرْبَـدِ

١٠ - يقول: لا نسيت إقدامَ محمد صَبِيحةَ رأت الخُرَّميَّةُ غُبْرَ عينيها وسحْنَتَها. ومَن روى «غَبْر الخُرمية»، أي صبيحةَ اغبَرَّ أَهلُها بِغُبارِ المعركةِ حتى كأَنَّ الضُّحى شَبِيهُ اللَّيل الأَسود من الغُبَار. يقال هذا طَرِيدُه أي مِثْله. قال المبارك بن أحمد:

ويجوز أن يكون « طَرِيد دُجى » أي مطرود دُجًى وهو أَوْلَى.

١١ سَلَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاصِلِكَ الرَّدَى حَساً وزَكًى ما بيْنَ مَثْنَى ومَوْحِدِ

١١ ـ يقول: سللتَ سيفَكَ فقتَلْهم شَفعاً ووِتْراً ومَثْنًى ومَوْحِداً. الموت.

١٢ فأَوْرَدتَ أَبناءَ الرَّدَى مَوْرِدَ الرَّدَى بِسَمِّ العَوالي والصَّفِيح المُهَنَّدِ

١٢ ـ يقول: أورَدْتَ الأَبطالَ الذين كأَنهم مَنَايا لأَعدائهم معركةَ الموت.

١٣ وما لِيمَ في لَوْمِ الفِرَارِ ولم يَجِدْ على الموْت إقْدَاماً مُعَوِيةُ الرَّدِي

١٤ فَلوْلاَ حُصُونُ الرَّكْضِ والنَّجدَةُ التي أَتَتْهُ مِنَ اللَّيْلِ البَهِيم المُمَدَّدِ

١٤ ـ « حُصون الرّكْض » هي الخَيْل. و« النَّجدةُ » الشَّجاعة.

يقول: لولا أَنَّ الخيلَ نَجَتْ بهِ في الهرَب، وظُلْمةُ الليل التي أَتَتْ دونَ الإِبصار حتى لم تَهْتَدِ إليه وصَارت له كنَجْدةٍ تَدفعُ عنه العَدوَّ لأَلْبَسْتَه مِن كسْوَة السَّيْف:..

١٥ لَأَلْبَسْتَهُ مِنْ كُسْوَةِ السيْفِ خِلْعَةً مُصَبَّغَةً بالدَّم فَوْقَ المُورَّدِ

١٥ ـ قال المبارك بن أَحمد: أراد لقَتلْتَه وخَضَبْتَه بدمهِ خِضَاباً مُشْبَعاً. قال الخارزنجي: ويكون « فَوْقَ المُورّد » حَالاً، ويَعملُ فيها « مُصَبَّغةً »، ويجوز أَن يكون صِفَةً.

١٦ بقُعْدُدَ لَمّا أَنْ رَآكَ لَقِيتَهُ وكانَ زَماناً في الوَغَى غَيْرَ قُعْدُدِ

١٦ ـ « القُعْدُد » الجبَان القاعِدُ عن الحرب.

ومنها يَذكر بَابَكَ الخُرَّميّ:

١٧ وكانَ كمِثْلِ اللَّيْلِ ظَلْمَاءُ غيِّهِ وكنْتَ كمِثْلِ الصُّبْح يَصْفَرُّ مِنْ غَدِ

١٧ ـ يقول: كان ظُلْمةُ غيِّه وباطِله كاللَّيلِ مُسْوَدًّا، وكنتَ كمِثْل الصُّبح إذا أَضاءَ ضِياءً صافياً.

١٨ ولَوْ مَلَكَ النَّاؤونَ عَنْكَ نفُوسَهُمْ لأَمَّكَ مِنهمْ كُلُّ كَهْلٍ وأَمْرَدِ

١٨ ـ أي لو قُدِرَ على زِيارتك لَزَارك كلُّ كَهْلٍ وغُلاَمٍ، شَوْقاً إليك وحَنِيناً نَحوك.

١٩ لِيَهْنِكَ مَحسُوداً تَلَهُّفُ جُهَّدٍ على عَفْوِ سَباقٍ إلى المجْدِ أَوْحدِ

١٩ - « العَفْو » ضِدُّ الجَهْد وهو ما يفعله من غير مَشَقَّة.

[يقول]: لِيَهْنِكَ تَلهُّفُ مَن يَجهد جَهْدَه لِيُدْرِك عَفْوَ شأوِك إلى المجد فلا يَقدِرُ عليه وهو يَحسدك في ذلك.

٢٠ ولَمَّا تَدانَتْ هِمَّةُ العُرْبِ في العُلَى وهَبَّتْ بإشْعارِي رِياحُ التَّبلُّدِ

٢٠ - أي لمّا تَساوَتْ هِمَّةُ العُرْبِ في رَفْضِ العُلَى ولم يَعبئوا بها وجَفَوْني واستَخفّوا بشِعْري. قال المبارك بن أحمد: إنّما أرادَ وهَبَّتْ رياحُ التبلُّد بشعره فلم يَسمْح به خاطره.

٢١ تَقَرَّبْتُ بالقُرْبَى إليكَ ومِعْصَمٍ مِنَ العَدْلِ مِنْ دُونِ القَصِيدِ المُقَصَّدِ

٢١ - يقول: فقرّبتُ إليك بحقِّ القُرْبَى من عَدْلِك مِن دون قصائدي المُقَصَّدَة، أي تَوسّلتُ بحقِّ القَرَابةِ دون حَقِّ الثّلا والمَدْح.

٢٢ وكنْتُ إذَا ما زُرْتُ يَوْماً مُسَوَّداً سَرحْتُ رَجائي في مَسَارِحِ سُؤْدَدِ

٢٢ - « المُسَوّد » الذي قد سوّده قَوْمُه عليهم وأقرّوا بسيادته. يقول: كنتُ فيما قبل إذا زُرْت سيّداً طالِباً فَضْلَه حَقَّقتُ العُلَى به ولم أَقنَعْ بدون ذلك.

٢٣ فإنْ يُجْزِلِ النُّعْمَى تُثِبْهُ قَصَائِدي وإنْ يَأْبَ لم أَقْنَعْ بأَصْواتِ مَعْبَدِ

٢٣ - يقول: فإنْ أجزلَ هذا السيِّدُ الذي زُرتُه عطائي أَثْبَتهُ عليه بِحُرِّ ثَنائي ومَدْحي، وإن أَبَى لم أَرضَ منه بقولِهِ الحَسَنِ المَصُوغِ كصِيَاغةِ ألحانِ مَعْبَد المُغَنِّي دُونَ فِعْله.

٢٤ أَلَيْسَ بأَكْنافِ الجزيرِ وفارِسٍ وقُمٍ واصْطَخْرٍ مَرَادٌ لِـرُوَّدِ؟!

٢٤ - يقول: أليس بهذه البلاد مَرْتَعٌ لِلرّاتعين ومَطلَبٌ لِلطّالِبين حتّى أُقيمَ على خَسْفٍ وخُذْلان وحِرْمان عند مَن لا يَعرف حَقِّي؟! بَلى إنَّ فيها كلَّ مَلِك يَعرِفُ حَقِّي، فإني إذا جُفيتُ ههنا قَصَدْتُ هناكَ ولم أُقِمْ على خَيْبة.

٢٥ بَلَى إنَّ أَرْضَ اللهِ فيها نُدوحَةٌ ومُضطَرَب لِلفَاتِكِ المُتَجرِّدِ

٢٥ ـ « النّدوحَة » والمَنْدُوحَة السَّعَة. و« الفَاتِك »، الذي إذا اهتَمَّ بالأمر لم يُنْثَن ولو كان قَتْلاً. و« المُتَجرِّد » المُشمِّر.

8

وقال أبو تمام، ذَكَرَه المرزوقي مِن قصيدةٍ أوّلها [من الطويل].

★ أيادِي سَبا جاوَزْنَ بي مُدَّتَيْ جَهْدِي ★

١ وخُـودٍ أتـاقَتْـهُ بـإهْـداءِ طَيْفِهـا دُجَى اللَّيْل والمُهْدَى يَتوقُ إلى المُهْدِي

وقال:

١ ـ يقول شَوَّقتْ هذا الرجلَ هذه المرأةُ الناعمةُ السَّمِينةُ بأَنْ أهدَتْ خيالَها إليه لمّا نامَ في ظُلْمةِ الليل، والهَديّة مِن شأنها أن تُجدِّد عَهْدَ المُهدِي وتُحبِّبَه إلى المُهْدَى إليه، وتُطْرِي ذكرَه لديه، وكأنّه ألمَّ بالحديث المَروي « تَهادَوْا تَحابُّوا ».

٢ وعَهْدِي بِها والدَّهرُ يَجْرِي بسلْـوَةٍ على أهْلِهِ صرْفاه لو أنَّ لي عَهْـدِي

٢ ـ خَبَرُ « عَهْدي بها » أوّلُ البيتِ الثاني وهو « كَرِيمِ الفَلَا بَلْ أُعْطِيتْ فضْلَ صُورَةٍ » يقول: عهْدي بهَذِه المرأة وهي في مَحاسِنها كظبي الفَلا، بل قد زِيدَتْ حُسْناً وكمالَ صورة عليه لو بَقيَ لي عَهْد! لأنَّ من شأن الدهر في صُروفهِ التي تأتي مرّة بالخير ومرَّةً بالشر أن يُسْلِي العاشقَ ويُنْسِي المعهود. وتلخيصُ البيت على هذا: وعَهْدي بها ـ لو ان لي عَهْدي، أي لو بَقِيَ تَذكُّري على ما كان، مع أنَّ الدهرَ بثاراته يَحكُمُ بالسُّلو ويُحْدِثُ النِّسيان ـ وهي كالرِّيم... وقوله « لو أنَّ لي عَهْدي » تَوجّعٌ وتَحزُّن وتشكٍّ من الدهر في تحويله الأحوَال وتغييره الأمور.

٣ ومـا زِلْتُ أَقْـرُو مِنْهُم رَوْضَ تَلْعَـةٍ وعَهْـداً أضـافَتْـهُ السَّمـاءُ إلى عَهْـدِ

٣ ـ « أقْرو » أَتَتَبَّعُ، وإنما كنى « بِرَوْضِ تَلْعَةٍ » عن أخلاق عشيـرة الممدوح الكريمة وطبائعِهم الحَسَنة، وأنهم لم يَتغيَّرُوا عمّا عَهِدهم عليه من المَيْل إليه. وقوله:

« وعَهْداً أَضَافَتْه السماءُ إلى عَهْدِي » فالعهدُ الثاني المطر . والمعنى وَخَيْراً مِنهم مَعْهوداً سَقَتْه السَّماءُ بَعْدي فَبقيَ غَضّاً طَرِيّاً لم يَذْبُلْ ولم يتغيَّرِ .

٤ إذا ما الأَغَـرُّ الأبيضُ اصفَـرَّ سَـوَّدُوا لـه وَجْهَـهُ أو حَمَّـروا بـالـدَّم الْـوَرْدِ

٤ ـ يقول إذا اشتدَّتِ الحَرْبُ وتَغيَّر لون البَطل الكريم فهؤلاء القومُ إما أنْ يَهْزِموه ويُلحِقوه عاراً تَسودُّ له الوجوه أو يقتلوه ، أو يَخْضِبوا خَدَّه بدَمٍ أحمر .

٩

وقال يَمدح أَبا دُلَف . وليسَتْ هذه القصيدة من نمط شعرِه ولا تُشبه كلامه [من الطويل] :

١ أَشَاقَكَ بِالحَبْلَيْنِ حَبْلَى عُوَارَضٍ   جَمَائِلُ تَخْدِي فَوْقَهُنَّ خُدُورُ ؟

١ ـ أبو عبد اللّه : في البادية سبعة أَحْبُل من الرمَل ، كل حَبْل عَرْضُهُ فَرْسخ في طُول البادية ، وبين كلِّ حبلين منها موضع ، معروف فيضافان إليه ، فمن ذلك « عوارض » وهو مكان معروف فَنَسَبَ إليه حَبْلَى عَوارض .

٢ خُدُورٌ على بُزْلٍ تَرَامَى كأنَّها   قَراقِيرُ في مَوْجٍ زَفَتْهُ دَبُورُ

٣ دَبُورٌ خَرِيقٌ أو كأَنَّ حُدُوجَهُم   نَخِيلُ [عناً] لاحتْ بِهن بُسُورُ

٤ بُسُورٌ غَذَاها الماءُ يَسْتَنُّ تحتَها   مَدافِقُ أوْ شَالٍ لَهُن خَرِيرُ

٥ خَرِيرٌ نِطافِ الماءِ مِنْ كل نَفْنَفٍ   به لِقَطا قبلَ النُّوارِ عُفُورُ

٦ عُفورٌ وفيه لِلنَّواعِبِ بالضُّحَى   ولِلفُتْخِ والوُرْقِ الحَمامِ وُكُورُ

٧ وكُورٌ أَلَا هَلْ ما مَضَى لكَ راجِعٌ   فيجمعَ مَنْ تَهْوَى إليكَ مَصِيرُ؟

٨ مَصِيرٌ له في وَغْرَةِ القَيْظِ مَشْرَب   رُوَاءٌ وفيه قُصْرَة وسُرُورُ

رُوَاءٌ وفيه قُصْرَة وسُرُورُ

٩ سُرورٌ بإخوانِ الصَّفاءِ وقُصْرَةٌ   أَلَا إنَّ دُولاتِ الزَّمانِ كثيرُ

١٠ كثيرٌ فماذا يُسعِفُ الدَّهرُ بالمُنَى   وأما بغَدْرٍ فالزَّمانُ غَدُورُ

١١ غَدُورٌ ألا يا دارُ وَعْثَةَ بالمَلا   سَقَاكِ مُلِثٌّ بالنِّطافِ هَمُورُ

١٢ هَمُورٌ إذا استَنَّتْ عَشانِينُ مُزْنِهِ ... بأرضٍ رَوَتْ مِنها الدِّماثِ تَمُورُ
١٣ تَمُورُ بِمُسْتَنٍّ مِنَ المُزْن تارَةً ... على القَصْدِ أحياناً يُرى ويَجُورُ
١٤ يَجُورُ فيغْشى الأكْمَ مِنه بزاخِرٍ ... تَرقْرَقُ آطامٌ بِهِ وسُكُورُ
١٥ سُكُورٌ وتَجْلِي عن عَرانين مُزْنِه ... دُجى مُدْلهِمّاتِ الظَّلام صَبِيرُ
١٦ صَبِيرٌ كَرَمْحِ الخَيْلِ طافَتْ بِقُودِها ... فأجفَلْنَ إجفالَ السِّمامِ ذُكورُ

١٦ - « القُود » الطِّوال الأعناق ، ويقع على الذكور والإناث . « والسِّمام » طَيْر « وذكور » هو الفاعل . أبو عبد اللّه : لم يُتمّ الوصفَ لأنه لم يذكر أنَّ الخيلَ كانت بُلْقاً ، وتَمامُه إنما يكون بذلِك لأن رَمْح البُلْق إذا كان ببطنها بياض ينكشف عنده البياض للناظر إليه ثم يَخفي عن قريب ، فيُشبَّه ظُهورُه ، واستتارُه عن قرب بالبَرْق الذي يكون هذا سبيلهُ ، كما قال الشاعر :

أرقتُ وصُحْبتي بمضيق خَبْتٍ ... لِبَرْقٍ في تِهامَةَ مُسْتَطيرِ
تَكَشُّفَ عائذٍ بَلْقاء تَنْفِي ... ذُكورَ الخيلِ عن ولدٍ صَغيرِ

فكذلك أبو تمام عشبَّه البياضَ الذي يَظهرُ في باطنِ فخذ الرمكة البلقاء عندما ترمح لِتُنحى بذلك ذُكورَ الخيل عنها بالبرق ، أو شَبَّه الرجعل نفسها في سرعة رَمحِها ورجعها إلى موضعها به إن أراد غير ما ذكرناه . وتقدير البيت : كرمح الخيل طافت بقُودها أي إناثها ذُكورُ الخيلِ فرمَحَتْها وأسرعن العَدْوَ هرباً منها وتَنْحيَةً لها عَن أنْفُسها .

١٧ ذُكُورٌ ذَكَرْتَ الدَّارَ أَيَّامَ هُمْ بها ... وعَيْشُكَ عِندَ الغانِياتِ قَصِيرُ
١٨ قَصِيرٌ بأمثالِ المَها قُطُفُ الخَطا ... نَواعِمُ في أبصارِهِنَّ فُتُورُ
١٩ فُتُورٌ ألا يا وَعْثَ إنِّي وإن نأَتْ ... رُبَى الدارِ مِنْ أهْوالِكُمْ لَذَكُورُ
٢٠ ذَكُورٌ وما ذِكْرايَ أيَّامَ باطلٍ ... وقَدْ لاحَ في أعلى القَذالِ قَتِيرُ
٢١ قَتِيرٌ أزَاحَ الجَهْلَ عنَّا وبُيِّنتْ ... لنا بَعْدَ إشكالِ الأُمورِ أُمُورُ
٢٢ أُمُورٌ أَزَاحَتْ غُبَّرَ الجَهْلِ فانجَلَتْ ... كذلكَ حالاتُ الزَّمانِ تَدُورُ
٢٣ تَدُورُ فحِلْمٌ بعدَ جَهْلٍ ورُبَّما ... جَرَى بميادين الضَّلالِ كَبِيرُ
٢٤ كبيرٌ وجَهْلُ القَحمِ عَيْبٌ وشُنْعَةٌ ... وقد لاحَ فيها لِلفَناءِ نَذِيرُ

٢٥ نَـذِيرٌ بياضِ الـرأْسِ بعدَ اسـودَادِهِ   فما لامرىءٍ بعـدَ المشيب عَـذِيـرُ
٢٦ عَـذِيرٌ بِجَهْـلٍ إنمـا العُـذْرُ لِلْفتَى   إذا قِـيـلَ بـالميـلادِ ذَاكَ صَغِـيـرُ
٢٧ صَغِيـرٌ ألا يـا سـائِلي عن نَـذِيـرتي   بـأَرْضِ جِبـالِ الثَّلْج وَهْي وُعُـورُ

٢٧ ـ أي يُنذرني ويُخوِّفني مِن سُلوك هذه الجبال المثلوجة في قَصْدي إلى هذا الممدوح .

٢٨ وُعُـورُ الخُطى قَـودُ الخُطَامِيِّ قـادَنـا   فَتًى هـو في تلك البِـلاد أَمِـيـرُ

٢٨ ـ وُعور خُطَى الناس فيها . « وقَوْد » مصدر « وخُطّام » قبيلة نَسَب إليها هذا الممدوح .

٢٩ أَمِيـرٌ علَيْنـا ثَبَّـتَ اللهُ مُلكَـهُ   فليسَ لـهُ في العـالَمِيـنَ نظِيـرُ
٣٠ نَـظِيرٌ يُجـارِيه إلى غـايـةِ العُلَى   فكيفَ وفي يُمنَـى يَـديْـه بحُـورُ؟
٣١ بُحورُ نَدًى فـاضَتْ على مَن يَنُوبُه   فـأضحَى على مَحْلِ الزَّمـان يُجِيرُ
٣٢ يُجِيـرُ فلا يُـرْجَى طَـرِيـد أجـارَه   وإنْ شَـنـأَتْـهُ أنـفُسٌ وصُـدورُ

٣٢ ـ إدراك العدو إيّاه والظفر به .

٣٣ صُـدورٌ ومَنْ يُمْسِكْ بِحبْـلِ جُـوارِه   يَجِـدْهُ امْـرءًا بـالمكْـرُمـاتِ بَصِيرُ
٣٤ بَصِيـرٌ أباحَ المـالَ في صَوْنِ عِـرضِه   وحـالَفَـهُ دُونَ المُشِيـرِ ضَمِـيـرُ
٣٥ ضمِيرُ امـرىءٍ مـا عَـوَّدَ النَّفْسَ نَبْـوَةً   ولا صَـدَّه عَـمـا يُـريـدُ وَزِيـرُ
٣٦ وزيـرٌ ولا يَـرْضَـى وزَارةَ صـاحِبٍ   إذا لم يكُنْ بـالمكْـرمـاتِ يُشِيـرُ
٣٧ يُشِيـرُ وأهْلُ الفَضْـلِ بالفضْـلِ بَرَّزوا   وذُو الشَّـرِّ أحيـانـاً عـليـه يَجُـورُ
٣٨ يَجُـورُ ألاَ قَـوْدُ الخُـطامِيِّ عِصْمَـةٌ   وغَـيْثُ حَيـاً عَمَّ العُـفـاةَ غَـزِيـرُ
٣٩ غَـزِيرٌ أمـاتَ البُخْـلَ والمحْـلَ ذِكْـرُهُ   فـمـا لـهُـمُ مِـمَّـا يَـلِيـهِ نُـشُـورُ
٤٠ نُشُـورٌ ويُعـطِي المـالَ حتَّى كـأنَّمـا   أحـلَّتْ بـهِ بَـعْـدَ الـنُّـذورِ نُـذورُ
٤١ نُذورٌ ويُعطِي السَّيفَ في الحربِ حَقَّهُ   وسُمْـرُ القَنـا بيْنَ الكُمـاةِ جُسُـورُ
٤٢ جُسـورٌ وللبِيضِ القَـواضِبِ غيْبَـةٌ   كمـا اشتَعَلتْ لـلنَّـاظِـرينَ سَعِيـرُ
٤٣ سَعِيـرٌ سَقَتْهـا الـرِّيحُ حينَ تَعلَّقتْ   بِـحَلْفـاءَ فيهـا تـامِـكٌ وعُـمُـورُ

٤٤ عُمُـورٌ وخَيْـلٍ ذَاتُ شَغْبٍ كـأنَّهـا إذا مـا ابْـذعـرَّتْ بـالفَضـاءِ صُقُورُ
٤٥ صُقُـورٌ نَـأى البِـزْيـارُ عنهـا فـأشنَقتْ ونـادى بهـا حَسْبُ النِّـداءِ نَـعُـورُ

٤٥ ـ « البَازِيار » فارِسي مُعَرَّب . رَجَعتْ وفي أرجلها الشِّناقُ وهو السَّيْرُ الـذي يكون في أرجلها .

٤٦ نَعُـورٌ بنـا السُّـلافُ مِنْ أوليّـاتِهـا بـطَعْنٍ لـه تحتَ النُّحـورِ هَـدِيـرُ

٤٦ ـ [النّعور] الصِّياح ، وهو أيضاً مِن نَعَرَ إذا سال .

٤٧ هَـدِيـرٌ كمـا ارتَجّتْ شقـاشِقُ بُـزَّلٍ لهُـنَّ بحـافـاتِ السُّـروجِ خَطِيـرُ
٤٨ خَـطِيـرٌ عـليٌّ ثَبَّتَ الـلَّهُ مُـلكـه بـأيَّـامِـه يَـعْلُو الـورى ويُـجِيـرُ
٤٩ يُجِيـرُ صَنـادِيـدَ المُـلوكِ ومَنْ لـه كـآبـائـه بـالمكـرمـاتِ جَـدِيـرُ
٥٠ جَـدِيـرٌ فَتًى مُـرٌّ أبُـوه بـأنْ يُـرَى عـلى الصِّيـدِ يَعْـلُو ذِكْـرُه ويُـنِيـرُ

١٥

وقال يمدَح المُعْتَصم [من الطويل] :

أَبُخْلاً بماءِ العَيْنِ في المَنْزلِ الدُّثْرِ وما مِثْلُ دَمْعِي في المنَازِلِ لا يَجْرِي

٢ تَحَمَّلَ مِنْهُ أهْلُهُ فهْوَ مُوحِشٌ بهِ العِينُ في أَرْجائِه عُصَباً تَسْرى

٣ ولَيْسَ بهِ أثْرٌ يَبِينُ لِناظِرٍ سِوَى مَوْقِدٍ عافٍ تَقادَمَ كالسَّطْرِ

٣ ـ جَعَله كالسّطر لأنه يُحفر طولاً لِنَصْبِ القُدورِ الكثيرة .

٤ وقَفْتُ بِهِ فاسْتَنطقَ الدَّمْعَ كامِنٌ مِنَ الوَجْدِ حتَّى فاضَ دمْعِي على نَحْرِي

٥ وحتَّى بَدا ما كنتُ دَهْراً كَتَمْتُه وأظهَرَ طَرْفِي ما يَجَمْجِمُهُ صَدْرِي

٦ فَسَقْياً ورَعْياً لِلذينَ تَحَمَّلُوا وبَقُّوا لنا شَوْقاً لَدَى الطَّلَلِ القَفْرِ !

٧ بِمُعْتَصِمٍ باللَّهِ طابَ زَمانُنا وصَالَ به الإسْلامُ صَوْلَةَ ذِي كِبْرِ

٨ وذَلَّ بِهِ الكُفَّارُ وامتَنَعَتْ به بَنُو الدِّينِ والإيمانِ مِنْ حَدَثِ الدَّهْرِ

٩ هَناكَ أمِيرَ المؤمنينَ الذي بِهِ ظَفِرْتَ غَدَاةَ الخُرَّمِيِّ مِنَ النَّصْرِ

١٠ شَهَرْتَ أمِينَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَهُ سُيُوفاً على الكُفَّارِ تَنْهَلُّ كالقَطْرِ

١١ فأورَدْتَ جَمْعَ الخُرَّمِيَّةِ عَنْوَةً حِياضَ المَنايَا بالمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ

١٢ تَوافَوْا لِميقَاتٍ فَسُقُّوا حُتوفَهُم بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ وأبيَضَ ذِي أثْرِ

١٣ غَداةَ تَوَلَّى بَابَكُ وهُوَ واحِدٌ وأدْبَرَ مَخْذُولاً بقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

١٤ وآمَنَكَ الجَبَّارُ مِنْهُ بِغَدْرِه فأعنَقَ قَسْراً بالمَذَلَّةِ والصُّغْرِ

١٥ فقَدْ ضَحِكَ الإِسلامُ واستَبشَرتْ لـه مَعَالِمُ دِينِ اللَّهِ في البَرِّ والبَحْرِ
١٦ ومِنْ قبْلِهِ أوقَعْتَ بـالـزُّطِّ وَقْعَـةً وبـالرُّوم أُخـرَى مِنْكَ ثـاقِبَـةَ الـذِّكْـرِ
١٧ ويَـوْمُـكَ إذْ أمـطَرْتَ يَـوْمُ سحَـابَـةٍ مِنَ المَوْتِ سَحّاً لا تَكَشَّفُ عَنْ مَصْر
١٨ أغَـرُّ حَمِيـدٌ حينَ أفْنَيْـتَ جَمْـعَهـمُ إمَامَ الهُدَى والعَدْلِ بالقَتْلِ والأَسْـرِ
١٩ أقَمْتَ قَنـاةَ الـدِّينِ مِن بَعْـدِ مَيْلِهـا وسُسْتَ عِبـادَ اللَّهِ بـالـحِلْم والـبِـرِّ
٢٠ تَـخَيَّـرَكَ الـلَّهُ الـذي أنتَ عَبْـدُه إمـامـاً وكـانَ اللَّهُ بـالنَّـاسِ ذا خُبْـرِ
٢١ فـأصبحـتَ مُخْتـاراً لأُمَّـةِ أحْمَـدٍ يَقُـومُ بحقِّ اللَّهِ في السِّـرِّ والجَهْـرِ
٢٢ فيـا ناصِـرَ الإِسْـلام والـذَّائِـدَ الـذي بِـهِ أَمِنَتْ أُفْقُ البِـلادِ مِنَ الـذُّعْـرِ
٢٣ سُيُـوفُـكَ فـاحْفَـظْها سَلِمْتَ فـإنَّهـا مُؤَيَّـدَةٌ بـالعِـزِّ والنَّصْـرِ والـصَّبْـرِ
٢٤ دَمَغْتَ بهـا الكُفَّـارَ في كُـلِّ مَـوْطِنٍ فـأَضْحَتْ بحمْدِ اللَّهِ قـاصِمَةَ الـظَّهْرِ
٢٥ فـأَنْتُمْ بنِي العبَّـاسِ أكْـرَمُ مَنْ مَشَى وأَوْلَى جميع النَّاسِ بالمَجْدِ والفَخْـرِ
٢٦ وأَنْتُمْ وُلاةُ الأَمْـرِ مِنْ بَعْـدِ أحـمَـدٍ وأَهْـلُ الهُدَى والجـابِرُونَ مِنَ الكَسْـرِ
٢٧ وأنـتمْ بُـحـورٌ لا تَغِيضُ سَمَـاحَـةً وأنتمْ غِيَـاثُ المُسْتغِيثِ مِنَ الـضُّـرِّ
٢٨ ومـا زَالَ مِـنكُـم لِـلبَـرِيَّـةِ قـائِمٌ إمـامٌ إذا يَعْلُو المَنـابِـرَ كـالبَـدْرِ
٢٩ لكُمْ ذَلَّ خَـلْقُ اللَّهِ يـا آلَ هـاشِـم ودَانُـوا لكمْ طَوْعـاً وخَوْفـاً مِنَ القَسْـرِ
٣٠ فـلا زِلْتَ يـا خيْـرَ الأنـام مُـظفَّـراً ومَـدَّ لكَ الخـلاَّقُ في أطـول العُمْـر

٦٦

وقال يمدح الحسنَ بن وَهبْ [من الكامل] :

١ ما الدَّمْعُ منكِ لِعَزْمتي بالنَّاقضِ ... بَقِّي بَقِيَّةَ فَيْضِ دَمْعٍ فائِضِ

١ ـ أي لا تبكي كلَّ البكاء فإني لا أَتركُ الرحيل لأجل بكائك لمفارقتي .

٢ بَكَّيتني أَبداً بِدَمْعٍ غائِضِ ... إنْ جُدْتِ كُلَّ صَباحِ بَيْنٍ بالبُكا

٢ ـ أي إن بكيت كلَّما عزمتُ على فراقكِ في طَلَب الرِّزق فتركتُ الرحيل لأجل بكائك بَكَّيتني أَبداً بدمعٍ هذه صفتُه ، أي بكيتُ أَبداً لأجل بكائك ، وفي « غائض » قولان : أَحدهما أن يكون ناقصاً ، والآخر أَن يكون سائلاً من الجفن إلى القلب كالماء الغائض في الأَرض بمعنى النَّازل .

٣ مِنِّي على مكنونِ حُزْنٍ غامِضِ ... رُدِّي الدُّمُوعَ إلى المحاجِرِ وانطوِي

٤ والقَوْلُ يُعْرفُ جِدهُ بِعَمارِضِ ... أَنْسَى مَقالكِ في المُنَى لكَ مَقْنَعُ

٤ ـ إذا رويت « اِنْسَيْ » على خطاب المؤنَّث فالمعنى اتركي هذا المقالَ كأَنَّك له ناسية ، وإذا رُوي أَنسَى على الإخبار فالمعنى لا أَنسى وحَذف « لا » كما حُذِفتْ مع القَسَم في مثل قوله :

آليتُ أَثقَفُ منكمُ ذا لِحْيةٍ ... أَبداً فتَنظُرَ عَيْنُه في مالِها

و « المعَارض » جمع مَعْرض وهو ما يُعرَّض به من الكلام .

يقول : واللّه لا أَنسى ما كنتِ تقولينه لي قبل هذا والدارُ جامعةٌ لنا : إنكَ لا تَطلبُ

الرزق ولا تسعى ، بل قنعتَ من اللّذات بالآمال ، وهذا القولُ كان منكِ تعريضاً لي بأنّك كسلان ، وكسَلُكَ حمَلَكَ على لُزوم الدّار والتقاعد عن الارتحال في طلب المال ، وأنا قد عَرفتُ حقيقةَ ما عَنَيْتِهِ بذلك التّعريض فلا أُنسَاه الآن .

٥ لا تُنكِري لي أن أُراجِعُ ثَرْوةً قَدْ يَرْجِعُ الإلفانِ بعد تَباغُضِ

٥ ـ جاءَ « بالتباغُض » وهو مضمومُ الغين مع قَوافٍ ما بعد أَلفاتها مكسور ، وليس ذلك بقبيح فيما يُروَى ، وإنما القبح الضّمةُ مع الفَتْحة ، والفَتْحةُ مع الكسرة .

٦ فاوَضْتُ بَعْدكِ في مُناهَضَةِ الغِنَى حَزْماً فكانَ لَدَيَّ خيرَ مُفاوِضِ

٦ ـ « مُفاوِض » من قولهم أَمر فَوْضَى أي بَعضُه مُخْتلِطٌ ببعض ، وقولُهم فَوَّضتُ إلى فلان مالاً أي جعلتُ إليه أَمرَه ، وفاوضت الرجلَ في الكلام إذا أَلقَى كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبِهِ ، ما عندَه فكأَنهما خَلَطا الأَحاديث .

٧ ورأَيْتُ ما يَرِدُ السِّقاءُ أخَسُّهُ لِلحَالبيْنِ وزُبْدُه لِلماخِضِ

٧ ـ أي الحالبانِ يجتهدان ويتعبان في الحَلْب ولا ينالان من اللَّبن إلّا شَرَّة ، ثم يجيءُ هذا الماخضُ فينال خيرَ ما فيه وهو الزُّبد ، فكذلك أنا أَقصدُ المُلوكَ الذي حَاربوا ولقوا الشدائدَ في جمع الأَموال فآخذُ منهم بمدحي إياهم نقاوتها .

٨ فالمَضْرَحِيَّةُ ما أَبَنَّ بِوَكْرِهِ إلَّا اختطاهُ صَيْدُ ذاكَ النَّاهِضِ

٨ ـ « المَضرحيّ » تُستعمل في صفة النّسر ، ويجب أن يكون هاهنا معنيًّا به الصَّقْر لأن النَّسر لا يَصِيد ، وقيل إن المضرحيّ من النّسور الأَبيض ، وقد جاءَ فيي شعر أَبي دُوَاد ما يَدلُّ على أَنَّ المَضْرحِيّ الأسود ، قال : « لِمَّتي بعدَ أن تُرَى مَضْرَحيّة : وأَبنَّ بالشيءِ إذا لَزمَه . « والنَّاهض » يحتمل وجهين : أَحدَهما أن يعني به الذي ينهض في طلب الصَّيْد وهذا أَصحُّ الوجهين ، والآخر أن يعنى « بالناهض » الفَرْخَ الذي قد طار .

٩ وكذاكَ أَشْبالُ اللُّيوثِ أحقُّها بالجُوع شِبْلُ المُسْتَكين الرَّابضِ

١٠ فمثَلْتُ في صَهَواتِ مَحبُوكِ القَرا رَضَّاضِ هامِ دَكادِكٍ ورَضارِضِ

١٠ ـ « مَثلتُ » أي ظهرتُ وانتصَبْتُ ، « وَمَثَلَ » عندهم من الأَضداد ، مَثَلَ إذا

ظَهَرَ ، ومَثَلَ إذا غابَ . « وصَهَوات » جمع صَهْوة وهو مَقْعَد الفارس من ظَهْر الفَرَس ، وإنما جُمعَتْ بما حْولها ، وصَهْوة كلِّ شيءٍ أعلاه . « ومَحْبوك القَرا » يَعني فَرساً قد بانَ فيه أثرُ الصَّنعة ، « والقَرا » الظهر ، و « رَضارِض » جمع رَضْرَاض وهي حجارة رِقاق .

١١ والليْـلُ يَعْلَمُ حِيـنَ يَـزْخَـرُ بَحْـرُه أنِّـي سـأرْكَبُـه بِـغُـرَّةِ خـائِضِ

١١ ـ أي خائِضٍ فيه لِقُوة قَلْبي ومَعْرفتي بالطُّرق .

١٢ والـفَقْـرُ أعْـذَبُ مِـنْ نَـدىً مُتَـلثِّمٍ بِـكُلُوح مُـشْتَـمِـلٍ بِحُـمَّى نـافِضِ

١٢ ـ يقال كَلَحَ الرجلُ إذا كشَرَ وجهه ويكون ذلك مع فتح فمه حتى تبدو أسنانُه ، وقد يكون « الكُلوح » من غير ظهور الأسنان ، ويقال نَبْتٌ كالحٌ إذا يبِسَ ، وسَنَةٌ كُلاح أي مُجْدبة . « وحُمَّى نافض » أي بارِدَةٌ تَنفُض الجَسَد ، وقد يمكن أن يكون « نافِض » نَعْتاً لِحُمَّى أي ذاتِ نَفْض . أي الفقرُ أعذُب من نَدَى رجل جَعَل الكُلوحَ حائلاً بينَه وبينَ السائِل تأخذ الرِّعْدةُ خوفَ السائل .

١٣ فـإذا أنـالَ ، وقـلَّمـا ، فكَـأنَّـمـا قَـرَضَ المُنـوَّل لَحْمَـهُ بِمقَـارِضِ

١٣ ـ أي وقلَّما يُنيل فحذَف الفعل بعد « وقلَّما » لما في الذي قبلَه مِن الدّلالة عليه ، ومثلُهُ يَحْسُن في الكلام . وإذا أعطَى أحياناً أبغضَ المعْطَى بُغْضَ الرجلِ لِمَنْ قَطعَ لحمَه بالمقَارِيض ، لأنَّ أحدَ الفِعْلين عنده بمنزلة الآخر . وقوله « بمقارض » أرادَ المقاريض فحذفَ الياءَ وَحذْفُها جائز .

١٤ كـالبِكْـرِ يُـوحِشُهـا مَضَـاجِـعُ بَعْلِهـا فَـالحَيْضُ عِلَّتُهـا ولَيْسَ بحـائِضِ

١٤ ـ أي فكما تَتوصَّلُ البِكْرُ إلى تَرْك مُضاجعته بأحسن الأشياء وهو الاعتلالُ بأنها حائض ، كذلك هذا البخيلُ يَتوصَّلُ إلى تَرْك الإنالة بأحسنِ المنع وهو الكُلوحُ والتَلثّم به .

١٥ فـاستعصِمي بـاليـأسِ مِنْ مُسْتَعصِمٍ بـاليأْسِ منـكِ على العَزيمـةِ قابِضِ

١٥ ـ أي امتنعي مِنْ مُمْتنعٍ منك .

١٦ حَسَنُ بنُ وهـبٍ عـارِضٌ مُتـألِّقٌ يَـفتَـرُّ عَـنْ لَمَـعَـاتِ جُـودٍ وامِضِ

١٦ ـ قد مَضَى القولُ في إدخال الألف واللام وَطَرْحها في مثل قولهم حَسَن والحَسَن وعَبّاس والعَبّاس . و « عارض » سحَابٌ يعرض ، « ومُتَأَلِّق » ذُو بَرْق ، ويقال وَمَضَ البَرْقُ وأَوْمَضَ إذا لَمَعَ لَمَعَاناً خفِيًّا ، وكذلك وَمَضت المرلأةُ وأومضَتْ ، قال الرجز :

تُومِضُ بالأعْينِ والحَواجب
إيماضَ بَرْق في سَحَابٍ ناصِبِ

١٧ فتيقَّني كلَّ التَّيقُّنِ واعلمِي — أنَّ الغِنَى سَكَباتُ ذَاكَ العَارِضِ
١٨ مُستَهْدِفٌ لِلمَادِحِينَ تُصِيبُهُ — بِسهامِ مَدْحٍ للعطاءِ مُفاوِضِ

١٨ ـ يقال استهدَفَ لِكذا إذا تَعرَّض له ، كأنه يَجعلُ نفسَه مثلَ الهَدَفِ الذي يُرْمَى ، وقد شَبَّهوا الرجلَ الثقيلَ الوَخِمَ بالهَدَف المَرْمِيّ وهو ذَمّ ، وأمّا قولُهم استهدف لِلعَطاء فصِفَةٌ لِلكرمَ . « مُفَاوض للعطاء » أي مُشاورٌ له لأنه يَجلِبُه .

١٩ تَتَناضَلُ الآمالُ في أمْوالِهِ — فكأنَّها فيها سِهامُ أغارِضِ

١٩ ـ أي تتسابَقُ الآمالُ في النِّضال فيها وتَتَسارع إليها .

« وأغارِضِ » جَمْع جَمْع كأنه جمعَ غَرَضاً على أغراض أو أغْرُض ثم جَمعَه على أغارِض ، كما قالوا أزَائِد جَمْع أزْنُد وأراهطِ ، جمْع أرْهُط . .

٢٠ رُكَّابُ أثْباجِ الخُطُوبِ إذا عَرَتْ — يَثنِي أعنَّتهُنَّ ثَنْيَ الرائِضِ
٢١ هَاضَ الأُمورَ بِرَأْيِه وعَبَا لها — بَعْدَ المهَاضَةِ جَبْرَ آسٍ هائِضِ

٢١ ـ أكثرُ ما يُستعمل « الهَيْض » في إعناتِ عُضْو قد جُبرَ ، ثم اتَّسعوا فيه فقالوا هاضَه إذا كَسَره أو أعنَته وإن لم يكن ثمَّ جُبُور . « وعَبَالها » أصلهُ الهمر فخَفَّفَ ، كما قال ابنُ أبي ربيعة :

كَلاكَ بِحفْظٍ ربُّكَ المُتكبِّرُ

يقول : غَيَّر الأُمورَ الفاسدةَ عمّا هي عليه إلى الصَّلاح ، كالمُدَاوي الذي يَهِيض اليَد المَوْثُوءَة إذا لم يكن جبرها على ما ينبغي ويجبرها ثانياً على وجه الاستواء .

٢٢ يَلْقَى المدائِحَ بالنَّوالِ مُقَايِضاً — والمَدْحُ أكرَمُ نُهْزَةٍ لِمُقايِضِ

٢٢ ـ « أكرمُ نُهْزَةٍ لِمُقايِضِ » أي أكرمُ فُرْصَة ، « والمُقَايضة » مأخوذةٌ مِن قايضَ الشيءَ إذا قَطعَه أو كَسَره ، كأَنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَقِيضُ مالَ صاحبِه .

٢٣ سَمْحٌ جَمَاعِيُّ السَّمَاحِ ورَأْيُهُ   في البُخْلِ والبُخَلاءِ رَأْيُ الرَّافِضي

٢٤ أعطَى الحُقوقَ حُقوقَها فتَصادَرتْ   عَنْ جُودِهِ بِنَوافِلٍ وفَرائِضِ

٢٤ ـ أي فتصَادَرتِ الحقوقُ عن جُودِه مَقضِيّةَ الحُقوقِ مُصاحِبةً لِلنَّوافل والفرائض ، لأنه أقامهمَا جميعاً .

٢٥ وأَرَى سَماحَكَ يا ابنَ وَهْبٍ شاعِراً   يلْقَى المَدِيحَ مِنَ النَّدَى بِنقَائِضِ

٢٥ ـ كأنه ينقض المدائح بِغَلَبتِه إياها وزيادتهِ عليها كالشاعِرَيْن المتناقضَيْن إذا جاءَ أحدُهما بأكثر ممّا جاءَ به الآخرُ كجرير والفرزدق .

٢٦ تَنْمِيكَ مِنْ جارِ ابنِ كَعْبٍ سَادَةٌ   آسادُ حَرْبٍ لا أُسودُ مَرَابِضِ

٢٧ الداحضِي حُجَجَ الكُمَاةِ إذا التَقَوْا   بأَسِنَّةٍ لِلْمُعْلِمِينَ دَوَاحِضِ

٢٧ ـ المعروف دَحضْتُ الحُجَّةَ وأَدحضتُها إذا أَبطلتَها ، وقد حُكِي دَحضَها الرجلُ إذا أَبطلَها ، وليس بمشهور .

٢٨ لِدَمِ العَدُوِّ على نُصُولِ سيُوفِهِمْ   سَهَكٌ وريحُ المِسْكِ فَوقَ مَقابِضِ

٢٨ ـ يقال لِرائحة الدّم والحديد والسمكِ وما جَرَى مَجْراه « سَهَك » .

12

وقال يرثي ابناً له [من مخلَّع البسيط] :

١ كـانَ الـذي خِـفْـتُ أَنْ يَـكُـونـا إِنّـا إِلـى الـلَّهِ رَاجِـعُـونـا!

٢ أَمـسَـى الـمُـرَجَّـى أَبـو عـليٍّ مُـوسَّـداً فـي الـثَّـرَى يَـمِـيـنـا

٣ حِـيـنَ اسـتَـوَى وانـتَـهَـى شَـبـابـاً وحَـقَّـقَ الـرَّأْيَ والـظُّنُـونـا

٤ أُصِـبْـتُ فـيـهِ وكـانَ عِـنْـدي عـلى الـمُـصِـيبـاتِ لـي مُـعِـينـا

٥ كُـنْـتُ كَـثِـيـراً بـهِ عَـزِيـزاً وكـنـتُ صَـبًّـا بـهِ ضَـنِـيـنـا

ملحق: ترجمة أبي تمام من كتاب "الأغاني"



أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ، من نفسس طيّء صَلِيبة[1]. مولده ومنشؤه مَنْبج، بقرية منها يقال لها جاسِم. شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غوّاص على ما يُستصعب منها، ويعسُر مُتناوله على غيره. وله مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميعَ الشعراء وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإن له فضلَ الإكثار فيه، والسلوك في جميع طرقه. والسليمُ من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد. وله أشياءُ متوسطة، ورديئة رَذْلة جداً.

وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرِط، حتى يفضلَه على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمَّدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القِحَة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، يوجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس، وطلَب معايبهم، سببًا للترفُّع، وطلباً للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مُسْقطةً إحسانه؛ ولو كَثُرت إساءته أيضاً ثم أحسن، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتّبع.

---

(١) صليبة: أي خالص النسب.

وقد رُوِي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم، ولكن مَثَلَ شعر الرجل عنده مَثَلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هَوِي بقاء المتقدم، لم يهوَ موت المتأخر.

واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:

جاءتكَ من نظم اللسان قِلادَةٌ ... سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ

أَحْذاكَهَا صَنَعُ اللسانُ يُمدُّه ... جَفْرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِين

ويُسيءُ بالإحسان ظنّاً لاكمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

فلو كان يسيء بالإساءة ظناً ولا يفتتن بشعره، كنا في غِنًى عن الاعتذار له.

وقد فضَّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء، من لا يَشُقُّ الطاعنون عليه غُبارَه، ولا يدركون - وإن جَدُّوا - آثاره؛ وما رأى الناس بعده إلى حيث انتَهوا له في جَيِّده نظيراً ولا شكلاً؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رَذْله ودنيئه، لذكرت منه طَرَفاً، ولكن قد أتى من ذلك مالا مزيد عليه.

[المعجبون بشعره كثيرون]

أخبرني عمي قال: حدّثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طُرًّا الذي يقول:

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُهُ ... حقنتَ لي ماء وجهي أو حَقَنتَ دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس، وكان في نفسي أعلم من محمد وآدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مَجْرى الوَلد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مطـر أبــوك أبــو أهلَّــة وائــلٍ ملأ البسيطــةَ عُــدَّةً وعَــديــدا
نسبٌ كأنَّ عليـه مـن شمس الضُّحَى نُـوراً ومـن فَلَـق الصبـاح عَمُـودا
ورثـوا الأُبـوَّة والحظـوظَ فـأصبحـوا جمعوا جُـدودا فـي العلا وجُـدودا[1]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا محمد بن يزيدَ النحوي قال:

قدم عمارة بن عَقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هُنا شاعر يزعم [قوم] أنه أشعر الناس طُرّاً، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه:

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَـوَى غَـدِ وعـادَ قَتـاداً عنـدهـا كـلُّ مَـرقَـدِ
وأنقـذهـا مـن غَمـرة المـوت أَنَّـهُ صُـدُودُ فـراقٍ لا صـدودُ تَعَمُّـدِ
فأجرَى لهـا الإشفـاقُ دمعًـا مُـوَرَّداً مـن الدم يجـري فـوق خـد مُـوَرَّدِ
هِـيَ البـدرُ يغنيهـا تـودُّدُ وجههـا إلى كـلِّ مـن لاقـتْ وإن لـم تَـوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيدَه وقال:

ولكنني لـم أحـوِ وَفْـرا مُجَمَّعـا ففـزْتُ بـه إلا بشَمْـل مُبَـدَّدِ
ولـم تُعْطني الأيـام نـومًـا مُسَكَّنـا أَلَـذُّ بـه إلا بنـوم مُشَـرَّدِ

فقال عُمارة: لله دَرُّه! لقد تقدم في هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حَبَّب إليّ الاغتراب، هِيه. فأنشده:

وطولُ مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ لـديبـاجتيـه فـاغتـربْ تتجـدَّدِ[2]

---

(١) جدود: جمع جد، الأولى بمعنى الآباء، والثانية بمعنى الحظوظ.
(٢) أخلق الشباب: ولّى. والديباجتان: الخدان.

فـإنـي رأيـتُ الشمسَ زيـدت محبـّةً إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهـمْ بسـرْمَـدِ

فقال عُمارة: كَمَلَ والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال: سمعت علي بن الجَهم يصف أبا تمّام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخاً بالنسب، فإنه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إنْ يُكْـدِ مُطَّـرَفُ الإخـاء فـإننـا نغـدو ونسـري فـي إخـاء تـالـد[1]

او يختلـفْ مـاء الوِصـال فمـاؤنـا عـذبٌ تحـدَّرَ مـن غمـام واحـدِ

أو يفتـرقْ نسـبٌ يـؤلـفْ بيننـا أدبٌ أقمنـاه مَقَـام الوالد

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبدالله المهلبيّ قال:

كنا في حَلْقة دِعْبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبع معانيّ فيأخذُها. فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك، أعزك الله؟ قال: قولي:

وإن أمـرأً أَسْـدَى إلـيّ بشـافـع إليـه ويـرجـو الشكـرَ منـي لأحمـقُ

شفيعَـك فـاشكـر فـي الحـوائـج إنـه يصونُك عـن مكـروهِـهِ وهـو يَخْلُـق

ـ فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

فلقيـتُ بيـن يـديـكَ حُلْـوَ عَطـائِـه ولقيـت بيـن يـديَّ مُـرَّ سُـؤالِه

وإذا امْـرؤٌ أسـدَى إليـكَ صَنيعـةً مـن جـاهـه فكـأنهـا مـن مـالِـهِ

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبتَ قَبَحكَ الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك. وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلغَه.

---

(١) أكدى: خاب ولم ينفع والمطرف: المستحدث. والتالد: القديم.

فغضب دِعبل وانصرف.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عبدالله بن محمد بن جرير قال:

سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مَرْثيته التي أولها:

★ أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا ★

وقوله:

لـو يقـدرونَ مَشَـوْا علـى وَجَنـاتهـم وجبـاههـم فضلاً عـن الأقـدامِ

لكفتاه.

أخبرني عمي قال: حدثني عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

كان عُمارة بن عَقِيل عندنا يوماً، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يُروِّيهم قصيدة أبي تمام:

★ الحق أبلج والسيوف عَوارِ ★

فلما بلغ إلى قوله:

سُودُ اللبـاسِ كـأنمـا نَسَجَـت لهـم أيـدي السَّمـوم مَـدارِعـا مـن قـارِ[1]
بَكَـروا وأسْـرَوا فـي مُتـون ضـوامـرٍ قِيـدَت لهـم مـن مَـرْبـط النَّجـارِ
لا يبـرَحـون ومـن رآهـم خـالهـم أبـدا علـى سَفَـر مـن الأسفـارِ

فقال عُمارة: لله دره! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه.

---

(١) السموم: الريح الحارّة. ـ المدارع: جمع مدرع وهي ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جبّة مشقوقة المقدم.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما تكلتُ في مكاتبتي قَطُّ إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

فإن باشر الإصحار فالبِيضُ والقنا قِراهُ وأحواضُ المنايا مناهلُه[1]

وإن بَين حِيطاناً عليهِ فإنما أولئك عُقَّالاتُهُ لا مَعاقلُهُ[2]

وإلا فأعلمه بأنك ساخطٌ عليه، فإن الخوف لا شكّ قاتلُه

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: «فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يَعقلهم يعتقلهم». قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اختُرِم[3] وما استمتع بخاطره، ولا نرحَ رَكِيَّ[4] فكره، حتى انقطع رِشاءُ[5] عمره.

أخبرني محمد قال: حدثني أبو الحسين بن السخيّ قال: حدثني الحسين بن عبدالله قال:

سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعرا له في المعتصم: يا أبا تما ، أمراء الكلام رَعِية لإحسانك.

أخبرني محمد قال: حدثني هارون بن عبدالله: قال لي محمد بن جابر الأزديّ، وكان يتعصب لأبي تمام:

أنشدت دِعبَل بن عليّ شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام. فقال: لعله سرقه!

---

(١) الإصحار: البروز إلى الصحراء.

(٢) عقالاته: قيوده.

(٣) خَرُم: كان ذا مجون وخلاعة.

(٤) الركي: البئر.

(٥) الرشاء: الحبل يستقى عليه من البئر.

[مات ابو تمام فاقتسم الشعراء ما كان يأخذه]

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال:

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً جحظةَ جدّثنا به، قالوا: حدّثنا عُبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال:

لما قدِم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غداً، وستسمعونني. فلما دخل على عبدالله أنشده:

هـنَّ عـوادي يـوسـف وصـواحِبُـهْ ... فعزمـا فقـدِمـا أدرك السـؤلَ طـالبُـهْ

فلما بلغ الى قوله:

وقَلقـلَ نـأْيٌ مـن خـراسـان جـأْشَهـا ... فقلتُ اطمئني أنضـرُ الروض عـازبُـهْ
وركـبٍ كـأطـراف الأسنـة عَـرَّسُـوا ... علـى مثلهـا والليـل تسطـو غيـاهِبـه
لأمــر عليهــم أن تتــم صُــدورُه ... وليس عليهــم أن تتــم عــواقبــه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحقّ مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ: لي عنده أعزه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. فقال له: بل نضعفها لك، ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغِلمان، ولم يمسَّ منها شيئًا، فوجَد عليه عبدالله وقال: يترفع عن برِّي، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك.

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحَزَنْبَل، عن سعيد بن جابر الكرخيّ، عن أبيه:

أنه حضر أبا دلَف القاسَم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائيّ، وقد أنشده قصيدته:

على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ ... أُذيلَتْ مصُونات الدموع السواكبِ

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها ... وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ

فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم ... عُروش الذين استُرْهِنوا قوسَ حاجبِ

محاسنُ من مجد متى تَقْرُنوا بها ... محاسن أقوامٍ تكن كالمعايب

فقال أبو دُلف: يا معشرَ ربيعة، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ؛ فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يَرْمون بها إليه. فقال أبو دُلَف: قد قبلَها وأعاركم لبْسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تمِّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذِرنا، فشكره وقام ليقبِّل يده، فحلف ألا يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حُميد:

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ ... من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه ... إليه الحِفاظ المرُّ والخلُقُ الوعْر

فأثبت في مستنقَع الموتِ رجلَه ... وقال لها من تحت أُخْمُصِك الحشر

غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائهِ ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الأَجر

كأن بني نَبهانَ يوم مُصابه ... نجومُ سماء خرَّ من بينها البدر

يُعَزَّوْن عن ثاو يُعزَّى به العُلَى ... ويبكي عليه البأسُ والجود والشعر

فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها فيّ. فقال: بل أُفدِّي الأميرَ بنفسي وأهلي، وأكونُ المقدم، فقال: إنه لم يمت من رُثِي بهذا الشعر، أو مثله.

[الواثق وابن أبي دواد وخالد الشيباني يمدحونه]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال: حدّثني

إسحاق بن يحيى الكاتب قال:

قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطَيت أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

بـاشـدُدْ بهـارونَ الخلافـةَ إنـه ... سَكَـنٌ لـوَحشتهـا ودارُ قَـرارِ
ولقـد علمت بـأن ذلـك مِعْصـمٌ ... مـا كنـتَ تتـركـه بغيـر سـوارِ

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك.

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال:

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرْمينيةَ، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره، وقال: تكون الشعرة الآلافِ موفورة، فإن أردت الشخوص فاعجل، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبِرّ. قال: بل اشخص. فودّعه؛ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب، وغلام يغنيه بالطُّنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: ما فعل المال؟ فقال:

عَلَّمنـي جـودُكَ السمـاحَ فمـا ... أبقيـت شيئًـا لـديّ مـن صِلَتِـكْ
مـا مـرّ شهـر حتـى سمحـتُ بـه ... كـأنّ لـي قـدرةً كمقـدُرتِـك
تُنفق فـي اليوم بـالهبات وفـي السـ ... ـاعـة مـا تجتنيـه فـي سَنَتِـك
فلسـتُ أدري مـن أيـن تنفـق لـو ... لا أن ربـي يَمُـدّ فـي هبتـك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدّثنا عون بن محمد الكنديّ قال: حدّثنا

---

(١) الزكرة: وعاء من جلد للخمر.

محمد بن سعد أبو عبدالله الرقيّ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ؛ قال:

قَدِم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلاً عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أنا مَن عَرَفْت فإن عرتكَ جَهالة ... فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذّالِ
عادتْ له أيامه مُسْوَدَّة ... حتى توهم أنهن ليالِ

فقال الحسن: والله لا تسْوَدُّ عليك بعد اليوم. فلما قال:

لا تنكري عَطَل الكريم من الغنى ... فالسيل حربٌ للمكان العالي[1]
وتنظَّري خَبْث الركابُ ينصُّها ... محيي القريضِ إلى مميت المالِ[2]

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتَها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لما بلغنا ساحةَ الحَسن انقضَى ... عنا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ
بسطَ الرجاء لنا برغْم نوائبٍ ... كَثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ
أغلَى عَذارى الشعرِ إنّ مُهورَها ... عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ
تَرِدُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ... ويُحَكِّم الآمالَ في الأموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدِّقا ... بأجلّ فائدةٍ وأيمن فالِ
ورأيتني فسألتَ نفسك سَيْبَها ... لِي ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالِي
كالغيث ليس له - أُريد غمامه ... أو لم يرد - بُدٌّ من التَّهطالِ

فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جَلَوت هذه العروس! فقال: والله لو

(١) عطل الرجل من المال: خلا.
(٢) ينصّها: يسوقها.

كانت من الحُور العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها.

قال محمد بن سعد: وأقام شهرين، فأخذ على يدِي عشرة آلاف درهم، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به؛ على بخل كان في الحسن بن رجاء.

أخبرني الصُّولي قال: حدّثني عون بن محمد قال:

شهدت دِعبلاً عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائيّ، فقال: يا أبا علي، اسمع مني ما قاله، فإن أنت رضيته فذاك؛ وإلا وافقتك على ما تذمُّه منه، وأعوذ بالله فيك من ألّا ترضاه، ثم أنشده قوله:

أمـا إنـه لـولا الخليـطُ المـودِّعُ ... ومغنًى عفـا منـه مَصِيـفٌ ومَـرْبَـعُ[1]

فلما بلغ قوله:

هو السيلُ إن واجهته انقـدْتَ طَـوْعَـه ... وتقتـادُه مـن جـانبيـه فيَتبـعُ

ولم أر نفعـاً عنـد مـن ليس ضـائـراً ... ولـم أر ضُـرّاً عنـد مـن ليس ينفـع

مَعـادُ الوَرَى بعـد الممـات وسيبُـه ... معـادٌ لنـا قبـل الممـاتِ ومَـرجِـع

فقال له دِعبل: لم ندفع فضلَ هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسبُون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صيرك له عائباً، وعليه عاتباً.

أخبرني الصُّولي قال: حدّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال:

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسْقـى ديـارَهُـمُ أجشُّ هَـزيـمُ ... وغـدتْ عليهـمْ نضـرةٌ ونعيـمُ

قال: فلما فرغَ أمر له بألفِ دينار، وخَلَع عليه خِلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا،

---

(١) الخليط: القوم المنتجعون الذين أمرهم واحد.

فلما كان من غَد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا مـن كُسوةِ الصيف خِرْقٌ ... مكتسٍ مـن مَكـارم ومَسـاعِ[1]
حُلَّـةً سـابـريَّـةً ورِداءً ... كسَحـا القيـضِ أو رداءِ الشُّجـاع[2]
كـالسَّراب الرَّقْـراق في الحسن إلا ... أنـه ليس مثلَـه فـي الخِـداع
قَصَبِيًّـا تستـرجِـفُ الريـحُ مَتنيـ ... ـه بأمـرٍ مـن الهُبـوب مطـاع[3]
رَجَفـانـا كَـأنـه الدهـرَ منـه ... كبِدُ الضَّـبِّ أو حشـا المُـرْتـاع
لازمـا مـا يليـه تحسِبـه جُـزْ ... ءاً مـن المَتْنَتَيْـنِ والأضلاع
يَطـردُ اليـومَ ذا الهَجيـر ولـو شُبِّـ ... ـهَ فـي حـرِّه بيـوم الوَداع
خِلعـةً مـن أغـرَّ أرْوَعَ رَحْـب الصَّـ ... ـدر رحب الفؤاد رحْـب الذراع[4]
سـوف أكسـوك مـا يُعَفِّـي عليهـا ... مـن ثنـاء كـالبُـرد بُـرْدِ الصَّنـاع[5]
حسـن هـاتيـكَ فـي العيـون وهـذا ... حسنـه فـي القلـوب والأسمـاع

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يُعْطِي على هذا مُلكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعتُه إلى أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي الفضل قال: لما شَخَص أبو تمام إلى عبدالله بن طاهر وهو بَخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلَد، وقد كان عبدالله وجَد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يَمْسسها بيده، ترفعاً عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفع عليّ. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

---

(١) الخرق: السخي.

(٢) الثياب السابرية: الجيّدة. وسحا القيض: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة. والشجاع: الحيّة.

(٣) الثياب القصبية: الناعمة المصنوعة من الكتّان. وتسترجف: تحرّك.

(٤) الأغر: الكريم. والأروع: الشهم.

(٥) يُعَفّي عليها: يفوقها في القيمة. والصنّاع: المرأة الحاذقة.

لـم يبـق للصيـف لا رسـمٌ ولا طَلَـلُ ولا قشيـبٌ فَيُسْتَكْسـي ولا سَمَـلُ
عدلٌ من الدمع أن يُبكى المَصيفُ كمـا يُبكى الشبـابُ ويُبكـى اللهـوُ والغَـزلُ
يُمْنَى الزمانِ انقضى معروفُها وغَـدَتْ يُسْـراه وهْـي لنـا مـن بعـدهـا بَـدَل

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثل شاعرَ آل عبدالله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبدالله بن طاهر، وعاتبه على ما عَتَب عليه من أجله، وتضمَّن له ما يُحِبه. ثم دخل إلى عبدالله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شره والتوقِّي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن، وفراقه السَّكَن، وقد قصدك عاقداً بك أملَه، مُعملاً إليك ركابه، متعباً فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً؛ ولو لم يأت بفائدة، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلا قوله:

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخـذتْ منا السُّرى وخُطَـا المهـريّـة القُـودِ[1]
أمَطْلَـع الشمس تبغـي أن تـؤمَّ بنـا فقلـت كَلّا ولكـن مَطْلِـع الجـودِ

فقال له عبدالله: لقد نَبَّهْتَ فأحسنت، وشفعت فَلَطُفْت، وعاتبت فأوْجَعت، ولك ولأبي تمام العُتْبي، ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفَي دينار، وما يحمله من الظَّهْر، وخلَع عليه خِلْعة تامة من ثيابه، وأمر ببذْرَقته[2] إلى آخر عمله.

[حديث المعاني وسرقة القصائد]

أخبرني جَحْظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال:

مرَّ أبو تمام بمجنَّث يقول لآخر: جئتك أمسِ فاحتجبت عني، فقال له: السماء

---

(١) قومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان.
(٢) بذرقته: حراسته.

إذا احتجبت بالغيم رُجِّي خيرُها. فتبينتُ في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه في شعره، فما لبِثنا إلا أياماً حتى أُنْشِدت قوله:

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملا إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبدالله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال:

كنا عند دِعْبل أنا والقاسم، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشأم، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سَروق للشعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المِخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يَمرُّها على يده، حتى أخرج منها دَفتراً، فقال: اقرأوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مُكْنِف أبو سُلْمى، من ولد زهير بن أبي سُلْمى، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها

إن الضُّراطَ به تصاعدَ جَدُّكُم بتعاظموا ضَرْطاً بني القَعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك، فرثاه فقال:

أبعد أبي العباس يُسْتَعذَبُ الدهرُ فما بعده للدهر حسنٌ ولا عُذْرُ
ألا أيُّها الناعي ذُفافةَ والندَى تَعَسْت وشَلَّت من أناملك العشر
أتنعَى لنا مِنْ قيس عيلانَ صَخرة تفلَّق عنها من جبال العِدا الصخر
إذا ما أبو العباس خَلَّى مكانه فلا حَمَلتْ أنثى ولا نالَها طُهْرُ
ولا أمطرتْ أرضاً سماءٌ ولا جرتْ نجومٌ ولا لذَّتْ لشاربها الخمر
كأنّ بني القعقاع يوم مُصابه نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدر
تُوُفِّيت الآمالُ يومَ وفاته وأصبح في شُغْل عن السَّفْر السفر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته:

كذا فليجِلَّ الخطبُ ولْيفدَحِ الأمرُ وليسَ لعين لم يَفضْ ماؤها عُذْر

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال:

كان أبو تمام يعشق غلاماً خَزَرياً[١] للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاماً لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقتَ إلى الروم، لنركُضَنَّ إلى الخَزَر. فقال له الحسن: لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي ابخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارِض لا حقيقة له، فقال أبو تمام:

أبا عليٍّ لصرِف الدهر والغِيَرِ — وللحوادث والأيامِ والعِبَرِ
أذكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتًى — مُصَرَّف القلب في الأهواء والفِكر
أعندك الشمس لم يَحظ المغيبُ بها — وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى — جآذر الرومِ أعنقنا إلى الخَزَر
إن القَطُوبَ له مني محلُّ هوَى — يَحل مني محلَّ السمع والبصر[٢]
وربّ أمنعَ منه جانباً وحِمًى — أمسى وتِكّتُهُ منِّي على خَطَر[٣]
جَرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ — منه غَيابتُها عن نَيكة هَدَر[٤]
سبحانَ من سَبَّحتْهُ كلُّ جارحةٍ — ما فيك من طَمَحان الأير والنظر[٥]
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُه — وأيرُه أبدا منه على سَفَر

اخبرني الصولي قال: حدّثني عبدالله بن الحسين قال: حدّثني وهب بن سعيد قال:

جاء دِعبِل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في

(١) الخَزَرُ: اسم اقليم من قصبة تسمى إتل، وإتل اسم لنهر يجري الى الخزر من الروس وبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة. وقيل: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدَّربند قريب من سدّ ذي القرنين.

(٢) القطوب: النفور.

(٣) التكّة: رباط السراويل.

(٤) الهدر: الباطل.

(٥) طمحت المرأة على زوجها: جمحت.

المجلس: يا أبا عليّ، أنت الذي تطعُن علي من يقول:

شَهدتُ لقدِ أقوتْ مغانيكُمُ بعدِي ... ومَحَّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ[1]
وأنجدتم من بعد إتهام داركُمْ ... فيا دمعُ أنجدنِي على ساكني نجدِ

فصاح دعبل: أحسن والله! وجعل يردد «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال: رحمه الله! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس.

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن يزيد قال:

مات لعبدالله بن طاهر ابنان صغيران في يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده:

ما زالت الأيامُ تخبرُ سائلا ... أن سَوفَ تفجعُ مُسْهلاً أو عاقِلا[2]
مجدٌ تأوَّبَ طارقاً حتى إذا ... قلنا أقام الدهرَ أصبحَ راحلا[3]
نجمان شاء الله ألا يَطْلُعا ... إلا آرتدادَ الطرف حتى يأفِلا
إن الفجيعة بالرياض نواضراً ... لأجل منها بالرياض ذَوابِلا
لو يُنْسبان لكان هذا غاربا ... للمكرُمات وكان هذا كاهلا
لَهْفي على تلك المخايلِ منهما ... لو أُمْهلَت حتى تكون شمائِلا
لغدا سكونُهما حِجًى وصِباهُما ... حِلْماً وتِلك الأريحيةُ نائلا
إن الهلالَ إذا رأيت نموَّهُ ... أيقنتَ أنْ سيكونُ بدرا كاملا

(١) محَّت: امَّحَتْ وزالت.

(٢) مسهلاً: نازلاً في السهل. وعاقلاً: ممتنعا في الجبل.

(٣) تأوّب: ورد ليلاً.

الفهارس



١ ـ فهرس القوافي

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة

باب المديح

قافية الألف

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ـ والإسراءِ	الكامل	٢٠	١/١٥ ـ ٢٢
ـ سجرائي	الكامل	٣٠	١/٢٢ ـ ٣١

قافية الباء

كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ـ واللعبِ	البسيط	٧١	١/٣٢ ـ ٤٩
ـ عتابِ	الكامل	٤٠	١/٥٠ ـ ٥٨
ـ المعجبِ	الكامل	٤٥	١/٥٩ ـ ٦٦
ـ انسكابِه	المنسرح	٨	١/٦٦ ـ ٦٧
ـ عجبِ	البسيط	١٩	١/٦٧ ـ ٧١
ـ ملحوبِ	الخفيف	٣٨	١/٧١ ـ ٧٧
ـ وأعذبُ	الكامل	٢٨	١/٧٧ ـ ٨٢
ـ حبائبا	الطويل	٢٧	١/٨٣ ـ ٨٦
ـ بمصحبي	الطويل	٣٢	١/٨٧ ـ ٩١
ـ تصوبا	الخفيف	٥٥	١/٩٢ ـ ١٠٠

قافية التاء

قافية الثاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الرّاء

قافية السِّين

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الراء

قافية العين

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

باب الغزل

قافية الهمزة والألف

قافية الباء

قافية التاء

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

قافية الزاي

قافية السين

قافية الشين

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية الظاء

قافية العين

قافية الفاء

ـ موالِفُ	الخفيف	٥	٢٨٣/٢
ـ كلفَا	المنسرح	٤	٢٨٣/٢
ـ بطرفها	الخفيف	٤	٢٨٤/٢
ـ أوفى	الطويل	٦	٢٨٤/٢

قافية القاف

ـ واحتراقُ	الكامل	٧	٢٨٥/٢
ـ واحتراق	الخفيف	٤	٢٨٥/٢ ـ ٢٨٦
ـ شفيقُ	الخفيف	٤	٢٨٦/٢
ـ الحدقُ	المنسرح	٣	٢٨٦/٢
ـ الحقَّا	الكامل	٤	٢٨٦/٢

قافية الكاف

ـ عيناكا	السريع	٤	٢٨٧/٢
ـ خدّيكا	الخفيف	٥	٢٨٧/٢
ـ لديكا	الخفيف	٦	٢٨٨/٢
ـ كذاكا	الخفيف	٦	٢٨٨/٢
ـ ذراكا	الخفيف	٤	٢٨٨/٢ ـ ٢٨٩
ـ سِواكا	الخفيف	٤	٢٨٩/٢
ـ مقلتيكا	الوافر	٤	٢٨٩/٢
ـ هلكْ	الخفيف	٤	٢٨٩/٢

قافية اللام

ـ أثكلِ	الكامل	٤	٢٩٠/٢
ـ حالا	الخفيف	٥	٢٩٠/٢
ـ ونبالا	الخفيف	٤	٢٩١/٢

قافية الميم

قافية النون

قافية الواو

قافية الهاء

باب الهجاء

قافية الهمزة

قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الشّين

قافية الضاد

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الياء

باب المعاتبات

قافية الهمزة

قافية الباء

قافية الراء

قافية الضاد

ـ جرضُ	البسيط	١٣	٣٩١/٢

قافية الفاء

ـ والتصريفِ	الخفيف	٨	٣٩٢/٢ ـ ٣٩٣
ـ ونصّفا	الكامل	٢٦	٣٩٣/٢ ـ ٣٩٦
ـ ذروفِ	الخفيف	١٢	٣٩٧/٢

قافية القاف

ـ وسياقِهِ	الكامل	٦	٣٩٨/٢

قافية الكاف

ـ دهاكا	الكامل	٤	٣٩٩/٢

قافية اللام

ـ الطُّوالا	الوافر	١٤	٤٠٠/٢
ـ الرَّسُولِ	الخفيف	١٠	٤٠١/٢
ـ مُقْبِلُ	الكامل	٧	٤٠١/٢
ـ سَبيلُ	الطويل	٧	٤٠٢/٢

قافية الميم

ـ مُفَهَّمِ	الكامل	٤	٤٠٣/٢
ـ النعمُ	البسيط	١٤	٤٠٣/٢ ـ ٤٠٤
ـ صممُ	البسيط	١١	٤٠٤/٢
ـ والقدمُ	البسيط	١٠	٤٠٥/٢
ـ الكلمِ	الطويل	٢١	٤٠٥/٢ ـ ٤٠٧
ـ هشامِ	الكامل	٤	٤٠٧/٢

باب الأوصاف

قافية الهمزة

قافية الباء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

قافية الدال

قافية الراء

قافية العين

قافية الميم

باب الزهد

قافية الباء

قافية الراء

قافية السين

قافية العين

قافية الياء

٢ ـ فهرس المحتويات

باب الغزل

باب الهجاء

باب المعاتبات

باب الأوصاف